مِلاكُ التَّأوِيل

القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل

لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي

٦٢٧-٧٠٨هـ

السِّفْرُ الأوَّل

تحقيق

الدكتور محمود كامل أحمد

مدرس الدراسات الإسلامية بآداب عين شمس
وعضو لجنة تحقيق التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالقاهرة

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ١١٠٧٤٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



مقدّمة التحقيق

١ ـ ترجمة المؤلف*

١ ـ اسمه ونسبه:

ابن الزُّبَيْر من بني ثقيف من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس[1].
وتختلف المصادر فيما بينها اختلافاً ظاهراً في سرد اسم المؤلف ونسبه، ما بين موجز ومستقص. ولما كان جماعة ـ غير صاحبنا ـ من العلماء، من معاصري ابن الزُّبَيْر وممن سبقوه قد جعل: «ابن الزبير» علماً لكل منهم، وشاركه بعضهم في اسمه الأول، كان لزاماً نسبة كل اسم في سلسلة نسبه إلى المصادر، ذكراً وحذفاً.

صاحبنا هو: أحمد بن إبراهيم[2] بن الزبير[3] بن محمد[4] بن

(*) مصادر الترجمة: بغية الوعاة ٢٩١/١، الدرر الكامنة ٨٤/١، الشذرات ١٦/١، التكملة لابن عبد الملك، نقلاً عن الدرر الكامنة، الديباج المذهب /٣، الاحاطة ٩٥/١، درة الحجال ١١/١، غاية النهاية ٣٢/١، شجرة النور الزكية /٢١٢، البدر الطالع /٣٣، المنهل الصافي ١٩٧/١، تذكرة الحفاظ ٢٦٥/٤، الوافي بالوفيات ٢٢٢/٦، العبر في خبر من غبر ٤٠/١٧، الأعلام ٨٣/١، معجم المؤلفين ١٣٨/١.

(١) الاحاطة ١٩٥/١.

(٢) ما بعده الى آخر الاسم ساقط من تذكرة الحفاظ.

(٣) ما بعده الى آخر الاسم ساقط من العبر.

(٤) من هنا الى «مرة» ساقط من العبر.

إبراهيم بن الزبير[1] بن الحسن[2] بن الحسين[3] بن الزبير[4] بن عاصم[5] بن مسلم[6] بن كعب[7]، بن مالك[8] بن علقمة بن حيّان بن مسلم ابن عَدِيّ[9] بن مُرَّة[10] بن عوف[11] الثقفي[12] العاصمي[13]، الجياني[14]، الغرناطي[15]، وكُنيتُه: أبو جعفر[16].

---

(١) ساقط من: الدرر، الشذرات، الاحاطة، الشجرة، البدر الطالع.

(٢،٣) في البغية، التكملة، الاحاطة، غاية النهاية.

(٤) في التكملة، الاحاطة، غاية النهاية.

(٥) ساقط من: البغية، الشذرات، الديباج، الدرة، غاية النهاية، الشجرة.

(٦،٧) في الدرر، التكملة، الاحاطة، البدر الطالع.

(٨) من هنا الى «مسلم» في التكملة، والاحاطة فقط.

(٩) هكذا صححه ابن الخطيب في الإحاطة، وفي «التكملة»: «علي»، ولم يرد في بقية المصادر.

(١٠) في التكملة، والاحاطة فقط.

(١١) هكذا في الاحاطة، وفي التكملة: «كعب»، ولم يرد في بقية المصادر.

(١٢) في الاحاطة: «بن ثقيف»، وساقطة من الدرر، والمنهل، والوافي.

(١٣) في البغية، التكملة، الدرة.

(١٤) في البغية فقط.

(١٥) في البغية، الدرة، الشجرة، غاية النهاية.

(١٦) وممن سمي بابن الزبير:

- أبو إسحق بن الزبير، تلميذ المليلوطي المتوفى ٦٢٧ هـ (البغية ١/٣٧٤).
- أحمد بن عبد الله بن الزبير، أبو العباس الخابوري المتوفى ٦٩٠ هـ (غاية النهاية ١/٧٣).
- ابن الزبير الغساني المصري، المعروف بالرشيد الأسواني المتوفى ٥٦٣ هـ (البغية ١/٣٣٧).
- جعفر بن الزبير، أبو القاسم، المتوفى ٧١٥ هـ (الدرة ٣/٢٧٩).

ابن الزبير الأصغر، واسمه أحمد:

عاصر المؤلف وشاركه في الأخذ عن بعض الأشياخ حتى أواخر القرن السابع الهجري. وله فهرست بمشيخته أجاز له فيها: الخلاطي، وغالب الكلبي، وابن الخطيب المزة عام /٦٨٤، ويحيى البلوي عام /٦٩٠، وابن المريني المالقي عام /٦٩٢، وابن فضيلة المعافري المتوفى عام /٦٩٦ - بغرناطة، ولقي ابن منظور القيسي، وابن الشاط بسبته عام /٦٨٦، ولقي السكوب في مالقة عام /٦٨٥. انظر. درة الحجال ٣/١٠٩، ١١٢، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣١٨، ٣٢٨، ٢٧٠.

- علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي، أبو الحسن، المعروف بابن الكوفي المتوفى ٣٤٨ هـ (البغية ٢/١٩٥).

- محمد بن علي بن الزبير، أبو عبد الله، كاتب أبي المعالي زيدان بن أمير المؤمنين، أبي العباس أحمد المنصور (الدرة ٢/٢٣٧).

كان ابن الزبير يلقب بالأستاذ[1] وبأستاذ الجماعة[2] تعظيماً لنباهة شأنه في علوم الدين والدنيا. وقد عبر لسان الدين ابن الخطيب عن عالي مكانته في جَيَّانَ فقال: «نسبه بها كبير، وحسبه أصيل، وثروته معروفة»[3].

٢ ـ نشأته وشخصيته:

ولد ابن الزبير في مدينة جيان «Jean» بمنزل قِلَنْشْرِينَ[4] في ذي القعدة عام سبع وعشرين وستمائة. خرج به أبوه عند تغلب العدو على جيان عام ثلاثة وأربعين وستمائة إلى مدينة مالقة «Malaga» فتكون سِنُّهُ آنذاك ستة عشر عاماً. وكان أبوه إذْ ذاك ثرياً ثراء عريضاً، وكان ذا جِدّة مما أعانه على طلب العلم، وإرفاد من أحوجته الأزمة ممن نزح من قرطبة وأشبيلية كأبي الحسن الصائغ وغيره، فنصحوا له وحطبوا في حبله[5].

ويزعم الحافظ الذهبي (ت ـ ٧٤٨) أنّ ابن الزبير طلب العلم في سنة ست وأربعين وستمائة، وهو ما لستُ واجده فيما بين يدَيَّ من المصادر، إلا فيما رواه ابن العماد الحنبلي عن الذهبي[6]. والذهبي بعد تفرده بهذا الخبر يذكر في تذكرته ما نصه: «سمع [أي ابن الزبير] سنة خمس وأربعين وبعدها من سعيد بن محمد الحفار، وأبي زكريا يحيى بن أبي الغصن، وإسحاق بن إبراهيم بن عامر الطوسي، ومحمد بن عبد الرحمن بن جرير البلنسي، وأبي إسحاق، وإبراهيم بن محمد، وخلق كثير»[7]، فلم ينص

---

(١) الاحاطة ٤٧٢/١، ٥٠١، وغيرهما، البرهان للزركشي ٤٢٢/٤، تاريخ قضاة الأندلس /١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٧، ١٤٠.

(٢) الاحاطة ٣٨٢/١.

(٣،٤) نفسه /١٩٥.

(٥) نفسه /١٩٥، ١٩٦.

(٦) العبر ٤٤/١٧، الشذرات ١٦/١.

(٧) تذكرة الحفاظ ٢٦٥/٤، الوافي ٢٢٢/٦

على أنها بداية طلبه العلم، وإنما هي مرحلة من مراحل سماعه، وأخْذِهِ عن الأشياخ في الغالب، اذ لا يقبل عقلاً أنه مكث تسعة عشر عاماً لا يحفظ القرآن، ولا يجمع القراءات والتفسير والفقه، وبقية ما جرى عُرْفُ أهل عصره على تعليمه للصغير وأدائه[1]. أضف إلى هذا أنه بدأ في طلب العلم قبل خروجه من «جيان» عام ثلاثمائة وثلاث وأربعين، فكان يقرأ هو وأترابه «رواية وَرْش» على الشيخ أحمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر الهاشمي من أهل جيان[2].

وما زال ابن الزبير يترقى في مدارج علوم اللغة والدين حتى انتهت إليها رياستها، وأصبح محط رِحَال العلماء، لسعة معارفه، ورسوخ قدمه. ويدلنا على قيمته العلمية أنه كان صدر صدور الحفاظ في عمره، فالحافظ هو الكامل من العلماء تحملاً وأداء للأصلين وما يتعلق بهما من علوم الدين واللغة. ويزيد ابن عبد الملك في كتاب «التكملة» انفراد ابن الزبير بالمثابرة على نشر هذه العلوم طيلة نهاره فيقول إنه: «تصدر لإقْراء كتاب الله تعالى، وإسماع الحديث، وتعليمهم العربية، وتدريس الفقه، عاكفاً على ذلك عامة نهاره، مثابراً على إفادة العلم ونشره. انفرد بذلك، وصارت الرحلة إليه، وهو من أهل التجويد والإتقان، عارفٌ بالقراءات »[3]. ومما يذكر أصحاب كتب الطبقات التي ترجمت لابن الزبير من العلوم التي تفوق فيها ابن الزبير وانتهت إليه رياستها علوم: التفسير، والحديث، والقراءات، والنحو، والتاريخ، والنقد، مع التركيز بصفة خاصة على تفوقه في علم الحديث النبوي الشريف ومصطلحه فاستحق لقب مُحدِّث الأندلس، بل المغرب في

---

(١) انظر: فتح المغيث ٢/٤٥، مقدمة ابن الصلاح /١٣٩.

(٢) غاية النهاية ١/٣٧.

(٣) الدرر الكامنة ١/٨٤، ٨٥، وانظر: الشجرة /٢١٢، البدر الطالع /٣٣،٣٤، المنهل ١/١٩٧، ١٩٩، الشذرات ١/١٦، تذكرة الحفاظ ٤/٢٦٥.

زمانه. وفي ذلك يقول تلميذه أبو حيان الأندلسي في كتاب «النُّضار»: «كان مُحدِّثاً، جليلاً، ناقداً، نحوياً، وأصولياً فصيحاً، مفوهاً، وحسن الخط، مقرئاً، مفسراً، مؤرخاً. أقرأ القرآن، والنحو، والحديث بمالقة وغرناطة وغيرهما. وكان كثير الإنصاف، ناصحاً في الإقْراء. خرج من مالقة، ومن طلبته أربعة يقرأون كتاب سيبَوَيْهِ»[1].

ووراء هذه الشخصية العلمية، نرى المترجمين لابن الزبير يذكرون الجانب الآخر من شخصيته السلوكية الاجتماعية، فنقرأ لهم يرددون مثل قول ابن الخطيب عنه: «إنه كان كثير الخشوع والخشية، مسترسل العبارة، صليباً في الحق، شديداً على أهل البدع، ملازماً للسُّنَّة، جزلاً مهيباً معظماً عند الخاصة والعامة، عذب الفكاهة طيب المجالسة حُلْوَ النادرة، يؤثر عنه في ذلك حكايات لا تُخِلُّ بوقار، ولا تُخِلُّ بجلال منصب»[2].

ولتصلب ابن الزبير في الحق، «نشأت بينه وبين المتغلِّب بمالقة من الرؤساء التُّجِيبيِّين من بني أشقِيلُولَة وحشة أكدتها سعاية بعض من استهواهم رجل مُمَخْرِقٌ من بني الشعوذة، ومنتحلي الكرامة يمتطيها، زعموا أنه ينسب إلى النبوة يعرف «بالفزاري» واسمه «إبراهيم»، غريب المنزع، فذ المآخذ، أعجوبة من أعاجيب الفتن، يخبر بالقضايا المستقبلة، ويتسور سور حمى العادة في التطور عن التقشف والخلابة. تبعه ثاغية وراغِية من العوام الصم البكم مستفزين في حياته وبعد زمن من مقتله على يد الأستاذ[3] بغرناطة»[4].

(١) بغية الوعاة ١ /٢٩١، ٢٩٢، وانظر: الديباج /٤٢، البدر الطالع /٣٣، غاية النهاية ٣٢/١، الإحاطة ١٩٦/١، تذكرة الحفاظ ٤ /٢٦٥.

(٢) الإحاطة ١٩٦/١.

(٣) يريد بالأستاذ ابن الزبير.

(٤) الإحاطة ١٩٨/١، وانظر: الدرر ٨٥/١.

ويعلل لسان الدين ابن الخطيب ضياع كتب ابن الزبير بهذه المحنة، فقد ذكر هو والنُّبَاهِيُّ أنَّ ابن الزبير والقاضي الحسن بن الحسن الجذامي قد أنكرا على «إبراهيم الفَزَاري» وَلِيُّ بني أشقيلولة أيام ثورتهم برية، وامتعضا لما أظهره لهم من البدعة، وادعاء النبوة. وعند ذلك استغاث إبراهيم بالمتغلِّب الذي كان مفتوناً بسحرياته ومظاهراً في مِحَالِه. وبلغ هذا ابن الزبير ففر من مالقة، وكُبِسَ منزله لحينه فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه على ما طالت به الحسرة، وجلت فيه الرزية. وأُتبِعَ ليقتل فأفلت ولاذ ـ بأمير المسلمين الأمير أبي عبد الله بن الأمير الغالب بالله بن نصر المدعو بالفقيه، فأكرمَ مثواه وعرف حقه، وانثال عليه الجم الغفير لالتماس الأَخْذِ عنه[1].

وفي هذه الفترة ألف ابن الزبير كتاب: «مِلَاكُ التأويل» كما يصرح هو نفسُه أنه ألفه لأمير المسلمين بن أمير المسلمين[2]. غير أن هذا الحال لم يدم طويلاً فقد عرَض أن تغير عليه السلطان بسعاية ووشاية. ذلك أن جاراً له من صلحاء القرابة النصرية كان يتنابه لنسبة الخيرية نميت عنه في باب تفصيله، واستهالت للأمر كلمة أوجبت امتحانه، وتخلل تلك الألقية من الشك ما قصر المحنة على إخراجه من منزله المجاور لذلك المتهم، ومنعه من النظر، والتزامه قعر منزل، انتقل إليه بحال اعتزال من الناس محجوراً عليه مداخلتهم. فمكث على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن سُرِّيَتْ عنه النكبة، وأقشعت المَوجِدَة فتخلص من سوادها بدوره، وحسنت حاله، وعظمت في الأمر غاشيته، وظفر بكثير من منتهب الكتب. وآلت الدولة للأمير أبي عبد الله بن نصر بمالقة فطالب الفزاريِ المذكور واستظهر بالشهادات عليه. ذلك

---

(١) هذا النص ملفق من كتابَيْ: «تاريخ قضاة الأندلس /١٢٨، ١٢٩، الإحاطة ١/ ١٩٨».
(٢) راجع ملاك التأويل ١/ ٣٦، ٣٧.

أنه ـ كما يقول ابن عبد الملك في التكملة ـ: «اتفق قدوم الفزاري رسولاً من أمير مالقة، فاجتمع أبو جعفر بصاحب غرناطة ووصف له حال الفزاري، فأذن له إذا انصرف بجواب رسالته أن يخرج إليه ببعض أهل البلد ويطالبه[1] من باب الشرع ففعل فثبت عليه الحد، وحكم بقتله فضرب بالسيف فلم يَجُلْ فيه. فقال أبو جعفر: جرِّدوه، فوجدوا جسده مكتوباً فغُسل، ثم وجد تحت لسانه حجراً لطيفاً فنزعه؛ فجَال فيه السيف حينئذ»[2].

وبعدُ فالإجماع منعقد على أن ابن الزبير كان ثقة قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قامعاً لأهل البدع، وله مع ملوك عصره وقائع، وكان معظماً عند الخاصة والعامة[3]. بل إن تلميذه أبا حيان النحوي صاحب تفسير «البحر المحيط» لم يكتف بهذه الصياغة، فنزع بالنص السابق الى المبالغة وأبنيتها فقال: «وكان مُحدِّث الأندلس، بل المغرب في زمانه، خيِّراً صالحاً، كثير الصدقة، معظماً عند الخاصة والعامة متحرياً، وأماراً بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، لا ينقل قدمه إلى أحد. جرت له في ذلك أمور مع الملوك صبر فيها، ونطق بالحق بحيث أدَّى إلى التضييق عليه وحبسه»[4]. وقد تغلب ابن الزبير في هذا الوقت في عدة مناصب فكان إمام الجامع الكبير بغرناطة يخطب فيه، ويفتي الناس، كما تولى قضاء الأَنْكِحَة. وفي هذا ينقل السيوطي عن أبي حيان قوله مبيناً ما ذكرناه آنفاً من بدايته بقوله: «ثم عرَض أن السلطان تغير عليه فجعل سجنه داره، وأذن له في حضور الجمعة. فلما مات شيوخ غرناطة، وشغر البلد عن عالم؛ رضي عليه، وقعد بالجامع يفيد

---

(١) هكذا في النص.

(٢) الدرر ١/٨٥، ٨٦.

(٣) البدر /٣٤، ٣٥، الدرر ١/٨٦.

(٤) النضار، نقلاً عن البغية ١/٢٩٢.

الناس، وولي الخطابة، والإمامة بالجامع الكبير، وقضاء الأنكحة، وتخرج عليه جماعة. وبه أبقى الله ما بأيدي الطلبة من العربية وغيرها»[1].

٣ ـ شيوخه:

سمع ابن الزبير من أجَلّ علماء عصره، وتفرد ببعض ما كان يسمعه منهم. ويصل عدد شيوخ ابن الزبير الى أربعمائة شخص كما يقول: ابن فرحون، ومحمد مخلوف[2]. ولابن الزبير فهرست جمع فيه أسماء شيوخه وتراجمهم كما تحدثنا المصادر. ومن شيوخه:

١ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النفزي الأبدي (ت ـ ٦٥٩ هـ)[3].

٢ ـ إبراهيم بن محمد بن الكمال[4].

٣ ـ أحمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر الهاشمي الجياني (ت ـ ٦٤٦ هـ)[5].

٤ ـ أحمد بن الحسين الحضرمي، أبو المجد[6].

٥ ـ أحمد بن صابر، أبو جعفر النحوي[7].

٦ ـ أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنصاري المالقي، المدعو بحميد (ت ـ ٦٥٢ هـ)[8].

٧ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد بن عميرة المَخزُوميّ البَلَنْسيّ (ت ـ ٦٥٨ هـ)[9].

---

(١) البغية ١/٢٩٢.
(٢) الديباج /٤٢، الشجرة /٢١٢.
(٣) البغية ١/٤٢٤، الاحاطة ١/٣٧٥، الديباج /٩١.
(٤) البدر /٣٣، الدرر ١/٨٤.
(٥) غاية النهاية ١/٣٧.
(٦) الشجرة /٢١٢، الديباج /٤٢.
(٧) البغية ١/٣١١.
(٨) الديباج /٤٦، الشجرة /١٩٤.
(٩) الشجرة /١٩٥، الاحاطة ١/١٧٩.

٨ ـ أحمد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم التجيبي الغرناطي، أبو جعفر الورّاد وسماه ابن الزبير: أحمد بن محمد بن عثمان، وقال ابن عبد الملك: وهو غلط (ت ـ ٦٥٨ هـ)[١].

٩ ـ أحمد بن عمر بن مضرس[٢].

١٠ ـ أحمد بن محمد بن خديجة، أبو جعفر[٣].

١١ ـ أحمد بن يوسف أبو العباس، المعروف بابن فرتون السلمي (ت ـ ٦٦٠ هـ)[٤].

١٢ ـ إسحاق بن إبراهيم بن عامر الطوسي (ت ـ ٦٥٠ هـ)[٥].

١٣ ـ أبو إسحاق الكماد[٦].

١٤ ـ إسماعيل ين يحيى بن إسماعيل، أبو الوليد الأزدي الغرناطي (ت ـ ٦٦٨ هـ)[٧].

١٥ ـ الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري الغرناطي (ت ـ ٦٩٩ هـ)[٨].

١٦ ـ أبو الحسين السراج[٩].

١٧ ـ القاضي أبو زكريا بن أحمد بن عبد الرحمن المرابط[١٠].

---

(١) البغية ١/٣٣٥.

(٢) غاية النهاية ١/٣٢.

(٣) الديباج /٤٢.

(٤) البغية ١/٢٩١، المنهل ١/١٩٩، الشجرة /٢٠٠١، البدر /٣٣، الدرر ١/٨٤، نيل الابتهاج /٦٣.

(٥) غاية النهاية ١/١٥٥، الوافي ٦/٢٢٢، المنهل ١/١٩٨، التذكرة ٤/٢٦٥، الدرر ١/٨٤.

(٦) المنهل ١/١٩٨، الوافي ٦/٢٢٢.

(٧) غاية النهاية ١/١٧٠، البدر /٣٣، التذكرة ٤/٢٦٥.

(٨) تاريخ قضاة الأندلس /١٢٧، درة الحجال ١/١١.

(٩) الديباج /٤٢، الشجرة /٢١٢، البدر /٣٣، المنهل ١/١٩٩، الوافي ٦/٢٢٢.

(١٠) المنهل ١/١٩٩، الوافي ٦/٢٢٢.

١٨ ـ سعد بن محمد بن محمد، أبو الحسن الأنباري الغرناطي المقابري الحفار (ت ـ ٦٤٦ هـ)[١].

١٩ ـ سليمان بن حَوْط الله الأنصاري، أبو عمر[٢].

٢٠ ـ عبد الرحمن بن عبد المنعم بن الفَرَس، أبو يحيى[٣].

٢١ ـ عبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية المالقي (ت ـ ٦٤٨ هـ)[٤].

٢٢ ـ أبو عبيد الله الحجري[٥].

٢٣ ـ عبد الله بن عثمان بن حكم القرشي (ت ـ ٦٩٧ هـ)[٦].

٢٤ ـ أبو عبيد الله بن عطية[٧].

٢٥ ـ أبو عبد الله الطراز[٨].

٢٦ ـ عبد المحسن بن موسى بن سليمان. أجاز لابن الزبير سنة (٦٨٧هـ)[٩].

٢٧ ـ علي بن عبد الكريم بن عبد الله. وقف ابن الزبير على إجازته سنة (٦٨٤ هـ)[١٠].

٢٨ ـ علي عبد الله بن خلف بن النعمة، أبو الحسن الأنصاري المعروف بالبلنسي (ت ـ ٥٦٧ هـ)[١١].

---

(١) غاية النهاية ١/٣٠٣، الشجرة /٢١٢، التذكرة ٤/٢٦٥.
(٢) الاحاطة ١/٥١١، الديباج /٤٢، الشجرة /٢١٢.
(٣) البُغيَة ١/٢٩٢، والوافي ٦/٢٢٢، المنهل ١/١٩٩.
(٤) البُغية ٢/٣٣.
(٥) المنهل ١/١٩٨، الوافي ٦/٢٢٢، التذكرة ٤/٢٦٥.
(٦) درة الحجال ٣/٤٦.
(٧) الشجرة /٢١٢.
(٨) نفسه.
(٩) درة الحجال ٣/١٦١.
(١٠) نفسه ٣/٢٣٢.
(١١) غاية النهاية ١/٥٥٣.

٢٩ ـ علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حسن الطائي، أبو الحسن، المعروف بابن مسمغور. أجاز لابن الزبير عام /٧٠٨ هـ[١].

٣٠ ـ علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى الشاري، أبو الحسن (ت ـ ٦٤٩ هـ)[٢]. والشاري أحد ثلاثة قرأ عليهم ابن الزبير بالسبع هم: الشاري، وابن حسنون، وأبو الوليد الأزدي؛ كما يقول الصفدي في الوافي بالوفيات[٣].

٣١ ـ علي بن عيسى بن موسى. وقف ابن الزبير على خطه بالإجازة سنة (٦٨٤ هـ)[٤].

٣٢ ـ مالك بن عبد الرحمن السبتي المعروف بابن المُرَحّل (ت ـ ٦٩٩ هـ)[٥].

٣٣ ـ محمد بن إبراهيم الطائع، المعروف بمشعور (ت ـ ٦٧٠)[٦].

٣٤ ـ محمد بن أحمد بن سيد الناس، أبو بكر (ت ـ ٦٥٧ أو ٦٥٩ هـ)[٧].

٣٥ ـ محمد بن أحمد بن خليل السُّكُوني[٨].

٣٦ ـ محمد بن أحمد العاصمي، أبو بكر[٩].

٣٧ ـ محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن أبي جمرة (ت ـ ٥٩٩ هـ)[١٠].

---

(١) درة الحجال ٣/ ٢٣٠.
(٢) غاية النهاية ١/ ٣٢، ٧٥٤، المنهل ١/ ١٩٨.
(٣) انظر الوافي ٦/ ٢٢٢.
(٤) درة الحجال ٣/ ٢٣٠.
(٥) الشجرة / ٢٠٠.
(٦) غاية النهاية ١/ ٤٤٧، ٤٤٨.
(٧) الشجرة / ١٩٤، الديباج / ٤٢.
(٨) الوافي ٦/ ٢٢٢، البدر / ٣٣، المنهل ١/ ١٩٩، الدرر ١/ ٨٤، البغية ١/ ٢٩٢.
(٩) غاية النهاية ٢/ ٣٤.
(١٠) نفسه / ٦٩.

٣٨ ـ مجمـد بن أحمـد بن عبيـد الله، أبـو بكـر التجيبي الأشبيلي (ت ـ ٦٦٦هـ)[١].

٣٩ ـ محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جُوبَر، أبو عبيد الله الأنصاري البلنسي (ت ـ ٦٥٥ هـ). سمع التيسير عن ابن أبي جمرة، عن أبيه الداني إجازة وهو سند في غاية العُلُوّ[٢].

٤٠ ـ محمد بن سعيد بن علي الأنصاري، أبو عبيد الله (ت ـ ٦٤٥ هـ)[٣].

٤١ ـ محمد بن عبد الله عبد العظيم بن أرْقَم، الوادي آشى، أبو عامر (ت ـ ٧٤٠ هـ)[٤].

٤٢ ـ محمد بن عبيد الله الأزدي[٥].

٤٣ ـ محمد بن محمد بن حسنون، أبو بكر الكناني الحميري الأندلسي. توفي ما بين: ٦٠٤، ٦٠٨ هـ[٦].

٤٤ ـ محمد بن يوسف، أبو عبد الله الطُّنْجَالِيّ[٧].

٤٥ ـ محمد بن يوسف بن موسى الغرناطي. قال ابن فرحون: «كتَبتُ نَسَبَهُ وأسماء شيوخه من برنامج الإمام العلامة أبي جعفر بن الزبير» تُوفِّي /٦٦٣ هـ[٨].

٤٦ ـ يحيى بن أبي الغصن، أبو زكريا[٩].

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٧٠.
(٢) نفسه ٢/ ١٦٠، المنهل ١/ ١٩٨.
(٣) الشجرة / ١٨٢ ـ ١٨٣.
(٤) البغية ١/ ١٣٩.
(٥) المنهل ١/ ١٩٩، الوافي ٦/ ٢٢٢.
(٦) غاية النهاية ٢/ ٢٤١، التذكرة ٤/ ٢٦٥.
(٧) درة الحجال ١/ ١١.
(٨) الديباج / ٣٤١.
(٩) غاية النهاية ١/ ١٠٤.

٤٧ ـ يوسف بن أبي ريحانة المالقي[١].
٤٨ ـ أبي يعقوب الحسُّانيّ[٢].
٤٩ ـ أبو اليمن بن عساكر[٣].

ومما تفرد ابن الزبير بسماعه «السنن الكبرى» للإمام النَّسائي (ت/٣٠٣هـ) سمعه من أبي الحسن الشاري بسَمَاعِه من أبي محمد عبد الله الحجري، عن البطروشي حتى يصل إلى النسائي، بين ابن الزبير وبين الشاري ستة أَنْفُس[٤].

٤ ـ تلاميذه:

وكما تتلمذ ابن الزبير على أيدي كبار أعلام عصره فقد خرج عدداً كبيراً من علماء عصره وفي مقدمتهم أبو حيان النحوي، وابن الزيات، وابن الحاج وغيرهم في كافة ألوان الثقافة اللغوية والدينية. وممن أخذ عن ابن الزبير وتتلمذ على يديه:

١ ـ إبراهيم بن يحيى بن زكريا، أبو إسحاق (م/٧٥١ هـ)[٥].
٢ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي التنوخي (ت /٧٢٦ هـ)[٦].
٣ ـ أحمد بن الحسن بن علي الزيات الكلاعي (ت /٧٢٨ هـ)[٧].

---

(١) درة الحجال ١/١١.
(٢) الوافي ٦/٢٢٢.
(٣) البغية ١/٢٩٢.
(٤) المنهل ١/١٩٩، الوافي ٦/٢٢٣، التذكرة ٤/٢٦٥، الشذرات ١/١٦، العبر ١٧/٤٤.
(٥) تاريخ قضاة الأندلس /١٥٤.
(٦) البغية ١/٤٢٤، ٣٢٥.
(٧) الاحاطة ١/٢٩٥، غاية النهاية ١/٤٧، ٤٨، الشجرة /٢١٢، الديباج /٤٣.

٤ - أبو العباس أحمد المعروف بالمِكناسِيّ (ت /٧٥٢ هـ)[١].

٥ - أحمد بن سعد بن علي بن محمد، أبو جعفر الأنصاري، المعروف بالجزيري من أهل غرناطة إمام كامل، مقرىء محرر، عارف مجود، (ت /٧١٢ هـ)[٢].

٦ - أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني المكناسي (ت /٧٥٣ هـ)[٣].

٧ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف، أبو جعفر الكلاعي، يعرف بالأغر. مالقي، مجود، متقن يعرف بالأَغَرّ (ت /٧٢٧ هـ)[٤].

٨ - أحمد بن عتيق بن باق، أبو جعفر الجهني الغرناطي (ت / ٧٣٢ هـ)[٥].

٩ - أحمد بن عبد الولي بن أحمد، أبو جعفر الرعيني الغرناطي، يعرف بالعَوَّاد صنعة لأبيه (ت/ ٧٥٠ هـ)[٦].

١٠ - أحمد بن محمد بن أحمد بن قُعْنُب الأزدي، أبو جعفر يعرف بابن قعنب (ت /٧٣٢ هـ)[٧].

١١ - أحمد بن محمد بن رشيد الفِهْرِي (ت /٧٧٩ هـ)[٨].

١٢ - أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن علي بن محمد بن مالك المعافري، أبو جعفر، من أهل غرناطة (ت /٧٢٦ هـ)[٩].

١٣ - سعيد بن الشيخ أبي جعفر أحمد بن البون التجيبي (ت / ٧٣٦ هـ)[١٠].

---

(١) الشجرة /٢١٨، وفي درة الحجال ١/ ٩٤ «أبو العباس احمد الزواوي الشبيبي» هكذا؟!
(٢) غاية النهاية ١/٥٦، البغية ١/٣٠٩.
(٣) نيل الابتهاج /٦٩.
(٤) غاية النهاية ١/٧٢، درة الحجال ١/١٢٩.
(٥) غاية النهاية ١/٧٩، درة الحجال ١/١٣٧.
(٦) الاحاطة ١/٢٠٠، غاية النهاية ١/٧٨.
(٧) الاحاطة ١/١٧٢.
(٨) نيل الابتهاج /٧٣.
(٩) درة الحجال ١/١٢٩.
(١٠) الشجرة /٢١٤.

١٤ ـ سعد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي (ت / ٧٥٠ هـ)[١].

١٥ ـ سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني، أبو القاسم[٢].

١٦ ـ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد القيسي، يعرف بابن شعيب الخطيب بجامع المُرّية (ت /٧٣٧ هـ)[٣].

١٧ ـ عبد الرحمن بن مخلوف الثعلبي الجزائري (ت /٨٧٦ هـ)[٤].

١٨ ـ عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق الدمشقي، عز الدين (م / ٦٢٥ هـ)[٥].

١٩ ـ عبد الله بن علي بن سليمان الكحال، أبو محمد اللقيني (ت / ٧١١ هـ)[٦].

٢٠ ـ القاضي أبو محمد بن عبد الله بن يحيى الأنصاري (ت / ٧٤٥ هـ)[٧].

٢١ ـ عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون، أبو محمد الكناني[٨].

٢٢ ـ عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، أبو محمد (ت /٧٤٩ هـ)[٩].

٢٣ ـ عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد، أبو محمد الباهلي (ت /٧٠٥ هـ)[١٠].

---

(١) درة الحجال /١٢٥.

(٢) الديباج /١٢٥.

(٣) درة الحجال ٧٣/٣.

(٤) نفسه /٨٤.

(٥) نفسه /١٣٤.

(٦) غاية النهاية ٤٣٥/١.

(٧) تاريخ قضاة الأندلس /١٥٢.

(٨) غاية النهاية ٤٣٦/١.

(٩) درة الحجال ١٧٣/٣، الشجرة /٢١٨، البغية ١١٦/٢.

(١٠) غاية النهاية ٤٧٧/١، البغية ١٢١/٢، درة الحجال ١٣٧/٣.

٢٤ ـ علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان، المعروف بابن الجَيَّاب (ت /٧٤٩ هـ)[١] .

٢٥ ـ علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان، أبو الحسن القرطبي[٢].

٢٦ ـ علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني، أبو الحسن القيجاطي (ت / ٧٣٠ هـ)[٣].

٢٧ ـ عيسى بن يحيى بن أحمد السبتي، أبو الهدى[٤].

٢٨ ـ أبو القاسم بن سلمون (ت / ٧٦٨ هـ)[٥].

٢٩ ـ محمد بن إبراهيم بن محمد السيار، ويعرف بالبيساني (ت / ٧٥٣ هـ)[٦].

٣٠ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر الوانوغي، أبو عبد الله (ت / ٨١٩ هـ)[٧].

٣١ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي، أبو القاسم (ت /٧٤١ هـ)[٨].

٣٢ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني، أبو القاسم. ويعرف: بابن حفيد الأمين (ت /٧٤١ هـ)[٩].

٣٣ ـ محمد بن أحمد بن فرج اللخمي الغرناطي، معروف بالطَّرْسونيّ[١٠].

---

(١) البغية ٢/١٨٩، الشجرة /٢١٣، درة الحجال ٣/٢٤٣.
(٢) غاية النهاية ١/٥٤٤.
(٣) نفسه /٥٧٧.
(٤) درة الحجال ٣/١٩٠.
(٥) تاريخ قضاة الأندلس /١٦٧.
(٦) درة الحجال ٢/٤٩، الديباج المذهب /٢٩٧.
(٧) نيل الابتهاج /٢٨٦، البغية ١/٣١، درة الحجال ٢/٣٨.
(٨) غاية النهاية ٢/٨٣، الديباج /٢٩٥، الشجرة /٢١٢.
(٩) الديباج /٢٩٩.
(١٠) نيل الابتهاج /٢٣٢، البغية ١/٣٨.

٣٤ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر الأسلمي، أبو عبد الله (ت /٧٣٦ هـ) [1].

٣٥ ـ محمد بن عبيد الله بن منصور القيسي (ت / ٧٥٠ هـ) [2].

٣٦ ـ محمد بن علي بن أشرص، أبو عبد الله (ت /٧٤٨ هـ) [3].

٣٧ ـ محمد بن علي بن يحيى، أبو عبد الله، المعروف بالشامي (ت /٧٣٢ هـ)[4].

٣٨ ـ محمد بن محمد بن إبراهيم بن حزب الله البَلْفِيقيّ، المعروف بابن الحاج، أبو البركات (ت /٧٧١ هـ)[5].

٣٩ ـ محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني، يعرف بابن الخطيب، الملقب بذي الوزارتين، لسان الدين (ت /٧٧٦ هـ)[6].

٤٠ ـ محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد من أهل اصطبونة. يكنى أبا بكر ويعرف بالقلاوسي (ت /٧٠٧ هـ)[7].

٤١ ـ محمد بن محمد بن سهل بن مالك، أبو القاسم الغرناطي. يعرف بالوزير مقرىء جليل (ت / ٧٣٠ هـ)[8].

٤٢ ـ محمد بن محمد بن محمد بلّيش العَبْدَرِيّ، أبو عبد الله (ت /٧٥٣ هـ)[9].

---

(١) درة الحجال ٢/٧٦، ٧٧.
(٢) تاريخ قضاة الأندلس /١٥٤.
(٣) الشجرة /٢١٣.
(٤) غاية النهاية ٢/٢١٢.
(٥) الشجرة /٢٢٩، غاية النهاية ٢/٢٣٥، نيل الابتهاج /٢٥٤.
(٦) نفسه.
(٧) الديباج /٣٠٢.
(٨) غاية النهاية ٢/٢٤٠، درة الحجال ٢/١٠٠.
(٩) البغية ١/٢٣٣.

٤٣ ـ محمد بن مهلب بن محمد بن عباس الحجري. قال البلفيقي: لقيته بمالقة سنة ـ ٧٠٨ هـ[١].

٤٤ ـ القاضي محمد بن يحيى الأشعري المالقي، المعروف بابن بكر من ذرية أبي موسى الأشعري (ت / ٧٤١ هـ)[٢].

٤٥ ـ محمد بن يوسف الغرناطي، أبو حيان (ت / ٧٤٥ هـ)[٣].

٤٦ ـ محمد بن يوسف بن عبد الله، أبو عبد الله الأندلسي. المعروف باللوشي، خطيب غرناطة. وهو آخر من بقي مَن أصحاب ابن الزبير بالنسبة إلى أبي عمرو الداني. هذا نص كلام ابن الجزري، ولعله يريد من حفظ التيسير عنه بسنده إلى أبي عمرو (ت / ٧٧٣ هـ)[٤].

٤٧ ـ هَمْلُون بن علي، أبو القاسم (ت / ٧٦٧ هـ)[٥].

٤٨ ـ يحيى بن مسعود المحاربي (ت / ٧٢٧ هـ)[٦].

٤٩ ـ يوسف بن أبي موسى بن سليمان الخدامي، أبو الحجاج[٧].

٥ ـ مؤلفات ابن الزبير:

تحفظ لنا كتب الطبقات وقوائم المكتبات أسماء اَثْنَي عشر كتاباً، بعضها موجود والبعض الآخر منها مفقود، وسأضع علامة (خ) أمام الكتب الموجودة منها. وتنبيء هذه الكتب وأوصاف العلماء لها عن تحقيق ابن

(١) درة الحجال ٢/٦٦.
(٢) الشجرة /٢١٣، نيل الابتهاج /٢٣٨، البغية ١/٢٦٥.
(٣) الدرر ١/٨٤، الشجرة /٢١٢، البدر /٣٣، غاية النهاية ٢/٢٨٤، التذكرة ٤/٢٧٥.
(٤) غاية النهاية ٢/٢٨٤.
(٥) الشجرة /٢١٣.
(٦) تاريخ قضاة الأندلس /١٣٩.
(٧) الديباج /٣٥٩.

الزبير لمادته العلمية، ومشاركته في أغلب فنون عصره الثقافية والعلمية. وهذه المؤلفات هي:

١ ـ الإعْلَام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأَعلام. وهو تاريخ مستقل لأعلام الأندلس وتراجمهم. وهذا الكتاب غير كتابه الذي ذيل به على كتاب «الصِّلَة» لابن بشكوال. وقد ذكر هذا الكتاب: الشوكاني، وحاجي خليفة، وابن حجر[١].

٢ ـ البرهان في ترتيب سور القرآن (خ). ويبحث فيه التناسب بين الآيات، تصحيحاً لنظم الكلام. وقد سماه حاجي خليفة، ومخلوف: «البرهان في تناسب سور القرآن»[٢]. والصحيح ما أثبتناه عن ابن الزبير نفسه في كتاب «مِلاك التأويل» حيث قال: «وقد أوضحنا في كتاب البرهان أن ترتيب السور متوقف على أصَحُّ المَأْخَذَيْن وأما ترتيب الآي فلا توقُّف فيه، وأنّ ذلك كله مُعتَمَدٌ فيه غير ترتيب النزول»[٣].

٣ ـ تعليق على كتاب سيبويه. ذكره السيوطي، وحاجي خليفة[٤].

٤ ـ رَدْع الجاهل عن اعتساف المَجَاهل في الرد على الشُّوذِيَّة. وقد ذكره المترجمون لابن الزبير بعبارة لسان الدين ابن الخطيب في الثناء على هذا الكتاب بقوله: «وهو كتاب جليل ينبيء عن التَّفَنُّن والاطلاع»[٥].

٥ ـ كتاب الزمان والمكان. وقد ذكره لسان الدين ابن الخطيب، وإسماعيل باشا البغدادي[٦].

---

(١) الدرر ١/٨٥، البدر الطالع /٣٤، كشف الظنون ١/٢٨٦.
(٢) الشجرة /٢١٢، كشف الظنون ١/٢٤١.
(٣) ملاك التأويل ١/١٧١ ـ ١٧٢، وأنظر: الديباج /٤٢، الاحاطة ١/١٩٧، درة الحجال ١/١١.
(٤) البغية ١/٢٩٢، كشف الظنون ٢/١٢٤٧.
(٥) الاحاطة ١/١٩٧، وانظر: كشف الظنون ١/٨٤١، الديباج /٤٢، درة الحجال ١/١١.
(٦) الايضاح ١/٣٠١، الاحاطة ١/١٩٧.

٦ ـ سبيل الرشاد في فضل الجهاد. ذكره ابن الخطيب، وابن القاضي، وابن فرحون، وإسماعيل باشا[١].

٧ ـ شرح الإشَارة للباجي في الأصول. ذكره ابن الخطيب، وأبو حيان، وابن فرحون، وابن القاضي[٢].

٨ ـ صلة الصلة (خ). وهو ذيل على كتاب ابن بشكوال الذي سماه «الصلة». ويعتقد بعض من أرَّخ لابن الزبير أن هذا الكتاب وكتاب الإعلام كتاب واحد، وليس هذا صحيحاً. فقد ذكرهما ابن حجر والشوكاني متعاقِبَيْن في موضع واحد، على أنهما كتابان مستقلان[٣]. وقد ذكر هذا الكتاب أكثر المترجمين لابن الزبير[٤].

٩ ـ معجم شيوخه. ذكره ابن حجر[٥].

١٠ ـ المَقْصِد الواجب. ذكره سيدي أحمد بابا التُّنْبُكْتِيّ وقرر أن إبراهيم بن محمد المدني نقل منه، وكان يقول: «ذكره ابن الزبير في كتابه المقصد الواجب»[٦].

١١ ـ مِلاَكُ التأويل في المتشابه اللفظ من آي التنزيل. وهو الكتاب الذي نقوم بتحقيقه.

١٢ ـ نزهة البصائر والأبصار. وقد ذكره لسان الدين بن الخطيب[٧].

وبعدُ فلابن الزبير شِعْرٌ ذكره تلميذه أبو البركات البلفيقي في كتاب:

---

(١) الديباج /٤٢، درة الحجال ١/١١، الاحاطة ١/١٩٧، الايضاح ١/٥.
(٢) الاحاطة ١/١٩٧، الديباج /٤٢، درة الحجال ١/١١، الشجرة /١٢، البحر المحيط ١/٦.
(٣) الدرر ١/٨٥، البدر الطالع /٣٤.
(٤) انظر: البدر /٣٤، البغية ١/٢٩٢، الدرر ١/٨٥، المنهل ١/٢٠٠، الديباج /٤٢، الاحاطة ١/١٩٧، الشجرة /٢١٢، كشف الظنون ١/٢٨٦.
(٥) الدرر ١/٨٥، وانظر: الأعلام ١/٨٣، ٨٤، معجم المؤلفين ١/١٣٨.
(٦) نيل الابتهاج /٥١.
(٧) الاحاطة ١/٤٧٥.

«شِعْرُ من لا شِعْرَ له» مما رواه عمن ليس الشِّعرُ له بصناعة، كما يقول ابن الخطيب[1]. وقد يظن البعض أن كتاب «جِنَانُ الجَنَان» الذي ذكره ابن حجر في كتابه «رفع الإصر» منسوباً إلى ابن الزبير هو صاحبنا. فالمحققان لكتاب ابن حجر نَصَّا في الهامش على أن ابن الزبير المقصود هنا هو: أحمد بن علي الغساني الأسواق (؟!) المتوفى /٥٦١ هـ[2].

٦ ـ وفـاتـــه:

تجتمع المصادر على أن ابن الزبير قد توفي بغرناطة في ربيع الأول من سنة ثمانٍ وسبعمائة للهجرة النبوية، عن ثمانين عاماً. لكن ابن فرحون في الدِّيباج يذكر أنه توفي سنة ثمانين وسبعمائة. وقد خطأه في ذلك ابن مخلوف[3].

٧ ـ نسبة الكتاب الى ابن الزبير:

تؤكد المصادر نسبة كتاب «مِلَاكُ التأويل» لابن الزبير الأندلسي الغرناطي الذي ترجمنا له فيما مضى. وأوضح مَن نص على نسبته ونجزئته هو الزركشي في قوله عن علم المتشابه القرآني مقارِناً بين مِلاك التأويل وبقية كتب المتشابه فيقول: «وقد صنف فيه جماعة، ونظمه السخاوي، وصنف في توجيهه الكرماني كتاب «البرهان»، والرازي كتاب «دُرَّة التنزيل»[4]، وأبو جعفر بن الزبير وهو أبسطها في مجلدين»[5].

---

(١) الإحاطة ١٩٧/١.

(٢) رفع الإصرار ٩٦/١، وانظر: معجم الأدباء ٤/ ٥٥، وفيات الأعيان ١/ ٥١.

(٣) الشجرة /٢١٢، الديباج /٤٢.

(٤) في الأصل: درة التأويل وهو خطأ في عنوان الكتاب.

(٥) البرهان ١١٢/١.

ويصوِّر كثير ممن ذكروا أنه تأليف من نوع جديد غريب في معناه، لم يطَّلِعوا على مثله من قبلُ. حتى إنهم ليقولون إنَّ أبا العباس المراكشي المعروف بابن البنَّاء، المفسر المغربي الشهير قد ألَّف كتاباً نَحَى فيه مَنْحَى مِلاك التأويل لابن الزبير[1]. غير أن ابن حجر يقطع هذا الإجماع حين يتوهم أن ابن الزبير قد لخَّص كتاباً في المتشابه ليحيى بن سلامة بن الحسين الخطيب الحِصْن كَيْفِي «الحَصْكَفِيّ» (٤٥٩ ـ ٥٥١) وهو ما لم أجد أحداً أشار إليه أعْني تأليف الحصكفي كتاباً في المتشابه أوَّلاً، وتصحيح هذا الوهم ثانياً. فالمؤلف يخبرنا من بداية كتابه أنه لم يجد من ألَّف في فن المتشابه من المغاربة؛ ولذلك فإنه ألف كتابه ملاك التأويل معارضاً به: «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافي. وتحرياً للأمانة من ابن الزبير ـ كما هو معنى عبارته ـ فإنه أضرب صفحاً عن الكتاب حتى انتهى من كتابه فعارضهما، فما وجده عنده وليس عند الإسكافي وضع أمامَه حرف (غ) باللون الأحمر.

قال ابن حجر: «وجمع ـ أي ابن الزبير ـ كتاباً في فن من فنون التفسير سماه: ملاك التأويل نحى فيه طريق الحصكفي الخطيب في ذلك. فلخص كتابه وزاد عليه شيئاً بنفسه[2]. ولهذا أخطأ كارل بروكلمان حين تابعه بلا تمحيص وأمّن على كلامه. فابن الزبير حريص جداً على نسبة كل ما ينقل إلى أصحابه حتى أنه لو أسقَط كلمة من نص اعتزالي صرح بهذا قبل إيراد النص»[3]. وقد عبر ابن الزبير عن هذا كله في مقدمة كتابه فقال: «وإن من مُغْفَلات مصنفي أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه، وتدبر منطوقه

(١) نيل الابتهاج /٦٥، ٦٦، وانظر: البدر /٣٤، الاحاطة ١ /١٩٧، الديباج /٤٢، والشجرة /٢١٢، الاتقان ١ /٢٠، ٣ /٣٣٩.

(٢) الدرر ١ /٨٤.

(٣) ملاك التأويل ٢ /٦٦٤.

الجليل، ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة عن التعبير، فَعَسُر إلاَّ على الماهر.... وإن مما حَرَّكَ إلى هذا الغرض، وألحقه عند من تحلى ولوعاً باعتباره، والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره... أنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسَلَف، ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخَلَف أحدٌ فيما علمته على توالي الأعصار والمُدَدْ وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه وجليل منزعه ومكانته في الدين، وفَتِّه أعضاد ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين، إلى أن وَرَدَ عليَّ كتاب لبعض المُعْتَنِينَ من جلة المشارقة ـ نفعه الله ـ سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قَرَعَ به مغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بصَفْو من التوجيهات لُباب، وعرف أنه باب لم يوجب عليه أحد قبله بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبلُ فيه بحرف ممَّا فيه. وصدق ـ رحمه الله ـ وأحسن فيما سلك وسنّ، وحُقّ لنا به ـ لإحسانه ـ أن نَقْتَدِيَ ونَسْتَنّ. فحرك من فكري الساكن، واضربت عن نسخته إلى الاستدراك بلكن، وأبديت ـ بحول ربي وقوته ـ من مكنون خاطري إلى الظهور ما أثبته بعون الله وقوته في هذا المسطور، معتمداً عين ما ذكره من الآيات، ومستدركاً ما تذكرته مما أغفله ـ رحمه الله ـ من أمثالها من المتشابهات، برفع تلك الإشكالات وإبداء المعاني الخفيات، القاطعة بذوي البطالات، من غير أن أقف في ذلك على كلامه، إلاَّ بعد إبدائي لما يلهمه الله سبحانه وتعالى وإتمامه ولا ناقلاً إلا في الشاذ النادر كلام أحد من أرباب المعاني، إذ لم يتعرض أحد غير من تقدم ذِكْرُه لما من هذا الضرب أُعاني، وإنما يلقيه فكري إلى ذكري فيلقيه ترجمان فهمي على قلمي. وإن آثرت بعض ما عليه لغيري عثرت، فنقَلت، أفصحت بالنسبة وعقلت»[1].

---

(١) ملاك التأويل ١/ ٣ ـ ٤.

فابن الزبير من خلال هذا النص لا يعرف غير كتاب الدرة من كتب المتشابه، ولم ينظر إلى تفسيرات الآيات إلّا بعد تمام ما ألهمه الله فيها، وإذا نقل من كتاب أو مصدر وهو قليل في حكم النادر في هذا الكتاب، فإنه مُلْزِمٌ نفسه نسبة كل نص إلى صاحبه، عاقِلٌ نفسه عن الهوى وادعاء هذه النصوص لنفسه.

أما صنيعه في هذا الكتاب فستظهار بلاغة النظم ببيان وجه اختصاص كل آية بما فيها من الجُمَل والمفردات، وكل سورة بما فيها من الآيات[1].

٨ ـ وصف نسخ المخطوطة:

لقد اهتدينا إلى سبع نسخ من كتاب «مِلاك التأويل» لابن الزبير الأندلسي رتبتها حسب تواريخها، وقِدَمِ خَطِّها على النسق التالي:

١ ـ نسخة شهيد علي:

ورقمها في المكتبة / ١٦٨، وتقع في ٢٠٧ ورقة مسطرتها ٢٥ سطراً (٢٩,٧ × ٢٢ سم)، بقلم مغربي دقيق.

وقد رمزت لها بالحرف «هـ». وهي غُفْلٌ من التاريخ، إلا من تمليكة غير واضحة بصفحة العنوان. وخطُّ النُّسخة يشهد بأنها من القرن الثامن الهجري. كما هو واضح من صور المخطوطة الملحقة بمقدمة التحقيق. وهذه النسخة من محفوظات المكتبة السليمانية باستانبول.

٢ ـ نسخة مراد مُلّا:

وهي من وقف داماد زادة. ورقمها في المكتبة / ٣٠٨، وتقع في ٢٣٨ لوحة مسطرتها ٢٥ سطراً (١٨ × ٢٨ سم). وصاحب هذه النسخة هو

---

(١) ملاك التأويل ١/ ٣ ـ ٤.

محمد بن محمد بن محمد البكري الشافعي، شيخ أبي حيان النحوي الأندلسي.

وتُعَدُّ هذه النسخة أقدم النسخ السَّبْع الموجودة بغض النظر عن نسخة شهيد علي. ويرجع تاريخ نسخها إلى عام ٨٤٢ هـ، مكتوبة بخط نسخ نفيس. وقد رمزت لها بالحرف «م».

ويزيد من قيمة هذه النسخة ما على أوراقها من بلاغات، وتجزئة عَشْرِيَّة للأوراق مما يؤكد ما نص عليه صاحب النسخة من مقابلتها على الأصل في آخر النسخة بقوله: «بلغ مقابلة بأصله المنقول منه، حسب الطاقة والإمكان والله أعلم».

ومن ثم اتَّخَذْتُ هذه النسخة أصلاً للنص.

٣ ـ نسخة الأسكوريال:

وهي ضمن مجموع من الكتب برقم (١٢٧٣/١). وكتابنا هو الكتاب الأول من هذه المجموعة ويبدأ من الورقة الأولى وينتهي عند الورقة الخامسة والسبعين بعد المائة الأولى. وتقع في مائة وخمس وسبعين لوحة، مكتوبة بقلم مغربي عليل. كتبها أحمد بن محمد الفَخَّار الأندلسي سنة ٩٤٧ هـ، ومسطرتها ٣٠ سطراً (٢١ × ٣٠ سم). وهي جزآن في مجلدين. مُرقَّمَة صفحاتها بالحروف لا بالأعداد. وفي الصفحة الأولى منها إقرار وتمليك من أحد مستعيري هذه النسخة من الفخار جاء فيها: «عارية بيد الطالب: عبد الرحمن المزياتي ومالكه (؟!) سيدي أحمد الفخار الأندلسي». وقد زاد في هذه النسخة قرابة ثلاث صفحات ليست في بقية النسخ[١] فكتبتها في الهامش. وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ك».

---

(١) انظر ملاك التأويل ١/ ١٨ ـ ٢٢.

٤ ـ نسخة المكتبة العامة بالرباط:

وتوجد هذه النسخة تحت رقم «٢٠٧٣/ك» بالمكتبة المذكورة. وهي مكتوبة بخط مغربي رديء جداً، عام / ٩٧٠ هجرية بقلم أحمد بن علي الصخري الأندلسي الأصل. وتقع هذه النسخة في ٢٥٨ ورقة، مسطرتها ١٩/ سطراً (١٦ × ٢١ سم).

ويوجد بهذه النسخة بياض أثناء سورة الانشقاق. وقد رمزت لها بالحرف «ب».

ومما هو جدير بالذكر أن هذه النسخة تغير صِيَغَ الأسئلة التي كان المؤلف يصوغها على ألسِنَةِ السائلين ليجيب عنها، كما كان الناسخ يختصر كثيراً من المواضع ومن آيات النصوص القرآنية الكريمة.

وعلى النسخة تمليكة باسم محمد بن عبد الكريم الفكون (؟!)

٥ ـ نسخة المكتبة العَبْدَلِيَّة:

وتوجد بمكتبة الزيتونة بتونس. وهي من وقف علي باي باشا، عليها إشهاد وقفية بتاريخ ١١٨٨ هجرية على أن يُنْتفع بها على أي أوجه الانتفاعات أَرَادَ المنتفع، بشرط ألَّا يخرج بها منها إلى غيرها، إلَّا الشيخ المدرس بالمدرسة الغربية الباب، الداخلة في نطاق الوقف.

وقد كتبت هذه النسخة عام / ١٧٠٣ هجرية. وعدد أوراقها ٢٦٥ ورقة. ومسطرتها ٢١ سطراً (٢٨ × ٢١ سم). وهي بقلم مغربي جميل. ورقمها بالمكتبة هو ٣٧٢ عمومي، ٣٠٨ خصوصي. وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ع».

٦ ـ نسخة المدينة المنورة:

وتوجد بمكتبة عارف حكمت رقم١١٤/تفسير، وليست في مكة كما زعم

O. Spies في مجلة .Z. D. M. G[1]. وهذه النسخة منقولة عن نسخة شهيد علي. وقد كتب عليها عارف حكمت عبارة «استصحبه عارف» ولقد عهدت إلى أخوين كريمين بمراجعة هذه النسخة على نسختي الأصلية فكانت هي هي إلّا سورة الأعراف فمكانها في هذه النسخة بياض.

وقد كتبت هذه النسخة عام ١١٩٤/ في صفر الخير. وعدد صفحاتها ٢٩٨ صفحة. مسطرتها ٣١ سطراً (٣٠ × ٢١ سم). كتبها عباس بن علي الكلاعي، كما ذكر في آخر هذه النسخة. وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ف». وعند كتابة النسخة المحقّقة من الكتاب رأيتُ ألاّ أُثبتَ خلافات المقابلة في هذه النسخة إكتفاءً بنسخة شهيد عليّ السابقة الذكر. وهذه النسخة غير مرقمة وما أثبتناه هو حاصل عَدّ وترقيم الأخوين الفاضلين محمد صادق قمحاوي الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة، والأخ محروس شحاتة المدرس بالمدينة المنوّرة أيضاً. وقد تطابق تقريراهما حول هذه النسخة.

٧ ـ نسخة دار الكتب المصرية:

وتوجد بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم٥٧/مجاميع. وبهذه النسخة خَرْمٌ من آخرها يبدأ من أثناء سورة الأحزاب إلى آخر النسخة وهي مكتوبة عام /١٢٠٥ هجرية بقلم مغربي، ومسطرتها ٢٣ سطراً (١٦ × ٢٢ سم). وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ج».

ـ منهجنا في التحقيق:

لقد حاولت في تحقيق نص هذا الكتاب أن أحقق ما يقال في النقد الأدبي اليوم من أن المحقق المثالي مُتَمَرِّسٌ بالمصادر، وناقد، ومؤرخ،

---

(١) Z. D. M. G. Von: 90 – 105

وعالم آثار، وخبير خطوط، ولغوي، ومتفلسف. ذلك أن التحقيق عملية دراسة للكتاب بغرض إصدار طبعة نموذجية منه. فالمحقق كغيره من الدّارسين يستغل حكمه النقدي الخالص. فهو عالم، وناقد بصير له ذوق وإحساس مرهف يسمحان له بتفحص النص الأدبي وبنَقْدِه وإعداده العملي للطبعة المحققة. وهذا الصنيع ـ كما لا يخفى ـ يحتاج إلى الوعي الجمالي لمعرفته. وفي محاولة لتطبيق ذلك التصور اختطفت لنفسي الخطوات الآتية لتحقيق نص الكتاب:

١ ـ جمع النسخ الموجودة في العالم، واستثناء نسخة عارف حكمت اكتفاءً بأصلها المنقولة عنه في مكتبة شهيد علي.

٢ ـ مقابلة النسخ المختلفة على نص النسخة «م».

٣ ـ إثبات الفروق الخطية بين النسخ.

٤ ـ تخريج: الشعر، والشواهد اللغوية والنحوية، والقرآنية، وشواهد الحديث النبوي الشريف والآراء الفقهية.

٥ ـ التعريف بالأعلام، والكتب المذكورة في النص.

٦ ـ إضافة ما لا يستقيم النص إلَّا به بين مَعْقُوفَيْن مربعين [ ].

٧ ـ كتابة النص الصحيح في صلب الكتاب، وكتابة الخطأ في النص بهامش الكتاب تحقيقاً لأكبر قدر من الانتفاع بالنص صحيحاً دالًّا على معناه.

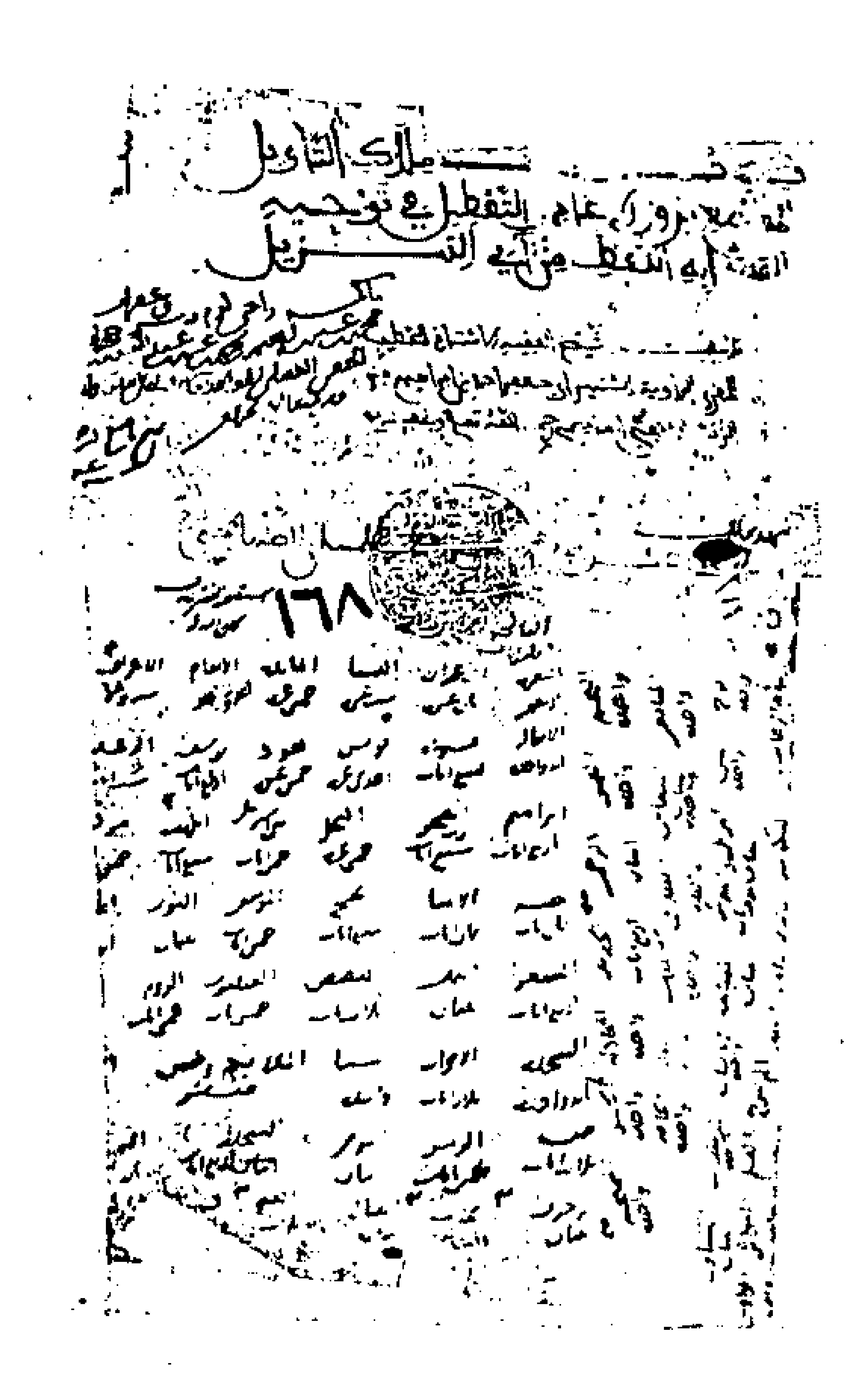
٨ ـ استشارة المصادر المتخصصة في كل تصحيح بالإبدال أو بالإضافة.

وإني راجٍ أن أكون قد وفقتُ إلى تحقيق شيء من التصور الأمثل لتحقيق وإخراج هذا النص.

الدكتور / محمود كامل أحمد

سبتمبر ١٩٨٢.

مدينة نَصْـــر ـ القاهرة



صفحة العنوان من نسخة مكتبة شهيد عليّ «هـ»

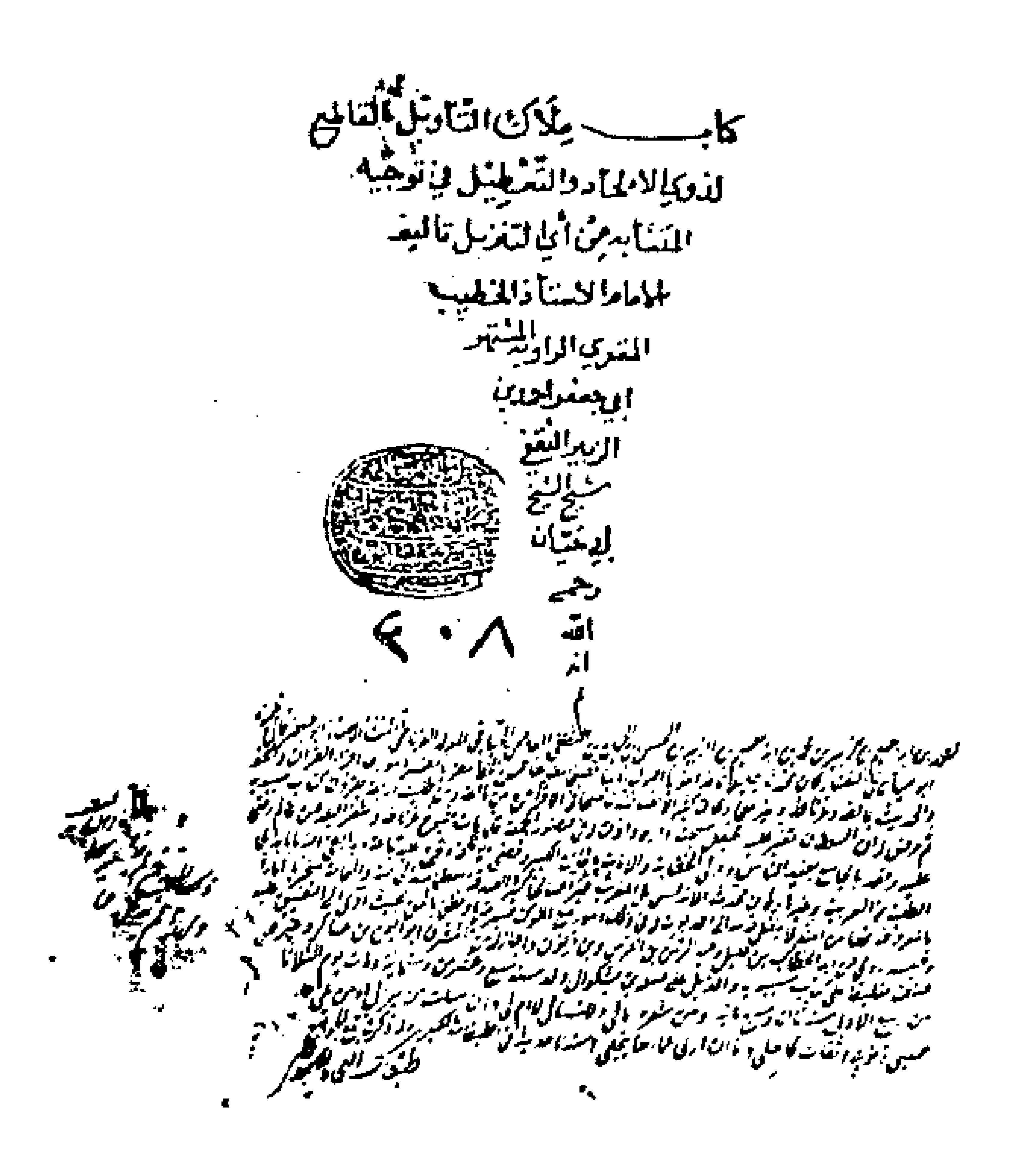
الصفحة الأولى من نسخة مكتبة شهيد علي «هـ»

سورة قل أعوذ برب الناس

كمل الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلواته الطيبات

على سيدنا محمد خاتم النبيين وسلم تسليما كثيرا

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة شهيد علي «هـ»


كتاب ملاك التأويل القاطع
لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه
المتشابه من آي التنزيل تأليف
الإمام الأستاذ الخطيب
المقرئ الراوية المشهور
أبي جعفر أحمد بن
الزبير الثقفي
شيخ الشيخ
أبي حيان
رحمه
الله
آمين

٢٠٨

صفحة العنوان من نسخة مكتبة مراد مُلا «م»

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة مراد مُلاّ «م»

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة مراد مُلاّ «م»

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ ... الأستاذ المقرئ أبو العباس

أحمد بن إبراهيم بن أحمد ابن الزبير ...

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الاسكوريال «ك»

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الاسكوريال «ك»

كتاب ملاك التأويل القاطع
بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه
المتشابه اللفظ من آي التنزيل
تأليف الشيخ الفقيه ... الأوحد ... الشهير
أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي رحمه الله
ونفعنا ... المسلمين

إشهاد وقفيّة الكتاب وصفحة العنوان من نسخة المكتبة العبدليّة بجامع الزيتونة «ع»

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

قال الشيخ الفقيه الإمام الخطيب

المقرئ الراوية الشهير أبو جعفر أحمد

ابن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي

رضي الله عنه

الصفحة الأولى من نسخة المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة «ع»

هو بلد الصفة ثم تذكر واستغفر لمن أنا النعمة به بالجنة وذكر قلبه إنه لا يد
لم يؤاخذ ... النعمة والنقص وقد نص الشرع على ذلك واتفق العلماء
على ذلك وألفاظ أبو بكر منه فال وقرة قال بقوله على تأتي الكون
منه عن الشارع عليه الصلاة والسلام من الأعلى ... فلما كان ... الشيء
تام ... وجاء الفاسد على ما تقدم كذلك ما وقع التقييد في الاستعاذة من شر
بالطرف بغيره أو ... وإن أحسن ولم يقع تقييد في الاستعاذة من شر الشيء
وجاء كل من ذلك على ما يجب ويناسب ولا يمكن خلافه والله أعلم.

سورة قل أعوذ برب الناس قوله تعالى قل أعوذ برب الناس إلى آخر
السورة يسأل عن تكرير الناس في قوله تعالى ملك الناس إله الناس ووجه
ذلك والجواب أن التبعية في ملك الناس وإله الناس على عطف البيان و
تحسن فيه الإضافة إلى الضمير لأن ذلك يؤدي إلى تعريف بالاسمين ... الأول
الذي عليه حملها فكان يكون الأول في ... من البيت التابع له ومن بعد
عكس ما عليه عطف البيان لأن الوصف التابع لما وصف به متبوعه فإنه
إن ذلك يكون مساويا له ومن ذلك هو الجار في المعهود في هذه الترجمة من التوابع أعني
أن يكون في الغالب الكثير مساويا بالأول أو أعرف ولعله لحاجة في إلى التأنيس
منها والله أعلم.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلواته الطيبات على سيدنا محمد خاتم
النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين
وكان تمام كتابته ضحى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الثاني
من عام سبعة وثلاثين وثمانمائة أحسن الله تقضيه في خير وأمن وعافية
على يد العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه الغني
محمد بن سعيد ... غفر الله له ولمن ... كان السبب في كتابته ولوالديه
ولذريته ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات بمحمد وآله وصحبه
صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين
وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين
آمين

الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة «ع»

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية «ج»

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية «ج»

صفحة العنوان من نسخة الخزانة العامة بالرّباط «ب»

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة العامة بالرّباط «ب»

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة العامة بالرّباط «ب»

مِلَاكُ التَّأْوِيل

القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه
المتشابه اللفظ من آي التنزيل

لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي
٦٢٧-٧٠٨هـ

السِّفْرُ الأَوَّل

[١ / ظ] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا[١] محمد وآله[٢] وصحبه[٣] وسلم تسليماً كثيراً[٤].

قال الشيخ الفقيه الأستاذ، الخطيب المقرىء[٥] الراوية الشهير[٦]، أبو جعفر[٧]، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، المحدِّث رضي الله تعالى عنه آمين[٨].

الحمد لله المانح مَنْ شاء ما شاء، والغافر دون[٩] الشرك بحكم المشيئة لمن أساء[١٠]، والمُصْطَفِي من الجنس الإنساني الرُّسُل والأنبياء، ومن أتباعِهم مَن جَعَلهُم رحماء بينَهم وعلى الكفار أشِداء، ومِنْ خَلفهم مَن آثَر الاهتداء والاقتداء، وجانَب التَّنكُّب عن سبُلهم الواضحة، والاعتداء، ولزِم الجَماعة عند افتراق ذوي الشِّقاق فحَسَم الدَّاء، وتمسَّك بالكتاب والسُّنَّة

(١) ساقطة من الأصل، وفي ف: سيدنا ومولانا محمد وسلّم.
(٢) هـ: وعلى آله.
(٣) زيادة من هـ.
(٤) من هـ، ع فقط.
(٥) ساقطة من ب.
(٦) الراوية الشهير، ساقطتان من ك.
(٧) ف: أبي جعفر، وفي ك: أبو العباس، والصواب ما أثبتناه.
(٨) ج: الثقفي العاصمي رضي الله عنه وأرضاه وأحسن إليه، وفي ب: الثقفي رضي الله عنه ونفعنا به.
(٩) ج، ف، ك، ب: بدون.
(١٠) ب: لمن ساء، ج: لمن أشاء، ف: لمن شاء.

فمُنِح الشِّفَاءَ واسْتَوضَح الطريق بهما[1] إلى الله تعالى وتحقَّق الإنباء[2]، وتدبر كتاب الله فشاهَدَ المعجزة القاطعة والبراهين الساطعة وعرف الأنباء، وعلم مُرادَه صلى الله عليه وسلم بقوله: «وإنَّما كَانَ الذِي أُوتِيتُه وَحْياً»[3]، فأعْمَلَ جُهْدَهُ في تدبُّره الفِكْرَ والاعتناء، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادةَ من وُفِّقَ فالتزم بشروطها الوفاء، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، المُعْطَى في القيامة[4] المقام المحمود واللواء، شهادةً نرجو بها من شفاعته العظمى[5] الحُظْوة والاعتناء، ويجعل لنا[6] دار الخلد المصير والجزاء، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الحائزين في وفائهم باتِّباعه السَّبْق والثناء، والأُسوة والقُدوة لمن بعدهم جاء، وسلم تسليماً[7] كثيراً.

وبعدُ فإن كتاب الله تعالى أحقُّ ما أُنفِقت فيه نفائس الأعمار، وقُصِرَ على اعتباره[8] المَلَوَان: الليلُ والنهارُ، واعتُمد مَوئِلاً وملاذاً، واعتُصم بعُروته الوُثْقَى وَزَراً مُنجِياً[9] وعِياذاً، واستُنزِلت به البركات، واهتدى بواضحات أنواره عوالم الأرض والسموات، فهو الهدى والنور، والشفاء لما في الصدور، والواقي لمن تمسَّك به واعتَلَق بسببه من كل مَخُوف ومحذُور،

---

(1) ج: فهما.

(2) ف: الأنبياء.

(3) صححه البخاري من طريق أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومتن الحديث فيه: «مَا مِنَ الأنبياء نَبِيٌّ أعطِي من الآياتِ ما مِثْلُه أُومِنَ، أو آمَنَ عليه البشر. وإنَّما كان الذِي أوتيتُ وَحْياً أوحَاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكْثَرَهُم تَابِعاً يومَ القيامة» وفي رواية أبي ذر الهروي، والحموي والكشميهني «الذي أُوتِيتُه». صحيح البخاري ٩/١١٣، فضائل القرآن لابن كثير ٤/٤.

(4) ب: القسمة.

(5) ساقطة مما عدَا الأصل.

(6) من ب، ك.

(7) من م.

(8) وقصر على اعتباره: ساقط من ب.

(9) ب: قدراً منجياً. والوَزر محرَّكة الجَبَل المنيع وكلُّ مَعقِل، والمَلْجا والمُعتَصم (بالبناء للمفعول).

والنعمة التي قصَّر عن الوفاء بشكرها كلُّ مكتوب ومسطور. وأنى يُتَصور الكفاء[1] ويُتوهم[2] الوفاء بشُكرِ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾[3]. وإن من مُغفَلات مصنِّفي أئِمَّتِنَا رضي الله عنهم في خدمة علومه، وتدبُّر مَنطُوقه[4] الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرَّر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير؛ فعسُرَ إلّا على الماهر حِفظاً وظن الغافل عن التدبُّر، والمُخلِد إلى الراحة عن التفكر، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خَالَفَتْ فيه نظِيرَتها لسبب يقتضيه[5] وداعٍ[6] من المعنى يستدعيه[7] [٢ / و]، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك مُرَجِّحاتٌ[8] من المعاني عند ذوي الأفهام، ومُقتَضياتٍ من لوازم جليل التركيب في ذلك[9] المعجز العَليِّ من النظام، فلا يليق بكلٍّ من تلك المواضع إلّا الوارد فيه، وأن تقدير وقوع آية منها في موضع نظيرَتِها[10] ينافِرُ[11] مقصودَ ذلك الموضع[12] وينافيه. فتُعساً لمن تنكَّب عن واضح آياته، وكأنْ لم يَقْرَع سمعَه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[13]. وإنَّ مما حَرَّك إلى هذا الغرض، والحقه عند مَن تَحلَّى ولُوعاً

(١) م: اللقاء، وما أثبته في بقية النسخ.
(٢) من ب، وفي بقية النسخ: توهم.
(٣) المائدة / ١٥.
(٤) ك، م، هـ: منظومه
(٥) هكذا في ج، وفي بقية النسخ: تقتضيه والصواب ما أثبتناه لأن الضمير يعود على الوارد.
(٦) ب: داع بدون واو العطف.
(٧) م: المعنى إليه يستدعيه، وفي ك: من المعنى يطلبه ويستدعيه، وفي ع: تستدعيه. وما أثبتناه في هـ، ج، ب.
(٨) هـ، ك، ب، ع: مُحرزات.
(٩) من م، ك وفي بقية النسخ: من ذلك.
(١٠) ك: نظيرتها وشبيهتها
(١١) ج، ب، ع: ينافي
(١٢) ك: مقصود تلك المواضع.
(١٣) ص / ٢٩.

باعتباره، والتدبُّر لعجائبه الباهرة وأسراره[1] ـ بمثل حالي على استحكام جَدْبي[2] وإمحالي، بالواجب المُفْتَرَض ـ أنه باب لم يَقْرَعْه ممَّن تقدَّم وسلَف، ومَنْ حَذا حَذوَهم، مِمَّن أتى بعدَهم وخلَف، أحَدٌ فيما علمتُه على توالي الأعصار والمُدَد وترادُف أيام الأبَد، مع عظيم موقِعه وجليل مَنزِعه، ومكانته في الدِّين وفَتِّه أعضاد ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين، إلى أن ورد عَليَّ كتابٌ لبعض المُعتَنين من جِلة المشارقة[3] ـ نفعه الله ـ سمَّاه بكتاب: «دُرَّةُ التَّنزيل وغُـرَّة التَّأويل»، فَرَع به مُغلق هذا الباب، وأتَى في هذا المقصد بصَفْوٍ[4] من التوجيهات لُباب[5]، وعرَّف أنه بابٌ لم يُوجِف عليه أحدٌ قبلَه بخَيْل ولا رِكَاب، ولا نطق ناطق قبلُ فيه بحرف مِمَّا فيه. وصدَق[6] ـ رحمه الله ـ وأحسَن فيما سَلَك وسَنْ[7]، وحُقَّ لنا به ـ لإحسانه ـ[8] أن نَقْتَدِيَ ونَسْتَنْ. فحرّك من فِكْرِيَ[9] الساكنْ، واضْرَبْتُ عن نُسخَتِه إلى الاستدرَاكِ بِلَكِنْ[10]. وأبديتُ ـ بحول ربِّي ـ من مكنون[11] خاطري إلى الظهور، ما أثْبَتُّه بعون الله وقوته في هذا المَسْطُور،

(١) ب: وأسواره.

(٢) ج: جدي.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله. المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى / ٤٢٠ هـ. وبين الدارسين خلاف في نسبة الإسكافي للمعتزلة، والمعتزلي هو أبو جعفر، محمد بن عبد الله، زعيم الإسكافية منهم المتوفى عام / ٢٤٠ هـ. انظر تفسير المعتزلة للقرآن الكريم، تاريخه ومنهجه / ٣٩.

(٤) ج: بصفى

(٥) ج: لبلب.

(٦) ج: وصرف

(٧) ج، ب، ع: وبيّن.

(٨) ف: بإحسانه.

(٩) ب: فكرتي، ج: فكره.

(١٠) هذه العبارة غامضة لفظاً ومعنى في كل النسخ. ففي ف، ج: عن قسمته للاستدراك، وفي هـ: عن نسخه للاستدراك، وفي م: عن نسخه الاستدراك، وفي ك: عن فسحة ألى الى (؟) الاستدراك، وفي ع: عن فسحه الاستدراك ولعل الصواب ما أثبتناه.

(١١) هـ، ج، ع: عن مكنون.

معتمِداً عين ما ذكَرَه من الآيات، ومُستَدرِكاً ما تَذَكَّرْتُه مما أغفله ـ رحمه الله ـ من أمثالها من المتشابهات، برفع تلك الإشكالات وإبذاءِ المعاني الخَفِيَّات، القاطعة بذوي[1] البَطَالاتِ، من غير أن أقِفَ في ذلك على كلامِه، إلاّ بعد إبدائي لما يلهمه الله سبحانه وإتمامِه، ولا ناقِلاً إلاّ في الشاذِّ النادر كلامَ أحَدٍ من[2] أرباب المعاني؛ إذ لم يتعرَّض أحد غيرُ من تقدَّم ذِكْرُه لما مِنْ هذا الضَّرْب أعاني، وإنما يُلقيه فكري إلى ذِكْرِي فيُلقيه[3] تَرْجُمَانُ فَهْمِي على قَلمي[4] وإنْ آثَرْتُ بعضَ ما عليه[5] لغيري عَثَرْتُ فَنَقَلْتُ[6]، أفصَحتُ بالنسبةِ[7] وعَقَلْتُ.

وما أرى ذلك يبلغ في هذا المجموع غايةَ أقلِّ الجموع، وإن نَيَّف فيَسير[8]، والتحقيق في ذلك ـ للآزم[9] الذُّهول الإنساني ـ عسير، وما سوى ذلك [٢ / ظ] فأنا آبنُ بَجْدَتِه[10] وذُو عُهدَتِه، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[11].

وقد استَجَرْتُ تلك الآيات جملة وافرة من المُغفَلات، من أمثال تلك

---

(١) من ك، ب، وفي هـ، م، ع، ج: تدرّب

(٢) من ب، ك، ع وفي هـ، ج، م: آخر من.

(٣) ك: فيمليه.

(٤) ج: على قلبي، ب: إلى قلمي.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) ب: فيقلب، ج: فقلت.

(٧) ج: بالنية.

(٨) م: فيسير.

(٩) ك: للآزام (؟)

(١٠) في كل الأصول.. فأنا آبن نجدته وهو تصحيف للباء بالنون. قال الفيروزابادي في القاموس (بَجَدَ): «هو ابن بجدتها للعالِم بالشيء، وللدليل الهادي، ولمن لا يبرح عن قوله، وعنده بَجْدَةُ ذلك، أي عِلمُه». وانظر: مجمع الأمثال ١/٣٤.

(١١) النحل /٥٣.

المشكِلات مما يُجاري ويُشبِه ويَلْتَبِس على من قَصَّرَ في النظر ويشتبه، مما لم يقع في كتاب «دُرَّةِ التَّنْزِيل» ولا تعرَّض له بذكر ـ لنصّ التنزيل ـ [1] ولا تأويل، فنبَّهنا[2] على ذلك لِيَنْمَازَ[3] من المُجتَمَع[4] على ذِكره، ويُفصَل بعلامة (غ) تدل على أنه من المغفَل، مُحرِزاً[5] بفضل الله من عيون[6] آلات العلوم، ما به قوام الفُهوم[7]، عائذاً بالله سبحانه[8] من سوء الوعي والقول في هذا المقصد العليّ بالرأي، فقد ملأ المسامع وعَمَر الأفكار، قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[9].

ولما تيسَّرَ بفضل الله تعالى المقصود من هذا الغرض بهَر حُسْناً وكمالاً، ولَاحَ في أفق التفاسير[10] لنجومها هلالاً[11]، سميته بكتاب «مِلَاكُ التَّأْوِيل، القَاطِع بِذَوِي الإلحاد والتَّعْطِيل، فِي تَوْجِيهِ الْمُتَشَابِه اللَّفْظ مِنْ آي التَّنزِيل». وأنا أضرع إلى مَنْ وَسِعَت رحمته كل شيء، وشملت نِعَمُه كلَّ حيٍّ، أن

(١) ج، هـ: ولا تعرض له النص التنزيل، وفي ك: النص التنزيل.
(٢) ك: منبهاً.
(٣) هكذا في ج، وفي بقية النسخ ـ لينحاز.
(٤) ب: على المشتمل.
(٥) ج: ونحرزاً، م: ومحرزاً.
(٦) ج: من عيوب.
(٧) ك: المفهوم.
(٨) ساقطة مما عدا الأصل.
(٩) ورد نص هذا الحديث في مسند أحمد في إحدى روايتيه برقم /٢٠٦٩، سنن الترمذي /٢٩٥٠ من طريق سفيان الثوري عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي بعدة أسانيد وروايات. ورواه الطبري في تفسيره ١/٧٧ ـ ٧٨ من طريق ابن عباس عن سعيد بن جبير عن عبد الأعلى أيضاً بعدة روايات وقد حسَّنه الترمذي وذهب علماء الحديث إلى تضعيفه لضعف رواية عبد الأعلى فيما نقل ابن حجر عن الإمام أحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وابن عدي والدارَقُطني، ويعقوب بن سفيان في تهذيب التهذيب ٦/٩٤ ـ ٩٥. وانظر: التاريخ الصغير للبخاري ٢/٢٢، وتاريخه الكبير ٦/٧١، ميزان الاعتدال ٢/٥٣٠، جامع البيان ١/٧٧ ـ ٧٩.
(١٠) ج: التُقا.
(١١) ع: للنجو منها، وفي ج: للحوّ، بالحاء المهملة، وهو القمر قبل كماله بدراً.

ينفَع فيه بباعث النية وأن يبلغني من عفوه ومغفرته الأمنيَّة[1] . وأن يؤيد بالنصر والتمكين وموالاة[2] الفتح المبين مولانا أميـر المسلمين بن أمير المسلمين بن أمير المسلمين[3]. وها أنا أبتدىءُ بحول الله وقوته، ﴿ واللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4].

سورة أم القرآن[5]

وهي بجملتها من مُغفَلات صاحب كتاب دُرَّة التنـزيل[6]، وكـذا ما بعدُ[7] إلى الآية السادسة من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[8]. وقد تقدم أنني أُعلِّمُ على المُغْفَل بعلامة (غ).

١ ـ [الآية الأولى منها (غ):

﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ (٢)][9]

وأرجع إلى أم القرآن، فأقول هي أم القرآن، ومطلع الكتابِ العزيز

---

(١) سقط من ك قوله: وأن يؤيد ـ إلى قوله ـ ابن أمير المسلمين الاخيرة.

(٢) في كل النسخ.. وموالات.

(٣) لعله الأمير أبو عبد الله بن الأمير الغالب بالله بن نصر، سلطان غرناطة الذي آواه في محنته. راجع الإحاطة ١/١٩٨.

(٤) الصافات /٩٦.

(٥) ب: سورة الفاتحة، وهو من اثنين وعشرين اسماً سميت بها هذه السورة يقال فاتحة الكتاب. فاتحة القرآن، انظر روح المعاني ١/٣٤ ـ ٣٨.

(٦) ك: صاحب كتاب الدرة، ب: صاحب الدرة، ع: صاحب كتاب؛ ثم بياض كلمة.

(٧) ع: له، أما بعد.

(٨) البقرة /٣٥.

(٩) زيادة يقتضيها نسق الكتاب.

وأوّل سورة في الترتيب الثابت. ومشروعية حمدِه سبحانه في ابتداء الأمور وختامها متقرر معلوم، وقد تقرّر[1] في الكتاب العزيز، افتتاحاً واختِتاماً، وأمر الله به نَبِيَّهُ صلّى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[2]. والمتردِّد من صفة حمده سبحانه في معظم الوارد منه في الكتاب العزيز، ما افتتحت به أم القرآن من قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وورد في سورة الجاثية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾[3]، ثم وقع إتْبَاعُ المفتتح من السورة، بحمده - جل وتعالى - بأوصاف مختلفات ممَّا انفرد به سبحانه.

فللسائل أن يسأل[4] في ذلك أربع سؤالات:

السؤال الأول: ما الفرق بين الوارد في أم القرآن، وما جرى[5] مجراها، مما افتتح بقوله: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وبين[6] الواقع في سورة الجاثية من قوله تعالى[7]: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾.

السؤال الثاني: ما وجه افتتاح[8] السور الخمس [٣ / و] وهي[9] سورة أم القرآن، وسورة الأنعام، وسورة الكهف، وسورة سبأ، وسورة فاطر بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، واختصاصها بذلك، مع تساوي السور كلِّها في استقلالها بأنفسها، وامتياز بعضها من بعض.

---

(١) ب: تكرُّر
(٢) الإسراء / ١١١، النمل / ٩٣.
(٣) آية /٣٦.
(٤) في جميع النسخ: يسئل
(٥) في جميع النسخ: جرا.
(٦) ج: ومن
(٧) ع: محذوفة.
(٨) ج: ما الوجه في افتتاح، ب: زاد (في) قبل ألفاظ ج.
(٩) ج: وهو.

السؤال الثالث: ما وجه اختصاص[1] كل آية منها بما ورد فيها من أوصافه تعالى المُتْبَع به حمدُه. ففي أم القرآن[2]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ وفي سورة[3] الأنعام[4]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾[5]، وفي سورة الكهف[6]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ[7] ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ﴾، وفي سورة[8] سبأ[9]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ[10] ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وفي سورة فاطر[11]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ[12] فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[13]، فهل هذا التخصيص لمناسبة تقتضيه حتى لا يلائم[14] سورة منها ما ورد من ذلك في غيرها.

السؤال الرابع: ما وجه كون الوارد من حمده في الخواتم والانتهاءات لم يطَّرِد فيه ما اطَّرَد[15] في افتتاح هذه السور من اختلاف التوابع، بل جرى على أسلوب واحد. فقال سبحانه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[16]، وقال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) ك، ب، ع: ما وجه تخصيص.
(٢) آية /٢
(٣) محذوفة.
(٤) الآية الأولى منها.
(٥) ب: محذوف من الآية، ﴿وجعل الظلمات والنور﴾.
(٦) الآية الأولى منها.
(٧) ساقط من ك قوله: ﴿الحمد لله﴾.
(٨) محذوفة من ك.
(٩) الآية الأولى منها.
(١٠) الحمد لله، ساقطتان من: ك، هـ، م.
(١١) الآية الأولى منها.
(١٢) ﴿الحمد لله﴾ ساقطتان من: ك، هـ، م، ب.
(١٣) عبارة ك: وفي سورة فاطر ﴿السموات والأرض﴾.
(١٤) ساقطة من هـ.
(١٥) ب: لم يَرِم فيه ما اطَّرد.
(١٦) الأنعام /٤٥.

ٱلْعَالَمِينَ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ. وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [3].

والجواب عن السؤال الأول بعد تمهيده. وهو أن نقول: إنّ قوله سبحانه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، مبتدأ وخبر، وكذلك قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾، وتأخر في هذه الثانية المبتدأ والحاصل في الموضعين معنى واحد[4]، وهو حمده تعالى بما هو أهله. ومعلوم أن التقديم والتأخير فيما بين المبتدأ والخبر، إذا لم يقع عارض مما يعرض في التركيب، ككون المبتدأ مما يلزم صَدْرَ الكلام، أو كون[5] الخبر كذلك فيلزم تقديم ما له الصُّدْرِيَّة، الى غير ذلك من العوارض وهي كثيرة. فما لم يعرض عارض يوجب لأحدهما التقديم أو التأخير، فتقديم أيهما كان وتأخير الآخر عربيّ فصيح، إلا أن مرتبة المبتدأ التقديم، لينبني عليه الخبر بتقديمه[6] عند عدم العوارض اللفظية أَوْلَى كما في القرآن.

وإذ وضح هذا، فللسائل أن يقول: ما الموجب لتقديم الخبر عن[7] المبتدأ في سورة الجاثية، وهل كان يسوغ عكس الواقع؟

والجواب: أن العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير، أو تأخير ما مرتبته التقديم ليست منحصرة في جهة التركيب اللفظي، بل قد يعرض من

---

(١) يونس / ١٠، والآية ساقطة من ج.

(٢) الزمر / ٧٥.

(٣) الصّافات / ١٨١، ١٨٢ والآيتان محذوفتان من: ع، ج، ك. وزاد في ك «فورد هنا مُكتَفاً بوصفه سبحانه بأنه رب العالمين.

(٤) ب: المَعْنِيُّ واحِدٌ.

(٥) ك: أو ـ كان.

(٦) ع: فتقديمه.

(٧) هـ، ك، ب: علي، وكلا الحرفين جائز في الدلالة على المعنى المراد.

جهة المعنى وتقدير الكلام ما يقتضي ذلك ويوجبه[1]. وإذا تقرر هذا فنقول: إن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾، ورَد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذِّب وقَهْرِه، ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل عليهم السلام، وظهور ما كَذَّبَ الجاحدُ به. فعند وضوح الأمر، كأنه قد قيل: لمن الحمد ومن أهله؟ [٣ / ظ] فجاء الجواب على ذلك فقيل: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾. نظير هذا قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]. الا ترى تلاقي الآيتين فيما تقدَّمهما. فالمتقدم في سورة المؤمن[3] [قوله تعالى]: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ. يَوْمَ هُمْ[4] بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾[5] فعند ظهور الأمر للعيان، ومشاهدة ما قد كان خَبراً[6]، قيل لهم: لمن الملكُ اليوم؟. وتقدَّم في سورة الجاثية: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ ـ الآيات[7] وإنما ذلك يوم التَّلَاق[8] والعَرْض عليه سبحانه. فعند المعاينة وزوال الارتياب والشُكوك كأن قد قيل لهم: لِمَنْ الحمدُ، ومن أهله؟ فورد الجواب بقوله: ﴿فَلِلَّهِ الحَمْدُ﴾، الآية فالآية[9]. والمُقدَّرُ المَدْلُول عليه كالمنطوق، والإيجاز مُسْتَدْعٍ لذلك، وكما تقدم ذكر المُلك في آية المؤمن منطوقاً به لم يُحْتَج إلى إعادة ذكره[10]، فقيل: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، ولم

(١) راجع معاني القرآن للأخفش ورقة ٣/ظ ـ ٤ ظ، خزانة الأدب ٤/٥٩، كتاب سيبويه ١/ ٥٦، ٢/١٢٦ ـ ١٢٨، حاشية الصبّان على الأشموني ١/٢٠٠، والفصل المستفيض الذي كتبه الزركشي عن التقديم والتأخير في البرهان ٣/٢٣٣ ـ ٢٧٥.

(٢) غافر /١٦.

(٣) جميع النسخ: المؤمنين، والصواب ما أثبتناه.

(٤) ج، ب: يومهم.

(٥) غافر /١٥، ١٦.

(٦) ساقطة من ج، ب.

(٧) الآيات ٣٣ ـ ٣٦.

(٨) ك: يوم التلاقي.

(٩) ج، ع. الآية كالآية.

(١٠) ج، هـ، ع: تذكُره.

يقل: فَلِلّهِ المُلك؛ لتقدم ذِكره. ولما كان الحمد في سورة الجاثية، لم يتقدم ذكره إنما هو مقدر يدلّ عليه السِّياق، لم يكن بُدٌّ[1] من الإفصاح به في الجواب، فقيل: ﴿فَلِلَّهِ الحَمْدُ﴾. ولأجل ما قَصَدَ من تقريع المكذِّبين، وتوبيخهم، عند انقطاع الدعاوى، ووضوح الأمر، أتبع حمدَه[2] تعالى بقوله: ﴿رَبِّ السَّمَـٰوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[3] بذكر ربوبيته تعالى ما أوجده[4]، من أعظم مخلوقاته وأبدع مصنوعاته، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[5]، وأعاد ذِكر ربوبيته، مع كل من هذه المخلوقات العِظامِ المنصوبة للاستدلال بها، والاعتبار بعظيم خَلقِهما وما فيهما[6]، فقال: ﴿رَبِّ السَّمَـٰوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ﴾، ثم أتبع ما يعُمُّ ربوبيته[7]، فقال: ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾[8]. والعالَمُ ما سواه سبحانه من جميع مخلوقاته. ثم قال: ﴿وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[9]، أي الانفراد بالعظمة والجلال والخلق والأمر، وهو العزيز الذي ذَلَّ كل مخلوق لعزته وقهره، الحكيم في أفعاله الذي جَلَّتْ حكمتُه عن أن تدرِكَ الأفهام غايتها، أو يحيط ذَوُو التفكُّر[10] بنهايتها، فناسَب ما ورد منها[11] من الإطالة، بتكرُّر ما ذكر مقصُود الآية. وذلك هو الجاري متى قُصِد تعنيف المشرِكين،

---

(١) ك: يؤمن ـ بدل ـ بدّ من.
(٢) ب: حمده بقوله تعالى.... (هكذا).
(٣) الجاثية /٣٦.
(٤) ك: لما أبداه وأوجده.
(٥) غافر /٥٧.
(٦) ج: بعظم خلقها وما فيها، ك: وما في هما (؟).
(٧) ك: بما يعم ربوبيته لذلك كله، فقال...
(٨) الجاثية /٣٦
(٩) الجاثية /٣٧.
(١٠) ج: ذو ـ التفكر، ب: ذوي.
(١١) ك: ما ورد هنا.

وَمَنْ عَبَد مع الله غيرَه، وهو وارد في غير ما موضع[1] من كتاب الله تعالى. وتكريرُ[2] لفظ «ربّ» في قوله: ﴿وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾، مما يشهد لهذا الغرض من قصد تقريع الجاحدين. ولما كان الوارد في أُمِّ القرآن خطاباً للمؤمنين وتعليماً للمُستَجيبين، مجرَّداً عما قُصد في آية الجاثية، من توبيخ المكذِّبين، ورد على ما قُدِّمَ من الاكتفاء، وكُلٌّ على ما يجب ويناسب.

والجواب عن السؤال الثاني: أن وجه تخصيص السور الخمس بما افتُتِحت به من حمده تعالى ما نذكره آنفاً[3]. أما أُمُّ القرآن، فمن أوّل[4] السُّوَر، ومطلع القرآن العظيم [٤ / و]، بالترتيب[5] الثابت بافتتاحها بحمده تعالى[6] بَيِّن.

وأما سورة الأنعام، فمشيرة إلى إبطال مذهب الثَّنْوِيَّة، ومن قال بمثْل[7] قولهم ممن جعل الأفعال بين فاعلَيْن إلى ما يرجع إلى هذا[8]. وقد بَسَطْتُ هذا في كتاب البرهان. وإذا كانت هذه السورة مشيرة إلى ما ذُكر، وانفرَدت

(١) كذا في ك، ب، ع. وفي ج، هـ، م، ف: ما وضع.
(٢) ج: تكُرُر... ومصدر كرَر: تكرير، وتكُرُر، وتكِرَة.
(٣) ب: ما يذكره أثناء.
(٤) هـ، ج، ع: فمعنى أول. وفي ب، ك: فهي أوّل.
(٥) ج، ع: فالترتيب.
(٦) ك: سبحانه.
(٧) ب: قال بقولهم.
(٨) الثنوية ممن يقولون بحدوث الأجسام وينكرون الأعراض والقول بنهاية العالم. ويعتقدون أن المخلوقات بين فاعلين اثنين، هما النور والظلمة. وكانوا يقولون: إن الأجسام في الأصل نوعان قديمان هما النور والظلمة، متضادَّان في الصورة والفعل، ولكل منهما خمسة أبدان مختلفة ـ ومنهم السمانية، والديصانية، والمزدكية، والمرقيونية. انظر: الحور العين / ١٣٩ ـ ١٤١، أصول الدين /٥٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين /٨٨، ٨٩، والملل والنحل /٩٢، كتاب التوحيد للماتريدي / ١٥٧ ـ ١٧٢، التمهيد /٦٨ ـ ٧٥.

بذلك، فافتتاحها بحمده تعالى بيِّن. وفي الجواب عن السؤال الثاني، لهذا[1] زيادةُ بيان.

وأما سورة الكهف، فكذلك لبنائها على قصة أصحاب الكهف. وذكر ذِي القَرْنين حسبما ألقَتْ يهودُ لسائلهم من كفّار قريش، وذلك مما لم يتكرّر[2] في القرآن، فافتُتحت بحمده تعالى، وذلك بيِّن.

وأما سورة سبأ، فإن قصة سبَأ لم يَرِدْ أيضاً فيها في غير هذه السورة إلا الإيماء الوارد في قوله في سورة النمل[3]: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾. فلما تضمنت سورة سبأ من هذا ما تضمنت، ومن قصص داود وسليمان (عليهما السلام[4]) ما منحهما الله سبحانه من تسخير الجبال، والطير، والجن، وَإِلاَنَةِ الحديد، ولم يجتمع مثْلُ هذا التعريف في[5] سواها. افتتحها سبحانه بحمده وانفراده بمُلك السموات والأرض وما فيهما[6]، وأنه أهل الحمد في الدنيا والآخرة.

وأما سورة فاطر، ففيها التعريف بخلق الملائكة عليهم السلام، وجَعْلهم رُسُلاً أُولي أجنحة، إلى خلق السموات والأرض وإمساكهما[7] أنْ تَزُولا، وانفراده بذلك، ولم يقع هذا التعريف في غيرها من سور القرآن. فناسب[8] هذه المقاصد المُفْردة، التي لم تَرِد في غير هذه السور ما افْتُتحت به. ولا

---

(١) ب: هذا
(٢) ج: يرد، ومكانها بياض في ع.
(٣) آية /٢٢، وفي هـ: النُّحْل.. وهو خطأ.
(٤) في ك فقط
(٥) ب: التعريف بعدُ في.
(٦) هكذا في م، ك وبقية النسخ: وما بينهما
(٧) ك: وإمساكها.
(٨) ب: فناسبت هذا.

يلزَم على هذا، اطِّرَاد ذلك في كل سورة انفردت بتعريف، أو حكم ليس في غيرها، بل جواز ذلك مُنسَحِب على الجميع واختصاص هذه السور بذلك واضح، لانفرادها بما ذكرناه.

والجواب عن السؤال الثالث: أن أمَّ القرآن لما كانت أوّل سُوَرِه، ومطلع آياته، وهو المُبيِّن لكل شيء، والمُعَرِّف[1] بوحدانيته سبحانه، وانفراده بالخلق والاختراع، ومِلْك الدَّارَيْن، ووصفه بما هو أهله، والجامع لعلوم الدَّارَين، فناسَب ذلك من أوصافه العَلِيَّة ما يُشِير إلى ذلك كلِّه. من أنه ربُّ العالمين، وأنَّه الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ، وأنه مَلِكُ يوم الدِّين، حتى تنقطع الدعاوى، وتظهر الحقائق، ويبرزَ ما كان خَبراً إلى العيان وهذا واضح[2]. أما[3] مناسبة الوصف الوارد في سورة الأنعام، فمِن حيثُ ما وقع فيها من الإشارة إلى مَن عَبَد الأنوار[4]، وجعل الخير من النور والشَّرَّ من الظُّلمة، فافتتحها تعالى بوصفه بأنه خالق السمٰوات والأرض، وهي الأجرام التي[5] عنها تبدُو الظلمة[6]، وفيها الأجرامُ[7] النَّيِّراتُ. وذكر تعالى أنه خالق الأنوار. وأعاد سبحانه [٤ / ظ] ذِكرَ ما فيه الدِّلالةُ البيِّنة، على بُطْلان مذْهَب مَن عَبَد النَّيِّرات[8]، أو شيئاً منها في قوله تعالى: ﴿وكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ

---

(١) م، ع، هـ، ك، ب: المعْرُوف. وما أثبتناه من وجه.
(٢) في جميع النسخ: أوضح.
(٣) ف، ع: وأما.
(٤) ج، ع: النور.
(٥) ف: سقط منها: التي عنها ـ إلى ـ الأجْرام.
(٦) في بقية النسخ: الظلمات.
(٧) زيادة من ك، ب.
(٨) يريد عَبَدة الكواكب والنجوم، وخلاصة قولهم أن مدبِّر هذا العالَم وخالقه، هو الكواكب السبعة، والبروج الاثنا عشر. ويقال هم الحَرَّانِيُّون، أو الصابئة وهي التسمية التي أُطلقت عليهم في القرنين الثالث والرابع الهجريَّيْن.

مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ـ الآيات. فقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً﴾[1]، ثم قال عليه السلام على جهة الفرض، لإقامة الحُجَّة على قومه: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الأَفِلِينَ﴾. ثم قال ذلك في الشمس والقمر، مُستدِلاً بتغيُّرهما وتقلُّبهما في الطلوع والغروب على أنها حادثة مربُوبة مُسخَّرة طائعة لمُوجِدها[2] المُنزَّه عن سمات التغيُّر والحدوث، فقال عليه السلام عند ذلك لقومه: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[3]. فأخبر عن حاله قبل هذا الاعتبار وبعده. قال تعالى: ﴿ما كَان إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾[4]. وفي طَيِّ قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾، تنزيهُه عن عبادة النَّيِّرات وغيرهما مما سواه تعالى. وبَانَ من هذا كله ما افتتحت به السورة من انفراده تعالى بخلق السموات والأرض، والظُّلمات[5] والنور، فوضُح التناسبُ والتَّلازُم[6].

وأما سورة الكهف، فإنها لَمَّا انْطَوَتْ على التعريف بقصَّة أصحاب الكهف، ولقاء[7] موسى عليه السلام الخَضِرَ[8]، وما كان من أمرهما، وذِكْر الرجُل الطوَّاف وبلوغِه مَطْلِع الشمس ومغرِبها، وبنيانه[9] سَدَّ يأجوج

---

(1) الأنعام /٧٥، ٧٦.

(2) ب: (على أنهما حادثتين مربوبتين مسخرتين طائعتين لموجدهما) في موضع (على أنها ـ إلى ـ لموجدها).

(3) الأنعام /٧٥ ـ ٧٨.

(4) آل عمران /٦٧.

(5) قبل الظلمات في: ج، م، ك مكتوب كلمة (إله) ولا معنى لها في هذا السِّياق.

(6) ك: التلاوم.

(7) ك: ولقى.

(8) راجع في قصة الخضر وموسى: صحيح البخاري ٢٨/١ ـ ٢٩، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جامع البيان كلاهما ج ١٦/٤ ـ ٢٣، وقد نص النيسابوري على أن موسى المقصود هو موسى بن عمران وليس يوشع بن نون، أو أخوه، أو عبده المرافق له في السفر، وإلا لوجَب تعريفه بما يميِّزه ويُخصصهُ.

(9) ك: وبنائه.

ومأجوج. وكل هذا إخبار بما لا مجال للعَقْل في إدراكه. ولا تُعرَف حقيقتُه إلا بالوحي، والإنباء الصدق، الذي لا عِوج فيه، ولا أمت[1]، ولا زَيْغ، ناسب ذكر[2] افتتاح السورة المعرِّفة بـذلك بـالوَحْي المقـطوع به قـوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾[3]. والتناسب في هذا أوضح من أن يُتَوَقَّف فيه.

وأما سورة سبأ فلما تضمنت ما مَنح سبحانه داود وسليمان من تسخير الجبال والطير والريح، وإلاَنةِ الحديد، ناسب ذكر ما بِه[4] افتُتحت السورة من أن الكُلَّ مِلكهُ وخَلقَه المُسَخَّر لها[5]، والمتصرِّفُ في الكلِّ بما يشاء[6]. فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ﴾[7]. وهذا أوضح التناسب.

وأما سورة الملائكة[8]، فمناسِبةٌ وصفه تعالى بـاختراع السمـوات والأرض لما ذكره من خلق عامري السموات من الملائكة، وجعلهم رسلاً أولي أجنحة، وإمساكه السموات والأرض أن تزُولا، ولا أبْيَنَ شيء وأوضَحه. وليس شيءٌ من هذه الأوصاف العلِيَّة بمناسب لغير موضعه، كمناسبة[9] موضِعِه الوارِد فيه. فقد بَانَ مَجيءُ كلٍّ منها في موضعه ملائماً لما اتَّصل به، والله أعلم.

---

(١) ب: ولا امتراء.
(٢) ك: فناسب ذلك ذكر
(٣) الكهف / واحد.
(٤) في باقي النسخ: ناسب ذلك ما به.
(٥) ك: لها.
(٦) ج، ب، ع: شاء.
(٧) سبأ / واحد.
(٨) هي سورة فاطر.
(٩) هـ، ع: لمناسبة.

والجواب عن السؤال الرابع، أن الخواتم والانتهاءات في[1] السور والآيات لما كانت[2] غيرَ مقصودٍ بها ما قُصد في المواضع المتقدمة [٥ / و] وإنما هي مشروعة للمؤمنين عند خواتم أعمالهم، وانقضاء أمورهم، وقع الاكتفاء فيها بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾؛ إذ في طَيِّ ذلك اعتراف المؤمن، وعِلْمُهُ بانفراد مُوجِدِه - جلَّ وتعالى - بالخلق والأمر، ومِلْك الـدَّارَيْن، وأَهْلِيَّتِهِ سبحانَه لكل ما تضمنت الأوصاف كلها في السُّوَر المذكورة، وليس موضع توبيخ ولا تقريع، فناسب الاكتفاءَ بما ذُكِر والله أعلم[3].

(١) كذا في م، ك، وفي بقية النسخ: مع السور.

(٢) كذا في م، ك، وفي بقية النسخ: لما كان.

(٣) جاء في النسخة (ك) زيادة، بعد الانتهاء من الآية الأولى، قرابة ثلاث صفحات صدَّرها بعنوان: «الآية الثانية». وهي تخالِفُ بهذه الزيادة سائر النسخ، كما تختلف طريقة المؤلف فيها عن طريقة ابن الزبير. أضف إلى ذلك أنها تتحدث عن الآية الأولى التي سبق الحديث عنها، كما أن المؤلف نصَّ على أن سورة الفاتحة كلها من مُغفلات صاحب كتاب: «درة التنزيل»، وعادته أنه يصدِّر الآية المغفلة بحرف(غ)ولم تتصدر الغين هذه الآية المفروض أنها من المغفلات. ونص هذه الزيادة في (ك) (٣/ ب): الآية الثانية قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. اتفق القراء السبعة على الاتباع في هذه الصفات العلية وإجرائها على ما قبلها وقال تعالى في سورة البقرة (آية / ١٧٧): ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾. وفي سورة النساء (آية /١٦٢): ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾. واتفق القراء السبعة في هذه الصفات الاربع وهي قوله في آية سورة البقرة: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾﴿وَالصَّابِرِينَ﴾، وفي آية النساء: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾على القطع؛ كما اتفقوا في أم القرآن في الاربع الصفات الواردة فيها على الإتباع. وقد اتفقت ثمانيتها في أنها صفاتُ ثناءٍ ومدح وتعظيم. ثم اختلفوا فيما ذكرنا من الإتباع والقطع، ولم يُجْروها مجرى واحداً. وقد ترجم س[1] رحمه الله على ما ينتصب على التعظيم والمدح. وقال في الترجمة بعد

(١) يعني بحرف السين سيبويه. أنظر: الكتاب ٢/ ٦٢ قال «هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح».

إشارتها إلى أن الوجه الانتصاب على ما ذكر من القطع بمقتضى مفهوم الترجمة فأتبع بأن قال: وإن شئت جعلته صفة تجرى على الأول، وإنْ شئتَ قطعتَه فابتدأ به، واستشهدَ على القطع بما ورد من قول العرب: الحمد لله الحميد هو، والملك لله أهل الملك؛ فنصب الحميد. ولهذا اتبع الضمير المؤكد للمستتر في الصفة ليظهر النصب، ولم يحتج الى ذلك في أهل الإضافة فبينَ النصب في الصفتين. ثم اتبع بجواز الرفع والاتباع وأشار الى أن القطع هو المختار في الباب إذا كان الموصوف معلوماً والصفة للمدح والثناء. فهذا حاصل قوله، وقول الجمهور عليه، وَرَدُّ ما أورده من الآيات، وما ذكر عن العرب من الإثبات، ثم انه أشار الى ضعف القطع في أثناء كلامه. وسمعنا بعض العرب يقول: ﴿الحمد لله ربُّ العالمينَ﴾، يعني بالنصب فسألتُ يونسَ عنها فزعم أنها عربية. وعادته رحمه الله [٤/أ] التعبير بهذه العبارة عما هو دون غيره في القوة. من ذلك قوله في أول أبواب الاشتغال عقب بيت ذي الرُّمَّة:

أخا ابنِ أبي موسى بلالاً بلغتُهُ فقامَ بفأسٍ بين وصليكِ جازِرِ[1]

فقال عقبَهُ[2]: فالنصب عربي كثير، والرَّفعُ أجْوَدُ.

ولما استشهد على اختيار النصب فيما تقدم قبله جملة، فعلية ببيتي الرَّبيع بن ضَبُع الفَزاري[3]:

أصْبَحْتُ لا أحْمِلُ السِّلاحَ وَلاَ أمْلِكُ رَأسَ البَعيرِ إنْ نَفَرا
والذِّئبَ أخْشاهُ إنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدي وَأخْشى الرِّياحَ والمَطَرا

بنصب الذيب وهو المختار، اتبع بأن قال: وقد يُبْتَدأ فيحمل على مِثْل ما يُحمل عليه وليس قبله منصوب وهو عربي. وذلك قولك: لقيتُ زيداً وعَمْرُو لَقيتهُ. ولم يخالف أحد في أنَّ النصب في هذا أفصح. وقال في مسالة[4] أنتَ عبدُ الله ضربتَه، واختياره الرفع في عبد الله لما جعل الضمير المنفصل قبله مبتدأ، وهو أنت، فضعف مقوي النصب في عبد الله، وهو الاستفهام للفصل بالمبتدأ. فقال بعد اختياره الرفع ـ لما ذكر ـ إلا أنك إن شئت نصبته، كما نصبت: زيداً ضربتُه. ثم قال: وهو عربي جيد، بعد ما قدَّم أن الرفع عنده أوْلَى.

وقال في مسالة[5]: رأيت متاعك بَعْضَهُ فوق بعض، وجوز الرفع والنصب على معنَيَيْنِ. فقال عقب ذلك: والرفع في هذا أعْرَف. ثم قال بعدُ وإنْ نصبتَ فهو عربي جيد. وقال بعد إنشاده:

إنّ عليَّ اللـهَ أنْ تُبايعا تؤخذ كرهاً أوْ تجيءَ طائعا

---

(١) الكتاب ١/٨٢ والبيت فيه بغير هذه الرواية.

(٢) هكذا في النص.

(٣) الكتاب ١/٨٢ والبيت فيه بغير هذه الرواية.

(٤) هكذا في النص.

(٥) نفسه ١/ ٨٩.

(٦) أنظر الكتاب ١/١٤٧، ١٤٨.

(٧) نفسه /١٥٥، ١٥٦.

قال: فهذا عربي حسن، والأوّل أكثر وأعْرف فقد تبين من متعارف إطلاقه ما يريد بهذه العبارة، وقد ترددت في كتابه كثيراً. فحكايته هذه القراءة عن بعض العرب بعد إيثار القطع عن جميعهم، إذ لا يقتضي إطلاقَ كلامه غير ذلك. وعليه فهمه الناس عنه وَعَزوْا[1] عليه كلام جميعهم اعتماداً على تَلَقِّيه من العرب. ثم حكي ما يعارض ما تَمَهَّد من ذلك بما ذكر من هذه القراءة. فهذا مع سؤاله يونس عن هذه القراءة، وجواب يونس بأنها عربية. وقد بيَّنَّا مرادَه بهذه العبارة، و [أمّا] قول سيبويه في إخباره عن قول يونس فَزَعْمٌ حاصلٌ من ذلك كله ضَعْفَ القطعَ في هذه الصفة مع أنها مدح وتعظيم. فالوجه على ما تأصَّل فيما قدَّمنا قطعُها. فتضيف هذه القراءة مُعارِضٍ لما اتفقوا عليه فهو ممَّا يُشكِل ولم أرَ من تعرَّض له من نحوي ولا مُفسِّر إلاَّ بما لا يَصِحُّ ، وقد أطنَب أبو الفضل بن الخطيب ـ رحمه الله ـ في التفسير المنسوب إليه فيما أورد في تفسير الفاتحة وما تعرَّض لهذا بشيء، وكذلك غيره من النحويين والمفسِّرين، إلاَّ من قال: إنّ القطع في هذه القراءة هو الوجه وإياه أراد سيبويه. وإنَّ جواب يونس بقوله عربية إنما يريد أنها فصيحة كالمُثُل المذكورة معها. وهذا خطأ بَيِّن، ومَنْ أمعنَ النظر في كلام سيبويه برَّأَهُ من هذا. وقد زعم بعض من عاصرناه من النحويين أن سيبويه إنما قصد بما حكاه عن بعض العرب من هذه القراءة. وسأل يونس عنها الرد على من قال، إن القطع لا يكون إلاَّ بعد إتباع، فهذا أيضاً فاسد؛ إذ لم يتقدم من كلام سيبويه ـ رحمه الله ـ ما ينبني عليه هذا إلا في الترجمة ولا في المثل، ولا فيما أنشده من قول الأخطل ومُهَلْهِل، ولا تعرَّضَ له إلا بعد أن ذَكَر بعض ما سمِعَه من قراءة بعضهم: ﴿الحَمْدَ لِلهِ رَبَّ العالمينَ﴾ بالنصب، وسؤال يونس عنها وبناء الباب على ما تقدَّم وتعقيبه بما به أتبع الترجمة. وكل ذلك جارٍ على ما فهمه الجماعة من اختيار القطع وإن لم يتقدم إتباع. ثم إن القطع قبل الإتباع قد تحصَّل مما أورده من المثالَين المسموعَينْ والايات، وما أنشده قبل الإتباع وبعده من غير تفصيل في الحالين. وذلك كله يقتضي استواء الحكم ما لم يكن الموصوف [٤ /ب] يفتقر إلى زيادة بيان فإنه قد يحسن إذ ذاك تقدُّم الإتباع ليستحكم العلمُ بالموصوف. أما إذا كان الموصوف معلوماً فلا يفتقر إلى زيادة بيان. ولما لم يقع فيما صدَّر به سيبويه الباب إلاَّ ما هو معلوم غير محتاج إلى زيادة بيان. وإذا ثبت هذا ولم تقع إشارة إلى ما زعم هذا القائل من هذا التفصيل، فلا يتوقف القطعُ على الشرطين المذكورين من كون الصفة للثناء والتعظيم وكوْن الموصوف معلوماً، وهل يطرد هذا الحكم في كل ما وُجِد فيه أمْ يتفصَّل؟ هذا حكم آخر وسيُنْظَر هذا بعدُ إن شاء الله. أما تقدُّم الإتباع فليس بشرط وإنما تعلَّق القائل بذلك بما ذكر أبو طاهر من باب شاذ، مما يشير إلى أنه قول قائل من النحويين إلا أنه لم يتعرض لكلام سيبويه. وإنما الخطأ في نسبة ذلك لسيبويه مع فساد هذا القول في نفسه. فإذا تقرر ما أصَّلناه من أن الوجه فيما الصفة فيه صفة مدح أو

(١) في الأصل عزو. بدون ألف.

ذم والموصوف معلوم، قطعُ الصفة وإنه الأفصح، فلسائل أن يسأل عن وجه ضعف النصب في القراءة المذكورة مع حصول شرط القطع، ولِمَ اتفق القراء على خلاف ما تمهّد لأنه الوجه؟ والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن اختيار القطع بعد حصول شرطَيْه مطّرد ما لم تكن الصفة خاصة بما جرت عليه لا يليق بغيره ولا يتصف بها سواه. ولا شك أن هذا الضرب قليل جداً، فلذلك لم يفصح سيبويه ـ رحمه الله ـ باشتراطه واكتفى بالوارد مما ذكر عن بعض العرب. فإذا كانت الصفة مما لا يشارك فيها الموصوف غيره وكانت مختصةً بمن جرت عليه فالوجه فيها الإتباع. ويطّرد ذلك في صفات الله سبحانه مما لا يتصف به غيره، وأوضح ذلك هذه الصفة العليّة . ألا ترى أنّ ربوبيته تعالى للعالَم بأسره لا تنبغي لغيره، ولا يتصف بها سواه. فلما كانت على ما ذكرتُه لم يكن فيها القطع والمراد السماع على هذا كاف في الدلالة فمنه الآية المذكورة. ومنه قوله تعالى:﴿حم. تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾[1]، لما كان وصفه تعالى بغافر الذنب وما بعده لا يليق بغيره تعالى، لم يكن فيه إلا الإتباع، والإتباع لا يكون بعد قطع فلزم الإتباع في الكل. ومن هذا قول عَمْرِو بن الجَمُوحِ :

الحمْـدُ لِلّـهِ العَلِـيِّ ذِي المِنَنْ الواهِـبِ الـرَّزَّاقِ دَيّـانِ الدِّيَنْ

وهذا مع تكرار الصفات، وذلك من مُسوِّغات القطع على صفة ما، وعند بعضهم تغير بصفة. وأما الإتباع فيما لم يقع فيه إلا صفتان من صفاته تعالى فأكثر من أن يحصى. فهذا شاهد السماع وهو كاف وله وجه من القياس وهو شبهه بالوارد في سورة النجم (٤٣، ٤٤) في قوله تعالى: ﴿وأنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وأَحْيَا﴾. ثم قال تعالى بعدُ (٤٨، ٤٩): ﴿وأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وأَقْنَى. وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾، فورد في هذه الجمل الأربع الفصل بالضمير المرفوع بين اسم «أنّ» وخبرها ليحرز بمفهومه نفي الاتصاف عن غيره تعالى بهذه الأخبار، وكأنّ الكلام في قوة أن لو قيل: وأنه هو لا غيره، وذلك أنه لما كان يمكن المُباهت الجاحد ادعاء هذه الأوصاف لنفسه مباهتاً ومغالطاً كقول طاغية إبراهيم عليه السلام، جواباً لإبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ (البقرة /٢٥٨)، فقال الطاغية مباهتاً ومُخيِّلاً لأمثاله: ﴿أنا أُحْيِي وأُمِيتُ﴾. (البقرة /٢٥٨)، فأوهم بفَعْلة يُطلق عليها هذه العبارة مجازاً بقتله من لم يستوجب القتل، وتسريحه مَنْ وجب عليه القتل جار في هذه الجمل المفصول فيها بالضمير، فأتى به محرزاً لما ذكر، ولم يَرِد هذا الضمير في قوله تعالى: ﴿وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأنثى﴾ (النجم /٤٥)؛ لأنَّ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَتَعَاطَاهُ أحد، لا حقيقةً ولا مجازاً. وبالاعتراف بذلك أخبر تعالى عن عتاة الكفار العرب وغيرهم حين قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزخرف / ٨٧)، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولى﴾ (النجم /٥٠)؛ لكون إهلاك القرون المكذِّبة مما لا يمكن أن ينسب لغير الله تعالى، فلم يعرض في هذا مفهوم. فلما لم يكن في هذه الآي الثواني مفهومٌ يحتاج إلى التحرز منه لم يَرِدْ هنا فصل

(١) غافر /١ ـ ٣.

٢ ـ الآية الثانية[١] من أم القرآن (غ) قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)﴾

فيها سؤال واحد وهو أن يقول القائل[٢]: ما وجه الفصل بهاتين الصفتين العليّتين من قوله: الرحمن الرحيم بين الصفتين المقتضيتين ملك الدارين فيهما وهما: ربّ العالمين. مَالك يوم الدِّين[٣]، من حيث إنَّ الحمد لله يتضمن[٤] ألا[٥] ربَّ سواه فهو ملك الكُلِّ. فقد كان المطابق لهذا إيصال[٦] مالك يوم الدين به[٧] حتى يقع وصفه بمِلْك الدَّارَيْن جميعاً

= بضمير كما ورد فيما تقدم. وإذا تأملت القطع في صفات الثناء والمدح وجدت ما مهدناه جارياً على هذا الا ترى أنك اذا قلت: مررت بزيد العالِمِ. فأتبعت الصفة لموصوفها مع كون الصفة صالحة لمن أُجْرِيَتْ عليه ولغيره لم يكن ذلك ليدفع غيرَ زيد عن مشاركته في صفته التي أجريتها عليه فإذا قطعت، قلت: مررتُ بزيد العالِمُ هُو، برفع الصفة على تقدير مبتدأ أي هو العالم أحرز ذلك الضمير المبتدأ بمفهومه أن غير زيد ليس بعالم، أو أنه ليس كزيد، وكأنك قلت هو العالم لا غيره، كما في الآي المتقدمة. وكذا القطع في النصب من غير فرق، فإذا كانت الصفة تخص من جرت عليه لم يكن هناك مفهوم يتحرز منه فلم يكن القطع ليُحْرِز هنا فائدة فلم يُحتج إليه. وعليه ورد السماع كما قدّم. فقد تعاضد السماع كما بيُّنا، ووجب الإتباع في قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لله ربِّ العالَـمينَ﴾، وهو مما لم يتعرض له أحد بما يخلص مع لزوم الجواب عنه.

(١) ك: الثالثة.

(٢) ب: إن قيل، بدلاً من (فيها - إلى - القائل).

(٣) الفاتحة / ٢، ٤.. والقراء مختلفون في قراءة: مالك، كما يقرر ابن خالويه، وأبو جعفر الطبري. فمنهم من قرأها (مَلِك) بفتح فكسر، ومنهم من قرأها بنصب الكاف وقد وردت قراءة (مَلِك) في بقية نسخ المخطوطة والصواب في قراءتها (مَالك) اسم فاعل، لإجماع الأمة على تواترها وهي قراءة عاصم والكسائي. أنظر الحجة / ٦٢، الاتحاف / ١٢٢، وجامع البيان ١٤٨/١، السبعة / ١٠٤، الكشاف ٤٥/١، أحكام القرآن للقرطبي ١٣٩/١ ـ ١٤١، البحر المحيط ٢٠/١ ـ ٢٣.

(٤) ب: أن الحمد يتضمن. ج، هـ، ع: أن الحمد متضمن. ك: أن الحمد لله رب العالمين يتضمن.

(٥) في جميع النسخ: أن لا.

(٦) ع، ج: أيضاً.

(٧) الجار والمجرور ساقطان من ج.

وبالانفراد فيهما بالخلق والأمر والحكم كما هو. وكما ورد في قوله: ﴿لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾[1]. فالجاري مع هذا أن لو قيل: الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، والفصل بالرحمن الرحيم مما يكسر[2] سَوْرَةَ[3] هذا الغرض فما وجه ذلك؟

والجواب عن هذا أنه تعالى خصص هذه الأمة بخصائص الاعتناء والتكريم. قال تعالى: ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4] وجعل نبيًّنا صلى الله عليه وسلم سيِّد ولد آدم، والمصطفى من كافة الخلق والتابع يشرُف[5] بشرف المتبوع، وقد خاطبه تعالى خطاب الرحمة والتلطف[6] والاعتناء فقال: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[7]، فقدَّم العفو بين يدي ما صورته العَتْب لئلا يُصدَع[8] قلبُه صلى الله عليه وسلم. فكذلك تلطف لعباده[9] المؤمنين من أمة هذا النبي الكريم وآمَنَهم[10]عند خوفهم وإشفاقهم من عَرْض أعمالهم وحسابهم فقال: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[11]، لما كان تعالى قد وصف هذا اليوم بأنه: ﴿يَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[12]، ﴿وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وتَرَى

---

(1) القصص / ٧٠.
(2) ب: يتيسر.
(3) ك: صورة.
(4) آل عمران / ١١٠.
(5) ك: يتشرف.
(6) ب: (خاطبه بعد خطاب الرحمن والتلطف) في موضع (خاطبه تعالى - إلى - التلطف)
(7) التوبة / ٤٣.
(8) في بقية النسخ ينصدع.
(9) ك: بعباده.
(10) في بقية النسخ: بعباده
(11) الفاتحة / ١ - ٣.
(12) إبراهيم / ٤٢ ونص الآية ﴿إنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾.

النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾[1] . قدَّم هنا تعريفهم بأنه الرحمن الرحيم وأنه مالك[2] ذلك اليوم، فآنَسَ هذه الأمة كما آنس نبيَّهم، وذلك أَبْيَنُ شيء.

٣ ـ الآية الثالثة[3] (غ) قوله تعالى:

﴿مَلِكِ يوم الدِّين (٤)﴾

وفي قراءة عاصم والكسائي: مالك يوم الدين. وفي سورة آل عمران (٢٦): ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [٥/ظ] ولم يُقرأ بغيره[4]. وفي سورة الناس (٢): ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ولم يُقرأ أيضاً بغيره. ومدار الآيات الثلاث على تعريف العباد بأنه سبحانه الملك المالك ثم ورد فيها من الاختلاف ما ذُكر. فللسائل أن يسأل فيقول: ما وجه هذا الاختلاف؟ وهل اختصاص آية أمِّ القرآن بالقراءتين[5] لموجِب يخصُّها مع اتحاد المقصود في الآيات الثلاث[6]، مع أنه سبحانه المنفرد بملك الكُلّ وإيجادهم، وأنه الملك المالك، أم ذلك لاختلاف المقاصد؟.

والجواب أن الآيات الثلاث حاصل منها ما ذكر أنه مقصود من أنه سبحانه مَلِكٌ مالِك. أما آية الفاتحة، فبإفصاح القراءتين. وأما آية آل عمران، فلفظ المُلْك المضاف إليه مالِك في قوله: ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، يُفْهِم أنه الملك؛ لأن المَلك من له المُلك. فأفهم لفظ المِلك المضاف إليه

(١) الحج / ٢

(٢) في بقية النسخ: ملك.

(٣) ك: الآية الرابعة.

(٤) انظر السبعة / ١٠٤، الاتحاف / ١٢٢.

(٥) ساقطة من ع، م.

(٦) ب: الثلاثة.

مالك، أنه مَلِكٌ، فحصُل الاكتفاء بهذا، وأفهمت الآية الأمرين. وأما آية الناس (١) فقوله تعالى: ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾ مُغْنٍ عن الإفصاح بمالك الناس. لأن الربّ المالك. فكأن قد قيل: قل أعوذ بمالِك الناس، مَلِك الناس. فاقتضى الإيجاز، الاتصال ووَحدة الكلام من حيث المعنى. أما آية الفاتحة، فقوله فيها: ﴿مَلِك يوم الدِّين﴾، آية انفردت عما قبلها بالتعريف بما لم تعرِّف به الآية التي قبلها من التنصيص على أنه ملك يوم الحساب. فمصرف الكلامين في الآيتين إلى مقصودَيْن. وذلك أن[١] قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، كلام مَصْرِفه بحسب التفصيل الوارد هنا إلى حال الدنيا مع انسحاب معناه على الدَّارَيْن، ولكن ورد الكلام مفصلاً فقال: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾. فمصرف هذا بسبقية المفهوم، وتقييد ما بعده، وما يقتضيه التناظر[٢] والتقابل إلى حال الدنيا. ثم قال ملك[٣] يوم الدين، فمصرف هذا إلى حال الآخرة. فهذا[٤] في التفصيل كقوله[٥]: ﴿لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾[٦]، فلم يكن ما مصرفه إلى حال الدنيا ليَقَع به الاستغناء عمَّا مصرفه إلى حال الآخرة، فلم يكن بُدٌّ من الإفصاح بالصفتين. فورد بذلك في القراءتين بخلاف ما في آية آل عمران، وآية الناس[٧]، فإن الآيتين من حيث الاتصال في المعنى في قوة آية واحدة، والكلام فيهما[٨] مطلَق غير مقيَّد فيتناول بحسب إطلاقِه الحكم في الدَّارَيْن مع أنه كلام واحد.

(١) هكذا في م، ك وفي باقي النسخ.. لأن.
(٢) ج: التناقض.
(٣) هكذا في م، ك، وفي هـ، ب، ع: مالك.
(٤) هـ: فبدأ.
(٥) ج، هـ، ب: إلى قوله.
(٦) القصص / ٧٠.
(٧) ب: النساء.
(٨) هكذا في ك، وبقية النسخ: فيها.

فإن قلت: إذا كان قوله مَلِكَ يَوْمِ الدِّين بحسب المصرف كما تقدم، آية انفردت وباين مقصدها الآية التي قبلها على ما تمهَّد، فقد صارت آيتا أمّ القرآن بحسب مصرف كل آية منهما، كآية آل عمران، وآية الناس، فيُحتَاج في كل واحدة منهما ـ على ما تمهَّد ـ [٦/و] أنه سبحانه مَلِك، مَالِك، وقد حصُل ذلك من الآيات الثلاث[١]، فما المُفهِم[٢] لذلك من قوله: رَبِّ العَالَمِينَ[٣]. فالجواب: أنّه مفهوم من عموم قوله: ربِّ العَالَمِينَ، أنه[٤] لم يقع مثل هذا العموم والاستيفاء من هذه إلا في غير هذه فإن لفظ العالمين يشمل كل مخلوق. وإذا كان رب الكل، ومَالكهم[٥] فإن جميعهم تحت قهره وملكه، فلا ملك لغيره سبحانه. فقد حصل من كل واحدة من هذه الآي الأربع أنه سبحانه الملك المالك وتبين أنه لا يلائم الآية الثانية من أم القرآن إلاّ ما ورد فيها من القراءتين، وأن الآيات الأخَر[٦] لو قرِئت بالوجهين[٧] لكان تكراراً. فورد كُلٌّ على ما يجب، ولا يناسب خلافه، والله أعلم.

سورة البقرة[٨]

٤ ـ [الآية الأولى منها][٩] (غ) قوله تعالى[١٠]:

﴿الٓمٓ﴾ (١)

---

(١) ب، ع: الثلاثة.
(٢) هكذا في ج، ك، وفي بقية النسخ: المفهوم.
(٣) ب: الحمد لله رب العالمين.
(٤) هـ، ع: إذ.
(٥) زاد بعدها في ك: «فهو ملكهم».
(٦) ب، ج: الآية الأخرى.
(٧) ب: على الوجهين.
(٨) ساقط من ج.
(٩) زيادة يقتضيها نسق الكتاب.
(١٠) ب، ج: سبحانه.

أقول وأسأل[1] الله توفيقه إن القول الوارد[2] في هذه الحروف المقطعة[3] في أوائل السور على كثرته وانتشاره منحصر في طَرفَين:

أحدهما: القول بأنهما مما ينبغي ألا يُتكلم[4] فيه ويُؤْمَن بها كما جاءت من غير تأويل.

والثاني: القول بتأويلها على مقتضى اللسان، وهذا مسلك الجمهور، وهذا الذي نعتقد أنه الحق؛ لأن العرب تُحُدِّيَتْ بالقرآن وطُلِبت بمعارضته أو التسليم والانقياد[5] وبمعرفتهم أنه بلسانهم، ومعروفِ تخاطبِهم، وعجزهم مع ذلك عنه. قامت الحجة عليهم، وعلى كافة الخلق. وإذا سلم هذا، فكيف يرد في شيء منه خطابُهم بما لا طريق لهم إلى فهمه. فلو كان هذا، لتعلَّقوا به، ووجدوا السبيل إلى التعلُّل في العجز عنه. وهذا مبسوط في كتب الناس، وغير خاف. وقد انتشرت تأويلات المفسرين وتكاثرت، والملائم لما نحن بسبيله ما نذكره مما لم أرَ من تعرّض له، وهو وجه اختصاص كل سورة من المفتتحة بهذه الحروف بما افتتحت به منها. فهذا ما يُسأل عنه[6]، ولم أرَ من تعرض له، وهو راجع إلى ما قصدنه هنا. وما سوى هذا ما يتعلق من السؤال على الحروف، كورودها على حرف وعلى حرفين[7]، إلى خمسة، وتخصيص هذه الحروف الأربعة عشر بالذكر، وكثرة

---

(١) في باقي النسخ: أسئل

(٢) ك: الوارد عنهم.

(٣) ك: المقطعة الواردة.

(٤) هـ: القول الوارد بأنها مما ينبغي، ك: القول بأنها مما لا ينبغي أن يتكلم فيه.

(٥) من ب، وبقية النسخ.. أو الانقياد.

(٦) ك: مما يسئل.

(٧) ب، ع، ج: أو حرفين.

الوارد منها على ثلاثة، إلى غير هذا، فليس من مقصدنا في هذا الكتاب.

أما الأوَّل فمن شرطنا، والجواب عنه أن وجه اختصاص كل سورة منها بما به اختُصت من هذه الحروف، حتى لم يكن لِيَرِدَ (الٓمٓ) في موضع (الٓمٓر)، ولا (حٰمٓ) في موضع (طسٓ)، ولا (نٓ) في موضع (قٓ)، إلى سائرها. إن هذه الحروف لافتتاح السور بها ووقوعها مطالع كلها، كأنها أسماء لها؛ بل هي جارية مجرى الأسماء من غير فرق. وهذا إذا لم نَقُل بقول من جعلها أسماء للسور، والعرب تساوي[1] في الكثير من [٦/ظ] المُسميَّات أحد[2] أسمائها من نادر، أو مُستغرَب يكون في المسمى من خلق، أو صفة تخصه، أو تكون فيه أحكم، أو أكثر، أو أسبق لإدراك الرأي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام، والقصيدة الطويلة من الشعر، بما هو أشهر فيها، أو بمطلعها إلى أشباه هذا. وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لغريب قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة في أمرها، وتسمية سورة الأعْرَاف بالأعراف، لَمَّا لم يرِدْ ذكرُ الأعراف في غيرها، وتسمية سورة النساء بهذا الاسم، لِمَا تردَّد فيها من أحكام النساء، وتسمية سورة[3] الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً ـ إلى قوله ـ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاء**﴾[4]، لم يرِد في غير هذه السورة، كما ورد ذكر النساء في سُوَر [أخرى][5]، إلا أن ما تكرر وبُسطَ من أحكامهن لم يرد في غير سورة

---

(١) ك: تراعي.

(٢) ج، هـ، ع: آخر.

(٣) زيادة من هـ، ك، ب.

(٤) الأنعام / ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

النساء. وكذا سورة المائدة، لم يرد ذكر[1] المائدة في غيرها فسُمِّيت بما يَخُصُّها.

فإن قلت: قد ورد في سورة هود، ذِكْر نوحٍ، وصالِح، وإبراهيم، ولُوط، وشُعَيب، وموسى عليهم السلام، ولم تختص باسم هود وحده عليه السلام، فما وجه تسميتها بسورة هود على ما أُصِّلْتَ، وقصة[2] نوح فيها أطول وأَوْعَب؟!. قلت: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة الشعراء، بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرّره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة[3] مواضع، والتكرُّر من أعمد الأسباب التي ذكرناها[4].

فإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع منها، وذلك أكثر من تكرر اسم هود. قلت: لما جرت لذكر[5] نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره من الأنبياء عليهم السلام[6]، وإن تكرر فيها[7] اسمه أكثر من ذلك. أما هود عليه السلام فلم يُفرَد لذكره[8] سورة ولا تكرر اسمه مرتين فما فوقهما في سورة غير سورة هود، فكانت أَوْلَى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام وتسمية سائر سور القرآن

---

(١) هكذا في هـ، ك، ب، وفي ج، م: لم يذكر.
(٢) هـ، ع، ج: وقضية.
(٣) م: اربع.
(٤) ك: التي ذكرنا.
(٥) ب: حوت بذكر. ع، ج: حوت لذكر.
(٦) ب: عليهم الصلاة والسلام.
(٧) بقية النسخ: فيه.
(٨) م: بذكره.

جاز فيها من رعي التسمية ما ذكرناه. وإذا تقرر هذا ووضح أن[1] التردد والتكرار يراعي لفظه[2] في التسمية وما يجاريها. فأقول ـ وأسأل الله عصمته وسلامته ـ إن هذه [٧/و] السور إنما وقع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركَّب من كَلِمِهَا. ويوضح لك ما ذكرت، أنك إذا نظرت [في][3] سورة منها بما يماثلها في عدد كَلِمِهَا وحروفها، وَجَدْتَ الحروف المفتتح بها تلك السورة[4] إفراداً وتركيباً، أكثر عدداً في كلمها منها في نظيرتها، ومماثِلَتِها[5] في عدد كلمها وحروفها. فإنْ لم تجِد[6] لسورة[7] منها ما يماثلها في عدد كلمها، ففي اطِّراد ذلك في المتماثلات مما يوجد له النظير ما يُشْعِر بأن هذه لو وُجد مماثلها لجرى على ما ذكرت لك. وقد اطَّرد هذا في أكثرها فحُقَّ لكل سورة منها ألاّ يناسبها غير الوارد فيها. فلو وقع في[8] موضع (ق)[9] من سورة (ق)[10]، [و] (ن) من سورة: ﴿ن والقلم﴾، وموضع (ن) (ق) لم يمكن[11] لعدم المناسبة المتأصل رَعْيُها في كتاب الله تعالى[12]. فإذا أخذت كل افتتاح منها معتَبراً بما[13] قدمتُه لك لم

---

(١) ساقطة من ب، ع.

(٢) هـ، ك: يراعي لحظه، ج: يراعي في لحظه.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) هكذا في هـ وفي ب، ج، ع: وفي الحروف المفتتح بها تلك السور. وفي م، ك: وحروفها بالحروف المفتتح بها تلك السورة، في موضع (وجدت الحروف ـ إلى ـ السورة).

(٥) م: ومماثلة.

(٦) م: وإن لم تجد.

(٧) ج: سورة.

(٨) ساقطة من هـ، ك.

(٩، ١٠) ب، هـ: قاف ـ بالحروف.

(١١) بقية النسخ: لم يكن.

(١٢) ك: سبحانه.

(١٣) ب، ع: ما.

تجد (كهيعص) يَصِحُّ في موضع (حم عسق) ولا العكس، ولا (حم) في موضع (طس) ولا العكس. ولا (المر) في موضع (الم)[1] ولا عكس ذلك[2]، ولا (المر) في موضع (المص) - بِجَعْل الصاد في موضع الراء - ولا العكس. فقد بَانَ وجه اختصاص كل سورة بما به افتتحت، وأنه لا يناسب سورة منها، ما افتتح به غيرها والله تعالى أعلم بما أراد[3].

٥ - الآية الثانية (غ) قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

فوصفه سبحانه بكونه هدى للمتقين، وقال تعالى في وصف التوراة والإنجيل، في أول سورة آل عمران: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾[4]. ولم يقل هنا هدى للمتقين. فللسائل أن يسأل عن الفرق الموجِب اختصاص[5] كل من الموضعين بما ورد فيه، وهل كان يحسن ورود الناس في موضع المتقين، وورود المتقين في موضع الناس؟

والجواب أن الملائم المناسب ما ورد، وأن عكسه غير ملائم، ولا مناسب. ووجه ذلك أن الكتاب المشار إليه هو الكتاب العزيز، على ما في

---

(١) هكذا في هـ، م، ك وفي ب، ع، ج،: الر.

(٢) ب: ولا العكس.

(٣) لمعرفة الآراء المختلفة في الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور، انظر: ألف باء ١ / ٧٣ فما بعدها، جامع البيان ١/٢٠٥ - ٢٢٤، أحكام القرآن للقرطبي ١/١٥٤ - ١٥٧، الكشاف ١/٦٠ - ٨٦، الخواطر السوانح / ٦٣ - ١٤٠، البحر المحيط /٣٢ - ٣٨، البرهان للزركشي ١/١٦٥ - ١٧٧، معاني القرآن للفراء ١/٩، ١٠، معاني القرآن للأخفش ورقة ٨ / وجه - ١٠ / و، الاتقان ٣/٢١ - ٣٠، روح المعاني ١/٩٨ - ١٠٣.

(٤) آية / ٣، ٤.

(٥) ب: صيغة السؤال (إذ قيل ما الفرق بين اختصاص، في موضع...).

مآخذ المفسرين من التفصيل وهو مما خُصت به هذه الآية. والتوراة كتاب موسى عليه السلام لبني إسرائيل، والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام، ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم الفضل المعلوم فأشير بالمتقين إلى حال المخصوصين به. وقيل في الآخريْن: هدى للناس، ليُشْعِر بحال أهل الكتابين، وفَضْل أهل الكتاب العزيز عليهم، فلا يلائم كل موضع إلا ما ورد فيه.

فإن قيل: إنما صح لهم الوصف بالتقوى من اهتدائهم بالكتاب، وتصديقهم به، والتزامهم ما تضمنه [٧/ظ] قلت: لَحَظ في ذلك الغاية، فهو من باب التسمية بالمآل، وهو باب واسع[1]، ومنه قوله: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[2]. وإذا تقرر ما ذكرناه فعكس الوارد غير ملائم، والله أعلم بما أراد.

٦ ـ الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ[3] إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩).

وقال بعدُ (١٢): ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ثم قال بعدُ (١٣): ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فنفى عنهم هنا

---

(١) ب: وسع.

(٢) يوسف / ٣٦.

(٣) هـ، ك، ع: يخادعون بضم الياء، وإثبات ألف بعد الخاء، وكسر الدال. وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بصيغة المضارعة بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف، وهي القراءة المجمع عليها في المصحف الثابت. انظر: الاتحاف / ١٢٨، النشر ٢/٢٠٧، الحجة /٦٨، السبعة /١٣٩، أحكام القرآن للقرطبي ١/١٩٦.

العلم، وفي الآيتين الشعور، فيُسأل عن الفرق الموجب لهذا التخصيص[1].

والجواب[2] عن ذلك أن الشعور راجع إلى معنى الإحساس، مأخوذ من الشِّعار، وهو ما يلي الجسد ويباشره، فيدركُ ويُحسُّ به من غير افتقار إلى فكر وتدبير فيشترك في مثل هذا الإدراك، العاقل من الحيوان، وغير العاقل. وأما العلم فلا يكون إلا عن فكر ونظر يُحَصِّله وقد تكون مقدماته حسِّيَّة، وغير حسِّيَّة على قول المحققين من أرباب النظر، فهو ما يخصُّ العقلاء. ولما كان الإيمان وهو التصديق لا يحصل[3] إلا عن نظر وفكر، يحصل العلم بالمصدَّق به، ولا يكون النظر والفكر إلا من عاقل يعرف الصواب من الخطأ. وقد نفى المنافقون ذلك عن المؤمنين بنسبتهم إياهم إلى السفه، وهو خِفَّةُ الحِلم وعدم التثبُّت[4] في الأمور. وذلك في قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾[5]، فرد الله ذلك عليهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾، ونفى عنهم العلم، فنفى عنهم ما نفوه عن غيرهم، ووُصِفُوا[6] بما نسبُوه لغيرهم[7].

ولما كان الفساد في الأرض، وَرَوْمُ مخادعة من لا ينخدع مستحيلاً[8] لا يخفى فساده على أحد، ويُوصَل إلى ذلك بأول إدراك ناسبه أيضاً نفي

---

(١) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما الفرق الموجب لهذا التخصيص).

(٢) ب: فالجواب.

(٣) هـ: ولا يحصل.

(٤) ج، هـ: التثبة (؟).

(٥) البقرة / ١٣.

(٦) ب: (ولكن يعلمون. فنفى عنهم العلم، ووصفوا بما نسبوه) في موضع (نفى عنهم - إلى - ووصفوا).

(٧) ب: بما نسبوا.

(٨) هـ، ك: منتحل، ب: بحيث لا يخفى.

الشعور، ولم يكن ليناسبه نفي العلم. فجاء كل [على][1] ما يناسب ويلائم.

وتعرض أبو الفضل بن الخطيب[2]، لما ورد في هذه الآي، فقال: إنما قال في هذه الآية ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفيما قبلها ﴿لا يَشْعُرُونَ﴾، لوجهين:

أحدهما: أن الوقف على أن المؤمنين على الحق، وهم على الباطل أمر[3] عقلي نظري وإما أن النفاق، وما فيه البغي، يفضي إلى الفساد في الأرض، فضروري جار مجرى المحسوس.

والثاني: أنه لما ذكر السَّفَه وهو جهل[4] كان ذِكْر العلم أحسن طباقاً له، والله أعلم. انتهى.

وما ذكرتُه أجرى مع لفظ الآي، وأُبْيَن[5].

٧ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَـٰتٍ لا يُبْصِرونَ (١٧). صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨).

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) لم أعثر على ترجمته في كتب طبقات المفسرين بهذه الكنية ولعله يعني لسان الدين بن الخطيب أبا عبد الله، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (٧١٣ ـ ٧٧٦) فأبناء الخطباء في كتب التراجم سبعة ليس منهم من كنيته أبو الفضل وهم: ابن خطيب جبرين، وابن خطيب داريًا، وابن خطيب الدهشة، وابن خطيب زملكا، وابن خطيب المنصورية، وابن خطيب الناصرية وابن الخطيب علم على لسان الدين غير أن المصادر لم تثبت له تفسيراً. وقد شك ابن الزبير نفسه في نسبة هذا التفسير إليه قال في اللوحة(١٤٥ و)ومن ملاك التأويل: «وقفتُ في التفسير الكبير المنسوب للامام ابي الفضل بن الخطيب» ولعل هذا التفسير مفقود.

(٣) هكذا في ج، ك. وفي بقية النسخ: أي

(٤) هكذا في م، ك. وفي بقية النسخ: الجهل

(٥) هكذا في ك، وبقية النسخ: الأَوْبَين.

وورد فيما بعدُ (١٧١): ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ [٨/و] لَا يَعْقِلُونَ﴾.

ففي الأولى: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، بعد اتحاد الأوصاف الواردة مَوْرِد السبب والعلة فيما نُسب لهم.

والجواب: أنه لما مثّل حال المنافقين بحال مستوقد النار لطلب الإضاءة، وأنه لما أضاءت ما حوله، أذهبها الله وطفئت، فلم يكن له ما يستضيء به ويرجع إليه، فنفى عنهم وجود ما يرجعون إليه من ضياء يرفع حيرتهم وهذا بَيِّنٌ.

أما الآية الثانية، فإنه مثَّل حال الكافرين فيها بحال الغنم، في كونها يُصَاح بها، وتُنادى[١] فلا تفهم عن راعيها، ولا تسمع إلا صوتاً لا تعقل معناه ولا تفهم ما يراد به. كذلك الكفار في خطاب الرسل إياهم، فلا يُجيبُونهم[٢] ولا يعقلون ما يراد بهم، وهذا مناسب، وكل[٣] على ما يجب.

فإن قيل: أما تمثيل الكفار وتَشْبِيهُهُمْ بالغنم فيما ذكر فقد أفصح بذلك[٤] قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾[٥]. فقد وضُح[٦] هذا ما ذكرته، إلا أن آية البقرة، إنما ورد فيها ببادي سياق الكلام[٧] وظاهره، تشبيه الكفار بالناعق بالغنم، لا بالغنم، فكيف يرجع تقدير الآية إلى ما ذكرت؟

---

(١) ب: ينادي.

(٢) هكذا في م، ك. وفي ب، ع: بما لا يجيبونهم. وفي ج، هـ: بمًا لا يجيبونهم.

(٣) ساقط مما عدا الأصل.

(٤) هكذا في ك. وفي هـ، م، ع: فقد أفصح ذلك. وفي ب: فقد أفهم ذلك بقوله. وفي ج: فقد أوضح ذلك.

(٥) الفرقان / ٤٤ ـ والآية محرفة في ج، ب.

(٦) هكذا في ب، م، وفي بقية النسخ: أوضح.

(٧) ساقطة من ك.

فالجواب: أنّ إيجاز الكلام يقتضي حذف ما يُفْهِم السياق اختصاراً. فالتقدير في الآية ما مرَّ من الإشارة إلى التشبيه بـالطرفين[1] ومنه قول الشاعر: (طويل)

وإنّي لَيَعْـرُوني لِـذِكْـرِكِ فَـتْـرَةٌ كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ[2]

فشبه في ظاهر الكلام، ما يعروه من الفترة، بانتفاض العصفور، وليس مراده هذا وإنما يريد تشبيه ما يَعرُوه، بما يَعْرُو العصفور، بعد ما يدركه من بلّ المطر من الفترة، وأنه ينتفض[3] عندها، كما ينتفض[4] العصفور، فحذف في كل من الطرفين ما أثبت نظيره. فالتقدير في البيت:

وإني ليعروني[5] لذكرك فترة فأنتفض كما يَعْرُو[6] العصفور فترة فينتفض.

فشبه ما يعروه بما يعرو العصفور، والانتفاض بالانتفاض. وعلى هذا حمل سيبويه الآية قال[7]: لم يُشَبَّهُوا بما ينعق، وإنما شُبِّهُوا بالمنعوق به وإنما المعنى: مَثَلكم ومَثَل الذين كفروا، كمَثَل الناعِق والمَنعُوق به الذي لا

---

(1) ك: في الطرفين.

(2) هكذا في م، ك، ب. وفي ع، ج: لتعروني لذكراك. وفي هـ: لتعروني لذكرك. والبيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٧ وصورته فيه:

إذا ذُكِرَت يرتاحُ قلبي لذِكْرِها كما انتفض العصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

وفي بقية المصادر: (وإني لتعروني لذكراك هزة... الخ). انظر خزانة الأدب ١/٥٥٢، المقاصد النحوية ٣/٦٧، الدُرر ١/١٦٦، التصريح ١/٣٣٦، الإنصاف ١/١٤٤. وينسب البيت لأعشى تَغْلب في المصون /٢٠٥، الأمالي الشجرية ١/١٢٣.

(3) ب، ج: ينقبض

(4) ب، ج، هـ: ينقبض.

(5) هكذا في م، ب، وفي ج، هـ، ع: لتعروني لذكراك.. وفي ك: لتعروني لذكرك.

(6) هكذا في م ب. وفي بقية النسخ: كما تعرو.

(7) الكتاب ١/٢١٢.

يسمع. قال: ولكنه جاء على سَعَةِ الكلام والإيجاز، لعلم المخاطَب بالمعنى، وهذا تقدير معنى الآية.

فإن قلت: فكيف تقدير الإعراب؟

قلت: الأقرب فيه أن يكون على حذف مضاف، أي: ومثل داعي[1] الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع[2]. وعلى هذا حمله أكثر الناس [٨/ظ] وإن شئت جعلت ما قدرنا[3] عليه المعنى تقديراً للمعنى والإعراب. وقد أخذه على ذلك جملة من شيوخنا ومَنْ قبلهم.

٨ ـ الآية الخامسة (غ) قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣).

وفي سورة يونس (٣٨): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ[4] وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وفي سورة هود (١٣): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

يسأل عن قوله في الأولى ـ «من مثله»، وفي الثانية ـ «مثله»[5]، وما

---

(١) داعٍ في جميع الأصول.

(٢) انظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه/ ٢٣٥، الكشاف ١/ ٢٥٠، والبحر المحيط ١/ ٤٨١ ـ ٤٨٤، حيث رجحوا تقدير محذوف قال أبو حيان: «وهذه الآية لا بد في فهم معناها من تقدير محذوف». قيل مثلهم كمثل الرعاة لا تفهم بهائمهم عنهم. وقيل: مثلهم في دعاء آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم كالناعق بغنمه وقد لحظ الزمخشري فيه تمام التشبيه. وذهب أبو عبيدة والفرّاء إلى القلب في الآية، وانهم في عدم فهمهم عن الله ورسوله كالبهائم المنعوق بها فيكون المراد بالناعق، المنعوق به، مثل: دخلَ الخاتم فِي يدي، وعَرَضْتُ الحوضَ على الناقة، ولا يكون هذا إلا في الشعر، وفي الكلام قليلاً على غير قياس وهو مما يجب أن ينزّه عنه القرآن.

(٣) هكذا في ك، ع، وفي باقي النسخ: ما قرّرنا.

(٤) ج، م: من مثله.. وهو لحن في هذه الآية.

(٥) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما الفرق في الأولى من مثله، وفي الثانية مثله).

الفرق بين الموضعين. ولم قيل في سورة هود: بعشر سور، ولم وُصِف بمفتريات، ولم قيل في البقرة: وادعوا شهداءكم، وفي الموضعين الآخرين: مَن استَطَعْتُم. فهذه أربع سؤالات:

والجواب عن السؤال الأول[1]:

إن المراد إرَاءَتُهم ما يرفع شَكَّهُم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فكأن قد قيل إنَّ شكَّكم في نبوءته، وتخصيصنا إياه بذلك[2]، فلتأتوا برجل منكم غيره يصدر عنه، أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم، وأتوا بشهداء يشهدون أن غيره يصدر عنه، أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم، وأتوا بشهداء يشهدون أنَّ غيره قد سُمع منه ما طُلِبتُم به. فإذا عجزتم عن ذلك مع التماثل في الخلق والعلم بمقادير[3] الكلام، إذ ليس بغير لسانكم المألوف عندكم؛ فإذا عجزتم عن ذلك ـ ولا بد من عجزكم ـ فاتخذوا وقاية تنجيكم من النار التي يخبركم أنها مُعَدَّةٌ لمن كذَّب به[4]. فلما كان المراد هنا ما ذكرنا، لم يكن بُدٌّ من «مِنْ» التبعيضية[5] في قوله: ﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾.

وأما الوارد في سورة يونس، فإنما أريد به ما يجري مع قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾. فقيل لهم إذا كان مفترًى ـ كما تزعمون ـ فما المانع لكم عن معارضته، فأتوا بسورة مماثلة للقرآن. فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن، وإقامة الحجة عليهم بعجزهم عن ذلك. والمراد في البقرة، نفي

---

(١) ك: عن الأولى.

(٢) هكذا في جميع النسخ.

(٣) هكذا في م، هـ، ك وفي بقية النسخ: بتقادير.

(٤) في بقية النسخ: كذبه.

(٥) هكذا في ك، وفي بقية النسخ بإسقاط (من) الثانية.

شخص يماثله صلى الله عليه وسلم في أن يسمع منه ما يماثل سورة واحدة من مثل القرآن في فصاحته وعجائبه، فاختلف المَقصِدان في السورتين مع الائتلاف في تعجيزهم عن هذا وهذا. فلما اختلفا لم يكن بُدٌّ من «مِنْ» في الأولى[1] لإحراز معناها، ولم تأت[2] في يونس، لحصول المعنى المقصود فيها دون «مِنْ».

فإن قلتَ: فإن مِنْ لا تمنع هذا المعنى المقصود في يونس. قلتُ: إذا كان المعنى يحصُلُ بثبوتها وسقوطها على السواء فقد بقي [٩/و] رَعْيُ الإيجاز، وهو مقتضى سقوطها. أما المعنى المقصود في البقرة فلا يحصل إلا بِمِنْ؛ فلم يكن بُدٌّ منها هنا، فورد كله على ما يجب ويناسب.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو قوله ـ عز وجل ـ في سورة هود: ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ فإنه ـ والله أعلم ـ لمَّا قيل هنا مفتريات فوسَّع عليهم، ناسبه التوسعة في العدد المطلوب؛ لأن الكلام المُفْتَرَى أسهل فناسبته التوسعة. أما الوارد في السورتين قبلُ فلم يذكر لهم فيهما[3] أن يكون مفترى[4] عليه؛ بل السابق من الآيتين المُمَاثلة مطلقاً، وذلك أصعب وأشق عليهم مع عجزهم في كل حال فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة[5]، وحيث التوسعة بعشر سور مناسبة جليلة واضحة. وقد جاوَب بما هذا معناه بعض المفسِّرين[6].

والجواب عن الثالث أنه وصف لهم المطلوب منهم هنا بأن يكون

(١) ب: (اختلف لم يكن بد من في الأولى) في موضع (فلما اختلفا ـ إلى ـ الأولى).
(٢) هكذا في م، هـ وباقي النسخ: يأت.
(٣) جميع النسخ: فيها.
(٤) ك: مفتريا.
(٥) ب: بعده وحدة، ع: بعده بسورة.
(٦) انظر الكشاف ١/١٨٧ ـ ١٩٠.

مفترى ليحصل عجزهم بكل جهة فلا يقررون على وجود شخص مماثل له صلى الله عليه وسلم في ظاهر الصورة الجنسية سُمع منه ما يُسمع من محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يقدرون[1] على مثل سورة واحدة من سور القرآن. ولما كان ظاهر هاتين الآيتين المماثلة مطلقاً، قيل بعد ذلك ائتوا[2] بكلام مفترى[3] على سهولة ما لا يتقيد[4] بسوى الفصاحة وجاء ذلك مِنْ طَلَبهم بالتدريج فأوّلا بالمماثلة من غير ذكر مفترى، ثم قيل لهم جيئوا[5] بمفترى، فلم يبق لهم عذر إلّا العناد.

والجواب عن الرابع، أن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ـ المراد به من يشهد لكم أن شخصاً مثله صلى الله عليه وسلم قد سُمع منه ما طلب منكم، إذ لا يكفي في هذا مجرد[6] دعوى المدّعي فقيل لهم: ائتُوا بسورة من شخص مثله في الجنسية وبمن يشهد لكم بأن قد فعلتم. وقيل لهم في سورة يونس: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مثل القرآن واستعينوا على ذلك بما قدرتم، فلم يطلَبوا هنا بمَن يشهد لهم، وإنما قيل لهم استعينوا في النظم والتأليف بمَن قدرتم؛ لأن سماع ذلك منهم ـ أنْ لو كان[7] ولا سبيلَ إليه ـ لا يحتاج معه إلى شهادة شاهد. أما[8] لو ادَّعَوْا أن أحداً سُمِع منه مثلُ القرآن، لما قنع منهم بمجرّد دعواهم. ألا ترى

---

(١) هـ، ك: ولا يقرون.
(٢) ج: ليأتوا. ع، ب: لا يأتوا.
(٣) ج: مفتر.
(٤) ج: ما لا يتغير.
(٥) ج، ع: أجيبوا.
(٦) ك: إذ لا يكتفي في مثل هذا بمجرد...
(٧) ب: ألو.
(٨) م، ع: شاهد ما لو (؟).

استرواحهم إلى إقناع جهلتهم[1] بما حكى سبحانه وتعالى عنهم من قولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا﴾[2]، والوارد في هود كالوارد في يونس.

٩ ـ الآية السادسة[3]:

وهي أول آية تعرض لها صاحب [٩/ظ] كتاب الدرّة وأجاب بغير ما هنا والله ينفع جميعنا[4] بفضله، وما يقع بعدُ مما لم يتعرض له صاحب كتاب الدرّة من الآيات، فننبه عليه بعلامة (غ) ليُعلَم أنه من المُغفَل كما تقدم.

قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ (٣٥)

وفي سورة الأعراف (١٩): ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾.

في هذا سؤالان:

الأول: ورود أمرهما بالأكل في البقرة بواو النسق المقتضية عدم الترتيب ما لم يفهم من غيرها، وفي الأعراف بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب والأمر واحد والقصة واحدة.

---

(١) هكذا في م، ك. وبقية النسخ: جهلهم.
(٢) الأنفال /٣١.
(٣) محذوف من ج.
(٤) ج، هـ، غ: والله أعلم، والله ينفع جميعنا.. ك: والله ينفع جميعاً.. ب: والله أعلم والله ينفعنا جميعاً.

والثاني: وصف الأكل في البقرة بالرغَد، ولم يقع هذا الوصف في الأعراف، مع اتحاد الأمر كما ذكرنا.

والجواب عن السؤال الأول ـ والله أعلم ـ أن مورد الآيتين مختلف في الموضعين. أما الوارد في البقرة فقصد به مجرد الإخبار والإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى في قصة آدم صلوات الله وسلامه عليه وابتداء خلقه، وأمر الملائكة بالسجود له. وما جرى من إبَاية إبليس عن السجود، ثم ما أُمر به آدم من سكنى الجنة والأكل منها، ولم يُقصد غير التعريف بذلك من غير ترتيب زماني، أو تحديد[1] غاية، فناسبه[2] الواو، وليس الفاء.

وأما آية الأعراف فمقصودها[3] تَعْداد نعم الله ـ جل وتعالى ـ على آدم وذريته. ألا ترى ما تقدمها من قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾[4] وما أتبع به هذا من ذكر الخلق والتصوير وأمر الملائكة بالسجود لآدم ثم قوله مُفْرِداً لإبليس: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾[5] ثم بعد ذلك أمر آدم عليه السلام بالهبوط متبعاً بالتأنيس له ووصيته[6] في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[7]، فناسب هذا المقصد العطف بالفاء المقتضية للترتيب[8]. والواو لا تقتضي ذلك وإنما بابها الجمع حيث لا يَرِد[9] ترتيب، وليس

---

(١) هـ، ب: تحرير، ع: تجديد.
(٢) ج، ع: فناسب. ب: فناسبت.
(٣) هـ: فمقصدها.
(٤) الأعراف / ١٠.
(٥) الآية / ١٨.
(٦) ك: ووصية الذرية.. والضمير في وصيته يعود الى الله سبحانه.
(٧) الأعراف / ٢٧.
(٨) ك: المحرزة معنى الترتيب.
(٩) ك: لا يراد

موضع شرط وجزاء فيكون ذلك مسوِّغاً[1] لدخول الفاء. وإنما وُرُودُها هنا لما ذكرتُه من قصد تجريد[2] التفصيل المحصِّل لتعداد النعم. ولما اختلف القصدان اختلفت العبارة عنهما، فورد كلٌّ على ما يناسب، والله أعلم.

وأما السؤال الثاني، فالجواب عنه أن ورود الرَّغد في آية البقرة وسقوط ذلك في الأعراف، إنما ذلك لأن معنى مِنْ هنا [١٠/ و] للتبعيض ومعناها بما هو تبعيض قد يسبق منه إرادة التقليل، وهو غير مراد هنا. وإنما مصرف التبعيض هنا إلى المأكول منه، فإن ما اشتملت عليه الجنة من ذلك إذا أَكَلَت منه ذرية آدم بأجمعها فإنما تأكل بعضاً؛ إذ فيها مِنْ كل مُتَنَعَّم بِهِ، ما لا عينَ رأت ولا أذنَ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر[3] . فاجتمع هنا أن البعضية مرادة بالنظر إلى ما انطوت عليه الجنة وإباحة التوسعة في أكلها مقصودة وليس ثَمَّ ما يحرزها[4] فقال تعالى: ﴿رَغَدًا﴾: ليحصل معنى التوسعة، وتجردت مِنْ لإحراز[5] معناها، ورغداً لإحراز معناها، ولمَ يكن هنا بُدٌّ؛ إذ ليس في السياق ما يُحرِزُ[6] معناها. وأما سقوط رغداً في سورة الأعراف، فلوجود ما يحرز ذلك المعنى من التوسعة، وذلك قوله تعالى:

---

(١) ك: متبوعاً.

(٢) هـ، ج، ع: تحديد، ب: فصة تجريد التفصيل.

(٣) هنا اقتباس من حديث قدسي رواه مسلم بأربعة أسانيد من طريق أبي هريرة، مسنداً متصلاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال الله عز وجل: **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». إلى هنا تتفق ألفاظ الروايات الأربع ثم تختلف بعد ذلك متونها. وروى الدارمي الحديث بألفاظ الرواية الأولى من روايات مسلم من طريق أبي هريرة بسند خامس. أنظر صحيح مسلم ٥/٦٨٧ - ٦٨٩، سنن الدارمي ٢/٣٣٥.

(٤) ج، ع: ما تحرز به.

(٥) في بقية النسخ.. من الإحراز.

(٦) م: ما يجرّد.

﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، لإباحة ما في أماكنها[1] من المَحَالِّ أنْ يباح لهما الأكل من حيث شاءا منها على اتساع المساحة وكثرة المآكل ثم يُحْجَرُ عليهما التوسع في الأكل والترغد فيه، هذا متناقض.

فإن قيل: قد وقع في سورة البقرة[2]، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، وتلك توسعة في الأماكن قلت: ليس موقع: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؛ لأن: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، يحرز ويعطي إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها. أما ﴿حَيْثُ﴾ إذا لم يكن معها من، فإنها تعطي بأظهر الاحتمالين إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع. فقد يقال لشخص: كُلْ هذا العنقود حيث شئت من هذا البستان[3]، فإنما أُبيح له أكل[4] عنقود معيّن[5] مخصوص حيث شاء من أماكن ذلك البستان. ولم يتعرض بهذه الإباحة أكل ما في كل موضعٍ مَوْضِعٍ منه[6]، إلا باحتمال ضعيف. أما إذا قيل له: كُلْ من حيث شئت من مواضع هذا البستان فقد أبيح له الأكل من كل ما في مواضِعِه، وحصلت التوسعة في المأكل، ولم يحصل ذلك عند سقوط (مِنْ) على ما تقدم آنفاً. فقد وضِح افتراق الموضعين، وتعيّن ورود (رغداً) في البقرة، إذ ليس ثم ما يحرزه، وتعين سقوطه من الأعراف[7] لوجود ما يحرزه والله أعلم[8].

---

(1) ع، ج: إمكانها من، ك: إمكانها ومن.

(2) ساقطة من ك.

(3) ج: سقط منها بانتقال النظر (فإنما أبيح - إلى - البستان).

(4) هـ: كل.

(5) هـ: مَعْنِيٌّ (بصيغة اسم المفعول من عني بضم فكسر ففتح).

(6) ع، ج، ب: في كل موضع منه.

(7) هـ، ب، ك: في الأعراف.

(8) ك: أعلم بما أراد.

١٠ ـ الآية السابعة (غ)[١] قوله تعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ (٣٨)

وفي الأعراف (٢٤): ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وفي سورة طه (١٢٣): ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. يُسأل عن أي شيء لم ترد هذه الزيادة في قوله في البقرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾.

والجواب عن ذلك أنه لم يرد ذلك هنا اكتفاء بما في[٢] الآية قبلها، وهي قوله: ﴿وَقُلْنَا[١٠ / ظ] ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. فلو قيل ذلك في الآية بعدها مع الاتصال[٣] والتقارب لكان تكراراً لا يحرز فائدة لم تحصل بخلاف ما في سورة الأعراف، وسورة طه. فورد كل على ما يجب ويناسب والله أعلم.

١١ ـ الآية الثامنة (غ) قوله تعالى[٤] في البقرة:

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ...﴾ ـ الآية[٥] (٣٨).

وفي سورة طه (١٢٣): ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾.

هنا سؤالان:

ما فائدة اختلافهما؟ وما وجه تخصيص كل موضع منهما بما ٱخْتُصَّ به؟

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن تَبِعَ، وٱتَّبَعَ، مُحصِّلان للمعنى على

---

(١) هكذا في ك، وسقطت في بقية النسخ، وهي من مغفلات صاحب الدرّة.
(٢) سقط من ج: بما في.
(٣) هـ: الإيصال.
(٤) ك: قوله جل وتعالى.
(٥) ساقطة من ع.

الوفاء. وتَبِع فعل، وهو الأصل، واتّبع فرع عنه، لأنه مزيد عليه، وهو منبىء عن زيادة في معنى فَعَل بمقتضى التضعيف. فعلى هذا، وبحسب[1] لحظه ورَعْيِهُ، ورد (فَمَنْ تَبِع) و (فمن اتُّبِع)، وتقدم في الترتيب المتقرر (فمن تَبِع) لإنْبَائِهِ عن الاتِّباع من غير تَعمُّل، ولا تكلّف ولا مشقّة. وأما (اتّبع) فإن هذه البنية، أعني بنية (افتعل) تنبىء عن تعمّل وتحميل للنفس[2]، فقدم ما لا تعمُّل فيه، وأُخِّرَ اتّبع لما يقتضيه من الزيادة، ولم تكن إحدى العبارتين لتعطي المجموع، فقدم ما هو الأصل[3] وأخَّر ما هو الفرع[4] عن الأول، وكلاهما هدى ورحمة، وورد كل ما يناسب ويلائم.

وجواب ثانٍ، وينبغي عليه ما تقدم فيكون جواباً واحداً، وهو أنّ (اتّبع) مزيد منبىء عن[5] التعمل والعلاج كما تقدم. ولا يُفهم ذلك من تَبِع الذي هو الأصل. وإنما ينبىء في الأظهر عن قضية يتلو فيها التابع المتبوع مُتَقَيِّداً[6] به في فعله من غير كبير تَعمُّل ولا علاج، وكل من العبارتين ـ أعني تبع واتّبع ـ إنما يستعمل في الغالب حيث يراد مقتضاه مما بيّناه[7]. ألا ترى قول الخليل عليه السلام في إخبار الله تعالى عنه: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[8]، حين أشار بقوله: فإنه مني، إلى الخاصة من سالكي سبيله باتباعه القوم[9]، فعبر بما يشير إلى غاية التمسك والقرب حين قال (مني). فناسب

---

(١) ع: أو بحسب.
(٢) أنظر الكتاب ٤/٧٣ ـ ٧٥، شرح الشافية ١/٦٧ ـ ٧٠، ٢/٣٧٨.
(٣) ك: اصل
(٤) ك، ع: فرع.
(٥) م: على.
(٦) ج: مقتدياً.
(٧) ك: بينا. ج: وبما ينبني للأمرين. ع: مما يبنى للأمرين.
(٨) إبراهيم / ٣٦.
(٩) ك: القويم، ع: القديم.

ذلك قوله: تبعني، يريد الجري على مقتضى الفطرة وميز الحق بَدِيهاً[1] بسابقة التوفيق من غير إطالة نظر، أو كبير علاج لسبقية الهدى[2] ووضوح الشواهد. وفي طرف من حال هؤلاء من قيل فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3]. وهذه الآية وأمثالها المراد بها مَنْ تعامى عن النظر في الدلالات[4] وترك واضِح الاعتبار وحمل نفسه بِقَدَرِ الله على ما لا يشهد له نظر، ولا يقوم عليه برهان. فكأن هؤلاء تعمَّلوا في ذلك وعالجوا أنفسهم [١١ / و] حتى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة. ولذلك[5] استعير لمن جرى على حال هؤلاء، البيع والشراء، فقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[6]، لما كان ما بُسط من الدلائل ونُصِب من الآيات والشواهد واضحاً، وكانوا ذوي أسماع وأبصار وأفئدة فما اعتبروا ولا أجْدَتْ عليهم كان سلوكهم سبيل الغَيِّ والضلال تعمّلاً وتركاً للرشد[7] على بصيرة. ولذلك أخبر تعالى عن حال هؤلاء في فعلهم ومُرتكَبِهِم بالجحود فسماه بهذا في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾[8]، إذ كانوا يجحدون بآيات الله. ولا يقال جَحَدَ إلا[9] فيمن كتم معلوماً بعد حصوله، وتظاهر بباطل. فقد أعمل نفسه في ذلك فعبر عن مثل هذا باتّبع، ولم يكن موضع

---

(١) بَدُه الرَّجُلُ، إذا أجاب جواباً سديداً على البديهة، وبَدِيهٌ فعيل بمعنى اسم الفاعل.
(٢) هـ، ع: الهوى.
(٣) القصص / ٥٠.
(٤) ج، ب، ك، هـ: الدلالة.
(٥) في جميع النسخ: لذلك.
(٦) البقرة / ١٦.
(٧) ع: وترك المرشد
(٨) الأحقاف / ٢٦.
(٩) ج: جحدا ـ إلا.

تَبِع. وكذلك قيل لمن وُسِم بالإسراف في المخالفات من عصاة الموحدين، فقيل لهم: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إليكُم مِن رَبِّكُمْ﴾[1]. وذلك لأُلفتِهم المخالفات، وانقياد نفوسهم لها حتى احتاجوا في الإقلاع عن ذلك والأخذ في خلاف حالهم إلى التعمل والعلاج. ولذلك قيل لمن أَلِف الطاعات وارتاض لالتزامها: ﴿لاَ تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾[2]، لألفة نفوسهم الطاعات حتى إنهم إن وقعت منهم مخالفة فبِتَعمُّل وعلاج؛ لأنها خلاف المألوف. فتأمل ما يَرِدُ من هذا فإنه يوضح بعضه بعضاً. وإذا تقرر هذا فتأمل[3] ما بين القضيتين، فأقول: لـمَّا تقدم آية البقرة قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُن أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما﴾ - إلى قوله - ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾. ولم يرد فيها[4] مما كان من إبليس سوى ما أخبر تعالى عنه من قوله: ﴿فَأَزَلَّهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[5]، من غير تَعَرُّض لكيفية تناوله ما فعل، ولا إبداء علّة، ولا كبير معالجة، ناسب هذا (تبع). ولما ورد في آية طه ذكر الكيفية في إغوائه بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾[6]، وقد حصل من هذا الإشارة إلى ما بسط من قوله في الأعراف[7]: ﴿مَا نَهَاكُما رَبُّكُمَا عَن هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إلاّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ﴾، وقاسَمَهُما[8] على ذلك. فكأن هذا كله قد تحصل مذكوراً في آية طه بما تضمنته من الإشارة إليه فأفهمت الآية قوة كيد اللعين

---

(1) الزمر / ٥٥.
(2) النور / ٢١.
(3) ج: بتأمّل.. هكذا.
(4) ساقطة من ك.
(5) البقرة / ٣٦.
(6) طه / ١٢٠.
(7) آية / ٢٠.
(8) ج: قاسمه.. هـ، ك، ب: قسمه.. وما أثبتناه من: م، ع، وهو نص الآية / ٢١.

واستحكام حيلته حتى احتنك[1] الكثير من الذرية وحملهم على عبادة الطواغيت، وتلقت النفوس المتعامية ذلك منه بقبول [١١ / ظ] فصار تَمْييزُ[2] الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمّل فناسبه ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾ كما ناسب ما تقدم في آية البقرة ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ من حيث لم يبسط فيها من كيد اللعين ما بسط في آية طه. فورد كل على ما يناسب معنى ونظماً، إيجازاً بإيجاز، وإطالة بإطالة، ثم إذا لُحِظَ الترتيب، فالجاري على رَعْيِهِ تقديم ما هو الأصل وتأخير ما هو الفرع فقيل في آية البقرة ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾، وفي آية طه ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾، وحصل رَعْيُ الوجوه الثلاثة، ووضح أنه مقتضى النظم والله أعلم (بما أراد)[3].

١٢ - الآية التاسعة (غ)[4] قوله جل وتعالى:

﴿وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥)

وقال بعدُ (١٥٣): ﴿ٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

يُسأل عما أُعقِب به في كل من الموضعين وما وجه تخصيصه، وهل يجوز وقوع كل منهما في موضع الآخر.

والجواب أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ - الآية، وقوله في الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، كلا الإخبارين[5] مناسب لقوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا

---

(١) هـ، ك، ب، م: احتال.
(٢) ج، ع: بسير.
(٣) محذوف من ع.
(٤) محذوف من ب.
(٥) ب: كل الأخبار. ج، ع: كل من الأخبار.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾، فلا سؤال في هذا، وإنما يُسأل عن تخصيص كل من الموضعين بما خصّص[1] به إتباعاً.

والجواب عن ذلك أن قوله ـ جل وتعالى ـ ﴿وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ﴾[2]، يشير[3] إلى التثاقل[4] والتكاسل الجاريين في الغالب[5] والأكثر مع ضعيف اليقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن[6] ذكر في الآيات قبلُ وبعدُ. ألا ترى قوله تعالى[7] في المنافقين ـ وإنما أكثرهم من يهود ـ ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾[8] وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إلى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى﴾[9]. فلما كان قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ مكتنَفاً بأمر بني إسرائيل ونهيهم[10]. ناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ﴾. ولما كانت الآية الثانية معقَباً بها أمر المؤمنين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ وحال من وُسِمَ بالإيمان حال رضى واستقامة؛ فناسب[11] وصفهم بالصبر[12] على الطاعات حصول الدرجات فجاء كل على ما

(١) ك: خص.
(٢) البقرة / ٥٤.
(٣) ع: مشير.
(٤) ك: مشير الى التثاقل عنها.
(٥) ع: لإيجاز بيّن في الغالب (؟).
(٦) ج: مما، هـ: معنى.
(٧) ساقطة من م، ج.
(٨) التوبة / ٥٤.
(٩) النساء / ١٤٢.
(١٠) م، ع: نبيهم.
(١١) ع: ناسبه.
(١٢) زاد في خ، ك بعدها: (إذ الصبر).

يناسب، ولم يكن ليلائم واحداً من الموضعين غير ما أُعْقِب به[1]. والله أعلم بما أراد.

١٣ ـ الآية العاشرة، قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (٤٨)﴾ [١٢/ و].

وقال [بعدُ] (١٢٣) **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ[2] وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾** فأخر ذكر الشفاعة في هذه الآية، وقُدِّم في الأولى، يسأل عن ذلك. ووجهه ـ والله أعلم ـ[3] أنه لما تقدم في الآية الأولى: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾**[4]، والمأمور بالبر قد يأخذ به ويتمسك بموجبه فيسلم من العصيان ويكون في ذلك نجاته. وإذا أمكن هذا فقد وقع الاهتداء بأمر هؤلاء الذين قيل لهم: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم﴾**، فهو مظنة عندهم لرجائهم أن ينفع عند مشاهدة الجزاء الإحساني المأمور بالبر، حين قبلوا وامتثلوا ـ أخذاً بظاهر حال الآمرين ـ وإنْ كانوا يُبطِنونَ خلاف ما يظهرون. وهذا جار على مألوف طمع يهود، وقد ورد في ذكر المنافقين تعلُّقهم في القيامة بقولهم للمؤمنين: **﴿أَلَمْ**

---

(١) ب: ما لصفة به (؟)

(٢) الآية إلى هنا، وتقديمها مضطربان في جميع النسخ:

هـ ـ ساقط. ب: وفي الموضع الآخر: **﴿ولا تنفعها شفاعة﴾**. م: وقال في الثانية: **﴿ولا يؤخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾**.

ك ووقع بعد: **﴿ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾**.

(٣) ب: (وقدمها في الآية الأولى. ووجه ذلك والله أعلم) في موضع (وقدم ـ إلى ـ والله أعلم)

(٤) البقرة / ٤٤.

نَكُنْ مَعَكُمْ﴾[1]، فطمع[2] من زاد على كونه[3] مع المتعلّق به أنه أمره فاقتدى بأمره واهتدى المأمور لما يخلّصه[4] - أخذاً بمظاهر ما صدر عن الآمر - وإن كان الآمر[5] يبطن[6] خلاف ما أمَر به غيره[7] إلا أن هذا أمكن من المتعلِّق[8] بالكينونة في الدنيا مع الناجين. فإذا[9] تعلق هؤلاء بمجرد كونهم كانوا مع المؤمنين فتعلق من أمر بالبرِّ زائداً إلى كونه[10] مع المأمورين وإن كان أمره ظاهراً[11] أو رياء[12] أمكن[13]، إلا أن كل ذلك لا ينفع ما لم يكن إيمانٌ مُخْلَص. فلتوهُّم هؤلاء إمكان[14] شفاعة من أمروه[15] بالبر، وطمعهم في ذلك، كان آكد شيء[16] نَفْيُ الشفاعة لهم لإمكان توهُّمها. ولم يتقدم في الآية الأخرى ما يستدعي هذا[17]، فقدم فيها ذكر الفدية[18] التي هي أوْلَى وأحْرَى في كمال التخلص[19] على ما عُهد في

(١) النساء / ١٤١.
(٢) هـ: يطمع.
(٣) هـ: كُمُونه.
(٤) ك: مما يخلصه.. هـ، م، ع: لما بخلوصه (؟).
(٥) في بقية النسخ: الأمر، في الموضعين.
(٦) هكذا في ج، ك وبقية النسخ: ينطق.
(٧) زاد في ج: غير قوله فطمع.
(٨) ج، ك، ع: التعلّق.
(٩) ج: وإذا.. ب. وإذ.
(١٠) ع، ك، هـ: زاد هنا «زايدً».
(١١) ك: أمره تظاهرا.
(١٢) ع، ب: ورياء.
(١٣) ب: لأمكن.
(١٤) ك: أمكن.. ب: ان كانوا.
(١٥) هـ، ب: أموره.
(١٦) ج: كان الحوشى.
(١٧) زيادة من ك.
(١٨) هكذا في م، ك.. وفي ع الفدية التي أولى (؟).
(١٩) هـ، ج: التخليص.

الدنيا لو أمكنت، والله أعلم بما أراد.

١٤ ـ الآية الحادية عشرة من سورة البقرة[1] قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ـ الآية﴾ (٤٩).

وفي سورة الأعراف (١٤١) (غ)[2]: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

فالقضية في السورتين واحدة، وقد تقدم في سورة البقرة، نجّيناكم مضعَّفاً، وفي الأعراف: أنجيناكم غير مضاعف. وفي البقرة: يذبحون، وفي الأعراف: يقتلون. وقد ورد في سورة إبراهيم (٦) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ﴾، منسوقاً بحرف العطف، ففي هذه الآية ثلاث سؤالات [١٢ / ظ] تعرّض منها صاحب كتاب الدرّة للفرق بين: يذبّحون، ويقتّلون، وقوله[3] في سورة إبراهيم: ويذبّحون[4]، وأغفل ما سوى ذلك[5].

والجواب عن الأول أن الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجوه الإنعام على بني إسرائيل، وتوالي الامتنان ليبين شنيع مرتكبهم في مقابلة ذلك الإنعام بالكفر. ولنقدم لذلك تمهيداً فنقول: إنّه تعالى بدأ عباده بالنعم وأحسن إليهم قبل إيجادهم حين ذكّرهم في الأزل بخصوص التكريم وسبقت رحمته غضبه، وله المنّ والطَّوْل. وعلى لحظ ما ذكرنا ورَعْيِه جرى

(١) هكذا في م، ك، ع. وزيد في ب (غ). وحذف من هـ، ب (من سورة البقرة) وليست الآية من المغفلات.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) هذه الكلمة زيادة من ب يقتضيها السياق.

(٤) ج: (يذبحون ههنا وفي سورة ابراهيم ويذبحون) في موضع (يذبحون ويقتلون ـ إلى ـ ويذبحون).

(٥) راجع درة التنزيل / ٨،٧.

خطاب الخلق في دعائهم الى عبادته، فقال تعالى في أول وارد من ذلك في كتابه العزيز على المعتمد من مقتضى الترتيب الثابت: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ والذِينَ مِن قَبْلِكُمْ[1] ـ إلى قوله ـ فَلَا تَجْعَلُواْ[2] لله أَندَادًا وأَنْتُمْ تَعلَمُونَ﴾[3] فذكرهم سبحانه بإيجادهم بعد العدم، وجعله الأرض من أمثالهم، والسماء بناء وإنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به. وكل هذا إنعام وإحسان منه لعباده من غير حاجة به إلى ذلك، فدعى سبحانه الخلق[4] لعبادته مذكراً بإنعامه عليهم، وبهذا أمر رسله؛ فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[5]، أي بآلائه ونَعْمَائِه. وعلى هذا جرى خطاب بني إسرائيل في سورة البقرة في أول[6] ما خوطبوا[7] به، ودعوا إلى عبادة الله وتصديق من قدم لهم في أمره، وأخذ عليهم العهد في الإيمان به. فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[8]، فأجمل تعالى ثم فصّل؛ فذكر نجاتهم من آل فرعون، وفَرْقَ البحر بهم[9] ونجاتهم وهلاك عدوّهم بالغرق. ثم ذكر عفوه عنهم في عبادة العجل، وتوبته عليهم وبعثهم من موتهم عند مطلبهم الرؤية[10]، وتظليلهم[11] بالغمام، إلى ما ذكر تعالى بعد هذا. فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكّروا

(١) ج، ع، ب: زيد فيها من الآية ﴿لعلكم تتقون﴾.
(٢) هـ، ج، م، ب، ع: ولا تجعلوا ـ وما أثبتناه صوابها.
(٣) البقرة / ٢١، ٢٢.
(٤) ج: فدعا الخلق سبحانه.
(٥) إبراهيم / ٥.
(٦) ساقطة من هـ، ب.
(٧) ج: خطبوا. ك، أول خطاب خوطبوا.
(٨) البقرة / ٤٧.
(٩) ك: وفرقة البحر، ب: وفرق بهم البحر.
(١٠) ج: الرعية، ك: الروية.
(١١) ج: تضليلهم.

بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد، ناسبه التضعيف لإتيانها[1] بالكثرة. ولو قيل هنا: وإذ أنجيناكم، لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر. وأيضاً فإن التضعيف في ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله ﴿يُذَبِّحون﴾، ولم يكن لفظ أنجيناكم غير مضاعف ليناسب يذبّحون، فروعي مناسبة اللفظ بما[2] بعدُ، ومناسبة المعنى، ولم يكن غير هذا ليناسب[3].

والجواب عن السؤال الثاني - والله أعلم - أن[4] الذبح منبىء عن القتل وصفته. وأما اسم القتل فلا يُفْهِم غير إعدام الحياة بتناولٍ مِنْ غير المقتول في [١٣ / و] الغالب؛ فعبر أولاً بما يوفي[5] المقصود من الإخبار بالقتل وصفته مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذُكِر القتل وأُتبع بالصفة لما كان إيجازاً، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود[6]، فقيل يذبحون. وعبّر في سورة الأعراف بالقتل، لأنه أوجز من لفظ يذبحون لأجل التضعيف، إذ لفظ يذبّحون أثقل لتضعيفه. وقد حصلت صفة القتل[7] في سورة البقرة، فأحرز الإيجاز في الكل، وجاء على ما يجب ويناسب، والله أعلم[8].

والجواب عن الثالث، وهو قوله في سورة إبراهيم: ﴿وَيُذَبِّحونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، منسوقاً بواو العطف، فوجه ذلك - والله أعلم - أن[9]

---

(١) هـ، ب: لإتيانه، ك: لإنبائه.
(٢) ك، ب: مما.
(٣) ج: يناسب.
(٤) هـ، ب، ج: اي.
(٥) ك: بما يوافي.
(٦) هـ، ك: المقصود مع إيجاز.
(٧) هـ، ك، ب: الفعل.
(٨) ساقطة من ج، ع.
(٩) ج، ب: اعلم أن بتكرير اعلم.

هذه السورة مبنية على الإجمال والإيجاز فيما تضمنته من قصص الرسل وغير ذلك، ولم يقصد فيما بسط كما في غيرها مما يُبْنَى[1] على الاستيفاء، وكلا المرتكبَيْن مقصود معتمد للعرب: (كامل).

يرمون بالخُطَب الطِّوال وتارة وَحْيَ المَلاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَباءِ[2]

وعلى ذلك جرى خطابهم في الكتاب العزيز. وتأمّل المقصدين[3]، فقد ورد في سورة الأعراف، وسورة[4] هود: قصص نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى عليهم السلام. فتأمل ما بين ورود هذه القصص الخمس في هاتين السورتين، وورودها خمستها في سورة القمر، وكيف مُدَّتْ أطناب الكلام في السورتين[5] الأوليين، ثم أوجزت في سورة القمر أبلغ إيجاز وأوفاه بالمقصود. فلما كان مبنى سورة إبراهيم عليه السلام على الإيجاز فيما تضمنت[6] من هذه القصص افتتاحاً واختتاماً بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[7]، وما بعد هذا من الآي ثم أنه[8] انضم في هذه السورة[9] إلى قصد الإيجاز تغليظ الوعيد. فلبنائها على هذين[10] الغرضين ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾- إلى قوله -

---

(١) هـ: تبنى، ك: بُنِيَ، ب، ع: تنبى.
(٢) البيت منسوب لأبي دؤاد بن حريز يصف خطباء إياد. انظر: الصناعتين / ٦٤، زهر الآداب ٩٦/١، البيان والتبين ١٥٥/١، ٤٢، ٤٤.
(٣) ج، هـ، ب: المقصودَيْن.
(٤) ساقطة من ج.
(٥) ساقط من ب قوله: (وورودها - إلى - في السورتين).
(٦) ك: فيما تضمنته.
(٧) إبراهيم / ٩.
(٨) ج، ع: وأنه، وفي م، هـ، ب، بدون واو.
(٩) م، هـ: صورة.
(١٠) في كل النسخ: هاذين.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾[1]، فأشار قوله سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾، إلى جملة ما امْتُحِنُوا به من فرعون وآله[2] من استخدامهم، وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم، واستحياء نسائهم لذلك، وذبح الذكور. فلما وقعت الإشارة إلى هذه الجملة مما كانوا يمتحنونهم به جُرِّد منها، وعُيِّن بالذكر أشدُّها وأعظَمُها امتحاناً، فجيء به معطوفاً لأنه[3] مغاير لما تقدمه، فقيل: ويذبحون أبناءكم، فعين من الجملة هذا، وخص بالذكر تعريفاً بمكانه وشدة [١٣ / ظ] الأمر فيه، وهو مما أجمل أولاً وشمله الكلام المتقدم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ثم قال: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾[4] فخصّهما بالذكر والتعيين، إعلاماً بمكانهما في الملائكة، بعد أن شملهم قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾. فالوارد في سورة إبراهيم من هذا القبيل، وقد تبين وجهه واتضحت مناسبته، والله أعلم بما أراد.

وأما إعراب آية البقرة[5]، فيمكن في قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، أن يُحْمل[6] على البدل، أو الاستئناف[7] وهو الأَوْلَى، وكأنه على تقدير سؤال، كأن قد قيل: وما ذاك[8]؟ فقيل: يذبحون أبناءكم، ولا إشكال في الأخرى[9].

---

(١) إبراهيم / ٦.

(٢) ج، ب: وأن.

(٣) ج، ك: كانه، وبقية النسخ: كما أنه.

(٤) البقرة / ٩٨. وفي جميع النسخ: ميكايل، وهي لغة وقراءة في ميكائيل. أنظر: معاني القرآن للأخفش ورقة /٦٠ ـ ظ، والبحر المحيط ٣١٧/١، السبعة / ١٦٦ ـ ١٦٧، والاتحاف / ١٤٤.

(٥) هكذا في ك، وفي بقية النسخ «سورة البقرة».

(٦) هكذا في ع، وفي بقية النسخ (تحمل).

(٧) ك: وعلى الاستئناف، ب: وهو الاستئناف، وانظر: إملاء ما من به الرحمن / ٣٥، البحر المحيط ١٩٣/١ ـ ١٩٤.

(٨) ك: وما ذلك.

(٩) بقية النسخ: الاخرَيَن.

١٥ ـ الآية الثانية عشرة قوله تعالى[١]:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا[٢] وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٨، ٥٩)﴾.

وفي سورة الأعراف (١٦١/١٦٢): ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ[٣] وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

في ذلك عشر سؤالات[٤]:

الأول (غ): قوله جل وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا﴾.

الثاني: قوله في البقرة: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾[٥]، وفي الأعراف: ﴿وَكُلُوا﴾.

الثالث: قوله في البقرة: ﴿رَغَدًا﴾، ولم يأتِ ذلك في سورة الأعراف.

الرابع: قوله: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، وفي الأعراف: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾.

---

(١) ك: جل وتعالى.

(٢) ب. حذف الناسخ ﴿وادخلوا ـ إلى ـ رجزاً من السماء﴾ واستبدلها ب: (إلى قوله).

(٣) ب: حذف الناسخ ﴿وقولوا حطة ـ إلى ـ قولاً﴾ واستبدلها ب: (إلى قوله).

(٤) ب: عشرة أسولة، ج، ع: عشرة أسيلة.

(٥) محذوف من هـ، ك، ب قوله: منها.

الخامس: قوله في البقرة: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، وفي الأعراف في قراءة الجماعة غير أبي عمرو[1] وابن عامر[2]: ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾[3] مجموعاً جمع السلامة.

السادس: قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وفي الأعراف: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

السابع: زيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ في الأعراف، وسقوط ذلك في البقرة.

الثامن (غ): قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾، وفي الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾[4].

التاسع (غ): قوله[5]: ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وفي الأعراف ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

العاشر (غ): قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وفي الأعراف: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

والجواب عن الأول، أن أمرهم بدخول القرية مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكناهم، وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكناها [١٤ / و] لكن ليس نصاً، بل ولا ظاهر، فَبَيَّنَتْ آية الأعراف ذلك، وأوضحت المقصود، وحصل الأمر[6] بالدخول والسكنى، وتبين وجه ورود العبارتين على الترتيب.

---

(١) ج: أبي عمر، وأبي عامر.

(٢) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي (نغفر) بالنون، وخطيئاتكم بالتاء المهموزة على الجمع. وقرأ أبو عمر (خطاياكم) بغير همز مثل قضاياكم، وروى محبوب عن أبي عمرو (تُغفَرْ لكم) بالتاء (خطيئاتكم) بالهمز وضم التاء. وتروي هذه القراءة الأخيرة عن نافع وابن عامر. السبعة / ٢٩٥ - ٢٩٦، النشر ٢/٢٧٢، الحجة / ٧٩ - ٨٠، الاتحاف / ١٣٧.

(٣) م: خطيْاتكم.

(٤) ب: فانزلنا في البقرة، وارسلنا في الاعراف.

(٥) ساقطة من ب، ع.

(٦) ك، ب: الأمران.

والجواب عن الثاني أن قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا﴾ بحرف التعقيب وجهه أن الأكل لا يكون إلاّ بعد الدخول، ولا يكون قبله بوجه، ولا معه؛ لتعذّر ذلك. وإنما يكون مرتباً عليه، فجيء بالحرف المحرز لذلك[1] المعنى، وأنه على التعقيب من غير مهلة.

وأما الوارد في سورة الأعراف، فإن السكنى مُنْجَرٌّ معه الأكل ومساوق له، ولا يمكن أن يكون مرتباً[2] عليه، فجاء بالحرف الصالح لذلك المعنى.

والجواب عن الثالث، وهو ورود قوله[3]: رغداً في البقرة، وسقوط ذلك في الأعراف، أن تحته معنى مقصوداً لا يحصل من شيء مما ورد في الآية، وانطوت عليه من الكلام بخلاف آية الأعراف، فإن مفهوم السكنى وهو الملازمة والإقامة مع الأمر بالأكل حيث شاءوا مع انضمام معنى الامتنان والأنعام المقصود في الآية. كل ذلك مُشعِرٌ ومعرِّف بتمادي الأكل، وقوة السياق مانعة من التَّحْجِيرِ[4] والاقتصار، فحصل معنى الرغد، فوقع الاكتفاء بهذا المفهوم الحاصل قطعاً من سياق آية الأعراف. وأما قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وعكس ذلك في الأعراف[5]. فوجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن قولهم حطة، دعاء أُمِرُوا به في سجودهم، فلو ورد في السورتين على حد سواء لأَوْهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفَصِلَيْن غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة، فقدم وأخر السورتين،

---

(١) في جميع النسخ.. لذالك.

(٢) ك: مترتباً.

(٣) ك: والجواب عن ورود قوله رغداً، ب: والجواب عن الثالث أن تحت قوله رغداً.

(٤) التحجير: المنع والتضييق. تقول العرب: تحجَّر عليه، بمعنى ضيّق، واستحجر اجترأ، واحتجر الأرض ضرب عنيها مناراً.

(٥) زاد في ب، ج بعدها: وهو السؤال الرابع.

ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده. وتعيَّن بهذا معنى المعيّة من محتملات الواو، وتَحرَّر المقصود وأن المُرَاد: وادخلوا الباب سجداً قائلين في سجودكم حطة، فاكتفى بتغلب[1] الورود عن الإفصاح بمعنى المعية إيجازاً جليلاً[2]، وبلاغة عظيمة وقدم في البقرة الأمر بالسجود لأن ابتداء السجود يتقدم ابتداء الدعاء، ثم يتساوق المطلوبان، فجاء ذلك[3] على الترتيب الثابت في السورة والآي، والله أعلم. ومما يجب تمهيده لتخليص هذا المفهوم، أن العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مُخْبَرٍ ما، أو أناطت[4] به حكماً من الأحكام، وقد شركه غيره في ذلك الحُكْم، أو فيما أخبر به عنه وقد عَطَفَتْ أحدهما [١٤ / ظ] على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب، فإنهم مع ذلك[5] يبدأون بالأهم والأولَى. وقال سيبويه ـ رحمه الله ـ كأنهم يقدمون ما بيانه أهم لهم، وهُمْ به أعْنَى[6]. هذا معنى كلامه رحمه الله. قال الله سبحانه[7] وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[8]. فهذان مطلوبان مقامهما في الطلب[9] الإيماني معلوم، ولكن المبدوء[10] به أهم. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[11]. وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[12]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ

(١) ج، ع: بتغليب.
(٢) ب: خلاف بلاغة، وفي ج، ع: بياض.
(٣) ساقطة من هـ، ج، ع.
(٤) ب، ع: إذا ـ ناطت. ج: إذ ـ أناطت.
(٥) ج، ب، ع (فإنهم إنما) في موضع (فإنهم مع ذلك).
(٦) انظر الكتاب ١/٥٦.
(٧) ساقط من ج، هـ، ك. وفي ب: قال الله جل وعلا.
(٨) البقرة / ٤٣.
(٩) ك: في المطلب.
(١٠) ج: المبدو.
(١١) آل عمران / ١٣٢.
(١٢) النساء / ١٣٦.

وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[1]. وهذا أكثر من أن يحصى، وعكس الوارد منه ليس بالأفصح. فعلى هذا التمهيد يُفهم ما قدمنا. فإن قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ مقتضاه على ما تمهد، الابتداء بأول الأمرين[2]، فلا يمكن تحصيل ذلك في الآيتين إلاَّ بالمسارقة وكونهما معاً في حالة واحدة، فتدبر ذلك والله أعلم بما أراد[3].

وأما الاختلاف في جمع خطيئة في السورتين[4]، فإنها تجمع من حيث ثبوت تاء التأنيث في الواحدة منها بالألف والتاء، وتجمع أيضاً مكسّرة على (فعائل)، كظعينة وظعائن[5]، وسفينة وسفائن، وصحيفة وصحائف، فالأصل خطايىء مثل ظعائن[6] ثم ترجع بمقتضى التصريف إلى خطايا، كمطية ومطايا. فورد جميعها[7] في البقرة متكسّراً ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم، والآلاء حسبما يتبين في جواب السؤال[8]، لأن جموع التكسير ما عدا أربعة الأبنية التي هي: أفعُل، وإفْعَالٌ، وأفْعِلَة، وَفِعْلَة إنما ترد في الغالب للكثرة فطابق[9] الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنِّعم. وأما الجمع بالألف والتاء، فبابه القِلَّة في الغالب أيضاً، ما لم يقترن به ما يبيّن أن المراد به الكثرة، فناسب[10] ما ورد في الأعراف من حيث لم تُبْنَ

---

(١) التوبة / ٦٢.
(٢) بعدها في ك: وقوله في الموضع آخر (هكذا): ﴿وقُولوا حطة وادخلوا الباب سُجَّداً﴾، مقتضاه أيضاً الابتداء بأول الأمرين... الخ.
(٣) ج، ب، ع: محذوف منها (بما أراد).
(٤) بعدها في ج: وهو السؤال الخامس.
(٥) ج، م: كضغينة وضغائن.
(٦) هـ، ج، م: ضغائن.
(٧) ك: لجمعها، ب: جمعها.
(٨) ك: السؤال بعد.
(٩) ك، ع: فمطابق، ب: مطابق.
(١٠) ب: فناسبه.

آيها[1] ـ من قصد تعداد النعم ـ على ما بنيت[2] عليه آي البقرة، فجاء كل ما يناسب، والله أعلم.

وأما زيادة واو العطف في قوله: وسنزيد، في البقرة[3] ـ وهو السؤال السادس[4] ـ، فإنما جيء بها هنا، لأن المتقدم قبل هذه الآية من لدن قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[5]، إنما هي آلاء ونعم[6] ـ كما تقدم ـ عُدِّدَت[7] عليهم على التفصيل شيئاً بعد شيء، فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو، وليجري[8] على ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الإنْعَامِ بالعفو عن الزلّات، والامتنان بضروب الإحسان بهذا القصد من إحراز[9] التعداد، ورد «وسنزيد» هنا بالواو، ولم يكن ليحصل ذلك لو لم ترد[10] [١٥ / و] الواو هنا.

وأما آية الأعراف فلم يرد قبلها ما ورد في سورة البقرة. وأما قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[11]، وفي الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم قَوْلاً غيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[12]، فوجهه ـ والله أعلم ـ أن لفظ الذين ظلموا لفظ عام يحتمل التخصيص، والتخصيص يكون بدليل

(١) ج: لم تُبَن على أنها. ع: لم تُبنَ أنها.
(٢) ب: على أنها بنيت.
(٣) ب: (قوله في البقرة: وسنزيد...).
(٤) ساقط من ب، وفي هـ، م، ك، ع: الخامس، وصوابها: السادس.
(٥) البقرة / ٤٠.
(٦) ج، ب، ع: آلاؤه كما تقدم.
(٧) هـ، م: عُدّتْ.
(٨) ج: ولتجري، ع: بالواو لتجري، بوصل الجملتين.
(٩) ب، ع، ج: إحسان.
(١٠) ك: تُرَدْ.
(١١) البقرة / ٥٩.
(١٢) الأعراف / ١٦٢.

عقلي، ودليل سمعي. ومن[1] المعلوم أن الأمة من الناس والطائفة الكبيرة، إذا خوطبوا بأمر أو نهي، لم يكونوا في تَلَقِّيه على حد سواء، وهذا معلوم. ويبين هذا في هؤلاء المقصودين بهذا[2] الإخبار قوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ المؤمِنُونَ وَأَكْثَرُهُم الفَاسِقُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾[4]، وغير ذلك. وإذا تأمّلت هذه الآية فهمت منها نفسها أنها ليست على عمومها، فزادت آية الأعراف تخصيصاً سمعياً بما يعطيه حرف التبعيض في قوله[5]: ﴿مِنْهُمْ﴾، فآية[6] الأعراف مخصِّصة للعموم البادي من آية البقرة[7] هذا هو [جواب] السؤال السابع[8].

ولهذا القصد[9] من التخصيص، ورد في البقرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ولم يرد فيها: فأنزلنا عليهم، لأنه لو ورد كذلك لكان يتناول المتقدم ذكره[10] على التعميم[11]، وليس مقصوداً فتحرَّز بقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أن المعذَّب هو الظالم ممن تقدم. وجاء في الأعراف ﴿عَلَيْهِم﴾ لتخصيص ذكر الظالم بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ فجاء كل على ما

---

(1) ساقطة في ج، ب، ع.
(2) ك: بهذه. ع، ج: بهذين.
(3) آل عمران / ١١٠.
(4) آل عمران / ١١٣.
(5) ب: قولهم.
(6) هـ، ج، ع: وآية.
(7) ب: آية القرآن.
(8) جملة (هذا هو السؤال السابع) محذوفة من هـ، وفي بقية النسخ: السؤال التاسع وصوابه السابع.
(9) هـ: المقصد. ب، ع، ج: المقصود.
(10) ك: ذكرهم.
(11) ب: التفهم.

يجب[1]. ويزيد ذلك بياناً أن قوله[2]: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، يُقْتَضى[3] بظهور (ما). وذلك بحسب مفهوم الإرسال ـ لأن المعذَّب قد أُحْرِزَ ذكره. وأما لفظ أنزل فلا يقتضي الإنسحاب والتعميم بحسب اقتضاء «أرسل». فلهذا ورد مع ما لم يرد عمومه. وهذا جواب السؤال الثامن.

ولم يبقَ إلاّ قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ و﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، وهو السؤال العاشر. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما وصف اعتداءهم نيطت بهم أولاً صفة الظلم، ومن المعلوم أن مَوَاقِعَهُ[4] تتسع. ثم لما ذكر من اعتدائهم وسوء مرتكبهم غير ما تقدم، وتضاعُف موجب وَبِيلِ جزائهم، وصفوا بالفسق المبنى على[5] حال أَوْبَق[6] من الظلم. ألا ترى أنه صفة إبليس؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[7]. وقد جعل تعالى الفسق نقيض الإيمان، وفي طرف منه في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[8]. والظلم قد يقع على أضعف [١٥ / ظ] المعاصي قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ[9] يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾[10]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[11]. ولوقوعه على مختلفات المآثم، ومطابقته لما

---

(١) هذا هو جواب السؤال التاسع (المحقق).
(٢) هـ، ع: قولنا.
(٣) هـ، م، ع: يقضي.
(٤) هـ: موانعه، ب: موافقة.
(٥) ج، ك، ع: المنبىء عن.
(٦) ج، هـ، ك: أوفق.
(٧) الكهف / ٥٠.
(٨) السجدة / ١٨.
(٩) ج، ك: ويظلم.. بواو العطف.
(١٠) النساء / ١١٠.
(١١) آل عمران / ١٣٥.

قَلَّ أو كَثُر منه، وصف بالعِظَم حين أُريد به الشرك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ويقول الشاكي للحاكم: إن هذا ظالم، وقد ظلمني في خردلة فما فوقها ولا يلزمه في هذا القول شيء، إذا صح له أدنى تعلُّق. أما إذا قيل فاسق، أو فِسْقٌ فليس كذلك.

وكما يُتَرَقَّى في الجزاء الإحساني، كذلك يترقى في الطرف الآخر، وهو بالحقيقة[2] ضد الترقي وسنزيد هذا[3] ـ إن شاء الله ـ في سورة المائدة بياناً في وصفه سبحانه من لم يحكم بما[4] أنزل الله بالكفر، ثم بالظلم، ثم بالفسق. وإذا تقرر هذا فتأمل آية البقرة[5] من لدن قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم﴾ ـ إلى ذكر وصفهم بتظليلهم[6] بالغمام كيف ذكّروا أولاً بالظلم فقال تعالى: عقب ذِكْر تظليلهم[7] بالغمام: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[8].

ثم أردف ذكر اعتدائهم في تبديلهم قولاً غير الذي قيل لهم، وأعقب بقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وجعل الفسق ختام وصفهم الجاري جزاء على مرتكباتهم ولم يقع بعده ذكر علة مَنُوطَةٍ بجزاء ما وقع منهم. وإذا تأملت آية الأعراف وجدتها[9] على

(١) لقمان / ١٣.
(٢) ج، ب، ع: في الحقيقة.
(٣) ساقطة من هـ، ع.
(٤) هـ: من يحكم لما أنزل ـ وصوابها ما اثبتناه.
(٥) ك: آيات.
(٦) ج: بتضليلهم.
(٧) ج، ك: تضليلهم.
(٨) البقرة / ٥٧.
(٩) ساقطة من ج، هـ، ع.

منهج[1] ما وقع في سورة البقرة، وإن أول وصفهم المبني جزاء على مرتكباتهم[2]، قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْزًا مِن السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، ثم قال[3]: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ - إلى قوله - ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[4]؛ فطابق[5] هذا ما ورد في البقرة من تقدم وصفهم أولاً بالظلم، ثم بعد ذلك بالفسق، ووضح الاتفاق في ختام القصة في السورتين من غير اختلاف فيهما[6].

١٦ - الآية الثالثة عشرة من البقرة[7] (غ) قوله تعالى:

﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (٦٠)

وفي الأعراف (١٦٠): ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ مع أن[8] المعنى واحد، فمعنى الانبجاس الانفجار.

يسأل[9] عن وجه اختصاص كل من الموضعين بما ورد فيه.

والجواب - والله أعلم - أن الفعلين، وإن اجتمعا في المعنى فليسا على حد سواء، بل الانبجاس ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له. قال الغَزْنَوِيُّ[10]:

---

(١) ج، ع: منعهم، وأصلحها الناسخ في هامش ج (مَهْيَع)

(٢) أصلحها ناسخ ج في الهامش: على جزاء مرتكباتهم.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ع. وفي ك: قال تعالى.

(٤) الأعراف / ١٦٣.

(٥) ج، هـ: وطابق.

(٦) ج، ب، ع، ك: بينهما.

(٧) محذوف في ب: من البقرة.

(٨) مع ساقطة من ج، هـ، ع. وفي ب: والمعنى واحد، بإبدال (مع أن) وَاوَ عَطْفٍ.

(٩) ب: فيسأل.

(١٠) ج، ع: القرطبي. وفي بقية النسخ غير معجمة. وممن لقب الغزنوي من أصحاب التفاسير: =

الانبجاس أول الانفجار. وقال ابن عطية: انبجست انفجرت، لكنه أخف من الانفجار[1] وإذا تقرر هذا فأقول إنَّ الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام [١٦ / و] السُّقْيا. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾[2]، والوارد في البقرة[3]، طلب موسى عليه السلام من ربه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾[4]. فطلبُهم ابتداء فأشبه الابتداء[5]، وطلبُ موسى عليه السلام غاية لطلبهم؛ لأنه واقع بعده ومرتَّب[6] عليه، فأشبه[7] الابتداء الابتداء، والغاية الغاية، فقيل جواباً لطلبهم: فانبجست، وقيل إجابة لطلبه فانفجرت. وتناسب ذلك، وجاء على ما يجب، ولم يكن ليناسب العكس، والله أعلم.

١٧ - الآية الرابعة عشرة من سورة البقرة[8] (غ) قوله تعالى[9]:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾(٦١).

= - أبو علي الغزنوي الملقب بتاج الشريعة وبنظام الإسلام (الداودي ١ /٢٢١).
- أبو المكارم الغزنوي عالم بالتفسير والتوحيد وكان له مجلس وعظ بجامع أصفهان كل أربعاء (الداودي ١ /١٠١).
- محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي الملقب ببيان الحق (الداودي ٢ /٣١١).
وانظر الداودي ترجمات: ٢٨، ٣٤٨، ٥٠٠، ٩٠٦، وجامع القرطبي ١ /٤١٩.

(١) أنظر: أحكام القرطبي ١ /٤١٩، جامع البيان ٢ /١١٩ - ١٢٢، ١٣ / ١٧٧، البحر المحيط ١ /٢٢٨، البرهان للكرماني /٢٨. وقد سوى بينهما أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ /٢٣٠، ورجحه أبو حيان في البحر وهو قول ابن عطية.

(٢) الأعراف / ١٦٠.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) البقرة / ٦٠.

(٥) ك: (فناسب الإبداء) في موضع (فأشبه الابتداء).

(٦) ك: ومترتب.

(٧) ك: فناسب.

(٨) ساقط من ب: من سورة البقرة.

(٩) ح: جل وتعالى.

وفي سورة آل عمران (١١٢): ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

فأخّر في سورة آل عمران ما قدم ذكره في سورة البقرة، فيسأل[1] عن ذلك.

ووجهه[2] ـ والله أعلم ـ أنهم لما سألوا في البقرة عن مأكلهم ما فيه خِسَّةٌ، وما يستلزم الذلة والصَّغار والمهانة في التوصل الى الانتفاع به، وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخرِجْ لنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرض مِنْ بَقْلِهَا وقثَّائِهَا وفُومِهَا وعدسِهَا وبصَلِهَا﴾[3]، عوضاً مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المَنِّ والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير مؤُونَة[4]. ولهذا قيل لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَير﴾[5]. فلما سألوا ما يستلزم مهانة النفس، ودناءة الحال، لما أجرى الله تعالى به العادة من أن الذي سألوه لا يُتوصَّل إليه إلا بتكلف عمل ومشقة. فلما سألوا ما حاصله خسّة وامتهان، ناسب ذلك أن يناط به ويبنى[6] عليه ذكر ضرب الذلّة والمسكنة عليهم. ثم أعقب ذلك بذكر ما باءوا به من غضب الله الذي سبق به القَدَرُ عليهم ونعوذ بالله من غضبه. ولما تقدم في آل عمران أن قوله تعالى: ﴿لَنْ

(١) م: يسأل.
(٢) ب: والجواب.
(٣) البقرة / ٦١.
(٤) ج، ك: بعد
(٥) البقرة / ٦١
(٦) م: بُني.

يَضرُّوكُمْ إلا أذًى وَإن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُم الأدبَارَ ثُمّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾[1]، ناسب هذا تقديم ما لا مَضَرَّةَ لهم ومعه ولا فلاح، وهو ما باءوا[2] به من غضب الله عليهم، فقال تعالى: ﴿وَبَاءُوا[3] بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ﴾؛ فجاء كل على ما يناسبه ويلائمه، والله أعلم بما أراد[4].

١٨ ـ الآية الخامسة عشرة[5] قوله جل[6] وتعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَـكْفُـرُونَ بِئَايَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّـِنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٦١).

وفي سورة[7] آل عمران (٢١) [١٦ / ظ] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَـكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّـِنَ[8] بِغَيْرِ حَقٍّ[9]﴾. وفيما بعد[10]: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذَىً﴾ -إلى قوله- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَـكْفُرُونَ بِئَايَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[11]، بتنكير حق في هـذين الموضعين وتعـريفه في البقـرة، واختصاص الآية الآخرة بجمع التكسير فيما جمع في الآيتين جمع سلامة فقيل النبيئين في الآيتين، وقيل في هذه الآخرة الأنبياء[12] مكسَّراً، فهذان سؤالان[13].

---

(١) آل عمران / ١١١.

(٢) م، ج: باءو

(٣) ع، م، ك، ج: باءو.

(٤) بما أراد: زيادة من هـ، ك.

(٥، ٦، ٧) ساقط من ب.

(٨) في بقية النسخ «النبيئين»، مهموزة وهي قراءة نافع في كل القرآن بالهمزة، إلا في موضعين من سورة الأحزاب كما قال المسيبي وقالون، وزعم ورش أنه كان يهمزها. السبعة /١٥٦، ١٥٧، الاتحاف /١٣٨.

(٩) هـ، ب: الحق

(١٠) ك: وفيها بعد.

(١١) آل عمران / ١١١، ١١٢.

(١٢) ع: الأنبئاء، وهي قراءة نافع في القرآن كله بهمزها. انظر: السبعة / ١٥٦.

(١٣) ب: ففيها سؤالين.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ بعد العلم بأن المذكورين في الآيات الثلاث من بني إسرائيل قد اجتمعوا في الكفر والاعتداء، أن هذه الآية الأخيرة لما كانت فيمن شاهد منهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وعاين تلك البراهين، واستوضح أنه الذي أخبر به موسى وغيره صلى الله عليهم أجمعين، وتكاثرت الأدلة في أمره، ثم لم يُجْدِ ذلك إلاّ[1] التمادي في الكفر والعناد من بعد ما تبين لهم الحق، كان الأنسب لمرتكبهم في كفرهم أن يُعَبَّر عنهم[2] أنهم ارتكبوه بغير شبهة، ولا سبب يمكن التعلق به. فقوله تعالى: ﴿بِغَيرِ حَقٍّ﴾، كأنه مرادف لأن لو قيل بغير سبب ولا شبهة، وذلك أوغل في ذمهم[3] وسوء حالهم، لأنهم لا يمكنهم في مرتكبهم تعلّق بشيء البتة، ولا أدنى شبهة. ولما كانت الأولى من سورة البقرة إنما هي في سلفهم ممن لم يشاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقد وقع الإفصاح فيها بكفرهم بعد تعريفهم بذكر آلاءٍ ونعم، وقد ورد فيها أن بعض تلك المرتكبات أو أكثرها قد عُفِيَ عنهم فيها، ولا شك أن بعضهم قد سَلِمَ مما وقع فيه الأكثر من كفرهم. وقد أفصحت آي بذلك فيما ذكر عقبها من أن الكفر السابق عمومه في جميعهم ليس على ما يبدو[4] منه، والله أعلم. وإنما هو راجع إلى أكثرهم[5]، فقد دخله خصوص يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم﴾[6]، وقوله: ﴿وَأَكثَرُهم فاسِقُونَ﴾[7]. فهم وإن

---

(١) ب: ثم لم يُفِدْ ذلك فيه إلا.
(٢) ك: عنه.
(٣) ج: مكانها بياض.
(٤) جميع النسخ: يبدوا.
(٥) ك: لأكثرهم.
(٦) البقرة / ٥٩، وزاد في ج، ع، ب من الآية كلمة ﴿قولاً﴾.
(٧) التوبة / ٨.

وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا، ليسوا في ارتكاب البُهْتِ[1] والمجاهرة بالباطل، وموالاة[2] التمرد والاعتداء حال معاينة البراهين كَحُيَيّ بن أَخْطَب[3] وأشباهه من المعاصرين لنبينا صلى الله عليه وسلم والمشاهدين أمره. فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوا ما وقع[4] التعبير[5] به من قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، إذ ليس المُعرَّف في قوة المُنَكَّر المرادف لقولك بغير سبب. وأيضاً فقد تقرر عندهم من كتابهم، ألا يسوغ[6] قتل النفس بغير الحق[7]، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِم فِيهَا﴾ - أي التوراة - ﴿أَنَّ النَّفسَ بِالنَّفْسِ﴾[8]، وتقرر أيضاً في كتابهم رجم الزاني المُحْصَن، وقد عرفنا ذلك من [١٧ / و] دينهم بالخبر الصحيح، وأنهم اعترفوا[9] بذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد إنكارهم. وقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لهم بقوله: ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُم فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[10]، فعرّف بجريمة الارتداد والظاهر أن حكم المرتد عندهم القتل كحكمه عندنا. وكيف ما كان فقد استقر عندهم ما يسوّغ القتل ويوجبه بعد الإيمان، وقد علموا أن الأنبياء عليهم السلام مبرّأون من ذلك كله، فقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، أي بغير وجه الحقّ المبيح للقتل. فالألف واللام للعهد في

---

(١) البُهت والبهيتة الكذب. والبُهْت التحير والانقطاع، ومنه البهتان وهو الباطل.

(٢) ج، م، ع: وموالات، وفي ك: وموالات.

(٣) حيي بن أخطب النضيري نسبة إلى بني النضير من يهود شبه الجزيرة العربية. أدرك الإسلام وكان شديد الإيذاء للمسلمين فأظفرهم الله به يوم بني قريظة فأسروه. السيرة النبوية ٢/١٤٨.

(٤) ج: عما.

(٥) هـ: التغيير.

(٦) م، ك: أن مسوّغ، ب: أن يسوغ، وفي جميع النسخ: (أن لا).

(٧) م: بغير حق، ك: قتل النفس تقدم قتل نفس بغير حق (؟)

(٨) المائدة / ٤٥.

(٩) ج: بالجزاء الصحيح اعترفوا.

(١٠) المائدة / ٢١.

المسوّغ المتقرر في شريعتهم، فقد افترق مقصد الآيتين. وأما الأولى من آيتي [آل] عمران، فخاصة بالمتمادين منهم على الكفر، ولا تتناول[1] الآية من أولها إلى آخرها خلافه، فهي كالآية الثانية فيما أعطته ودلت عليه من التمرد والتمادي على الضلال، فناسبها التنكير كالتي بعدها. وهما معاً بخلاف آية البقرة، إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك، ولا حال المذكورين في هاتين كحال مَنْ ذكر في تلك، والله أعلم بما أراد[2].

والجواب عن السؤال الثاني أن جمع التكسير يشمل أولي العلم وغيرهم. وجمع السلامة يختص في أصل الوضع بأولي العلم، وإن وجد في غيرهم فبحكم[3] الإلحاق والتشبيه كقوله تعالى: ﴿**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[4] وما يلحق بهذا. وإذا تقرر هذا فورود جمع السلامة في قوله في سورة البقرة: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾، مناسب من جهتين:

إحداهما: شرف الجمع لشرف المجموع.

والثانية: مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق.

وأما الآية الأولى من سورة آل عمران، فمثل[5] الأولى في مناسبة الشرف ومناسبة زيادة المدّ للزيادة في الفعل العامل في اللفظ المجموع في قراءة من قرأ: وَيُقَاتِلُونَ[6]. ولما لم يكن في الآية الثالثة سوى شرف

---

(١) هـ، ب: يتناول.
(٢) هـ، ب، ج: أرادوا.
(٣) ب: فبحكم.
(٤) يوسف / ٤.
(٥) ج، ع،ب: في مثل.
(٦) ج، ع: يقاتلون بدون واو وهي قراءة حمزة من المقاتلة. السبحة / ٢٠٣، الحجة ١٠٧.

المجموع، وكانت العرب تتسع في جموع[1] التكسير فتُوقِعها على أولي العلم وغيرهم، أتى بالجمع هنا مكسّراً، لتحصل اللغتان حتى لا يبقى لمن تُحُدِّيَ بالقرآن حجة؛ إذْ هم مخاطبون بما في لغاتهم فلا يُقْصَرُ[2] في شيء من خطابهم على أحد الجائزَين دون الآخر، لئلا يتكرر[3] فإن ذلك يرد على وجه واحد مما يجوز فيه. فتفهَّمْ ما أجملتُه فسوف يتضح لك به [١٧/ ظ] إذا استَوفيتَه ما يعينُك على فهم الإعجاز.

١٩ ـ الآية السادسة عشرة قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالصَّـٰبِئِينَ[4] مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ[5] أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢).

وقال[6] في سورة[7] المائدة (٦٩): **﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّـٰبِئُونَ[8] وَالنَّصَـٰرَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا[9] فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**. وفي سورة الحج (١٧): **﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّـٰبِئِينَ[10] وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**.

---

(١) بعدها في ج، ب: بياض كلمة.

(٢) ك: يقتصر، ب: نقص.

(٣) هـ، م، ك: إلا الا يتكرر (؟)، ب: إلا يتكرّر.

(٤) في جميع النسخ بالياء دون همز، وهي قراءة نافع في المصحف كله. انظر السبعة/ ١٥٦، ١٥٧، الحجة/ ٨١.

(٥) ج، م: لهم، تحريف، وفي ع: حذف من الاية **﴿فلهم أجرهم...﴾** الخ.

(٦، ٧) ساقطتان من ب.

(٨) في جميع النسخ: الصابون، وهي قراة نافع في كل القرآن بغير همز. السبعة / ١٥٧.

(٩) ساقط من م، ع، ج: **﴿والنصارى من آمن ـ إلى ـ صالحاً﴾**، وبدله في ج: والبقرة بدأ قوة لها(؟).

(١٠) في النسخ كلها: والصابين، وقد ذكر ابن مجاهد أنها قراءة نافع في القرآن كله، ولم يذكرها في الحج =

فيها أربع سؤالات:

الأول: تقديم النصارى في سورة البقرة، وتأخيرهم في المائدة.

و[الثاني]: تخصيص آية البقرة بقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

و[الثالث]: رَفْعُ «الصابون» في المائدة، ولم يُتْبع.

و[الرابع]: انفراد سورة الحج بسياقها، وزيادة ذكر المجوس والذين أشركوا.

فأقول ـ وأسأل الله توفيقه ـ: إنَّ المؤمنين أحق بالتقديم، وهم أهل الخطاب، والمتكلِّم[1] معهم في الآي قبلُ. فهم من حيث أحوالهم معظم[2] مَن قصد بالخطاب والتأنيس. ثم إن أهل الكِتابيّن يَلُونَ المؤمنين بأنهم ليسوا كافرين بكل الرسل، ولا منكرين لكل ما أُنْزِل من الكتب، فقد كانوا أقرب شيء لولا التبديل والتغيير والتحريف المقدّر وقوعه عليهم، فإنهم قد قدم إليهم فنكثوا ونقضوا وكفروا بمن قدم إليهم في أمره. واليهود أقدم تعريفاً وأسبق زماناً، فلما اجتمع الأصناف الثلاثة في أنهم[3] أهل الكتاب[4] والمقرّون[5] بالبدأة[6] والعودة، وإرسال الرسل على اختلاف حالاتهم في ذلك وأزمانهم. كان تقديمهم على غيرهم أوضح شيء على الوارد في سورة البقرة؛ إلا أن ذكرهم لم يقع بحرف

اكتفاء. وقد نص ابن خالويه على جواز الهمز وتركه فيها. أنظر السبعة / ١٥٧، الحجة / ٨١، والاتحاف / ١٣٨.

(١) جـ، ب، ع: التكلم.
(٢) ج: معضم، بالضاد.
(٣) ع: أنهم.
(٤) ك: الكتب.
(٥) ب، ع: القرون.
(٦) ج: البداءة.

مرتب، بل وقع الاكتفاء بترتيب الذكر لاستوائهم في الغايات من استواء العواقب. وإن الفائز[1] مِنَ الكل مَنْ كانت خاتمته في[2] دار التكليف الموافاة[3] على الإيمان والإسلام، وإن أكرمهم عند الله أتقاهم، وإن الموافي من الكل على الكفر في النار، ثم عذابهم بحسب جزائهم جزاء وفاقاً، فرُتِّبوا ذكراً بحسب حالهم الدنياوي ولم يقع[4] الترتيب بالحرف المرتب لحظاً لحالهم الأخراوي؛ فجرى ذكرهم في سورة البقرة على هذا، وأخَّرَ ذكر الصابين لتأخرهم عن هؤلاء الأصناف في أنهم ليسوا أهل كتاب، وليسوا مثلهم فيما وراء ما ذكر من أحوالهم. فإيراد ذكرهم على [١٨ / و] ما في سورة البقرة بيّن. ثم قدّم ذكر الصابين في سورة المائدة زيادة[5] بيان للغرض المذكور من أنه لا ترتيب في الغاية الأخراوية إلا بنظر آخر، لا بحسب الدنياوي والاشتراك فيما قبل الموافاة؛ بل المستجيب المؤمن من الكل مخلَّص، والمكذِّب متورط، ثم مراتب[6] الجزاء بحسب الأعمال. فلو صح[7] تقديم[8] ذكر «الصابين» في سورة المائدة ما ذكرناه. فإن قلت: لِمَ لَمْ يقدّم ذكرهم على الكل.

---

(١) من ك، وفي ج، ع، ب: العابدين، وفي هـ، م: الفائزين.

(٢) ب، ع: هي.

(٣) ك، ج: الموافات.

(٤) هـ، م: يتقعَّد.

(٥) ك: وزيادة.

(٦) ع، ج: كتاب، ب: كاتب، وفي هـ: غير واضحة لتراكبها مع ما تحتها في الوجه الآخر، وجها لظهر.

(٧) ج: فأوضح.

(٨) ب: تقدم

قلتُ: لا وجه لهذا لمكانة المؤمنين وشرفهم. فإن قلت[1]: فهلا[2] قُدِّموا على يَهُود؟ قلت: قد كانت يهود أوْلَى الناس بأن يكونوا في أول رعيل من المستجيبين، ومعهم جرى الكلام قبل هذا نَعْياً عليهم[3] ولعظيم[4] ما جرى على من لم يؤمن منهم، وتردد[5] فيهم عدة آيات وذلك مما يوجب تقديم ذكرهم على مَن عدا[6] المؤمنين. فإن قلت: فالنصارى[7] مثلهم؟. قلت: النصارى اقرب إلى الصابين من حيث التثليث[8]، وسوء نظرهم في ذلك وقصورهم. ثم إنهم لم يجر لهم ذكر فيما تقدم هذه الآية بخلاف يهود، فإن من[9] هذه الجهة تقديم[10] يهود عليهم، وإن كانت يهود شرّ الطائفتين.

والجواب عن السؤال الثاني[11]: أن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَلَهُم أجْرُهُم﴾، قد تقدم في المائدة ما يعطيه ويحرزه فاكتفى به. ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لكفَرنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم ولأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيم﴾ تفسير بيّن للأجر الأخراوي المجمل في قوله في سورة البقرة: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ - إلى آخر الآية[12] - فقد [١٨/ظ] حصل ما في سورة المائدة مفصّلاً مبيناً ما ورد في البقرة مجملاً! فلو قيل

(١) ك، ب: فاقلت.
(٢) ج: فهل لا..
(٣) بعدها في ك: وبياناً لمرتكباتهم..
(٤) ب: وتعظيم.
(٥) ك: وترددت.
(٦) ك: عدي.
(٧) ب: فالنضرى.
(٨) ع: التنكيث.
(٩) ك: فبانَ من.
(١٠) ك: تقدم.
(١١) قدّمت إجابة السؤال الثالث على إجابة الثاني في سائر النسخ فصححتُ الترتيب.
(١٢) المائدة / ٦٥.

في آية المائدة فلهم أجرهم لكـان تكراراً ورجـوعاً إلى الإجمـال بعد التفصيل، وذلك عكس ما ينبغي.

السؤال الثالث[1]: وهو ورود اسم «الصابين» في المائدة بالرفع. والجواب عنه أنه ورد[2] مرفوعاً تنبيهاً على الغرض المذكور، وتأكيداً للتسوية في الحكم إذا اتفقوا في الموافاة على الإيمان فنبه التقديم على هذا كما تقدم. وزاد القطع الى الرفع تأكيداً لأن قطع اللفظ عن الجريان على ما قبله مُحرِّكٌ[3] لِلَحْظِ توجيهه. وهو عند سيبويه[4] ـ رحمه الله ـ مقدم من تأخير، وكأنه لما ذَكرَ حكم المذكورين سوّاهم[5].

قيل: «والصابون» كذلك، أي لا فرق بين الكل في الحكم الأخراوي، وهو على هذا التقدير أوضح شيء فيما ذكر.

وأما على طريقة الفَرَّاء[6] ومن قال بقوله، من حَمْلِه على الموضع ففيه[7] التقديم، وأن التحريك[8] القطعي في اللفظ ـ وإن لم يكن مقطوعاً في المعنى ـ لا يكون إلا لإحراز[9] معنى وليس إلا ما تقدم.

---

(١) في جميع النسخ: الثاني.
(٢) ك، ب: أنه إنما ورد.
(٣) ج، ع: مجرد.
(٤) هو عمرو بن عثمان بن قَنبر بالفتح إمام نحاة العربية، ورأس البصريين منهم، وكتابه المسمى بالكتاب في النحو هو الإمام فيه كما قال محمد بن سلام. وارجح الأقوال أنه توفي / ١٨٠ هجرية. أنظر ترجمته الكاملة في مقدمة الجزء الأول لكتاب الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون ١/٣ ـ ٥٨.
(٥) راجع الكتاب ٢/١٥٥.
(٦) هو أبو زكريا، يحيى بن زياد الفرّاء ـ ت/٢٠٧ هـ. وهو زعيم مدرسة النحاة بالكوفة بعد الكسائي. لترجمته أنظر: معاني القرآن ١/٧ ـ ١٥، وللمراجعة تخريج الفراء للاية راجع ١/ ٣١٠ ـ ٣١٢ منه.
(٧) في ك فقط، وبقية النسخ: فيه.
(٨) ج، ع: التجريد.
(٩) هـ، ع: للاحراز، ج: للإقرار (هكذا).

والجواب عن السؤال الرابع أن آية سورة الحج، إنما وردت معرّفة بمن ورد في القيامة على ما كان من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك. والآي الأُخَر فيمن[1] ورد مؤمناً فافترق القصدان، واختلف مساق الآي بحسب ذلك.

٢٠ ـ الآية السابعة عشرة (غ) قوله تعالى[2]:

﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ واذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ (٦٣).

وفي الآية الأخرى فيما[3] بعد (٩٣): **﴿وَإِذْ أَخَذْنَامِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ﴾**.

للسائل أن يقول: إن الخطاب في الآيتين[4] لبني إسرائيل وهم المُخْبَر عنهم بما بعدُ، والمَقُول لهم: **﴿خُذُوْا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**. وهم بأعيانهم المَقُول لهم في الآية بعد: واسمعوا، فما وجه تخصيص كل من الآيتين بما أعقبت[5] به؟ وهل كان يمكن تعقيب الأولى بقوله: واسمعوا، وتعقيب الثانية بقوله: واذكروا ما فيه ـ الآية؟!

والجواب: أنه لا يناسب كل آية منهما[6]، إلا ما به أُعقِبت. ووجه ذلك، أن الآية الأولى تقدم قبلها قوله تعالى: **﴿وإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ والفُرْقَانَ﴾** (٥٣) والكتاب: التوراة وقد سمعوه وعنه قيل، وإليه أشير بقوله:

---

(١) م: في من، بالفصل والصواب وصلها.
(٢) هكذا في ك، وسقط (قوله تعالى) من بقية النسخ.
(٣) ك: عما.
(٤) ب: صيغة السؤال (إنْ قيل الخطاب في...).
(٥) ع، ب: ما أعقبت، ج: بما أعقبتا.
(٦) من م، ك، وفي بقية النسخ: منها.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَةٍ واذكُرُوا ما فِيه﴾. وقد زاد هذا إيضاحاً قوله في سورة الأعراف (١٧١): ﴿وإذ نَتقْنَا الجبَل فَوقَهم كَأنه ظُلَّةٌ[1] وظَنُوا أنه وَاقِعٌ بهم خُذُوا مَا ءاتَيْنَـكُم بِقُوَّةٍ[2]﴾. والإشارة بالقوة إلى عظيم تخويفهم برفع الجبل فوقهم كالظلة، فقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَـاكُم﴾[3] عقب ذكر كتابهم أوضح شيء وأنسبه. ولما تقدم قبل الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدِّق لِمَا مَعَهُم﴾[4]، وهذا الكتاب هو الكتاب العزيز، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وإذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنْزَلَ الله﴾[5]، بدليل قولهم حَيْدَةً عن الإيمان: ﴿نُؤمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَينَا﴾[6] قال تعالى: ﴿وَيَكفُرُون بِمَا وَرَاءَه﴾[7]، أي ويكفرون بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَهُو الْحَقُّ﴾[8] ـ والإشارة للقرآن ـ مصدّقاً لما معهم ـ أي من التوراة ـ. فلما تقدم هنا ذكر القرآن وخَلْفُ[9] يهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم مُعرِضُون إلا القليل عن الإيمان وسماع القرآن، ناسب[10] إعراضهم عن سماعه تخصيص هذا الموضع من القول لسلفهم بقوله للخَلْف، واسمعوا، ليكون إخباراً عن سلفهم وتعريضاً [١٩/و] بخَلْفِهِم[11]. فوضح التناسب، وأن العكس لا يناسب.

---

(١) سقط ما بعد ظلة إلى قوله: (كالظلة، فقوله من (ع) بانتقال النظر.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقط بانتقال النظر من ج قوله: (والإشارة ـ الى ـ ما آتيناكم).

(٤) البقرة / ٨٩.

(٥،٦،٧،٨) البقرة / ٩١.

(٩) الخَلْفُ بفتح فسكون هو النسل والأبناء والذرية ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَلَف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة﴾.

(١٠) ب: ناسبه.

(١١) في بقية النسخ: لخلفهم.

٢١ ـ الآية الثامنة عشرة قوله تعالى[1]:

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ (٨٠)

وفي سورة آل عمران (٢٤): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾، فأفرد في البقرة الوصف، وجُمع في آل عمران فقيل: ﴿معدودات﴾، والجاري عليه الوصف في السورتين قوله: ﴿أياماً﴾، بلفظ واحد. فيسأل عن موجب اختلاف الوصف[2] فأقول إنّ المجموع[3] بالألف والتاء منحصر في أربعة أضرب: ثلاثة متفق عليها، والرابع مختلف فيه.

فأما الثلاثة فكل عَلَم مؤنث، نحو: هند، ودَعْد. وكل ما فيه تاء التأنيث، لمذكر كان أو لمؤنث، عاقل أو غير عاقل، نحو: طلحة، وحمزة، وشجرة. وكل مصغّر لغير العاقل، نحو: دُرَيْهِمْ ودُرَيْهِمَات، وما أشبه ذلك، فهذه الضروب الثلاثة مُتَّفق عليها.

وضرب رابع مختلف فيه، وهو كل اسم مُكبَّر لغير العاقل، مذكراً كان أو مؤنثاً، لم يُسْمَع فيه عن العرب جمع تكسير، نحو: حَمَّام وحمّامات، وسِبَطْر وسِبَطْرات[4]، وجَمَلٌ سِبَحْل وسِبَحْلات[5]، وسُرَادِقٌ وسرادقات، وإِوَانٍ وإِوَانات[6]، ورِبَحْل ورِبَحْلات[7]. فإن سمع من العرب شيء من

---

(١) قوله تعالى: ساقط من ب.

(٢) م: اللفظ.

(٣) هكذا في ع، وفي بقية النسخ: الجموع.

(٤) السبطر: الماضي الشهم، وجمال سبطرات طوال.

(٥) السِّبَحْل: الضخم من الضَّبِّ والبعير والسقاء.

(٦) هـ، ج، ع: أذان وأذانات والإوان، والإيوان بكسر الهمزة الصفة العظيمة، والعمود من أعمدة الخباء.

(٧) ع، ج: زجل وزجلات.. ب: رحل ورحلات.. هـ: زعل وزعلات (هكذا) والربحل: كقِمَطْر، التام الخلق، أو العظيم الشأن من الناس والإبل.

هذا جمعَ تكسير لم يجز جمعه بالألف والتاء. قال سيبويه ـ رحمه الله ـ وقالوا: جُوَالِق وجُوَاليق[1]، ولم يقولوا جُواليقات، حين قالوا جواليق، يعني كسّروا. وقالوا في المؤنث عَيْرَاتٌ[2] حين لم يكسروها على بناء يكسّر عليه مثلها.

ثم إن صفة كل مؤنث جارية عليه في حكمه من التأنيث إلا أربعة أضرب: وهي: فَعْلاَ[ءُ] أَفْعَلُ، وفَعْلَى فَعْلاَن[3]، وما يشترك فيه المذكر والمؤنث من الصفات: كمِعطار،[4] ومِـذْكار[5]، ومِئْنـاثٌ[6] وما ينفـرد به المؤنث، كحائض وطامث. فهذه الضروب الأربعة لا يجمع شيء منهـا بالألف والتاء. وسائر ما يجري على المؤنث من الصفـات لا يمتنع من ذلك. ثم إن ما يُجْمَع جمع التكسير من مذكر غير العاقل[7]، قد يُتْبع بالصفة المفردة مؤنثة بالتاء، كما يفعل في الخبر. نقول: ذنوب مغفورة، وأعمال محسوبة. قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُـوعَة وأَكْـوَابٌ مَوضُـوعَة. وَنَمَارِق مَصفُوفَة. وزَرَابي مَبْثُوثَة﴾[8]. ومنه قوله تعالى مخبراً عن يهود: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَة﴾. ثم قد يجمع هذا الضرب[9]

---

(1) الجوالق: بكسر الجيم واللام، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وعاء، وجمعه جوالق وجواليق وجوالقات. انظر الكتاب ٣/٦١٥.

(2) هـ، ع، ج: عيدات. والعِيَرات كعنبات ويسكّن، وهي كل ما يُمْتَارُ عليه من الإبل أو الحمير، أو البغال.

(3) ج، ك، ع، هـ: فعلاء.

(4) المعطار: للرجل والمرأة بمعنى المعطّر أو المتعطر، والناقة الشديدة الحسنة أيضاً.

(5) المذكار: التي تلد الذكور، ويقال لها مُذْكِرٌ.

(6) ج، هـ، ب، ع: ميثاق، والمئناث التي عادتها ولادة الإناث.

(7) ج، ع: غير عاقل.

(8) الغاشية / ١٣ ـ ١٦.

(9) هـ، ج: الضروب.

بالألف والتاء، رَعْياً لمفرده وإن لم يكثُر، إلا أنه[1] فصيح. ومنه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾[2] [١٩/ظ] وإذا تبين ما ذكرناه وأنه الجاري الكثير[3] مع[4] ما وقع في آية البقرة من الإيجاز. وما في[5] الأخرى من الإطالة. ألا ترى قوله تعالى في آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا لَن تَمَسنَا النَّارُ إلا أياماً مَعدُودَاتٍ﴾ وفي البقرة: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ [إلا][6] أيَّاماً مَعدودة﴾. وإخباره تعالى باغترارهم بقوله: ﴿وغَرَّهُم في دِينِهِم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. وهذا بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم ولم يقع في سورة البقرة تَعرُّضٌ لشيء من ذلك بل أَوْجَز القول ولم يذكر سببه فناسب الإفراد الإيجاز[7] وناسب الجمع الإسهاب. ولو جمع في سورة البقرة وأفرد في سورة آل عمران أو أفرد فيهما[8]، أو جمع فيهما، لما ناسب. فورد كل على ما يناسب ويجب، والله أعلم.

٢٢ ـ الآية التاسعة عشرة قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ. وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا[9] بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٩٤، ٩٥).

---

(١) ج: لأنه.
(٢) البقرة / ٢٠٣.
(٣) ك: في الكثير.
(٤) ساقطة من ج ولا يستقيم النص إلا بها.
(٥) زيادة من ج.
(٦) ساقطة من كل النسخ، وما بعدها من الآية في ك فقط.
(٧) هـ، ب، ع: والإيجاز.
(٨) ج، هـ، ب: فيها.
(٩) ب: محذوف الى آخر الآية

وفي سورة الجمعة (٧): ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. فيُسأل عن تخصيص آية البقرة بقوله: ﴿وَلَن يَتَمنَّوه﴾[١]، وآية الجمعة بقوله: ﴿ولا يَتَمنَّونَه﴾، مع اتحاد الأخبار[٢] ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية البقرة، لما كان الوارد فيها جواباً لحكم أخروي يستقبل، وليس في الحال منه إلا زعم مجرد واعتقاد أن الأمر يكون كذلك، ناسبه النفي بما وضعه[٣] من الحروف لنفي المستقبل؛ لأن: لن يفعل؛ جواب: سيفعل. ولما كان الوارد في سورة الجمعة جواباً لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وذلك حكم دنياوي، ووصف حاليّ لا استقبال[٤] فيه، ناسبه[٥] النفي بلن[٦] التي لنفي ما يأتي من غير تخصيص إلا[٧] بغير الماضي. وقد تتعاقب مع ما[٨] التي لنفي الحال.

فإن قلت: فإن ما النافية أخص بالحال، فهي أنسب؟. قلت: قد يفهم من «ما» نفي مجرد الحال دون ما يتصل به، فقد يقول القائل: ما يقوم زيد، يريد ما يقوم اليوم، ولا يريد أنه لا يقوم غداً، و«ما» صالحة لهذا النفي[٩]، وهم إنما أرادوا أنهم أولياء مستمرون على ذلك، وأن تلك صفتهم في الحال، وما يليه إلى آخر حياتهم إذ ذلك هو الموجِب أن تكون لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس كما زعموا. فلما كان زعمهم هذا ناسب نفي دعواهم، وتكذيب زعمهم بحرف أَنصّ في نفي ذلك، وأنه لا يقع منهم التَّمَنِّي في حالهم ولا فيما بعده أبداً.

---

(١) سقط من ك (وآية ـ إلى ـ يتمنونه).
(٢) ب: فيسأل عن الفرق بينهما مع اتحاد الأخبار.
(٣) هـ، ج، ع، م: وصفه.
(٤) م. حالتي الاستقبال. . ج، ب، هـ: حالي الاستقبال.
(٥) هكذا في ك، وبقية النسخ: ناسب.
(٦) هـ: بلى. . ك، ب، ع، ج، بلا.
(٧ ـ ٨) ساقطتان من هـ، ع، ج.
(٩) هـ، ب، ج، ع: المعنى.

فإن قلت: إن قوله ﴿أبداً﴾ قد أحرز هذا؛ قلت: تأكيد ذلك أبلغ، فنفى بلن[1] وأكّد بالتأبيد، فجاء كل على عَليٍّ[2] البلاغة والله أعلم.

٢٣ ـ الآية الموفية عشرين قوله تعالى:

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذي [٢٠/و] جَـآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢٠).

وورد فيما بعدُ (١٤٥): ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وفي الرعد (٣٧): ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[3].

للسائل أن يسأل عما اختلف في هذه الآي مع اتفاقها[4] في مطالعها ومعناها. والجواب عن ذلك ـ والله أعلم بما أراد ـ أن الوارد في سورة الرعد لم يتقدم له من مرتكبات أهل الكتاب في كفرهم، وعنادهم مثل ما تقدم قبل الآية الأولى من سورة البقرة. ألا ترى أنه لم يذكر قبل آية الرعد من أمرهم في ذلك مفصحاً به إلا قوله تعالى[5]: ﴿وَمِنَ الأحزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعضَه﴾، على قول من قال: إن المراد بالأحزاب هنا أهل الكتاب وهذا بعد

---

(١) هـ: بلى. . ك، ب، ع، ج: بلا.

(٢) ج، م: كلٌ عليٍّ البلاغة. . ك، ب، ع: على أعلى.

(٣) ب: ولا نصير، وصوابها ما أثبتناه.

(٤) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما وجه اختلافها مع اتفاقها في مطالعها).

(٥) الرعد / ٣٦.

مِذْحَتِهِ[1] من آمن منهم بقوله تعالى: ﴿والذِين آتيناهُم الكِتَابَ يَفرَحُون بِمَا أُنْزِلَ إليكَ﴾، وهم عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ وأمثاله ممن آمن، ثم أتبع بقوله: ﴿وَمِنَ الأحزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾[2]. يريد ـ والله أعلم ـ ومن أحزابهم[3] على [قول] من قال ذلك، كما تقدم. فلما لم يتقدم بسط ذكرهم وأوجز[4] الكلام واكتفى بالإيماء ناسبه إيجاز التحذير[5] من حالهم، فقال تعالى: ﴿وَلَئِن اتبَعْتَ أهْوَاءَهُم بعد مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ولا وَاقٍ﴾، فجيء بما وهي[6] أوجز من الذي لفظاً ما لم يقترن بها ما يقتضي التوسعة في معناها حسبما يتبين بَعْدُ.

وقيل: ولا واق، وذلك أوجز من قوله في آية البقرة: ﴿ولا نصير﴾ لفظاً ومعنى. فورد هذا كله موجزاً ليناسب ما قبله. ولما تقدم قبل الآية الأولى من سورة البقرة عدة آيات في بسط أحوالهم، وقبيح مرتكباتهم، [كان] أقرب[7] ذلك إلى الآية المقصود توجيه[8] الوارد فيها قوله تعالى عنهم: ﴿وقَالَ الَّذِين لا يَعلَمُون لولا يُكلمُنا الله أو تَأتِينَا آيَةٌ ـ إلى قوله ـ يُوقِنُون﴾[9]، ثم عرَّف من حال الكتابيِّين[10]، وبُعْدِهم عن الإيمان بقوله: ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾[11]. فبعد هذا

---

(١) ج: مِذْحَتْهُم. ب: مِذْحة.
(٢) سقط من ب بانتقال النظر: (بعضه على قول من قال ـ إلى ـ﴿ ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾).
(٣) ج: ومن أحزابهم من قال. هـ، م، ك، ب: ومن أحزابهم، على من قال.
(٤) ع: ووجز.
(٥) ج، هـ، م: التجريد. ع: التحديد.
(٦) هـ، م ب: هي بدون الواو.
(٧) ب: أفرد. ج: مكانها بياض.
(٨) هـ، م: المقصود توجب. ب: المقصود فوجب. ج: المقصودة وجب.
(٩) البقرة / ١١٨.
(١٠) ك: حال أهل الكتابين.
(١١) البقرة / ١٢٠.

الإطناب في وصفهم قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أهوَاءَهُمْ بعدَ الذي جَاءَكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وليٍّ ولا نَصِيرٍ﴾. وهذا مناسب لما قبله من الإطْنَابِ لفظاً، كما أن آية الرعد مناسبة لما قبلها، لإيجاز لفظ «ما» فإنها على حرفين؛ وأما «الذي» فعلى خمسة أحرف. ثم إنَّ معنى «نصير» أوسع من حيث إن «فعيلا» من أبنية المبالغة فيعطي كثرة، «وفاعِل» [٢٠/ظ] ليس كذلك. ثم إنَّ لفظ: «واق»، أوجز فقد تبيَّن فرقان ما بينهما، وناسب الإسهابُ الإسهابَ، والإيجازُ الإيجازَ. ولما ذكر بعد هذه الآية من مرتكبات أهل الكتاب وعنادهم ما بَسَطَتْه الآي بعد، وجاء قوله بعد: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِنْ بَعد مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إنَّكَ إذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾، بعد إطناب زائد، وتعريف بأكثر مما تقدم، وردت المتكررة، مُرَاعًى فيها ذلك، فجيء فيها بِمِنْ التي للغاية أو لابتدائها، والمقصود أَوْفَى[1] وَأَمْعَن، وجيء بـ «ما» عوضاً عن الذي لأنها هنا بسياقها بعد مِنْ كيفما قدرتها، مِنْ موصولية، أو موصوفية تعطي الاستيفاء وتقتضيه، فروعي[2] معناها، وروعي فيها تقدُّم لفظها. وقوله سبحانه: ﴿إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يتضمن أشد مما[3] يتضمن[4] نَفْيُ الولي والواقي والنصير. ألا ترى قوله سبحانه: ﴿وَٱلظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[5]. فقد انتفى هنا الوليّ والنصير مع زيادة الوصف بالظلم. وليس نفي الظلم حاصلاً من انتفاء الولاية والنصرة حُصُولَهُ بالذكر والتنصيص. فهذه الآية أبلغ من الآيتين فناسب ذلك زيادة الإطْنَابِ فيما قبلها. ولشدة موقعها، ما قدّم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم تنزيهه عن

---

(١) ج: أوفر.
(٢) هـ: فروعي في معناها.
(٣) م، ع، ج: ما.
(٤) ب: تتضمن، وكذا نظيرتها السابقة.
(٥) الشورى / ٨.

آتّبَاع أهوائهم فقال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُم﴾، فقد وضح افتراق المقاصد في إيراد[1] هذه الآيِ على الأنحاء الثلاثة، ويحتمل ذلك توجيهاً آخر إن ثبت أن آية الرعد من المَكّيِّ. وذلك لأن المُنْزَل[2] بعد المَكّيِّ زاده صلى الله عليه وسلم في علم أحكام شريعته، وغير ذلك مما لم يكن عنده، فترتيب الآي الثلاث بحسب الحاصل عنده صلى الله عليه وسلم، فكانت آية الرعد أوجزها مناسبة للحاصل قبل نزول سورة البقرة. ثم كانت آية البقرة الأولَى أبلَغ في الإسهَابِ لِمَا زاد بعد تلك الآية، ثم كانت الآية الثالثة أبلغ في ذلك لما زاد أيضاً ويمكن[3] التفات[4] التوجيهين، وربنا أعلم بما أراد.

٢٤ ـ الآية الحادية والعشرون (غ) قوله تعالى:

﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَٰكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١٢٥).

وفي سورة الحج (٢٦): **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.**

للسائل أن يسأل عن تخصيص سورة البقرة بقوله: **﴿والعاكفين﴾**، وتخصيص سورة الحج بقوله: **﴿والقائمين﴾**، مع اتحاد الأمر بتطهير البيت لمن ذُكِر في الموضعين.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن المراد بالقائمين [٢١/و] هنا ذَوُوا

---

(١) ج، هـ، ك، ع، ب: إفراد.
(٢) ج، ب، ع: المنزل من هذا المكي.
(٣) ج، ب، ع: ولكن.
(٤) هكذا في جميع النسخ ولعلها زائدة أو لعلها (اكتناف).

الإقامة والملازمة على صفة مخصوصة. وإذا أريد بالقائمين ما ذكر[1]، فهو[2] والعكوف مما يصحّ أن يعبَّر عنه بأحدهما عن الآخر، مع أن لفظ العكوف أخص بالمقصود، فيكون خصوص آية الحج بقوله: ﴿والقَائِمين﴾ لتقدم ذكر العكوف متصلاً بالآية، وقع الاكتفاء بذلك وعدل عن التكرار الذي من شأن العرب العدول عنه إلا حيث يراد تعظيم أو تهويل، نحو قوله تعالى: ﴿الحَاقَّةُ. مَا الحَاقَّةُ﴾ [3]، وشبهه[4].

ولَمَّا لم يقع ذكر العكوف قبل آية البقرة ولا بعدها، وهو مراد لكونه أخص بالمقصود لم يكن بدٌ من الإفصاح به[5]، وكأن قد قيل في آية الحج: والقائمين معتكفين فأغنى[6] ذكره[7] متقدماً عن الإتْيَانِ به حالاً مُبَيِّنَة. وأغنى قوله في آية البقرة: والعاكفين، عن قوله: والقائمين[8]، لأن العكوف الملازمة، وهو المراد بالقيام فورد كل على ما يجب ويناسب.

وقوله: ﴿والرُّكَّع السُّجود﴾ يراد به المصلُّون. ومن قال: إن المراد بقوله: «والقائمين» المصلُّون، فوجهه أن ذكر العكوف قد حصل فيما تقدم فاكتفى به[9] ولم يكن وقع قبل آية البقرة ولا بعدها فلم يكن بدّ من ذكره. وعبّر عن المصلين بالركَّع السجود، وتحصل أنه المقصود في الآيتين، وَوَرَدَتَا على ما يجب ويلائم، والله أعلم[10].

(١) ساقط من هـ، ك، ع، ب، م: «ما ذُكِر».
(٢) ك: هذا.
(٣) الحاقة / ١، ٢.
(٤) ك، ب، ع: وشبه ذلك.
(٥) زيادة من ج.
(٦) هـ، م، ب: وأغنى.
(٧) هكذا في ج، وفي بقية النسخ: ذكرهم، والصواب الإفراد لعودة الضمير الى العكوف.
(٨) بالواو في ج، وبقية النسخ بدونها.
(٩) هـ، م: فيه.
(١٠) زاد في ك: بما أراد.

٢٥ ـ الآية الثانية والعشرون قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (١٢٦).

وفي سورة إبراهيم (٣٥): ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فنكّر في سورة البقرة، وعرّف في سورة إبراهيم بأداة العهد؛ فيسأل عن ذلك. ووجهه ـ والله أعلم ـ أن اسم الإشارة الذي هو هذا في سورة البقرة البقرة لم يقصد تبعيته اكتفاء بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿وإذْ جَعلنَا البَيتَ مَثَابَةً للنَاسِ وأَمْناً﴾[1]، وقوله: ﴿وعَهِدْنَا إلَى إبرَاهِيم وإسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بيتِي للطَائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ ـ الاية[2]، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، لا سيما بما تقدم من قول إبراهيم عند نزوله بولده بحرم الله، ودُعَائِهِ أولاً بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِيَّتِي بِوَادٍ غَير ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ ـ الأية﴾[3]. فتعريف البيت تعريف للبلد[4] فورد اسم الإشارة، غير مفتقر إلى التابع المبيِّن جنسَه[5] في أسماء الإشارة، اكتفاء بما تقدمه مما يحصل منه[6] مقصود البيان فانتصب «بلداً» مفعولاً ثانياً، و«آمناً» [٢١/ظ] نعتاً له[7]، واسم الإشارة مفعولاً أول غير محتاج إلى تابع لقيام ما يقوم مقامه. ولو تعرّف لفظ بلد[8] بالألف واللام، وجرى على اسم الإشارة، لم يكن ليحرز بياناً زائداً على ما تحصّل مما تقدم، بل كان يكون كالتكرار. فورد الكلام على ما هو أحْرَزَ للإيجاز، وأبلغ في المقصود، مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب.

(١، ٢) البقرة / ١٢٥.
(٣) إبراهيم / ٣٧.
(٤) م، هـ البلد.
(٥) ب: جنسيته، ج، ع: حينئذ.
(٦) ساقط من ج، ك، ع، ب.
(٧) ك، ع: نعت.
(٨) هـ: بعد.

وأما آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة فقام التابع المعرَّف بجنس ما يُشَار إليه، فلم يكن بدّ من إجراء البلد عليه تابعاً له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب، عطف بيان على قول الخليل[1]، ونعتاً[2] على الظاهر من كلام سيبويه، وانتصب اسم الإشارة المتبع على أنه مفعول أول، وآمناً على أنه مفعول ثان، ولم يكن عكس الوارد يحسن[3] ولا يناسب.

وقيل في الوارد في سورة البقرة أنه أشار إليه قبل استقراره بلداً، فأراد جعل هذا الموضع أو هذا المكان بلداً آمناً واكتفى عن ذكر الموضع بالإشارة إليه، واسم الإشارة على هذا مفعول أول، و«بلداً» مفعول ثان، و«آمناً» نعت. وأشار إليه في سورة إبراهيم بعد استقراره بلداً، فجرى البلد على اسم الإشارة نعتاً له، وآمناً مفعول ثان. قال صاحب الدرة: وهو عندي بعيد، إذ ليس بمفهوم من لفظ الآي، وهو بعدُ ممكن والله أعلم.

٢٦ ـ الآية الثالثة والعشرون (غ) قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (١٢٩).

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، رائد علم العروض العربي، وصاحب أول معجم لغوي صوتي يجمع المفردات صوتياً ابتداء بحروف الحلق واسمه (كتاب العين) والخليل من رؤوس نحاة البصرة ت / ١٦٠. انظر: مراتب النحويين / ٥٤، إنباه الرواة ١ / ٤٤ طبقات النحويين واللغويين / ٤٧، نزهة الألباء / ٢٩، الوفيات ١/١٧٢، إنباه الرواة ١/٣٤١، الحور العين /١١٢، السيرافي / ٣٨.

(٢) ك: أو ـ نعتاً.

(٣) ك، ب: ليحسن.

وفي آل عمران (١٦٤): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وفي الجمعة (٢): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّـنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾. فقدم في الأولى: ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأخَّر: ويزكيهم، وورد في السورتين بعد على العكس من ذلك.

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك[1]. والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنه لما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها، وإنما تحصل[2] لهم تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يُمْنَحُونَه في التعليم وما يُتْلى عليهم من الآيات؛ لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال، إذا وُفِّقُوا للانقياد له. ألا ترى ارتباط [٢٢ / و] التزكية بأعمال الطاعات، قال تعالى: ﴿خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وإنما كانت تزكية لهم بانقيادهم للطاعة فيما يطلبهم به من ذلك ويأخذه منهم فتأخر ذكر التزكية المسبَّبة عما به تحصل، وذلك بعد هدايتهم للإيمان، فجاء على الترتيب من بناء المسبَّب على سببه.

ولما كان مقصود الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وُجِدَ منهم، والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم عليه السلام أخَّر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلان إضلالهم، ليكون يَتْلُوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علَّمهم، وأعطاهم وَامْتَنَّ عليهم وهو ثاني المسبَّبين[3]، فكأنَّ الكلام في قوة أن لو قيل ويعلّمهم ما به زوال

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك).

(٢) هـ، ب، ع، ج: يحصل.

(٣) ج: السببين.

ضلالهم، وأخر في هاتين الآيتين ذكر السبب لِيُوصَل[1] بمسبَّبه[2] الأكيد[3] هنا الذي قد كان وقع، وهو رفع ضلالهم وإنقاذهم[4] من عظيم محنته، ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا. فاختلاف الترتيب هنا إنما هو بحسب اختلاف القصدين[5]، فروعي[6] ما ذكر فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٢٧ ـ الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤).

فللسائل أن يسأل عن وجه تكرار[7] هذه الآية بنصها فيما بعد[7].

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنهم لما تعلقوا بأسلافهم ممن كان على سَنَن إبراهيم وإسرائيل ومن كان فيهم من الأنبياء عليهم السلام، وظنوا أن تعلقهم بهم نافع لهم، قيل لهم: لن[8] ينفعكم إلا عملكم. وأما التعلّق بأولئك من غير اقتداء بهم ولا اهتداء يهديهم فليس بنافع؛ بل لهم عملهم ولكم عملكم، ﴿تِلكَ أُمةٌ قد خلَت﴾ ـ الآية. ثم لما قُرّروا على ما يعتقدون فيهم، وقيل لهم: أتقولون أنهم كانوا على كذا[9]، ليس على ما ظننتم،

---

(١) ج، ع: لوصل.
(٢) ج، ب، ع: مسببه.
(٣) ج، ب، ع: الآكد.
(٤) ج: انقيادهم.
(٥) ج، ب، ع: المقصدين.
(٦) ك: وروعي.
(٧) الآية / ١٤١.
(٨) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر).
(٩) ك: على كل.

أنتم أعلم أم الله، فهل أظلم منكم، إذ قد علمتم تحريفكم واجترامكم. وبعد هذا فكُلٌّ مطلُوبٌ بنفسه وما اجْترحَه، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ـ الآية. فتكريرها لتنوع[1] ما نُصَّ عليهم من مرتكباتهم الدائرة على جامع واحد من تعلق التخيل[2] بهم مع مخالفتهم فيما كانوا عليه. وسنزيد هذا بياناً إن شاء الله.

٢٨ ـ الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى:

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (١٣٦).

وفي سورة آل عمران (٨٤): ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ[3] مِن رَّبِّهِمْ﴾.

[٢٢/ظ] في هذا ثلاث سؤالات: [الأول]، قوله[4]: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، و[الثاني] قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، وما عدّى بعده بإلى، وفي الثانية: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، وما عدّى بعده بعلى. [و] الثالث قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وفي الثانية: ﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

والجواب عن الأول أن قوله تعالى: ﴿قولوا﴾، أمر لجميع المخاطبين

(١) ج، ك، ب، ع: فتكرير هذا التنوع.
(٢) ج، ع: تخيل التعلق.
(٣) في جميع النسخ بقراءة نافع: النبيئون مهموزة.
(٤) ب: (يقال ما وجه قولوا) في موضع (في هذا ـ إلى ـ قولوا).

المقصودين بها. وأما قوله: ﴿فقل﴾ فأمر[1] للنبي عليه الصلاة والسلام، فلحق ضمير الجمع أولاً لخطابهم، ولَمْ يلحق ضمير الشاني[2] لإفراد الخطاب، وضمير الواحد لا يَبرُزْ.

والجواب عن الثاني أن قوله في البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، لما قيل قبله ﴿قولوا﴾، وهو أمر للرسول ومن اتّبعه على التشريك[3]؛ كالوارد في قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ والمُؤْمِنُونَ﴾. ثم قال: ﴿وقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[4]، فشرك بينهم، وأخبر سبحانه أن الجميع قالوا ذلك، وكذا[5] أَمَر هنا جميعهم فقال: ﴿قولوا﴾. وإذا كان الأمر للجميع، وجرى على حقيقته فإنما أُنزِلَ إليهم لأن المُنـزَل عليه حقيقة هو الرسول لا المؤمنون. وإذا قلنا أنزل على المؤمنين فمجاز، كما أنّا إذا قلنا: أنزل إلى الرسول لم يقع موقع أنزل عليه، وإن[6] كان كل منهما جائزاً، إلا أنّا إذا أخذنا الكلام على ألاَّ[7] تضمين ولا تقدير، فإنما نقول أنزل على الرسول وأنزل على المؤمنين مع فصاحة[8] ﴿أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ﴾، وورودِه في القرآن.

فلما قال في سورة البقرة: ﴿قولوا﴾، وأمر الجميع ناسبه (إلينا) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنـزِلَ إلَيْكُم﴾؛ حين خوطب

---

(1) ج، ع: أمر.
(2) ج، ك، ع: في الثاني.
(3) هـ، م، ب: التشريف.
(4) البقرة / ٢٨٥.
(5) هـ، ج، ب: وكذلك.
(6) ج، ع: إذا كان.
(7) جميع النسخ: أن لا.
(8) ج، ب: فصاحته.

الجميع. ولما قال في آل عمران: ﴿قل﴾، وكان[1] الخطاب للرسول ناسبه (علينا)، لأنه أنزل عليه، فجاء كل على ما يجب.

والجواب على السؤال الثالث؛ أن زيادة قوله في البقرة: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وسقوط ذلك في السورة[2] الأخرى. وجه ذلك أن الأمر في البقرة لما كان للرسول وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم، وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وإيمانهم[3] بالجمع تأكيد مقالهم، وتثبيت اعتقادهم فقالوا وما أُوتي النبيون من ربهم.

ولما كان توجُّه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله: ﴿قل﴾، خاصاً به، وبعد ذلك وقع التعميم؛ ناسب عدم التأكيد لتنزه الرسول عليه السلام حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد الرسل.

٢٩ ـ الآية السادسة والعشرون قوله تعالى:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١٤٤).

وقال بعدُ[4] (١٤٩، ١٥٠): ﴿وَمِنْ حَيْثُ [٢٣/و] خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

---

(١) هـ، ك: فكان.
(٢) ج: في السورتين.
(٣) ك: وسجل ايمانهم.
(٤) ب: وقال تعالى.

تَعْمَلُونَ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواوُجُوهكُمْ شَطْرَهُ﴾.

للسائل[1] أن يسأل عن الوجه فيما تكرر في هذه الآيات[2] من الأمر بالتولي وهل ذلك لحامل من المعنى أم لا؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن كل قضية تكليفية إن كانت مما يتأكد فإنها تَرِدُ ملحوظة الجهات[3] منبِّهاً[4] على ما يَحُوز[5] مطلوبها على الكمال، مدفوعاً عنها ـ وإن ضعفت ـ طوارق الاحتمال اعتناء منه سبحانه بهذه الأمة لتحصيل سلامتها من الإصْر[6] المحمول على مَن قبلها. ألا ترى أن بني إسرائيل إنما لحقهم الامتحان في أمر البقرة من جهة الإطلاق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَة﴾[7]، فورد[8] الأمر مطلقاً مع ما جُبِلَتْ عليه نفوسهم من التثاقل في تَلَقِّي الطاعات من المأمورات فتابعوا طلباً لتحرير المطلوب وشَدَّدُوا فشُدِّد عليهم وهذا مما حُفِظَتْ منه[9] هذه الأمة. ألا ترى قوله تعالى في فرضية الصيام: ﴿يا أَيُّهَا الذين ءامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّـذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ـ الايات[10] كيف حُدَّ بشهر، وعُيِّن بالتسمية، وبُيِّن وقت الإمساك لضبط طرفيه، وبُيِّن لهم حال

(١) ج، ع: فللسائل.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر هذه الأيات).
(٣) ج، ع: للجهات.
(٤) ك: منها.
(٥) ك: يحرز.
(٦) ج، ع: الأمر، م: الأجر.
(٧) البقرة / ٦٧.
(٨) هـ، م: فرد.
(٩) هـ، ك: فيه.
(١٠) البقرة / ١٨٣ ـ ١٨٥.

المرض[1]، وحال السَّفر، وأمروا[2] بتكميل العدة على ما أوضح الشرع، إلى غير ذلك مما يحصل به على المطلوب؛ فيرفع[3] حكم الإطلاق الداخل منه الاختلاف بالاحتمال[4]. فكل[5] هذا أو أكثره قبل أن يُسْألوا. وكذا جرى في أمر القبلة عند التحويل بقوله تعالى في أول الأمر بالتوجّه [6] قِبَلَ البيت: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحرام﴾ وإن كان قد تقيد بالأداة المعيِّنة للجهات [7]، فإن فيه احتمالاً أن يكون خاصاً به [8] صلى الله عليه وسلم، أو عاماً له ولأمته. فإن قيل: قد عُلِم من قِبَلِهِ صلى الله عليه وسلم أن حُكمَه على الواحد حُكْمٌ على الجميع؛ وأن الخطاب خطاب له ولأمته، وذلك كله مما لم يرد [به] تخصيص. فجوابنا عن هذا أنَّ الكلام في هذه الآية[9] ليس خاصاً بمن سَلَّم القواعد المستقرأة[10] من الكتاب والسُّنَّة وإنما كلامنا مُعتَمَدٌ فيه القطع لذوي الزيغ والارتياب ممن يتعلق بما تشابه منه طعناً في الدين، واتِّباعاً لسبيل الملحدين. وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك.

وعلى هذا نقول: إنَّ قوله تعالى: ﴿فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، ثم [إتْبَاعُه][11] بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾،

---

(1) ج، هـ، ب، ع: المرضى.
(2) ب: بدون الواو.
(3) ج، ك، ع: فيرجع.
(4) ك: للاحتمال.
(5) ك: وكل.
(6) ج، ع: بالتوجيه، ك: بالتوحيد.
(7) ج، ع: بالجهات، ك: للجهة.
(8) ساقط من ج، ب.
(9) ك: الايات.
(10) ج، ب، ع: المستقرآت.
(11) في جميع النسخ: أتبع.

أمر بدفع احتمال خصوصه صلى الله عليه وسلم دون أمته [٢٣/ظ] بالأمر بالتولي، ثم تحصّل[١] مع هذا من قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾، أنّ ذلك لا يختص[٢] بمكان دون مكان، ثم تَبَقّى[٣] احتمال نذكره وما يزيله بعد.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فإعلام له صلى الله عليه وسلم بتسوية[٤] حالَيْ[٥] الظعن[٦] والإقامة، وأنه إنْ خرج عن المدينة مسافراً فحاله حيث توجه[٧] كحاله في المدينة مقيماً. ولم يكن هذا ليحصل نصاً لا احتمال فيه مما تقدم من[٨] الأمر، فقد حصل من هذا ما لم يحصل نصاً مما تقدم. وقوله بعد: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هذا مما كُرّر لا لمجرد[٩] التوكيد[١٠]، وإن كانت القصة لها تعلق بيهود[١١] وإنكارهم التحويل، فالتأكيد يلائم، ولكن ذكر ليحصل منه التوكيد، وبناء ما[١٢] بعده عليه من قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. والمراد بهذا وحيث ما كنتم من البلاد والمواضع التي خرجتم إليها حيث كانت من الأرض كلها.

---

(١) هـ، ك، ب: يحصل.
(٢) ك: يخص.
(٣) هـ، ك، ب: يبقى.
(٤) هـ، ب: بتسويتي.
(٥) ج، م، ب، ع: حالَتَيْ.
(٦) ج: الضعن.
(٧) هـ، ب: توجد.
(٨) ج: ومن - بواو العطف.
(٩) هـ، م، ك: بمجرد.
(١٠) ج، ع، هـ: التولية وزاد في ب بعدها (ومَن وَالَى).
(١١) ج، هـ، م، ع: ليهود.
(١٢) ساقطة من ج، ب.

فإن قيل: إن هذا قد تقدم حيث ذكر هذا اللفظ بعينه الذي هو: ﴿وحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ﴾ فالجواب[1] إن ذلك محتمل أن يراد به: وحيث ما كنتم من نواحي المدينة وما يرجع إليها، إذ لم يتقدم ذكر الخروج عنها كما تقدم هنا. فارتفع بهذا التكرار، ذلك الاحتمال المتقدم مع انجرار التوكيد.

فإن قيل: فقد[2] تكرر قوله أخيراً، ﴿ومن حَيْثُ خرجت فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قلت: لما أُعقِبَ[3] قوله أولاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ خرجت فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ[4] الْحَرَامِ﴾، بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا الله بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾ وجاءت هذه الآية، بين آية الأمر من قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وبين ما شأنه أن يكون مبنياً[5] عليها من قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. فلما تباعد عنها كُرِّر[6] توكيداً، ولينبني عليه ما ينبغي اتصاله به. وهذا كقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّم وكُنتُم تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[7] فأعيد (أَنَّكُم) تأكيداً[8] ولينبني عليه الخبر. وكذا أعيد قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، لينبني عليه: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

وبهذا اللحظ لم يتكرر شيء في الآية لمجرد تأكيد، بل كلٌّ مما يفيد

---

(١) ج، ب: فالواجب.
(٢) ك: قد.
(٣) ج، هـ، م، ب، ع: أَعْقَبْتَ.
(٤) سقط من ج: (قلت ـ إلى ـ شطر المسجد).
(٥) ك: مبيناً.
(٦) هـ: كرَّرا.
(٧) المؤمنون / ٣٥.
(٨) سقط من ج بانتقال النظر (ولينبني عليه ـ إلى ـ أنكم تأكيداً).

تكراراً[1] مفيداً معنى لم يحصل مُحْرَزاً مما قبله، ووضح التناسب في ذلك كله والله أعلم.

٣٠ ـ الآية السابعة والعشرون (غ) قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي [٢٤/و] فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (١٦٤).

وفي سورة العنكبوت (٦٣): ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. وفي سورة الجاثية (٥): ﴿وَاخْتِلَـٰفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختصاص[2] آية العنكبوت بِمِن دون الأخيرتين. وعن قوله في سورة الجاثية ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السماءِ مِن رِّزْقٍ﴾ فسمى الماء النازل من السماء رزقاً بخلاف ما في آية البقرة والعنكبوت.

والجواب عن الأول أن زيادة (مِنْ) في قوله في العنكبوت: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِها﴾ زيادة بيان وتأكيد نوسب به ما تقدم من قوله: ﴿مَن نَزَّلَ﴾ فإن بنية «فَعَّل» للمبالغة والتكثير. وذلك مِمّا يَسْتَجِرُّ البيان والتأكيد فنوسب بينهما. ولما لم يقع في الآيتين الأخريين[3] إلا لفظ[4] أنزل، ولا مبالغة فيها ولا

(١) ك: مما يظن تكراراً يفيد، وفي ب: مما يظن تكراراً مفيداً.
(٢) ب: صيغة السؤال (ما وجه اختصاص...).
(٣) ج، هـ، ع: الأخيرتين وفي م: الأخرتين.
(٤) ج: لفظة.

تأكيد، ولا انجرّ في الكلام ما يعطيه لم يكن فيها ما يستدعي زيادة (مِن) ليناسب بها، فلم تقع[1] في الآيتين. ولو قدّر ورود العكس الواقع بزيادة (من) في آيتي البقرة والجاثية، وسقوطها من آية العنكبوت، لما ناسب ذلك أصلاً؛ فوضح تناسب الوارد وامتناع خلافه.

والجواب عن[2] الثاني، أن آية الجاثية لما تأخرت في الترتيب الذي استقر عليه القرآن، كانت مظنة البيان وإنما الرزق عن الماء. قال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيتُونَ والنَّخِيلَ وَالأعنَابَ وَمِن كلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِن السَّمَاءِ مَاءً مُبارَكاً فأنبتْنَا بِهِ جنّات وحَبَّ الحَصِيد. والنَّخْلَ باسِقَاتٍ لهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾[4]. فقال في سورة الجاثية تسمية للماء بما عنه يتسبب، ويكون مبالغة في بيان ما تقدم، كما قال تعالى: ﴿وَفي السَّمَاءِ رِزقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ﴾[5].

٣١ ـ الآية الثامنة والعشرون قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ (١٧٠).

وفي سورة لقمان (٢١): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾.

---

(١) ج، ع: يقع.
(٢) ساقط من هـ، م، ب.
(٣) النحل / ١١.
(٤) ق / ٩ ـ ١١.
(٥) الذرايات / ٢٢.

فللسائل أن يسأل عن الفرق ووجه اختصاص[1] كل من الموضعين بالوارد فيه.

والجواب أن يقال[2]: ألْفَى بمعنى وجَد التي في قولهم: وجَدتُ الضَّالَّة، فيتعدّى إلى واحد، ولا يقال ألفى بمعنى وجد التي بمعنى علِم، متعدياً إلى اثنين[3]. ولا يقع منتصباً بعد مفعوله في مثل قولك: ألفيت [٢٤/ظ] زيداً عالِماً، فإنما انتصابه على الحال بدليل أنه لا يوجد إلا نكرة فوجد لفظ مشترك بمعنى العلم، وبمعنى العثور على الشيء الذي هو الوجدان. تقول من هذا: وجدت الضالة، أي عثرت عليها. وإذا تقرر هذا فنقول إنه قد تقدم قبل آية البقرة قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا في الأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[4]، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بالسُّوءِ والفَحْشَاءِ وأَنْ تَقُولُوا على اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5] وخطوات الشيطان وأمره أهواء مضلة. وذلك كله في طرف نقيض من مقتضى العلم. وحصل من هذا أن الشيطان هو الذي يأمرهم، ويدعوهم إلى أن يقولوا[6] على الله ما لا يعلمون، فحصل[7] من هذا أنه لا علم عندهم، ولا تَوهُّم علم، وأنهم اعتمدوا اتباع آبائهم فيما يأمر به[8] الشيطان، فناسب هذا

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن الفرق ووجه تخصيص...).

(٢) ساقط من م.

(٣) مجيء ألفي بمعنى وجد، وفي تعديتها إلى مفعولين خلاف. أنظر: البحر المحيط ٣٧٧/١، الكشاف ٢٥٠/١، جامع البيان ٣٠٦/٣، شرح شواهد المغني / ٣١٦، الخزانة ٥٥٤/٤، الكتاب ١٦٩/١، ومن شواهده قول أبي الأسود:

فألفيتُه غيرَ مستعتِبٍ ... ولا ذاكرَ اللهَ إلّا قليلا

في المصادر المذكورة وفي ديوانه / ٤٩.

(٤) آية / ١٦٨.

(٥) آية / ١٦٩.

(٦) ب: تقولوا.

(٧) ب: وحصل.

(٨) ساقط من ج.

قولهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيهِ ءَابَاءَنَا﴾؛ لأن ما ألْفوْا عليه آباءهم وِجْدانٌ لا علم معه حاصلاً، ولا متوهَّماً، فناسب جوابهم ما عليه حالهم، وما هم عليه.

ولما تقدم في سورة لقمان قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1]، فحصل ذكر علم وإن كان منفياً، ولأن جدالهم منبىء أنهم توهموا أن ذلك علم، وأنهم على شيء. فقد حصل من مجادلتهم أنهم يظنون أنهم على علم، كما قال تعالى: ﴿ويَحْسَبُونَ أَنَّهُم عَلَى شَيْءٍ﴾[2]، ولا يجادل إلا متعلّق بشبهة يظن أنها علم، فناسب[3] قوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿بَل نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيهِ ءَابَاءَنَا﴾، لاشتراك لفظ (وجد)؛ إذ يكون[4] بمعنى العلم.

وجواب ثان: وهو[5] أن ألفى أكثر حروفاً من وجد، فناسب لفظ ألفى طول آية البقرة، وناسب لفظ وجد إيجاز آية لقمان، مراعاة لفظية ملحوظة في البلاغة، فحصل التناسب في اللفظ والمعنى والله أعلم بما أراد[6].

٣٢ ـ الآية التاسعة والعشرون[7] قوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَاشْكُرُوا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ

---

(١) لقمان / ٢٠.
(٢) المجادلة / ١٨.
(٣) ك: فناسبه.
(٤) هـ، م، ك: أن تكون.
(٥) ك، ج، ع، ب: بدون واو.
(٦) بما أراد ـ ساقط من ج، ب، ع.
(٧) يقابلها في الدرة الايتان: الخامسة عشرة، والسادسة عشرة.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٢، ١٧٣).

وجاء في ثلاثة مواضع، ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾. أوّلها في سورة المائدة (٣): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيرِ الله بِهِ﴾[1]. والثاني في سورة الأنعام (١٤٥): ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[2]. والثالث في سورة النحل (١١٤، ١١٥): ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهَ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ [٢٥/و] وَمَآ أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

يتعلق بهذه الآي خمس سؤالات:

أحدها: تقديم المجرور الذي هو «به»[3] في سورة البقرة وتأخيره فيما سواها.

الثاني: تخصيص آية البقرة بقوله: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

الثالث: تخصيص آية الأنعام بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الرابع: زيادة ما زيد في آية المائدة من المحرّمات.

الخامس: تخصيص آية المائدة بقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.

---

(١) بقية الآية: ﴿والمُنْخَنِقَةُ والموقُوذَةُ والمُتَرَدِّيَةُ والنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَـٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليومَ أَكْمَلْتُ لكم دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورضيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢) بقية الآية: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(٣) ساقط من ع.

والجواب عن الأول أن العرب مهما اعتنت بشيء، أو قصدت به قصد زيادة من تأكيد، أو تشريف؛ قدَّمَتْه أو قَدَّمَتْ ضميره. وليس من كلامهم إجراء هذه الأغراض مجرى غيرها، فلكل مقام مقال. ألا ترى قول قائلهم: إيَّاكَ أَعْنِي، وقول مجاوبه: وعنْكَ أُعْرِضُ. وأنشد سيبويه ـ رحمه الله تعالى: (رجز).

لتقْرَبُنَّ قَرَباً جِلْذِيّاً [(1)]

مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ [(2)] حَيّا[(3)]

فتقديم[(4)] فيهن يحرز معنى لا يحرزه التأخير. قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[(5)]. وبَسْطُ هذا في مَظَانِّه. وقال تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ[(6)] فَلْيَفْرَحُوا﴾[(7)]. وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(8)] وهو كثير في المُضْمَرات، والظروف والمجرورات. ومن نحوه قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[(9)]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ﴾[(10)] ولكون هذا

---

(1) في جميع النسخ بالدال المهملة وصوابها بالمعجمة.

(2) في جميع النسخ فصيلاً.

(3) البيتان من رجز لابن ميادة بقيته: فقد دجا الليل فهيا هيا.
وقد صرح بهذه النسبة ابن السيرافي، وابن خلف. انظر: ديوانه / ٢٨١، الخزانة ٤/ ٥٩، شرح المفصل ٤/ ٣٣، ٧/ ٩٦، ١١٥. واللسان (جلذ، دوم، هيا) وغير منسوب في كتاب سيبويه ١/ ٥٦.

(4) ج: بتقديم.

(5) الإخلاص / ٤.

(6) ج: هذا لك، وصوابها ما أثبتناه.

(7) يونس / ٥٨.

(8) الفاتحة / ٥.

(9) يوسف / ٢٠.

(10) الشعراء / ١٦٨.

في صلة الموصول، تكلف بعض النحويين في تعلقه تقدير[1] اسم فاعل يفسِّره[2] ما بعد الموصول، وإذا حُقِّق رجع إلى[3] الأول. قال سيبويه ـ رحمه الله ـ كأنهم يقدمون الذي هو أهم، وهم ببيانه أعْنَى. وآيـة البقرة قد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، فورد تعريفهم بذكر ما أُبِيحَ لهم وُرُودَ ما[5] يُقْصَدُ إيجابُه، وقد بيّنه[6] وإن كان إنما يراد به هنا الإباحة مُفتَتِحاً بنداء المخاطبين ومعقباً فيه ما أُعْلِمُوا بإباحَتِه لهم الأمر بالشكر لجليل تلك النعمة وعظيم التوسعة فيهـا من قولـه: ﴿مِمَّا فِي الأَرْضِ﴾. وقوله: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، فلتوسعة الإحسان والإنعام ما أمروا بالشكر فلما تحصل بهذه المقاصد الجليلة ما ليس في شيء من تلك المواضع والآيات الأخَر، وخص ما ذكره بعد بما[7] حرّم عليهم بكلمة (إنَّما) المقتضية للحصر، والرافعة لضعف المفهوم حسبما تقرر في فن[8] الأصول، إذ ليس قوله: إِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ، مثل قوله: فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ العُشْرَ، وفي سَائِمَةِ الغَنَمِ، الزَّكَاةُ؛ في قوة المفهوم المسمى بدليل الخطاب[9].

فلما تحصّل في هذه الآية مما أشير إليه من تأكيد هذا المحرَّم ما ليس في الآي الأخر، ناسبه تقديم المضمر [٢٥/ظ] المجرور في قوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، ليكون الكلام بتقديم المجرور في قوة أنْ لو قيل: إنَّما

(١، ٢) ساقطتان من ج.

(٣) ساقط من ج، هـ، ع.

(٤) آية / ١٦٨.

(٥) ج، ع: وورد، ب: وورود.

(٦) ك، ب: أو ندبته.

(٧) ك: مما حرم.

(٨) هـ: في من، ج، ك، ب، ع: تقرر من الأصول.

(٩) انظر كشف الأسرار ١/ ٤٧ ـ ٥٠.

حُرِّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ والمُهَلّ[1] بِهِ لِغَيْرِ اللهِ. هذا مقصود الكلام، ولم يكن تأخير المجرور ليحرز هذا الذي قدّرناه[2] أوّلاً، ليناسب ما تقدم فجرى الكلام كله من أول القصة إلى آخرها على أسلوب من البلاغة ملحوظ في آخره أوّلُه.

أما الآي الأخر فليس فيها ما في هذه فتأخر[3] الضمير المجرور الى محلّه الذي هو موضعه، إذ لم يقصد هذا القصد ولم يكن ليلائمه التقديم. ولهذا[4] المجموع، وما جرى في الآية من الإطنَاب الجليل ما أعقب هذا الكلام بقوله: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ليناسب ما ذكر، ووقع الاكتفاء في غيرها بما فيها. كل ذلك على ما يناسب، وهذا هو الجواب عن السؤال الثاني.

والجواب عن السؤال الثالث، أن الله سبحانه لما قدم في آية الأنعام زَجْرَ من قدم ذكره، وتعنيفهم بقوله: ﴿أَمْ كُنتُم شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَـٰذَا. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[5]، أتبعه بقوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُه إِلَّا يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أو لَحْمَ خِنْزِير﴾[6]، ثم قال: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَ رَبَّكَ [غَفُورٌ رَحِيمٌ]﴾[7]. وهذا التفات، لأن الجاري على (لا أجد فيما أوحي إليّ) أن لو قيل: فإن ربي، أو فإن الله، فعدل إلى الخطاب التفاتاً فقيل: فإن ربك، لأن[8] الكلام إذا تنوع حرّك الخواطر إلى[9] تفهُّمِه فقال

(١) م: وما أهل به.
(٢) ك: قررناه، ب، ع، ج: قدمناه.
(٣) هـ: بتأخر.
(٤) ج: وهذا.
(٥) الأنعام/ ١٤٤.
(٦، ٧) الأنعام / ١٤٥.
(٨) ج، ك، ع: فإن.
(٩) ج، ع: التي.

تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾. ومع قصد الالتفات لم يعدل عن تخصيص الخطاب، لأنه موضوع تعنيف وزجر لمن تقدم. فورد الالتفات باسم الربوبية مع الإضافة إلى ضمير خطابه صلى الله عليه وسلم، ولم يقل: فإن الله؛ وكان يكون فيه الالتفات لما قصد فيه من نحو الوارد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَولَى لَهُمْ﴾[1]، وما ورد من مثله ليكون ذلك معرِّفاً بمكانته عليه السلام، ومحكِماً للإعراض عنهم، وعدم التفاتهم، وتناسب آخر الكلام وأوَّله.

والجواب عن الرابع والخامس، أن آية المائدة من آخر ما نزل فيها، فورد فيها استيفاء ما حكم بتحريمه وإلحاقه بالميتة، والدم، ولحم الخنزير، وأعقب الكلام بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾[2]، تتميماً لبيان حال المضطر، ومظنة الاضطرار زيادة على ما ورد في الآي الأخر ليرتفع ما عسى أن يكون باقياً فيها من إجمال أو إشكال ليجري[3] مع قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4].

٣٣ ـ الآية الموفية ثلاثين قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أُوْلَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ (١٥٩) [٢٦ / و].

وبعد هذه الآية بأزيد من عشر آيات (١٧٤): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

---

(١) محمد / ١١.
(٢) المائدة / ٣.
(٣) ع: لتجري.
(٤) المائدة / ٣.

إلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفي سورة آل عمران (٧٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

للسائل أن يسأل عن تخصيص آيتي[1] البقرة بذكر الْكَتْم بقوله في الآيتين معاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ وهؤلاء بالسابق من ظاهر الآية هم[2] المذكورون في[3] آية آل عمران، ولم يذكر فيها الكتم، وعن الاختلاف الواقع فيما ذكر في الآي الثلاث من الوعيد مع[4] البادي من اتحاد مرتكبهم، وعن تخصيص كل موضع من[5] هذه بما ورد فيه مرتكباً وجزاء، فهذه ثلاثة أسولة.

والجواب عن الآيتين الأوليين ـ والله أعلم ـ أنه تقدم قبلها في السورة نفسها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُم تَعْلَمُونَ﴾[6]، فنهاهم سبحانه عن الكتم، ولم يجر مع هذا النهي ذكر جزاء في هذه الآية، بل تذكير ودعاء إلى ما به نجاتهم، واستلطاف في الدعاء. ألا ترى أنه تعالى أمرهم بسلوك طريق المتقين، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[7]، إلى ما بعدها فتضمن من التلطف في الدعاء مع الإيماء إلى مرتكباتهم والإضراب عما يستوجب فاعل ذلك ما يوضح للمعتبِر عظيم رفقه

---

(١) ب: صيغة السؤال: يقال ما وجه اختصاص آيتي...
(٢) هـ: مع.
(٣) هـ، ج، ب، ع: من.
(٤) ساقطة من: ج، م، ع.
(٥) من هذه: ساقط من ج، هـ، ك.
(٦) البقرة / ٤٢.
(٧) البقرة / ٤٣.

سبحانه، وجليل حلمه. فلما لم يُجْدِ ذلك عليهم، وكتموا بعد أن حذروا عن الكتم، وردت الآية بعدُ معرِّفةً بجزاء من كتم بعد أن حُذِّر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ ـ الآية، فذكر حال الكاتمين وجزاءهم المترتب[1] على فعلهم من استحقاق اللعن من الله سبحانه، وممن ذكر من عباده، واللعن الطرد والإبعاد. ثم إنه تعالى تدارك من تاب منهم وأصلح وبيّن بعد أن كان كتم. فلما بيّن في هذه الآية أمر هؤلاء، أعقب في الأخرى بعدُ، فذكر[2] حال المتمادين على مرتكبهم من الكتم، وما زادوا إلى ذلك من اشترائهم به ثمناً قليلاً، وحظاً من دنياهم لا خطر له، وذكر ما زيدوا في الجزاء من العقاب موازنة لزيادة المرتكب، فقيل: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ولم يذكر لهؤلاء حال توبة إن تابوا كحال المرتكب. وليس المراد أنهم لا [٢٦/ظ] توبة لهم، ولكن عدم ذكرها أوقع في الإغلاظ[3]، لما ذكر من سوء مرتكبهم. وليجري مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ فإن التزكية تطهير من المأثم[4] وَمَحْوٌ لَهُ، وذلك هو الذي تثمره التوبة النَّصُوح، فلم يكن ليلائم هنا ذكر التوبة. وليناسب بذلك أيضاً ما عرّفت به الآية بعدُ من حالهم الأخروي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الذين اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[5]. فلما عرِّف بهذه الغاية من جزائهم، لم يكن ليناسب ذلك ذكر التوبة ووجه الوارد في هذه الآية من قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا

---

(١) ج: المرتب.

(٢) ك: بذكر.

(٣) ب: الأغلاط.

(٤) ج: الإثم.

(٥) البقرة / ١٧٥

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلاَّ النَّارَ﴾ وتخصيصها[1] بهذا، إنما هو لِمَا تقدم من قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبَاً﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2]، فذكر تعالى لهؤلاء ما أحَلَّ لهم أكله وما حرّم عليهم. فلما تقدم هذا أتْبَعه بإعلام هؤلاء الأكلين بالتحريف والتبديل بخُبْث مأكلهم، وشنيع مشتراهم، وأنه لو كشف عن أبصارهم لرأوا أنهم إنما يأكلون ناراً. وقيل في بطونهم، لأن الأكل كأنه ضُمِّن معنى الجَعْل، إذ النار في المعهود المعلوم لا تؤكل، وكأن قد قيل: إنما يجعلون بذلك المأكل الخبيث في بطونهم ناراً، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً﴾[3]، فالأكل مقصود وملفوظ به. ودلّ السياق وقوله ﴿فِي بُطُونِهِم﴾ على الجَعْل، وكأنه من باب التضمين، فدل اللفظ على ما وضع له من المعنى، وعلى ما يعطيه من حيث ما يتم به المعنى ويَعضُدُه السياق.

ومن هذا النحو من دلالة اللفظ على ما تحته من المعنى وعلى غيره من معناه مما به يتم المعنى ويحصِّل المقصود قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾[4]. المعنى ـ والله أعلم ـ وما فعلوا ذلك ولا يفعلونه إلاّ لإيمانهم. ألا ترى أن «أنْ» في قوله: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من حيث إنّ مقتضاها الاستقبال لا بد من تعلقها بفعل مناسب ولا يتعلق بالماضي؛ فلا بد من تقدير فعل مستقبل يدل عليه الماضي الملفوظ به، فكأن قد قيل: ولا ينقمون إلاّ لأجل إيمانهم. وعلى هذا هو المعنى، لأن المراد تماديهم على

---

(١) هـ، ب، ع: تخصيصاً.
(٢) البقرة / ١٧٢.
(٣) النساء / ١٠.
(٤) البروج / ٨.

ذلك الفعل؛ وبذلك يحصل ذمهم على مرتكبهم. ومن نحو هذا قول الشاعر[1]: (وافر).

وَنَـدْمـانٍ يـزيـدُ الكـأس طِيبـاً   سُقِيتُ إذا تـغـوَّرتِ النُّجـومُ

إنما يريد سقيت وأسقيه، لأن إذا من حيث هي ظرف زمان مستقبل لا يعمل فيها إلاّ فعل مستقبل وبذلك يتم المعنى، إذْ لم يرد أنه فعل ذلك مرة، إذْ لا يمتدح بذلك، وإنما يريد أن ذلك[2] دَأْبه وعادته. وقد شهد المعنى للمقدّر من اللفظ. ومن هذا قول الكندي: (طويل)

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ معشرٍ   عَلَيَّ حِراصٍ لـو يُشِرُّون مَقْتَلِي[3].

ثم قال: [٢٧/و]

إذا ما الثُّريَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ ـ البيت[4]

ولا يعمل تجاوزت في إذا لما تقدم، فالتقدير تجاوزت، وأتجاوز، حتى يُعلم أن تلك عادته ودأبه، وبه تحصل ما أراد وهذا كثير بديع، في القرآن منه كثير، وقد خرج بنا الكلام[5]، وحصل الجواب عن السؤالين.

والجواب عن السؤال الثالث أن آية آل عمران إنما وردت في مُرتَكِب مخصوص غير الكتم، وقد يكون من غير الكاتمين وإن كان أنسب لحالهم،

---

(١) هو البرج بن مسهّر الطائي، والبيت منسوب اليه في: مجاز القرآن ١/٢١، شرح شواهد المغني / ١٨، شرح ديوان الحماسة / ١٢٧٢، اللسان (عرق).

(٢) هـ: كرر بعد ذلك (مرة ـ الى ـ يريد أن ذلك) بانتقال النظر.

(٣) البيت لامرىء القيس الكندي في ديوانه / ١٣، غير أن روايته مضطربة في نسخ المخطوطة.
ففي هـ، م: يسرون، وفي ك: مقتل.
وفي ج: الشطر الثاني: كأحراس يوسرون مقتلي.
وفي ب: الشطر الثاني: كأحراس لو يشيرون مقتلي.
وفي ع: الشطر الثاني: كأحراس لو بشرون مقتلي.

(٤) ديوانه / ١٤. والشطر الثاني من البيت: تعرض أثناء الوشاح المفصّل.

(٥) ج، هـ، م، ع: فقد خرج من الكلام، ب: خرج عن الكلام.

وأجرى مع مرتكبهم، فهو يقع منهم ومن غيرهم فانفرد هذا المرتكب الشنيع بما تُوعِدُوا عليه. ولكونه أجرى في مرتكبات من قُدِّم في آيتي البقرة، اشتد فيه الوعيد، وأُتْبِعَتِ الآية بما يشعر أنهم الآهلون لهذا[1] المرتكب. فقال تعالى: ﴿وإنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُون أَلْسِنَتَهُم بالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ﴾ ـ الآية [2] فلَيُّهُم ألسِنَتَهُم من ضرب الكتم. وبالجملة فالآية مرتبطة بما يفصلها عن آيتي البقرة ومناسبتها موضعها بيِّن لما تقدمها من قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ [إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ] إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْت عَلَيْهِ قائِماً﴾[3] إلى ما يتلو هذا. فخصوص هذه الآية بموضعها أوضح شيء، وكل من هذه الآيات جارٍ على أوضح مناسبة والله أعلم.

٣٤ ـ الآية الحادية والثلاثون قوله تعالى:

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (١٨٧).

وفيما بعد من هذه السورة (٢٢٩): ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لقوله في الأولى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ وفي الثانية ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[4].

وقد يجاب عن هذا ـ والله أعلم ـ بأن يقال: إن النهي[5] عن مقاربة

---

(١) ج: بهذا.
(٢) آل عمران / ٧٨.
(٣) آل عمران / ٧٥.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما..).
(٥) ب: الى هنا اختصره الناسخ بقوله (والجواب والله أعلم أن النهي).

الشيء عنوان على تأكيد التحريم وتغليظه[1]. ولما كان قرب النساء بالمباشرة بالأجساد وما يجاري ذلك داعياً إلى المواقعة، وقَلَّ من يملك في ذلك نفسه ويغلب هواه. ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «وأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَه» الحديث[2]. والمقصود منعه في أمثال هذا المواطن، إنما هو الجِماع، وهو مؤكد التحريم نهى عما هو أقرب شيء وأدعاه تحذيراً من مواقعته وتعريفاً بتأكيد تحريمه. وتأمل اطِّرَادَ ذلك فيما يرجع إلى نحو هذا كقوله تعالى في الحُيَّضِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[3]، وإنما حرّم الجماع، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾[4]، ومن هنا كان منع الطِّيبِ للمُحْرِمِ لأنه داعِيه[5] إلى الجِماع.

ففي هذا الضرب وما يُلحق به مما يراد شدّة تحريمه من مال، أو مرتكب محرَّم مؤكد التحريم، يرد النهي عن المقاربة، وإذا نهى عن مقاربة محرَّم ما، عُلِمَ من ذلك تأكيد تحريم ذلك المحرّم. فأما إذا قَصَد بيَانَ عامٌ وفارِقٍ[6] بين ما يحِل ويحرُم، فلا يقع النهي عن مقَارِبه، إذ لم يُقصَد فُرقَانٌ حاجِزٌ[7] بين ما يحِل ويحرُم، ولم يُقصد بيانُ حالِ مُحَرَّمٍ مّا من شدة أو خفة، فإنما النهي في مثل هذا [٢٧/ظ] عن تجاوز حَدٍّ مضروب من مُحرَّم

---

(١) ج، ب: تغليضه.

(٢) نص الحديث في صحيح مسلم من طريق ابن أبي شيبة، عن علي بن مسهر عن عبد الله بن عمر، عن القاسم عن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّلني وهو صائم، وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه» ج ٣ رقم ٦٦. وفي البخاري ٣/٣٨ ـ ٣٩، والترمذي / ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩ الدارمي ٢/ ١٢، أحاديث أخرى عنها في معنى الحديث.

(٣) البقرة / ٢٢٢.

(٤) الإسراء / ٣٢.

(٥) ك: داعياً.

(٦) ج، ك: فارق ـ بدون واو.

(٧) هـ: فإن حاجز، ب: الأمر حاجز، ج، ع: الأمر (بياض) فارق.

ومُحَلٌّ[1]. ومن هذا قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ إلى قوله ـ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[2]، ثم قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾. فحصل من الآية الكريمة أنه سبحانه حرّم أموالهن على الأزواج بغير حق، ما لم يقع منهن نُشُوزٌ وإِبَايَة[3] عن القيام بما يجب عليهن، ويطلبن به من حقوق الأزواج، وإقامة الحدود. فإنْ أبَيْنَ، وخيف منهن ألا يقمن حدود الله، أو خيف ذلك منهما معاً، وبرئت ذمة الرجل من الإضْرار، جاز له إذ ذاك ما يأخذه مما تعطيه المرأة من مالها مفتدية به، قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾. فليس هنا إلاّ حلال أو حرام لا واسطة بينهما، ولا ما هو سبب[4] للحرام قصد تحريمه لتغليظ ما يتسبب عنه. فمثل هذا إنما يرد النهي فيه عن الاعتداد الذي هو مجاوزة ما يحلّ إلى ما يحرم. وتأمل الضربين يَلُحْ لك ما ذكرتُ، وورود كل واحد منهما على ما يجب ويناسب.

٣٥ ـ الآية الثانية والثلاثون قوله تعالى:

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَـكُونَ فِتْنَةٌ وَيَـكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٩٣).

وفي سورة الأنفال (٣٩): ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَـكُونَ فِتْنَةٌ وَيَـكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

---

(١) ك: ومحلّل ومحرّم.
(٢) البقرة / ٢٢٩.
(٣) ك، ب، ع: أو إباية.
(٤) ج، هـ، م، ع، ب: مناسب.

للسائل أن يسأل عن تخصيص[1] سورة الأنفال بالتأكيد الحَصْرِيّ، فقيل: ﴿كله﴾، تأكيداً للدين ولم يرد ذلك في آية البقرة. وعن تعقيب آية البقرة بقوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وآية الأنفال بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. فهذان سؤالان[2].

والجواب عنهما معاً أن آية البقرة نزلت في مخصوصين وهم الذين كانوا بمكة ممن نُصِّب لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرض بالظلم والتنكيل لمن آمن به صلى الله عليه وسلم وطردوهم كل مَطْرَد، فأذن الله لرسوله في قتالهم، لظلمهم[3] إيَّاهُم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، وهي أول آية نزلت في القتال[4]. وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، فأكد ما تقدم من التخصيص، وقال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[6] والضمير للمذكورين ويعضُد ذلك ويبين خصوصه بمن ذكر قوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[7]، وإنما أخرجهم أهل مكة. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[8]، فأشعر بأن قتالهم جزاء على فتنتهم إياهُم، وأنهم قد بدأوا المؤمنين بالفتنة، كما قال: ﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَولَ مَرَّةٍ﴾[9] وفتنتهم المؤمنين

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص . .).

(٢) ب: حذف (فهذان سؤالان)

(٣) ج، هـ، ك: كرر هنا من (وتعرض بالظلم - إلى - لظلمهم . . .) بانتقال النظر.

(٤) الحج / ٣٩. وانظر أسباب النزول للواحدي / ١٧٧، ولباب النقول / ١٥١، حيث روى ابن عباس عن أبي بكر (ض) أنه بعد اشتداد إيذاء المشركين للنبي وصحابته هاجر فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن. رواه أحمد في مسنده، وحسّنه الترمذي، وصحّحه الحاكم، وزاد الواحدي عن أبي بكر قوله: فعرفت أنه سيكون قتال.

(٥) البقرة / ١٩٠.

(٦ - ٨) البقرة / ١٩١.

(٩) التوبة / ١٣.

في دينهم أشد من قتال المؤمنين إيّاهُم، ثم حذر المسلمين من قتالهم عند المسجد الحرام [٢٨ / و] حتى يبدأهم المشركون بذلك، ثم قال: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾[١]، أي عند المسجد الحرام فاستحلوا حرمته ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾[٢] فقد علموا صنع الله بمن استحل ذلك، وهتّك حرمة بيته. فإن فعلوا فقاتلوهم عنده جزاء على فعلهم. ثم قال آخر الآية: ﴿فَإِنْ انْتَهَوا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، باستحلال قتالكم، وفتنة المسلمين، وتعذيبهم بحرم الله وبيته.

فالآية هنا واردة في مخصوصِين، والكلام مقيّد، فلم يكن ليناسبه الإطلاق والتعميم الحاصل من التأكيد بكل المُحرِزَة للعموم والمقتضية لـلإحاطـة[٣] والاستغراق.

وأما آية الأنفال فقد قال قبلها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٤]، وهذا[٥] بمقتضى اللفظ في كل كافر. ومثل هذا وإن ورد على سبب خاص فإن وروده على ذلك السبب غير مانع من دعوى العموم فيه، وهذا متفَق عليه في فن الأصول[٦]، وقد استقر معلوماً في الشريعة أن كل كافر بأي كُفْر كَفَر، فإنه إذا أسلم، فإن إسلامه يَجُبُّ ما قبله ويمحُوه[٧]. فلما اقتضت الآية الاستغراق والعموم ناسب ذلك التأكيد المعمّم، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، ثم لما كان قتال عامة الكفار على أن يدخلوا في الدين وينبذوا ما سوى الإسلام، وكان الحاجز عن قتالهم تظاهرهم بالإسلام، ونطقهم بالشهادتين، وتوكّل[٨] سرَائِرِهم إلى

(١، ٢) البقرة / ١٩١.
(٣) ك: الإحاطة.
(٤) الأنفال / ٣٨.
(٥) هـ: وهلا.
(٦) انظر الإحكام في أصول الأحكام ٢ / ٣٣٠ - ٣٥٢.
(٧) وهذا ما ورد به نص الحديث النبوي الشريف: «الإسلام يجب ما قبله». في المجازات النبوية / ٥١.
(٨) هـ، ب: ويوكل.

اللَّهِ، أعْقِبَت الآية بما يشير إلى ذلك، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾، أي عن كفرهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أي لا تخفى[1] عليه أعمالهم، وليس لك أن تنقب عن قلوبهم. فجاءت الآية مع الحديث المفسّر لها من قوله صلى الله عليه وسلم، «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يقولُوا لا إله إلا الله، فإن قالُوها عصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهم وأموالَهم إلاّ بِحَقِّها وحِسَابُهُم على الله»[2]. فلما اختلف المقصود[3] في الآيتين، أعقبت كل واحدة منهما ما يناسب مقصودها على ما يجب، والله أعلم.

٣٦ ـ الآية الثالثة والثلاثون قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤).

وقيل في سورة آل عمران (١٤٢): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾. وفي سورة براءة[4] (١٦): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ[5] يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

ففي[6] البقرة وآل عمران: ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، وفي براءة: ﴿أَنْ

(١) ك: أي يخفى.
(٢) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة بسبعة طرق متقاربة الألفاظ. صحيح مسلم ١/٣١ ـ ٣٦، البخاري ١/١٣.
(٣) م، ك، ب، ع: المقصد.
(٤) هي سورة التوبة.
(٥) ب: الى آخر الآية محذوف.
(٦) من هنا الى وليجة، ساقط من هـ، م، ع، ب بانتقال النظر.

﴿تتركوا﴾، وفي سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾، وفي آل عمران، وبراءة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا [٢٨/ظ] مِنكُمْ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾، وفي براءة: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾. فهذه ثلاث سؤالات.

والجواب عن جميعها على الجملة[١]، أن وجه اختلافها ـ والله أعلم ـ ورودها أعقاب قصص مختلفة، وقضايا متغايرة. فآية البقرة واردة على ما تقدمها من خطاب المؤمنين على العموم، والتنويه[٢] في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[٣]، ثم حذرهم بقوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ـ الآية[٤] وأشار الواقع جواباً من قوله: ﴿[فَاعْلَمُوا] أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، إلى قدرته تعالى على من زلّ وحاد، وتنكب بعد وضوح الأمر، وكان الكلام في قوة أن لو قيل بحسب أفهامنا القاصرة: فإن زللتم، فحدتم وتنكبتم[٥] سلوك المنهج[٦] الذي أمرتم به[٧] بعد بيان الأمر، فاعلموا أنه قادر[٨] على أخذكم وعقابكم، لا يفوته هاربكم[٩]، ولا يخرج عن قهره أحد منكم، عليم بما تخفونه وتسرونه. ثم ذكرهم بحال غيرهم، فقال تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ـ الآية[١٠]. ثم عرّفهم بتزيين الدنيا للكافرين تسلية للمؤمنين فيما حفّ بمطلوبهم الأخروي من المكاره، وأخبرهم بما لهم في الآخرة

(١) ب: ثلاثة أسولة والجواب عنها على الجملة.
(٢) ك: والتسوية.
(٣) البقرة / ٢٠٨.
(٤) البقرة / ٢٠٩.
(٥) زادت جميع النسخ هنا حرف الجر «على».
(٦) ب، ع: المنهى.
(٧) م: بها.
(٨) ج، هـ: قدير.
(٩) ج، هـ، ب، ع: تفاوتكم.
(١٠) البقرة / ٢١١.

إن صبروا، واتقوا فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1]. ثم أخبرهم بما كان الأمر عليه أولاً[2]، من كون الناس أمة واحدة، ثم اختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ ـ الآية[3]. فلما خاطبهم بهذا كله، وحصل من ذلك، ومن إحالة الآي على[4] أحوال من تقدم، وإشارتها إلى ما ابتُلوا به ما وضح فيه صعوبة التخلص إلاّ بعد الصبر وتحمل المشقة مع سبْقِية التوفيق، أعقب بقوله إشارة إلى تسلية المؤمنين فيما يصيبهم، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ـ الآية[5]، فعرّفهم أنه لا بد من الابتلاء والاختبار: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[6]، وأتْبَع بقوله تعالى: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ إلى[7] ما ذكر سبحانه في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾[8].

فهذه الآية ـ أعني آية البقرة ـ لم يقع فيها تخصيص بغير المستجيبين في إجابتهم لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فناسبها الإطْنابُ، وذِكْر حال من تقدم من الأمم في ابتلائهم. وأما آية آل عمران فخوطب بها أهل أُحُد تسلية فيما أصابهم، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، ولم يُقصَد في الآية إخبَارٌ بغير ذلك لأنها ترتبت على واقعة مخصوصة. فهذا وجه ما انفردت به، واختُصّت عن آية البقرة، فقال تعالى: [٢٩/و] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ فلم يذكر هنا غير الجهاد والصبر.

---

(١) البقرة / ٢١٢.
(٢) جميع النسخ «أول».
(٣) البقرة / ٢١٣.
(٤) ج، هـ، ب: عن.
(٥) آل عمران / ١٤٢.
(٦) محمد / ٣١.
(٧) ج، هـ، م، ع: أي.
(٨) الأنعام / ٤٢.

وأما آية براءة فخطاب للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعْلَامُهم[1] بأنهم لا يكمُل إيمانهم إلاّ بمطابقة ظواهرهم بواطنهم في ألا يقع منه صَغْوٌ إلى غير ما بايعوا الله عليه من الإخلاص، فلا يتخذون[2] ولا يعتمدون من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ما يعتدونه موئلاً أو مرجعاً، فإنه سبحانه لا يخفى عليه ما أَسَرُّوه. وتحويم[3] الآية على ذم من اتصف بصفة النفاق، فأظهر خلاف ما أبطن، وقد تقدم قبلها ما يدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾[4]، فحذر المؤمنين من هذه الصفة، وعرفوا أنه لا بد من ابتلائهم واختبارهم، لتَخلُص[5] أحوالهم وتمتاز من أحوال المنافقين وأنهم لن يتركوا دون ابتلاء واختبار، لِيَمِيزَ الله الخبيث من الطيب. وهذا من بعضهم لبعض أعني الاطلاع بعد الاختبار، والله سبحانه غَنِيٌّ عن هذا، وعليم بما تنطوي عليه كل نفس، وما تُكِنُّه الضمائر، وإنما ثمرة الابتلاء، والاختبار عائدة علينا، ليطلع بعضنا من بعض على ما لم يكن يطلع عليه لولا الاختبار، وعلمه سبحانه لا يتوقف على ابتلائنا، ولا يتجدد[6] عليه شيء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فالمراد بالآية: أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تُتْرَكُوا دون اختبار يفصل بين أحوالكم وأحوال المنافقين المذكورين فيما قَبْلُ. ولم تتعرض الآيتان من سورة البقرة وآل عمران لذكر نفاق لا بإفصاح ولا بإيماء، بخلاف آية براءة. فلما اختلفت[7] المقاصد اختلفت العبادات في مطالع الآي وختامها بحسب ذلك ـ والله أعلم ـ فتأمل

---

(1) ج، هـ، ك، ع: إعلامه.

(2) هـ، ك، م، ب: لا يجدون.

(3) هـ، م، ب، ع: تحريم.

(4) التوبة / ٨.

(5) من هنا الى (ابتلاء واختبار) ساقط من ج، ب، ع.

(6) ج، ب: لا يتجرد، ك: يتجه.

(7) ج: اختلف.

اتخاذ الوليجة، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وتخصيص اسمه سبحانه الخبير، يَلُح لك ما قُصِد بهذه الآية.

فصل

واعلم أن «أمْ» الواقعة في هذه الآي هي الواردة في قولهم: «إنَّهَا لإِبِلٌ أمْ شَاءٌ». أخبر المتكلم بهذا من العرب أنها إبل، ثم لحقه الشك فأضرب عما أخبر به واستفهم عما بعد (أم) فكأنه قال: بَلى هي شاء، فمعناها الإضراب عما قبلها والاستفهام عما بعدها[1]. يسميها النحويون المنقطعة والمنفصلة. وأما المتصلة فهي الواقعة في العطف والوارد[2] بعدها وقبلها كلام واحد، والمراد بها الاستفهام عن التعيين، تتقدر[3] بأي، والمنقطعة خلافها وهي المتقدمة [٢٩ / ظ]. في الآي، وأن الواقعة بعدها[4]، سادّة مسدّ مَفْعُولَيْ حَسِبْتُ[5] عند سيبويه. وأبو العباس[6] يراها سادةً مَسَدَّ المفعول الواحد، والثاني عنده مقدَّر. ويشهد لسيبويه أن العرب لم يُسمَع من كلامهم نطق بما ادَّعَاهُ، ولو كان على ما يقوله لنطقوا به يوماً ما وَبسْط الرد عليه في غير هذا.

---

(١) ب: الإضراب عما بعدها والاستفهام عما قبلها، وانظر الكتاب ٣/ ١٧٢.

(٢) ج: الواردة.

(٣) ج، هـ: تقرر.

(٤) ج: بها

(٥) ب، ع: حسب.

(٦) هو محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت / ٢٨٥ هـ). وانظر: إملاء ما مَنّ به الرحمن ١/ ٩١، والطبري ٤/ ٢٨٧ - ٢٩١، معاني القرآن ١/ ١٣٢، البحر المحيط ٣/ ٦٥، ٦٦ لمعرفة وجوه الآية الإعرابية.

٣٧ ـ الآية الرابعة والثلاثون (غ) قوله تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (٢٣١).

وفي سورة الطلاق (٢): **﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**.

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: **﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾**، وقوله: **﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾**، واختصاص كل من الموضعين بما خُصَّ به من ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية البقرة اكتنفها النهي عن مضارة النساء، وتحريم أخذ شيء منهن ما لم يكن منهن ما يُسَوِّغ ذلك، من ألا يقيما حدود الله. فلما اكتنفها ما ذكر، وأتبع ذلك بالمنع عن عَضْلِهِنّ، وتكرر أثناء ذلك ما يُفهِمُ الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن، خالي[1] الاتصال والانفصال، ولم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبَّر بلفظ **﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾**، لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، فعدل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة وهو لفظ التسريح، قال تعالى: **﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**[2]، وليجري مع ما تقدم من قوله تعالى: **﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾**. وقيل هنا بإحسان ليناسب ما تعلق به المجرور من قوله، **﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾**، وقد روعي في هذه الآي كلها مقصد التلطف وتحسين الحال في الصحبة والافتراق. ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرّض لعَضْلٍ[3]، ولا ذكر

---

(١) هـ، ج، ع، ب: حال.

(٢) هـ، ب: وأمسكوهن، وهو لحن في الآية ـ ٢٣١ / البقرة.

(٣) ك: لعظل، ب، ع: لفصل.

لمضارة، لم يُنْكَر ورود التعبير بلفظ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ودفع[1] الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالين بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ وبان افتراق القضيتين[2] في السورتين، وورد[3] كل من العبارتين على ما يجب من المناسبة والله أعلم.

٣٨ ـ الآية الخامسة والثلاثون قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُم يؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(٢٣٢).

وفي[4] سورة الطلاق[5]: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾. فقال في آية البقرة: ﴿ذَلِكَ﴾، فأفرد[5]، وقال: ﴿مِنْكُمْ﴾، وفي آية الطلاق: ﴿ذَلِكُمْ﴾ بأداة خطاب الجميع، ولم يقل منكم. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية البقرة ترتبت على تعنيف المضرّين بالزوجات، واحتيالهم على أخذ أموالهن بغير حق. ألا ترى إلى ما تقدمها[6] من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُم أَنْ تَأخُذُوا [٣٠/و] مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾[7]، وقوله بعد ذلك: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا﴾[8]، وقد بالغت الآية في زجرهم حين قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾، وهذا من أشد

---

(١) ك، ب: ووقع.
(٢) ج: بافتراق القضيتين.
(٣) ج، هـ: ورود: م، وورود.
(٤) من هنا الى آخر الآية ساقط من ب.
(٥) ك: فأفرد الخطاب، وقال منكم في آية الطلاق بأداة خطاب الجميع.
(٦) ك: يتقدمها.
(٧) البقرة / ٢٢٩.
(٨) البقرة / ٢٣١.

شيء في تعنيف المضرّين فمن ثم نهى سبحانه عن عَضْلِ النساء[1]، وهو ممن فعله من الضرر[2] والاعتداء ومناسب لأخذ أموالهم، لأنه قطع عن قصد شرعي به قوام دِينِهِنّ ودُنْيَاهُنّ، إذا نَكَحْنَ من [لا] يُقدِّرْن[3] فيه ذلك، فَعَضْلُها[4] ظلم لها[5]. فحصل من مجموع هذا أن المنهي عنه المتوعَّد عليه في سورة البقرة أبلغ في[6] التعدي وأسوأ[7] في المرتكب من الواقع عليه الزجر في آية الطلاق. ومن المعلوم أن المطلب إذا اعتاص كانت السلامة فيه أعز، ومسالك طريق النجاة فيه أقل - إنْ عَمَّ - فأولى المخاطبين بأهليته، والذين هم كأنهم هم المَعْنِيُّون به على الخصوص، إنما هم المُمتثِلُون وكأن الممتثل غير داخل تحت حكم الخطاب. فعلى رَعْي هذا، ورد إفراد الخطاب في البقرة، فقيل: ﴿ذلِكَ﴾ بحرف[8] الخطاب الذي هو للواحد إشارة لتقليل المستجيبين المتورِّعين عن الطمع في أموال الزوجات، والإضرار بهن عَضْلاً واحتيالاً على ما لديهن. وعلى هذا الرعي ورد في هذه الآية ﴿مِنْكُمْ﴾، المُشِعر أنّ المُستَجيبين ليسوا الكل، بما يعطيه مفهوم منكم، ولما كان الوارد في سورة الطلاق أخف في المطلب، وأيسر في التكليف. ألا ترى أن الأحكام المتعلقة بالطلاق، وهي التي دارت عليها آي

---

(١) العضل له معان ترجع كلها الى المنع، والمقصود هنا منع المرأة عن نكاح من ترضاه. وهو عادة جاهلية، كان الرجل منهم يمنع زوجة أبيه من النكاح حتى تموت ليرثها.
أحكام القرآن لابن العربي ٢٠١/١، ٣٦١، والقرطبي ١٥٨/٣ ! ١٥٩.

(٢) ك: الضرار.

(٣) هـ، م، ب: يقدِّرون.

(٤) ج: فعظلها.

(٥) م: ظلم لما يحصل.

(٦) ج، ب، ع: من.

(٧) ج: الاعتداء م: ابتداء، هـ، ب، ع: وابتداء في.

(٨) هـ، ج، ع، م، ب: في حرف.

هذه السورة، كلها فروع ثوانٍ[1]، فالسلامة فيها أيسَرُ، وسالك طريقها أكثر، فناسب ذلك ورود الخطاب بالحرف الذي يخاطَب به الجميع ويشملهم، فقيل: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ وقيل: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ﴾، ولم يرد هنا من كان منكم، إذْ لم يرد هنا إشعار بتبعيض، وهو الذي يعطيه المفهوم، فروعي في كل من السورتين ما بنيت عليه القصة في الأخرى، والله سبحانه أعلم.

٣٩ ـ الآية السادسة والثلاثون قوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2] (٢٣٤).

وفي الآية الأخرى بعدُ (٢٤٠): ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فيهما ثلاث سؤالات[3]:

الأول: ما وجه التعريف في قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، والتنكير في الثانية من قوله: ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾؟

والثاني: ما وجه خصوص الأول بالباء، والثاني بمِن؟

والثالث: ما وجه تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، والثانية بقوله: ﴿واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

والجواب عن الأول، أن الواقع في الآية الأولى من قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾ يتربصون [٣٠/ظ] بأنفسهن اربعة أشهر

(١) مكانها بياض في ج، ع.
(٢) بقية الآية: ﴿واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.
(٣) ب: ثلاث أسولة.

وعشراً، ثم قال ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أجلهُنَّ﴾، أي باستيفائهن أربعة الأشهر والعَشْر، والمراد، يخرجن عند ذلك من تمام الأجل المضروب لِعدَّتِهِنَّ. فهذا كله مما[1] يقتضيه[2] إذا قد أحرز أمداً محدوداً[3]، معلوم القَدْر، معروف الغاية، يتقيد به خروجهن، فناسبه التعريف في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي المعلوم من موجب الشرع.

وأما قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ فلم يذكر بلوغ الأجل، وليس التقييد الحاصل من بلوغ[4] الأمد المضروب، قيل وهو الحَوْل، قبل التقييد الحاصل من الظرف[5] المستقبل الذي هو (إذا)، إذْ ليست (إنْ) كإذا. ألا ترى أنك تقول: أقوم إذا قام زيد، فأقصى مَا يقتضي هذا أن قيامك مرتبط بقيامه، لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، بل يُعَاقِبُهُ[6] على الاتصال. أما إذا قلت: أقوم إنْ قام زيد، فأقصى[7] ما يقتضي هذا إن قيامك بعد قيامه، وقد يكون عقبه وقد يتأخر عنه. فإنما يحصل منْ (إنْ) التقييد بالاستقبال دون اقتضاء أو مباعدة. فحصل في ظاهر اللفظ إيهام[8] من جهتين: إحداهما، كون الرجل لم يُذكَر بلوغهُ، والثانية ما تقتضيه[9] (إنْ) على ما تبين، فناسب التنكير في قوله: ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾.

فإن قيل: الحول المذكور في قوله في أول الآية ﴿مَتاعاً إلَى الحَوْلِ﴾

---

(1) ع: بما.
(2) هـ، ب، م، ك: تقتضيه.
(3) ج، ع: معدوداً.
(4) م، ب: من أن.
(5) ج، ب، ع: الضرف بالضاد.
(6) ج، ع: لا تتقدم عليه، ولا تتأخر عنه، بل تعاقبه.
(7) هـ: ما قضى.
(8) هـ، ك: إبهام.
(9) ج: يقتضيه.

معروف[1] الوقت[2]، وهو كان الأجل المضروب لهن في العدة قبل أن يُنسَخ بأربعة الأشهر والعشر، وقد اتصل بقوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾، قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، برفع الحرج وأنهن لم يقع منهن معصية في الخروج؛ وإنما ذلك لخروجهن[3] عند الأمر، فقد تقيد خروجهن بوقت معلوم، وهو تمام الحول، فارتفع الإيهام.

قلت: بقي رَعْيُ المناسبة في اللفظ، وذلك مما يتأكد التفاته، فوضَح وُضُوحَ[4] كلٍّ من[5] العبارتين على ما يجب من المناسبة.

وجواب ثانٍ وهو أن قوله في الآية الأولى ﴿بالمعروف﴾، المراد به[6] الوجه الذي لا ينكره الشرع، فوقع[7] قوله ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، موقع أن لو قيل بالوجه الذي لا ينكره الشرع ولا يمنعه، ولهذا وصل الفعل هاهنا[8] بالباء، والإحالة[9] على متقرر معلوم، وهو الشرع فورد معرفاً بأداة العهد، وَعُدِّيَ فَعَلْنَ[10] بالباء، ثم جاءت الآية الثانية لتأخرها في التلاوة مشيرة إلى تفصيل ما يفعلن في أنفسهن من التَّزيين[11] والتعرض للخطاب، وما[12] يجاري ذلك من معروف، مما ليس بمنكر شرعاً. والمنكر هنا محرز للمعنى المقصود

(١) ك: معلوم.
(٢) هكذا أصلحها في هامش ج، وفي جميع النسخ: الوقف ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٣) هـ، ج، ع، ب: بخروجهن.
(٤) ك: ورود.
(٥) ساقط من ج.
(٦) ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(٧) من هنا الى قوله (لا ينكره الشرع) ساقط من ك.
(٨) ج، هـ، ك: هنا بإسقاط هاء التنبيه.
(٩) ج، ع: والا حال (؟).
(١٠) ج، هـ، ب: فعلهن.
(١١) ك: التزيُّن.
(١٢) من هنا الى - ويتعرضن للخطاب، ساقط من ك بانتقال النظر.

من[1] التبعيض وهو تفسير. وكأن قد قيل في الوجه المباح لهن الذي لا يمنعه الشرع، فَجُووِبَ بتفصيل مشير إلى أنه ليس [٣١/و] وجهاً واحداً لا يتعدَّيْنَه بل لهُنَّ أنْ يَتَزَيَّنَّ، ويتعرضن للخطاب، ويُفصِحْنَ بما يطلبنه من صَدَاق، وغير ذلك من مصالحهن المباحة لهن شرعاً، فهذا موضع (مِن) وموضع التنكير، والأول موضع الباء والتعريف بحسب ما قُصِد في كل من الموضعين على ما تقدم. وقد وضح جواب السؤالين.

والجواب عن السؤال الثالث أن تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، مناسب لما قبله، من تأْمِينِهِنّ على أنفسهن فيما يلْزَمُهُن في مدة العدة المذكورة من إحْدَادٍ، وما يتعلق به، وفيما يفعلن بعده. فإنْ أضْمَرْن[2] أو كتَمْن ما لا يجوز فعِلْم الله سبحانه محيط بذلك، وهو الخبير به. ولما وقع في الآية بعد قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ وقام فيه احتمال أن يخرجن غير طائعات فَيَسْتَعْجِلْنَ، أو يتعدَّيْن، ناسبه ذكر قدرته سبحانه عليهن بالمعاقبة[3] بما شاء، أو العفو عن[4] مرتكبهن، فهو العزيز الذي لا مُغالِب له، والذي لا يفوته هارب، ولا يغيب عنه شيء.

٤٠ ـ الآية السابعة والثلاثون (غ) قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ (٢٦١).

وقال تعالى في سورة يوسف (٤٣): ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ

(١) هـ، م، ب: ومن.
(٢) ج: أضهرن (؟)
(٣) ج، ب، ع: بالعاقبة.
(٤) ج: من.

﴿بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾، فالمعدود واحد، والعدد واحد[1]، وقد اختلف المفسِّر للمعدود، فورد في سورة البقرة: سنابل، وبنيته «فَعَائِلُ» فعائل من أبنية جمع الكثرة، وفي سورة يوسف: سنبلات، وباب ما يجمع بالألف والتاء أن يكون للقليل ما لم يُقْتَصَرُ عليه أو يعرِض عارض.

فللسائل أن يسأل عن الفرق[2] الموجب لتخصيص كل واحد من الموضعين بما ورد فيه.

والجواب أن آية البقرة مبنية على ما أعَدَّ الله تعالى للمنفِق[3] في سبيله، وما يضاعِف له من أجر إنفاقه، وأن ذلك ينتهي إلى سبعمائة[4] ضِعف، والله يضاعف لمن يشاء. قد يفهم الزيادة على ما نص عليه من العدد كما أشارت إليه آيات وأحاديث. فبناء هذه الآية على التكثير، فناسب[5] ذلك ورود المفسِّر على ما هو من أبنية الجموع للتكثير، لحظاً للغاية المقصودة، ولم يكن ما وضعه للقليل في الغالب ليناسب ما تحفظ فيه الغاية من التكثير.

أما آية يوسف فإنّما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه سبع سنبلات، فلا طريق هنا للحظ كثرة ولا قلة، لأنه إخبار برؤيا، فوجهه الإِتْيَانُ من أبنية الجموع بما يناسب [٣١/ظ] المَرْئِيَّ وهو قليل؛ لأن ما دون العشرة قليل.

---

(١) ج، ع: فالعدد واحد، والمعدود واحد.

(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن الفرق..).

(٣) ك: للمنفقين.

(٤) هـ، م، ك، ع، ب: سبع مائة، على الأصل بالفصل وصوابها الوصل.

(٥) ج، ع: فمناسب.

فَلُحِظ في آية البقرة ما بعده مما[1] يتضاعف إليه هذا العدد، وليس في آية يوسف مما يلحظ، فافترق القصدان، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٤١ ـ الآية الثامنة والثلاثون قوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ[2] اللهُ الرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي الصَّدَقَـٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦).

وفي سورة النساء (٣٦، ٣٧): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً. الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾. وفي موضع ثانٍ (١٠٧): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾. وفي سورة الحديد (٢٣، ٢٤): ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. الَّذِينَ[3] يَبْخَلُونَ﴾.

للسائل أن يسأل في هذه[4] الآي عن شيئين:

أحدهما: ما وجه اختصاص كل آية من هذه الأربع بالوصف المذكور فيها، الموجب لكونه تعالى لا يحب المُتَّصِف به.

السؤال الثاني: أن تلك الأوصاف ـ إذا كانت موجِبَة لما حكَم به تعالى عليهم من أنه لا يحبُّهم وقد استوت في إيجاب[5] هذا الحُكْم، فما وجه اختصاص آيتي النساء منها بتأكيد ذلك الحكْم، بأن ورد[6] في آية

---

(١) هـ: ما الآية بعده مما.
(٢) كل النسخ: يمحو.
(٣) الذين يبخلون: محذوفتان من ب.
(٤) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن الفرق..).
(٥) هكذا في ك وعلى هامش ج، وفي: ج، م، ب: الحب، وفي هـ، ع: الجب.
(٦) م: فإن ورود، ك: بأن وورود.

البقرة وآية الحديد معطوفاً[1] فيهما، وأورِد[2] في آيتي النساء مؤكَداً[3] بأن، وهل[4] لذلك لموجب يقتضيه؟

والجواب عن الأول، أن وجه اختصاص كل آية منها بما ورد فيها من الوصف الموجب لكونه لا يحب المتّصف به[5]، مناسبة كل آية منها لما تقدمها. أما[6] آية البقرة فإنَّ قبلها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لَا يَقُومُونَ إلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[7]. فوصفهم بأكل الربا حتى أعقبهم ذلك تَخَبُّطَهُم في قيامهم كفعل المجانين وأنهم سَوَّوْا بين البيع المشروع والربا الممنوع؛ وذلك كفر وتكذيب فوصفوا بما يقتضي المبالغة في مرتكبهم من منع حب الله تعالى إياهم، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[8]. وفعّال وفعِيل من أبنية المبالغة، وهو وصف مناسب لحالهم. وقد ورد قبل آية النساء قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[9]، فأمرهم سبحانه بعبادته وتوحيده بالإحسان إلى المذكورين في الآية. ومن الإحسان إليهم خفْض الجناح، وَلِين المَقَال والاتصاف بما وصف الله به مَن يحبهم ويحبونه في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[10]، والاختيال والعجز خُلُق

---

(1) م، ك، ب، ع: معطوف.
(2) م: فيما ورد، ك، ب، ع: فيهما ما ورد.
(3) ع: مؤكد.
(4) م: وصل.
(5) هـ، م، ع، ج: بها.
(6) هـ، م، ع، ب، ج: وأمّا.
(7) البقرة / ٢٧٥.
(8) البقرة / ٢٧٦.
(9) النساء / ٣٦.
(10) المائدة / ٥٤.

مضادة لهذه الأوصاف الحميدة مانعة منها، ولا يمكن معها الإحسان المطلوب في الآية. فلهذا أعقب في الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾، فإنّ المتّصف بهذا متصف بنقيض الإحسان، فمناسبة هذا بيّنة [٣٢ / و].

وأما الآية الثانية من سورة النساء، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾[١] ثم قال: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾[٢]، فذمّ الخائنين، وحذّر نبيّه صلى الله عليه وسلم من معاونتهم والجدال عنهم، وأعقب أنه لا يحب من اتصف بصفاتهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾، وتناسب هذا أوضح شيء.

وأما آية الحديد فإنّ قبلها قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ـ الآية﴾[٣]، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، فقد وضحت مناسبة كل آية من هذه لما اتصلت به، وأن كل آية من هذه المُعَاقِبَات لا يلائمها غير ما اتصلت به، والله أعلم. وقد وضح في هذا الجواب، جواب السؤال الثاني، وهو أن آية البقرة إنما تَرَتَّبَتْ على آكِلي[٤] الرِّبا، والمسوِّين بينه وبين البيع المشروع، وهؤلاء صنف واحد ومرتكبهم واحد، وأنّ آية الحديد ترتبت على حكم الخُيَلاء والفخر، وذلك إذا حُقِّق أيضاً راجع إلى الكِبْر، فالمادة واحدة. أما آية النساء، فلأن الأولى منهما تقتضي بحسب مَن ذكر فيها واختلاف أحوالهم

(١) النساء / ١٠٥.
(٢) النساء / ١٠٧.
(٣) الحديد / ٢٠.
(٤) م، ب: أكل.

تفصيل المرتكب، وتعداد المطلوب فيها وقد اشتملت على أمر ونهي، فناسب اتباع المطلب تأكيد المترتّب عليه من الجزاء، فأكد بإنّ[1] المقتضية تأكيد الخبر، وكذلك الآية الثانية، لأن خيانة النفس تنتشر مواقعها، فتارك الطاعة قد خان نفسه، وفاعل المعصية كذلك وأفعال الطاعات[2] كثيرة لا تُحصَر[3]، وكذلك المخالفات، فناسب كثرة التأكيد. وهذا كله بخلاف آية البقرة، وآية الحديد في المُرْتَكَب فيهما، كما تقدم. فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٤٢ ـ الآية التاسعة والثلاثون (غ)[4] قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٢٨٤).

وفي سورة آل عمران (٢٩): ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فتقدم في هذه الآية ذكر الإخفاء، وتأخر في آية البقرة، والحاصل من الآيتين تعريف العباد بإحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن على حد سواء، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾[5].

فللسائل أن يسأل عن وجه الخلاف في الآيتين[6].

---

(١) من ك، وفي ب: فأكد من إنّ، وبقية النسخ: أكد من المقتضية.
(٢) هـ، ب، غ، ج: الطاعة.
(٣) م، ك: تنحصر.
(٤) ساقطة من ج.
(٥) الرعد / ١٠.
(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الخلاف في الآيتين...).

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن إبداء الشيء وإخفاء خلافه في المعتقد، صفة المنافقين وبها امتيازهم [٣٢/ظ] من غيرهم من الكفرة. وقال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[٢]، وهذا كثير في القرآن. وقد أعلم سبحانه أن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وتوعَّدَهُمْ على ذلك بأليم العذاب. قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وحذّر المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٥] ـ إلى غير هذه الآي. فلما تقرر هذا النهي وتكرر، وقد تقدم آية آل عمران قوله تعالى ناهياً وزاجراً، ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦]، حذر من ذلك أشَدَّ التحذير، إلّا عند التَّقِيَّة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٧]، ثم أتبع تعالى بتأكيد التحذير، فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[٨]، ثم قال: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٩]. فلما نهاهم عن المرتكب الذي به امتياز المنافقين كان آكد شيء وأهمُّه[١٠]، إعلامه بأنه سبحانه يعلم ما يخفون[١١] كعلمه بما يبدون[١٢]، لبناء المنافقين كفرهم على ما جهلوه من علمه

---

(١) آل عمران / ١٥٤.

(٢) البقرة / ١٤.

(٣) النساء / ١٣٨، ١٣٩.

(٤) النساء / ١٤٤.

(٥) الممتحنة / واحد.

(٦ ـ ٩) آل عمران / ٢٨.

(١٠) م، ب: وابغضه، وقريب منها بدون اعجام في ع.

(١١، ١٢) ك: يخفونه، يبدونه.

سبحانه بخفيات ضمائرهم[1] وإلحادهم في ذلك جهلاً بما يجب لله سبحانه وتكذيباً لرسوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّـهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وأَنَّ ٱللَّـهَ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾[2]، فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية[3] آل عمران. وتأمل تقديمه في الجاري مجرى هذه الآيات، كقوله سبحانه في قصة حاطب بن أبي بَلْتَعَة ـ رحمه الله ـ ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾[4]. أما آية البقرة فلم يَجْرِ فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها وفي آية الدَّيْن قبلها، وفيما أُعْقِبَت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام فورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّـهُ﴾، فقدم فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين. ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلاغُ وَٱللَّـهُ يَعْلَمُ[5] مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[6]، فتقدم ذكر ما يبدونه؛ لأنه خطاب للمؤمنين. ومنه قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَٱللَّـهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[7]، والخطاب للمؤمنين. وهذا جَارٍ مطرد فيما يلحق بهذا الضرب كما أنَّ المراد[8] بالبدء بالإخفاء على الإعلان، حيث يتقدم ذكره[9] أهل الكفر وينتظم[10]

---

(١) ج، ب: ظمائرهم.

(٢) التوبة / ٧٨.

(٣) هـ، م، ب، ع، ج: سورة.

(٤) الممتحنة / واحد، وانظر في قصة حاطب: أسباب النزول للواحدي / ٢٣٩، ولباب النقول / ٢١٦.

(٥) ك: أعلم.

(٦) المائدة / ٩٩.

(٧) النور / ٢٩.

(٨) ك: كما اطرد، ب: محذوف منها (أن).

(٩) ك، ب: ذكر.

(١٠) ج: وينظم، م: أو ينتظم، ومضطربة في هـ.

الكلام بذكرهم كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[1]، [٣٣ / و] بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[3]، بعد قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[4]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[5]، وقد تقدمها قوله تعالى: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[6]، فاطّرد ما ذكرناه في الطرفين على رعي الإيمان والنفاق، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٤٣ ـ الآية الموفية أربعين[7] (غ) وهي من تمام ما قبلها قوله تعالى:

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢٨٤).

وفي سورة آل عمران (١٢٩): ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. وفي المائدة (١٨) قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾. وفي سورة[8] الفتح (١٤): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، فورد في هذه الآي الأربع، تقديم الغفران، وتأخير التعذيب، وورد في سورة المائدة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن

---

(١) الأنعام / ٣.
(٢) الأنعام / واحد.
(٣) التغابن / ٤.
(٤) التغابن / ٢.
(٥) النمل / ٧٤.
(٦) النمل / ٦٧.
(٧) ك: أربعون.
(٨) ساقطة من ج، ب، ع.

يشاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1] بتقديم التعذيب وتأخير المغفرة على خلاف ما ورد في الآي الأربعة[2] المذكورة.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[3]. والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية لما تقدمها قوله: ﴿إنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِم وَأَرْجُلِهِم مِّنْ خِلافٍ أو يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبلِ أَنْ تَقْدِروا عَلَيْهِمْ فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]. ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نِكالاً مِنَ اللَّهِ واللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَن تَابَ مِن بَعدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]. فقدم[6] في هاتين القضيتين[7] من خبر المحاربين والسارقين ذكر تعذيبهم جزاء على فعلهم، ثم ذكر المغفرة لهم إنْ تابوا، وأتبع ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللَّـهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ـ الآية[8]. وبناؤها على ما تقدم قبلها يليها كما تبيّن، فقدم ذكر العذاب على المغفرة لمناسبته[9] لما اتصلت به، وبُنِيَتْ عليه.

وأما الآيِ الأربع فلم يقع قبل شيء منها ذكر مثل الواقع في سورة[10]

---

(١) الآية / ٤٠.
(٢) ساقطة من م.
(٣) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجهه).
(٤) المائدة / ٣٣، ٣٤.
(٥) المائدة / ٣٨.
(٦) ك: فتقدم.
(٧) هـ، م: القصتين.
(٨) المائدة / ٤٠.
(٩) ك: مناسبة لما.
(١٠) ك: آية.

المائدة، وإنما تقدمها ما يفهم قوة الرجاء [٣٣/ظ] لمن أحسن وأناب كقوله في آية البقرة: ﴿وَإِنْ تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُم أَو تُخفُوهُ﴾، والخطاب للمؤمنين. وورد قبل[1] الآية الثانية من الأربع قوله تعالى: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ﴾[2]، وقبل الثالثة: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ﴾ - إلى قوله - ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّن خَلَقَ﴾. وفي هذا - وإنْ كان خطاباً لأهل الكتَابَيْن - تنبيه[3] لهم، وأنهم إنْ أسلموا وأنَابُوا لربهم رجوا عفوه ومغفرته. وقبل الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ يُبَايِعونَك إنَّما يُبايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[4]، ولم يخرج الكلام إلى غير هذا من تعريف نبيه صلى الله عليه وسلم بِعَليِّ حاله، وما مُنِحَه، والإِعْلَامُ بحال المخلَّفين[5] من الأعْرَاب، وما جرى في ظنهم[6]. وكل ذلك تثبيت للمؤمنين ومنبيء بما يعقبهم[7] الاستجابة لله ولرسوله، ثم أتبَع ذلك بالإعْلَام بأنه سبحانه المالك للكل، والمتصرف فيهم بما يشاء، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وأفهم ذلك أن فعل المخلَّفين من الأعْرَاب غير خارجٍ[8] عما أراده وقدَّره، وأن مخالفتهم لا تضره تعالى، وأنها صادرة عن قضائه، فناسب هذه الآي الأربع بجملتها تقديم ذكر المغفرة، وجاء كل على ما يناسب، والله أعلم.

---

(١) هـ، م، ب، ع، ج: في.
(٢) آل عمران / ١٢٨.
(٣) ج، م: تنبيهاً.
(٤) الفتح / ١٠.
(٥) هـ: المختلفين، م، ب: المختلفين.
(٦) م: طيهم.
(٧) في جميع النسخ: تعقبهم.
(٨) ج، هـ بإسقاط (غير) وفي هامش ج: جار على ما.

سورة آل عمران

٤٤ ـ الآية الأولى منها (غ)[١] قوله تعالى:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ[٢] وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ (٣).

فيسأل عن تخصيص الكتاب بلفظ ﴿نَزَّلَ﴾ المضاعف[٣]، وتخصيص التوراة والإنجيل بلفظ ﴿أَنْزَلَ﴾.

والجواب عن ذلك، أن لفظ نَزَّل يقتضي التكرار لأجل التضعيف. تقول: ضَرَبَ مُخففاً لمن وقع منه ذلك[٤] مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى. أما إذا قلنا ضرّب بتشديد الراء، فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه. فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ﴾، مشير إلى تفصيل المنزّل، وتنجيمه بحسب الدواعي[٥]، وأنه لم ينزل دفعة واحدة. أما لفظ أنزل، فلا يعطي ذلك إعْطاءَ نَزَّل وإنْ كان محتَملاً[٦]، وكذلك جرى[٧] في أحوال هذه الكتب، فإنَّ التوراة إنما أوتيها موسى صلى الله عليه وسلم[٨] جملة واحدة في وقت واحد، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَـهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ ـ الآية[٩]،

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) هـ، ك، ع: فصل بين يديه، وأنزل بقوله: (ثم قال).

(٣) من هنا الى أنزل ساقط من ج، هـ، ع.

(٤) ج، هـ، م، ع: ذلك عليه، وبهامش ج: ذلك منه، ب: عليه ذلك.

(٥) ج، م: الدعاو، ب، ع: الدعاوى.

(٦) هـ: عقلاً.

(٧) هكذا في ج، م. وفي ع: وكذا أجرا في، وبقية النسخ: وكذا جرى.

(٨) هـ، م صلى الله عليه، ب: صلوات الله وسلامه عليه.

(٩) الأعراف / ١٤٥.

أي المجموع. أما الكتاب العزيز، فنزل مقسَّطاً من لَدُن ابتداء الوحي، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ[1] الذي خَلَق﴾[2]، إلى آخر عمره صلى الله عليه وسلم ونزول قوله تعالى: ﴿ٱلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى الله﴾[4]. ولنزوله مقسَّطاً ما قال الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[5]، فقال تعالى: ﴿كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾[7]، وهو القرآن، ثم قال [٣٤/و] ﴿وَالكِتَابِ الذِي أَنزَلَ مِن قَبلُ﴾[8]، والمراد التوراة. فورد ذكر الكتابين بأداة[9] العهد في الكتاب وفي المُنَزَّلِ قبله، وأوضح ذلك أن المراد به[10] التوراة، فجاء كما ورد حين أفصح بذكرهما في[11] قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتَابَ﴾، ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ وحيث يُذكَر أحد هذه الكتب مفرداً عن غيره، أو بغير الألف واللام العَهْدِيَّة فتأتي بلفظ «أنزل» فيهما، وأن أُرِيدَا معاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِل إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ مِن قبل﴾[12]. ومنه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِل إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[13]. وهذا كثير في القرآن حيث يعبِّر عن

---

(١) ك: ربك ـ السورة الى آخر عمره، ج: الخ عمره.
(٢) العَلَق / واحد.
(٣) المائدة / ٣.
(٤) البقرة / ٢٨١
(٥، ٦) الفرقان / ٣٢.
(٧، ٨) النساء/ ١٣٦.
(٩) ع: بأداء.
(١٠) ساقط من ج، ع.
(١١) هـ، م، ب: ثم في.
(١٢) المائدة / ٥٩.
(١٣) البقرة / ٤.

ذلك بـ «ما» وإنْ كانت موصولة؛ إذ ليس فيها من العهد ما في الذي، وفي[1] الألف واللام، وَلاَ وقع الإفصاح باسم المنزَل وهذا فرق واضح، لأن (ما) تفارق الموصولية فتخرج إلى الإبْهَام[2]، فلا تكون[3] فيها عهدية[4]. أما الذي فلا تفارق ولا تخرج. فالعهدية فيها لازمة، وكذا إذا ذُكِر أحد[5] هذه الكتب مفرداً عن غيره، لم يُنْكَر وروده بلفظ «أُنزَل»، «نَزَّل». لأنهما يكونان بمعنى واحد، كقوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لله ٱلَّذِي أَنـزَل عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ﴾[6]. وأما حيث يجتمع ذكرهما مُفصَحاً باسم كل واحد، أو بأداة العهد كما تقدم، فلا يكون إلاّ على ما تقدم من حيث أن لفظ التضعيف أقوى في إعطاء معنى[7] التنجيم والتفصيل كما تقدم. وهذا مطّرد على كثرة ما ورد[8] منه وتكرُّره[9]، ولم يرد إنزال[10] التوراة بالتضعيف إلاّ في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾، وله وجه، وهو أنّ المراد ثُبوت احكامها وتنفيذها[11]. وذلك أنّ بني إسرائيل حرم عليهم ببغيهم وظلمهم ما حرم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ ـ الآية[12]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ

---

(١) هكذا في ك، وفي هـ، ب: وفي الألف واللام، وبقية النسخ: ما في الألف واللام.
(٢) ج، ع: الإفهام.
(٣) ب: يكون.
(٤) ج، ع: عهد.
(٥) ك: آخر.
(٦) الكهف / واحد.
(٧) ك: لفظ.
(٨) م: وقع.
(٩) ج، ع: تكرر.
(١٠) ج: نزّل، ب: أنزَل.
(١١) هـ، م، ك: تقعيدها.
(١٢) النساء / ١٦٠.

ـ الآية﴾[1]، وعرّف الله سبحانه نبيه والمؤمنين بذلك، أنكرت بنو إسرائيل تخصيصهم بذلك، وزعموا أنهم لم يُخَصُّوا به، وأنه قد كان محرماً على نوح وإبراهيم، وكل من تقدم بني إسرائيل من الأُمَم[2]، فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾[3]، أي من قبل حصولها منزلة، وتنفيذ حكمها وثبوته. فلما قصد معنى استقرارها وتنفيذ حكمها، ورد اللفظ مضعَّفاً ليشير إلى حكم ثبوتها واستقرارها ـ والله أعلم بما أراد.

ولهذا ـ والله أعلم ـ لم يرد في غير هذا الموضع ذكر إنزالها بالتضعيف. قلت: تعرض أبو الفضل بن الخطيب لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ[4]، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ﴾، ووجه ذلك على ما ذكرتُه، ثم اعترض[5] ذلك بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبدِهِ الكِتَابَ﴾[6]، ولم يفصِّل[7]، وقال إنه مشكِل، وقد بيَّنَّا أنه لا إشكال في ذلك على ما قد تقعَّد، والحمد لله.

٤٥ ـ الآية الثانية قوله سبحانه:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا [٣٤/ ظ] فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١).

---

(١) الأنعام / ١٤٦.
(٢) في جميع النسخ: الأمّة. وما أثبتناه هو مقتضى السياق.
(٣) آل عمران / ٩٣.
(٤) ساقط من ك، ب.
(٥) ك: اعترض علي.
(٦) الكهف / واحد.
(٧) هـ، ك، ج، ب: ينفصل.

وفي سورة الأنفال[1] (٥٢): ﴿كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. وبعدها (٥٤): ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن[2] هذه الآي في ستة[3] مواضع:

السؤال[4] الأول: الإخبار عنهم في سورة[5] آل عمران، وفي ثانية الأنفال بقوله: ﴿كَذَّبُوا﴾، وقال في الأولى من الأنفال: ﴿كَفَرُوا﴾، ما وجه ذلك؟

والثاني: ما وجه اختلاف الإضافة في كَذِبِهم وتكذيبهم. ففي آل عمران ﴿بِآيَاتِنَا﴾، وفي الأولى من الأنفال: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، وفي الثانية: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

والثالث قوله في ثانية الأنفال[6]: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[7]، وفي الأخريَيْن، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

والرابع: قوله في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وفي الأولى من الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ولم يرد في الثانية هذا الوصف.

---

(١) ج: أدمج الآيتين ﴿كفروا بآيات ربهم... الخ﴾.
(٢) ك: من.
(٣) هـ، م، ع: ست.
(٤) ساقطة من ب.
(٥) ك: آية.
(٦) ب: ثانية الأول (؟).
(٧) ساقط من ج، ع.

والخامس: تفصيل العقاب في ثانية الأنفال، ولم يرد في الأخريين[1] ذلك التفصيل.

والسادس: تعلُّق المجرور من قوله، ﴿كَدَأْبِ آل فِرعَوْنَ﴾، وليس هذا مما بُني[2] عليه هذا الكتاب[3]، إلا أنَّه تتِمَّتُه.

والجواب عن الأول، أن آية آل عمران لما تقدم قبلها ذكر تنزيل الكتب الثلاثة والإشارة إلى ما تضمنته من الهُدى والفُرقان، وإنما أتى على من كفر بصدِّه عنها، وتكذيبه، ناسب ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنَا﴾. ولما لم يقع في سورة الأنفال من أولها إلى الآية الأولى من الآيتين، ذكر شيء من الكتب المنزلة، ولا ذِكر إنزالُها. وإنما تضمنت حال المسلمين مع معاصريهم من كفار العرب ومعظم ذلك في قتالهم وحربهم، ناسب ذلك التعبير بقوله[4] تعالى: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، ثم لما تلتْها الآية الأخرى من غير طول بينهما، وقع التعبير فيها بالتكذيب فقال: ﴿كَذَّبُوا بآياتِ رَبِّهِمْ﴾، وعدل عن لفظ كفروا، لثقل التكرُّر مع القرب، وليحصل وَسْمُهم بالكفر والتكذيب.

والجواب عن السؤال الثاني: أن الآية الأولى من سورة الأنفال، إنما جيء فيها بالاسم[5] الظاهر فقيل[6]: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، لتقدم ذكر الملائكة في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

(١) ج، ب، ع: الأخيرتين.
(٢) ج، ك، ع: يبنى.
(٣) ع: كتب الناسخ في الهامش: (لعله الكلام) ولعلها قراءته للفظة الكتاب في الأصل.
(٤) ك: فقال.
(٥) ب: باسم.
(٦) م: فقال.

﴿وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُم﴾[1]، ونسبة الفعل للملائكة. وتقدم أيضاً قوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[2]، ولم يتقدم في آل عمران، ذكرُ فعل لغير الله سبحانه، ولا نسبة شيء لسواه، فجيء بآيات الله مضافة إلى ضميره تعالى فقال: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، على طريقة الالتفات. وجاء في الأنفال: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، بالإضافة إلىْ الاسم الظاهر، ليُعلم. أن الأمر له ـ عز وجل ـ وأنه مُرِيهِمُ الآيات، ولا فعل إلاّ له، وأن الملائكة مسخَّرون بأمره، وفعلهم [٣٥/و] من خلقه، وتزيين الشيطان لهؤلاء الكفار إنما هو بقَدَر الله وسابق مشيئته، وكل ذلك خلقه وملكه، والآيات آياته وله المثَل الأعلى.

وقيل[3] في الثانية ﴿بِآيَاتِ[4] رَبِّهِم﴾، لجري[5] ما تقدمه متصلاً به من قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾[6]، فذكر ابتداءه بالنعم، فناسب ذكر ملائكته سبحانه لهم بقوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِم﴾ فهو المحسن والمالك. ثم جرى القدَر بما سبق لهم، فإيراد[7] قوله ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم﴾ مع ما تقدم، أوقع في نفوسهم، وأشد في تحسرهم وندامتهم، إذا شاهدوا الأمر فعلموا أنه مالكهم، وأنه ابتدأهم بالنعم، فغيروا فحصل من ذلك أنهم قابلوا نعم ربهم بالكفر مع بيان الأمر ووضوحه. ولو قيل ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، لما أحرز هذا المعنى المعرَّف بملكيته لهم، والمشير لندامتهم وتحسرهم ولا خَفَاءَ[8] في الفرق بين قول القائل لمن كفر بنعمة الله: إنما كفرت بنعمة مالكك المحسن إليك، ومُبْتَدِيك بالنعم، وبين أن لو

(١،٢) الآيتان / ٥٠، ٤٨.

(٣) م: وقيل الكائنة.

(٤) ب: بآية.

(٥) م: يجري، ك: ليجري مع.

(٦) الأنفال / ٥٣.

(٧) ب: بإفراد.

(٨) ج، ع، هـ: والإخفاء.

قيل: إنما كفرت بنعمة الله، فتأمل ما بينهما. ولهذا ابتدأ دعاء الخلق في سورة البقرة إلى الإيمان بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ﴾ - إلى آخر[1] الآيات.

والجواب عن السؤال الثالث، أنه قصد في الآية الثانية من الأنفال[2]، تفصيل عقابهم بإغراق آل فرعون وأخْذ مَن عَداهُم بغير ذلك. وقال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِم﴾، ليخالف قوله في الآية قبل: ﴿فَأَخَذَهُم اللَّهُ بِذُنُوبِهِم﴾، لاستثقال لفظ التكرار فيما تقارب ولِمَا قصد من التفصيل، وقد ضمّ الفريقين من المهلَكين بذنوبهم والمغرَقين في قوله: ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

و[الجواب] عن الرابع أن قوله تعالى في الآية الأولى من الأنفال، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ﴾، مُقابل قول الشيطان لمن قُدم ذكره من الكفار: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾[3]، فقوبل قوله المضمحل بإسناد القوة لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى[4] الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ - الآية[5]. ولَمَّا لم يرد في سورة آل عمران مثل هذا وقع الاكتفاء بقوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾، وزيد التأكيد في أولى[6] الأنفال، بأنَّ وزيادة اسمه سبحانه[7] القوي، لما ذكرنا[8]

---

(١) ج، هـ: الخ. وانظر الآيات / ٢١ - ٢٤.
(٢) هـ، م، ب: الانفصال.
(٣) الأنفال / ٤٨.
(٤) في جميع النسخ (ترى)، وهي قراءة عامة أهل المدينة والشام. انظر جامع البيان ١/ ٢٨١ - ٢٨٣.
(٥) البقرة / ١٦٥.
(٦) ج: في أول الأولى الأنفال، وأصلحها الناسخ في الهامش (في الآية الأولى والأنفال). هـ، م، ب في الأول والأنفال، ك: في أول الأنفال.
(٧) م: سبحانه وتعالى.
(٨) ك: ذكرناه.

آنفاً من رَعْي التقابل.

والجواب عن السؤال الخامس، ما قدم في الجواب عن السؤال الثالث من قصد التفصيل[1]، ثم إنّ الوجه في تخصيص [٣٥/ظ] هذا الموضع بذلك، أنّه آخر موضع وقع التذكير فيه بعادة آل فرعون في تكذيبهم وأخذهم بكفرهم، والترتيب الذي استقر عليه الكتاب العزيز متوقف على الآتي به صلى الله عليه وسلم، وقد بيّنا ذلك في غير هذا. وأن من ظن أن الترتيب من قبل الصحابة، فقد غَفَل وذَهِل عما بني عليه من جليل الاعتبار، وسنذكر ذلك في سورة القمر، إن شاء الله تعالى.

والجواب عن السؤال السادس، أن الكاف[2] متعلقة بمحذوف، وهو الخبر للمبتدأ، إذِ التقدير، دأبهم، أو داب هؤلاء، أو هذا كدأب آل فرعون.

وما قدره الناس من التعلُّق بقوله: ﴿وأُولَٰئِكَ هُمْ[3] وَقُودُ النَّارِ﴾[4]، أو غير هذا من التقدير، لا يرجُح عند الاعتبار، ويصعب[5] تقدير[6] ذلك في ثانية[7] الأنفال، ويُتكلف في الأولى منها، ولا يحسن معه المعنى[8]. وفي استقلال الجملة من قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرعَونَ﴾، وعدم التعلق الإعرابي بما قبله في جملة أخرى جزالة اللفظ[9]، وقوة المعنى فتأمله.

---

(١) الى هنا في ب حرفه الناسخ الى: «والجواب عن السؤال (كلمة غير مقروءة) من قصة التفصيل...».
(٢) م: الكتاب.
(٣) ساقط من ج.
(٤) آل عمران / ١٠.
(٥) ج، ب، ع: يضعف.
(٦) ساقطة من ك.
(٧) ج: آيتي، ب: آية.
(٨) ك: زاد بعدها (ولا يقوى).
(٩) ك: النظم.

٤٦ ـ الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[1] (٢٧).

وكذلك في سورة يونس (٣١): ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَنْ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾. وكذا[2] في سورة الروم (١٩)، وحيث وقع. [و]ورد في سورة الأنعام (٩٥): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾. فوقع هنا[3] اسم الفاعل موقع الفعل وعاقَبه فقال: ﴿وَمُخْرِجُ﴾.

فيسأل عن هذا[4]، ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ بناء آية الأنعام على آية بنيت على اسم الفاعل، وإنْ كان خبراً، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾. فلما اكتنفت[5] الآية أسماء فاعِلِين، جيء فيها باسم الفاعل في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ ليناسب ذلك، فعطف: ومخرج، على فالق، إذْ هُو معطوف على ما عُطف عليه، فهو معطوف عليه ثم جيء بعد باسم فاعل وهو قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، فتناسب هذا، ولم يقع في الآي الأخر المتضمنة إخراج الحي من الميت، والميت من الحي، مثل[6] هذا، فلذلك لم يُعدَل إلى اسم الفاعل والله سبحانه أعلم.

---

(١) هـ، م، ك، ب: يولج، ويخرج في الآية بدل تولج وتخرج، لحن لا وجه له في القراءات.

(٢) ج: كذلك.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٤) الى هنا محذوف من ب.

(٥) ك: اكتنف.

(٦) ج: قيل.

فإن قلت: فما بال قوله: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِن المَيِّت﴾، في هذا الموضع وَرَد بالفعل، وقد اكتنفه قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُخْرِجُ المَيِّت مِن الحَيِّ﴾، وهما اسما[1] فاعِلَيْن؟

فالجوابُ عن ذلك ما قاله الزمخشري قال: موقع قوله: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِن المَيِّتِ﴾، موقع الجملة المبيِّنة لقوله: [٣٦/و] ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾، لأن فَلْقَ الحب والنوى بالنبات والثمر اليابس من جنس إخراج الحي من الميت، لأن اليابس في حكم الحيوان. ألا ترى قوله ﴿يُحْيِ الأَرضَ بَعْدَ مَوتِهَا﴾، انتهى قوله[2]. ذكر هذا عقيب قوله ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِن ٱلحَيِّ﴾، أنه معطوف على فالق الحب والنوى كما تقدم، وهذا من حسناته.

٤٧ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨).

ثم قال في الآية الثانية[3] (٣٠): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رءُوفُ بِالْعِبَادِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿وَاللَّهُ[4] رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم قبل الآية الأولى قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤمنونَ الكَافِرينَ أَوْلياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤمِنينَ﴾. فنهاهم

---

(١) هـ: أسماء.
(٢) الكشاف ١/٥١٧ ـ ٥١٨.
(٣) م: الأخرى.
(٤) ك: بدون واو.

سبحانه عن ذلك ثم أردف بالتحذير بقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيسَ مِن اللَّهِ فِي شَيءٍ﴾، ثم استثنى سبحانه حال التُّقَاة[1]، فقال: ﴿إلَّا أن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاةً﴾[2]. ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ﴾ ـ أي عذابه ـ ﴿وإلى الله المَصِيرُ﴾ أي ومرجعكم إليه، فلا يفوته هارب. فهذا كلام ملتحِم، جليل النظم والتنضيد، ثم أَتبع هذا بإعلامه أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء مما أكَنُّوهُ وأظهروه، فقال: ﴿قل إنْ تُخْفُوا مَا في صُدُورِكُم أو تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَم مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَالله عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ﴾[3]، فأَعْلِم فيما يُعْلِمُه بعِلْمِه المحيط بالأشياء وقدرته. والعلم والقدرة هما القاطعان لمنكري[4] العودة، وعلى إنكارهما بَنَى المنكِرون حشرَ الأجساد شنيع مقالهم، وبثباتهما[4] اضمحل باطلُهم، وقد أشارت هذه الآية العظيمة إلى علمه سبحانه بالمجرَيات[5]، وقدرته[6] عليها. وفي ذلك الشأن كله. ولعل الكلام يعود بنا إلى مقصود هذه الآية العظيمة، فنبسط من ذلك ما يشفي صدر المؤمن، ويقطع بالملحد، وإن كان أئمتنا من أهل الفن الكلامي قد شفوا في ذلك ـ رضي الله عنهم ـ فعرّف سبحانه بالرجوع الأخروي إليه، ثم أخبر بأنه لا يغادر من أفعال عباده صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، فقال: ﴿يومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ ـ الآية[7]. ثم قال معيداً[8] ومحذراً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ الله نَفْسَهُ﴾. وأعقب بقوله: ﴿والله رَءُوفٌ

---

(1) ك: التقية، تقية. والتقاة هي القراءة الصحيحة، وقرأ يعقوب تقيَّة، كمطية. جامع البيان ٦/ ٣١٧، الاتحاف ١٧٢.
(2) آل عمران / ٢٨
(3) م: منكري، ك: بمنكري.
(4) هـ، ج، ب، ع: بثباتها.
(5) ك، ب: المجربات.
(6) ج، هـ، ب: وقدرتها.
(7) آل عمران / ٣٠.
(8) ج، هـ، مقيداً، م: معيذاً بالذال المعجمة.

بالعِبَادِ﴾ لما تقدم من التذكير والوعظ والبيان والتحذير المبني على واضح الأمر والتبيان وذلك إنعام منه سبحانه وإحسان يَسْتَجِرُ خوفَ المؤمنين العابدين، فناسبه التعقيب بذكر رأفته بعباده ـ رفقاً بهم وإنعاماً وتلطّفاً ـ فقال ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾، ولم يتقدم قبل الأولى [٣٦/ظ] ما تقدم هذه متصلاً بها، وإنما تقدمها النهي عن موالاة الكفار، والتبري من مُوَالِيهم[1] بالكلية، فناسبه ما أعقب به، وناسب هذه ما أُعقِبتْ به، والله أعلم.

٤٨ ـ الآية الخامسة (غ) قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام:
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (٤٠).

وفي سورة مريم (٨): ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف السياق في الآيتين مع اتحاد معناهما[2].

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن المعنى وإن كان في السورتين واحداً وفي قضية[3] واحدة، فإن مقاطع آية سورة مريم وفواصلها استدعت ما يجري على حكمها ويناسبها من لدن قوله تعالى في افتتاح السورة: ﴿ذِكْرُ رَحمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا. إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[4] ـ إلى قوله في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدْتُ وَيَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبعَثُ

---

(١) هـ: قولهم، ك: موالهيم (؟)
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما مع اتحاد معنييهما).
(٣) ج: قصة.
(٤) كل النسخ (زكرياء) ممدودة وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر مرفوعة ممدودة، وقرأها عاصم ممدودة منصوبة. وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالقصْر. الاتحاف / ٢٩٧، والسبعة / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

حَيًّا﴾[1]، لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره ثم عادت إلى ذلك من لدن قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾[2] إلى آخر السورة، فاقتضت هنا مناسبة هذه السورة وُرُود قصة زكريا عليه السلام على ما تقدم، لم يكن غير ذلك ليناسب. أما آية آل عمران، فلم يتقيد ما قبلها من الآي وما بعدها بمقطع مخصوص، فجرّت هي إلى مثل ذلك، والله أعلم.

٤٩ ـ الآية السادسة (غ) قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيَ ءَايَةً﴾ (٤١).

يريد والله أعلم آية على الحمل، يستعجل[3] البشارة فقيل له: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً﴾.

وفي سورة مريم (١٠): ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، مع اتحاد القصة، فيسأل عن ذلك[4]..

والجواب ـ والله أعلم[5] ـ أنه ـ لما كان مقصوداً به التعريف بمَنْعِه الكلامَ[6] منصوصاً على ذلك حتى لا يقع احتمال أن يكون المنع في الليالي دون الأيام، أو الأيام دون الليالي. وهذا كما في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِم سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[7]، فوقع[8] التنصيص

(١) مريم / ٢ ـ ٣٣.
(٢) الآيات / ٤١ ـ ٩٨.
(٣) ع: ليستعجل.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما مع اتحاد القصة).
(٥) ب: ساقطتان.
(٦) ك: زاد بعدها (ثلاثة أيام بلياليهن..).
(٧) الحاقة / ٧.
(٨) ك: فرفع.

على الوَقْتَيْن، ليرتفع تَوهُّم إفْرَاد أحد الوقتين دون الآخر، وكذا في آية آل عمران ومريم. فلما قصد هذا، وقع التعريف به من مجموع الآيتين وخصت آية آل عمران بذكر الأيام لمناسبة[1] قوله: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾، إذِ الرمز لا يُفهِم المقصود دون نطق، كالإشارة بالعين أو باليد. وقال مجاهد[2]: بالشَّفَتَيْن وكيفما كان، فإنّما يُدرَكُ بالعين. ولما[3] لم يذكر الرمز في آية مريم، ذكر فيها الليل، وحصل التعريف باستيفاء الوقت الممنوع[4] فيه الكلام، وما جعل له عِوَضاً منه وهو الرمز، وزيد في آية مريم التعريف باستواء الليالي في ذلك، فالمراد مستويات. فسويا من صفات[5] ليالٍ، انتصب على الحال، أو يكون المراد لا خَرَسَ بك ولا مرض؛ فيكون سوياً حالاً من الضمير في تكلم. فورد هنا سوياً [٣٧/و] مناسباً للفواصل ومقاطع الآي، وليس في آل عمران ما يستدعي ذلك، فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٥٠ ـ الآية السابعة قوله سبحانه:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَـٰبَ والحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ. وَرَسُولاً إلَىٰ بَنِي إسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِئَايَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُـونُ طَيْراً بِـإذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَـه

---

(١) ك، ب: ليناسب.

(٢) هو مجاهد بن جبر، من كبار التابعين، ثقة فقيه مفسِّر ـ مات سنة مائة أو بعدها بقليل. بقي من آثاره: كتاب في تفسير القرآن، برواية عبد الرحمن الهمذاني. ومنه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم ـ ١٠٧٥ / تفسير.

(٣) ج، ب: وما.

(٤) هـ، ب، ع: مسوَّغ، بالبناء للمجهول، م: مصوَّغ.

(٥) ب: صفة.

﴿وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (٤٨، ٤٩).

وقال في سورة المائدة (١١٠): ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا بِإِذْنِي فَتَكُونُ[1] طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ ـ الآية.

للسائل أن يسأل عن تذكير الضمير[2] وتأنيثه، وعن وجه تكرير قوله سبحانه: ﴿بِإِذْنِي﴾ في آية المائدة، مضافاً إلى ضميره سبحانه في أربعة مواضع، مع وجازة الكلام وتقارب ألفاظ الآية. وقد جرى هذا الغرض في آية آل عمران، فورد فيها ذلك في موضعين خاصة، مضافاً إلى الظاهر من اسمه سبحانه.

والجواب عن السؤال الأول بعد تمهيد الجواز في تذكير الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ في الآية الأولى وتأنيثه في الآية الثانية في قوله: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾، مع اتحاد ما يعود عليه. فأقول ـ وأسأل الله توفيقه ـ قال الزمخشري في الأولى: الضمير للكاف، أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة[3] الطير فيكون طيراً[4]، أي فيصير طيراً[5] كسائر الطيور[6]. وقال في قوله ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾، الضمير للكاف، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى [عليه

---

(١) في كل النسخ: فيه فيكون، والقراءة الثابتة ما أثبتناه.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تذكير الضمير).
(٣) ج، ب: هيئة.
(٤) هكذا في الكشاف، وجميع النسخ: طائراً.
(٥) هكذا في الكشاف، وفي ك، ب، وبقية النسخ طائراً.
(٦) الكشاف ١/٣٢٤.

السلام][1] وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا [من][2] نفخه في شيء. قال: وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾[3].

انتهى نص كلامه وهو واضح بيّن[4].

وبقي السؤال عن وجه تخصيص كل من الموضعين بالوارد فيه، وهو من مقصودنا في هذا الكتاب، وعن وجه التكرار في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿بِإِذْنِي﴾ في أربعة مواضع، مع وجازة الكلام، وتقارب ألفاظ الآية.

والجواب عن وجه التخصيص ـ والله أعلم ـ أن الترتيب الذي استقر عليه القرآن في سوره وآياته أصل مراعى، وقد تقدم بعض إشارة إلى ذلك، ولعلنا سنزيد في بيانه إن شاء الله. وعودة[5] الضمير على اللفظ وما يرجع إليه أَوْلَى[6]، وعودته إلى المعنى ثانٍ عن ذلك، وكلا الـرَّغْبَيْن عالٍ[7] فصيح. فعاد في آية آل عمران على الكاف؛ لأنها تعاقب «مِثْل» وهو مذكر. فهذا لحظ لفظي، ثم عاد في آية المائدة إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة، لأن المثل صفة في التقدير المعنوي، فحصل [٣٧/ظ] مراعاة اللفظ أولاً ومراعاة المعنى ثانياً على ما يجب[8]، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[9] بعودة الضمير من «يَقْنُتْ»

(١، ٢) زيادة من من نصّ الكشاف.
(٣) هكذا في الكشاف، وفي ب. وبقية النسخ: (تكون) بدون فاء.
(٤) الكشاف ١/٤٩٠.
(٥) ج: وعَوْد.
(٦) ج، هـ، ع: أولاً.
(٧) هـ: عالي، وساقطة من ك.
(٨) على ما يجب: زيادة من هـ، ك.
(٩) الأحزاب / ٣١.

مذكراً، رعياً للفظ ﴿مَنْ﴾ ثم قال: ﴿وَتَعْمَلْ﴾[1]، بالتاء رعياً للمعنى، وهو كثير[2]. وقد بيّنا أن رعي اللفظ في ذلك هو الأولى. فجرى في آية آل عمران على ذلك، لأنها متقدمة في الترتيب. وجرى في آية المائدة على ما هو ثانٍ، إذْ هي ثانية في الترتيب الثابت، وذلك على ما يجب.

وجواب ثانٍ، وهو أنه قد ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِم إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامُهم - إلى قوله - فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾[3]، نَحْوٌ من عشرين ضميراً من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ مذكراً[4] ليناسب ما تقدمه؛ ولِيُشَاكِلَ[5] الأكثر الوارد قبله. أما آية العُقُود[6] فمفتتحة بقوله تعالى: ﴿اذْكُر نِعمتِي عَلَيْكَ﴾، وخلقه الطائر ونفخه فيه من أجلّ نعمه تعالى عليه[7]، لتأييده بذلك، فناسب ذلك تأنيث الضمير، ولم تكثُر الضمائر هنا ككثرتها[8] هناك[9]، فجاء كل من الآيتين على أتم مناسبة.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو تكرار قوله سبحانه ﴿بِإِذْنِي﴾ في آية المائدة أربع مرات، مع تقارب الألفاظ. ووجهه أن آية آل عمران، إخبار وبشارة لمريم[10]، بما مُنِحَ ابنُها عيسى عليه السلام، وبمقاله[11] عليه السلام

---

(١) ك: بدون واو.
(٢) وهو كثير: ساقط من ج.
(٣) الآيات/ ٤٤ - ٤٩.
(٤) مذكر: بالرفع في جميع النسخ.
(٥) هـ، م، ك: يشاكل.
(٦) يريد آية سورة المائدة؛ لأن «العُقُود» من أسمائها.
(٧) ع، ج: نعمة الله تعالى، ب: نعم الله تعالى.
(٨) ب: لكثرتها.
(٩) ج: هنا.
(١٠) ج: إخبار لمريم وبشارة، وقد سقط لفظ «مريم»، في: هـ، م، ب، ع.
(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ (وبماله)، وفي هامش ج: وبما قاله.

لبني إسرائيل، تعريفاً برسالته، وتحدياً بمعجزته[1]، وتبرّياً من دعوى استبداد، وانفراد لقدرة في مقاله: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ـ إلى قوله ـ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾، إلى ما بعده[2]. ولم تتضمن هذه الآية غير البشارة والإعلام. وأما آية المائدة، فقُصد بها غيرُ هذا[3]، وبنيت على توبيخ النصارى، وتعنيفهم في مقالهم[4] في عيسى عليه السلام، فوردت متضمِّنةً عَدَّهُ سبحانه إنعامه على نبيه عيسى عليه السلام[5]، على طريقة تُجاري العَتْبَ، وليس بعتب، تقريراً يقطع[6] بمَن وقع في العظيمة ممَّن عبده. ومثال ذلك فيما[7] يجري بيننا ـ ولكلام الله المَثَل الأعلى ـ قول القائل لعبده الأحب إليه، المُتَبَرِّي من عصيانه: ألم أفعل لك كذا[8]؟ ألم أعطك كذا؟ ويُعدِّدُ عليه نعماً، ثم يقول: أَفَعَلَ لك ذلك غيري، هل أحسنتَ إلى فلان إلاّ بما أعطيتُك؟ هل قهرتَ عدوّك إلا بمعونتي[9] لك. فيقصد السيد بهذا قطع تخيُّل مَن ظن أن ما كان من هذا العبد من إحسان إلى أحد، أو إرْغام عدُوٍّ، آن ذلك من قِبَل نفسه، مستبداً به، وليس من قِبَل سيِّده. فإذا قرره السيد على هذا، واعترف العبد بأن ذلك[10] كما قال السيد، انقطعت حجة من ظن خلافه، وتوهَّم استقلال

---

(١) ك: بمعجزاته.
(٢) الآية / ٤٩.
(٣) غير هذا ـ زيادة من ك.
(٤) في مقالهم ـ زيادة من ك.
(٥) فوردت ـ الى هنا: ساقط من ج، ع.
(٦) هامش ج: يقطع حجة من.
(٧) ج، ب، ع: مما.
(٨) زاد في ج: وكذا.
(٩) ج، هـ، ب، ع: بمعاونتي.
(١٠) ك: ان ذلك، هـ: مضببة.

العبد. فعلى هذا النحو ـ والله أعلم ـ وردت الآية [٣٨/و] الكريمة. ولذلك تكرر فيها مع تكرُّر الآيات قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِي﴾[1]، وتكرُّر ذلك أربع مرات، عقب أربع آيات مما خُصَّ به عليه السلام من خلق الطير، والنفخ فيه فيحيا[2]، وإبراء الأَكْمَه والأَبْرَص وإحياء الموتى، وهي الآيات التي ضل بسببها من ضل من النصارى، وحملتهم على قولهم بالتثليث، تعالى الله عما يقولون[3] علواً كبيراً، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ﴾[4]، فأعلَم[5] سبحانه أن تلك الآيات بإذنه، وأكد ذلك تأكيداً يرفع توهّم حولٍ، أو قوة لغير الله سبحانه، أو استبداد ممن ظنّه، ونزَّه نبيَّه[6] عليه السلام عن نسبة شيء من ذلك لنفسه مستقلاً بإيجاده[7]، أو ادِّعاء فعل شيء إلاّ بقدرة ربه سبحانه، وإذنه، وبرَّأه[8] من شنيع مقالتهم. ويزيد[9] هذا الغرض بياناً، ما أعقبت به هذه الآي من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ـ الآيات[10] فهل هذا للنصارى إلاّ أعظم توبيخ وتقريع. والمقصود منه جواب عيسى عليه السلام بقوله في إخبار الله سبحانه عنه ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[11]، فافتتح بتنزيه ربه، ثم نفى عن نفسه ما نسَبوا إليه، وأتبع بالتبري والتسليم لربه تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾[12]. فآية آل

---

(١) هـ، م: كرر لفظ (باءذني).
(٢) ك: فيحيى.
(٣) هـ، ك: يقولونه، ب: يقول الظالمون، وصوابها ما أثبتناه.
(٤) المؤمنون / ٩١.
(٥) ك: فأعلم الله سبحانه.
(٦) زاد في ك بعدها: عيسى
(٧) ج، ب: باتحاده.
(٨) وأبراه من من (؟)
(٩) هـ ويؤيد.
(١٠ ـ ١٢) المائدة / ١١٦ ـ ١١٩.

عمران بشارة وإخبار لمريم، وآية المائدة واردة فيما يقوله سبحانه لعيسى عليه السلام توبيخاً للنصارى كما بيّنا. فلما اختلف القصدان اختلفت العبارتان.

٥١ ـ الآية الثامنة قوله تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام:

﴿إنَّ اللَّهَ رَبِّي وربُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ (٥١).

وفي سورة مريم (٣٦): ﴿وَإنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾[1]، فعطف الآية على ما قبلها بواو النسق. وفي سورة الزخرف (٦٤): ﴿إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، بغير حرف النسق، مع زيادة الفصل بالضمير من قوله، هو ولم يقع ذلك في الآيتين قبلُ، كما لم يقع العطف في الأولى والثالثة، فانفردت كل آية من الثلاث بما وردت عليه، مع اتحاد المقصد[2] فيما أعطته كل واحدة[3] منها[4].

فللسّائل أن يسأل عن ذلك[5].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام[6]، وآية كلامه في المهد، عبَّر[7] عن حاله النبوية، وما منحه الله من الخصائص الاصطفائية، فقال: ﴿إنِّي عَبدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً.

---

(١) ساقطة من هـ، ع.
(٢) ك: القصد
(٣) ك: آية.
(٤) ك، ع: منهما.
(٥) ب: صيغة السؤال (فيقال ما أوجه ذلك؟..).
(٦) زيادة من ك.
(٧) ك: عبراً.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾[1]، إلى ما أعقب به هذا من الخصائص الجليلة[2]، مستوفاً[3] بعضها على بعض ليتبين تعداد تلك النعم - إلى قوله - ﴿والسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ [٣٨/ظ] أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[4]. فذكر ما حفظ الله عليه من كرامته في هذه الأحوال الثلاثة: البشرية وهي حال الولادة، وحال الموت، وحال البعث بعده. وهذه أحوال تتنزه الربوبية عنها، ويتعالى عن تجويزها عليه سبحانه، وإذا صحبتها السعادة لم تكن نقصاً في البشرية، إذْ بها امتيازها وهي من حيث الحيوانية الحادثة فَضْلها[5]. ثم لما كان من تمام إخبار عيسى عليه السلام، وتعريفه بما عرف به، وتكميل ما قصده [بـ]ـإقْرَارِه[6] لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، وكان متصلاً بما تقدم، وكأن قد قال: إني عبد الله ومخصوص منه بكذا وكذا، ومعترف[7] بانفراد خالقي بملك الكل، وقهرهم، وخلقهم، فهو ربهم، ومالكهم، والمعبود الحق. فلما كان الكلام من حيث معناه متصلاً، وقد ورد[8] حين أخبر تعالى عنه بقوله عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أن كلام عيسى عليه السلام[9] قد تَمَّ، وانقضى، وشرع في قضية أخرى من التعريف بحقيقة أمر عيسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ.

---

(١) مريم / ٣٠ - ٣١.
(٢) ج، ب، ع: الجلية.
(٣) م، ب: منسوقاً.
(٤) مريم / ٣٣.
(٥) هـ، ب: فضلها.
(٦) م: إفراده، وفي ك: ما قصد به إفراده.
(٧) هـ، معرِّف، ب، ع: ومعرِّف.
(٨) زاد بعدها في ك: (أثناءه ما يعطي بمظاهره).
(٩) هـ: من أول الآية الى هنا ساقط بانتقال النظر.

مَا كَانَ للَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. فورد هذا مورد الجُمَل التي كأنها مفصولة عما قبلها، مع الحاجة إليها، واتصال ما بعدها بما قبلها، لم يكن بُدّ من حرف النسق، ليحصلَ منه أنّه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنَف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فلم يكن بد من حرف النسق، لإحراز هذا الالتحام إذْ لم يكن ليحصل دون حرف النسق حصوله معه، فقيل: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾**، وهو حكاية قول عيسى متصلاً من حيث معناه بقوله: **﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾**، فالوجه عطفه عليه مع الحاجة إلى ما توسّط[2] الكلامين. فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يَعرِض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها، يوهم انقطاعاً، فتحتاج[3] إلى الواو. وهذا وجه دخولها في هذه الآية، والله أعلم.

وأما زيادة الضمير الفَصْليّ في سورة الزخرف، فيجوز مفهومه معنى ضرورياً دعى إليه ما تقدم في الآية قبله. وذلك ما أشار إليه قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾**[4]، إلى ما يتلُو هذه. ففي التفسير، أنه لما نزل قوله تعالى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** ـ الآية[5]، تعلق بها الكفار وقالوا: قد عُبِدَت الملائكة، وعُبِدَ المسيح، وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نَبِيٌّ مقرَّب، وأن الملائكة عباد مقربون. فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد [٣٩/ر] رضينا، وجادَلوا

---

(١) مريم / ٣٤، ٣٥.

(٢) ك: توسط بين الكلامين.

(٣) هـ، ك، ب: فيحتاج.

(٤) الزخرف / ٥٧ ـ وما بعدها.

(٥) الأنبياء / ٩٨.

بهذا فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ[1] أُوْلَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[2]، وهذا مبسوط في كتب التفسير[3]. فلما كان قد تقدم في سورة الزخـرف ذكر آلهتهم، وقولهم: ﴿ءَآلِهَتُنَـا خَيْرٌ أَمْ هُوَ[4]﴾ يعنـون المسيح، ناسبه ما أعقب به من قوله حاكياً عن المسيح[5] عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ فكأن قد قيل هؤلاء غيره، فأحرز هو هذا المعنى. ولم يرد[6] في آية آل عمران وآية مريم من ذكر آلهتهم ما ورد[7] هنا، فلم يُحتج إلى الضمير المحرِز لما ذكرنا، وسنورد إن شاء الله في قوله تعالى في سورة «والنجم»[8]: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[9]، وقوله بعدُ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ. وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[10] بإثبَاتِ هـذا الضمير في أربعة المواضع[11]. وكونه لم يثبُت في قوله: ﴿وَأَنَّـهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾، ولا في قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾، ولا في قوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَىٰ﴾[12]. وتوجيه ذلك والفرق بين ما ورد فيه منها الضمير، وما لم يرد فيه ما يوضح وجه وروده في آية الزخرف، وسقوطه من الآيتين[13] قبلها أتم إيضاح، وأشفاه. ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

---

(1) بعدها في ك (الآيات) وحذف بقية الآية.
(2) الأنبياء / ١٠١، وبعد مبعدون في م: (الآيات).
(3) راجع: أسباب النزول للواحدي / ١٧٥، ولباب النقول / ١٤٩، ١٥٠.
(4) ج: أم هُمْ.
(5) م: بعد المسيح (عيسى بن مريم عليهما السلام)، وفي ج: عليه السلام.
(6) ك: ولم ير ـ بالضم فالفتح.
(7) ج، ب: فأورد.
(8) ب: في سورة النجم في قوله تعالى.
(9، 10) الآيات / ٤٣ ـ ٤٤، ٤٨ ـ ٤٩.
(11) ج، ع: الأربعة المواضع، ب: أربعة مواضع.
(12) الآيات على الترتيب في سورة النجم / ٤٥، ٤٧، ٥٠.
(13) ج: الاثنين.

كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[1]، فأنت[2] هنا[3]، كهو فيما ذكر[4]، ومحرزة ذلك المعنى، من إفراد المشار إليه بالضمير، بما حصّله الخبر، فتأمله فإنّه بيِّنٌ فيما ذكرناه، والله أعلم.

٥٢ ـ الآية التاسعة [قوله تعالى]:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢).

وفي سورة المائدة (١١١): ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾. فحذِفت النون من (أنّا)، في آية آل عمران تخفيفاً، وثبتت في آية المائدة، فقيل (أنّنا) مع أن التخفيف بالحذف جائزٌ[5] فيهما، والإثبات جائز، وهو الأصل.

فللسائل أن يسأل عن وجه[6] تخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم[7] ـ أن آية المائدة لما ورد فيها التفصيل[8] فيما[9] يجب الإيمان به وذلك قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾،

---

(١) المائدة / ١١٧.
(٢) ج، ب: فأنت.
(٣) ج، هـ، م، ع: هناك.
(٤) ب: هنا فيما هو مذكر (؟)
(٥) ما بعدها إلى «جائز» الثانية ساقط من ب بانتقال النظر.
(٦) صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص..).
(٧) ساقطة من ب.
(٨) هـ ك: الفصل.
(٩) ج، ع: بما.

فجاء على أتمّ عبارة في المطلوب وأوفاها، ناسب ذلك أننا على أَوْفَى الحالين، وهو الورود على الأصل. ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في سورة آل عمران، حين قال تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [٣٩/ظ]، فلم يقع هنا «وبرسوله»، إيجازاً للعلم به، وشهادة السياق، ناسب[١] هذا الإيجازَ الإيجازُ، كما ناسب الإتْمَامُ في آية المائدة الإتْمَامَ، فقيل هنا: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، وجاء كل على ما يجب، ولو قدّر ورود العكس، لما ناسب[٢]، والله سبحانه[٣] أعلم بما أراد.

٥٣ ـ الآية العاشرة (غ)[٤] قوله تعالى:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ (٨٦).

وفي سورة براءة (٧٤): ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾. إنْ قيل: إنَّ الآيتين قد اتفقتا في أن المذكور[٥] فيهما[٦] قد وقع منه[٧] كفر بعد إجابة وإذعان، فلم عبَّر عنه في آية آل عمران بالإيمان، وفي آية التوبة بالإسلام؟

فالجواب أن ذلك الاختلاف حال مَن عُنِيَ بهما. وقد ذكر المفسرون أن آية آل عمران نزلت في الحارث بن سُوَيْد[٨] الأنصاري، وكان قد أسلم ثم

(١) ك: وناسب.
(٢) ك: لما تناسب.
(٣) ساقطة من ب.
(٤) هكذا في ك وسقطت غ من بقية النسخ، والآية من المغفلات في درة التنزيل.
(٥) ك: المذكورين.
(٦) ب: فيها.
(٧) هـ، م، ك: منهما، ب: منها.
(٨) ج: الأسود، وصوابها سويد كما في: أسباب النزول للواحدي / ٦٤، ٦٥، واللباب / ٤٨.

ارتدَّ ولحِق بالكفار، ثم ندم فأرسَل إلى قومه ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل له من توبة، فسألوا فنزلت الآية، فكتبوا[1] بها إليه[2]، فأسلم وحسن إسلامه. فكانت حاله حال إيمان، ولم يكن في إسلامه أوّلاً ممّن[3] عُرِف بنفاق، ولا أنه أبطن خلاف ما ظهر منه من[4] إسلامه، فكانت حاله حال إيمان وتصديق، ولم يُظهر خلافه[5]، وذلك هو الإيمان، فناسب حاله وصفه بالإيمان، وهو التصديق بالقلب. أما آية التوبة، فنزلت في الجلاَّس حين قال في غزوة «تبُوك»[6]: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحُمُر، فَنُمِيَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستدعاه فحلف ما قال ـ وكان منافقاً معروف النفاق، يتظاهر بالإسلام ويبطن خلافه ـ فأنزل الله في قصته[7]: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، فقيل هنا بعد إسلامهم، مناسبة للحال، إذ الإسلام يقع في الغالب على الانقياد في الظاهر، وقد لا يكون المتصف به، مصدِّقاً بقلبه قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[8]. ورُوِي أن الجَلاَّسَ[9] أسلم بعد ذلك، وحسُن إسلامه. فاختصاص كل آية منها بالوصف الوارد فيها بيِّن،

---

(١) هـ، ك، ع، ب، ج: وكتبوا.
(٢) ساقطة من ج.
(٣) ج، هـ، ب، ع: مَن.
(٤) ج، هـ، ب، ع: في.
(٥) ك: وتصديق صحيح لم يظهر خلافه.
(٦) زيادة من ك تطابق ما ورد في سبب نزول الآية.
(٧) هـ، ك: قضيته.
(٨) الحجرات / ١٤.
(٩) ج، هـ، ع: الخلاس بالخاء، وصوابها بالجيم، فهو الجلاس بن سويد بن الصامت. انظر: جامع البيان ١٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٥، أسباب النزول / ١٤٤، اللباب / ١١٩، ١٢٠.

لاختلاف[1] الحالين[2]، وفي [3] كل من السببين قصة ذكرها المفسرون، وأهل السِّيَر.

٥٤ ـ الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَـٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧)

وفي النحل (٣٣): ﴿وَلَـٰكِنْ كَانُوا[4] أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

للسائل[5] أن يسأل عن ورود كان الناقصة[6] في آية النحل[7]، وعُرُوّ آية آل عمران[8] عنها، مع اتحاد [٤٠/و] المعنى المقصود في الموضعين، لاجتماع المذكورِين فيهما[9] في ظلمهم أنفسهم.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية آل عمران إنما نزلت في المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حاضرين عند نزول الآية، فورد الإخبار مساوقاً لحالهم في وقت نزول الآية، وما يلي ذلك متصلاً به من الزمان، فلم يكن لدخول كان التي تقتضي وقوع الشيء فيما تقدم من الزمان معنى تحرزه. وأما آية النحل فإخْبَار عمَّن[10] تقدم زمانهم، وُعِظَ به غيرهم. يبين ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ثم قال:

---

(١) ج: للاختلاف، م: الاختلاف.
(٢) زيادة من لـ يقتضيها السياق.
(٣) هـ، م، ع، ب، ج: في بدون عاطف.
(٤) ما بعدها محذوف من: ج، ب، م.
(٥) ج، ع: فللسائل.
(٦) ب: صيغة السؤال (ما وجه ورود كان الناقصة).
(٧) هـ م، ب: آل عمران.
(٨) هـ، م، ب: النحل.
(٩) هـ، ع، ب، ج، م: فيها.
(١٠) ع: عن من.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، فالإخبار عن هؤلاء القبيلَيْن أشْبَهَ[1] بهم مَن بعدَهم من معاصريه صلى الله عليه وسلم، فأحرزت كان هذا المعنى، ولاءَمت الموضع، ولم تكن لتلائم آية آل عمران، ولا الوارد في آية آل عمران، ليناسب ما قصد في آية النحل، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

٥٥ ـ الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ[2] وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١٢٦).

وفي الأنفال[3] (١٠): ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4].

للسائل أن يسأل فيقول: مقصود الآيتين[5] واحد[6] في الموضعين من حيث المعنى، وهي لقوم بأعيانهم، وهم أهل بدر رضي الله عنهم، فما وجه زيادة (لكم) في سورة آل عمران، ولم يرد في الأخرى، وتقديم القلوب على المجرور هنا، وتأخيرها عنه في آية الأنفال، واستئناف[7] تأكيد الإخبَار بالصفتين العَلِيَّتَيْن في سورة الأنفال بإنَّ، ولم تردا جاريتين[8] على اسم الله سبحانه كما في آية آل عمران؟ فهذه ثلاث سؤالات.

---

(١) هـ، ك: المشبَّه بهم.
(٢) ساقط من ج، هـ، م، ب.
(٣) ك: وفي سورة الأنفال: وساقطة من ب.
(٤) هـ: سقط منها قوله (وفي الأنفال ـ الى آخر الآية).
(٥) هـ، م، ب، ج: الاثنين.
(٦) ب: صيغة السؤال (يقال مقصود الآيتين واحد...).
(٧) ج: بدون الواو، وقد حذف في ب ما بعدها الى قوله (في سورة الأنفال).
(٨) م، ع: هذه الكلمة وسابقتها مضطربتان لا تستقيم قراءتها.

والجواب عن الأول والثاني ـ والله أعلم ـ أن آية آل عمران لما تقدم [قبلها][1] قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ﴾[2]، والإخبار عن عدوهم، فاختلط ذكر الطائفتين وضمُّهما كلام واحد، فحررت [3] البشارة لمن هي منهما [4]، وأنها لأولياء الله المؤمنين؛ فجيء بضمير خطابهم متَّصلاً بلام الجر المقتضية للاستحقاق فقيل: ﴿بُشْرَى لَكُمْ﴾ وبيّن أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك فقيل: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾، فقدمت القلوب على المجرور اعتناء، وبشارة، ليمتاز أهلها ممن ليس له[5] فيها نصيب. أما آية الأنفال فلم يتقدم فيها ذكر لغير المؤمنين، فلم يحتج إلى الضمير الخطابي[6] في «لكم». وأيضاً فإنّ آية الأنفال قد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[7]، فأغنى عن عودته فيما بعده، اكتفاء بما قد حصل فيما[8] تقدم من تخصيصهم بذلك.

والجواب عن السؤال الثالث، أن آية الأنفال [٤٠/ظ] تقدم فيها أوْعَادٌ جليلة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[9]، ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾[10] ثم قال[11]: ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ﴾[12]. فهذه أوعاد

(١) ج، ك: فيها، وغير مثبتة في بقية النسخ، وما أثبتناه يناسب السياق.
(٢) آل عمران / ١٢٥.
(٣) ج: فحرزت، م: فجردت.
(٤) هكذا في جميع النسخ.
(٥) ك: لهم.
(٦) ج، ب، ع: ضمير الخطاب.
(٧) الأنفال / ٧.
(٨) م، ك: مما.
(٩،١٠) الأنفال / ٧.
(١١) ساقطتان من ج، ع.
(١٢) الأنفال / ٨.

عليَّة، لم يتقدم إفصاح بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين، من قدرته جل وتعالى على كل شيء، وحكمته في أفعاله[1]، فقال[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ولمّا لم يقع في آية آل عمران إفصاح بما في آية الأنفال، وردت الصفتان تابِعتَيْن دون تأكيد، وجاء كل على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب، وذلك واضح والله أعلم.

٥٦ ـ الآية الثالثة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ ـ الآية. (١٣٣).

وفي سورة الحديد (٢١): ﴿سَابِقُوٓا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ﴾ ـ الآية. والمراد في الموضعين، الحث على المبادرة إلى أفعال البر، وجزيل الثواب للمُمتَثِل، وقد اختلفت عبارة الأمر بذلك في الموضعين، فحذف المضاف في الأولى، وجيء في الثانية بكاف التشبيه عوضاً منه، وقيل في الأولى ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ﴾، على الجمع، وأفردت[3] في الثانية، فقيل: ﴿عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ ففيهما ثلاثة أسولة.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ أن المسارعة إلى الشيء قبل مسابقته. قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[4]، وقد أوضحنا في كتاب «البرهان» أن ترتيب السور متوقِّف على

---

(١) ج، ب، ع: أقواله.
(٢) في ك فقط.
(٣) ك: افرد.
(٤) المؤمنون / ٦١.

أصحُّ المَأخذَيْنِ، وأما ترتيب الآي فلا[1] توقُّف[2] فيه، وأن ذلك كله معتَمد فيه غير ترتيب النزول.

وإذا ثبت هذا، فوجه تقديم لفظ: سارعوا، تقديم[3] المسارعة، ووجه تأخير[4] سابقوا، بناء المسابقة على المسارعة. ألا ترى أن المسارِع إلى الشيء قد يحصل له ما سارَع إليه وقد لا يحصل، ولا يقال في الغالب سبق إلاّ فيمن تحصل[5] له[6] مَطلُوبُه. هذا هو الأكثر، فالمسارعة متقدِّمة[7] في الترتيب[8]، قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُوْلَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[9]، أي ثبتت، وحقت لهم. وعن علي رضي الله عنه: «سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، [وصَلَّى] أبو بكر وثَلَّث عمر»[10]. وقيل في قوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾[11]، إنها الملائكة تسبق الجن في [استماع

---

(١) ب، ع: فلما.
(٢) ك: يتوقف.
(٣) ك: تقدم.
(٤) هـ، ب: تأخيرها.
(٥) ب: يحصل.
(٦) ساقط من ج، ب، ع.
(٧) ك: فالمسارع متقدم.
(٨) هـ، م، ك: الرتبة.
(٩) الأنبياء / ١٠١.
(١٠) ورد الحديث في مسند الإمام علي رضي الله عليه برواية أبي نعيم من طريقين: أولهما شريك، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان عن علي، والثاني: عن سفيان، عن القاسم بن كثير أبي هاشم، عن قيس الخارفي عن علي. وبقية الحديث في الرواية الأولى: «ثم خلطتنا فتنة بعدهم، يصنع الله فيها ما شاء» وفي الرواية الثانية: «ثم خبطتنا فتنة، أو أصابتنا فتنة فكان ما شاء الله» المسند ١/١٢٥٥، ١٢٥٨، والمصلي هو الثاني في السباق.
(١١) النازعات / ٤.

الوحي][1]. فلما كانت المسارعة والمسابقة على ما ذكرنا، ورد المتقدم في الترتيب أوّلاً، والمتأخر ثانياً [٤١/و] مراعاة للترتيب.

والجواب عن الثاني، أن آية آل عمران على حذف المضاف، كما تقدم، أي عرضها مثل عرض السموات والأرض. وقد أفصحت آية الحديد بما يقوم[2] مقام هذا المضاف ويحصّل معناه، وهو كاف التشبيه، إذْ معناها معنى: مِثْل، وحذف المضاف مما يكون كثيراً [عند][3] قصد المبالغة، وكذا جعل الشيء نفس الشيء وهو مما ينقدح[4] في آية آل عمران، وهو نحو قول الشاعر[5]، عند قصد المبالغة: (رجز).

إنَّ: الربيعَ، الجُودَ، والخريفا بَدَا إلى العبَّاس، والصُّيوفا[6]

وهذا كثير، وإليه يرجع الوارد من قولهم: «نهارُكَ صائم وليلُك قائم»[7]، وباب ذلك مما يقصد في المبالغة، فيجعل نفس الشيء. وأنشد سيبويه ـ رحمه الله[8] ـ نحواً من ذلك[9]: (بسيط).

أمَّا النهارُ ففي قَيْدٍ وَسلسلَةٍ والليلُ في بطنِ مَنْحُوتٍ مِنَ السَّاجِ[10]

(١) بياض في الأصول. انظر: القاموس «سبق» البحر ٤١٩/٨، ابن كثير ٤٦٧/٤، نزهة القلوب /١٥٤.

(٢) ج، ع: بما هو يقوم.

(٣) في جميع النسخ: عن. ومقتضى السِّياق ما اثبتناه.

(٤) ج، ع: يبعد. هـ، م، ب: يتقدم، ولعل يتقدم تصحيف ينقدح. والقدح اسم من اقتداح النار واشتعالها، ويقال القديح وهو المرَق، أو ما يبقى في أسفل القِدْر، فيغرف بجهده. وفعيل تأتي بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول.

(٥) ما بعدها إلى أوّل البيت ساقط من: هـ، ك، م، ب.

(٦) هـ، م: بدا. ك، ب: أبي العباس والصيوفا بالمهملة.

(٧) الكتاب ١٦٠/١.

(٨) ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٩) ك: من نحو ذلك، ب: نحو من ذلك.

(١٠) نسب ابن السيرافي البيت للجرنفش بن يزيد بن عبدة الطائي، وهو من أبيات الكتاب =

فجعل النهار في قيد وسلسلة، وجعل الليل في بطن منحوت من الصاج مبالغة، وإنما المجعُول الشخصُ. وقوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، يمكن إلْحاقُه بهذا القبيل وإنْ ظُنَّ أنه يباينه - والجامع قصد المبالغة، كأن السموات والأرض، إذا وُصِلَ بعضها ببعض مصطفًا، نفس عرض الجنة. ومن أبيات الكتاب[1]: (طويل).

لقد لُمْتِنا[2] يا أمَّ غَيْلانَ، في السُّرَى ونِمْتِ[3]، ومَا ليلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ

فنفى النوم [عن][4] الليل، حين جعله نفس الشخص، مبالغة كما في البيت. قيل: ويمكن في هذا كله حذف المضاف، أي: ذو ليل المطي، وذو النهار، وذو الليل فإن الإمام - رحمه الله - لما أنشد هذا البيت، جعله للاسم[5]. ومن هذا الضرب ما يتخرج على حذف المضاف ويمتنع ما سواه، نحو قوله[6]: (وافر)

كأنَّ غديرَهم بجنُوب[7] سَلِّيٍّ نَعَامٌ[8] قَاقَ في بلدٍ[9] قِفَارِ

- الخمسين غير المنسوبة، والسّاج شجر هندي. انظر: الكتاب ١/١٦٠، ١٦١، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/١٦١، المقتضب ٤/٣٣١، المحتسب ٢/١٨٤، شرح الأبيات المشكلة الإعراب / ٧١، الشنتمري ١/٨٠.

(١) البيت لجرير في ديوانه / ٥٥٣، وفي النقائض / ٧٥٣، وانظر الكتاب ١/١٦٠، ومجاز القرآن ١/٢٧٠، ٢/٩٦، الخزانة ١/٢٢٣. وأم غيلان، بنت الشاعر، والسُّرى، السير بالليل، والمطيُّ ما يركب من المطايا، ويريد الشاعر بليل المطي، ليل ركاب المطي.

(٢) ج: كمتنا.

(٣) ب: ولمت.

(٤) في جميع النسخ: على.

(٥) ج، هـ، م، ك: الاسم.

(٦) البيت للنابغة الجعدي. وقيل إنه لشقيق الباهلي، ونسبة ابن بري لشقيق بن جزء بن رباح في اللسان (ق و ق). انظر: ملحقات ديوانه / ٢٤٢، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٢٠٤، الكتاب ١/٢١٤، الشنتمري ١/١٠٩، شواهد النحو رقم / ١٣١٨. وقاق النعام يقوق، صوّت.

(٧) ج: فجنوب، وغير معجمة في ع.

(٨) هـ: بغام، ب: نغام فاق؟

(٩) ب: نار.

أي كأن غديرهم غدير نعام قاقَ، والغدير[1] الصوت. وتخرج آية آل[2] عمران على هذا أوضح، وكلا الضربين يحرز المبالغة. وبالجملة فقصد المبالغة في مثل ما تقدم يستلزم في الغالب الإيجاز، إمَّا بالحذف، وإمَّا بجعل الشيء نفس الشيء، أو بتكرر لفظ يفهم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، وذكر أهوال، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ما ٱلْحَاقَّةُ﴾[3]، و﴿القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ﴾[4]. وقد ذكر سيبويه - رحمه الله - هذه الضروب في أبواب شتى، لافتراقها في أحكام تقتضي التبويب[5] مع اتفاقها [٤١/ظ] فيما ذكرنا، وفي جري الإيجاز في جميعها. ولما اتصل بقوله: ﴿عَرْضُهَا﴾ في آية آل عمران وهو مبتدأ، والخبر عنه مجموع، فقيل: ﴿ٱلسَّمَٰوَاتُ﴾، فأفصح الجمع بما[6] مهَّدناه من قصد المبالغة والتعظيم، ثم أتبع ذلك بما يحرز مقصود ذلك من التعظيم والمبالغة أيضاً، وهو وصف من أُعِدَّت له الجنة الموصوفة، ووصفهم[7] بالمتقين وهم الذين وَفوا بالإيمان وتوابعه التي بها يكمُل مما ذكر في آية: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾، من لدن قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ - إلى قوله -﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾[8]، ولم يكن قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ﴾ بالجمع، كقوله في آية الحديد ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ﴾، فأفرد، ولا قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، كقوله في آية الحديد: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾. فلما تضمنت آية آل عمران[9] من قصد

(١) ج: الغدير - بلا واو.
(٢) ساقطة من ب.
(٣) الحاقة / واحد.
(٤) القارعة / واحد.
(٥) ج: المرتّب، ب: الثوب، وغير مقروءة في ع.
(٦) ج، ب، ع: كما.
(٧) م، ك: ووسمهم.
(٨) البقرة / ١٧٧.
(٩) ج، ك، هـ: زللاً فيها (؟).

المبالغة من هذه الجهات والقرائن التي ذكرنا، ما لم تتضمن[1] آية الحديد، ناسب ذلك جعْل العَرْض[2] نفس السموات والأرض، ومن غير إفصاح بالمضاف المقدّر[3] الذي لا بد منه عند بيان المعنى على ما تقدم. ولما لم يقصد في آية الحديد ذلك، أفصح فيها بما يعطي معنى: مِثْل، وهي كاف التشبيه، وورد كل على ما يناسب[4]، والله أعلم[5].

فإن قيل: [لِمَ[6]] خُصَّتْ آية آل عمران بما تمهد من قصد المبالغة والتعظيم، دون آية الحديد؟ قلت: لبنائها على الحض على الجهاد، وعظيم فضله، وذكر قصة بدر وأُحُد من لدن قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ - إلى ما بعد الآية المتكلَّم فيها. ولما لم يكن في آية الحديد شيء من ذلك ناسب كلًّا ما ورد فيه، والله أعلم.

٥٧ - الآية الرابعة عشرة قوله تعالى:

﴿أُوْلَـٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ﴾ (١٣٦).

وفي سورة العنكبوت (٥٨): ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ﴾.

---

(١) ج: يتضمن.
(٢) ج، م: الغرض.
(٣) ج، هـ م: المقرر.
(٤) ك: زاد هنا - وبلائم.
(٥) ساقطتان من ب.
(٦) في جميع النسخ: لما.

للسائل أن يسأل عن وجه العطف في الأولى، وقوله في الثانية[1]: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، غير معطوف على ما قبله. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنّ الآية الأولى لما وقع فيها ذكر الجزاء مفصّلاً، معطوفاً، فقيل: ﴿أُوْلَـٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَالِدِينَ فِيهَا[2]﴾ ناسبه أنْ عُطِفَتْ الجملة الممدوح بها الجزاء فقيل: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. ولما لم يفصِّل الجزاء [٤٢/و] في سورة العنكبوت، ولم يقع[3] فيه عطف جاءت جملة المعطوف[4] غير معطوفة ليناسب[5] النظم[6]، والله أعلم.

٥٨ ـ الآية الخامسة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١٦٤)

وفي الجمعة (٢): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾.

للسائل أنْ يسأل عن أنَّ مقصد الآيتين[8]، الإخبار بامتنانه على[9] العرب، بأن بعث فيهم رسولاً منهم ولم يكن من غيرهم، ثم اختلفت العبارة

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه العطف في الأولى والثانية..).
(٢) ساقطة من ك.
(٣) ك، ب: ولا وقع.
(٤) ك: المدح.
(٥) ك: ليتناسب.
(٦) ج: المتضم، ب: المتكلم، ع: المنتظم.
(٧) ساقطة من ع.
(٨) هـ: صيغة السؤال (لسائل ان يقول ان مقصد)، وفي ب (فيسأل عن مقصد الآيتين).
(٩) ج، هـ: عن.

في البيان فقيل في الأولى ﴿مِنْ أَنفُسِهِم﴾، وفي الثانية: ﴿مِنْهُمْ﴾. فيسأل عن وجه ذلك.

والجواب عن ذلك أن قولك: [فُلانٌ] من أنفُس القوم، أوقع في القرب والخصوص من قولك: فلان منهم. فإنّ هذا قد يراد للنوعية فلا يتخلص لتقريب المنزلة والشرف إلاّ بقرينة. أما من أنفسهم، فأخص، فلا يفتقر إلى قرينة. ولذلك ورد حيث قصد التعريف بعظم النعمة به صلى الله عليه وسلم، وجليل إشفاقه وحرصه على نجاتهم، ورأفته ورحمته بهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[1]. وقال تعالى فيمن كان على النّدّ من حال المؤمنين المستجيبين ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾[2]. فتأمل موقع قوله هنا ﴿مِّنْهُمْ﴾، لما قصد أنه إنعام عليهم لم يوفقوا لمعرفة قدره ولا للاستجابة[3] المثمرة النجاة[4]، فقيل هنا: ﴿مِّنْهُمْ﴾[5]. وأما[6] قوله صلى الله عليه وسلم: «سلمان منا أهل البيت»[7]، فإنه لما لم يكن رضي الله عنه من قريش، وأراد عليه السلام تقريبه وتشريفه عبّر بما يعطي ذلك، ولا يخص خصوص قوله: من أنفسنا. وإنما تخلص لجذب الخصوصية بقرينة قوله عليه السلام: سلمان منا أهل البيت. وأما قوله عليه

---

(١) التوبة / ١٢٨.
(٢) النحل / ١١٣.
(٣) ب، ع: الاستجابة.
(٤) ب، ك: للنجاة.
(٥) هـ، م، ك، ب: تكرر فيها (لما قصد إنعام عليهم) بانتقال النظر.
(٦) هـ، م، ك، ب: فأما.
(٧) لم أجد هذا المتن في مناقب سلمان في صحاح الحديث الستة، ولم يذكره «فنسنك» في معجم ألفاظ الحديث النبوي. والثابت الصحيح في مناقب سلمان قوله عليه السلام: «سلمان ابن الإسلام، سلمان جِلدةٌ بين عَيْنيّ». وقد حقق ألفاظ الحديث شمس الدين الذهبي، ونسبها الى علي بن أبي طالب في تاريخ الإسلام ٢/١٦٠، وانظر: المجازات النبوية / ٢٤٧ رقم ٢٥٩.

السلام في فاطمة: «إنما[1] هي بَضْعَةٌ مِنِّي»[2]، فقد تحصل منه أتم خصوص من وجهين:

أحدهما: قوله عليه السلام: مِنّي، وهذا أخص من قوله عليه السلام[3] مِنّا. فتأمله[4] فهو منافٍ للشِّياع[5] الداخل في قوله مِنّا.

والثاني: قوله بَضعَة، فجعلها عليه السلام جزءاً منه، وذلك أعلى خصوص.

وأما قوله: «مَوْلَى القوم منهم»[6]، فالمراد منه تقريب الولاء من النَّسب، وليس من أنفسهم، وقد تقدم قوله: ﴿مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وفي مقابلة قوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾، وأنَّ (منَّا) دونه في الشِّياع. وهي أخص وأبعد من الشِّياع، فتأمل هذا.

ولما كان لفظ الأميين يتناول قريشاً وغيرهم من العرب ممن ليس من أهل الكتاب قيل: ﴿مِّنْهُمْ﴾، فناسبت[7] هذه الآية[8] بما فيها من الشِّياع الذي مهَّدناه[9]، عموم[10] الأميين من العرب ممن أسلم وممن[11] لم يسلم.

---

(1) ج: إنها، وساقطة من ب.

(2) الحديث متفق عليه من طريق المِسْوَر بن مَخْرَمَة مع اختلاف في لفظه. ففي البخاري ٥/٢٦: «فاطمة بضعة مني»، وفي مسلم ٥/٩٥: «فإنما ابنتي بضعة مني»، ٩٦: «إنما فاطمة بضعة مني»، ٩٧: «إن فاطمة مني»، ٩٨: «إن فاطمة بنت محمد بضعة مني».

(3) في ك فقط.

(4) ساقطة من ك.

(5) الشِّياع ككتاب دِقّ الحطب ـ بكسر الدال ـ تشيَّع به النار، وقد يفتح. وفي هامش النسخة هـ بخط غير خط النسخة: شيوع، وهي مصدر الفعل شاع، بمعنى فشا وذاع...

(6) الحديث في صحيح البخاري ٤/٢٢١، من طريق أنس لقتادة لشعبة لسليمان بن حرب فالبخاري في «باب ابن أخت القوم ومولى القوم منهم» في حديثه صلى الله عليه وسلم الى الانصار «ابن اخت القوم منهم» وانظر: سنن الترمذي ٥/٣٩٠١.

(7) ج، م، ع: فناسب. هـ، ب: فتناسب.

(8) ك، ب: الكناية.

(9) ج: عهدناه. ك، ب: مهدنا.

(10) ب: لعموم.

(11) ك: ومن.

ولما قال في آية آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، فخص من أسلم. ناسب ذلك قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بخصوصه[1]، كما [٤٢ / ظ] تقدم، ولم يكن العكس ليناسب، والله أعلم.

٥٩ ـ الآية السادسة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١٦٧).

وفي سورة الفتح (١١): ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: إنّ مقصود الآيتين قد اتّحد، لأن حاصله التعريف بأن كلاً من المذكورين في الآيتين أظهَرَ خلافَ ما أبطن، فلم قيل في الأولى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وفي الثانية ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾، مع اتحاد المعنى؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن قوله في الأولى ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، ينبىء عن مبالغة واستحكام وتمكُّن في اعتقاد أو قصد لا يحصل من قولهم بألسنتهم. ألاّ ترى قولهم: «تكلّم بملء[2] فيه» حين يريدون المبالغة. وقال تعالى: ﴿اليومَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾[3]، والمراد المبالغة في منعهم عن الكلام. وإذا خُتِم على الأفواه، امتنعت الألسنة عن النطق، وكان أحكم في المنع. ولما كان المراد في الآية الأولى الإخبار عن المنافقين، كعبد الله بن أُبَيّ وأصحابه، ممن استحكم نفاقه وتقرر، فقال يوم أُحُد ما حكى الله في المخالفين لهم من الأنصار ممن أكرمه الله بالشهادة في ذلك اليوم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[4]

---

(١) ك: لخصوصية، ب: بخصوصية.

(٢) ك: بمل.

(٣) يس / ٦٥.

(٤) آل عمران / ١٦٨. وانظر: أسباب النزول / ٧٣ ـ ٧٥، اللباب / ٥٣، ٥٤، جامع البيان ٧/٣٧٨ ـ ٣٧٩.

ـ إلى ما قالوه من هذا. ثم وَرَّوْا عنه بقولهم لصالحي المؤمنين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَأَتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾[1] فأخبر الله تعالى عنهم بما أكنُّوه من الكفر فقال تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2]. فناسب الإبلاغ في قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، ما انْطَوَوْا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر. وأما آية الفتح فإخبار عن أعراب ممَّن[3] قال تعالى فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[4]. وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالآخرين، وإنما أخلَّ بهم قرب[5] عهدهم بالكفر وإنْ لم يتقرر الإيمان في قلوبهم لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين. قال تعالى مخبراً عن هؤلاء الأعراب: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[6]، فعن هؤلاء قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[7]، فعبَّر بالألسنة إشعاراً بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آية آل عمران فَلِاخْتِلاف حال الطائفتين اختلفت العبارة[8] عما صدر منهم، وورد كل على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

٦٠ ـ **الآية السابعة عشرة قوله تعالى:**

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَـٰتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَـٰبِ الْمُنِيرِ﴾ (١٨٤).

(١ ، ٢) آل عمران ١٦٧.
(٣) ك: منهن.
(٤) الحجرات / ١٤.
(٥) ك: أقرب.
(٦،٧) الفتح / ١١.
(٨) ك: العبادة.

وفي سورة الملائكة (فاطر / ٤): ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [٤٣ / و] ورد في هاتين الآيتين المفعول المُقَام[1] مقام الفاعل، وهو رُسُل مُكَسَّراً. والاسم المجموع جمع تكسير، يجوز فيه التذكير والتأنيث. فورد في الآية الأولى: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ﴾، على رعي عدم[2] التأنيث ولم يُقرأ[3] بغيره. وفي الآية الثانية: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ﴾ على معنى[4] التأنيث لزوماً أيضاً مع وحدة اللفظ في المرفوع المفعول وما يجوز فيه من التذكير والتأنيث، فيسأل عن ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن كلاً[5] من الآيتين مراعى فيه، ما يلي تابعاً للمرفوع من الوصف في الأولى، وما عطف في الثانية.

أما الأولى فقال تعالى: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ﴾[6]، ولا[7] يمكن هنا إلاّ هذا، فجرى على ما هو الأصل في جمع المذكر[8] من التذكير، فلم تلحق الفعل علامة التأنيث.

وأما آية الملائكة فَلَحِقَت التَّاءُ الفِعلَ رعياً لما عطف على الآية من قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، وليس في هذا إلاّ التأنيث، سواء بُني الفعل للفاعل أو للمفعول، فنوسب بين الآيتين فقيل «كُذِّبَت» على الجائز الفصيح في تأنيث المجموع المكسَّر، ليحصل التناسب، ولا يمكن عكس الوارد في الآيتين، والله أعلم.

---

(١) ساقطة من ج، ب.
(٢) ساقطة من م، ب.
(٣) ع: يُقر.
(٤، ٥) ساقطتان من ك.
(٦) ساقطة من م، وزاد في ك بعدها «فقط».
(٧) م، ك: ولم.
(٨) زاد بعدها في ك: المُكسَّر.

٦١ ـ الآية الثامنة عشرة (ع) قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٨٦)

وفي سورة لقمان (١٧): ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، بغير لام في خبر إنَّ في الآيتين.

وفي سورة الشورى (٤٣): ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. فزيد في هذه الآية اللام المذكورة[١] في الخبر، فقيل: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

فللسائل أن يسأل عن الفرق[٢].

والجواب ـ والله أعلم ـ اختلاف ما وقع الحض على الصبر عليه في هذه الآيات وأُشير إليه بذلك فإنه[٣] من عزم الأمور.

أما الأولى فإن قبلها: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ[٤] مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[٥]. فوقع الإخبار بالابتلاء في الأموال والأنفس[٦]، وسماع[٧] الأذى[٨] ممن ذكر، فعرِّفوا بثلاثة ضروب، وأمروا بالصبر عليها، وهي أربعة أشياء باختلاف[٩]

---

(١) ساقطة من ب.
(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن الفرق).
(٣) ك: وانه.
(٤) ب: الى آخر الآية محذوف واستبدله الناسخ بكلمة (الآية).
(٥) آل عمران / ١٨٦.
(٦) ج، ع: وفي الأنفس.
(٧) ك: سمع.
(٨) ب: الأذل ممن ذكر فقد قرىء بثلاثة ضروب (؟).
(٩) هكذا في ج، ك وبقية النسخ: بالتفات.

الشخصين[1] في المسموع منه الأذى، وأعلِمُوا أن الصبر عليها من عزم الأمور.

وأما آية لقمان، فأشير فيها بذلك إلى أربع خصال أمر بها لقمان ابنه. وذلك قوله[2]: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾. واتبعت بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. والأربعة في الآيتين من العدد[3] القليل.

وأما آية الشورى[4]، فالإشارة فيها بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، إلى اثْنَيْ[5] عشر [٤٣/ظ] مطلوباً من لدن قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[6]. وهذه إشارة إلى التنزُّه عن ذلك ثم قيل: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[7]. فأشار إلى الإيمان، والتوكل، والتزام ذلك، ثم قال[8]: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[9]، فهذه التزامات ثلاث. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[10]، فهذه التزامات أربع. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[11]، فأشار إلى أن هؤلاء لا يظلمون أحداً، وأن أقصى ما يقع منهم الانتصار ممن يظلمهم، وذلك مباح لهم غير قبيح، وقد قيل بقوله بعدُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[12] ثم عرَّف بحالٍ أجلّ من ذلك وأعْلا[13] فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا

(١) ك: التفصيل.
(٢) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.
(٣) ج، ب، ع: العدَّ (؟)
(٤) ب: الشعراء، والصواب ما أثبتناه.
(٥) ب: اثنا عشر.
(٦،٧) الشورى / ٣٦.
(٨) ساقطة من ج، هـ، م.
(٩، ١٢) الشورى / ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠ على الترتيب.
(١٣) زاد في ج، هـ، م بعدها كلمة «عمل».

وَأَصْلَحَ فَأَجْره عَلَىٰ اللَّهِ﴾[1]، واعلم مع عُلُوِّ هذا الملتزَم أن المنتصر من ظلمه ما عليه من سبيل، وأن[2] السبيل إنما هو على ظالمي الناس والباغين. وبعد هذه الخصال المُنيفة[3] على العَشْر، قال تعالى في التزام جميعها: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، ولم يكن في الآيتين قبلها كثرة، فناسبها[4] عدم زيادة اللام. على أن ما خُتمت به آية الشورى من قوله ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ﴾[5] ـ وهي الخَصْلَةُ الشاهدة بكمال الإيمان ـ للمتصف[6] بها. فلو لم يكن قبل قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ غيرها، لكانت بمعناها أعم من الخصال المذكورة في آية آل عمران، إذْ تلك الخِصال داخلة[7] تحت هذه الخَصلة الجليلة ومن منطوياتها، فناسب ذلك أتم المناسبة، ولم يكن العكس ليناسب[8]، والله سبحانه وتعالى[9] أعلم.

سورة النساء

٦٢ ـ الآية الأولى منها[10](ع) قوله تعالى:

﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ

---

(١) الشورى / ٤٠.
(٢) ج، ك: وإنما السبيل، ع: إنما.
(٣) في جميع النسخ (النيفة)، والصواب ما أثبتناه.
(٤) ك: يناسبها.
(٥) الشورى / ٤٠.
(٦) ج: إيمان المتصف، ع: الايمان المتصف.
(٧) ساقطة من ج.
(٨) ب: مناسب والله أعلم.
(٩) ساقطة من هـ، م، ك.
(١٠) ساقط من ب.

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (١).

وفي سورة الأعراف (١٨٩): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾. وفي الزمر (٦): ﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

فيها ثلاث سؤالات[1]:

أحدها: الفرق بين الخَلْق، والجَعْل، ووجه تخصيص الأخيرتين بجَعَل، والأولى بخَلَق، ووجه ورود «ثم» في آية الزمر عوضاً عن الواو.

والجواب عن الأول أن العبارة بخلق واردة على ما ينبغي، ومطابقة للمعنى[2] المقصود وهو المراد بجَعَل، إلا أن (جَعَل) ثانية[3] عنها، لتوقف الجَعْل على ما يتقدمه، لأن العبارة بخلق تكون[4] عند المُتَشَرِّعِينَ عن عَدَمٍ سابق حيث لا تتقدم[5] مادة ولا سبب محسوس. واستيفاء الكلام وتحرير التمثيل يطول، وله مَظَانٌّ. وأما الجَعْل فيتوقف على موجود [٤٤/و] مغاير للمجعُول يكون منه المجعُول، أو عنه كالمادة والسبب. ولا يَرِدُ في الكتاب العزيز[6] لفظ جَعَل في الأكثر مراداً به الخلق، إلا حيث يكون[7] قبله ما يكون عنه أو منه، أو سبباً فيه محسوساً عنه[8]، يكون[9] ذلك المخلوق الثاني بخلاف خلَق، فإن العبارة تقع كثيراً به عما لم يتقدم وجوده وجودَ

---

(١) أسولة.
(٢) ج، هـ، ع: للشيء.
(٣) ج، ع: نائبة.
(٤) ساقط من ك.
(٥) ج، ب: يتقدم.
(٦) ساقط من ج، هـ، ع.
(٧) ساقط من ج، ب: ع.
(٨) ساقط من ج.
(٩) ساقط من هـ، م، ع.

مغاير يكون عنه هذا الثاني. وقل ما تقع واحدة من العبارتين في القرآن على خلاف ما ذكرناه. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [1]، وإنما الظلمات والنور عن [2] أجْرَام توجَد بوجودها وتُعدم [3] بعدَمها. أما السَّموات والأرض فليست كذلك، أعني أنها لا ترتبط بموجود حادث [تُوجَد][4] بوجوده وتُعدم بعدمه. وإنْ قلنا بتقدم[5] مادة حسبما وردت[6] في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى السَّماءِ وهِيَ دُخَانٌ﴾[7]. وفي الخبر المذكور في خلقها. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾[8] وفي هذه الآية والمتصلة بها قبلها[9] شَوْبٌ[10] تَصيُّر[11]، لتقارب المعنى في التصوير[12] وما يكون من المادة. فقد لاَحَ الفرق بين خَلَق وجَعَل، ووجه تخصيص كل آية مما تقدم بالوارد[13] فيها. وأما ورود جَعَل في آية الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا﴾، فلما قصد هنا من معنى السُّكن، وكأنه[14] أُريد نَفْيُ المغايرة تقريباً وتأنيساً، لحصول[15] الركون والسكن الذي جعله الله من

---

(1) الأنعام / واحد.
(2) ج، ب، ع: على
(3) ج: تنعدم.
(4) جميع النسخ: يوجد.
(5) ب: تتقدم.
(6) ك: ورد.
(7) فصلت / ١١.
(8) الزخرف / ١٢.
(9) ك: مثلها.
(10) ج: ثبوت، وقد سقط ما بعدها إلى قوله «التصوير» من ك.
(11) ج، ع: تصيير.
(12) م، ك: التصيير.
(13) ك: مما يتقدم بالواو فيها (؟)
(14) ما بعدها إلى قوله «والسكن» ساقط من ك.
(15) م: بحصول.

آياته ونعمه، لتستحكم[1] سببية[2] التناسل والتكثير، فكانت جَعَل أوقع في هذا الغرض. ثم إنّ الخبر وارد بخلق حواء[3] من ضِلَع آدم[4]، فهذا نحو من المتقدم في سورة الأنعام. وعبّر في سورة النساء بخَلَق، لمقصود الآية من التعريف بالأوّلية والابتداء، ولمناسبة ما اتصل بها من قوله ﴿خَلَقَكُمْ﴾، حتى يوافقه[5] في اللفظ وما قصد من المعنى.

وأما الجواب عن السؤال الثالث، وهو زيادة[6] «ثُمّ» في سورة الزمر[7]، فَلَمّا قصد من الامتنان والإنعام على هذا الجنس الآدمي، ولتفاوت ما بين الآيتين العجيبتين من خلق الصِّنف الإنساني من شخص واحد وخلق زوجه منه، فجيء بثُمّ المُنَبِّهَة[8] على معنى الاعتناء بذكر ما عطف بها، والتأكيد لشأنه للمزية على المعطوف عليه القائمة مقام التراخي في الزمان. قال الزمخشري: فإنْ قلت، ما معنى[9] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوجَها﴾، وما يعطيه[10] من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّدها دَالاًّ على وحدانيته وقدرته، وهما[11] تشعُّب هذا الخلق [44/ظ] الفائت للحصر وانتشاره[12] من نفس آدم، وخلق حواء من قُصَيْرَاهُ[13]، إلاّ أن

(1) ج، ك، ع: ليستحكم.
(2) م: بسببه.
(3) ك: حوّى.
(4) هـ: ضلع من آدم.
(5) ب: توافقه.
(6) هـ، ب: الزيادة.
(7) ك: الأنعام، والصواب ما أثبتناه.
(8) ع: المنبثقة، ك: المبنية.
(9) في الكشاف 3/ 24: ما وجه.
(10) في الكشاف 3/ 24: تعطيه.
(11، 12) ساقطتان من الكشاف.
(13) قصيراه: القُصَيرَى، مقصورة أسفل الأضلاع، أو آخر ضلع في الجنب.

إحداهما[1] جعلها[2] الله[3] سبحانه عادة[4]، والأخرى لم[5] يُجْرِ بها العادة، ولم يخلق أنثى غير حواء من قُصَيْرَى رجل. فكانت أدْخَلَ في كونها آية، وأجْلبَ لعجب السامع، فعطفها بثم على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها[6] فضلاً ومَزِيَّةً، وتراخيها[7] عنها فيما يرجع[8] إلى زيادة كونها آية؛ فهو من التراخي في الحال والمنزلة[9] لا من التراخي في الوجود[10]. قلت: وعلى هذا المأخذ يسقط الاعتراض بأن ثم قد تجري[11] مجرى الواو، فلا تقتضي[12] ترتيباً ولا مُهلة لأن هذا الاعتراض إنما ينزل على أن ثم تقتضي الترتيب الزماني وجوباً[13]. أما إذا قلنا، إنها تَرِدُ لقصد[14] التفاوت والتراخي عن[15] الزماني، فلا يحتاج[16] إلى انفصال عن ذلك الاعتراض، ولا أن نقول[17]: إن ثم قد تكون بمعنى الواو. قلت: ومن ورود «ثُمَّ» لما ذكر من تراخي الرُّتْبَة، قوله جل وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[18].

---

(1) ك: احدهما.
(2) م، ب، ع، هـ: جعله.
(3) زيادة في م، ك.
(4) م، ب: عبادة.
(5) ما بعدها إلى قوله «وأجلب» ساقط من ك، هـ، ب.
(6) ك: ما باينتها.
(7) م: وتراخياً عنها.
(8) ب: رجع.
(9) م، ك، ب: المزيَّة، وما أثبتناه من الكشاف.
(10) الى هنا ينتهي نص الكشاف ٣/٢٤، وما بعده كلام المؤلف.
(11) ج، ب: جرا.
(12) ج، ب: يقتضي.
(13) هـ، م، ك: لزُوما.
(14) ج: لقصر، م: يقصد.
(15) ج: على، وفي الهامش: غير.
(16) ب، ك: ولا.
(17) ج: تقول.
(18) طه / ٨٢.

قال الزمخشري: ومنه[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2]، وكلمة التراخي دلّت على تباين[3] المنزلتين دلالتها[4] على تباين المرتبين[5] في: جاءني زيدٌ ثم عَمْرٌو، أعني أن منزلة الاستقامة على الخير[6] مباينة لمنزلة الخير[7] نفسه؛ لأنها أعلى[8] منها وأفضل[9]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[10].

قال الزمخشري: إن قلت: فما معنى ثم، الداخلة في تكرُّر[11] الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرّة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله: (طويل).

ألَا يا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمي[12]

أنشده النحويون على إلحاق تاء التأنيث «ثُمَّ»، وأنشده الزمخشري[13]. ومثل ذلك ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[14] قال: جاء بِثُمَّ لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة على العِتْق والصدقة لا في الوقت، لأن الإيمان

---

(1) الكشاف: ونحوه.
(2) فصلت / ٣٠.
(3) م، ك، ع: ثبات.
(4) م: دلالتهما.
(5) م، ب، ع: الرتبتين.
(٦، ٧) الخير.
(8) هـ، م، ب: أعلى، وما أثبتناه من الكشاف.
(9) النص في الكشاف ٢/٣١٠، وانظر: ٣/٧١ في تأويل آية «فصلت».
(10) المدثر / ١٨ - ٢٠.
(11) ج، ب: تكرار، وفي الكشاف: تكرير.
(12) م: ثم تسلمي. والبيت لحميد بن ثور في ديوانه / ١٣٣، ورصف المباني / ٤٥٣، وشرح المفصل ٣/٣٩ وشطره الثاني:

ثلاثَ تحياتٍ وإن لم تَكَلَّمِي

(13) النص في الكشاف ٣/٢٨٧.
(14) البلد / ١٧.

هو السابق المقدم[1] على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلاّ به[2].
فثم حيث لا يقصد مهلة الزمان[3] تحرز تنبيهاً على حال ما يعطف بها ومحلِّه. والإشارة إلى أنه بحيث[4] لو لم يذكر ما قبله لكان كافياً في المقصود. هذا ما تحصله[5] [ثُمَّ]، حيث لا يقصد مهلة الزمان[6] فلما قصد في سورة الزمر الإنعام والامتنان، وتعداد ذلك تعظيماً وتفخيماً، ورد بثُمّ، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

فإن قلت: فقد كان الوجه على هذا أن لو[7] قيل: ثم أنزل لكم من الأنعام. قلت: هذه نعمة لا تفتقر لبيان أمرها إلى التنبيه[8] بثم، وليست موضع تَغَفُّل[9] أو تَخَفّي وإنما موضع «ثُمّ» حيث يراد الاعتناء والتنبيه على قدر المعطوف[10] بها، لاحتمال أن تخفى. فإذا كان غير خافٍ وبيّنَ الاستقلال بنفسه [٤٥/و] لم يفتقر إلى هذا[11]. ومن حيث قصد معنى الامتنان، كان جَعَل أوْلَى لما تقدم[12] من معناها. وقد[13] وضح ورود كل آية

(١) م: المتقدم.
(٢) زاد بعده في ك «ـ الآية».
(٣) هـ: م، ب: الزماني.
(٤) زاد بعدها في ج، ع «أنه».
(٥) ج، هـ، م، ع: يحصله.
(٦) ب: الزماني.
(٧) ج، هـ، ب، ع: الو ـ موصولة.
(٨) ج: البينة.
(٩) ك: بحيث تغفل، ج: تفضل.
(١٠) م: المعطوفة
(١١) الى هذا ـ زيادة من ك.
(١٢) ك: قدم.
(١٣) ك: فقد.

من الثلاث على ما يناسب المقصود من كل واحدة[1].

٦٣ ـ الآية الثانية (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾(٥).

وفي آية أخرى بعد (٨): ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾.

للسائل أن يسأل عن[2] زيادة ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾، في الأولى، وسقوطه في الثانية.

والجواب أن قوله تعالى: ﴿وَلَا[3] تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم﴾، إنما المراد به السَّفِيه المُتَصَيِّر إليه المال[4] ولا يُحسِن القيام عليه، فيُحْجَرُ عليه[5] مَالُهُ إبقاءً عليه، ولا يمكّن منه إلاّ بقدر ما يأكله ويلبسه. فالنهي إنما هو للأوصياء، ونسبة المال[6] إليهم مجاز بما لهم فيه من التصرف والنظر. أما الآية الأخرى فليست في شأن أحوال السفهاء وحكمها، وإنما المراد بها المُقتَسِمون لميراث يخُصُّهم، لا حق فيه لغيرهم، فيحضرهم قريب[7] فقير، ويتيم محتاج ومسكين، فنُدِبُوا إلى التصدُّق عليهم، والإحسان لا لحق هؤلاء في المال. فمن

(١) ب: وحدة.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة...).
(٣) ساقطة من ج.
(٤) زاد بعدها في ك، ع: بإرث.
(٥) م: في.
(٦) ج، هـ، ع: الملك.
(٧) ساقطة من ب.

أينَ تلزم كُسوتهم والتنصيص عليها، إنما نُدِبُوا إلى الإحسان بالمعروف[1]، مما يخفُّ عليهم، وَسِعَ ذلك كُسوتهم أو لم يَسَعْ. فافترق مقصد الآيتين، وجاء كل على ما[2] يناسب.

٦٤ ـ الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣).

وفي سورة المائدة (غ)[3] (٨٥) قوله تعالى: ﴿فَأَثَـٰبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وفي آخر هذه السورة [غ] (١١٩) قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي سورة براءة [غ] (٨٨، ٨٩): ﴿لَـٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا[4] مَعَهُ جَـٰهَدُوا[5] بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي آية منها فيما بعدُ [غ] (١٠٠) قوله تعالى: ﴿وَالسَّـٰبِقُونَ الأَوَّلُونَ

---

(١) هـ، م، ك، ب: بالعفو.
(٢) ج: وجاء كل عاماً.
(٣) ساقط من ج، ب.
(٤) ساقط من ج.
(٥) ما بعدها إلى قوله﴿خالدين فيها﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «الآية ـ إلى قوله ـ»

مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ[1] وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي سورة إبراهيم (غ)[2] (٢٣): ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ [٤٥/ظ] ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

وفي سورة الكهف (غ)[3] (٣٠، ٣١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا[4]. أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ ـ الآية.

وفي سورة الحديد [غ] (١٢): ﴿بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ[5] خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي سورة المجادلة [غ] (٢٢): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم[6] بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وفي سورة الصف (غ)[7] (١٠-١٢): ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ

---

(١) ما بعدها إلى قوله ﴿أعدّ لهم﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «إلى قوله»
(٢) ساقط من ج، ب.
(٣) ساقط من ج.
(٤) ما بعدها إلى قوله ﴿من ذهب﴾ محذوف من ب.
(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».
(٦) ما بعدها إلى قوله ﴿ورضوا عنه﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «الآية»
(٧) في ك فقط، وساقطة من بقية النسخ، وهي من مغفلات «الدرة».

عَلَى تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ[1] بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾.

وفي سورة التغابن (٩): ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ ـ الآية[2].

وفي سورة الطلاق (١١): ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

وفي سورة البروج (غ)[3] (١١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَاتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

وفي سورة البَرِيَّة[4] (غ)[5] (٨): ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

فهذه ثلاث عشرة[6] آية يجمعها التعريف بالجزاء الأخروي للمؤمنين، والإشارة إلى حال الجزاء ووجهه. وقد عَرَضَ فيها مما يسأل[7] عنه: مما اتفقت فيه أو اختلفت، وانفرد به بعضها دون بعض، ست سؤالات:

---

(١) ما بعدها إلى قوله ﴿الأنهار﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «إلى قوله».

(٢) آية التغابن في م فقط ونصها: ﴿يومَ يجمعكم ليوم الجَمْع ذلك يوم التَّغابُنِ ومَن يؤمن بالله ويعملْ صالحاً يكفِّرْ عن سيئاته ويدخلْه جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾

(٣) في ك فقط، والآية من مغفلات الدرة.

(٤) هي سورة البَيِّنَة.

(٥) ساقطة من ج، ب، وهي من مغفلات الدرة.

(٦) ب: ثلاثة عشرة. وهذا العدد بدون آية النساء فيدخل فيه آية التغابن التي انفردت بها (م).

(٧) هـ: يسل (؟)

الأول: وهو اتفاق[1] أكثرها في[2] ذكر الخلود[3]، وقد كثُر اختلافها فيما سوى ذلك.

والجواب عنه، أن وجه اتفاق أكثرها على ما ذكر، أن كل نعيم ينقطع فليس بنعيم في الحقيقة، وكذلك العذاب. وهذا واضح، فلولا الخلود لما كان نعيماً. فلهذا كثر تَرْدادُه مع ضروب الجزاء.

والسؤال الثاني: ما وجه اجتماع الرضا والتأبيد[4] في الآية الثانية من المائدة، وثانية براءة، وآية[5] البرِيَّة، ولم يجمع بينهما في البواقي. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن هذه الآيات [واردة] على ما يُذْكَر.

أما آية المائدة، فقد قال تعالى فيها: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، ووَرَد[6] التصديق بعيسى[7] عليه السلام[8]، فوَسَمَهُم فيها بالصدق، وهو أسْنَى حالات الإيمان. وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[9]. فالصدق حال الأنبياء [٤٦/و] والرُّسُل، وأولي[10] السوابق.

وأما الآية الثانية من سورة براءة ففيها: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، وسبقية هؤلاء رضوان الله عليهم وما عُرِفَ من حالهم،

---

(١) هـ، م، ب، ع: اختلاف.
(٢) هامش ج: على.
(٣) م، ب: الخلق.
(٤) ب: التأمل.
(٥) ك: وسورة.
(٦) ج، ب، ع: وورود.
(٧) م، ب، ع: لعيسى.
(٨) هـ م، ب، ع: عليهم (؟).
(٩) التوبة / ١١٩.
(١٠) ج، هـ، م: بدون الواو.

وأنهم صفوة المحسنين[1] من هؤلاء الأمة، معلوم مُلْحِقٌ لهم بِنَمَطِ[2] الأَعْلَيْنَ من الصادقين من أتباع الرسل. فلما كان المشار إليهم في الآيتين هم الأسوة والقُدوة لمن سواهم، ناسب حالَهم الإطْنَابُ بذكر الرضا والتأبيد، ولم يقع في الآيات البواقي وصفٌ يُلحِق أَصْحابَه[3] بهؤلاء وإنْ شملهم الرضا، والخلود في الجنة، لكن تجديد[4] الذكر والإفصاح بالمقدر المفهوم من سياق الكلام وعمومه له حكم قد بُيِّنَ في نحو قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾، وبابه.

وأما آية البريَّة، فإنها ـ على مقتضى الترتيب الثابت ـ آخر آية ذكر فيها حال المؤمنين في الجزاء الأخراوي، مُعقَّباً به[5] ذكر جزاء من كان في طرف من حالهم، من مُستَوجِبِي النار على التأبيد، فكانت[6] هذه الآية مظِنَّةَ استيفاءٍ للحال، فوردت ورود الآيتين قبلها.

والسؤال الثالث: وهو ما وجه تخصيص الآيات الأربع: آية المائدة، والثانية من سورة براءة، وآية الطلاق، وآية البريَّة، بذكر التأبيد مع الخلود[7] فقيل: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ولم يقع ذلك في البواقي.

والجواب عن ذلك استدعاء هذه المواضع الأربعة ذكر ذلك. أما آية المائدة وثانية براءة، فلِمَا بُيِّنَا عليه من الإطْنَاب، ولما[8] حُمِل[9] فيهما[10]

(1) ج، ب، ع: المحين، ولعل صوابها المجيبين.
(2) ج، هـ ب، ع: بحظ.
(3) هـ، م، ع، ج، ب: أصحابهم.
(4) هـ، ك، ب: تحديد، بالحاء المهملة.
(5) م: معقب به.
(6) ج، هـ، ب، ع: وكانت.
(7) ب: الخلق.
(8) ج: ولها.
(9) ب: جهل، وفي هامش ج: حصل.
(10) هكذا في م، وبقية النسخ (فيها) بالإفراد.

على جمع[1] التأبيد والرضا حسبما تقدم في السؤال قبل هذا.

وأما آية الطلاق فوجه[2] ذكر[3] التأبيد فيها ما تكرر في هذه السورة من ذكر غايات أبْيَنُها قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[4]. فلما اشارت - أي السُّور - إلى غايات ونهايات، ناسب ذلك التعريف بأن خلود الجنة متأبِّدٌ لا انقضاء له، ولم يجمع بينه وبين ذكر الرضا. أي: لم يجتمع لمن ذكر هنا ما اجتمع لأولئك الموصوفين في آية المائدة، وثانية[5] براءة، ولم يبلغوا مبلغهم.

وأما آية البرية، فإنها كما تقدم ختام حال الفريقين، فاقتضت الاستيفاء.

والسؤال الرابع: ما وجه اختصاص آية المجادلة بالرضا فقط، دون التأبيد؟.

والجواب عنه، أن المذكورين في هذه الآية وُصِفوا بما يلحقهم بأعلى نمَط، وذلك قوله: ﴿أُوْلَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، ثم قال بعد: [٤٦/ظ] ﴿أُوْلَـٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. والفلاح: الفوز والظفر بما يبغيه الراغب، وحيث يذكر الفوز، فهو مُغْنٍ عن ذكر التأبيد إلّا أن يقصد الإطنابُ. ولذلك لم يقع ذكر التأبيد في آية النساء، والأولى من براءة، وسورة الحديد، والمجادلة، إذ الفلاح الفوز. فذكر الفوز أو الفلاح[6] مُغنٍ عن ذكر التأبيد فلم يجمع بينهما. ولمّا

(١) ب: جميع.
(٢) م: فوجهه.
(٣) ب: ذلك.
(٤) الطلاق / ٣.
(٥) ج، ب، ع: آية.
(٦) ج: الفلاح والفوز.

لم يذكر في آية الطلاق الفوز، ولا ما يرادفه[1] لم يكن بُدٌّ من ذكر التأبيد.

فإن قلت: فإن مقصود آية المجادلة الإطناب، فلِمَ لَمْ يجمع فيها بين التأبيد والرضا؟

قلت: عدَل إلى أوصاف، حصل منها خصوص وإطناب، فوقع الاكتفاء بها[2]، والله أعلم.

والسؤال الخامس، وهو وجه اختصاص آية المجادلة بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾. ووجه ذلك أنه قوبل قوله فيمن قبلُ[3]: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ﴾، ثم لمَّا طال الكلام بهذا المَسُوق للمقابلة مع دلالته ودلالة ما قُدِّمَ من كَتْبِ الإيمان والتأييد بروح[4] منه سبحانه، وذكر الفلاح لم يحتج إلى ذكر أبداً كما أشير قبل.

والسؤال السادس، قد تحصَّل جوابه، وهو اختصاص التأبيد فقط بآية الطلاق.

٦٥ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

وفي[5] سورة الإسراء (٣٢): ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

---

(١) م: يراد به، ك: يردفه.

(٢) ك: فيها.

(٣) هـ، م، ع، ج، ب: أن قوله فيمن.

(٤) هـ، م، ع، ج، ب: والتأييد خروج منه.

(٥) الى آخر الآية في ك فقط وساقط من بقية النسخ.

للسائل أن يسأل عن زيادة[1] قوله: ﴿وَمَقْتاً﴾ في سورة النساء، وسقوط ذلك في سورة الإسراء.

والجواب عن ذلك أن نقول: إنَّ المَقْتَ هو النقص والاستحقار، ومتزوِّج امرأة أبيه فاعلُ رذيلة[2] يُمقَتُ فاعلها، ويُشْـنَأُ[3]، وتَسْتَخِسُّهُ[4] الطباع السليمة. فوصفت فعلته بالمقت، وساوت الزنا فيما وراء ذلك. فلهذا زيد في آية النساء قوله: ﴿وَمَقْتاً﴾.

٦٦ ـ الآية الخامسة [غ] قوله تعالى:

﴿مُحَصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (٢٥)

وفي المائدة (٥) ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ﴾.

لا إشكال في هذه الآيـة، لأن مَصْرِف الـوصف في الأولى للإمَـاءِ المتزوِّجات عند عدم الطَّوْل، ومصرِف الوصف في المائدة للمتزوجين من الرجال. وهذا السؤال، والذي قبله لا إشكال فيهما[5].

٦٧ ـ الآية السادسة (غ)[6] قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَـا مِنْ كُلِّ أُمَّـةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَـا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾ (٤١).

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة).
(٢) ب، ج، ع: رديَّة
(٣) ب: ويشنى.
(٤) ج، ب: تستحسنه، هـ: تستخشنه.
(٥) هـ، م، ع، ج، ب: فيه.
(٦) ساقط من ج.

وفي سورة النحل (٨٩): ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف[١] ما اختلف في هاتين الآيتين في التقديم والتأخير من قوله[٢]: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾، وقوله: ﴿وَجِئْنَا [٤٧ / و] بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ﴾، مع اجتماعهما في معنى واحد من شهادة الرُّسُل على أُمَمِهِم وشهادة نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم على أُمَّتِه[٣].

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فتقدم اسم الشهيد على المشهُود عليه فورد ما[٤] نُسِق على ذلك[٥] من الإخبار بشهادته على أمته مرتباً على ما تقدم[٦] من مقتضى النظم في التناظر والتناسب فقيل: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ﴾، متوازناً[٧] مع قوله: ﴿شَهِيداً عَلَيْهِمْ﴾، وذلك على ما يجب والله أعلم[٨].

أما آية النساء فلم يَرِد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم، ولا كناية عنهم بضمير، ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داعٍ إلى تقدم المجرور بعَلَى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف...)
(٢) ب: حرَّف الناسخ العبارة الى (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء. وفي الأولى وجئنا بك على هؤلاء، متوازياً مع قوله شهيداً عليهم...)
(٣) ساقطة من ك.
(٤) هـ، م: لما.
(٥) ج، ع: بياض.
(٦) ك: ما تقدمه.
(٧) هـ، م: متوارثاً. ج، ب، ع: متوازياً.
(٨) الله أعلم ـ ساقطة من هـ، م، ك.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1]، وذلك من صفات[2] المنافقين، ناسب هذا تقدُّم[3] المجرور في قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، حتى كأنه بحسب المفهوم لم يُقْصد به غيرُهم، ولا شهد على مَن سِوَاهُم وقد تقدم نحو هذا. ومنه:

لَتَقْرَبُنَّ قَرَباً[4] جِلْذِيّاً[5] مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيّا[6]

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[7]، وليس في آية النحل ما يقتضي ذلك، بل مقتضاها إطلاق شهادته عليه الصلاة[8] والسلام للجميع من صالح وطالح، إذ لم يتقدم قبلها التقييد، بل الظاهر مما تقدمها، أن المراد جميع من بُعِثَ صلى الله عليه وسلم إليه فهذان حاملان من الآيتين على وجوب ورود النظم[9] على ما ورد. وأيضاً فإن قوله: ﴿شَهِيدًا﴾، في آية النحل، لم يقع في الفواصل بل[10][في] أثنائها. وتأمل ذلك من لَدُن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا - إلى قوله - لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[11]. ثم قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾-إلى قوله -﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[12].واستمرار الآية

---

(١) الآية / ٣٨.
(٢) م، ك، ب: صفة.
(٣) ك: تقديم.
(٤) هـ: قرنا.
(٥) غير معجمة في كل النسخ.
(٦) راجع تخريج البيتين في الآية رقم: ٣٢.
(٧) الإخلاص / ٤.
(٨) ساقطة من م، ك، ب.
(٩) ب: ورود وجوب النظم.
(١٠) ساقط من هـ، م، ب، ع.
(١١، ١٢) النحل / ٧٨، ٧٩.

على ذلك إلى آخر السورة[1]، ولم يتخلل[2] فيما اكتنفت الآية قبلها وبعدها فيما قرب منها غير ذلك. فقد تقررت فواصل هذه الآي من سورة النحل[3].

أما آية النساء فبناء نَظْمها على فواصل، رُوعي فيها مجيء المُنَوَّنِ المنصوب من غير التزام حرف بعينه، واستمرت الآي قبلها[4] على ذلك. وقوله: ﴿جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ فاصله استَدْعَى[5] ورودها على ذلك ما تقدمها من الفواصل، وما تأخر عنها، وانتظم ذلك على أعلى[6] نظام وأجَلِّ [٤٧/ظ] مناسبة. ولم يكن عكس الوارد في الآيتين ليناسب، والله أعلم.

٦٨ ـ الآية السابعة (غ) قوله تعالى:

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٤٣).

وفي سورة المائدة (٦): ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم[7] مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

---

(١) هـ: الصورة.
(٢) هـ: يتحلل، ب: تتخلل.
(٣) ج: زاد الناسخ بعدها قوله (على النون الساكنة) بين معقوفين.
(٤) هـ، م، ع، ج، ب: قبله.
(٥) ج، ع: استدعاء
(٦) هـ، م، ع، ج، ك: اعلا.
(٧) ج، ك: زاد بعدها (في الدين)، وصواب الآية ما أثبتناه.

للسائل أن يسأل عن زيادة[1] ﴿مِّنْهُ﴾ في سورة المائدة، وعن الواقع فيما أُعقِبتْ به كل آية منهما[2]، وعن الواقع من الطُول[3] فيما أعقبت به آية المائدة. فهذه ثلاث سؤالات[4].

والجواب عن الأول منها، أن زيادة ﴿مِّنْهُ﴾ في آية[5] المائدة، زيادة بيان. ألا ترى أن قوله تعالى[6]: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، لا يحصل منه ما يحصل من زيادة ﴿مِّنْهُ﴾، فزيدَتْ بياناً. واختُصَّت بذلك آية المائدة، لتأخرها في الترتيب الثابت عليه المصحف. والبيان يتأخر عما هو بيان له، فجاء على ما يجب.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو وجه التناسب بين هذه الآي وما أُعْقِبَتْ به، وهو أن آية النساء نزلت قبل تحريم الخَمْر[7]. وقد ذكر المفسرون وغيرهم السبب في نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[8]، وأنها نزلت قبل التحريم كما تقدم. وكان شاربها قبل أن تُحرَّم، ربما عَرَض له بسببها التأخير لصلاته[9]، كما أشارت إليه الآية، وفي تأخيرها[10] عن أول وقتها

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن زيادة..).
(٢) هـ، م، ع، ج، ب: منها.
(٣) ج، ب، ك: القول.
(٤) ب: ثلاثة أسولة.
(٥) ج، هـ، م، ع: سورة.
(٦) في ك، فقط ومحذوفة من بقية النسخ.
(٧) نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر ثم يحضرون الصلاة بنشوتها. انظر: أسباب النزول / ١٠١، ١٠٢، اللباب / ٦٣، ٦٤، جامع البيان ٨/٣٧٦، ٣٧٧.
(٨) النساء / ٤٣.
(٩) ج، هـ، ب، ع: بصلاته.
(١٠) ج، ب، ع: تأخرها.

نقصُ[1] الفضلِ الموجود في أدائها أوَّل وقتها. فلما كان ذلك مظنَّة لنقص الأجر، والوقوع في أدائها في آخر وقتها وبعد وقتها - وربما كان فيهما[2] الإثم[3]، والآية قد أُعقبت بآية التيمُّم - ناسب ما تقدم التعقيب بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا[4] غَفُوراً﴾، إذ[5] العفو والمغفرة مَرْجُوَّانِ في نحو ما تقدم.

وأما آية المائدة فإنه لما تقدم قبلها حلِّيَّة طعام أهل الكتاب وجواز نكاح نسائهم على الحاصل من قوله تعالى[6]: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾[7] وحال بني إسرائيل من تحريم الشحوم عليهم وغير ذلك مما شُدِّد[8] عليهم فيه مما هو مرفوع عنّا، ناسب ذلك تعقيب آية المائدة بقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فجاء كلٌّ على ما يناسب.

والجواب عن السؤال الثالث أن آية [٤٨/و] النساء غير مقصود بها ما قصد في آية المائدة من الإطناب. وتأمل ما انطوت عليه كل آية منها من عدد الكَلِم والحروف من لدن قوله تعالى في النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾[9]، وقوله في

---

(١) ب: نقض.
(٢) ساقط من: هـ، م، ع، ج، ك.
(٣) ج: الأثَم.
(٤) ب: غفوراً.
(٥) هكذا في ع، وبقية النسخ (إذا).
(٦) محذوفة من ج.
(٧) آية / ٥.
(٨) ج، هـ، ك، ب: يشدد.
(٩) النساء / ٤٣.

المائدة[1]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ - إلى قوله - وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[2]، تجد آية العقود[3] يزيد[4] عدد حروفها على آية النساء بضعاً وثلاثين حرفاً. فلما أطيل في هذه، ناسبها ما أُعقِبت به، وبُنِيَ[5] عليها من قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم[6] مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وناسب إيجاز آية النساء ما بُنِيَ[7] عليها من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، إيجازاً بإيجاز، وإطناباً بإطناب.

فإن قيل: إنّ الإيجاز في آي الكتاب، عَهْدُه[8] ما بني عليه، وهو الجاري في بلاغته، وإنما تُمَدُّ[9] أطناب الكلام لحامِل وداعٍ، فما الحامل على ذلك في آية المائدة؟ قلت: الحامل على ذلك فيها تفصيل ما وقع في الآي قبلها مما حلَّل وحرَّم من لدن قوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾، إلى تفصيل ما حَلَّ لهم في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ إلى الآية المُتَكلَّم فيها[10]. فلما أُجْرِيَ[11] ذلك كله مفصَّلاً مستوفى، ناسبه الوارد في الآية وليس في آية النساء من مثل هذا

---

(١) من أول آية النساء الى هنا ساقط من ج، هـ، م، ب، ع بانتقال النظر.

(٢) المائدة / ٦، وقد سقط الجار والمجرور (منه) من هـ، م.

(٣) يزيد سورة المائدة، فالعقود من أسمائها، لافتتاحها بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾.

(٤) ب: تزيد.

(٥) ب، ع: ينبني، ج: يبتني.

(٦) زاد بعدها في ج، ك «في الدين» والصواب ما أثبتناه.

(٧) ب، ع: ما ينبني.

(٨) هـ م: عهدة، وفي ك: عمدة بني عليها، ب: عهدة على ما بنى عليه.

(٩) م، ك ب: تمد، وسقطت من ج، ع.

(١٠) الآيات / ٢ - ٦.

(١١) ك: جرى.

شيء مما حلّل أو حرّم، فجرى حكمه على نسبة ما تقدمها بناء على رَعْيِ المناسبة والله أعلم بما أراد[1].

٦٩ ـ الآية الثامنة (غ) قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨).

وفي[2] نصف [الحزب العاشر][3] قوله تعالى (١١٤): ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾، [وقوله](١١٦): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف تعقيب الأولى بقوله: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾[4].

والجواب أنه لمّا وقع قبل الآية الأولى ذكر أهل[5] الكتاب، ذكر[6] [أعتداءهم][7] وتحريفهم من لدن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾[8]. ثم قال بعد هذا: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[9]، وهذا إفصاح بكذبهم وافترائهم ثم أتبع ما ذكر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ

---

(١) بما أراد: محذوفة من ج، ع.
(٢) من هنا إلى آخر ما تقدم قوله «وتعقيب الثانية» ساقط من: هـ، م، ع، ب، ج.
(٣) زيادة يستقيم بها الكلام.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).
(٥) هكذا في ع وساقطة من بقية النسخ.
(٦) ع: وذكر.
(٧) جميع النسخ: اعتدائهم.
(٨، ٩) النساء / ٤٤، ٤٦ على الترتيب.

به﴾، ناسب ما تقدم من أوصاف الشرك، الافتراء الذي هو أَخَصُّ صفات مَـنْ كذَّب من أهل الكتاب، مع أن [٤٨/ظ] المشرك مُفْتَرٍ، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

ولمَّا لم يتقدم مثل[١] ذلك في الآية الأخرى، إنَّما تقدم قبلها قوله[٢]: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾[٣]، وقبلها ما يخص مُنافِقِي[٤] أيام نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم[٥] من لدن قوله سبحانه[٦]: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ[٧] الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[٨]، ثم قال: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ - الآية[٩]، فلم يقع في هذه الآي ذكر تحريف ولا افتراء[١٠]، إنَّما ذُكر مُنافِقو أيامه عليه الصلاة[١١] والسلام، لنفاقهم[١٢] وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء. فناسب ذلك ما[١٣] بني عليه من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، كما ناسب قوله في الأولى: ﴿فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، ما تقدمه وبني عليه، وجاء كل على ما يجب ولو أُعقِبت الأولى بما أُعقِبت

---

(١) زيادة في ك فقط.
(٢) ساقط من ج، هـ، م، ك.
(٣) النساء / ١١٥.
(٤) هكذا في ب، ومحرفة في بقية النسخ الى (مما في).
(٥) ك: عليه السلام.
(٦) ج، ب، ع: تعالى.
(٧) جميع النسخ (عليك)، تحريف في الآية.
(٨) النساء / ١٠٥.
(٩) النساء / ١٠٧، وزاد في ب بقية الآية ﴿إن الله لا يحب من كان خوَّاناً أثيماً﴾.
(١٠) ك: افترى.
(١١) محذوفة من هـ، م، وفي ب صلى الله عليه وسلم.
(١٢) هـ: نفاقهم.. ج، ك، ع: بنفاقهم.
(١٣) ج: مما.

به الثانية[1]، والثالثة[2] بما أُعْقِبت به الأولى، لما ناسب على ما تقدم، والله أعلم.

٧٠ ـ الآية التاسعة(غ) قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (٦١).

وفي المائدة[3] (١٠٤): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ [4] قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [5].

للسائل أن يسأل عن وجه ما ورد في هاتين الآيتين من قوله في الأولى: ﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، والاكتفاء في الثانية بقوله: ﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[6]، مع استوائهما في دعاء المخالفين[7]، ممن ذكر قبل كل آية منهما إلى متابعة الحق والرجوع إليه.

والجواب أن حال المَدْعُوِّينَ مختلف فإن[8] الآية الأولى في منافق ويهودي تخاصما وتحاكَما إلى كَعْب بن الأشرف، ورضيا بحكمه[9]. فالمراد

(١) م، ك: بما به أعقبت.. وفي ب حرف (بما) الى (بغاية).

(٢) ج، ك، ع: والثانية.

(٣) ك: وفي سورة المائدة.

(٤) هكذا في ك، وسقط من بقية النسخ الجار والمجرور وحرف العطف (وإلى الرسول) وهو تحريف في الآية.

(٥) هـ: جمع بين آيتي النساء بانتقال النظر قال: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول ـ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه ءاباءنا﴾.

(٦) هكذا في جميع النسخ، وليس صحيحاً، فقد ذكر في المائدة المنزل والرسول. ولعل المؤلف يشير الى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفَيْنا عليه آباءنا﴾ في سورة البقرة / ١٧٠، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ في سورة لقمان / ٢١، حيث اكتفى فيهما بالمنزّل دون ذكر الرسول.

(٧) ب: صيغة السؤال (للسائل أن يسأل عن وجه ما ورد في هذه الآية ﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾. ويقال: ما الفرق بينهما مع استواء دعاء المخالفين).

(٨) م. ك: بأن.

(٩) راجع اللباب / ٦٧، ٦٨، أسباب النزول / ١٠٦ ـ ١٠٩.

بالآية المنافقون لأنهم المُظْهِرون أنهم آمنوا بما أُنزِل على محمد صلى الله عليه وسلام، وعلى موسى عليه السلام، والقائلون ذلك بألسنتهم، ولكون ذلك نطقاً[1] بألسنتهم، عبّر بالزعم، وكَنّى بالطّاغُوت فيما ذكره المفسرون عن كعب بن الأشرف، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾[2]، ولم تُؤْمَرْ يَهُودُ أن يكفروا بأخبارِهم ما لم يحرِّفوا، وإنما المأمور بالكفر بهم المؤمنون، حين ظهر تحريفهم وتبديلهم. ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، أي ليحكم[3] بينهم بما في كتاب الله[4] صَدُّوا عنه، ونفروا إلى[5] كَعْب بن الأشرف، أو عند الكاهن على الاختلاف في ذلك.

وأما آية المائدة فمبنية على ما بعدها من مُرتَكَباتِ أهل الجاهلية وما سَنُّوه تقليداً واتِّباعاً لعَمْرو بن لُحَيّ[6]. وأشباهِه [٤٩/و] ممن سنّ مثله تغييراً لملة إبراهيم عليه السلام فَدَانَ[7] بفعلهم في البَحِيرَةِ، والسَّائبَةِ والوصِيلَةِ،

---

(١) ج، هـ، م، ع: مطلقاً.

(٢) النساء/ ٦٠. وانظر: جامع البيان ٨ / ٥٠٧ ـ ٥١٣، ومبهمات القرآن / ١١.

(٣) هـ، ليحل، ب: لتحكم.

(٤) ك: بما أنزل الله صدوا، ب: بينهم بحكم الله صدّوا، م: في إنجيل الله، ومكان كتاب بياض في (ع).

(٥) ك: الى التحاكم عند كعب.

(٦) هـ، م: عمرو بن يحيى، ب: لعمر بن يحيى.. وهو عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن خِنذِف أحد رؤساء خُزاعة سَدَنَةِ البيت بعد جُرْهُم، وهو أول من غيّر دين إبراهيم الخليل فأدخل الأصنام الى الحجاز وبَحَّرَ البحيرة وسَيَّبَ السائبة وحمى الحامي. انظر: ابن كثير ٢/١٠٧، جامع البيان ١١/١١٦ ـ ١٢٠.

(٧) م: فكان.

والْحَامَ[1]. أما البَحِيرَة، فهي المشقُوق أُذُنُها طولاً[2] بنصفين، متروكة ترعى وترد الماء، لا ينتفع بشيء منها، فإذا ماتت أكلها الرجال، وحُرِّمت على النساء. وذلك إذا ولدت أبطناً، قيل: عشرة، وقيل غير ذلك، وكل ضلال[3] وباطل. وأما السَّائِبَة، فالناقة تسيَّب للآلهة، وذلك[4] أيضاً إذا أتبعت أناثاً اثنتي[5] عشرة، لا ذَكَر فيها. وأما الوَصِيلَة، فالشاة إذا ولدت ثلاثة بطون، أو خمسة إنْ كان آخرها ذكراً[6] ذبحوه لآلهتهم، وإنْ كانت أنثى استَحْيَوْهَا وقالوا: إنْ الأنثى قد وصلت أخاها ومنعته أن يذبح، وقيل غير هذا. والحامي فحل الإبل إذا ضرب فيها عشرة أعوام، أو وُلِدَ من ظهره عشرة[7]، قيل حمى ظهره فسُيِّبَ، فالضمير من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، راجع إلى القائلين بهذه الأشياء المُتَّبِعِين فيها لآبائهم فبَيَّنَ تعالى وحكم فيها بقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ[8] وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾- إلى قوله ـ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[9] فحُكم هذه الأشياء واضح[10] في[11] كتاب الله، لا يُفْتَقر في تعرُّفه[12] إلى غير سماعه، إذا

---

(1) ك: الحامي. وعن ابن عباس أن الحامي الفحل الذي لقح عشراً فتركوه، والحام الذي وُلِدَ لولده فكانوا لا يحملون عليه ويقولون حمى هذا ظهره. انظر: ابن كثير ٢/١٠٨، جامع البيان ١١/١٢١ - ١٣٦، لبيان هذه التسميات.

(2) ب: طولها.

(3) ك: ظلال.

(4) ساقط من ك، ب، ع.

(5) م: ثنتي، ب: إذا تبعت ثنتي.

(6) ج، هـ، م، ع: ذكر - بالرفع.

(7) ج، هـ، م، ع: ظهر.

(8) ما بعدها إلى «حام» محذوف من ب.

(9) المائدة / ١٠٣ والآية متصلة.

(10) ب: وأوضح.

(11) ك: من.

(12) ب: تصرفه.

حصل[1] التصديق به. وسواء سُمع ذلك منه صلى الله عليه وسلم أو من غيره، لتواتُرِ نقله. فلهذا لم يذكر هنا دعاء إلى زائد على المُنَزّل.

أما آية النساء ففي قضية[2] تَخَاصُم، لا بد من التحاكم فيها إلى مجتهد، يفصِّل فيها ما فهَّمه الله من كتابه. والآتي به صلى الله عليه وسلم هو المبين ما فيه، والمعصوم فيما يبين منه فيه[3] ويحكم به، والقضية واقعة[4] حال وجوده وحضوره، فإليه صلى الله عليه وسلم المرجع. فلهذا قيل في تلك الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾، ولم يكن عكس الوارد في الآيتين ليناسب، والله أعلم.

٧١ـ الآية العاشرة(غ) قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثاً﴾ (٨٧).

وبعد هذا (١٢٢): **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً﴾.**

للسائل أن يسأل عن اختلاف التعبير[5] في الآيتين، مع أنَّ[6] المتقدم في كل من الآيتين إخبار أُخْرَاويّ. ففي الأولى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وفي الثانية ما وعد الله به المؤمنين في قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ﴾، ثم جيء بالتمييز مختلفاً[7]، فقيل في الأولى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثاً﴾، وفي الثانية: ﴿وَمَنْ

---

(١) ج: زاد هنا لفظ الجلالة.

(٢) ج: قصته.

(٣) م، ك: به، وزاد في ج بعدها (لعل الضمير للبيان المفهوم ويبين) وبين معقوفين.

(٤) ب: واقفة.

(٥) م: التفسيرين، ك: التعبيرين.

(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف في الآيتين مع أن...).

(٧) م، ك: العبارة.

أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، فخولف في العبارتين[1] مع وحدة المعنى، فيسأل عن ذلك، وهل كان يجوز العكس.

والجواب أن التعبير الثاني مبني على ما يجب ربطه به من قوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾. فقيل[2] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، وناب[3] مناب وَعْدٍ، فكأن [٤٩/ظ] قد قيل: ومن أصدق من الله وَعْداً[4]، وهو ما وعدهم تعالى به من النعيم، وعظيم الإحسان، فجاء[5] بلفظ يُوازِن المصدرين قبله وهما وَعْداً وحَقّاً، ويشابههما[6] في الخفة بسكون عين الكلمة، وعدد[7] حروفها كالمصدرين قبلها. وكأنه إنما أوجد تكرار المصدر بلفظه، فاستثقل[8] التكرار المتقارب[9]، وعادة العرب في ذلك، فعدل إلى ما يجاريه خفة ويحرز المعنى؛ ولتجري المصادر الثلاثة مجرى واحداً، خِفَّةً ووَزْناً؛ إحرازاً للتناسب والتلاؤم. ولمَّا لم يتقدم[10] في الآية الأولى ما يستلزم هذا، وأن قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، إخبار وحديث عن البعث بعد الموت وجمع الخلق[11] لحسابهم ومجازاتهم على الخير والشر فهو إخبار

---

(١) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب، وقد اختصره الناسخ بقوله (مختلفاً والمعنى واحد فهل يجوز العكس..).
(٢) هكذا في ك، وبقية النسخ (وقيل) ـ وزاد بعدها في ج حرف الجر (في).
(٣) ك: وأنيب. هـ، م، ب، ع: وأناب.
(٤) من هنا الى وهما ـ ساقط من هـ، م، ب بانتقال النظر.
(٥) ك: فجيء.
(٦) هـ، م، ع، ب، ج: يشابهها.
(٧) ج، هـ، م، ع: عدُّ.
(٨) ج، ب، ع: بلفظ ما يستقل.
(٩) ك: للتقارب، ج، ب، ع: المتعارف.
(١٠) ج، ع: يقدم.
(١١) هـ، ب: الخبر.

وإنباء. ومثله ما ورد في قوله تعالى، إخباراً عن[1] قول مُنكِري البعث: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ - الآية[2] فللإنباء بها بعد ذلك[3]، الخبرُ الصدق منه تعالى بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ - الآية[4] فقد وضح ورود[5] كل واحدة[6] من الآيتين على ما يناسب ويلائم، والله أعلم.

٧٢ - الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الآية (١١٥).

وفي سورة الانفال (١٣): ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وفي الحشر (٤): ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

للسائل أن يسأل عن إدغام الوارد في الحشر، وفكُّ الإدغام في[7] السورتين قَبْلُ، ما وجه ذلك مع أن الفك[8] والإدغام فصيحان.

والجواب أن الإدغام تخفيف وليس بالأصل، فورد في النساء على

(١) ج: على.
(٢) سبأ / ٧.
(٣) ك: فالإنباء هنا ذلك، ب: تعدُّد، ومضطربة اضطراباً شديداً في هـ، م.
(٤) النساء / ٨٧.
(٥) زيادة من ب، ك.
(٦) هكذا في ك، وبقية النسخ (واحد) مذكراً.
(٧) ج، هـ، م: وفي السورتين - بالواو.
(٨) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن الإدغام الوارد في السورتين مع أن الفك....)

الأصل ولم يقترن به ما يستدعي تخفيفه[1]، ولا سؤال في ذلك. ولمّا تقدم في سورة الحشر قوله تعالى[2]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وتقدم الماضي مدغَماً، ولم يسمع في الماضي إلا تلك اللغة، فجيء بما حُمِل عليه من قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾، مدغماً ليحصل التناسب على ما ينبغي.

وأما سورة الأنفال، فتَعَارَض فيها شيئان، فجيء الإدغام قبله في الماضي من قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وعُطِف: ورسوله، على اسم الله تعالى[3]، ووردت نسبة المُشَاقَّة لله ورسوله، وورد ذلك بالعطف بالواو الجامعة وهو مما يناسب الفك فاستدعى الموضع داعِيان:

أحدهما: ما قبله من الإدغام.

والثاني: ما بعده من العطف المُشْبِه للفَكّ، فروعي البَعْدِيّ[4] لأنه أقوى في الرعي كما فعلوه في الإمالة، فلم يُمِيلوا نحو: مَنَاشِيط، وما كان مثله مما تأخر فيه حرف الاستعلاء وإنْ حَالَ بينه وبين الألف حرفان[5]، ومع ذلك فإنه يمنع الإمالة [٥٠/و] وليس كذلك في قوة المنع، إذا تقدم مع حائل. فكذا فعلوا فيما تقدم، فراعوا ما بعدُ، كما ذكرنا، فلم يدغموا، إذ المتقدم في قوة المفروغ منه، المنقطع، والمتصل بعدُ في النطق أقرب فورد ما ذكر على ما يجب ويناسب[6]، والله أعلم[7].

---

(١) ب: تخفيفه.

(٢) في ك فقط.

(٣) محذوفة من ب.

(٤) ب: البعد.

(٥) ج، هـ، م، ب، ع: حرفا.

(٦) ج: وتناسب.

(٧) محذوف من ك قوله: والله أعلم.

٧٣ ـ الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أو إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨).

وفي آية أخرى بعد (١٢٩): ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَو حَرَصْتُمْ[1] فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

فيهما سؤالان:

قوله[2] في الأولى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا[3] وَتَتَّقُوا﴾، وفي الثانية: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾، والختامان ﴿خَبِيراً﴾ في الأولى، و﴿غَفُوراً رَحِيمَاً﴾[4] في الثانية.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى فيما بين المرأة وزوجها، إذا خافت منه، وأرادت تَأَلُّفَه وبقاءه، وكينونتها في عصمته، فلا جناح عليها أن تعطي شيئاً من نفسها وتترك بعض حقها، كي تؤثر ضَرَّتَها في القسمة، أو تترك هي حظها، كما فعلت سَوْدَة رضي الله عنها[5]. أو تهب له من مالها،

---

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه (الآية).
(٢) ب: أحدهما قوله.
(٣) ك: الى هنا محذوف ابتداء من قوله: ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ ثم وصل الآية بالشرح فقال: ﴿وتحسنوا وتتقوا﴾.
(٤) ساقط من ك.
(٥) ذكرت قصة سودة، وإيثارها عائشة بليلتها في جامع البيان ٢٦٧/٩ ـ ٢٧٩، واللباب / ٨٠ ـ ٨٢، وفي البخاري ٤٣/٧، ولم يذكرها الواحدي في أسباب النزول / ١٢٣ ـ ١٢٤.

لا جناح عليها[1] في هذا، ولا على زوجها في قبول ذلك منها[2]. وإنْ كان الطمع[3] يأتي[4] من إسقاط حق أو تنقصه، لما جُبلت عليه النفوس، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾، فنَدَب كلًّا منهما إلى الإحسان والتقوى، والزوج أخَصُّ بذلك وأوْلَى وأن يحتمل كل واحد من صاحبه ويصبر فإن الله مطلع عليه خبير بما يكنه ويخفيه. ثم قال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾، لأن[5] القلوب لا تُمْلَك، ولا بيد الإنسان فسادها ولا إصلاحها فإنْ عَدَلَ في القسمة، والمحادثة، والإنفاق، والنظر، وبشاشة الوجه، وجميل الملاقاة، وفرضنا اجتهاده في ذلك كله حتى تحصل المساواة، لم يقدر أن يميل بقلبه إلى كُلِّهِنَّ على حَذْ[6] السواء، ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾، بل على الإنسان أنْ يجتهد. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم[7] «اللهم[8] هذه قسمتي فيما أَمْلِكُ فلا تَلُمْنِي فِيما [تَمْلِكُ] ولا أملك»[9]. ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾، لا ممسَكة ولا مطلَّقة. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾، والمراد ما استطعتم وكان في إمكانكم، فإن الله

---

(١) ب: عليهما.

(٢) ب: فيها.

(٣) ج، ك، ع: الطبع.

(٤) هكذا في ب، وبقية النسخ (يأبى).

(٥) هكذا في ك، وبقية النسخ (إنْ).

(٦) ك: حال.

(٧) ك: عليه السلام.

(٨) في ع فقط.

(٩) أخرج الحديث أبو داود في سننه في كتاب النكاح ٢/٣٢٦ حديث ٢١٣٤، والنَّسائي في السنن: كتاب عِشْرَة النساء ٧/٦٣، ٦٤، والترمذي في السنن: باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ٥/٤٣٧ حديث/ ١١٤٠، ورواه الطبري في التفسير ٩/أحاديث ١٠٦٣٧، ١٠٦٥٦، ١٠٦٥٧. ومدار هذه الروايات كلها أبو قلابة الجَرْمي وهو من الثِّقات.

يغفر لكم ما سوى [٥٠/ظ] ذلك. والآية الأولى مقصودها يستدعي ما ختمت به من أنه تعالى خبير بأفعال عباده الظاهرة والباطنة، ومَسَاقُ هذه الأخرى يستدعي مغفرته تعالى، أنْ[١] قد عرَّفت الآيةُ أن العدل لا يُستطاع، فإن لم تكن المغفرة هلك المكلَّف. فورد إعقاب كل آية بما يناسب. وأما ورود ، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ في الآية[٢] الأولى، وورود[٣] ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ هنا فمفهوم مما تمهَّد، وأنسب شيء والله أعلم.

٧٤ ـ الآية الثالثة عشرة قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعاً حَكِيماً. وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ[٤] وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً. وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (١٣٠ ـ ١٣٢).

للسائل أن يسأل عن وجه[٥] اختلاف ما أُعْقِبت به هذه الآي الثلاث من أوصافه العليَّة سبحانه وتعالى، ففي الأولى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾، وفي الثانية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً﴾، وفي الثالثة: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾، فيسأل عن ذلك، وعن تكرُّر إخباره سبحانه[٦] وتعالى بقوله:

---

(١) ك، ع: إذ.
(٢) ساقطة من ج.
(٣) ك: وقد ورد.
(٤) ما بعدها إلى قوله ﴿ما في الأرض﴾ من الآية الثالثة محذوف، وفي موضعه «إلى قوله».
(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).
(٦) محذوفة من ك.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثلاث مرات، مع تقارب الكلام واتصاله.

والجواب عن الأول أنه لمَّا قال سبحانه في الزوجين عند[1] عدم انقيادهما لحسن المعاشرة ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾. قال الزمخشري: «يرزقه زوجاً خيراً من زوجه، وعَيْشاً أهْنَأ من عيشه»[2]. ولما قال: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، ناسب هذا ذكر ما يقتضي من صفاته عموم وجوه الإحسان، وأنه لا نَفَادَ لما عنده مما به قِوَامُ عيشتهم[3]، وكمال حال كل واحد منهم من الرزق، والسكن[4] والتأنيس[5]، وأنه سبحانه المنفرد بعِلْم وجه الحكمة في تألُّفهم وتفرُّقهم، فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾، أي كثير العطاء جم الإحسان، عليم بخَفِيَّات مصالح العباد فقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾، عقب ما تقدمه من قوله: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، أوضح شيء في المناسبة. ثم أتبع بما يلائم ذلك ويزيده وضوحاً من إخباره تعالى من إن السموات والأرض وما فيهما مِلْكُه تعالى، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. ثم أتبع سبحانه بما يرجع إلى عموم إحسانه إلى من[6] تقدم من المخاطبين بكُتُبه المنزَلة رحمة لعباده، وإحساناً كما أحسن إلى المواجهين بهذا الكتاب والمُهَيْمِن من[7] عَليِّ هذا الخطاب، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وأعلَم سبحانه أنَّه محسن بذلك إليهم، لأن

---

(١) ج، ع: عن.
(٢) الكشاف ٤٢٨/١.
(٣) ك، ب: عيشهم.
(٤) ج، ع: السكنى.
(٥) ج: التأنيث.
(٦) هكذا في ك، وبقية النسخ (ما تقدم).
(٧) بياض في ج، ع.

تقواهم إياه تعالى مثمرة لهم السلامة من عذابه، والنجاة من أليم عقابه، وأنه ليس به إلى تقواهم من[1] حاجة [٥١ / و] ولا تعود إليه سبحانه من ذلك منفعة، إذ هو الغني عنهم وعن عبادتهم فقال: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فهو الغني عنكم وعن عبادتكم، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[3]. وإذا كان الكل ممَّن في السموات والأرض مِلْكاً له سبحانه وتحت قهره، وفي[4] قبضته يفعل فيهم ما يشاء[5]، ولا يكون منهم إلَّا ما يشاؤه ويريده، وهو الغني الحميد. ثم أكَّدَهُ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، لما[6] بُنِيَ عليه[7] من قوله[8]: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾، أي حافظاً لجميع ذلك، منفرداً بتدبيره، وإمساك السموات والأرض، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، فختام الآيات بهذا أنسَبُ[9]، من أنسب شيء وأبْيَنِه، والله أعلم.

---

(١) ب: عن.
(٢) إبراهيم / ٨.
(٣) التغابن / ٦.
(٤) ساقط من هـ، م، ب، ج.
(٥) هـ: ما شاء.
(٦) جاء في هامش ج إحالة الى هذا الموضع ما نصه (كان أي واسمها، وكفى. أي قوله وكفى وخبرها من أنسب شيء والجملة جواب إذا تُأمِّل)(هكذا؟)
(٧) ساقط من ج، هـ، ع.
(٨) من قوله: ساقطان من ج، هـ، ب، ع.
(٩) من قوله (وإمساك السموات) الى هنا في ك فقط

٧٥ ـ الآية الرابعة عشرة قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ (١٣٥).

وفي المائدة (٨): ﴿كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾، فقدم في آية النساء قوله[1]: بالقسط ، وأخّر في آية[2] المائدة[3]. فيُسأل عن وجه ذلك[4].

والجواب عنه[5] ـ والله أعلم ـ أن الآيات المتصلة بآية سورة النساء مَبنيّة على الأمر بالعدل والقِسط. قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ ـ الآية[6]. وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾[7]. ثم قال: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾[8]، وتوالت الآي بعدُ على هذا المعنى، فقدم قوله ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، ليناسب ما ذُكر.

وَأما آية المائدة فثبت قبلها الأمر بالطهارة، ثم تذكيره سبحانه بتذكر[9] نِعَمِه والوقوف مع ما عهد به إلى عباده، والأمر بتقواه فناسب قوله: ﴿كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾. ثم أُتبع بما بُنِيَ على ذلك من الشهادة بالقسط، فتأمل ما بُنِيَ على هذه، وما بُنِيَ على آية النساء يتضح لك ما قلته، والله أعلم بما أراد.

---

(١) ب: (في الأولى) بدلاً من (في آية النساء قوله).
(٢) ساقطة من هـ، ب، ع.
(٣) هـ، ك: العقود.. وهو من أسماء سورة المائدة كما سبق.
(٤) ب: السؤال كله محذوف.
(٥) ساقط من ج، هـ، ب.
(٦) النساء / ١٢٣.
(٧، ٨) النساء / ١٢٧.
(٩) ج، م، ب، ع: بتذكير.

٧٦ ـ الآية الخامسة عشرة[1] (غ) قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (١٣٧).

وفيما بعد من هذه السورة نفسها (١٦٨، ١٦٩): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً. إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ ـ الآية.

للسائل أن يسأل عن وجه[2] اختلاف الكنايتين عما إليه الهداية الممنوعة عمن ذُكِر في الآيتين مع استواء حال مَن ذُكِر فيهما مِن[3] التَّلبُّس بالزيادة على الكفر، وفي الجزاء بعدم الغفران ومنع[4] الهداية. ومع أن مسمى السبيل والطريق واحد، فما وجه اختلاف الكناية عنه باسم السبيل في الأولى، والطريق في الثانية؟.

والجواب ـ والله أعلم ـ [٥١/ظ] أن السبيل والطريق، وإن استويا واتحد معناهما فيما ذُكر، فبينهما فرق واضح من حيث إنَّ مواقع[5] السبيل أكثر تردداً في الكلام ففي إطلاق لفظه توسعة وعموم ليست في إطلاق لفظ طريق. فقد ورد ذكر السبيل في الرُّبْع الأول من الكتاب العزيز[6] في بِضع وخمسين موضعاً، أو[7] نحو ذلك. في سورة البقرة أربعة عشرة موضعاً:

---

(١) م: عشر.

(٢) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه..).

(٣) ج، هـ، ع: في.

(٤) ج: ومنه.

(٥) م: موانع.

(٦) يبدأ الربع الأول من القرآن بالفاتحة وينتهي بنهاية سورة الأنعام، ويشمل خمسة عشر جزءاً.

(٧) ساقط من ك.

أولها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلَ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾[1]، وآخرها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]. وفي آل عمران [سبعة][3] مواضع، وفي النساء ستة [عشر] موضعاً[4]، وفي المائدة والأنعام ستة مواضع[5]. ولم يقع ذكر الطريق في كتاب الله كله إلاَّ[6] في [أربعة مواضع][7]. ثم إنَّ اسم السبيل مع ما تقرر من كثرة ترداده أغلب وقوعاً في الخير وسبيل السلامة إفصاحاً وإشارة، ولا يكاد اسم الطريق يرد مراداً به السلامة والخير مقترناً[8] بوصف أو[9] إضافة، أو ما[10] يخلصه[11] لذلك[12]، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[13].

وإذا تقرر هذا فقوله في الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ

---

(١) البقرة / ١٠٨.

(٢) البقرة / ٢٧٣، وبقية الأربعة عشر موضعاً هي: ١٥٤، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٥، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٤٦ موضعان، ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) في كل النسخ ستة، وصوابها سبعة مواضع طبقاً لما في الصحف، هي الآيات: ١٣، ٧٥، ٩٩، ١٤٦، ١٥٧، ١٦٧، ١٦٩.

(٤) في كل النسخ: ستة وعشرون موضعاً، والصواب ما أثبتناه، وهي الايات: ٣٦، ٤٣، ٤٤، ٧٤ موضعان، ٧٥، ٧٦ موضعان، ٨٤، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١١٥، ١٦٠، ١٦٧.

(٥) ب: سبعة، وبقية النسخ تسعة، وصوابها ستة، في المائدة أربعة هي: ١٢، ٥٤، ٦٠، ٧٧، وفي الأنعام موضعان: ٥٥، ١١٦.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) بياض في جميع النسخ، والآيات في سورة النساء / ١٦٨، ١٦٩، الأحقاف / ٣٠، طه / ٧٧.

(٨) ك: مقروناً.

(٩) ك: واو عطف، بدل حرف التخيير والإباحة.

(١٠) ساقطة من م، ك.

(١١) ج، هـ، ع: يخصه.

(١٢) هكذا في ك، وفي بقية النسخ (كذلك).

(١٣) الأحقاف / ٣٠.

آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا[1] ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾، حاصل منه وَسْمُ هؤلاء بشنيع[2] وصف وأعظمه وأبلغه بأقصى غاية في شنْعَة المُرتَكب. فليست حال من كفر بعد إيمان، كحال من لم يتقدم كفره إيمان. فقال تعالى فيمن توعده بأشد الوعيد: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ[3] مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن[4] مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5]. إلى ما وُصِفُوا به من استحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة وإنما وقع ذلك منهم بعد علمهم بكِيان[6] الآخرة، وتصديقهم بها ثم اختاروا الدنيا عليها، فحالهم حال من أضلّه الله[7] على علم. ولا أسوأ حالاً من هؤلاء.

أما الموصوفون في الآية الثانية بالكفر والظلم فدون هؤلاء في شُنعة المرتَكب والمبالغة في الضلال. ألا ترى أن حال الكافر الذي[8] لم يتقدم منه[9] إيمان، ليست كحال من تقدم منه إيمان، لكُفْر هذا على علم، ولا حال من وُصف بالظلم ـ وَإِنْ كان يقع على الكفر وما دونه ـ كحال من وصف في الآية الأولى بعَودِهِ إلى الإيمان، ثم إلى الكفر بعد ذلك، ثم الازدياد في الكفر. فلما بلغت حال هؤلاء فيما وصفوا به أشنع غايات الكفر والضلال، وأشدها تخبُّطاً، ناسب ذلك[10] الكناية عما صَدُّوا عنه ومنعوه بالسبيل مناسبة

(1) ما بعدها من الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».
(2) هـ، ك: بشرّ، ب: بشيء.
(3) ساقط من ج، ب.
(4) الى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية»
(5) النحل / ١٠٦.
(6) ساقط من ج.
(7) ساقط من ج، م، ب، ع.
(8) ج، ب، ع: الكافرين الذين.
(9) هكذا في ب، وبقية النسخ (منهم)
(10) في ب فقط.

بين حالهم والممنوع[1] من محسود مالهم. ولمّا لم يكن وصف الآخرين بالظلم والكفر يبلغ [مِن] شنعة المرتكب [٥٢/و] مبلغ أولئك، عدل في الكناية عما مُنِعُوه إلى ما يناسبه[2]، وجرى كل على ما يجب ويناسب، ولم يكن عكس الوارد ليلائم ولا يناسب[3]، والله سبحانه أعلم.

٧٧ ـ الآية السادسة عشرة قوله تعالى:

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَنْ سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً﴾ (١٤٩).

وفي سورة الأحزاب (٥٤): ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

للسائل أن يسأل هنا في ثلاثة[4] مواضع:

أحدها قوله: ﴿إِنْ تُبْدُواْ خَيْراً﴾، وفي الأحزاب ﴿شَيْئاً﴾، فيسأل عن وجه الفرق.

والثاني: ما الموجب لاختلاف[5] جواب الشرط في الآيتين. ففي الأولى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، وفي الثانية، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

والثالث[6]: زيادة قوله في الأولى ﴿أَوْتَعْفُواْ[7] عَنْ سُوءٍ﴾.

---

(١) ج، ع: زاد هنا (منه في سوء).
(٢) م، ك: يناسب.
(٣) ما بعدها محذوف من ك، ب.
(٤) ب: صيغة السؤال (يسأل هنا عن ثلاثة...).
(٥) هـ، م، ب: بخلاف.
(٦) ب: والثالثة.
(٧) ب: يعفوا.

والجواب عن الأول، أن قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ﴾، مقصود به خصوص طُرق الخير وعمل البِرّ جرياً[1] على ما دارت عليه سورة النساء، وتردَّد فيها من إصلاح ذات البَيْن، والنَّدْبُ إلى العفو والتجاوز عن السيئات[2]. ألا ترى قوله لمقتسمي الميراث فيمن حضرهم من ذي القربى، وذوي الحاجات: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾[3]، وقوله في الآتِيَيْنِ[4] الفاحشة: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾[5]، وقوله في النساء: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[6]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾[7]، وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ[8] وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[9]، وقوله: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[10]، إلى أمثال هؤلاء الآي مما يطول ذكره، ولا يكثر في غير هذه السورة ككثرته فيها. ومن هنا لم يتعرض فيها لأحكام الطلاق، وإن كانت السورة مبنية على أحكام النساء، لكن خُصَّ من ذلك ما فيه التألُّف[11] والإصلاح، وما يرجع إلى ذلك ولم يرد فيها من أحكام الطلاق إلاّ[12] ما أشار[13] إليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ﴾، فذكر هذا

---

(١) ب: جريه.
(٢) م: الهنات، ك: الهيئات، ب: الهيَّات، بتسهيل همزة الهيئات.
(٣) النساء / ٨.
(٤) هـ: الاتِينَ، ج، م، ك، ب: الآيتين.
(٥) النساء / ١٦.
(٦) النساء / ١٩.
(٧) النساء / ٣٤.
(٨) ب: وعضهم، وما بعدها في م فقط، ومحذوف من بقية النسخ.
(٩) النساء / ٦٣.
(١٠) النساء / ١٢٩.
(١١) ب: التأليف.
(١٢) ب: ولا.
(١٣) ج: أشارت.

القدر عند استدعاء معنى الكلام وتمام المقصود به إليه بأوجز لفظ، وبما يؤنس الفريقين ولم يذكر فيها اللِّعَان ولا الظِّهَار ولا الخُلْع ولا طلاق الثلاث، بل ذكر فيها استصحاب العِشْرَة[1] إلى التوارث. فلما كان مبنى السورة على هذا ناسب ذلك طرق الخير، غير مشار إلى ضده إلّا بالعفو كما وقع بالمكلّف[2] فيه فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْـدُواْ خَيْراً أَو تُخْفُـوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، فنوسب بهذا الخصوص، أي[3] خصوص ما تكرر في السورة بما ذكر من العفو وما يحرزه في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾ وذلك في مثل ما تقدم هنا من أحكام النساء.

وأما آية الأحزاب فمقصود بها ما يعُمُّ الطرفين من الخير والشر. ألا ترى ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ [٥٢/ظ] اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾، وما تقدم[4] في هذه السورة من ذكر المنافقين، وسوء مرتكبهم في قصة الأحزاب وقولهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾[5]، وقولهم في الاستئذان: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾[6]، وكذبهم في ذلك فحذر الله المؤمنين من مرتكبات المنافقين وأعلمهم أنه تعالى لا يخفى عليه شيء سواء منكم مَن أسَرَّ القول ومَن جَهَر به، فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ﴾[7]. فلما قصد في هذه الآية عموم الطرفين ورد بلفظ[8] مطلق يعم الخير والشر، فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُواْ

---

(١) ب: للعشرة.
(٢) م: بالمكلفة.
(٣) ساقطة من م، ك، ب، ع.
(٤) ما والفِعْل ساقطان من ك.
(٥) الأحزاب / ١٢.
(٦) الأحزاب / ١٣.
(٧) الأحزاب / ٥٤.
(٨) ك: بلظف.

شَيئاً﴾، والشيء يقع على كل موجود من ذات أو مَعنىً حتى إنّ بعض المتكلمين يطلقه على المعدوم المُقدَّر الوجود فيقول بشَيئيَّة المعدوم[1]. وليس هذا من قولنا ولكن الإطلاق حاصل كيف ما قيل والشي المَخْفِيُّ المشار إليه في الآية إنما هو عمل قلبي موجود بِمحَلِّه، فلا اعتراض علينا به، والخير والشر داخلان تحت ذلك. وأما لفظ: خير في آية النساء، فقد تقدم خصوصه ومناسبته، فورد كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن فيه العكس.

والجواب عن السؤال الثاني، أن اختلاف جواب الشرط في الآيتين بحسب ما يستدعيه. فقوله تعالى في الأحزاب: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾، يبيِّن الجَوابِيَّة، لقوله تعالى:﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ﴾. وأما قوله في آية النساء: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً﴾ فنزل على قوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، فندَب سبحانه العباد إلى العفو بمفهوم هذا الكلام بإعلامهم أن تلك سُنَّته في[2] خَلْقه من عفوه عن المسيء مع القدرة على أخذه والانتقام منه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[3]. وهذا الجواب لقوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، يُفهِم جواب الأمرين من إبداء الخير وإخفائه، وأن ذلك مما[4] يحبُّه تعالى، ويثيب عليه. فقد بَانَ[5] التناسب في هذا كله، في كل واحد من الشرطين وجوابهما.

---

(١) المعدومية هم أتْباعُ أبي الحسين الخياط من المعتزلة وكانوا يقولون بأن المعدوم شيء، والشيء ما يُعلَم ويخبَر عنه. ومنهم تألفت فرقة الخياطيَّة من المعتزلة، وأما المعدومية فلقب أطلق عليهم لإفراطهم في وصف المعدوم بأكثر صفات الموجود. توفي الخياط / ٢٩٠ هـ. انظر: تفسير المعتزلة / ٣٩، من مدخل البحث.

(٢) ج، ب، ع: من.

(٣) فاطر / ٤٥.

(٤) ك: بما.

(٥) ك: كان.

والجواب عن السؤال الثالث، أن قوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، من تمام ما قُصد بالآية من النَّدْب إلى تحصيل أفعال البِرِّ، وأن العفو عن السوء[1] من أجَلِّهَا. وبذلك أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾[2]، في غير ما آية، فقد بَانَ التناسب في هذا كله ووضح أن كل ما ورد في الآيتين، لا يلائمه غير موضعه، والله أعلم بما أراد[3].

سورة المائدة

٧٨ ـ الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَـٰمِ﴾ (١)

وفي سورة الحج (٣٠) ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَـٰمُ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[4] ما ورد في هاتين الآيتين، مع اجتماعهما في التعريف بحِلِّيَّة هذا الضرب، أمِن الحيوان البَهِيميِّ[5]؟ مفصَحاً فيهما بتقرير حكم التحليل بالماضي، وهو قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾، ثم خُصت آية المائدة بزيادة لفظ: بهيمة، ولم يرد[6] ذلك في آية الحج، فيسأل عن وجه ذلك[7] [٥٣/و].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن المقصود في الآيتين مختلف، فوردت

(١) ك: المسيء.
(٢) المائدة / ١٣.
(٣) محذوف من ب ـ قوله: بما أراد.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).
(٥) ج، م: البهيم.
(٦) ج، م: يذكر.
(٧) ب: حذف الناسخ (فيسأل عن وجه ذلك).

الأخبار بما يحرز ذلك. وبيانه أن اسم الأنعام إنما يقع على ما ذكر في آية سورة الأنعام من الأزواج الثمانية، حين تفسَّرت مفصَّلة فقال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[1]، ثم قال تعالى[2]: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[3]، وهي أصناف أربعة: الإبـل، والبقر، والضَّأن، والمَعز، تفصَّلت بحسب التذكير والتأنيث إلى ثمانية. والحَمُولة منها ما أطاق الحَمَل على ظهره وهي الإبل، والفَرْشُ ما سواها. وقيل غير هذا. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾[4]، وإنما اللَّبن المراد به هنا المُنْعَم به علينا لَبن الأنعام، وهي الأزواج الثمانية. أما لبن الوحشِي[5] من[6] غير الإنْسِـيّ، فلـم يقصـد هنـا، وإن كان حلالاً، لتعـذر إدراكه، وليس هو المـراد في الأنعـام وإن جاز إطـلاق اسـم الأنعـام على الوحش مجازاً، لجامعٍ سنذكره بعدُ. قال الهَرَوِيُّ[7]: الأنعام المواشي من الإبل والبقر والغنم وإذا وضح أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، فمن المعلوم أنّ[8] من الوحش الذي لا يدرك إلّا بالصيد محرّم على الحاج ما دام في عمله. قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[9]. ولمـا كـانت

---

(١) الأنعام / ١٤٣.

(٢) ساقطة من ج، هـ.

(٣) الأنعام / ١٤٤.

(٤) النحل / ٦٦.

(٥) ج، ك، ع: الوحش.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن متّ، شيخ الإسلام، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي. كان إماماً كاملاً في التفسير وكان يقول: إذا ذكرت التفسير فإنما اذكره من مائة وسبعة تفاسير. توفي ٤٨١ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢٤٩/١، ٢٥٠.

(٨) ساقطة من هـ، م، ب.. وفي ك: أن غيرها من الوحشي.

(٩) المائدة / ٩٦.

آية سورة الحج مُناطَة بما أُمِرَ به الحاج في قولـه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1]، والأمر بتعظيم تلك الحرمات والشعائر الإيمانية في قوله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْـرٌ لَهُ عِنْـدَ رَبِّهِ﴾[2]، وصل[3] بها ما يحِلُّ به أكل لحمه للمحرِم حال إحرامه، فقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الأَنْعَامُ﴾، ولم[4] يكن ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾، لأن المراد ببهيمة الأنعـام الوحشي[5]. قـال الغُزْنـوِيّ[6] بهيمة الأنعـام وحْشِيُّهـا. وقـال الزمخشري في أحد تفسِيرَيْه[7]: الظِّباء[8] وبقر الوحش ونحوها[9]. ووجه[10] وقوعها في آية المائدة، أن[11] المائدة من آخر ما نزل، وقد تضمَّنت مُتَمِّمَات من الأحكام كآية الوضوء، والتيمُّم، وتفاصيل الصيد، واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشـروبات على التحـرير. وأحكـام هذه السـورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة، وفيها وَرَدَ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾[12]، فناسب هذا ذكـر حِلِّيَة بهيمة الأنعـام[13]، إذ لم يذكرها[14] الله في غيرها على ما ورد

---

(١) الحج / ٢٩.
(٢) الحج / ٣٠.
(٣) ج، هـ: ووصل - بالواو.
(٤) هـ، م، ع: لم.
(٥) ج، هـ: الوحش.
(٦) غير معجمة في ج، ع.
(٧) النص في الكشاف ١/٤٤٤.
(٨) ج: أيضاً.
(٩) ساقطة من هـ، م، ب.
(١٠) هكذا في ك وبقية النسخ: ووجب.
(١١) هكذا في ك وبقية النسخ: وأن.
(١٢) المائدة / ٣.
(١٣) بعدها في ب: لها بالأنعام.
(١٤) ك: يذكره.

هنا من تحرير[1] ذلك، وبيان العوارض التي قد تحرِّم[2] لأجلها، وذلك قوله تعالى[3]: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ [٥٣/ظ] وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾،[4]. ثم أتبع بقوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾[5]، لأن هذه عوارِض تكثُر في الوحشي لمخالفة حاله في التزكية[6] وما تحل[7] به الإنسيَّة من الأنعام. ثم أتبع ذكر ما يعرِض مما ذكر مما وقعت الإشارة إليه بقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾. ثم أشار قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾[8]، إلى ما أفصح به قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[9]. فوضح التناسب، وأن عكس الوارد في الآيتين لم يكن ليناسب، والله أعلم بما أراد.

٧٩ ـ الآية الثانية[10] من سورة المائدة[11] (غ)[12] قوله تعالى:

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ (٢).

وفي سورة الفتح (٢٩): ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾،

---

(١) ج، ع: تحريم.
(٢) ج، ع: يحرم.
(٣) ساقط من ب.
(٤، ٥) المائدة / ٣.
(٦) ع: التذكية.
(٧) ج: يحل.
(٨) ج: زاد هنا (الى ما كان).
(٩) المائدة / ٩٦.
(١٠) هـ: الثالثة.
(١١) سقط من م (من سورة المائدة)، ومن ك (المائدة).
(١٢) ساقطة من ب، ع.

وكذلك[1] في سورة الحشر[2].

فيسأل[3] عن موجب اختصاص سورة المائدة بما ورد فيها من إضافة اسم الرَّبِّ تعالى إليهم. بخلاف السورتين.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية المائدة مبنية على تأنيس، وتخويف، واستلطاف. وقد أحرز قوله من ربهم هذه المعاني الثلاثة حسبما يتبين بعدُ. ومن التأنيس أيضاً افتتاح خطاب مَن قُصِد بها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، مع أنهم نُهُوا عدة منْهِيَّات، والنهي مما يثير الخوف لمن قصد بالنهي، ثم يُحكِمه[4] ويقوِّيه ما وُصِف به آمّ البيت الحرام، من ابتغاء[5] الفضل والرضوان الى ما تعضُده[6] إضافة التخصيص في قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾، إذ لا يحصل ذلك من أن لو قيل: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾، عِوَض قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾، وإذَايَة[7] من خُص بتقريب، ليست[8] كإذَايَة من ليس كذلك. والمعصية قد تكون واحدة ثم تعظم[9] بإيقاعها على صفة ما. وتأمل ما ورد في الزِّنا بحَلِيلَة الجار، والزنا كله كبيرة، ولكن لوقوعه بحليلة الجار زيادة، وذلك لحرمته. وكذلك ما عظم الشرع من الإلحاد في البيت الحرام، والإلحاد كله حرام، ولكن في وقوعه في البيت الحرام زيادة. وتأمل هذا في الكتاب العزيز، وفي صحيح الأخبار، تجد ذلك كثيراً، كما

(1) ك: وكذا.
(2) آية / ٨.
(3) ب: يسال.
(4) جميع النسخ: بحكمه.
(5) هـ، م، ع: انتفاء.
(6) م، ب: تقصده.
(7) هكذا في جميع النسخ. ومصدر آذى، اي فعل الأذى أذى، وأذاة، وأذية ولا يقال: إيذاء.
(8) ساقطة من ج، ك، ب، ع.
(9) ج: يعظم.

أن هذه الإضافة في قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾، مشعِرة ـ إذا اقترن بها بعض القرائن ـ بالتلطف[1] والتقريب وتأنيس مَن عُنِي بها، وتخويف من انتهك حرمة من جرت الكناية عنه بها تخصيصاً وتأنيساً. فلهذا خُص هذا الموضع بها، وقدم أيضاً تأنيس من خوطب بالنهي، إذا هم امتثلوا فأُنِّسوا من شدة الخوف الحاصل من[2] مجموع ما ذكرنا. فلمجموع[3] ما قصد في هذه الآية من التأنيس والتخويف والاستلطاف، خُصت بما ورد فيها.

فإن قلت: قد تَرِدُ هذه الإضافة[4] حيث لا يقصد التلطف ولا التأنيس كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ [٥٤ / و] ٱلْمَصِيرُ﴾[5]. إلى أمثال هذا مما يكثر[6].

قلتُ: أما آية الفتح فلم يَنْجَرَّ فيها تخويف مرتكب، ولا بنيت على ذلك، ولا داعية إلى ما يستدعي التأنيس، كما في آية المائدة. وهذا مع أن المذكورين في آية الفتح أعظم الأمة قدْراً وأجلّهم خطراً، وهم أهل المزِية والاختصاص، فلم تُبْنَ الآية إلاّ على مدحهم وبيان مِزيَّتهم التي لا يدركها غيرهم، ولا ينجر فيها تخويف مرتكب يدعو إلى تأنيس من خوطب بها كما في آية المائدة، بل وردت هذه مورد البشارة، وتعريف حال الإنعام، وعلى ذلك وردت آية الحشر، من الثناء والمِدْحَة، ولم يتخللها نهي ولا تخويف، ولا ورد تفصيل بذكر مخالفي تلك الحال. فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ـ إلى قوله ـ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ

---

(١) ك: للتلطف.
(٢) ك: في.
(٣) ك: فكمجموع.
(٤) ك، ب: الأوصاف.
(٥) الملك / ٦.
(٦) على هامش ج: «لعله بقي هنا كلام»!!؟

وَرَسُولَهُ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1].

وقد وضح الوجه في ورود كل من هذه الآي على ما ورد، وأنّ عكس الوارد فيها لا يناسب، على ما تمهّد، والله سبحانه أعلم.

٨٠ ـ الآية الثالثة من سورة المائدة (غ)[2] قوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾[3]، فاتفقت الآيتان على وصية المؤمنين، وحَضّهم على مكارم الأخلاق، والعفو عمن تقدمت منه إساءة أكسبت بُغضه، فكأن قد قيل لهم: لا[4] يحمِلَنَّكم ما وَقَرَ في صدوركم من بغضكم إيّاهم على متقدم إساءتهم، بصدهم إيـاكم عن المسجد الحرام عام الحديبية، ومنعكم عن[5] الاعْتِمار، ولا يحملنكم ذلك على الانتقام منهم والانتصار لأنفسكم، فالعفو أقرب للتقوى، وقد مَلَكْتُم فَأَسْجِحُوا[6]. خوطب المؤمنون بهذا بعد فتح مكة وقهر كفار العرب وإعْلاء كلمةِ الله، فنُدِبُوا إلى العفو عمّا تقدم وألاّ يحاسِب من انْقَادَ واستجاب ودخل في دين الله بما كان تقدم من عداوتهم، وإنْ وَقَرَ في النفوس من بُغضِهم[7]

(١) الحشر / ٨.
(٢) سقط من ب، ع: قوله «من سورة المائدة غ».
(٣) المائدة / ٨.
(٤) ج، ع: ولا.
(٥) ج، هـ، ك، ب: على.
(٦) الأسجح: الحسَن المعتدل والسُّجحة، والسجيحة، والمسجوحة، والمسجوح الخُلُق. والإسجاح حُسْن العفو.
(٧) ج، هـ ب، ع: بعضهم.

على إساءتهم ما وَقَرَ. فاستوت الآيتان بأمر المؤمنين بمكارم الأخلاق، ثم اختلف تعليق ما حذِّروا منه أن يحمِلَهُم عليه بحَظٍّ ما في نفوسهم، فقيل في الآية الأولى: ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾، وفي الثانية: ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، والاعتداء أشد وأعظم من عدم العدل عن وجه ما ورد في كل من الموضعين ومناسبته لما تقدَّمه.

والجوابُ عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى ورد فيها الإفصاح بعِلَّة البَغضاء الحاملة على الانتصار والانتقام، وهي صدُّهم عن البيت عام الحديبية، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾، أي من أجل [٥٤ / ظ]؛ ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ أي منعوكم، فأَنْ هنا مصدرية في موضع المفعول من أجله. فلما وقع الإفصاح بسبب الشنئان ناسب النظم الإفصاح بالعقوبة عنه وهو الاعتداء بالانتقام والمجازاة[1] السيئة بالسيئة، لولا ما ندَب سبحانه إليه من التخلُّق الإيماني المشروع للمؤمنين تقديمه واختياره فقيل: ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾، أي لا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا، أي على الاعتداء، ولا يكسبنَّكم ذلك المرتَكب الفارِط منه[2] الاعتداء. ولمَّا لم يرد في الآية الثانية إفصاح بجريمة، بل بنيت على أمر المؤمنين بالعَدْل فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾[3]. فلما أُمِرُوا بالعدل[4] ناسب ذلك وصيتهم وأمرهم ألَّا يحملهم شيء على ترك العدل الذي أمروا به فقيل: ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، فوضح جليل الالتئام والمناسبة، وورد كل من المَنْهِيِّ عن ارتكابه في الآيتين على ما يجب ويناسب ولا يمكن خلافه، والله أعلم.

---

(١) جميع النسخ: المجازات.
(٢) هامش ج: منهم.
(٣) النساء / ١٣٥.
(٤) ساقطة من ج، ك.

٨١ ـ الآية الرابعة من سورة المائدة (غ) قوله تعالى:

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦).

وفي النحل[١] (٨١): ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، فورد في الآيتين إتمام نعمته سبحانه على عباده بعبارة متحدة. ثم اختلف المُتَرَجَّى منه سبحانه جزاءً على ذلك. ففي الأولى قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، فيسأل عن وجه ذلك[٢].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب عليهم من الطهارة، لصلاتهم، وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك. وإنعام عليهم برخصة التَّيَمُّم إذا عدِموا الماء. وكل هذا مستوجب الشكر[٣] لله سبحانه؛ فقيل في تمام هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. وأما آية[٤] سورة[٥] النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات[٦] من آخرها، وغالب حالها خطاب لكفار قريش ومن كان مثلهم. ألا ترى افتتاحها بقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[٧]، وإنما هذا خطاب للمُرتابين في الساعة تكذيباً وكفراً. ثم قال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٨]؛ وقرىء بالتاء[٩]، فأوضح أن الخطاب كما قلنا للمرتابين. وقوله بعدُ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٠]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

---

(١) هـ: النمل.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجهه).

(٣) هكذا في م وبقية النسخ: للشكر.

(٤) ساقطة من ج، م، ب، ع.

(٥) ساقطة من ك.

(٦) هـ، ب، ع: آية. والصواب ما أثبتناه، فالآيات الثلاث الأخيرة من سورة النحل مدنية.

(٧،٨) الآية الأولى منها.

(٩) وهي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف في أربعة مواضع: يونس / ١٨، النحل / ١، ٣، الرُّوم / ٤٠. وقرأ الباقون بالياء على الغياب. النشر ٢/٢٨٢، الحجة / ١٨٠.

(١٠) النحل / ١٧.

شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[1]، إلى ما بعد. ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[2]، ثم قال: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[3]، وقال: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾[4]، ثم قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[5]، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[6]، ثم قال بعد آي تذكر ما امْتَنَّ به سبحانه فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً﴾ ـ الآية[7]، وعلى هذا [٥٥ / و] استمرت آية سورة النحل، وقد تخللها من تذكيرهم بإنعام الله عليهم كثيراً ـ إلى قوله ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾[8]. وكل هذا تذكير بعجائبه من إنعامه تعالى لا يمكن نسبة شيء منها لغيره. ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[9]، أي تدخلون في دين الإسلام الذي لا يُقبل في الآخرة سواه، فهذا أوضح تناسب والسورة مكِّيَّة.

أما آية المائدة فلم يقع قبلها خطاب لغير المؤمنين ولا ما قصد به سواهم، ولم يخاطَبوا باسم الإيمان إلاّ وإسلامهم حاصل، ثم علموا طهارتهم بعد بيان ما أُحِلَّ لهم وحُرِّم عليهم. ثم أعقب تعليمهم برخصة

(١) آية / ٢٠.
(٢) آية / ٢٤.
(٣) آية / ٢٦.
(٤) آية / ٣٧.
(٥) آية / ٣٨
(٦) آية / ٦٢.
(٧) آية / ٧٣.
(٨) من الآية ٦ ـ ٨١.
(٩) آية / ٨١.

التَّيمُّم عند تعذُّر الماء فناسب ذلك رجاء إنعامه عليهم بهدايتهم للشكر، فقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ولم يكن ليلائم في كل من ختام الآيتين، إلا الوارد فيه، ولا يناسب عكس الوارد بوجه. فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد[1].

٨٢ ـ الآية الخامسة من سورة المائدة قوله تعالى [2]:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩)

وفي سورة الفتح (٢٩): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُمْ، مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ فقيل هنا[3]: ﴿مِنْهُمْ﴾، ولم يقل في آية[4] المائدة: منكم، على مقتضى الخطاب، ولا منهم على الالتفات فيخصِّص كما في آية الفتح، بل قطع ﴿وَعَدَ﴾ عن نَصْب مفعوله، وجيء بالجملة في موضعه، فقيل ﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وجرى ذلك على ما يُعمّ الكُلَّ ولا يخُصُّ فيسأل عن ذلك.

والجواب عنه[5] ـ والله أعلم ـ أن آية المائدة لما تقدمها خطاب المؤمنين في قضيتين:

الأولى: منهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشكُرُونَ﴾[6].

(١) محذوف من ب قوله: بما أراد.
(٢) عنوان الآية كله ساقط، من ب.
(٣) ك: هاهنا.
(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ: سورة.
(٥) ج، عن ذلك.
(٦) المائدة / ٦.

والثَّانية قوله تعالى[1]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ﴾ ـ الآية[2].

وقد وقع فيما بين هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾[3]، ولم يقع أثناء هذه الآي إشارة إلى غيرهم، ولا انْجَرَّ معهم أحد ممن سواهم، لم نحتج إلى تخصيص الخطاب الوَعْدِيّ فأُطْلق القولُ ولم يُقَيِّد بأن يقال منهم، ولا عملت: وَعَدَ في مفعولها الثاني، كما جاء ذلك كله في آية الفتح، بل عُدِل عن عملها في لفظ: مغفرة، وجيء بالجملة في موضع المفعول، وقُطِع قوله: لهم على الابتداء والخبر؛ ليكون أبلغ في استحقاقهم ذلك.

وأما آية الفتح فأُعقِب بها التمثيل الجاري في ذكر الزَّرْع في قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[4]، مع أن العِلْيَة[5] الموصوفين بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[6] إلى ما وصفوا به، وعرّف أنه مثَلُهم في التوراة [٥٥/ظ] وأن مثَلهم في الإنجيل قد كان كذا. فمع ما وصفوا به قد عاصرهم، وكان في أيامهم ومعهم مَن عُلِم نِفاقُه ممَّن كان يتظاهر بالإيمان ويُسِرُّ الكفر: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾[7]. وقد صاروا معهم[8] بظاهر أمرهم منهم[9]، وأعلَم بذلك قوله

---

(١) من أول الآية السابقة الى هنا ساقط من ج، ك، ع.
(٢) النساء / ١٣٥.
(٣) المائدة / ٧.
(٤) الفتح / ٢٩.
(٥) ج، ع: أهلية.
(٦) الفتح / ٢٩.
(٧) المائدة / ٦١.
(٨) ساقط من ج، ب.
(٩) هكذا في ج، وساقطة من بقية النسخ.

تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾[1]، وعرّف سبحانه بأحوالهم وحذر نبيّه والمؤمنين منهم فقال: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[2]. وقد شمِل الكُلَّ عموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، بظاهر الإيمان، إذْ كانوا يتظاهرون بما وُصِف به المؤمنون، فجيء هنا بالوَعْد[3] [مُخْرِجاً] منه[4] مَن كان يتظاهر[5] بالإيمان، ويلْزَق بالمؤمنين وليس منهم، وقَبْلُ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾[6] فجيء بقوله: ﴿مِنْهُم﴾[7]، ليحرز هذا المعنى الجليل، فمِن دالة[8] على التُّبعيض.

أما آية المائدة فلا يتناول[9] ما قبلها مما ذكر من الآيات غير المخلص في إيمانه، لخصوص[10] خطابهم بما لا[11] يتناول غيرهم من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فخُصِّصُوا بالنِّداء، ولا يتناول إلاَّ مؤمناً. أما «مع» فيتناول المجتمعين في الظاهر من حيث تألُّف أشخاصهم، وإن اختلفت قلوبهم. ويدل على ذلك قول المنافقين في القيامة للمؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، وجواب المؤمنين لهم بقولهم: ﴿بَلَىٰ﴾، أي قد كنتم معنا، ولكن لم تكونوا مخلصين. هذا معنى قولهم: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ـ الآية[12]، فقد كانت مَعِيَّة في الظاهر،

---

(١) التوبة / ٥٦.
(٢) الأحزاب / ٤٨.
(٣) بعدها في ج، هـ، م، ب، ع: محرزاً، وفي ك: محرراً.
(٤) ساقط من م.
(٥) ك: يتظاهرون.
(٦) الفتح / ٢٩.
(٧) ساقط من ج، ع.
(٨) ساقطة من هـ، ع. وفي م، ك، ب: فمن على هذا التبعيض.
(٩) ج، ع: تتناول.
(١٠) هكذا في ك، وبقية النسخ: بخصوص.
(١١) ج، م، ب، ع: فلا.
(١٢) الحديد / ١٤.

وصَحَّ إطْلاقُها لُغَةً، وبهذا القَدْر من الاحتمال في اللفظ[1] ـ وإنْ لم يكن مقصوداً في المعنى ـ حَسُن التَّحرِيرُ، والتحرُّز في آية الفتح، بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾. أما قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾، بعد أن لم يتقدم إلاّ ذكر من أفصح بلسانه، وإنما الإيمان عمَلٌ قلْبيٌّ لأن[2] التصديق وإنِ اتُّسِعَ في إطلاقه على الإيمان والإسلام، فالتصديق حاصل على كل حال كما لو قيل في آية الفتح: «والذين آمنوا معه».

وإذا تقـرَّر هذا، فـلا حـامـل إلى التحـرز بـأن يقـال: منهم، لأنهم مستمرون، غير مختلفين في ظاهر ولا باطن، بخلاف آية الفتح، لما في ظاهر لفظ «مع» مما تقدم.

فإن قيل: وَصْفُهم بما وُصِفُوا به في سورة الفتح يدفع ما ذكرتَ من الاحتمـال. قلتُ: إذا أمكن رجوعـه إلى الأكثر واحتُمـل لم ينـدفـع ذلك الاحتمال، فورد كل من الآيتين على ما يناسب، والله أعلم.

٨٣ ـ الآية السادسة قوله تعالى[3]:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَـقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (١٣)

وقال فيما بعد (٤١): ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، ففي الأولى: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وفي الثانية: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، فيسأل عن موجب ذلك.

---

(١) ساقطة من هـ.

(٢) جميع النسخ: لأنه.

(٣) قوله تعالى: ساقطة من هـ ب، ع، وسقط عنوان الآية كاملاً من ك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الفرق بين الموضعين، أن الآية الأولى تضمنت إخبار الله سبحانه لنبيّه عليه السلام [٥٦/و] بمرتكب مَن تقدم من كفار بني إسرائيل حين أخذ عليهم الميثاق فيما عرّفه سبحانه، في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ـ إلى قوله ـ ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١)، فأخذ تعالى عليهم الميثاق، وأخبرهم(٢) أنه تعالى معهم مُوَالِيهم بالتأييد، وتكفير السيئات، إنْ هُم وَفُوا بما أخذ عليهم في(٣) قوله(٤): ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ـ الآية(٥)، فنقضوا العهود، وقتلوا الأنبياء، وحرّفوا كلام الله، فجعل الله قلوبهم قاسية، ولعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم. فهذا كله تعريف بمرتَكب سلف المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإخبار بحالهم من تحريفهم وتبديلهم.

وأما الآية الثانية، فتعريف له عليه السلام بأحوال معاصريه منهم. وكل هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم لئلا يَحْزُنَه قولهم، ويشُقَّ عليه ارتكابهم، وليعلمَ أن ذلك من(٦) فعلهم جارٍ على ما قدّر عليهم في الأزل، قد تبع في ذلك الخلف السلف. فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [ثم قال بعدُ] ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾(٧)، فلما كان هذا إخباراً بحال خلفهم، والأول إخبار(٨)

(١) المائدة / ١٢.
(٢) ج: وأخبره.
(٣) ج: من.
(٤) ساقط من ج، ب، ع.
(٥) المائدة / ١٢.
(٦) ساقط من ج، هـ، م، ع.
(٧) المائدة / ٤١، ٦١ على الترتيب.
(٨) هكذا في ك، وبقية النسخ: إخباراً، بالنصب.

بحال سلفهم ناسب حال الأوّلين ذكر ما تناولوه بأنفسهم وباشروه من التّحريف والتّبديل، فقيل[1]: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ فهم المزيلون لما خوطبوا به عما أريد به، لم يتقدمهم في ذلك غيرهم. وأما المعاصرون، فقد حرفوا أيضاً هذا الاستقرار. ألا ترى إنكارهم صِفَتَه عليه السلام بعد مشاهدته ورؤيته. وهذا مما اختُصَّ[2] به الخلف دون السلف، إذ[3] لم يباشر أمره عليه السلام هؤلاء[4]، بعد أنْ كان سلفهم يعترفون بذلك. فقد حرَّف هؤلاء بعد الاعتراف والثبوت، زائداً[5] إلى ما ارتكبه سلفهم. فالمقلِّدون لأسلافهم في التحريف والتبديل قائلون[6] بما قالوه، فناسب الإخبار عن مرتكبهم ذكر البَعْدِيَّة، إذ قد تقدمهم غيرهم لما ذُكر. فالسلف منهم مُبْتَدِعٌ مُخْتَرِعْ، والخلف محرِّف أيضاً، ومقلِّد متَّبع. فالبَعْدِيَّة لمن بعدُ، والحاليَّة المحكيَّة لمن قبلُ على ما يناسب، والله سبحانه[7] وتعالى[8] أعلم.

٨٤ ـ الآية السابعة قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(١٥).

وفيها بعد (١٩): ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ

---

(١) ج، ع: فقال.
(٢) ك: أخص.
(٣) ج، هـ، ب: أو.
(٤) ج: زاد هنا (ألا).
(٥) جميع النسخ: زائد ـ بالرفع.
(٦) ج، ب، ع: قابلوه.
(٧) ساقط من ك، ب، ع.
(٨) ساقط من ج، هـ، ك، ب، ع.

فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾.

للسائل أن يسأل عما ورد[1] في هاتين الآيتين من الاختلاف فيما خُوطِب به[2] [٥٦/ظ] بنو إسرائيل، ووجه خصوص كل من الموضعين بالوارد فيه، مع اتحاد مقصودهما: من تذكيرهم، وتعنيفهم على إعراضهم، وانحرافهم عن الجادَّة من اتّباع من أُعلِمُوا[3] بأمره، وقُدِّمَ لهم فيه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[4]. على هذه المقدمة من المعنى مَدَارُ الآيتين.

وإذا وضح هذا فلا سؤال في غير تخصيص كل واحدة من الآيتين بما ورد فيها. والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ ـ الآية. فبيَّنَ تعالى ما عَهِد إليهم فيه، أي في معرفة نُبُوَّته[5] وأنْ[6] يؤمنوا به، «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ»[7] وأُلْزِمُوا الوفاء به وأُعْلِمُوا بما يكون من أمرهم إنْ وَفَوا، فقيل لهم: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[8] فالتزموا ما أُلزِمُوا[9]، بدليل: ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾، ثم نقضوا وحرّفوا، وأخفوا، فَجُوزُوا باللعنة وقساوة القلوب[10]، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ما ورد).
(٢) ب: خوطبوا به.
(٣) هـ، م، ب، ع: أعلموه.
(٤) البقرة / ٨٩.
(٥) ج، هـ، ع: نُبوءته، وكلاهما جائز صحيح.
(٦) ج، هـ: وإن لم.
(٧) ما بين القوسين اقتباس من الآية/ ٨١ في سورة آل عمران.
(٨) المائدة / ١٢.
(٩) ج، ك: التزموا.
(١٠) ج، م، ب، ع: القلب.

قَاسِيَةً﴾[1]. فلما تقدم هذا ناسبه قوله تعالى لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، وهذا أوضح تناسب.

ولما تقدم الآية الثانية قول النصارى في المسيح عليه السلام وإخباره تعالى عنهم بذلك في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2]، وبيّن تعالى حال المسيح في عبوديته، وانسحاب القهر الربّاني عليه، كسائر المخلوقات فقال[3] تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ - الآية[4] ثم جمع أهل الكِتَابَيْنِ في التعريف[5] بقولهم[6]: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[7]، وليس هذا الإخبار كالْمُخْبَر له من حال يهود في قبيح عنادهم، وشنيع تحريفهم، يَجْرِ خطاب النصارى وما عرِّف به من حالهم في الكتاب العزيز على حد[8] ما جرى من ذلك في يهود من التعنيف والتوبيخ، وضرب الذِلَّة واللعنة عليهم، والبَوْء[9] بالغضب. فلما[10] كان هذا التعريف المتقدم على الآية الثانية أوطأ مساقاً، ودون ما تقدم الآية المتقدمة من التوبيخ، والمبالغة في شنعة[11] المرتكب، ناسب هذا ما بُني عليه، وأُتبع به من قوله تعالى: ﴿يا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ﴾ - إلى قوله - ﴿قَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾. وفي هذا الخطاب استلطاف ورفق. ولم

---

(1) المائدة / ١٣.
(2) المائدة / ٧٢.
(3) ج: قال.
(4) المائدة / ١٧.
(5) ساقطة من ج، ع.
(6) ب، ع: بقوله.
(7) المائدة / ١٨.
(8) ساقطة من ج، ب.
(9) ب: البَوْ. والبَوُّ ولد الناقة، وجلده يحشى ثِماماً أو تبناً إذا مات لتُدِرَّ اللبن؛ فلزم التنويه.
(10) م: ولما.
(11) ج، ب، ع: شنيعة.

يرد هنا ذكر تحريف ولا تبديل ليلائم ما تقدمه في لين القول، ووَطاءة الإخبار. وتأمل التناسب بين الخطابين وما بُنِيَا عليه يَلُحْ [٥٧/و] لك جليل الانتظام وعظيم التلاؤم[١]، وأن عكس الوارد لا يمكن، ولا يلائم، والله سبحانه وتعالى[٢] أعلم بما أراد[٣].

٨٥ ـ الآية الثامنة من سورة المائدة[٤] قوله تعالى:

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (١٧).

وفي سورة الفتح (١١): ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً﴾.

للسائل أن يسأل عن [٥] زيادة: ﴿لَكُمْ﴾، في سورة الفتح، وحذفِه[٦] في سورة المائدة.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن في آية المائدة، عموم[٧] يستدعي الإطلاق وعدم التقييد بالمخاطبين. وفي سورة الفتح خصوص يستدعي التخصيص بإفادة[٨] الخطاب للمواجَهين[٩] به. وذلك أن الإخبار في سورة

---

(١) ج، ع: وعليهم التلازم.
(٢) هكذا في ك، وساقطة من بقية النسخ.
(٣) بما أراد: محذوف من ك.
(٤) سقط من ب قوله (من سورة المائدة).
(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن).
(٦) هكذا في ب، وفي بقية النسخ (حذف ذلك).
(٧) ج، هـ، م، ع: عموماً ما.
(٨) هكذا في ك، والباقي: آية.
(٩) ك: للموجهين.

المائدة، إنما هو عن النصارى قال الله[1] تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2]. وهذا حكاية قولهم، ثم أعْلَم تعالى بقدرته وقهره للكُلِّ فقال: قل لهم يا محمد من يملك من الله شيئاً، إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمَّه، ومن في الأرض جميعاً، أي فمن يدفع مراده في خلقه، إن أراد إهلاكهم. ثم ذكر سبحانه خلقه المقهورين من سكان الأرض، فبدأ بالمسيح وأمِّه عليهما السلام، ثم قال، ومن في الأرض جميعاً، فعمّ الكلَّ، فلم يكن ليناسب هذا العموم أداة خطابٍ تَخصُّ.

أما آية سورة الفتح فقبلها[3] إخباره سبحانه عن المتخلفين عن غزوة الحديبية قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[4]. ثم أعْلَم تعالى نبيَّه عليه الصلاة[5] والسلام، والمؤمنين، أن قول هؤلاء المخلفين قول بألسنتهم غيرُ مطابِقٍ لما في قلوبهم. فقال تعالى: قل لهم يا محمد من يملك لكم معشر المخلفين من الله شيئاً، أي مَن[6] يدفع عنكم الضر إن أراد[7] بكم ضراً، أو يُوصِلُ إليكم النفع إن منعه عنكم. فالإخبار إنما هو عنهم، وتقدير الضرر والنفع ـ مدفوعاً أو لاحقاً ـ خاصٌ بهم، لم يُرِد بذلك غيرهم. فورد بخطاب المواجهة، فقال[8]: ﴿لَكُمْ﴾ ولم يكن بُدٌّ من ذلك، لِيُعْلَمَ أن الإخبار عنهم، والخطاب بما يُعَدُّ[9] لهم،

---

(١) هكذا في م، وساقطة من بقية النسخ.
(٢) المائدة / ١٧.
(٣) ك: قبلها.
(٤) الفتح / ١١.
(٥) ساقطة من هـ، م، ك، ب.
(٦) ساقطة من هـ، ب، ع.
(٧) هـ، ك: إرادة.
(٨) م: فقيل، ب: فقل.
(٩) ب: تابعة لهم، ع: بما بعد بالتَّحتيَّة المُوحدة.

فجاء كل على ما يجب ويناسب[1]، ولا يتصور فيه العكس، والله أعلم بما أراد[2].

٨٦ ـ الآية التاسعة:

وهي مِن[3] تمام هذه التي فرَغْنا منها، وهي قوله تعالى، إثْر قوله: ﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فقال:

﴿وَلِلَّـهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧).

وقال تعالى فيما بعد (١٨): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّـٰؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ [٥٧/ ظ] بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَـآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَـآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

للسائل أن يسأل عن[4] تعقيب الأولى بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

والجواب عن ذلك، أنه سبحانه لما ذكر في الأولى قدرته وعظيم سلطانه في قوله تعالى[5]: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ

---

(١) ك: على ما يناسب ويجب.
(٢) بما أراد: محذوفة من ك.
(٣) ساقطة من ك.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تعقيب...).
(٥) ساقطة من ك.

مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾، وعرّف سبحانه أنه لا مُعانِدَ له[1]، ولا مانع لما يريده، إشارة[2] بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، إلى ما أفصح به قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾[3] وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[4]، فصارت[5] الآية بهذا في قوة أن لو قيل: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إن أراد أن يهلك من ذكر، وَيَأْتِ بآخرين سواهم، فأعقب[6] هذا بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وهذا واضح.

ولما قال في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، ثم ذكر تعذيبهم بذنوبهم، وأنه سبحانه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، أعقب هذا بما يشير إلى وقت التعذيب، وظهور المغفرة والمُجازاة[7]، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وهذا واضح أيضاً.

فلما اختلف مقصود الآيتين أُعقِبتْ كل واحدة منهما بما يناسب مقصودها، فالقهر في الأولى، والاختراع يناسب وَصْفَه عزَّ وجلَّ بالقدرة، كما أن التعذيب والغفران في الثانية يناسبها[8] ذكر المِثَال[9]، فجاء كل على ما يناسب.

٨٧ ـ الآية العاشرة قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ

(١) في ك فقط وساقطة من بقية النسخ.
(٢) هـ، م: أشار.
(٣) النساء / ١٣٣.
(٤) الآية في سُورَتَيْ: إبراهيم / ١٩، فاطر / ١٦.
(٥) ج، هـ، ع: وصارت.
(٦) ب: فأعقبت.
(٧) ج، هـ، م، ع: المجازات.
(٨) ك، ب: يناسبها.
(٩) ك: المال، ب: المثل.

فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَءَاتَـٰكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠).

وفي سورة إبراهيم (٦): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَـٰكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. فافتتح قول موسى لقومه في سورة المائدة بندائهم، ولم يقع نداؤهم في سورة إبراهيم، فيسأل عن الموجب لذلك[١]، وعن وجه الفرق[٢].

والجواب عن ذلك، أنه لما اعتمد في آية المائدة تذكيرهم بضروب[٣] من الآلاء والنِّعم الجِسام، من جعْل الأنبياء فيهم[٤] وجَعْلهم ملوكاً، وإعطائهم ما لم يُعْطَ غيرهم، كان ذلك تعريفاً باعتنائه سبحانه بهم وتفضيلهم على من عاصرهم وتقـدمهم من[٥] أمم الأنبياء قبلهم، فناسب ذلك نـداء موسى [٥٨/و] عليه السلام بقوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾، بالإضافة إلى ضميره، إنباءً بالقرب والمَزِيَّة، وناسب هذا النداء المُنْبِيء[٦] بالاعتناء، ما تقدم من تخصيصهم بما عقَّب به النداء من التشريف بما منحهم من الآلاء والنعم الجسام، وَلِمَّا قصد به في آية سورة إبراهيم تذكيرهم بنجاتهم من آل فرعون وما كان يسُومُهُم به من ذَبْح ذكور أبنائهم، واستِحْياء نسائهم للمَهانة[٧]. ولم يُذكَر هنا شيء مما في آية المائدة لِمَا اقْتُصِرَ عليه هنا من التذكير بمجرد الإنجاء، فناسب ذلك

---

(١) ج، ب: في ذلك.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).
(٣) ج، ع: وضروب.
(٤) ج، ع: منهم.
(٥) م: في.
(٦) هـ، م، ب: المنبأ.
(٧) ج، هـ، م: للمنة، ب، ع: للمنية.

الاقتِصَارَ على خطابهم دون النداء، رَعْياً للمناسبة، والله أعلم.

٨٨ ـ الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٠)

وفي سورة الفتح (١٤): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾. فتقدم في المائدة ذكر التعذيب، وأُخِّرَ في سورة الفتح، وأُعقِبت الأولى بقوله: ﴿وَاللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ والثانية بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، فهذان سؤالان.

والجواب عن الأول أنه لما تقدم في المائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ ـ الآية[1]، وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ ـ الآية[2]، وقد وقع في الآيتين ذكر تَنْكِيلُ الطائفتين[3]، ممن حارب أو سرق متعمداً، فقيل في الطائفة الأولى: ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[4]، فهذا ما يُجعَل لهم في الدنيا، ثم أعلم تعالى بوعيدهم الأخراوي وجزائهم[5] إنْ هم وَافُوا على فعلهم هذا، مُسْتَحِلِّين لذلك[6] المرتَكب أو غير مُسْتَحِلِّين إنْ أنْفَذَ الوعيد عليهم، وأعقب تعالى بذكر إقالتهم، أن يأتُوا قبل أن يُقْدَر بما أعطاه الاستثناء، وأشار إليه قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا

(١، ٢) المائدة / ٣٣، ٣٨ على الترتيب.
(٣) هكذا في جميع النسخ ولعل صوابها: التَّنكيلُ بالطائفتين.
(٤) المائدة / ٣٣.
(٥) ك: وجائزهم.
(٦) ك: ذلك.

أنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. وقيل في الطائفة الثانية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً﴾[2]. ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾، أشار إلى من أقلع منهم تائباً وأصلح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[3].

فقد تقدم في هاتين القضيتين ذكر الامتحان قبل ما به رجاء الغفران، وهذا في مآلهم الدُّنياوي، ثم أعقب تعالى بالآية التي أَعْلَم فيها بانفراده بملك السموات والأرض، وأنه تعالى يعذب من يشاء، فقدم ذكر العذاب على المغفرة تنظيراً لما تقدم، ومقابلةً تطابقٍ، إذْ كلٌّ ذلك بقدرته تعالى [٥٨/ظ] وسابق مشيئته فهذا وجه تقدم[5] التعذيب[6] في سورة المائدة. وأما آية الفتح[7]، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾[8]. وبالإيمان رجاء[9] الغفران وهو مُتَشَبَّثٌ به، كما أن العذاب مرتبط بالكفر ومُنَاطٌ به، فتقدم في هذه الآية مُثْمِرُ الغفران وهو الإيمان، وتأخر مُوجِب التعذيب من الكفر والخُذلان. ثم أعقب تعالى بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ فناسب[10] بين الآيتين بالتناظر في الجزاءين من المغفرة لمن أناب[11]، والتعذيب لمن كفر وارتاب. وبحسب

---

(١) المائدة / ٣٤.
(٢) ك: سقط من الآية قوله: جزاء.
(٣) المائدة / ٣٩.
(٤) ب: عنهم.
(٥) م: تقديم.
(٦) هـ: العذب، ب: العذاب.
(٧) ب: وأما آية المائدة في سورة الفتح (؟).
(٨) آية / ١٣.
(٩) هكذا في ك وبقية النسخ (جاء).
(١٠) ب: ناسب، ك: فنوسب.
(١١) ك: تاب.

مشيئته[1] سبحانه، وما قدَّر لكل من الفريقين أولاً.

٨٩ ـ الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ﴾ (٤٤)

ثم قال بعد (٤٥): ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ﴾، ثم قال بعد (٤٧): ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن موجب[2] افتراق هذه الأوصاف الوَعِيدِيَّة بوَسْم مَن وُصِف[3] بها بما يستلزم العقاب الأخراوي من الكفر والظلم والفسق، وإنْ لم يكن إقلاع ولا[4] غفران، ولم اختلفت[5] وحدة الموصوفين[6] بها؟، وكيف ورد فيها الأخف بعد الأثقل، وذلك ضد التَّرَقِّي[7] في مقابل الوعيد الذي تشير إليه هذه الصفات وهو الوعد ـ وطريقته التَّرَقِّي من حال إلى أعلى. وعلى ذلك ورد[8] آي الكتاب كقوله[9] تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ـ الآية[10]، فَبُشِّرُوا أولاً

(١) هـ: عشيته، ج، ب، ع: تحسينه.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب افتراق...).
(٣) ب: وسم.
(٤) ساقطة من ك.
(٥) ب: اختلف.
(٦) ج: الموصمين (؟).
(٧) م: التي.
(٨) ك: ورود.
(٩) ج، هـ، ع: لقوله.
(١٠) البقرة / ٢٥، وقد حذف منها في هـ، ب، ع ﴿من تحتها الأنهار﴾، وحذف في ك ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾.

بالجنات ثم وصفت بجري أنهارها وبذلك حياتها، ثم بموالاة رزقها وتشابهه، لتأنس النفوس بما أَلِفَتْ، لأن غير المألوف من المَطْعَم[1]، ينافره الطبع، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الضَّبُّ حين قُرِّبَ إليه فردَّه: «لم يكن بأرض قومي فأجِدُنِي أعَافُه»[2]. ثم أُتبع ذكر الرزق والمأكول بالأزواج المطهرة، فازداد النعيم، واتسعت المَلَاذُ ثم أعقب بالخلود، وذلك كمال النعيم. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾[3]. فتأمل ورود الغفران بعد صلاح[4] الأعمال، وكلاهما جزاء على ما مُنِحُوه من التقوى وسَدَادِ الأقوال. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ [٥٩/و] لَكُمْ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ هُم خَيْرُ البَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[7]. فتأمل ختام الجزاء[8]

---

(١) هـ، م، ك: المتطعم.

(٢) روي هذا الحديث لابن عباس، خالد بن الوليد وقد دخل معه صلى الله عليه وسلم على إم المؤمنين ميمونة خالته وخالة ابن عباس؛ فقدمت له ضَبًّا قدِمَتْ به أختها حُفَيْدَة بنت الحارث من نَجْد، فأكل مما سواه وتركه؛ فسألوه عن الحل والحرمة فيه فقالها. هذا ما اتفق عليه الشيخان، وزاد مسلم في صحيحه من طريق ابن عمر روايات في إباحة أكله وتحليله. البخاري ٩٢/٧، مسلم ٦١٣/٤ ـ أحاديث / ٣٦ ـ ٤٥.

(٣) الأحزاب / ٧٠، ٧١.

(٤) ج، ع: إصلاح.

(٥) الحديد / ٢٨.

(٦) التوبة / ٧٢.

(٧) البينة / ٧ ـ ٨.

(٨) ج، ب، ع: الخير.

المذكور في آية الحديد بالغفران وعظيم ما يثمره. والتَّرَقِّي من ذكر ما تقدمه إليه وختام هاتين الآيتين[1] بعد[2] بالرضى وهو أعظم ما يُعطَاهُ أهل الجنة، والحديث الصحيح في ذلك مشهور[3] ومفهوم الرضى[4] ـ لو لم يرد الحديث ـ أعظم نعمة. والترقي في هذه الآي بيّن، ولم ينكسر هذا المُطّرد[5] في آي الوعد على تكرُّرها، وعلى ذلك جَرَتْ آيات الوعيد. وإلى[6] الوعيد مرجع[7] آي المائدة المتكلِّم فيها لما ذكرنا من السيئة، ومقابل الوعيد الوعد، وقد اطّرد ذلك فيه في كل آي[8] القرآن وكذلك في الآي الوَعيدِيَّة.

ومن أبْيَنَ الوارد في ذلك وأقربه شَبَهاً بآي المائدة قوله ـ عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَروا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[9]، فقد وقع في هذه الآي ذكر ثلاثة أصناف اجتمعوا في الكفر بعد الإيمان، ثم اختلف حكمهم فيها بعدُ، وقد تحصل في وعيدهم الانتقال من أخف إلى أثقل، فقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّـآلُّونَ﴾[10]، فهؤلاء مع

---

(١) ساقطة من ج، هـ، م، ع.

(٢) ج، هـ، ب، ع: بقرب.

(٣) صحيح الحديث مسلم ٥/٦٩٠ ـ حديث / ٨ من طريق أبي سعيد الخدري عن النبي عليه الصلاة والسلام ومتنه: «إن الله يقول لأهل الجنة: ... هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟! فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلّ عليكم رضواني، فلا أسْخَط عليكم بعده أبداً».

(٤) ب: المرضى.

(٥) ب: الطرد.

(٦) هكذا في ك، وبقية النسخ: على.

(٧) ج، ع: فرجع.

(٨) ج، ب، ع: آيّ في القرآن.

(٩، ١٠) آل عمران / ٨٦ ـ ٩١.

وعيدهم وما ذُكِر[1] من لعنهم قد أُعقِب بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ﴾[2] فهذا إبقَاءٌ خَفَّتْ به حالُهم عن المنكِرين[3] المذكورين بعدهم، وكذا ورد في سبب هذه الآية، أن الذي نزلت بسبب كُتِبَ بها إليه[4]، بعد سؤاله: هل له من توبة، حين كفر بعد إسلامه ولحق بمكة. فلما وقف عليها، راجع الإسلام، وحسُنت توبتُه[5]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾[6]. فذكّر هؤلاء بازدياد الكفر بعد الكفر، المُعقَب به إيمانهم، ثم أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[7]، فأبقى تعالى على[8] الأوّلِينَ حين قال تعالى[9]: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، واشتد[10] حال المذكورين بعدهم، حين قيل فيهم: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[11]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[12]، فأعلم من حال هؤلاء بموتهم على الكفر، فانقطع رجاؤهم، وهؤلاء أشد حالاً ممن ذُكِر قبلهم في الآية المذكورة قبلها، إذ لم ينص فيها على موتهم على الكفر، ونَصَّ[13] في هذه الأخيرة، فكانت أشد فقد وضح في هذه الآيات[14]،

---

(1) هـ، ع: ذكروا.

(2) آل عمران / ٨٩.

(3) في ك فقط.

(4) ج، هـ، م، ك، ع: كتب بها الى مكة.

(5) هو رجل انصاري يدعي الحارث بن سويد، ارتد بعد إسلامه، ولحق بالمشركين في أرض الروم، وقيل لحق بقريش في اثني عشر مرتداً. انظر: جامع البيان ٥ /٥٧٢ ـ ٥٧٤، أسباب النزول / ٧٤، ٧٥، واللباب / ٤٨.

(٦، ٧) آل عمران / ٩٠، وقد سقطت ﴿إنّ﴾ من: ج، هـ، م.

(8) ب: فأنفى تعالى عن.

(9) في ب فقط.

(10) ج، م: اشتمل.

(11) آل عمران / ٩٠.

(12) آل عمران / ٩١.

(13) هـ، م، ب: خص.

(14) ساقطة من ك.

الانتقال من أخف إلى أثقل، وهذا مُطَّردٌ في الوعد والوعيد[1]، والتعريف بالامتنان والأحوال، وما يرجع إلى ذلك[2]، [٥٩/ظ] وعلى هذا كلام العرب في هذه الضروب التي أشرنا إليها. ومن آي الامتنان قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[3]، وفي[4] هذه الآية التَّرَقِّي، وهي من قبيل ما ذُكِرَ، وإنما يرد عكس[5] التَّرَقِّي، بذكر الأخف بعد الأثقل في التكاليف والأوامر والنواهي، وما يرجع إلى ذلك. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ ـ الآيات[6]. فهذا الضرب وما يرد منه ويرجع إليه لا يُشْتَرَطُ فيه ما قُدِّم من الترقي والانتقال من أخف إلى أثقل ومن حُكْمٍ إلى ما هو أعلى منه.
أما الوعد والوعيد فالمطرد فيهما وفي الضروب المذكورة معهما[7] ما بيّناه[8] من الترقي، وهو كلام العرب. فللقائل أن يقول: إذا ثبت ذلك فما جوابكم[9] عمّا ورد في آية المائدة وظاهره على خلاف ما زعمتهم اطّراده، فأقول: أما القول بخروج آية المائدة عما أطرد في نظائرها وأنها[10] مما ورد فيه[11] الأخف بعد الأثقل، فمرتكب لا يُسَلَّم لقائله، وغفلة عما عليه آي القرآن وكلام العرب، وإنْ كان قد[12] اعتمده بعض الجِلَّة ـ رحمهم الله ـ والجواب عنه جواب عن السؤال الأول.

---

(١) لـ: زاد هنا (والوصف).
(٢) ب: ذكر.
(٣) النساء / ١١٣.
(٤) هـ، ب، ع: من، وساقطة من ج.
(٥) هـ، ج: على.
(٦) المائدة / ٤٥.
(٧) ج، هـ، ع: منهما.
(٨) ج: ما بينا ـ لا ـ من (؟).
(٩) ب: والجواب.
(١٠) ج، ب، ع: فإنها.
(١١) هكذا في لـ، وبقية النسخ (فيها).
(١٢) كان وقد: ساقطتان من ج، هـ.

وحاصل كلام مَن أشرنا إليه سؤالاً وجواباً، أنْ قال: إنْ قيل: لِمَ قال في الأولى، ﴿هُمُ الكَافِرُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، والكفر أعظم من الظلم، فما الفائدة في ذكر الأخف بعد الأثقل. ثم جاوب بما معناه: إنّه لما تقدم الآية الأولى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1]، وإنَّ ارتكاب شيء مما نُهوا عنه، وعدم خشيته تعالى، تقصير فيما يجب له سبحانه[2] وجَحْدُ الواجب له، وإنكار نِعَمِهِ تعالى كفر، فأعقب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾.

وأمّا[3] تقدُّم الآية الثانية قوله تعالى[4]: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ـ الآية﴾، فَلَمْ تتضمن هذه الآية غير الحقوق المتعلقة بالنفوس، والوقوع في شيء من ذلك يوجب إيلامها[5]، ودوام عقابها، وذلك ظلم لها، فأُعقِبَت هذه بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. انتهى معنى كلامه، وفيه ببادي[6] النظر مناسبة وملاءمة في النظم إلاَّ أن ما تمهَّد من المطَّرد في آي القرآن، وما عليه كلام العرب في الوعد والوعيد، يَرُدُّ ما اعتمده هذا القائل. وقد تقدم في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ ـ الآية[7]، ما فيه شفاء فيما ذكرتُه هنا. ثم إنَّ الكلام لو كان جارياً على ما قال لَبُنِيَ[8] عليه اعتراض يُلزِمُه تكميلاً لما ألزمه نفسه في

---

(۱) المائدة / ٤٤.
(۲) ج، ع: تعالى.
(۳) ج، ك، ع: ولما.
(٤) في ك فقط.
(٥) ك: اتلافها.
(٦) ج، ع: لبادي.
(۷) آية / ٥٨.
(۸) م، ب، ع: لبقي.

هذه الآي، من توجيه الوارد[1] فيها من الأوصاف الثلاثة، وهو قَصْرُه السؤال والجواب على[2] الوجهين من الكفر والظلم، وكأن قوله تعالى في الآية الثالثة بعدُ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، غير مُنَاطٍ بما قبله وليس الأمر كذلك فإن المذكورين في الآي الثلاث قد اجتمعوا في الحكم بغير ما[3] أنزل الله، وقد شملهم ذلك. فهم من حيث ذلك صنف واحد، ومدار[4] الآي في الثلاث، إنما هو على [٦٠/و] فعل يهود المنصوص على حكمهم بغير ما أنزل الله، ومخالفتهم مَنْصُوصَ كتابهم في الرَّجْم وغيره[5]، وما قبل هذه الآي وما بعدها لم يخرج عنهم، فَهُمْ أهل الأوصاف الثلاثة، وقد نقل المفسرون عن ابن عباس أنه قال: الكافرون والظالمون والفاسقون أهل[6] الكتاب[7]. وعن ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم[8]. وقال الزمخشري: مشيراً إلى وجه الترتيب في هذه الأوصاف، وتفسيراً لقول ابن عباس، وأن يهود هم الآهلون لهذه الأوصاف والمرادون بها فقال: «الكافرون، والظالمون، والفاسقون وصف لهم بالعُتُوِّ في كفرهم حين ظلموا [آيات الله] بالاستهانة، وتمردوا بأن حكموا بغير[9] ما أنزل الله»[10]، فجعل الظلم استهانة، والفسق تمرداً، وقد فسر الفاسقين من قوله تعالى في سورة البقرة:

---

(١) ج، هـ، ب، ع: المراد.
(٢) ب: عن.
(٣) ب: بما.
(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ (مراد).
(٥) ما بعدها الى قوله: وقد نقل، محذوف من ج، هـ، ع.
(٦) ج: من أهل.
(٧) جامع البيان ١٠ /٣٥٦، ٣٥٧. وانظر أقوال السلف بمثل قوله ١٠/٣٤٥ ـ ٣٥٨.
(٨) نفسه / ٣٥٢، ٣٥٣.
(٩) الكشاف بغيرها.
(١٠) الكشاف ١/٤٦٣.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الفَاسِقُونَ﴾، بأنهم المتمردون من الكفَرة [1] . قلت: جعَل الزمخشري الاستهانة مسيرة [2] ظلمهم ومادته، فظلمهم المسبَّب عنها بعد حصول كفرهم أشد من الكفر. ثم إنّ التمرد المعبَّر عنه في الآية بالفسق وإن تقدمته الاستهانة، وكانت له كالمادة، فإنه أشد من الاستهانة، لأن التمرد تَفَعُّل مَن مَرَدَ[3]، أي عتَا. والتَّفَعُّل يَنبَني على[4] التعوُّد والتَّعَمُّـل. فتأمـل حصول الترقي في كلامه من أخف إلى أثقـل، وانسحاب كـلامه عـلى[5] الأوصاف الثلاثة من الكفر، والفسق والظلم[6]، وإن لم يفصح بسؤال ولا جواب، وكثيراً[7] ما يعتمده وينقل كلامه مَن قدَّمنا مأخَذه في هذه الآي، وهو أبو الفضل بن الخطيب. ثم إنه عدل عن اعتبار كلامه هنا، وارتكب خلافه ولم يستوف توجيه الأوصاف الثلاثة[8] وقصر السؤال على فَصْل ما بين الكفر والظلم دون الفسق، وأرى[9] ذلك غير ما ينبغي، والله أعلم.

وقد تعرض صاحب الدُّرَّة لهذه الآي من حيث خصوص مقصده، وبنى جوابه على ذلك، فانفصل في الأوَّلَيْن، بأن الظلم في الآية الثانية واقع على الكفر والظلم، فهو أشد من الكفر مجرداً. هذا معنى ما أراد، وقد جرى منه على المطَّرد في التَّرَقِّي، إلا أنه لم يخلِّص ما بعد ذلك، وجعل الآية الثالثة

---

(1) انظر الكشاف ١/ ٢٣٠ ـ آية / ٩٩.
(2) هكذا في جميع النسخ وهامش ج، وفي ج: مثيرة؛ ولعلها ما يريده المؤلف.
(3) ج، ع: تَمَرَّدَ. وتمرد بقي زماناً أمْرَد، دون لحية ثم التحى.
(4) هـ، هامش ج: ينبيء عن، ك: يبنى من.
(5) جميع النسخ: عن.
(6) ك: الظلم والفسق.
(7) ك: وكثير.
(8) ب: الثلاث.
(9) هـ، ب، ع: الى.

منقطعة عن الآيتين قبلها. وحاصل كلامه بالجملة أن ما تقدم عن الوصف بالكفر والظلم، خاص بيهود، لتقدُّم ذِكْرِهِمْ قبل هـذه الآيات من غير التفات[1]. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ﴾ - إلى قوله نهياً لهم - ﴿فَلاَتَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً[2] وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ولم يتقدم ذكرهم بغير كفرهم وتحريفهم بغير التفات إلى ذكر ظلمهم غيرَهم، وإنما مجرد كفرهم ظلم[3] لأنفسهم، فأعقب هذا بقوله: ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾. ثم لما اجتمع في الآية الثانية ظلمهم لأنفسهم ولغيرهم، بما ذكر من مخالفتهم في القصاص المشار إليه بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا إِنَّ النَّفْسَ﴾ - إلى آخره[4]. عقب هذا بقوله: ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لظلمهم أنفسهم بالكفر، وزيادة ظلمهم غيرَهم، فكان أشد من وصف الكفر، إذ هو كفر وزيادة؛ فعبر بالوصف العام للكفر وغيره. ثم لما أعقب [٦٠/ظ] بذكر إنزال الإنجيل وكأنَّ الكلام انقطع عما قبله. ومن المعلوم أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون من غير الكافر - وإنْ لم تبلغ منزلته الكفر - فهو فاسق لا كافر، فقيل هنا: ﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ انتهى معنى كلامه. ثم أعقب هذا بأن قال: فقد بَانَ لك أنَّ[5] كل موضع من الآي الثلاث أُخْبِرَ فيه عن المذكورين قبلُ[6] بالكفر والظلم والفسق، ولم يَحْسُن غير ذلك[7].

قلتُ: فقد حصل من كلامه أن الكفر والظلم في الآيتين خاص بيهود،

(١) قوله: من غير التفات، في ك فقط.

(٢) في كل النسخ؛ زيد هنا (الى قوله) والاية متصلة لم يحذف منها شيء.

(٣) ما بعدها الى قوله: ظلمهم لأنفسهم ساقط من ج: هـ، ب، ع بانتقال النظر.

(٤) ج: الخ.

(٥) ب: بان، وساقطة من ج، هـ، ك، ع.

(٦) م: المذكور من قبل.

(٧) راجع درة التنزيل / ٨٤، ٨٥.

وهم المقصودون بذلك، وأن الفسق يعمُّهم مع غيرهم، وهو مأْخَذُ بَنَاهُ على ما حكاه عن غيره من أن ﴿مَنْ﴾ في ثلاث الآي موصولة بمعنى «الَّـذِي»، واعتمده هو في الأُولَيَيْنْ[1]. واختار في الثالثة أن تكـون ﴿مَن﴾ شرطيـة، ليحصل في الموصولية خصوص وعَهْدٌ فيمن تقدم، وليحصل في الشرطية عموم كما تقدم. ثم إنه لم يتعرض لبيان تَرَقٍّ، ولا انتقال.

فإن قيل: إنما بَنَى كتابه على مقصِـد[2] خاص، وهـو فرق مـا بين المتشابهات من الآي، ونص السؤال الذي فَرَضَ، أن قال: للسائل أن يسأل فيقول، الموضع الذي وصف فيه مَن لم يحكم بما أنزل الله بالكفر، هل بَايَنَ الموضع الذي وصف فيه تارك ذلك الظلم والفسق، ثم أجاب بما تقدم، فجوابه مطابق لما فَرَضَ من السؤال.

قلت: هذا صحيح، ولكنه لم يتخلص له جوابه فيما[3] بين الآيتين إلاّ باعتماد طريقة[4] التَّرقِّي، وهو لم يقصده بسؤال ولا جواب، وإنما قصد الفرق الموجب لاختلاف الوصفين وحصل[5] له بما في الآيتين من الانتقال. فلو اعتبر ذلك ومشى عليه في الآية الثالثة، لكان أنسب وأبْيَن في جواب ما فَرَض من السؤال، مع زيادة فائدة أهم وأكبر. ولمَّا لم يَلح له ذلك، ارتكب التفصيل في الجواب، فجعل مَنْ في الآيتين الأولبين موصولة، ليحصل[6] له من خصوص هاتين الآيتين بيهود، ما اعتمده كما تقدم من كلامه، وجعلها[7] في الآية

---

(١) ج، هـ، ك: الأوْلَيْنْ.
(٢) ج، ب، ع: مقصود.
(٣) م: في ما.
(٤) ب: طريق.
(٥) ك: فتحصل.
(٦) ب: فتحصل.
(٧) ج، ع: في جعلها.

الثالثة شرطية ليحصل له ما قصد من العموم، وليس ذلك كما ذهب إليه، ولا انفصلت منها آية عن[1] الأخرى، إلاّ ما أُعقِبتْ به من الوصف، وتوجيهه حاصل منه ما أراده على ما نُبَيِّنُه[2] مع رعي الترقي الثابت، على ما تقدم وهو أوضح في توجيهه[3] هذه الأوصاف، وأوْلى في الجواب عن عين ما فرض صاحب كتاب الدُّرَّة من السؤال. ووصْف[4] يهود بالفسق أعظم من وصفهم بالظلم، ووصفهم بالظلم هنا أعظم من وصفهم بالكفر.

وقد نقل المفسرون عن الحسن[5] أنه قال: إذا استُعمل في نوع من المعاصي -يعني الفِسْق- وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره. ثم في آية سورة البقرة ما يبين وجه ختم آية سورة[6] المائدة بوصف الفسق. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ [7] وآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾-إلى قوله-﴿وَمَا يَكْفُرُ [٦١/و] بِهَا إِلاَّ الفَاسِقُونَ﴾[8]. فتأمل ما تضمنته هذه الآيات، فقد ورد فيها بضع عشرة خصلة من شنيع مرتكباتهم. ومنها اتّبَاعُ ما هَوِيَتْهُ[9] أنفسهم، أشار[10] إليه[11] قوله تعالى[12]: ﴿أفَكُلَّمَا

---

(١) ساقطة من ك.

(٢) هـ، ع، ب: تبينه.

(٣) م: توجيه.

(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ (او وصف).

(٥) هو الحسن بن يسار البصري - توفي - ١١٠ هـ، وينسب إليه ابن النديم كتاباً في التفسير. انظر الحسن البصري / ١٤٦ فما بعدها.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) ما بعدها الى البينات، محذوف من ب، وفي موضعه: (الآية الى قوله تعالى).

(٨) البقرة / ٨٧ - ٩٩.

(٩) جميع النسخ: هوته.

(١٠) ج، م، ب: ثم أشار.

(١١) ج، م، ب، ع: الى.

(١٢) ساقطة من ج، م.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ[1] ﴾[2]، ومنها[3] اسْتِكبارهم، وتكذيبهم الرسل، وقَتْلُهم إيَّاهُم، وقولهم قلوبنا غُلْفٌ، إلى ما بعد من المرتكبات. وقد وقع في هذه الآي ذكر عيسى عليه السلام، والتَّقْفِيَة من بعده بالرسل. وفي[4] آية المائدة قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[5] والضمير في آثارهم لمن تقدم [في] قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾[6]، فورد مفصَّلاً في آي البقرة ما ورد مُجمَلاً في المائدة. وخُتِمَت آية[7] البقرة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وآية المائدة بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فإلى مجموع[8] ما في آية البقرة أشارت آية[9] المائدة، وختمت هذه من وصفهم[10] بالفسق بما[11] ختمت تلك، وحصل من وصفهم به أنه أعظم بالكفر والظلم، لأنه كفر جامع لكل شنيع من [12] مرتكباتهم. ولذلك اختير التعبير به عن مرتكب إبليس في إبايته عن السجود واستكباره، فقيل: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، فلم تقع هنا عبارة بكفره ولا ظلمه، لأن الفسق بما يعتضد به من القرائن أعظم من الكفر والظلم[13]. وقد حصل الجواب عما

(١) في لـ فقط.
(٢) ٨٧ / البقرة.
(٣) ج، ب، ع: وفيها.
(٤) ج، هـ، م، لـ: في - بدون واو.
(٥) آية / ٤٦.
(٦) آية / ٤٤.
(٧) هـ، لـ: آيات.
(٨) ج: مما مجموع، ب: مما في، ع: مما... مجموع.
(٩) م، ع، ب، ج: سورة.
(١٠) ما بعدها الى قوله «من وصفهم»، ساقط من ب.
(١١) ج: مما.
(١٢) ب: ومن.
(١٣) م: التحكم.

فَرْض السؤال عنه مَن تقدم، وزاد إلى ذلك بيان الترقي المطَّرد، وهو السؤال الأول. وأما التفصيل[1] فخطأ بَيِّنٌ[2] ، ونسأل الله تعالى توفيقه.

إنَّ المفسرين قد أجمعوا على أن الوعيد في هذه الآي يتناول يهود. وقد ثبت في الصحيح إنكارُهم الرَّجْمَ مع ثبوته في التوراة[3] ، وفِعْلُهُم فيما نَعَى الله تعالى عليهم من مخالفة ما عهد إليهم فيه، ونص في كتابهم، حسبما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[4] إلى ما بعدُ. وهذا كله من [٦١/ظ] حُكْمِهم بغير ما أنزل الله فهم الكافرون، والظالمون، والفاسقون. ففيهم وبسبب مرتكبهم نزلت آية المائدة، ثم نقول مع ذلك أن الحكم إذا أُنزِل[5] بسبب خاص لم يمنع ذلك[6] من دعوى العموم في المُنزَل. وهذا اتفاق حُذَّاق الأصوليين وقد رَدَّدُوا في ذلك[7] التمثيل بِشَاةِ مَيْمُونَة[8].

وهذا مع عدم شهادة القرائن، أما فيما نحن بسبيله في آية المائدة، فقد عضَد العموم في ذلك غيرُ ما موضع من الكتاب والسُّنَّة. فنقول ـ بناء على ما[9] ذكرنا ـ إن هذه الآية، وإن نزلت بسبب فعل يهود، ومرتكبهم في الرَّجْم وغيره، فإن ذلك عام في كل مَن حكم بغير ما أنزل الله، ما لم يفعل ذلك

---

(١) هـ: الفصل.

(٢) ما بعدها إلى قوله «توفيقه» محذوف من ب.

(٣) صَحَّحَ مسلم في هذا عدة أحاديث عن عبد الله بن عمر، والبراء بن عازب الأنصاري، انظر صحيحه: ٤/٢٨٣، ٢٨٤ ـ أحاديث / ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(٤) البقرة / ٨٤، ٨٥.

(٥) ساقط من ج، ب.

(٦) ما بعدها الى قوله (في ذلك) ساقط من ج.

(٧) الجار والمجرور ساقطان من ك.

(٨) راجع الإحكام ٢/٣٤٧، ولتفصيل هذه القاعدة انظر: ٢/٣٤٥ ـ ٣٥٢، المسألة السادسة من باب العام والخاص.

(٩) ساقطة من ك.

جاهلاً غير متعمِّد للمعصية، أو عاصياً متعمِّداً مع صحة اعتقاده وسلامة إقراره بلسانه، فقد خَصَّت الشريعة هذين[1]. وقد تعلَّقت الخوارج بعموم هذه الآي وأشباهها في تكفيرهِم مُرتكِبِ الكبيرة وليس شيء من ذلك نصاً في مطلوبهم، وهم محجوجون بغيرها.

وإذا كانت هذه الآي [2] على عمومها فيمن[3] بَيَّنَّا[4]، فمَن في هذه المواضع[5] شرطية، وهي[6] من المتَّفق عليه في ألفاظ العموم عند أربابه، وهم الجمهور.

وأما القول بتفصيل حكم ﴿مَنْ﴾ في هذه الآي، وأنها مع اجتماع المذكورين في الآيات، فيما تقدم من حكمهم بغير ما أنزل الله، وَوَحدة[7] السبب في نزول الآيات، فلا يصح بوجه. فقَصْر السؤال على فصل ما بين الكفر والظلم دون الفسق كما ذكرنا عمَّن تعرَّض لهذه الآية من الجلَّة، وَجعْله الآيتين الأوليين مما[8] ورد في[9] الانتقال من الأثقل إلى الأخف غير صواب، والله أعلم.

واطِّراد ما تقدم من الترقي والانتقال في الوعد والوعيد، وبحكم[10] ما تقرر من ذلك هو الحق الذي لا ينبغي أن يُعْدَل عنه. ثم أقول ـ وأسأل الله

(١) ب: هاتين.
(٢) ج، هـ، م، ب، ع: الآية.
(٣) م: في من.
(٤) ب: بنينا.
(٥) ك، ب: زاد هنا (الثلاثة).
(٦) ساقطة من ك.
(٧) ج، ب، ع: ووجه.
(٨) ج، ب، ع: بما.
(٩) ك: فيه.
(١٠) ك: تحكيم، ج، ع: تحكم.

التوفيق - إن هذه الآي جارية على المطَّرد في الوعد والوعيد، والانتقال من الوصف بالكفر والظلم والفسق من أخف إلى أثقل جارٍ على ما قد تبين بحول الله، وإنما يدخل الغلط من أمر هذه الصفات مجرّدة عن القرآئن وما يثمره الاشتراك. فالكفر إذا ورد مجرداً عن القرائن إنما يقع على الكفر في الدين، ثم إنّه قد يقع على كفر النعمة، ويفتقر إلى قرينة. ومنه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾[1].

وأما الظلم فلفظ مشترك، فإذا وَرَد مجرداً عن القرائن لم يكن نصاً في شيء من مواقعه[2]، وإنما يُتَخَلَّص بالقرائن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى مُخبِراً عن نَبِيِّه يونس عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾[4]، ومعاذ الله من الكبيرة، فكيف بالشرك الذي لا فلاح معه. ولم يخالف أحد من أهل السُّنَّة ممن يُعتَمد نَظَرُه، أنهم معصومون من الكفر قبل الوَحْي وبعده، وجمهورهم متفقون أنهم معصومون من الكبائر وجلة أهل السنة على عصمتهم مما[5] فيه دناءة[6] من الصغائر، وبعضهم في طائفة كبيرة من سنِّيَّة المتصوِّفة يقولون بعصمتهم من الصغائر على الإطلاق. وكل[7] هذه الضروب يصح وقوع اسم الظلم عليه. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[8]، أوضح شهادة [٦٢/و] على ذلك.

(١) الشعراء / ١٩.
(٢) ك: موانعه.
(٣) لقمان / ١٣.
(٤) الأنبياء / ٨٧.
(٥) ع: ممن.
(٦) ساقط من ب: مما فيه دناءة.
(٧) ج، هـ، ب، ع: فكل.
(٨) النساء / ٤٠.

وأما الكفر فلا تنتشر مواقعه، وكأن دلالته على كفر النعمة من قبيل ما يدل بتشكيك كدلالة موجود على العَرَضِ، وأما الظلم فعلى ما تقدم. فإذا اقترن بالظلم الكفر كان أعظم من الكفر. قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[1] إنهم المتوغِّلون في الظلم الكافرون[2] فهذا كفر وزيادة، وقد تقدم تسمية الشرك ظلماً. وأما الفسق فلم[3] يَرِد في القرآن واقعاً على صغيرة، وقد يقع على الكبيرة حيث يقصد تعظيمها كقوله[4] تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ ـ الآية[5]، وقد ختمت بوصفهم بالفسق ولا أذكر غيرها، وقد عدّه[6] عليه السلام في السبع الموبقات، وإنما يقع[7] في الأكثر على الكفر، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾[8]، لأن المراد هنا الطرفان، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[9]، وأكثر وقوعه في القرآن، إنما هو في وصف يهود والمنافقين، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾. نزلت في ابن صُورِيًا، لعنه الله[10] وكقوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[11] وكقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

---

(١) العنكبوت / ٤٩.
(٢) هـ م، ك: المكابرون.
(٣) ج، ب، ع: لم.
(٤) ب، ج، هـ: بقوله.. ب: لقوله.
(٥) النور / ٤.
(٦) م، ك، ب: عدّ.
(٧) ب: وأنها تقع.
(٨) السجدة / ١٨.
(٩) التغابن / ٢.
(١٠) البقرة / ٩٩. وانظر: أسباب النزول / ١٩، اللباب / ١٤.
(١١) آل عمران / ١١٠.

الفَاسِقِينَ﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]، في بِضْع وعشرين آية.

وورد الوصف بالفسق في قوم لوط عليه السلام، كقوله[3] تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[4]، وكقوله: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[5]. وقد وردت فيمن خُتِمَ[6] عليهم بالكفر، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ[7] كَلِمَةُ[8] رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[9]، وقد تقدم أمر[10] إبليس بالفسق[11] فهذا الوصف لا يقع أبداً في كتاب الله إلّا على ذوي التمرُّد من الكفرة، وأكثر ذلك في يهود والمنافقين، ولا أرذل منهم[12] ولم يجر الوصف بالظلم في كتاب الله مجرى الفسق فيما ذكرنا، وقلّما يوصف يهود والمنافقون[13] - وإن كانوا ظالمين لأنفسهم - إلّا بالفسق.

والظلم[14] والفسق، وإنْ وقعا[15] على المتوغّلين في الكفر[16] حيث ذكرنا

---

(1) المائدة / ٢٦.
(2) المائدة / ٨١.
(3) ج، هـ: بقوله.
(4) الأنبياء / ٧٤.
(5) العنكبوت / ٣٤.
(6) هـ، م، ك: ختم.
(7) ساقط من ج.
(8) ج: كلمات.
(9) يونس / ٣٣.
(10) ك: وصف.
(11) ساقط من ب، وفي ك: في الفسق.
(12) ك: محذوف منها «ولا أرذل منهم».
(13) ب: المنفقون.
(14) م، ك: فالظلم.
(15) ج، م: وقع.
(16) الجار والمجرور ساقطان من ج، م.

وبالقرائن، فالفسق أشد وأعظم ولا يوصف به من الكفرة في كتاب الله إلا شرُّهم. لَمّا بلغ قوم نوح عليه السلام في إصرارهم على الكفر وتماديهم عليه إلى قطع رجائه عليه السلام منهم حتى قال: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1]، قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[2]، ولما ارتكب قوم لوط عليه السلام من فُحش المرتَكب، ما لم يُسْبَقُوا إليه وُسِمُوا بالفسق، ولما بلغ يهود والمنافقين ما أعلم به القرآن من حالهم، واستحقوا اللعنة والغضب، تكرر وصفهم بالفسق.

فقد وضح أبْيَنَ الوضوح، أنَّ الظلم بالقرائن حسبما تقدم أشنع من الكفر مجرداً، وأن الفسق أشد وأعظم إذا شهدت له القرائن، فحصل الانتقال [٦٢/ظ] في آي المائدة من أخف إلى أثقل على المطَّرد في آي الوعيد، وفي المقابل من الترقي في آي الوعد، وأن عكس الوارد على ما وضح لا يناسب، والله أعلم.

٩٠ ـ الآية الثالثة عشرة، وهي من[3] تمام ما قبلها (غ) قوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ (٤٦).

وفي سورة الحديد (٢٧): ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾. فللسائل أن يسأل عن[4] وجه ما اختلف في الآيتين[5]، من التفصيل فيمن قُفِّيَ بهم.

ووجه ما زيد في آية الحديد من المُقَفَّى بهم مثل عيسى عليه السلام،

---

(١) نوح / ٢٧.
(٢) الذاريات / ٤٦.
(٣) ساقطة من م.
(٤) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن).
(٥) هـ، م، ك: السورتين.

ولم يقع ذلك في سورة المائدة مع اتحاد ما قصد في الموضعين عن تواتر الرسل وتَقْفِيَة بعضهم ببعض.

والجواب[1] ـ والله أعلم ـ أن آية المائدة، ورد الكلام فيما تقدمها في بني إسرائيل من لدن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ[2] ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ ـ إلى الآية التي نحن فيها[3]، ثم استمرت[4] الآيات بعدُ فيهم، إلى قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً﴾ ـ الآيات[5].

فلما كان أكثر[6] هذه السورة، إنما نزلت فيهم، تعريفاً بمرتكباتهم، وتحريفهم ونقضهم الميثاق، وحكمهم[7] بغير ما أنزل الله، وفي أثناء ذلك تَسْلِيَةُ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم عنهم، كقوله[8] تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ ـ الآية[9]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا﴾[10]، وقوله: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[11]، وقوله بعد الآية المتكلَّم فيها: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[12]، وقوله[13]: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أن

---

(١) هـ: مكانها بياض.
(٢) ساقطة من الآية في ج.
(٣) المائدة / ١٢ ـ ٤٦.
(٤) ك: استمر.
(٥) المائدة / ٤٧ ـ ٨٢.
(٦) م: فلما كثر آي، ك: فاكثر آي.
(٧) ج، ب، ع: حكم.
(٨) ج، هـ، ع: بقوله، ب: لقوله.
(٩) المائدة / ٤١، وكلمة الآية محذوفة من ج، ع.
(١٠) المائدة / ٤١.
(١١) المائدة / ٤٢.
(١٢) المائدة / ٤٨.
(١٣) ساقطة من ج، هـ، ع.

يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾[1] وفيما قبل هذا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾[2]- الآيات[3]، ولم يقع في هذه الآي ذكر لغير بني إسرائيل، ومن كان فيهم[4] من الأنبياء من بعد موسى عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا على آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، ولا توقُّف في تعقيب الرسل والأنبياء بعيسى عليه السلام، فلهذا لم يقع هنا ذكر واسطة.

وأما آية الحديد فمقصدها غير هذا؛ إذ هي وما اتصل بها قبلها وبعدها خطاب للمؤمنين، وعظات، وترغيب، وتمثيل[5] ، وتحذير أن يكونوا كمن عُرِّفُوا[6] به ممن طال عليه الأمَد وقسا قلبه. فهذا وما يتلُوه، إلى أوّل[7] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[8] إلى آخر السورة، خطاب للمؤمنين فيما لهم وعليهم، وما وعِدوا به، وحُذِّرُوا عنه، وكذا سورة الحديد بجملتها، وهم المعرَّفون بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[9]، فالمراد عامة الرسل عليهم السلام [٦٣/و] ممن كان عن بني إسرائيل وقبلهم تعريفاً لما أنعم الله سبحانه على العباد من رحمتهم بإرسال الرُّسل، ونَصَّ من جميعهم على نوح وإبراهيم، إعلاماً بحالهما في الرُّسل، كما قيل: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾[10]، بعد دخولهما تحت قوله

---

(١) المائدة / ٤٩.

(٢) المائدة / ٤٤، وزاد في م من الآية قوله ﴿للذين هادوا﴾.

(٣) المائدة / ٤١ - ٤٩.

(٤) ب: قبلهم.

(٥) ك: تمثل.

(٦) ج: عرف.

(٧) ساقطة من ج، هـ.

(٨) الحديد / ١٦.

(٩) الحديد / ٢٥.

(١٠) البقرة / ٩٨.

وملائكته، وشمول لفظ الملائكة لهم ولغيرهم. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإِبْرَاهِيمَ﴾[1]، وذكر ما جعل في ذريتهما من النبوة[2] والكتاب، أتبع تعالى بتوالي الإنعام لمن[3] بعدهم فقال: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾ إشارة إلى من كان بعد نوح وإبراهيم، وبينهم[4] وبين عيسى كثير، ثم قال: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾، وهذا مقصد مُبَايِنٌ ما[5] قصد بآية[6] المائدة، فاختلف ما ورد في الموضعين لاختلاف المقصد فيهما، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم بما أراد[7].

٩١ ـ الآية الرابعة عشر (غ) قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ﴾ (٩٢).

وفي سورة التغابن (١٢): ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ﴾.

فورد في الأولى زيادة ﴿وَاحْذَرُوا﴾، وزيادة ﴿فَاعْلَمُوا﴾، مع اتحاد ما تضمنته الآيتان[8] من الأمر[9] بطاعة الله وطاعة رسوله، والتحذير من التَّنَكُّب

---

(١) الحديد / ٢٦.
(٢) ج، هـ، م، ك: النُّبُوءَة. وكلاهما جائز، وما أثبتناه هو استخدام القرآن.
(٣) هـ، م، ك: بمن.
(٤) م: نبيهم.
(٥) م: لما.
(٦) ج، هـ، م: في آية.
(٧) بما أراد: محذوفة من ب.
(٨) هـ، م: فأعلموا بما تضمنه الإتيان، وفي ج، ع: تضمَّنه الآيتان.
(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود في الأولى زيادة واحذروا، وزيادة فاعلموا بما تضمنه في الآيتان من الأمر) (هكذا).

عن ذلك والتَّوَلِّي[1]، فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية المائدة، لما أُعقب بها آيات الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع ذلك بذكر العلة في تحريمها، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ـ الآية[2] إلى قوله تعالى[3]: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[4]، فختمت من التهديد بما يشعر بتهديد الوعيد؛ ناسب ذلك قوله تأكيداً لما تقدم من الإشعار بمخوف[5] الجزاء، قوله: ﴿وَاحْذَرُوا﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ[6] تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا﴾ لما في ذلك من التأكيد لما تقدم.

أما آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد. ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ[7] بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[8]. فلما لم يرد هنا نَهْيٌ عن محرَّم متأكد التحريم بما أتبع النهي من التهديد والتأكيد، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد، ما ورد هناك[9]، فجاء كل على ما يجب ويناسب[10]، وليس عكس الوارد بمناسب، والله أعلم.

---

(١) الى آخر السؤال محذوف من ب.
(٢) محذوفة من ب.
(٣) زيادة في م.
(٤) المائدة / ٩١.
(٥) م: بمخود (؟).
(٦) هكذا في ب، وبقية النسخ (وإن).
(٧) الى آخر الآية محذوف من ب.
(٨) التغابن / ١١.
(٩) ج، ب، ع: هنا.
(١٠) ما بعدها إلى قوله: بمناسب محذوف من ب.

[٦٣/ ظ] ٩٢ ـ الآية الخامسة عشرة (غ) قوله تعالى[1]:

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨).

وكذا ورد في آية الممتحنة (٥): ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فورد في هاتين الآيتين وصفه تعالى: بهاتين الصفتين[2] المشيرتين[3] إلى العزة والقهر. وإنما[4] المطرد في الكتاب العزيز ـ مهما جرى ذكر المغفرة طلباً، أو[5] إخباراً ـ ورود[6] ما به يَقْوَى رجاء السائل، ويطمع تعلقاً به المتذلِّل الراغب كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ [٦٣/ ظ] خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[7]. فقوله هنا﴿وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، توسُّل مناسب لما تقدم من طلب المغفرة والرحمة. وفي سورة يوسف قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[8]، وفي سورة القصص: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[9]. فهذا[10]

---

(١) ساقطة من هـ.
(٢) ب: بهذين الوصفين.
(٣) ج، ب، ع: المشيرة.
(٤) م: وأما.
(٥) ب: وإخبار.
(٦) ج: ورد.
(٧) المؤمنون / ١٠٩.
(٨) آية / ٩٢.
(٩) آية / ١٦.
(١٠) ج، ع: وهذا.

كله مناسب للطلب، وهو كثير في الكتاب العزيز وجارٍ[1] على ما[2] تمهد.

وأما وصفه سبحانه بالعزة والملكية والحكمة، فإنما يراد حيث يراد معنى الاقتدار والاستيلاء وإحاطة العلم وإفراده سبحانه بالخلق والأمر، والربوبية والتَّعالي، وما يرجع إلى هذا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ[4] الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ[5] فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[8]، وهذا كثير مطرد حيث يراد معنى القهر والملكية والإحاطة والاقتدار.

فللسائل أن يسأل عن وجه ورود آيتي المائدة والممتَحنة معقَّبة بما ذكر.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ يتفصل[9] في الآيتين.

أما آية المائدة، فمبنية على التسليم لله سبحانه، وأنه[10] المالك للكل يفعل فيهم ما شاء. فلو ورد هنا عقب آية المائدة: «وإن تغفر لهم فإنك أنت

---

(١) ب: فجاء على ما تقدم.
(٢) ساقطة من ج، ع.
(٣) آل عمران / ٦٢.
(٤) هـ، م: يبدو.
(٥) بعدها في ب (إلى قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾). وما بينهما محذوف.
(٦) الروم / ٢٧.
(٧) الفتح / ٧
(٨) الحشر، والصف / واحد.
(٩) ج: بتفصيل، ب: بتفضيل.
(١٠) ج، هـ، ب: وإنما.

الغفور الرحيم» لكان تعريضاً يطلب[1] المغفرة ولم يقصد ذلك في الآية. وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تبرياً وتسليماً لله سبحانه، وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تَنَصُّل[2] من حالهم وتسليم لله فيهم. قال الغَزْنَوِيّ[3] ـ رحمه الله ـ: لم يقل الغفور الرحيم، لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر العفو تعريضاً للسائل والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيهما وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من[4] عزك[5]، ولا تخرج عن حكمتك.

وأما قوله في سورة الممتَحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فالجواب عندي هنا، أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، مَبْنِيّ على قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فإن المراد لا تُظهِرْهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيكون سبب فتنتهم، فلا تفعل ذلك بنا فأنت القادر على كفهم ونصرنا عليهم، فإنك أنت[6] العزيز الذي لا معارِض لما تريده، ولا مانع مما تشاؤه[7]. ولما كان المؤمنون يعلمون أن ما يصيبهم من مصيبة، إنما هي مما كسبت أيديهم سألوا المغفرة من مُجْتَرَحَاتِهِم، وأورِد سؤالهم مورد جُمَل الاعتراض فقدم، وهو قوله: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾، فكأن الكلام في تقدير التقديم والتأخير: ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا إنك أنت العزيز الحكيم واغفر لنا

---

(١) ج: لطالب.
(٢) ج، هـ، ع: تفصيل، ب: تفضل.
(٣) ج، ع: العربوي، هـ: الغرنوي.
(٤) ج، هـ، م، ع: عن.
(٥) ج: عدك.
(٦) ساقط من ك.
(٧) ج، هـ م: تشاءه.

ربنا، [٦٤/و] إعتراضاً بين(١) أثناء الكلام، إحرازاً لأدائهم(٢)، ومعتقدهم الإيماني. فقد تبين حال المناسبة في آية العقود، وآية الممتَحنة بين الآيتين، وبين ما أُعقِبتا به وأنه لا يمكن على ما تقرر سواه، والله أعلم بما أراد.

فإن قلتَ: فما جوابك عما ذكر عن بعض المتأخرين من أن جواب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ محذوف، أي: وإن تغفر لهم فإنهم عبادك، ثم عطف عليه قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وأن المناسبة إنما تحصل بهذا التقدير.

قلتُ: هذا خطأ من وجهين: توجيه المناسبة، وتوجيه الإعراب..

أما المناسبة فقد تبيَّنت على أتم وجه.

وأما الإعراب فيمتنع تقديره فيه، على ما نُبيِّنُه. ثم في هذا المرتكب فساد المعنى، إذ ليس الكلام وارداً مورد الاستلطاف، وقد بُيِّن. وأما امتناع ما اختاره في الإعراب، فمن وجهين:

أحدهما: التهيئة والقطع وهو متفق على منافرته إذا أمكنت المَنْدُوحَة.

والثاني: وهو عاضِدٌ لهذا، وقاطع في المسألة، وهو أن سيبويه ـ رحمه الله ـ قد نص أن العرب لا تتكلم به إلاَّ في الشعر. قال في باب الجزاء: «وقُبح في الكلام أن تُعْمَل إنْ، أو شيء من حروف الجزاء في الفعل حتى تجزمَه(٣) في اللفظ، ثم لا يكون له جواب ينجَزِمُ(٤) بما قبله. ألا ترى أنك تقول: آتِيكَ(٥) إنْ أتَيْتَنِي، ولا تقول: آتيك إنْ تأتِنِي، إلاَّ في شعر، لأنك

(١) ج، ع: بينَ.
(٢) جميع النسخ: لأدايهم.
(٣) م: يجزمه.
(٤) م، ك: فيجزم.
(٥) م، ب: أتيتك.

أُخرت إنْ وما عملت فيه، فلم[1] تجعل لها جواباً ينجزم بما قبله»[2]. فهكذا جرى هذا في كلامهم، وقد زاد الإمام بسطاً في الكتاب. فهذا قاطع من كلام سيبويه، وقد تقدم قبله ما يحصل في الكلام من التهيئة[3] والقطع[4]، وهو كاف، لاتفاق النحويين على قبح التهيئة[5] والقطع. ثم قد انضم إلى ذلك من نص[6] سيبويه، أن العرب لا تتكلم بهذا، فلا تأتي بكلام قد انجزم فيه الفعل بأداة الشرط، ثم لا يأتي بجواب مجزوم في اللفظ. أما إذا أتيت بالفاء في الجواب، فلا خلاف في هذا ممّا في الآية. وعلى ما قاله سيبويه ـ رحمه الله ـ كافة النحويين، من متقدّميهم ومتأخّريهم، فوضح خطأ القول.

سورة الأنعام

٩٣ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَـٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٥).

وفي سورة الشعراء (٦): ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا[7] فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَـٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، فانفردت[8] آية الأنعام بزيادة قوله: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا

---

(١) في الكتاب: ولم.
(٢) النص في الكتاب ٣/٦٦.
(٣) ب: الهيّة.
(٤) ك: وانقطع.
(٥) ب: الهيّة.
(٦) م: مرتضى.
(٧) الى هنا ساقط من الآية في ج.
(٨) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن انفراد آية الأنعام بزيادة قوله: بالحق لما جاءهم، وقوله: فسوف، من حرف التنفيس بدل السين والجواب...).

جَاءَهُمْ﴾، وبقوله: ﴿فَسَوْفَ﴾، من حَرْفَي التنفيس بدل السين، فيسأل عن وجه ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن سورة[1] الأنعام، لما ترتبت على إطناب، وبسْط[2] آيات من قهره[3] سبحانه، وانفراده بالخلق والاختراع، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[4]، فذكر سبحانه خلق [٦٤/ظ] السموات والأرض، وخلق الظُّلمات والنور. فالظلمات عن أجرام هذه المخلوقات، والأنوار[5] عن أجرام ما جعل في السموات وزيَّنَها بها من شمس وقمر وكواكب للاقتداء والضياء ثم ذكر خلقهم من طين. وقد تردد في الكتاب العزيز تنبيه المكلَّفين بما صُدِّرتْ به سورة الأنعام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي[6] السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً مُّنِيراً﴾[8]، ثم قال تعالى في[9] آية الأنعام: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[10]. فلما تقدم هذا الإطناب ناسبه ما أُتبع به من قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[11]، فناسب الإطنابَ

---

(١) ك: آية.
(٢) ج، هـ: بسطة.
(٣) ك: حده.
(٤) الأنعام / واحد.
(٥) ك: الأنوار (مقصورة يريد الأنواء).
(٦) ج، م، ك، ب: زاد في الآية هنا (خَلْق) وليس منها.
(٧) الجاثية / ٣.
(٨) الفرقان / ٦١.
(٩) ك: بعد.
(١٠، ١١) آية / ٤.

الإطنابَ. وقال تعالى قبل آية الشعراء: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1] ثم اعترض بتسلية نبينا صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2]. وليس هذا المعترِض مما[3] ذكِّروا به. ثم قال بعدُ. ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ[4] أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[5]، وهذا راجع إلى تسليته عليه السلام، فلم يبق مجرداً لتذكيرهم سوى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، وما بعدُ من وعيدهم وتهديدهم بقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ ـ الآية، وهذا إيجاز[6]، فناسبه[7] ما نِيطَ به من قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إيجازاً لإيجاز، وإطناباً لإطناب[8].

٩٤ ـ الآية الثانية، قوله تعالى[9]:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ (٦)

وفي سورة الشعراء (٧): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ[10] زَوْجٍ كَرِيمٍ[11]﴾.

---

(١) آية / ٢.
(٢) الشعراء / ٣.
(٣) ج، هـ، م، ب، ع: بما.. ك: المعترض به مما.
(٤) ج: فضلت.
(٥) الشعراء / ٤.
(٦) ك: أجاز.
(٧) ج: فناسب.
(٨) ج: إيجاز بإيجاز، وإطناب بإطناب.. ع: بإيجاز لإيجاز وإطناب للإطناب.
(٩) ساقط من ج، هـ (قوله تعالى).
(١٠) ساقطة من ج، هـ، م، ك، ع.
(١١) ج، م، ك، ع: رزق كريم ـ تحريف، وصوابها ما أثبتناه.

للسائل أن يسأل هنا عن شيئين:

أحدهما: ثبوت الواو العاطفة في آية الشعراء، وسقوطها من آية الأنعام.

والثاني: وجه اختصاص كل واحدة منهما بموضعها، وإبداء المناسبة[1].

والجواب عن ذلك أن آية الأنعام لم يتقدم قبلها التنبيه على ما به التذكار، والاعتبار مفصَحاً به[2] تنبيهاً مع تخويف وتهديد، متأكد مقرّر يستدعي التقرير[3] والتوبيخ بمقتضى الهمزة الداخلة على واو العطف كما في سورة الشعراء، وإن كان المتقدم في كل واحدة من السورتين متضمّناً ما يحصل به الاعتبار، مع ما في المتقدم في الأنعام[4] من التفصيل والإطناب، إلّا أن المتقدم في سورة الشعراء أوضح وأنَصُّ من حيث التخويف لعدم الاعتبار بالدلائل المنصوبة مشَاهَدةً للمُعْتَبِرين. فلما لم يكن وضوح التنبيه فيما قبل آية الأنعام كوضوحه في السورة [٦٥/و] الأخرى بما انْجَرَّ معه من التخويف المتمكِّن[5]، وإنما المتقدم قبل قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ إيماء إلى الاعتبار بأحوال القرون السالفة - وليس كالواقع قبل آية الشعراء - لم يرد ما بعده مما هو تنبيه مخوف[6]، معطوفاً عليه، إذ يناسبه لِعُرُوِّ[7] المتقدم من شديد التخويف[8].

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ثبوت الواو.. وما وجه اختصاص.. بوضعها وإبداء المناسبة).

(٢) ساقط من ب.

(٣) ك: التقريع.

(٤) الجار والمجرور ساقطان من ج.

(٥) ك: المتكرر.

(٦) ج، هـ: مخوفاً.

(٧) ج، هـ: لا يناسبه والمتقدم، م: كفر.

(٨) ك: زاد هنا (المنجر فيها بعده).

أما آية الشعراء، فإن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، تحريك وتنبيه. ثم إنَّ ما[1] يتلوه من قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإنْ كان تسلية لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم، ففي[2] طَيِّه اعظم وعيد وتهديد لمن اعتبر. ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ - إلى ما بعده. فهذا أوضح تنبيه بما صَحِبه من مخوف، التهديد فعطف عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا﴾ - الآية، وناسبه أوضح مناسبة.

فصل

ومما يتعلق بهذه الآية من المُغفَل زيادة ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾، وفي سورة السجدة[3]: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾، وفي ص[4]: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا﴾. وردت هذه الآي الثلاث بزيادة ﴿مِن﴾ فيها، وسائر ما ورد في القرآن مثل[5] هذه الآي، لم يرد[6] فيها ﴿مِن﴾ كقوله[7] تعالى في سورة مريم[8]: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئياً﴾، وفي آخرها[9] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا

---

(١) م: إنما.
(٢) ك: في.
(٣) آية / ٢٦.
(٤) آية / ٣.
(٥) ك: من مثل.
(٦) ك: ترد.
(٧) ج، هـ، ب، ع: قوله تعالى.
(٨) آية / ٧٤.
(٩) قوله: وفي آخرها، في ك فقط.

قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[1]، وفي طه:[2] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾، وفي يس[3] : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، وفي سورة ق[4] : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم[5] بَطْشًا﴾. فهذه خمسة مواضع لم ترد فيها ﴿مِنْ﴾، فيسأل[6] عن وجه زيادتها في الآي الثلاث[7] وسقوطها في هذه الخمس مع اتحاد المقصود أو تقاربه[8].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن مِن[9] تُزاد في هذه الآي حيث يراد تأكيد مضمَّن الآي من العَطِيَّات[10] والإشارة إلى الوعيد وهي أبداً في أمثال هذه المواضع محرِزة معنى التأكيد لا تنفك[11] عن ذلك، ثم إنّ حذفها أوْجَزُ[12] من إثباتها، ولكل مقام مقال. فحيث ورد من[13] هذه الآي ما قبله [من] استيفاء تفصيل وَعيديّ في آية بعينها أو أكثر، أو تكرُّر التهديد وشدة التخويف[14] من مقتضى السياق، وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها، والتأكيد بإثباتها. وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون آي

---

(١) آية / ٩٨.
(٢) آية / ١٢٨.
(٣) آية / ٣١.
(٤) آية / ٣٦.
(٥) ساقطة من ج، ك.
(٦) ب: يسأل.
(٧) ك: زاد هنا كلمة (الأُوَل) جمع أوّل.
(٨) ج، ك، ع: وتقاربه.
(٩) م: من إنما تزاد.
(١٠) ك: العظات.
(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ (بنفك).
(١٢) م: أو ـ جزء.
(١٣) م: في.
(١٤) ج، ب: الخوف.

التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذَ الوعيد، فهذا يناسبه[1] الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد[2] في الآي الأُخَر. فهذا إن شاء الله يوضح ما ورد من الحذف[3]، ولا يناسب [٦٥/ظ] في هـذا الحذف ثم نقول: أما آية الأنعام فقد تقدمها قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[4]، وقد كانوا يعترفون بأنه تعالى الخالق: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[5]. ثم تابع من بعد هذا إلى قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[6]، على بيان الأمر ووضوحه. ثم قال: [﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَـٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾][7]، فحصل التسجيل ببقائهم على الإعراض وإنفاذِ الوعيد عليهم، ولا أشد من هذا. ونحوه، بل مثله في الشدة والإشارة إلى إنفاذِ الوعيد، قوله تعالى في سورة السجدة[8]: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾. ثم قال في آخر السورة[9]: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾، واكْتَنَفَتِ[10] الآية ما تضمَّنَتْه الآيتان من الوعيد والتهديد[11]، فناسب ذلك ما اقتضته زيادة

---

(١) ج، هـ، ك، ع: يناسب.

(٢) ج، ب، ك، ع: يرد.

(٣) ك: زاد هنا (والإثبات في هذا الحرف..).

(٤) الآية الأولى.

(٥) الزخرف / ٨٧.

(٦) الأنعام / ٤.

(٧) في جميع النسخ: ﴿فقد كذَّبوا فسيأتيهم أنباءُ ما كانوا به يستهزءون﴾. وما أثبتناه هو الآية الخامسة من سورة الأنعام وهي ما يقتضيه السِّباق.

(٨، ٩) الآيتان / ٢٢، ٣٠ على الترتيب.

(١٠) ك: فاكتنف.

(١١) هـ: التهذيب.

﴿مِنْ﴾، مِنْ[1] مناسب[2] التأكيد، فقيل: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وأما آية ص، فحسبك ما تضمنته من أولها ـ إلى قوله: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَـٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[3]. ثم قال تعالى مخبراً عن حالهم في تكذيبهم واستبعادهم ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾[4]. ولعظيم تمردهم ووعيدهم المَحْكِيّ عنهم في هذه الآي ما أُمِرَ به صلى الله عليه وسلم من الصبر[5] في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[6] ثم أعقب تعالى بقصة داود عليه السلام إعلاماً لِنَبِيِّه بأن ذلك مراده منهم بما قدَّر لهم في الأزَل فقد سخَّر الجبال والطير لداود، وألَانَ له الحديد، فلو شاء لهدى هؤلاء فلعظيم ما ورد في هذه الآي من مرتكبات كفار قريش وغيرهم، لذلك ما[7] ورد التأكيد في زيادة[8] ﴿مِن﴾ بعد ذكر[9] شقاقهم[10] واغترارهم: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، فهذا وجه زيادة ﴿مِن﴾ في هذه الآي. أما الآي الأخر خمستها، فلم يرد فيها، ولا فيما اتصل بها ما ورد في هذه من التغليظ في الوعيد، ومتوالي التهديد ـ وإنْ كانت قلَّما[11] ترد إلَّا لذلك ـ ولكن اشتداد التهديد إنما هو بحسب ما يقارِن، أو

---

(١) في ك فقط وساقطة من بقية النسخ.
(٢) ك: مناسبة، ع: تناسب.
(٣) الآيات / ١ ـ ١٥.
(٤) ص /١٦.
(٥) في جميع النسخ: المصير.
(٦) ص / ١٧.
(٧) ساقطة من ج، ع.
(٨) ك: بزيادة.
(٩) ج: ذكره.
(١٠) ج، هـ، ع: شقائهم.
(١١) في جميع النسخ (قل ـ ما) بالفصل، وما الكافة توصل ب (قل).

يكتنف[1]، أو يتقدم، أو يَنْجَرُّ معها من التغليظ في الوعيد، فبحسب[2] ذلك يَقْوَى الرجاء أو يضعف. وإذا تأملت قوله تعالى في الآية الأولى من سورة مريم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾، لم تجدها في نفسها[3]، وفيما انتظم معها، متقدماً أو متأخراً توازِن[4] في[5] التهديد واحدة من تلك الآيات[6] الثلاث [٦٦/و]. ألا ترى فيما نُوظِرَ بين المَعْنِيَّيْن بهذه الآية، والمهلَكين قبلهم من القرون السالفة، وأن ذلك إنما هو فيما غرَّهم من سعة الحال وكثرة المال، حسبما أشار إليه قوله تعالى عن المهلَكين قبل هؤلاء، أنهم كانوا أحسن أثاثاً ورِئْيَاً. فهذه الآية كقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعذَّبِينَ﴾[7] ولو استبصروا لاَهْتَدَوْا من قوله تعالى: ﴿إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[8]. ومع ما أُعقبت به هذه الآية من المنتظم معها من قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً﴾[9]، فليست في التغليظ كتلك الآيات[10] إذا حُقِّقَ ما قبلها. وكذا الآية الثانية، وهي[11] قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ ـ الآية، في نفسها، وفيما انتظمت به.

وأما آية طه فأوضح في إبقاء الرجاء في نفسها وما انتظمت به. ألا ترى

---

(١) م، ك: يكنِف، ب: يكيف.

(٢) ج، ب، ع: بحسب.

(٣) ما بعدها إلى قوله: معها، ساقط من ب.

(٤) هـ، م، ب: توارد، ج، ع: تكراراً.

(٥) ج، ع: وفي.

(٦) ك: الآي.

(٧) سبأ / ٣٥.

(٨) آل عمران / ١٧٨.

(٩) مريم / ٧٥.

(١٠) ك: الآي.

(١١) ج، هـ، م: وبين.

ما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، وما تضمَّن تذكيرهم بهذا إلى قوله: ﴿لِأُولِي النُّهَىٰ﴾ من عظيم[1] الحِلم، وعَلِيِّ الرفق، وكذا ما بعد فإن هذا من منتظم تلك الآيات[2] الثلاث.

وأما آية يس، وآية «ق» فأوضح فيما ذكرنا. وتأمل مفهُومِهما[3]، وما انتظم معهما[4]، وإنما حاصلها بما اتصل بها تحريك الاعتبار وتذكير بالآلاء والنِّعم. وتأمل قوله في المنتظم بآية يس، والمعقَّبة به من قوله: ﴿أَفَلَا تَشْكُرُونَ﴾ وعلى ما يترتب الشكر[5] إذ لا يمكن إلاَّ مرتباً على حصول الإيمان والتصديق وقوله عقِب آية «ق»: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[6]. فقد وضح فرقُ ما بين الضَّرْبيْن، وورد[7] كل منهما على ما يناسب ويجب، والله أعلم.

٩٥ ـ الآية الثالثة من سورة الأنعام[8]، قوله تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١)

وفي سورة النمل (٦٩): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ[9] فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، وفي سورة العنكبوت (٢٠): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

(١) ج، هـ، ب، ع: لعظيم.
(٢) ك، ب: الآي.
(٣) هكذا في ك، وبقية النسخ: مفهومها.
(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ: معها.
(٥) ك: ليشكر.
(٦) آية / ٣٧.
(٧) ك: وورود.
(٨) قوله (من سورة الأنعام) محذوف من ب.
(٩) الى هنا محذوف من الآية في ج، هـ، م، ب، ع.

فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾، وفي سورة الروم (٤٢): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

هنا سؤالان:

أحدهما: اختلاف حالاتهم فيما وُسِمُوا به في أعقاب الآي من التكذيب والإجرام، ومن التَّعَامِي عن النظر في البدأة والنشأة والإشراك، مع أن الأمر للكل بالاعتبار، إنما وقع بلفظ واحد، وهو قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فانظروا﴾، ثم تنوع ما أُحِيلَ[1] عليه في النظر [٦٦/ظ] واختلف. وإذا لُحِظَ الجواب عما وقع به التعقيب في كل واحدة من هذه الآي، تفصَّل إلى أربعة أسولة.

والسؤال الثاني: اختلاف حرف العطف.

والجواب عن السؤال الأول على رعي التفصيل؛ أنه لما تقدم آية الأنعام قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، والإشارة إلى أصناف المكذِّبين من المخاطَبين وغيرهم ثم أشير إليهم بعدُ في قوله: ﴿أَلَمْ يَرُوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾[2] وكلهم إنما أُهلِك بإعراضه[3] وتعاميه المُؤَدِّيَيْن إلى تكذيبه، أحيل مَن بعدهم حال من تقدمهم فيما ذكر مُكْتَفىً من الإعراض[4] والتعامي بما تقدم في الآي المذكورة قبلُ مفصِحاً[5] بالتكذيب المُسَبَّب[6] عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(١) هكذا في ك، وبقية النسخ: أجل بالجيم المعجمة.
(٢) الأنعام / ٦.
(٣) ج، هـ، ع: هلك باعتراضه.
(٤) ج، هـ، م، ب، ع: ذكر من مكتفى الاعتراض.
(٥) م، ب، ع: ومفصحاً ـ بالواو.
(٦) هـ، م، ب: والمسبب ـ بالواو.

﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾، والتحم هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ على أتم مناسبة وأصحِّها.

وأما آية النمل فمُنزَلَةٌ على ما تقدم من قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾[1]، وإنكارهم العودة بقولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا هَـٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[2]. وذلك بعد ما ذُكِر مِمَّا بسط لهم من واضح الدِّلالات[3]، وقدم لهم من الشواهد البيِّنة من لدُن قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى الآية المتكلَّم فيها[4]. فذكِّروا بما يشاهدونه ويعلمون أن آلهتهم لا تفعل ذلك، فكان مُرتَكَبُهُم بعد هذا إجراماً وتعامياً عن[5] الاعتبار بما ذكِّروا به، فقيل لهم: سيروا في الأرض؛ فانظروا عواقب أمثالكم من المتعامين عن النظر. ولم يقع قبلُ تفسيرٌ صريحٌ وتكذيب، وقد بُسِط من الاعتبار في هذه الآي ما لم يبسَط قبل آية الأنعام، فورد التعقيب هنا بوَسْمِهم -أعني المُحَالَ[6] عليهم- بالإجرام، فقبل، ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، مناسب[7] لما تقدم، من اجترامهم مع الوضوح، ومتابعة التذكير، وإراءة البراهين.

وأما آية العنكبوت، فإن الله سبحانه لما قدَّم ذكر العودة الأُخراويّة بما[8]

---

(١) آية / ٦٦.
(٢) الآيتان ٦٧، ٦٨.
(٣) ج، ب، الدلالة.
(٤) النمل / ٦٠ - ٦٩.
(٥) م: على.
(٦) ج، هـ، ب، ع: الحال.
(٧) ج، ناسب، ع: فناسب، ك: مناسبة، ب: بياض.
(٨) هكذا في ك، وبقية النسخ: مما.

يقوم مقام الإفصاح، وتحصّل[1] المقصود من ذلك في أربعة مواضع من هذه السورة على القرب والاتصال. منها[2] قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَٱشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[6]، ولم يتقدم في السور الأُخر على الاتصال مثل هذا، فناسب إحالتهم[7] وتذكيرهم بالاستبدال بالبدأة على العودة، فقال تعالى: ﴿فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [٦٧/و].

وأما آية الروم فقد تقدم قبلها قوله: ﴿ولا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾، وقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾، وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[8]. فلما تقدم ذِكْر مَن امتُحن بالشِّرك وسوء عاقبتهم، ولم يتقدم مثل هذا في السور المتقدِّمة، ناسبه ما أُعقب به من قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾، فجاء كلٌّ على ما يجب.

وأما ورود ما أُعقب به كل آية من هذه من[9] المأمور بالنظر فيه،

---

(١) ج، ب، ع: يحصل.
(٢) ج، ك: فيها.
(٣) العنكبوت / ٥.
(٤) العنكبوت / ١٣.
(٥) العنكبوت / ١٧.
(٦) العنكبوت / ١٩.
(٧) ج: حالتهم.
(٨) الروم / آيات ٣١، ٣٣، ٣٥، ٤٠ على الترتيب.
(٩) ساقطة من ك.

والاعتبار به بالفاء من حروف العطف سوى آية الأنعام، فذلك بيِّنٌ لأنهم أُمِروا أنْ يُعقبوا سَيْرَهم بالتدبُّر والاعتبار[1]،وحصْر نظرهم واعتبارهم في المعقَب المذكور بعد الفاء، ولم تقع إشارة إلى اعتبارهم بغير ذلك. فكان مجيء ذلك بحرف التعقيب محرِزاً[2] هذا المعنى ولم يصح غير ذلك.

وأما آية الأنعام فإنما افتُتحت بذكر خلْق السموات والأرض، وجعْل الظلمات والنور. وإنما ذكر هذا من الخلق الأكبر، ليُعتبر بذلك، فإنه أعظم مُعْتَبَراً وأوسَعَه. قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[3]، فكأنَّ الآية في قوة أن لو قيل: سيروا في الأرض فاعتبروا بخلقها، وكيف دَحَاها، وذلَّلها لسُكناكم وجعل فيها رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بكم، وفجّر فيها الأنهار، إلى عجائب ما أودع فيها، وكيف جعل السماء فوقها سقفاً محفوظاً بغير عَمَدٍ، وزيَّنها بالنجوم، لتهتدوا بها في الظلمات، وجعل الشمس والقمر حُسباناً وضياء، وزينة[4] للسماء، وكيف مَحَا آية الليل لمصلحة العباد، وجعل آية النهار مبصِرة إلى ما لا يُحصى من منافعها وعجائبها لمن مُنِحَ الاعتبار. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]. ثم انظروا عاقبة من كذب ونُبِّهَ فلم يعتبر، فعطف هذا بثُمَّ المقتضية مهلة الزمان حيث يُراد ذلك، وتفخيم الأمر، وتفاوت المنظور فيه، وتجريد[6] الأمر لكل من الضربين مما قبلها وما بعدها، فليس موضع

---

(١) ما بعدها إلى قوله: (إلى اعتبارهم) في ك فقط وبه تستقيم العبارة.

(٢) ج: مخرجاً.

(٣) غافر / ٥٧.

(٤) م، ك، ب: وزيّنا.

(٥) الجاثية/٣

(٦) ك: تجديد، ب: تحديد.

تعقيب[1] بالفاء، إذ[2] لم يُرِدْ أن يكون سيرهم لمجرد الاعتبار بمن كذَّب فأُخذ بتكذيبه فقط، بل بالضربين مما ذكرناه ومهدناه، وفي كل منهما أشفَى[3] دلالة. وقصد في الآي الأُخَر تذكيرهم واعتبارهم بأخْذ المكذبين، وهو المعقَب بالفاء. فلما افترق القصدان[4] [٦٧/ظ] عُطِف كُلٌّ بما يناسب، والله أعلم.

٩٦ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

وفي الجاثية (٣٠): ﴿ذَٰلِكَ هُوَ[5] الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ بزيادة «هو»[6]، وسقوط واو العطف.

لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. ثم أُعقِب بقوله: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾[7]، والمراد من يَصرف عنه العذاب في الآخرة فقد رَحِمَه، عَطف عليه قوله: ﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ﴾، وكأنَّ الكلام في قوة قوله: فقد رُحِمَ وفاز، كما في قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[8]. والفَاءُ هنا، وفي قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، جواب الشرط، والفوز مسبَّب عن الرحمة، فَاكْتُفِيَ بذكره في

---

(١) هكذا في ك، وبقية النسخ (تعقب)
(٢) ب: أو.
(٣) ج،ع: أنهى.
(٤) ج،ع: المقصدان.
(٥) ساقط من ج،ك.
(٦) ساقط من ج.
(٧) الأيتان/ ١٥،١٦
(٨) آل عمران/ ١٨٥.

سورة آل عمران، وذكِرَا معاً في آية الأنعام، فعَطَفَه عليه بَيِّنٌ، ولم يتقدم من أوّل السورة إلى هنا ما يَتوهّمُه العاقل فوزاً فيُتَحرّزُ منه بما يعطيه ضمير هو من المفهوم، فلم يقع الضمير هنا.

أما آية الجاثية فقد ورد[1] قبلها قوله تعالى مخبراً عن قول مُنكِري البعث: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا[2] نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[3]، فأفهم قوله: إنْ هي إلاّ حياتنا الدنيا، أن هذه الحياة هي الحاصِلة لهم ولا حياة وراءها فمَن تنَعّم فيها فذلك فوزه، فأخبِرُوا أن الأمر ليس كما ظنوا[4]، وذكر تعالى أمر الساعة وتفصيل الأحوال فيها، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾[5]، ثم قيل لهم: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، لا الحياة التي هي لَهْوٌ ولعب، فكأنْ قد قيل لهم هو الفوز لا ما ظننتموه فوزاً، فأحرز مفهوم الضمير هذا[6] المقصود، ولم يتقدم في آية الأنعام[7] ما يستدعيه، كما لم يتقدم في آية الجاثية ما يستدعي العطف، فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم.

٩٧ ـ الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧)

---

(١) ساقط من ج.
(٢) ما بعدها إلى قوله: ﴿حياتنا الدنيا﴾ ساقط من ج، بانتقال النظر.
(٣) الجاثية/ ٢٤.
(٤) ك: ظنوه.
(٥) الجاثية/ ٣٠.
(٦) ج، ع: هنا.
(٧) ما بعدها إلى كلمة: الجاثية في ك فقط، وساقط من بقية النسخ.

وفي سورة يونس (١٠٧): ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فورد جواب الشرط الثاني في الآية الأولى بقوله: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفي الثانية بقوله: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾، وقال في الأولى ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾، وفي آية يونس: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ﴾، وأعقبت آيةيونس بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فخص هاتين الصفتين العَلِيَّتَيْن من صفاته تعالى، فهذه ثلاثة أسولة.

فللسائل أن يسأل عن[1] توجيهها، وموجب ما ورد [٦٨/و] عليه ما ذكر.

والجواب عن الأول، والله أعلم أن مدار[2] الآية الأولى وهي آية الأنعام على أنه سبحانه المنفرد بالخلق والاختراع والمتصرِّف في عباده بما شاء، والقدير على كل شيء. ونَفْيُ هذه الصفات عن سواه سبحانه، وتنزيل هذا على ما افتتحت به هذه السورة من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾. وقوله[3]: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ﴾[4]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[5]، وقوله، فيمن أهلكه من القرون بكفره: ﴿مَكَّنَّـٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ـ الآية﴾[6] وقوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ـ الآية[7]، وقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ـ الآية[8]، فدارت هذه الآي كلها على التعريف

---

(١) ب: يسال عن.
(٢) ج، هـ، ب، ع: مراد.
(٣) م،ب،ع: قوله.
(٤-٨) الأنعام/ ٢، ٣، ٦، ١٣، ١٤ على الترتيب.

بوحدانيته تعالى وانفراده بخلق الأشياء وملكها وقهرها، ولم يقع فيها تعريض[1] إلى أن[2] أحداً من خلقه يمنع، أو يدفع، أو يتعاطى استبداداً بشيء؛ وإن كان قد يُفهَم بعض ذلك من الجاري أثناء الكلام، كقوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ـ الآية، بل في قوة الجاري في هذه الآي أنَّ المشار إليهم بمخالفة مقتضاها أخلدوا إلى ترك التغير، وأشبهوا البهائم في البعد عن النطق وكأنهم يرَوْنَ أن الأفعال وما يتجدد في العالم من المدركات المشاهَدات من الأجسام والأعراض على كثرة تنوعها، واختلاف هيئاتها وأشكالها وُجِدَت بأنفسها لا عن فاعل تقدمها أوجدها بالقدرة والاختيار، بل تكونت بأنفسها، فقوبل مرتكبهم بالتعريف بقدرته تعالى على كل شيء، وأنه[4] الموجد لما في العالم العُلوي والسُّفلي، وقيل له عليه السلام: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ ـ الآية إعلاماً بأن ما يكون من هذا فمنه تعالى، لأنه المنفرد بالخلق والتدبير[5] والقدرة على كل شيء. فهذا حاصل ما تقتضيه آية الأنعام.

أما آية يونس، فقد ذُكِر قبلها حال من ظن أن غيره تعالى يضر أو ينفع. قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[6]، فقد نسَبوا لهم النفع بالشفاعة، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ ـ الآية[7]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ

---

(١) ك،ب: تعرض.
(٢) ساقطة من ج.
(٣) الأنعام: واحد.
(٤) هكذا في ع، وبقية النسخ (وأن).
(٥) م، ك: القدير، وسقط من ب قوله: والتّدبير.
(٦،٧) يونس: ١٨، ٢٨.

﴿السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ - الآية[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[2] [٦٨/ ظ]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾[3]، فدارت هذه الآيات على أنهم توهموا نَفْعَ ما اتخذوه معبوداً من شركائهم، فَمَّحَل توهمهم واضْمَحلّ باطلُهم، وأُتبع ما تقدم بقوله جلّ وتعالى لنبيِّه عليه السلام: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[4]. ثم بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾[5]، وحصل من هذا أن كل ما عُبِد من دونه سبحانه، وتُوُهِّم أنه يضر أو ينفع ليس كما ظنوه. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾[6]، فناسب ما تقدم من التنصيص على انفراده تعالى بالخلْق والأمر.

والجواب عن السؤال الثاني - والله أعلم - أن قوله تعالى هنا: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، ولم يقل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾، كما في سورة[7] الأنعام، أنه تقدم قبل هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - الآية[8] وهو إعلام منه سبحانه بجَرْي الخلائق على ما قُدِّر لهم أزلاً وسبق به حكمه تعالى، ثم أعقب بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾[9]. وهذا تأكيد للغرض المذكور من جَرْي العباد على ما قُدِّر لهم، وما شاء سبحانه فيهم وأن ذلك لا يرُدُّه رَادٌّ، ولا يعارِضه معارِض، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾، أتم مناسبة. ثم قد وقع بعد هذا قوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، وإصابته

(١ - ٣) يونس /، ٣١، ٣٤، ٣٥ على الترتيب.

(٤-٥) يونس/ ١٠٦، ١٠٧ على الترتيب.

(٦) الحج / ٧٣.

(٧) ك: آية.

(٨-٩) يونس/ ٩٦، ٩٩ على الترتيب.

سبحانه من شاء بالخير هو المراد بقوله في آية الأنعام: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾، فاجتمع في آية يونس الأمران معاً. وكأن قد قيل فيها: وإن يمسسك بخير ويُرِدْك به[1]، فلا رَادَّ لما أصابك به وأراده بك ففي هذه الآية من إمْعَان المقصود وتأكيده[2]، ما ليس في آية الأنعام، ليطابق هذا التأكيد والإمعان ما تقدم من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾. ولم يتقدم في آية الأنعام مثل هذا، فتقدم[3] الاكتفاء هناك بقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فجاء كل من هذا على أتَمِّ مناسبة، وأوضح ملاءمة، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثالث، أنه لما تقدم هذه من[4] مؤثِّرات الخوف ومهيِّجات الرُّهب والخَشية ما اقتضاه الإخبار بغيبة القدَر وجهل المشيئة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ـ الآية، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾، وعظُم موقع ذلك على المؤمنين، وكان مع ذلك الوفاء[5] بمُزْدَلَفَاتِ الأعمال مما لا يحصُل بالآمال، آنَسَهم سبحانه بذكر الصفتين العَلِيَّتَيْن فقال: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فناسب ورود الوصفين بما تقدم، والله أعلم بما أراد.

٩٨ ـ الآية السادسة قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١).

---

(١) ساقط من ك.

(٢) ج، هـ، ب، ع: تأكيد.

(٣) م: متقدم، وبهامشها: فقدم، ك: فوقع.

(٤) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٥) ك: للوفاء.

وقال فيما بعد [٦٩/و] من هذه السورة (غ) (٩٣): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

وفي سورة الأعراف (غ) (٣٧): ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ[1] أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾.

وفي سورة يونس (١٧): ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

وفي آخر[2] سورة العنكبوت (غ)[3] (٦٨): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾.

وفي سورة الصف (غ)[4] (٧) قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾.

في هذه الآيات[5] سؤالان:

أحدهما: وجه ورود الآيات في هذه المواضع بهذا[6] النص من قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وتعقيب كل آية منها بما اتصل بها.

السؤال الثاني: تعريف الكذب في سورة الصف، وتنكيره فيما عداها.

والجواب عن الأول، أن الأولى تقدمها قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[7]، ثم قال تعالى بعدُ:

---

(١) ما بعدها إلى قوله (أو كذب بآياته ـ في يونس) ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(٢) ساقطة من ج، م، ك، ع.
(٣)، (٤) ساقطة من ب.
(٥) في ك فقط، وبقية النسخ (الآية).
(٦) ب: من هذه.
(٧) الأنعام/ ٥.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1]. فحصل من هذا افتراؤهم في قولهم: إنه سحر، وتكذيبهم. قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وجعلهم مع الله آلهة سواه فجمعوا بين الشرك والتكذيب، فناسب هذا ورود قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ على طريقة التعجُّب من مُرتكبِهم، وسوء حالهم، أي: مَن أظلمُ يا محمد من هؤلاء الجامعِين بين الافتراء، والشرك، والتكذيب، مع وضوح الشواهد وكثرة الدلائل الواردة أثناء هذه الآي مما لا يتوقف فيه مُعتَبِرٌ فقد وضح تناسب هذا كلِّه، وحُقَّ لمُرتَكِبه الوصف بالظلم الذي لا يفلح المتصف به، وهو ظلم الافتراء على الله، والشرك والتكذيب.

وأما الآية الثانية من سورة الأنعام، فإن قبلها ذكر الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وتعقيب ذكرهم بقوله: ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2]، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِّن شَيْءٍ﴾[3]، فأعظَمَ تعالى مُرتكبَهم في هذا، وفي تَعَامِيهم عن التوراة وما تضمنته من الهدى والنور، ثم أعقب ذلك بقوله تنزيهاً للرسل عليهم الصلاة والسلام عن الافتراء على الله سبحانه، وادِّعاء الوَحْي فصار الكلام بجملته في قوة أن لو قيل: ألا تَرَوْنَ ما تضمن كتاب موسى من الهدى والنور، والبراهين الواضحة، وهل تمكَّن أحد أنْ يَفْتَرِيَ ذلك، أو يدَّعِيَ إنْزَالَه عليه، وهل يكون أحد أعظم افتراء من هذا، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، فهذا أوضح شيء.

ولمَّا لم يتقدم في الآية الأولى ذِكْرُ الأنبياء والوَحْي إليهم كما في هذه، لم يناسبها ما ورد [٦٩/ظ] هنا، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

---

(١) الأنعام / ٧.

(٢-٣) الأنعام/ ٩٠، ٩١ على الترتيب.

وأما[1] آية الأعراف، فتقدمها وعيد مَن كذَّب بآيات الرسل، واستكبر عنها، وأنهم أهل الخلود في النار، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ - الآية.

وأما آية[2] يونس[3] فتقدمها وعيد مَن كذَّب الرسل، واستكبر عنها، وأنهم أهل الخلود في النار، فناسب هذا قوله تعالى في يونس، وتقدم[4] قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ - إلى آخر الآية[5]، ولا أظلم ممَّن قال من فصحاء العرب العالِمين بمقاطع الكلام، وجليل النظم، وعَلِيِّ البلاغة: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، مع علمه بعَلِيِّ فصاحته، واعترافهم بالعجز عنه؛ فجمعوا بين إنكار ما علموا صدقَه ممن عرفوا عَلِيَّ حاله، وجليل منصبه بإخباره[6] تعالى عنهم بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[7]، فجمعوا بين الإنكار، وبين قولهم في إنكارهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فلا أظلم من هؤلاء. ثم في إنكارهم وقولهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾، أعظم إقدام، وأوضح اجترام لأنه كُفْرٌ على علم. فلما أعقبت الآية هنا بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾، ولم يقع قبل آيتي سورة الأنعام، وقبل سورة الأعراف مثل هذا الإقدام على مثل هذه الجريمة في القول، وإنما تقدم عدوانهم وظلمهم أنفسهم في مرتكباتهم، وتعاميهم، فناسبه قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(١) هـ: من هنا إلى قوله: (فناسب هذا قوله تعالى) ملغى بميمَيْن في أوله وآخره.
(٢) من هنا إلى قوله: (قوله تعالى في يونس) ساقط من ج، ع.
(٣) من هنا إلى قوله: (قوله تعالى في يونس) ساقط من ك، وإلى قوله: (وتقدم قبلها) ساقط من ك، ب.
(٤) ج، هـ، ك، ب، ع: فتقدم.
(٥) يونس / ١٥.
(٦) م، ك، ب: فإخباره.
(٧) الأنعام / ٣٣.

وأما آية العنكبوت، وآية الصف فجوابها بَيِّنٌ مما تقدم. وجواب ثانٍ، هو أنه قد تقدم مما به الاعتبار في الأولى من آيَتِي الأنعام وآية يونس، ما فيه كفاءة وإنْ تنوع فقد جَمَعَه[1] جامع الاعتبار، وفي كل شفاء لمن وفّق للاعتبار به. فمن عدل عنه فظالم إلاّ أن الاجترام يُنْبِىءُ عن أشد من الظلم، وإنْ كان قد اجرى على الظلم عدم الفلاح إلاّ أن الجُرْمَ أنبأ بالشدة وأخصُّ بالإشعار لشناعة المرتكب، وقد تقدم أن ترتيب السور والآي مُرَاعَىً وعظِيمَ الموقع، وأنه لا يعارضه ترتيب النـزول. فإذا تقرر هذا، فنقـول قُدِّم[2] وصفهم بالظلم، ثم تكرر ذلك. فمن افترى وكذّب، فقد[3] وصف أولاً بالظلم، ووصف[4] ثانياً بالاجترام ترقِّياً في الشر[5] كما يُتَرَقَّى في الخير. وأيضاً ليناسب ما تقدم في يونس متقدماً من قوله: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْـمُجْرِمِينَ﴾.[6]

والجواب عن السؤال الثاني[7]، أن آية الصَّفِّ قد تفردت عن كل ما تقدم من هذه الآي[8] بذكر تعيين المُفْتَرَى فيه الكذب منطوقاً به من غير الإجمال الوارد في الآي الأُخَر، بل ورد على التفصيل والتعيين وذلك بَيِّنٌ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ [٧٠/و] يَأْتِي مِن بَعْدِي

(١) ساقطة من ج.
(٢) هكذا في ك، وبقية النسخ: قَدْ.
(٣) هـ: وقد، م: أو كذب فقد.
(٤) هـ، م، ك: فوصف.
(٥) ج: الشرك.
(٦) آية/ ١٣.
(٧) ج، ب، ع: الثالث.
(٨) ما بعدها إلى قوله (الأخَـر) ساقط من ج، ع بانتقال النظر.

اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1] ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾[2] أي[3] فلما جاءهم الرسول الذي سمَّاه لهم عيسى بالبينات والدلائل القاطعة، والتصديق لما بين يديه من التوراة، ﴿قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[4]، فَافْتَرَوُا الكذب وارتكبوا البَهْت فيما لا توقُّف فيه ولا إشكال. فقيل تعجباً من حالهم على الجاري في لسان العرب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، فورد الكذب[5] معرَّفاً بأداة العهد، ليقوم مقام الوصف، حتى كأن قد قيل هذا الكذب لا آمْتِرَاءَ[6] فيه ولا توقُّف. ولمَّا لَمْ يَرِدْ في الآيِ الأُخَر ما تقدم هنا، كان الوجه أنْ يرِد مُنَكَّراً كما ثَبَتَ[7]، فورد على ما يناسب ويجب، والله أعلم.

٩٩ ـ الآية السابعة قوله تعالى[8]:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ـ الآية (٢٥).

وفي يونس[9] (٤٢، ٤٣): ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ. وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾. فورد الفعل في الأولى مسنداً إلى ضمير المفرد، وفي الثانية إلى ضمير جماعة مع استوائهم في الجمعية في الموضعين، ومع اتفاق

(١، ٢) الصف/ ٦

(٣) من هنا إلى قوله (عيسى بالبينات) ساقط من ك.

(٤) الصف / ٦.

(٥) فورد الكذب: في ك فقط.

(٦) ج، هـ، م، ع: لا افتراء.

(٧) ج: لما.

(٨) ساقطة من ب.

(٩) ك: وفي سورة يونس.

الغَايَتَيْنِ[1] في أن استماعهم مع قصدهم إيَّاه لا يُجدي[2] عليهم.

فللسائل أن يسأل فيقول: لِمَ وَرَد في الأولى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ﴾، وفي الثانية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ﴾ مع اتفاق الآيتين فيما ذكر[3].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن نقول: إن لفظ «مَن» لفظ مفرد، ويصلح مع ذلك للاثنين والجميع، على هذا وَضْعُه. فإذا ورد في تركيب كلامهم فأوَّل ما يُحَمل على السابق من حكمه اللفظي من الإفراد. فلهذا تَرِدُ صِلَتُه إن كان موصولاً، أو صفته إن كان موصوفاً، أو خبره إن كان شرطاً أو[4] استفهاماً؛ كصلة الذي الواقع على المفرد، فتقول في الصلة والصفة: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وتقول في الاستفهام: مَنْ يَفْعَل ذَلِك؟ فيرفع الفعلُ ضميراً مفرداً وسواء كان المراد في المعنى واحداً أو أكثر. ثم قد يكون فيها اتَّصل بالكلام بعد ضمير أو غيره مراعى[5] فيه معنى «مَنْ»، حيث يراد أكثر من واحد، فيأتُون به على معنى «مَن» لا على لفظها كقولك: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ كذا، ويُخطِئُون[6] في ذلك. ومنهم مَنْ يَفْعَل كذا، مستمرِّين على فعلهم[7]، فيُبَيِّنُ، ضمير الجمع في قولك: وهم مخطئون، والحال في قولك: مستمرين على فعلهم إن المراد أكثر من واحد. وعلى هذا كلام العرب في الكثير المطَّرد، وعليه جاء القرآن: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[8] ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[9]، فعاد الضمير مجموعاً في قوله: ﴿وَمَا هُمْ﴾، بعد

---

(1) ك: الغائبين، ب: الفايتين، ج، هـ، م، ع: الغائتين، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) هـ، م، ك، ب، ع: يجب.

(3) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجهه).

(4) ب: واستفهاما ـ بالواو.

(5) ك: يراعا.

(6) ب: أو يخضون.

(7) ما بعدها إلى قوله (على فعلهم) ساقط من ج، ع بانتقال النظر.

(8)، (9) البقرة/8

عودته مُفْرَداً، وهذا كثير. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[1] [٧٠/ظ] فعاد الضمير مِن يُدْخِلْه[2] مفرداً على لفظ «مَنْ». ثم قال: ﴿خَالِدِينَ فِيها[3]﴾، وهو حال من الضمير فبين بهذا الجمع أن المراد جميع. وقد يجري الكلام على[4] أوّله في الإفراد، كقوله[5] تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ـ الآيات[6]، فورد فيها ضمائر ثمانية كلها عائدة على لفظ «مَنْ»، ولم يرجع منها شيء على معنى «مَن»، مع أنّ المعنى على الكثرة. ثم أعلم بعدُ أن المراد بما يُبَيِّنه ما يأتي بعد الضمير المفرد المَحْمُول على لفظ «مَن»، إنما هو أعنى المبينُ كَثْرةً أو وَحدَة.

أما إبْهام[7] التعيين فمقصود[8] لا يرتفع[9]، فإن إبْهامَ[10] أو[11] الخبر في هذا أبلغ في تكميل فائدة الكلام وإحرازها. ألا ترى أن قول الملك لخاصته: إنَّ مِنكُم مَن يفعل كذا، أبهج[12] لنفوس السامعين، وأبلغ في التحريض على الشيء أو الزجر عنه بحسب المرتكَب. فإن كان مما يحبُّه الملك تشوَّفَتْ نفوس المخاطبين إليه، وإنْ كان على الضِّدِّ من ذلك اشتد خوف جميعهم وحذرُهم،

(١) الطلاق /١١.
(٢) ج، هـ، ك، ع: ندخله.
(٣) ساقطة من هـ، م، ك.
(٤) ج، ع: في.
(٥) هـ، م، ب: فقوله، ك: بقوله.
(٦) هـ، ك، ب: الأيتين، وصوابها الجمع لأن المؤلف يشير إلى آيات البقرة من ٢٠٤ إلى ٢٠٦ كما سيأتي.
(٧) ج، هـ، م، ب: إيهام.
(٨) ج، هـ، ك، ع: فمقصوده.
(٩) ساقط من ج، هـ، ع قوله (لا يرتفع).
(١٠) ج، هـ، م، ب: إيهام.
(١١) ج، ب، ع: والخبر ـ بالواو.
(١٢) هـ، ك: أهيج.

وهذا يستدعي طولاً يخرجنا عن مقصودنا، والوارد من هذا في الكتاب العزيز كثير. ونرجع إلى مقصودنا، فنقول: إنّ آية الأنعام وردت على الأكثر، وقد ورد فيها انتظم بالآية بيانُ كَوْنِ المستمعين جماعة، وذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[1] ،فتَبيَّنَ أن المراد جماعة وارتفع الاحتمال. ولمّا لم يرد فيها انتظم مع آية سورة يونس ضمير[2] ولا غير ذلك مما يبيِّنُ أنّ المستمعين جماعة وكان ذلك مفرداً مقصوداً أتى الضمير أوّلاً ضمير جمع حَمْلاً على معنى (مَن) ولم يُحْمَل على لفظها فيفرد: لئلا يُوهِم أن المستمع واحد وذلك غير مقصود؛ فقيل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، إذ ليس في الكلام بعدُ ما يُبَيِّنُ[3] ذلك.

فإن قيل: فإنَّ[4] ﴿مَنْ﴾ تقرر من حكمها أنها يراد بها الكثير، وإنْ كانت مفردة اللفظ وصالحة له[5] وإنما[6] كانت في الأكثر من كلامهم يراد بها الكثير، فذلك يدفع إيهام إرادة واحد.

فالجواب أن إرادة الواحدة بها ـ وإنْ كان الأقلّ ـ مُبْقٍ[7] حُكْمَ الإبْهام. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ، مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[8]﴾ـالآيات إلى قوله ـ ﴿وَلَبِئْسَ المِهَادُ﴾[9]، نزلت هذه الآي [٧١/و] في الأخنس بن شَرِيق[10]، وقد

(١) الأنعام /٢٥.
(٢) ساقط من ج، هـ، ع.
(٣) هـ، ك: بيّن.
(٤) ك: قد تقرر.
(٥) ساقط من ب.
(٦) ك: وإذا، ب: وإن.
(٧) ب، ع: مبق.
(٨) ب: زاد بعدها من الآية ﴿وَيُشْهِدُ الله على ما في قلبه﴾.
(٩) البقرة/ ٢٠٤-٢٠٦.
(١٠) ك: رشيق.

تكرر الضمير فيها ثماني مرات ضميرَ مفرد، وتأكد بذلك أنّ المَعْنِيَّ بها واحد كما قال المفسرون[1]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾[2]. نزلت في الجَدّ[3] بن قيس لمَّا دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم، وقال: هل لك في جِلاد[4] بني الأصفر، وقصته مشهورة[5]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ ـ الآية[6]، نزلت في ثعلبة بن حاطِب[7]، إلى نظير هذا من المواضع. وقد تقدم أيضاً أنها تصلح للاثنين.

وأنشد سيبويه ـ رحمه الله تعالى: (طويل).

تعالَ فإنْ عاهَدْتَني لا تَخُونُني ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِيبُ يَصْطَحِبانِ[8]

فإذا[9] ثبت أن «مَن» تصلح[10] للواحد والاثنين، والجمع، والمذكر والمؤنث، وقد ذكر المفسِّرون وأهل السِّير أنّ المتعرِّضين لسماع القرآن منه صلى الله عليه وسلم كانوا جماعة سمَّاهم المفسرون؛ فتحرير المراد في الآية محرز للمعنى المقصود ومتأكد[11]، إذ ليس فيها بعدُ مما في المنتظم مع الآية ما يَبِيْنُ

(1) هو الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زُهرة. انظر: أسباب النزول/ ٣٩. اللباب ٣١، ٣٢.

(2) التوبة/ ٤٩.

(3) ج، هـ، م، ع: الحر.

(4) ج، ع: جهاد.

(5) القصة في أسباب النزول / ١٦٦، اللباب/ ١١٧ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما أراد الخروج إلى غزوة تبوك، وكان يقول: اغزوا تغنموا بنات الأصفر فقال جَدُّ بن قيس قولته وتابعه على قوله المنافقون.

(6) التوبة/ ٧٥.

(7) أسباب النزول/ ١٧٠، اللباب/ ١٢٠، ١٢١.

(8) البيت منسوب للفرزدق في ديوانه / ٨٧٠، الكتاب ٤١٦/٢، مجاز القرآن ٤١/٢، معاني الحروف/ ١٥٨، شرح المفصل ١٣٢/٢، المقتضب ٢٩٥/٢، ٢٥٣/٣، الخصائص ٤٢٢/٢.

(9) ج: وإنما، هـ: وإذا.

(10) ج، م: الصلح.

(11) ج، ع: ومؤكد.

المراد كما في غيرها فوجب رَعْيُ ذلك فقيل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾، ولزم ذلك الإِبْهام[1].

فإن قيل: فإن قوله تعالى في آية[2] يونس: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بيَّنَ[3] ذلك كما بيَّنه[4] في آية الأنعام قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ وما بعدُ، إذ الارتباط[5] حاصل في الآيتين[6].

فالجواب أنَّ ارتباط قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بما قبله صحيح كارتباط قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[7] بما قبله[8]، إلا أن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ يبيِّن[9] أن ما وقعت عليه ﴿مَنْ﴾ جماعة وكأن الكلام في قوة أن لو قيل: وجعلنا على قلوب السامعين، إذ لا يراد بالضمير[10] غير مَنْ[11] وقعت عليه «مَنْ». وأما قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾، فليس كذلك، بل المراد بلفظ الصُّمِّ جنس الصُّمِّ والمستمعون بعض ذلك. فحصل الارتباط بهذا الوجه، لأن الصُّمَّ يراد بهم من وقعت عليه «مَنْ» فقط، وهذا[12] كقولهم: زَيْدٌ نِعْمَ الرَّجُل، فإن الرجل لم يُرَدْ به زَيْدٌ وحده، وإنما أريد به جنس الرِّجال، وإنما زَيْدٌ واحد منهم، فحصل الربط بهذا

---

(١) م، ك: الإبهام.
(٢) ج، هـ، م، ب، ع: سورة.
(٣) ك، ع: يبين.
(٤) ج: يبيِّنه.
(٥) ك: إذـ لا ـ ارتباط.
(٦) ك: زاد بعدها: (ونظام الكلام ملتئم).
(٧) زاد في ب من الآية هنا ﴿أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾.
(٨) إلى قوله: (أكنة يبين)، ساقط من ج، هـ، م.
(٩) ك: مبين.
(١٠) ب: زاد هنا (من).
(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ (ما).
(١٢) ج، هـ، م: وهو.

الوجه، فليس كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. وبهذا يَتِمُّ المعنى المقصود من تسلية نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وكأن قد قيل له عليه الصلاة والسلام: إنَّ الصُّمَّ الذين لا يعقلون لم تُكلَّف إسمَاعَهم، وهؤلاء منهم فلا دَرَك عليك فيهم، فانفصلت آية يونس من آية الأنعام، وورد كل على ما يجب.

فإن قيل: إذا كان الأكثر في «مَنْ» وقوعها على الكثير، فقد وردت آية يونس على ما هو القليل في كلامهم، وفي هذا ما يُسْأل عنه.

قلتُ: ذلك كله فصيح ومعروف من كلامهم، ولا يلزم من كَوْنِ الوارد أقل أنْ يكون دون الكثير في الفصاحة، بل كلٌّ فصيح. وقد بَوَّبَ سيبويه ـ رحمه الله ـ على[1] حال «مَنْ» في وقوعها على مَنْ ذكر فقال في كتابه: «هذا باب إجرائهم صلة مَنْ وخبره، إذا عَنَيْتَ[2] اثنين كصلة اللَّذَيْنِ[3]، وإذا أردت[4] جماعة كصلة الَّذِين، ثم ذكر الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنشد بيت الفرزدق، وقد تقدم[5]:

تَعَالَ[6] فإنْ عَاهَدْتَني لَا تَخُونُني ـ البيت[7]».

وقد تقدم، وذَكَر مما[8] أُجْرِيَتْ[9] فيه «مَنْ» مجرى التي، قول العرب: مَنْ كانت أُمُّكَ، وأيُّهُنَّ كانت[10] وأورد عن [الخليل بن أحمد][11] قراءة من

---

(١) ج، هـ، ع: تعالى.
(٢) هكذا في الكتاب، وفي ك وبقية النسخ (عينت).
(٣) ب: الذين.
(٤) هكذا في جميع النسخ، ونص الكتاب «عنيت».
(٥) ب: المتقدم ـ وقد ذكر هذا البيت في اثناء شرح هذه الآية.
(٦) ساقط من ب.
(٧) ب: «إلى آخره»، في موضع «البيت».
(٨) ج، ع: ما.
(٩) هـ: جرت، ج، ب، ع: جريت.
(١٠) زاد في هـ: (أمك) هنا.
(١١) هذه الزيادة من الكتاب ٢/٤١٥، ومكانها بياض في ج، ع.

قرأ: ﴿وَمَنْ تَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1]. فقد ذكر سيبويه - رحمه الله - هذا كله من كلام العرب[2]. ودل قوله في الترجمة: هذا بابُ [٧١/ظ] إجْرَائِهم، بالإضافة إلى ضمير الجميع[3]، وإنما يريد العرب[4]، وهذا مشير إلى أن العرب تتكلم به كثيراً، وأنه ليس في كلام بعضهم دون بعض. ووضح من جملة هذا، أنَّ قوله تعالى في آية يونس: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ بضمير الجماعة، لا يلائم الموضعَ سواه، إذ ليس بعده ما يبيِّن أنَّ المراد جمع[5]. أما آية الأنعام، فقد ورد في المنتظم بها مما بعدُ، مما بيّن المراد، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

١٠٠ - الآية الثامنة[6] (غ) قوله تعالى[7]:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩)

وفي سورة المؤمنون[8] (٣٧): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، وفي الجاثية (٢٤): ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ - الآية.

للسائل أنْ يسأل فيقول: إن هذه[9] الآي[10] الثلاث قد اتَّحد محصولها

---

(١) الأحزاب/ ٣١. وتنسب هذه القراءة لجماعة هم: يعقوب، والأسواري، والجحدري، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم. انظر: البحر ١٢٨/٧، السبعة/ ٥٢١.

(٢) الكتاب ٤١٥/٢، ٤١٦.

(٣) ك: الجمع.

(٤) ب: الضرب.

(٥) م، هـ، ب: جميع.

(٦) ب، ع: الثانية.

(٧) قوله تعالى: ساقطتان من ب.

(٨) ج، ب، ع: المؤمن، وسورة المؤمن هي سورة غافر، وليست السورة المستشهد منها.

(٩) م: هي.

(١٠) ب: صيغة السؤال (يقال هذه الآي..).

من إنكارهم البعث الأُخْرَاويّ، وزعمهم أنْ لا[1] حياة بعد هـذه الحياة الدنيوية، ولم يرد فيها عدول عن هذا من قولهم، فما وجه الاقتصار في[2] آية الأنعام، وزيادة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ في الأخيرتين[3]، وانفراد آية الجاثية بقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، عِوضَ[4] قولهم في الأوّلين: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية الأنعام، لم يَرِدْ فيما تقدمها زيادة على ما أُخبِروا به من حالهم في إنكارهم البعث. ألا ترى أن بناء الآية على ما تقدمها عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ ـ الآية[5]، فكأنْ قد قيل لهم: إنكم كنتم تنكرون البعث ووجود هذه الحياة الأُخْرَاوِيّة ولم يرد أثناء هذا ما يستدعي زائداً.

أما آية المؤمنين، فترتّب الوارد فيها من قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، على ما تقدم من دعاء الرُّسُل إيَّاهُم، وقد ذكر[6] الإمداد في دنياهم، الحامل على عُتُوِّهِم وقولهم في المرسَل إليهم: ﴿مَا هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[7]. فلما طال هنا الكلام بما أغْرَوْا به سفهاءهم، ناسب[8] هذا[9] الطول ما زيد هنا من قوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾،

---

(١) ب: ألا، واختار أبو حيان الفصل، لأنه الأصل وسواء في ذلك «أنْ» ناصبة أو غير ناصبة. نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم/ ٤١، عنوان النَّجابة/ ١٠.

(٢) م، ب: في زيادة.

(٣) ك، ب: الأخريين.

(٤) زاد في م (عن).

(٥) الأنعام/ ٢٧.

(٦) ك: وذكر.

(٧) آية/ ٣٣.

(٨) ج، هـ، م، ب، ع: فناسب.

(٩) ساقط من جـ، ب.

أي طائفة تموت، وطائفة توجَد وشأن ما يرد في الكتاب العزيز مما ظاهره التكرُر[1] زيادة فائدة، أو تتْمِيمُ معنى، أو لبناء غيره من الكلام عليه، حتى لا يكون تكراراً عند من وُفِّق لاعتباره.

وأما آية الجاثية، فهي المفصِحة بمرتكبهم الشنيع، من إنكارهم فاعلاً مختاراً حين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فزادوا [٧٢/و] إلى إنكارهم البعث الأُخْراوي، إنكارهم توقف الموت على آجال محدودة للخلائق، ووقوعه بإرادة وتقدير من الموجِد سبحانه. ثم أتبعوا شنيع مرتكبهم هذا بقولهم للرسل ـ تحكيماً لإنكارهم البعث: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي[2] إنْ كنتم صادقين في أنّا نحيا بعد الموت، فأرُونا دليلاً على ذلك بإحياء من مات من آبائنا. وبما ورد من هذه الزيادة، حصل التعريف بجملة مقالهم الشنيع، واستَوْفَتْهُ هذه الآية على ما يأتي في غير هذا مما يتكرَّر[3].

١٠١ ـ الآية التاسعة [غ] قوله تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (٣٢).

وهذه الآية الأولى[4] مُغفَلَة.

وفي هذه السورة أيضاً (٧٠): ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾[5].

---

(١) ج، ع: التكرار.
(٢) إلى: صادقين، ساقط من ج، هـ، ع.
(٣) ج، يكرر.
(٤) ساقطة من ج، ع.
(٥) أفرد الإسكافي هذه الآية، وجعلها الآية الثامنة من متشابه سورة الأنعام.

وفي الأعراف (٥٠، ٥١): ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

وفي سورة العنكبوت (٦٤): ﴿وَمَا هَـٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾.

وفي سورة القتال[1] (غ)[2] (٣٦) ﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

وفي [3] سورة [4]الحديد (٢٠): ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

ففي[5] آيَتَي الأنعام، وسورة القتال، وسورة الحديد، تقديم اللَّعِب وعطف اللَّهْو عليه، وثبَت في الأعراف والعنكبوت العكس، فقُدِّم فيهما اللهو على اللعب. والواو وإنْ كانت لا ترتِّب، فإنه لا يتقدم اللفظ في الكتاب العزيز ذكراً، أو يتأخر إلا لموجِب. فوجه تقديم اللعب في الأنعام أنَّه المتقدم في الوجود الدُّنْيَاوِيّ على اللهو، لأن أوَّل ابتداء تعقُّل الإنسان ومَيْزُهُ حال اللعب، وهو المطابق لِسِنِّ الابتداء فإذا استمر [أَلْهَى][6] عن التدبر[7] والاعتبار وشغل تماديه عن التفكير فيما به النجاة والفوز. وقد ينضاف إلى اللعب شاغل أو غيره، أو يعاقبه فيحصل بالمجموع الغفلة عن النظر في الآيات، فيعقِب الهلاك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ ـ الآية[8]، فلمَّا لَمْ يَبْرَحْ هؤلاء عن الجري على مَهْيَع[9] الصُّمّ

---

(١) هي سورة محمد.

(٢) ساقطة من ج، هـ، م، ب، ع: والآية من مغفَلات الدرة كما ذكر في النسخة (ك). انظر: الدرة/ ١٠٢.

(٣) إلى آخر آية الحديد ساقط من هـ، م، ب.

(٤) ساقطة من ج، ع.

(٥) ك: وفي.

(٦) ج، ك، ع: النهى م، ب، هـ: الغى؛ وما أثبتناه مناسب للسِّياق.

(٧) ج، هـ، ك، ع: التدبير.

(٨) الأعراف /١٧٩.

(٩) المهيع النمط والطريقة، إذا وصفت بالوضوح والبيان وطريق مَهْيَعٌ: بيِّنٌ.

البُكْمِ الذين لا يعقلون، جرى الإخبار عنهم في الآية الثانية من الأنعام بمقتضى أحوالهم في أعمارهم[1]، التي لم تخرج عن أحوال البهائم. فأوّل أعمارهم لعب، وعقب ذلك لهو، فورد الإخبار على حسب جَرْي الأعمار[2] أنهم اعتمدوا البقاء مع مقتضى الطبع الإنساني، إذ لم يُصْغِ المكلَّف إلى داعٍ، ولا تكلَّف[3] الخروج عن مقتضى هواه، [٧٢/ظ] ولا جنَح إلى مفارقة الموجب الطبيعي[4]. قال تعالى: ﴿أرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَـهَهُ هَوَاهُ﴾[5] فأمر نبيه عليه الصلاة[6] والسلام بالإعراض عنهم، فقال: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾، على[7] مقتضى الهَوَى[8]. وهذه الحال هي التي نبّه سبحانه عباده المؤمنين [إليها][9]، على أنها حال الحياة الدنيا وصِفَتُها التي تمتاز[10] بها، فأعلمهم بذلك ليتجنبوها ويحذروا غرورها، فقال تعالى في الآية الأولى من هذه السورة: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وقال في سورة القتال: ﴿إنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾. ألا ترى أن الخطاب قبل هذه الآية خطاب للمؤمنين بالأمر بالطاعة لله[11] ورسوله، ووصِيَّةٌ[12] لهم، وإعلام[13] بحال عدوِّهم من الكفار. وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

---

(١) ج، هـ، م، ك، ب: أعمالهم.
(٢) ج: الأعمال.
(٣) م: يكلف.
(٤) هـ، م: الطَّبْعِيّ، ك: مألوف الطباع.
(٥) الفرقان/ ٤٣.
(٦) ساقطة من هـ، م، ك، ب.
(٧) م، ب: وعلى - بالواو.
(٨) ك: زاد هنا «والطبع».
(٩) ج، هـ، م، ب، ع: عنها، وساقطة من ك وما أثبتناه هو مقتضى السِّياق.
(١٠) ج، ب: يمتاز.
(١١) ج، هـ، ع: بطاعة الله.
(١٢) ب: ووجيه.
(١٣) ب: وإعلامه.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - الآية[1]، وفي سورة الحديد: ﴿ٱعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، فعرَّف عباده المؤمنين فيها[2] بالصفة التي هي فَصْلُها، وبها امتيازها عن الترتيب الذي وجودها عليه، من تقديم اللعب وتَبعِيَّةِ اللهو، حسب جري الأعمار ابتداء وانتهاء، كما تقدم. فهذا وجه تقديم اللعب في هذه الآي الأربع.

أمّا آية الأعراف، فإنها من قول المؤمنين أهلِ الجنة إخباراً عن حال الكافرين الموجبة لتعذيبهم، فقدَّموا في الذكر اللهو الشاغل عن الاستجابة الجاري مع سِنِّ التكليف والمُسَاوِق[3] له الثاني[4] عن اللعب، إذ وجود اللعب أولاً في السِّنِّ التي معظمها غير سِنِّ التكليف، وجَرْيُ الأقلام بالتزام الطاعة، واجتناب المخالفة. فقصدوا أنْ يَخُصُّوا موجب التعذيب من الأعمال، فذكروا مَساوِقَهُ ومظِنَّتَهُ[5]، وهو معاقِب اللعب، والذي اتخذه الكافر بالقصد والاختيار من شاق التكاليف ولم يذكر اللعب أولاً، لأنه جاز في البَداْة وحين لا تكليف فكان الكلام في قوة أن لو قيل: إنّ الله حرّم نعيم الجنة على من تأبّط الكفر، واعتمده وأتبع اللعب باللهو من كفره، فلم يبرح عن ملازمة الطبع والهوى.

وأما آية العنكبوت، فإنه تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[6]،ولا يُسأل عن ويُجيب إلاّ مَن جـاوز سن اللعب، وبلغ السن التي بها يتعلق التكليف

---

(1) الآيتان/ ٣٣، ٣٤.
(2) ج،هـ، م، ك: منها.
(3) ب: والمفارق.
(4) ج، ب، ع: الناشيء.
(5) ك: ومضنته.
(6) آية / ٦١.

بالمخاطَب، ويصح خطابه وحسابه على تفريطه، فناسب ذلك من ذكر الحياة الدنيا، تقديم ما يساوق تلك السن، فقدم ذكر اللهو التالي للعب، ليناسب وليحصل ذِكْرُ مانِعِهِم[1] من الاستجابة [٧٣/و] وتكميل النظر المخلَّص لهم، وأخَّر ذكر اللعب الذي لا يساوق؛ مع أنه متبوع اللهو لـزوماً لمن لم[2] يسبق[3] له سابقة سعادة. فهذا وجه التقديم والتأخير[4] فيها[5] ذُكِر، ولو ورد العكس، لما كان يناسب[6]، والله أعلم.

١٠٢ ـ الآية العاشرة [غ] قوله تعالى:

﴿وَلَلْدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢).

وفي[7] سورة الأعراف (١٦٩): ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ[8] يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. وفي سورة يوسف (١٠٩): ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

في هذه الآي[9] ثلاثة أسولة، والآية الأولى[10] من مُغفَلاتِ صاحب كتاب[11] الدُّرَّة.

---

(١) ع: ما تعمم، ج، هـ: ما تعم.
(٢) ساقطة من ج، ع.
(٣) ب، ع: تسبق.
(٤) ساقط من ج، هـ، م، قوله: والتأخير.
(٥) ج، ع: بما.
(٦) ج، هـ، ع: لم يكن ليناسب، ب: لم يناسب.
(٧) إلى آخر الآية ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(٨) إلى آخر الآية في ك وساقط من بقية النسخ.
(٩) ج، ب، ع: الآية.
(١٠) ج، ب: والآيات من.
(١١) في ك فقط وساقط من بقية النسخ.

أحدها: قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ[1]﴾ باللام المُوَطِّئة للقَسَم، وفي الأعراف: ﴿والدَّارُ﴾ بغير تلك اللام.

الثاني: جَرْي[2] الآخرة على الدار نعتاً[3] لها في السورتين، وفي يوسف ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ على الإضافة.

الثالث: قوله في السورتين ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، وفي سورة يوسف ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

والجواب عن الأول أن آية الأنعام تقدمها قوله تعالى معرِّفاً بحال الدنيا: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾. ومعنى التأكيد في هذا[4] حاصل من جري الكلام وسياقه[5]؛ لأنك إذا قلت: مَا المَالُ إلاَّ الإبِلُ؛ فكأنكْ نفيتَ عن غير الإبل أن يكون مالاً، وأثْبَتٌ ذلك لها[6] إثباتاً[7] مؤكداً، وأنها المال حقيقة، وكأن ما سواها ليس بمال. وعلى هذا يجري ما دَخَلَتْهُ إلاَّ بعد «ما النافية» من[8] مثل هذا، وهو[9] المعنى الحاصل من لفظ القَسَم الصريح، فناسب هذا مجيء اللام الموطئة للقسم دَاخِلَةً على المبتدأ في الآية المعرِّفة بحال الدار الأخرى[10] في قوله: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، وكأنه نَصُّ قَوْلِكَ: واللهِ لَلدَّارُ[11] الآخِرَةُ خَيْرٌ، وتناسب هذا مع ما تقدم قبله من تقدير القسم

---

(١) ساقطة من ك، ع.
(٢) ب: جرا.
(٣) ج، هـ، ع: نعت.
(٤) ج، ع، هذه.
(٥) ج، ع: ومساقه.
(٦) ب: لما ذلك.
(٧) ج، هـ، ب، ع، ك: ثباتاً.
(٨) م، ك: ومثل.
(٩) م، ك، ب: هو.
(١٠) ج: الأخروي، ب: الآخرة.
(١١) ب، ك: لا ـ الدار(؟).

المؤكَّد، كما تَبَيَّن. وليس في آية الأعراف ما يقتضي هذا، لأنها مُنَاطَةٌ بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الأَدْنَىٰ﴾[1] ثم قال: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ﴾. على هذا نَظْمُ[2] هذا الكلام[3]، وليس فيه ما يقتضي قَسَماً[4]، فلم تدخله تلك اللام.

والجواب عن السؤال الثاني، أن جَرْيَ[5] النعت بلفظ الآخرة على الدار في الآيتين وَجْهُ[6] مطابقتِه[7] ما تقدم قبل[8] كل واحدة من[9] الآيتين. أما في آية الأنعام فقوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، فطابق هذا قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ﴾[10] وأما آية الأعراف، فقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الأَدْنَىٰ﴾، والمراد به الدنيا، فقُوبِل بقوله ﴿وَٱلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وهذا بَيِّنٌ.

ولمَّا لَمْ يتقدم مثل ذلك قبل آية سورة يوسف[11] [٧٣/ظ]، ورد لفظ الدار مضافاً بغير الألف واللام فيه فقيل: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

---

(١) الأعراف / ١٦٩.
(٢) ج، ب، ع: النظم.
(٣) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ج، ب، ع.
(٤) ج، ع: قسيماً.
(٥) ج: يجري.
(٦) ك: وجهه.
(٧) م، ك: مطابقة.
(٨) ساقط من ج، ع.
(٩) ج، ب، ع: في.
(١٠) خير: في ك فقط.
(١١) مكانها بياض في ج.

والجواب عن السؤال الثالث أن قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَدَارُ الأخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ تقدم قبله قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ - الآية[1]. والحاصل منهم أنهم ظلموا أنفسهم فأُهْلِكُوا ولو اتَّقَوْا لَنَجَوْا، فناسب هذا المعنى المقدَّر ورود الماضي في قوله تعالى[2]: ﴿لِلَّذِينَ[3] اتَّقَوْا﴾، أوضح مناسبة.

١٠٣ - الآية الحادية عشرة (غ)[4] قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٣٧)

وفي[5] سورة العنكبوت (٥٠): ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾. وفي[6] قراءة نافع، وأبي عَمْرٍو، وابن عامر[7]، وحَفْص[8]، ولم يختلف في توحيد لفظ آية في الأنعام والمقصود واحد.

ووجه[9] ذلك - والله أعلم - أن لولا في الآيتين تحضيض، وإنما يجري في كلامهم عندما يراه المتكلم به[10] أوْلَى[11]، أو أهَمَّ في مقصود ما[12]،

---

(١) آية ١٠٩.

(٢) في ك فقط.

(٣) ك: الذين.

(٤) في ك فقط، والآية من المغفَلات.

(٥) إلى آخر الآية ساقط من ج، ب، ع.

(٦) هـ: وفي، م: وهي.

(٧) ب: ابن عاصم - تحريف.

(٨) وقرأها ابن كثير، وحمزة، والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر، وأبو عمرو في رواية علي بن نصر (آية) بالتوحيد. انظر السبعة / ٥٠١، النشر ٣٤٣/٢، الحجة / ٢٨٠

(٩) ج، هـ: وجه.

(١٠) ساقط من ب.

(١١) ج، هـ، ب، ع: أولاً.

(١٢) ج، ك، ب، ع: ماء(؟).

او أتَمّ [١] في مَطْلَبٍ ما، إلى أشباه هذا مما يستدعي التحضيض [٢].

ولما تقدم قبل آية الأنعام ذكر دلائـل من خلق السموات والأرض، وجعْل الظلمات والنور، والتنبيه بحال من كذَّب وعاند إلى ما تَبع ذلك من الآيات التي يُحتَاج فيها إلى النظر، ولإعمال الفكرة [٣] والاعتبار كان مظِنَّةً لتَغْييظِ [٤] الجاحد فطَلبُوا آية تَبْهَرُ [٥] ولا يُحتاجُ معها إلى كبير نظر، كناقة صالح عليه السلام أو شبه ذلك، فافتُتِحوا فيما [٦] ذكره سبحانه عنهم [٧] بأداة لَوْلاَ [٨] التحضِضِيَّة جَرْياً على ما طلبوه، وأتَوْا بالفعل مضعَّفاً لما أرادوه من التأكيد، فقالوا: ﴿لَوْلاَ [٩] نُزِّلَ﴾، وأفردوا آية لما قصدوه من أنه عليه السلام لو [١٠] جاءهم بآية واحدة من الضرب الذي طلبوه وهذا مناسب وقد صرَّحوا بما طلبوه من هذا الضرب الذي ذكرنا في مثل [١١] قولهم: ﴿لَنْ نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ - الآية [١٢]، وفي قولهم: ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [١٣] إلى [١٤] ما أشبه هذا، فقال تعالى: قل لهم يا محمد: إنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أنْ

---

(١) ب: إثم.

(٢) ج، ب: التخصيص.

(٣) ج، هـ، م، ب، ع: والأعمال للفكرة.

(٤) ج، هـ، م، ب، ع: لتغليظ.

(٥) ب: تبصر، ومكانها بياض في ج.

(٦) ج، ب، ع: بما.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: عليهم.

(٨) ك: ألا.

(٩) ساقطة من الآية في ج، هـ، ب، ع، ك.

(١٠) ساقطة من ج، ع.

(١١) في ك فقط.

(١٢) الإسراء / ٩٠، ٩١.

(١٣) الفرقان / ٢١.

(١٤) ساقطة من ج، هـ، م، ع.

يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، أي لا يعلمون ما كان يعقبهم ذلك ولو وقع على وِفْق اقتراحهم من تعجيل أخذهم وهلاكهم كما جرى لغيرهم من الأمم، كقوم صالح عليه السلام، وغيرهم. وقد قدّم[1] لهؤلاء التنبيه على ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾[2]، وأيضاً ففي ذلك من الحكمة ما سبق في علمه تعالى من هداية من شاء وإضلال من شاء، وليرفع بالعلم والنظر من هداه إليه ووفّقه. فلو ورد هنا الفعل غيرَ مضعَّف، ولم تُفْرَد آية، لما أحرز هذا المعنى.

أما آية العنكبوت فقد تقدم[3] قبلها قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ [٧٤/و] الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾[4]، ثم قال تعالى[5]: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾[6] وتأخر بعدها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[7]، فلم يكن ليناسب بعد اكتناف هذا المجموع، توحيد آية. ثم إنّ هذه الآية لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آية الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعَّف. وجاء ذلك كله على ما يجب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

١٠٤ ـ الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠).

---

(١) ج، ك، ب، ع: تقدم.
(٢) الأنعام / ٨.
(٣) ج، هـ، م: فقدم.
(٤) آية / ٤٩.
(٥) ساقطة من ج: هـ، م، ع.
(٦) آية / ٤٩.
(٧) آية / ٥٠.

ثم قال بعد (٤٦): ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾. ثم قال بعدُ[1] (٤٧) ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، وفي سورة يونس (٥٠): ﴿قل أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

ففي هذه الآي الأربع[2] أربعة أسولة[3]:

الأول: ما وجه التكرار في الوارد في سورة الأنعام؟

الثاني: ما وجه اختصاص بعضها بتأكيد الخطاب الحاصل من الضمير بالإتيان بالأداة بعدُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾، وسقوط ذلك من بعضها؟

الثالث: ما وجه تخصيص كل آية منها بما أُتبِعَت به؟

الرابع: ما وجه الترتيب في الآيات الثلاث وهو قوله في التنبيه أولاً[4]: ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾، وتأخير التنبيه بمثل ذلك، من ذكر العذاب في قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ ـ الآية، وتوسيط[5] التنبيه بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾.

والجواب عن الأول [أنه] إنما أعيد لفظ التنبيه لتنويع[6] مُعتَبَرات كل

---

(١) في ع فقط.
(٢) ساقطة من ب.
(٣) ك: أربع أسوة، ج، هـ، ب: أربع أسولة.
(٤) ما بعدها إلى قوله ﴿قل أرأيتكم﴾ في ك فقط.
(٥) ج، هـ، م، ب، ع: توسط.
(٦) هكذا في ك، وبقية النسخ: لتسويغ.

منها كافٍ في الدلالة لمن وُفّق. ونظير هذا، ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ[1] الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، ثم قال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ﴾[3]، أمّن فعل كذا. فهذه الدِّلالات[4] التي نُبِّهوا على الاعتبار بها نظائر الآي الواردة في سورة[5] الأنعام. وأما الإتيان بأداة الخطاب بعد الضمير المحصِّل لذلك فتأكيد في إيقاظ المنبَّه إنْبَاءً باستحكام[6] غَفْلَتِهِ عما يحرِّك النائم باليد، والمفرِط الغفلة باليد واللسان، وشِبْه هذا. ألا ترى وصْفَهم قبل هذا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[7] فذكِّروا أولاً تذكيرَ الصُّمِّ البُكْمِ، وإنما يُذَكَّر هؤلاءِ بأبلغ[8] ما يقع به التحريك والتنبيه. ثم لمَّا بسط الكلام، وامْتَدُّ الوعظ إلى الآية الأخرى قيل لهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ فلم يُحتج إلى التأكيد، وذكروا بأمر مشاهَد في كثير من الخلق، فقيل لهم: ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ ثم لما أُخِذُوا بكل جهة يحصل منها الاتعاظ أُتبع ذلك بذكر العذاب، وسوء الجزاء لمن لم يتَّعظ وكرِّرتْ أداةُ الخِطاب وأُكِّد - كما يقال - [٧٤/ظ] لمن نُبِّه فلم ينتبه، ولا أجدي عليه التَّذكار: كيف رأيتَ ويحرك[9] تحريك المتمادي على غَيِّهِ بتكرار[10] أداة الخطاب، فقد حصل الجواب عن الكل.

---

(١) ساقطة من ج، هـ.
(٢) النمل/ ٥٩.
(٣) النمل/ ٦٠.
(٤) ج: الدلالة.
(٥) ك: آية.
(٦) ك: فاستحكا.
(٧) الأنعام / ٣٩.
(٨) هـ: ما بلغ.
(٩) ج، م، ب: وتحرّك.
(١٠) م: بتكرر.

وأما آية يونس فمنفردة، ولم يتقدم قبلها[1] ذكر صُمٍّ ولا بُكْمٍ، يوجب تأكيد الخطاب. وقد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ[2] مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾[3] - إلى ما بعد هذا، فحصل تحريكهم وتنبيههم بما لم [يَبْقَ][4] بعده إلاَّ التذكير بعذابهم إنْ لم يُجْدِ ذلك عليهم. فالتدريج هنا حاصل كما هناك، لكن بطريقة أخرى، والله أعلم بما أراد.

فصل

واعلم أنّ جعْل الأداة المؤكَّد بها الخطاب في ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ ضميراً، لم يلزمه اعتراض [بَتَعَدِّي][5] فعل المضمَر المتَّصل إلى مضمَره المتصل، لأن ذلك جائز في باب الظَّنّ، وفي فعلين من غير باب ظَنَنْتُ[6]، وحَسِبْتُ، وهما: فَقَدْتُ[7] وعَدِمْتُ. وكذلك تعدِّي فعل الظاهر إلى مضمره المتَّصل جائز في الأفعال المذكورة. والآيات المتكلَّم بها من باب الظن، لأن المراد برأيت رؤية القلب، فهي من الباب المستثنى، وإنما الممتنع مطلقاً تعدِّي فعل المضمر المتصل إلى ظاهره، فلا اختلاف في منع هذا من كل الأفعال. وأما مَن جرَّد أداة الخطاب المؤكَّد بها للحَرْفِيَّة، وهو قول الجمهور، فلا كلام[8] في ذلك.

---

(١) ما بعدها إلى قوله (وقد تقدم قبلها) في ك فقط.

(٢) ما بعدها إلى قوله (والأرض) ساقط من الآية في هـ، م، ع.

(٣) آية/ ٣١.

(٤) جميع النسخ: يسبق.

(٥) جميع النسخ «يتعدى».

(٦) ج، ب: ظن.

(٧) م: فقدت.

(٨) ج: مكان قوله (فلا كلام) بياض.

١٠٥ ـ الآية الثالثة عشرة(غ) قوله تعالى:

﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٤٢).

وفي سورة الأعراف (٩٤): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾، بإدغام تاء[1] التَّفْعِيل في فاء الكلمة مع اتحاد الْمَرْمَى في الآيتين، فيسأل عن وجه ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن العربَ تراعِي مُجاورة الألفاظ فتَحِملُ[2] اللفظ على[3] مُجاورِه لمجرد المضارَعة اللفظية وإنِ اختلف المعنى. ومنه[4] الإتْبَاعُ في: يَسُوءُكَ وَيَنوءُكَ[5]. قال سيبويه ـ رحمه الله ـ وقد ذكَر بعضَ ما تُتْبِع[6] فيه العربُ، وتحمِل اللفظ على ما قُرِنَ[7] به، ولو أُفرِدَ عنه لم يُنْطَقْ به كذلك ـ فقال: «كما[8] أن يَنُوءُكَ يَتْبَع يَسُوءُكَ»[9]، يريد أنك تقول: يُنِيئُك[10]، بكسر النون وضم الياء، متعدياً، على مثال: يُزِيلُك وَزْناً وتعدية إلى المفعول. فإذا ذكرتَه بعد يسُوءُك أتْبَعْتَه إيَّاهُ، فقلت: يَسُوءُك وَيَنُوءُك، مع

---

(١) ب: ياء.

(٢) ب، ع: فيحمل، وهذه الكلمة وما بعدها ساقطتان من ج.

(٣) ج: مع.

(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ (وفيه).

(٥) هكذا في ك، وهو الصواب كما نص عليه سيبويه ـ ٣٣٢/١، وفي بقية النسخ ينوءُك، ويَسُوءُك وهو خطأ، فلا يكون ينُوءُك مبتدأ.

(٦) م: يتبع.

(٧) ج: قرب.

(٨) ساقطة من ج، ع.

(٩) نص كلام سيبويه في كتابه ٣٣٢/١: «ولا تقول عَوْلَةٌ لك إلا أن يكون قبلها وَيْلَةٌ لك، لا تقول: عَوْلٌ لك حتى تقول: وَيْلٌ لك، لأن ذا يتبع ذا، كما أن ينوءُك يتبع يسُوءُك، ولا يكون ينوءُك مبتدأ» اهـ.

(١٠) ج: ينئك.

اختلاف المعنى فهم[1] فيما[2] اتفق معناه من هذا أجرى[3] أنْ يفعلوا فيه[4] ذلك. وماضي الفعل من الضراعة لا إدغام فيه، إنّما تقول تَضَرَّعَ، إذ لا حرف مضارعة فيه يُسَوِّغُ الإدغام. فلما ورد الماضي فيما بُنِيَ على آية الأنعام من قوله: ﴿فَلَوْلَآ[5] إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا [٧٥/و] تَضَرَّعُوا﴾[6]، ولا إدغام فيه لما ذكرنا، ورد الأول مفكوكاً غير مدغم، فقيل: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ رعْياً للمناسبة.

أما آية الأعراف، فلم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة، فجاء مدغَماً على الوجه الأخَفّ، إذ لا داعي لخلافه، والله أعلم.

١٠٦ ـ الآية الرابعة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (٥٠).

بتكرير ضمير الخطاب المجرور من قوله ﴿لَكُمْ﴾.

وفي سورة هود (٣١): ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، بغير تكرير الخطاب.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[7].

---

(١) ج: فهو.
(٢) ج، ب، هـ، ع، م: مما.
(٣) هـ: لحرى، ب: أجرا، ج، ع: أجرى.
(٤) ج، ب، ع: في.
(٥) ساقطة من الآية في ج، هـ، ع.
(٦) الأنعام / ٤٣.
(٧) ب: صيغة السؤال: يقال ما وجهه.

والجواب - والله سبحانه أعلم - أن الوارد في سورة هود، إنّما هو حكاية قول نوح عليه السلام، ملاطِفاً ومشفِقاً من حال قومه. ألا ترى استفتاح خطابه لهم بقوله: ﴿أرَأيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي وآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ - الاية[1]، وقوله: ﴿ويَا قَومِ لاَ أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾ - الآية[2]، وقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُني مِنَ آللَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿إني إذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]. فتأمل جليل ملاطفته عليه السلام لهم، وما يُفهَم من كلامه من عظيم الإشْفَاق من حالهم، وإرادته ما به نجاتهم من العذاب، ومن أخذهم بِمُرْتَكَبَاتِهم. فهذا كله استلطاف في الدُّعاء، لا يناسب تكرار كلمة تُفْهِم تعنيفاً أو توبيخاً، والتأكيد والتكرار يُفْهِم ذلك ويَرِدَانِ[4] حيث يُقْصَد.

وأما قوله تعالى في آية الأنعام: ﴿وَلاَ أقُولُ لَكُمْ إنّي مَلَكٌ﴾ فوارد طَيَّ[5] كلامٍ[6] أُمِرَ[7] صلى الله عليه وسلم بتبليغه عُتَاةَ قريش والعرب، توبيخاً لهم، وتقريعاً فقيل له[8]: ﴿قُلْ﴾، والمراد: قل لهم يا محمد: ﴿لاَ أقُولُ لَكُم عِنْدِي خَزَائِنُ آللَّهِ وَلاَ أعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أقُولُ لَكُمْ إنِي مَلَكٌ﴾ - الآية[9]، ولم يُؤْمَر أن يقول هذا لأبي بكر، وعمر، وخاصة أصحابه، وإنما عنى به مَن يقول: ﴿مَالِ هَـٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ[10] لَوْلاَ أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً. أوْ يُلْقَي إلَيْهِ كَنْزٌ أوْ

(١-٣) الأيات ٢٨، ٢٩، ٣٠-٣١ على الترتيب.

(٤) ج، هـ، ع: يرد - أن.

(٥) ب: على.

(٦) ساقطة من ب.

(٧) م، ك، ب: أمره.

(٨) م، ك: لهم.

(٩) محذوفة من ب.

(١٠) ما بعدها إلى آخر الأيتين ساقط من ب.

تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾[1]. فمن[2] يصدر عنه هذا وأشْبَاهَهُ [ممَّا][3] يَنْبَني على الإِزْرَاءِ، وفساد الظاهر والباطن[4]، فهُم المقُولُ لهم: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ ـ الآية، فتكرَّر فيها قوله: ﴿لَكُمْ﴾، تأكيداً يُفهِم التعنيف[5] ويناسب التوبيخ والتَّقريع.

ونظير هذا وإنْ خالفَه في تخصيص المخاطب بمقصود الكلام، وإنما قصد به تعنيف مُسْتَحِقِّي التعنيف ممَّن لم يخاطب، فهو من قَبِيل قولهم: إيَّاكَ أعْني واسْمَعِي يَا جَارَة، وقوله تعالى في خطاب [٧٥/ظ] عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي[6] وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾[7]. فتأمَّل تكرار قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِي﴾ وما يتضمن مِنْ توبيخ مَنْ جعل عيسى عليه السلام إلهاً واتَّخَذَهُ معبوداً، فخوطِب عيسى عليه السلام، وهو المحفوظ المعصوم مِن تَوَهُّم استبداد جَلَّ قدرُه صلى الله عليه وسلم[8] عن ذلك، ولكن هذا كما قيل له صلى الله عليه وسلم: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[9]، والمراد بذلك تقريع مَن اتَّخذَهُ عليه السلام إلهاً. ومِنْ أدْنَى مِن هذا مَا اجتمعت عليه هذه الآي من إشْعَار التقريع والتوبيخ، الحاصِلَيْن من التأكيد والتكرار، ثم يُصرَف ذلك في كل من

---

(١) الفرقان / ٧، ٨.

(٢) ج، هـ: مما، ع: ممن.

(٣) كل النسخ: ممن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) في ك فقط.

(٥) ب، م: التعقيب.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه كلمة «الآية».

(٧) المائدة/ ١١٠.

(٨) ب: عليه السلام.

(٩) المائدة/ ١١٦.

الآيتين لما[1] تُؤمِّلَ[2] له. ولمَّا لم يكن ذلك مقصوداً في آية هود، لم يَرِد فيها تأكيد ولا تكرار، وجاء كلٌّ من ذلك على ما يناسب والله أعلم.

١٠٧ ـ الآية الخامسة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٩٠).

وفي سورة التكوير (٢٧): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[3].

للسَّائل أن يسأل عن وجه ورود[4] الخبر بلفظ التأنيث في الأولى، والتذكير في الثانية، مع تذكير[5] المبتدأ [فيهما][6].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن آية التكوير لما تقدَّمها القَسَم على القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[7]، إلى ما وقع القَسَم به، ثم ورد ضمير المُقسَم عليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[8]، أي: إنَّ القرآن لقول رسول كريم، والمراد به جبريل عليه السلام ثم أُتبع بوصفه إلى قوله: ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾[9]، ثم قيل: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[10]، والإشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فنَزَّهَهُ تعالى عن قول أعدائه ونسبتهم إيَّاهُ إلى الجنون، ثم وصفه بأنه على الغيب الموحَى به إليه[11]، والمأمون[12]

---

(١) هـ، م: لمن، ج: لم.

(٢) هـ، ب: تأمل، م: تأهل.

(٣) الآية ساقطة من ج، هـ، م.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود..).

(٥) ب: التذكير.

(٦) جميع النسخ: (فيها) بالإفراد.

(٧ـ١٠) الآيات/ ١٥، ١٩، ٢١، ٢٢ على الترتيب.

(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ: الموحى إليه به.

(١٢) ج: المأمور.

على تبليغه، غير متَّهم ولا بَخِيل على القِرَاءَتَيْن[1]، فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ[2]﴾، ثم أعقب بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾، أي: وما القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب، ثم أُتبع بقطع تعلُّقهم فقيل: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[3]. أي: إنّ كل ما رُمْتُم مِن رَمْيِه عليه الصلاة والسلام به من السِّحر والجنون والتَّقَوُّل، لا يقوم شيء من ذلك على ساق، ولا يَتَوهَّم ذلك ذو عقل سليم ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، والضمير للقرآن، ولا يمكن وروده على خلاف هذا[4] لِمُنافَرَة التناسب، ومباعدة التلاؤم.

وأما آية الأنعام فتقدَّمها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ [٧٦/ و] وَالنُّبُوَّةَ، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[5]. فنُوسب بيْن[6] قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾، وبَيْن ما تقدم، فكأن التقدير: إنَّ هو، أي: الأمر والمراد المقصود، أو ما ذكر من الكتاب والحكم والنُّبوءة إلا ذِكْرَى. فمناسبة[7] ذكرى هنا لما تقدم بَيِّنَةٌ[8]. ولم يتقدم هنا ما يستدعي لفظ التذكير ويناسبه فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

---

(١) قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي: «بظنين»، وقراءة نافع، وعاصم وابن عامر، وحمزة «بضنين» في المصحف الثابت. راجع السبعة/ ٦٧٣، الحجة/ ٢٥٥.

(٢) م: بظنين.

(٣) آية / ٢٦.

(٤) ب: هذه.

(٥) الأنعام / ٨٩.

(٦) ب: من.

(٧) ك: فناسبه.

(٨) ب: بيانه.

١٠٨ ـ الآية السادسة عشرة (غ) قوله سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢).

لم يُقْرَأ هنا بغير هذا اللفظ، وكذا في المعارج[١]. وفي سورة المؤمنين[٢]، في قراءة الجماعة إلاَّ الشَّيْخَيْن: ﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، بالجَمْع[٣].

فللسائل أن يسأل عن وجه[٤] ذلك.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن ذلك مناسب لِمَا اكتَنَف هذا الوصف في آية سورة المؤمنين لمَّا كان ذِكْر محافظتهم على صلاتهم قد اكتنفه ما تقدمه، وما تَأَخَّر عنه من تفخيم الوصف في المتقدِّم[٥]، وتفخيم الجزاء في المتأَخِّر، ناسب ذلك تفخيم العبارة عن فضلهم[٦]، فورد بلفظ الجَمْع في قراءة الأكْثرِين، فقيل ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾[٧]. أما تفخيم[٨] الوصف المتقدم، فذكرهم بالفلاح، وهو الظَّفر المراد، والبقاء[٩] في الخير، وذكرهم بالخشوع في صلاتهم، وإعراضهم عن اللَّغْو، ولم يقع في متقدم

(١) آية ٣٤، ونصُّها ﴿والَّذين هُمْ على صَلاتِهِمْ يحافظون﴾.
(٢) آية ٩ ونصّها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُونَ﴾.
(٣) الشيخان هما حمزة والكسائي، وزاد ابن الجزري «خلف» في قراءة «صلاتهم» بالتوحيد، والجماعة على قراءة: صَلَوَاتِهِمْ بالجمع. انظر النشر ٢/٣٢٨، السبعة/ ٤٤٤.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).
(٥) ك: المقدم.
(٦) ك: فعلهم.
(٧) راجع: الحجة/ ٢٥٥، والاتحاف/ ٣١٧.
(٨) ب: أمر الوصف.
(٩) ك: الفنار.

وصفهم في سورة المعارج ما يُوازِنُ هذه الأوصاف. وأما آية الأنعام فلم يتقدم فيها غير ذكرهم بالإيمان فقط.

وأما نَعْتُهُم الوارد في جزائهم، فوصفهم بأنهم الوارِثون، ثم تخصيصهم بإرْثِ الفِرْدَوْس ـ وهو أعلى الجنة، منه تنفجر أنهار الجنة ـ ووصفهم بالخلود فيها[1]، ولا يوازَن[2] هذا بقوله عقب آية المعارج: ﴿أُوْلَـٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[3].

وأما آية الأنعام، فلم يرد فيها ذكر جزائهم. فوردت[4] [بلفظ] الجميع في آية سورة المؤمنين، وإنْ لم يُقْرأ بذلك في الأُخْرَيَيْن[5]، وظهرت مناسبة ذلك، والله أعلم.

١٠٩ ـ الآية السابعة عشرة (غ)[6] قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٩٤).

وفي سورة الكهف (٤٨): ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. ومَرْمَى الآيتين واحد. فيُسأل[7] عن زيادة فُرادَى في سورة الأنعام[8].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن ذلك مراعىً فيه في آية الأنعام ما أُعقبت به

---

(١) ساقط من ب.
(٢) ج، هـ، ب، ع: لا يوازن ـ بلا واو.
(٣) آية/ ٣٥.
(٤) هـ،م: فرحت، ب: رحة، ج، ع: بياض.
(٥) الأخرتين (؟).
(٦) ساقطة من ع.
(٧) م: يسأل.
(٨) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن ذلك..).

من قوله: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[1]، أي أعطيناكم من الدنيا ما شغلكم عن آخرتكم. ثم قال: ﴿وَمَا [٧٦/ظ] نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[2]. أي: منفردين عمّا كنتم تؤمّلون من أنْدَادِكُم ومعبوداتكم من دونه سبحانه. فَلِرَعْيِ هذا المعقب به في سورة[3] الأنعام ما[4] قيل فيها: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾. أما[5] آية الكهف، فقبله[6] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[7]، ثم قال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أي: مجرَّدين من[8] كل متعلَّق، ولم يقع هنا ذكر ولا إشارة إلى ما عُبِدَ من دون الله، فلهذا لم يقع هنا فُرادَى، وذلك بَيِّنُ التناسب، وعكس الوارد لا يناسب، والله أعلم.

١١٠ ـ الآية الثامنة عشرة[9]، قوله تعالى:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٧).

وبعد هذه (٩٨): ﴿لَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، ثم بعد هذه (٩٩): ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[10] اختلاف هذه الأوصاف التَّابعة في الآي الثلاث.

---

(١) ، (٢) آية/ ٩٤.
(٣) ك: آية.
(٤) ساقطة من ج، ع.
(٥) مكانها بياض في ج.
(٦) ج: قبلها.
(٧) الكهف/ ٤٧.
(٨) ك: عن.
(٩) ساقطة من ك.
(١٠) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف...).

والجواب أنه لمّا تقدم الآية الأولى قوله جلّ وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1]، فذكر سبحانه من المُعتَبرات التي يُتوصَّلُ بالنظر فيها إلى معرفة وحدانيته تعالى ما يحصل الاطلاع عليه، تعقُّلاً وتنقّلاً، ويستند في كثير منها إلى التعاون في تعرُّفه، والاطلاع عليه مَن تقدمت لديه المعرفة، فيحصل في ذلك عِلْمٌ منقول فيما يتعلق بذات المتعرِّف المطلُوب به الاستدلال أو في أدواته[2] موصِّلة إليه، إذ ليس عِلمُ ذلك راجعاً إلى مجرد الفكر والتَّفَطُّن. ألا ترى أن إدراك العلم بنجوم[3] السماء وتفصيل ذلك بتعيين الكواكب الثابتة والسُّيَّارة والمتنقِّلة في أبراجها، وخُنُوسِ الخمسة منها واشتراكها مع الشمس والقمر في انتقالها في منازلها مختلفات الحالات في السرعة والبطء[4]. فكم بَيْنَ قطع القمر الفلك في ثمانٍ وعشرين[5] ليلة، وقطع زُحُل إيَّاه في ستٍّ[6] وثلاثين سنة، جارية في أفلاكها من غرب إلى شرق، وقذف الفلك الأعظم بالكل من شرق إلى غرب على العكس[7] ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[8]. وبتعرُّف[9] هذا القِسْط ممَّا ذكرنا[10]، يتحصل للمعتبر الاهتداء بها على الكمال في ظلمات البَرِّ والبحر بعدد السنين والحساب. والقلب في كثير من

---

(١) الأنعام/ ٩٧.
(٢) ك: أدوات.
(٣) ع: لنجوم.
(٤) ك: البطى، وبقية النسخ: البطو.
(٥) هـ، م، ب: وثلاثين، وساقطة من ج.
(٦) ج، هـ، ع، م: ستة، وساقطة من ك.
(٧) زاد بعدها في ج (مِنْ).
(٨) يس/ ٣٨.
(٩) هـ، م، ج، ب، ع: يتعرف.
(١٠) ج، ب، ع: ذكر بما.

هذا الضرب مُدْرِكٌ على النظر[1] فيما يُنْهِيه إليه، فصار هذا الضرب من المُعْتَبَرات الدالة على الصانع تعالى، كالمخبَر به الحاصل بوساطة من خارج، فمناسب[2] ذلك التعبير عن[3] المتذكَّر به بالعلم الذي موادُّه[4] ومحصِّلاته الخبر القاطع، مع النظر السَّدِيد[5]. فقيل في ختام هذه الآية: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقيل ما معناه: إنّ الوارد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[6]، تنبيه على معرفة [٧٧/و] الله تعالى والعلم به، وبوحدانيته وهو أشرف معلوم، فأُعْقِب بأشرف ما يوصف به المعْتَبِرُون، فقيل: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. وذلك أعلى من الوصف بقوله: تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، و﴿لِقَومٍ يُؤْمِنُون﴾ ولذلك[7] ورد[8] وصفه تعالى بالعلم؛ ولا يوصف سبحانه بالفِقْه ولا العقل. فلما كان العلم أشرف المعلومات[9]. عبّر عن الأيات التي نُصِبَت[10] للدلالة عليه باللفظ الأشرف، انتهى. وهو قول حَسَنٌ والتناسب فيه واضح.

وأما الآية الأخرى فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن

---

(١) م، ب، ك، ع: البصر.
(٢) ك: فتناسب.
(٣) ج، هـ، م، ك: على.
(٤) ج: مواد - مواده (هكذا).
(٥) م، ب: الشديد.
(٦) الأنعام/ ٩٥ - ٩٨.
(٧) ب: كذلك.
(٨) هـ، م، ك: ما ورد.
(٩) ك: المعلوم.
(١٠) ج، م: نصب.

نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[1]، ومرجع العلم بنشأة الإنسان، وتقلُّبه من صُلْبٍ إلى رَحِمٍ، وارتباط أعضائه الظاهرة والباطنة، وجميع أجزائه، وتصرُّف كل عضو فيما له خلق، واحتياج الأعضاء بعضها إلى بعض[2]، وجرى ما وُكِّلَ منها بغذاء[3] الإنسان اجتذاباً وانتحالاً[4]، وطبخاً، وتقسيماً وتجزئة على الأعضاء، وإتقانُ كُلِّ عضو منها، وَجرى [كُلٍّ] لما[5] يُسِّرَ[6] له، إلى غير هذا مما يبسُطه مَن تكلم في التشريح. فالعلم بهذا كلّه جملة وتفصيلاً، مما لا يحصل بالسمع ولا بالبصر، وإنما يُطَّلَعُ عليه بالاعتبار والتفكُّر من ذوي الفِطَنِ السالمة[7]، والنظر العقلي السَّديد[8]، والفهم المصيب؛ فناسب هذا قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. والفِقْه[9]: التَّفهُّم والتَّفَطُّن، وذلك من جملة ما أُلْهِم[10] إليه وأشار، قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[11].

وأما الآية الثالثة فإنه سبحانه لما ذكر[12] إنزال الماء من السماء، وإخراج النبات به في[13] قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ

---

(1) الأنعام/ ٩٨.
(2) ساقطة من ج، هـ.
(3) هـ، ب: بعد ومكانها بياض في ج، ع.
(4) ج: لو انتحاه، ب: انتحالاً.
(5) ب: إلى.
(6) م: يسير.
(7) م: والتفطن من ذوي الفكر السليمة.
(8) م، ك: الشديد.
(9) ج، ك، ب، ع: فالفقه.
(10) ك: فهم.
(11) الذاريات/ ٢١.
(12) ج، ع: فإنه تعالى ما ذكر سبحانه.
(13) ج، ع: بقوله وساقطة من ب.

النَّخلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾[1]. فلمّا ورد[2] هذا كان مذكِّراً بالبعث الأُخراويّ والنشأة الثانية، كما قال تعالى في سورة[3] الأعراف: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4] وإنّما يحصُل العلم بذلك وبسائر أمور الآخرة من قِبَلِ الرسل عليهم الصلاة والسلام، والإيمان بهم، وبما جاءوا به، فقال[5] تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[6]، أي: يصدِّقون بالبَعْثِ، وأنه تعالى كما بدأهم يعودون. فقد وضحت مناسبة هذه الآيِ الثلاث لِمَا أُعقِبت[7] به، والله سبحانه أعلم.

١١١ - الآية التاسعة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ [٧٧/ ظ] انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (٩٩).

وورد فيما بعدُ من هذه السورة (١٤١): ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

فورد في الآية الأولى: ﴿مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾، وفي الثانية: ﴿مُتَشَابِهاً﴾. وفي الأولى: ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾، وفي الثانية: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، فيُسأل[8] عن

(١) الأنعام / ٩٩.
(٢) هكذا في ك، وبقية النسخ (أورد).
(٣) ك: آية.
(٤) آية / ٥٧.
(٥) ج، ع: قال.
(٦) الأنعام / ٩٩.
(٧) م، ك، ب: أعقب.
(٨) ك، ب: يسأل.

المختلف في الآيتين مع اتحاد مَرمَاهُما.

والجواب عن الأول[1] إنّ مُشْتَبِهاً ومتشابهاً، لا فرق بينهما، إلاَّ ما لا[2] يُعَدُّ فارِقاً إذ الافْتِعَالُ والتَّفاعُلُ متقاربان: أصولهما الشين، والباء، والهاء من قولك أشبه هذا هذا، إذا قارَبَه[3] و[ماثَلَه][4]. ورد[5] في أولى الآيتين على أخف البِنَاءَيْن، وفي الثانية على أثقلهما، رعياً للترتيب المتقرر، وقد مرّ نحو هذا في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ في البقرة، وقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾ في سورة طه.

والجواب عن الثاني، أن قوله تعالى في الأولى: ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾، مَبْنِيٌّ[6] على ما قبله فيما بَنَاهُ على الاعتبار، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ ـ الآية، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ ـ الآية[7]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا[8] فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ـ الآية[9]، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ـ الآية[10] ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[11]. فلمّا كان مَبْنَى هذه الآي على

---

(١) ج، هـ، ب، ع: الأولى.

(٢) ساقطة من ج، م، ب، ع.

(٣) زيادة في ك فقط.

(٤) ب: ومثله، وبقية النسخ: مثاله، وما أثبتناه الصواب.

(٥) زيادة في ك فقط.

(٦) ب: فمبني.

(٧) الأنعام/ ٩٦.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ج، ب، ع.

(٩-١١) الأنعام/ ٩٧، ٩٨، ٩٩ على الترتيب.

الاعتبار والتنبيه بما نَصَب تعالى من الدلائل على وحدانيته، لم يكن ليناسب ذلك ويلائمه إلاّ الأمر بالنظر والاعتبار، لا الأمر بالأكل.

أما الآية الثانية، فمبنية على غير هذا، وقد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾[1]، أي: مَنْعٌ لا يَطْعَمُهَا إلاّ من نشاء، وجرى ما بعده[2] على التناسُب إلى قوله[3]: ﴿وَهُوَ الَّذِي[4] أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. ثم قال بعد ذكر الأنعام ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وجرى ما بعد هذا في تفصيل ما أَحَلَّ سبحانه لعباده، ورَدِّ ما ظَنَّتْ يهودُ تحريمَه على هذه الأمة. ثم أتبع سبحانه بذكر ما حرّم أكله فقال لنبيه عليه الصلاة[5] والسلام: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً[6] أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً﴾ ـ الآية[7]. ثم أتبع سبحانه بما حرّم على بني [٧٨/و] إسرائيل أكلُه فقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ ـ الآيات[8]، فلم يتخلل هذه الآيات من غير أحكام المأكولات في التنويع والإباحة والتحريم خلاف ذلك سوى الأمر بزكاة الحرث في قوله تعالى[9]: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، فدارت هذه الآي على تفصيل ما أنعم به سبحانه على عباده من ضروب ما خلقه تعالى

---

(١) الأنعام/ ١٣٨.

(٢) ك: بعد.

(٣) هـ، م، ج، ب، ع: لقوله.

(٤) ساقط من الآية في ج.

(٥) في ب فقط.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٧) راجع الآيات / ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، من سورة الأنعام على الترتيب.

(٨) الأنعام/ ١٤٦.

(٩) ساقط من ك.

ممَّا أقام به حياة عباده مأكلاً، وملبساً ومعُونة في حركاتهم وانتقالاتهم، ومُباحِ ذلك ومحرّمه، فلم يكن ليلائم ذلك إلاّ ما يناسبه[1]، ولم يكن ليناسب الآية المتقدمة لو قيل: كُلُوا، ولا هذه الآية لو قيل: انظروا. فجاء كل على ما يجب ويلائم، ولا يناسب خلافه، والله أعلم.

١١٢ ـ الآية الموفية عشرين[2] قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢).

وفي سورة غافر (٦٢): **﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾**.

للسائل أن يسأل عن[3] وجه التَّقديم والتَّأخير فيما قدَّم وأخَّر في هاتين الآيتين. والجواب عن ذلك أن آية الأنعام لما تقدم فيها قوله تعالى: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ[4] وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**[5] وقوله تعالى: **﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾**.[6] كان الملائم نَفْيُ ما جعلوه وما ادَّعُوهُ من الشُّرَكاء والصَّاحِبَة[7] والولد فتقدم ما الأمر عليه من وحدانيته سبحانه وَتَعَالِيهِ عن الشركاء والولد فقال: **﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا**

---

(١) م: يناسب.

(٢) هـ: الموفية التاسعة عشرة، ك: التاسعة عشرة.

(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٥) آية/ ١٠٠

(٦) آية/ ١٠١

(٧) ج: المصاحبة.

هُــوَ﴾[1]، وعرّف العباد بعدُ بأن كل ما سواه سبحانه خَلْقُه ومِلْكُه فقـدم الأهَمَّ[2] في الموضع.

وأما آية غافر فتقدمها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[3]، ثم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾[4]. فلمَّا تقدم ذكر الخلق الأعظم ولم يتقدم هنا ما تقدم في آيـة الأنعام، أتبع بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شيء، فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب وأهَمّ. ثم أعقب بالتعريف بوحدانيته تعالى؛ فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولم تكن واحدة من الآيتين لتناسب[5] ما تقدَّم الأخرى، والله سبحانه أعلم.

١١٣ ـ الآية الحادية والعشرون[6] قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٢)

وورَد[7] بعـد هذا (١٣٧): ﴿وَلَـوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَـا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَـا يَفْتَرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[8] اختلاف الاسْمَين في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) آية / ١٠٢.
(٢) م، ب: الأعم.
(٣) آية / ٥٧.
(٤) آية / ٦١.
(٥) ب: تناسب، ج، هـ، م: ليناسب.
(٦) هـ، ك: الآفية الموفية عشرين.
(٧) إلى آخر الآية ساقط من م، ك.
(٨) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).

والجواب عن ذلك أنّه لمّا تقدم الآية [٧٨/ظ] الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا[١] مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ﴾[٢]، فعرَّف الله سبحانه نبيه عليه السلام بما سبق لهؤلاء، وما قدَّره تعالى عليهم في الأزَل حتى لا يُجْدِي[٣] عليهم شيء، ولا ينفعهم تَذْكار. فلما تقدم من المقدّر على هؤلاء ما يثير أشد الخوف كان مظنة إشفاق، فآنس نبيّه صلى الله عليه وسلم، ولاطفه بإضافة اسم ربوبيته سبحانه لنبيه[٤] عليه السلام مخاطباً فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، فسَكَن جَأْشُه، وتلطُّف في تأنيسه[٥] عليه السلام، وتأنيس أمّته بأنْسِه. ولمّا لم يقع قبل الآية بعد مثل هذا، وإنما قبلها: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ[٦] شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، وليس هذا في اقتضاء الحَتْم عليهم، المُؤذِن بقطع الرجاء منهم، كقوله في الأولى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةَ﴾ ـ الآية[٧]، فلذلك قال عقب الآية الثانية: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ فجاء باسمه الأعظم تعالى من غير إضافة، إذ ليس هذا مثل الأوّل[٨]. ولو ورد الاسم الأعظم أوّلاً، والاسم الكريم المضاف إليه ثانياً، لَمَا ناسب[٩]، والله سبحانه[١٠] أعلم.

---

(١) إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».
(٢) الأنعام/ ١١١.
(٣) ج، هـ، ب: يجري.
(٤) ك: لصبره.
(٥) ج، ع: تنابه.
(٦) إلى آخر الآية محذوف من ك.
(٧) الأنعام/ ١١١.
(٨) ج، هـ، ب، ع: الأولى.
(٩) ك: زاد هنا وعلى ما تمهد.
(١٠) محذوفة من ج، ع.

١١٤ - الآية الثانية والعشرون[1] قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧)

وفي سورة النجم (غ)[2] (٣٠): ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، بزيادة الباء في ﴿مَنْ﴾ مِنْ[3] قوله: ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وكذا في سورة القلم[4]، بخلاف ما في آية الأنعام. وفي آية الأنعام أيضاً «يُضِلُّ»[5]، بياء المضارعة، وفي الأُخرَيَيْن «ضَلَّ». ففي هذا سؤالان:

أحدهما: زيادة الباء في آيتي النَّجم والقلم، وسقوطها في آية الأنعام.

والثاني: ورود الماضي في النَّجم والقلم[6]، وورود المضارع في آية الأنعام.

والجواب عن الأول، أن سقوط الباء الداخلة على «مَنْ» في آية الأنعام، إنما ذلك - والله أعلم - لاستثقال زيادتها مع الزيادة اللازمة للمضارع مع التقارب إيثاراً للإيجاز والتخفيف، أما آيَتَا[7] النجم والقلم، فلا زيادة في الفعل، لكونه ماضياً فزيدت[8] [بَاءُ][9] التأكيد، الداخلة على من. ويشهد لهذا إطراد زيادتها في الآيتين لورود الماضي فيهما بخلاف آية الأنعام.

---

(١) هـ، م، ك: الحادية والعشرين.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) آية/ ٧، ومثله الآية ١٢٥/ من سورة النحل ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾.

(٥) ساقط من ج، هـ، ع.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) هـ، ج، ب، ع: آية.

(٨) ك: فزيد.

(٩) هـ: تاء، ب: تاء التوكيد وبقية النسخ: باء التأكيد.

والجواب عن الثاني أن آية الأنعام قد اكتنفها من غير الماضي من الأفعال والأعلام ممّا[1] يكون قطعياً[2]، أو يُتوقّع في المآل ما يقتضي المناسبة في النَّظْم. ولو ورد[3] غير الماضي هنا لَمَا ناسب ولا لاءَمَ[4].

وأما آية النجم فمبنية على مطلع السورة من قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ [٧٩/ و] صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[5] فقال مشيراً إلى حالهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، فبرّأ نبيّه صلى الله عليه وسلم مما نسبوا إليه. وأثبت لهم ذلك بكناية وتعريض أوقع في نفوسه من الإفصاح بتعنيفهم[6].

وأما آية القلم، فإنه لما تقدم فيها، قوله تعالى[7]: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ. بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[9]، وتعريفاً بكذبهم في قولهم حين نسبوه إلى الجنون أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فسَجَّلَتْ هذه الكناية[10] [ضَلاَلَهُمْ][11] وكذِبَهم، وتناسب[12] هذا كله أوضح تناسب[13].

---

(١) ك: ما، هـ، م، ب: مما.
(٢) ك: قطعاً.
(٣) ج، هـ، م: ولورود.
(٤) ك: ولا ـ لام، ب: ولا ـ لأم.
(٥) الآيتان/ ١، ٢.
(٦) هكذا في م وبقية النسخ: بتعيينهم.
(٧) قوله تعالى: ساقط من ج، ع.
(٨) آية / ٢.
(٩) الآيتان/ ٥، ٦.
(١٠) ج، هـ، ع: الآية.
(١١) جميع النسخ: بضلالهم.
(١٢) ب: وناسبت، ج، هـ، م، ع: وناسب.
(١٣) ب: زاد هنا (والله أعلم).

١١٥ ـ الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢)

وفي سورة يونس (١٢): ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ للسائل أن يسأل عن الفرق[1].

والجوابَ عنه أنه[2] لما تقدم قبل آية الأنعام قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[3]، والمراد: أومن كان ميتاً في غَمَرَاتِ الجهل والكفر فأحييناه بنور الإيمان والعلم كمن مثله في الظلمات، أي في ظلمات الجهل والكفر متمادياً على غَيِّه غير مُقلِع عن كفره، لا يُجدِي[4] عليه إنذار، ولا ينتفع بوعظ التذكار، فسواء في حقه الإنذار وعدمه. فلما ذكر في هذا الطرف مَن لم يَشِم بَارِق إيمان، وسجَّل بعدم خروجه عن مقتضى مُوبِقَاتِه في شنيع ذلك الخذلان، أعقب بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فوُسِمَ بكفره لليأس من خيره.

أما آية يونس فقد تقدم قبلها: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسَانَ الضُّرُّ﴾[5] والمراد هنا جنس الإنسان، ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ، أَوْ قَاعِداً أو قَائِماً﴾[6]، أي: دعانا على أي حال كان على مقتضى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[7]. ثم قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلى ضُرٍّ

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).
(٢) ساقط من ج، هـ، ع.
(٣) آية / ١٢٢.
(٤) ج، هـ، ع: ولا يجدي، ب: لا يجري.
(٥)، (٦) آية / ١٢.
(٧) النحل/ ٥٣.

مَّسَّهُ﴾(1)، فذكر سبحانه من حال الإنسان، حال مُتذكِّرٍ، داعٍ عند مَسِّ الضُرِّ، غير مشرك، ولا كافر حال دعائه. ففي حاله في دعائه عند الضر ومروره في المخالفات أو الغَفْلة(2) عند كشْفِهِ شَبَهٌ من حال المقُول فيهم: ﴿خلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾(3). فاعقب ذكر هذا الضرب بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسرِفِينَ مَا(4) كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فشبُهت أحوالهم بأحوال المسرفين ليزدجر المؤمن، ويستعيذ من مثل تلك الحال، ويَدْأَبَ [79/ظ] على الطاعة والتضرُّع إلى الله سبحانه والمسرف هنا ـ والله أعلم ـ يحتمل أن يراد به المسرف في المعاصي دون الكفر. والمسرف في كفره المقُول فيه، وفيمن كان على حاله: ﴿وَأَنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾(5). فعدل في آية يونس عن أن يقول(6) للكافرين، إلى قوله: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾، لما في صفة الإسراف من الاحتمال لمناسبة ما تقدمه من تقلُّب حَالَتَي الإنسان عند مس الضر إياه وكشفه عنه.

أما آية الأنعام فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(7)، فإنما ذكر في هذه الآية طرفان قد بُولِغ فيهما وهما المجعُول له نور يمشي به في الناس لا يفارقه، والمتخبِّط في ظلمات لا يخرج منها، فلا يمكن أن تكون حالٌ أسوأ من حال هذا، لأن ذكر الطرفين لا واسطة بينهما؛ يقتضي من حيث البلاغة النهاية في كل طرف فعبَّر هنا

(1) يونس/ 12.
(2) ج، هـ، ع: والغفلة ـ بالواو.
(3) التوبة / 102.
(4) إلى آخر الآية زيادة في ب فقط.
(5) غافر/ 43.
(6) ج، ك، ب، ع: يقال.
(7) آية/ 122.

بصفة[1] الكفر. أما حال المسرف من حيث ما ذكرنا من الاحتمال، فدون حال المتخبِّط في الظلمات. فعلى هذا يحتمل أن يكون الإسراف فيما دون الكفر فيكون[2] المتَّصِف به غير منقطع الرجاء، إذ[3] لم يبلغ الكفر. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[4] فشَتَّانَ ما بين مسرف رَاجٍ، ومتخبط في ظلمات كفر دَاجٍ، فجاء كل على ما يناسب، ولم يكن ليناسب العكس بوجه، والله سبحانه وتعالى[5] أعلم.

١١٦ ـ الآية الرابعة والعشرون[6] قوله تعالى:

﴿ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾ (١٣١).

وفي سورة هود (١١٧): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. فقال[7] في الأولى: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، وقال في الثانية: ﴿وأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن الفرق في الموضعين.

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم هنا قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ

---

(١) ج، هـ، م، ع: بصيغة.
(٢) ساقط من ج.
(٣) ج، م: أو لم.
(٤) الزمر/ ٥٣.
(٥) ساقط من هـ، م، ك، ب.
(٦) هـ، ك: الثالثة والعشرون.
(٧) إلى قوله «في الموضعين» في الموضعين محذوف من ب، وفي موضعه (يقال ما الفرق بين الآيتين والجواب...).

وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ[1] عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا[2]﴾[3]. فقدم سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس، وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات، وتعريف الخلق بالجزاء الأُخراوي، على مقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[4]. فلا[5] عذر لذلك. وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾[6]،فلم يتركوا سدى، ولا عذر لمُغْضٍ ولا[7] متغافل[8] بعد تنبيهه[9]. ﴿ذَٰلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، فهذا مناسب. وتقدم آية هود قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا[10] قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[11]. [٨٠/و]، ولو كانوا يَنْهَوْنَ عن الفساد في الأرض لكانوا مصلحين، فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. فقد ناسب كلاً من الآيتين ما أعقبت به، ولم يكن ليناسب آية الأنعام، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ولا آية هود: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، والله أعلم بما أراد. وسيذكر إن شاء الله فَرْقُ مَا بَيْنَ قولك ﴿مُهْلِكَ﴾، فعبَّر باسم الفاعل وبين قولك[12]: ﴿لِيُهْلِكَ﴾، بلام الجُحُود

(١) إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».
(٢) ساقط من م، ك.
(٣) الأنعام / ١٣٠.
(٤) الإسراء / ١٥.
(٥) إلى قوله «ولا عذر» ساقط من ك بانتقال النظر.
(٦) المائدة / ١٩.
(٧) ساقط من ج، ك.
(٨) ساقطة من ج.
(٩) ك: تنبيه.
(١٠) ما بعدها إلى قوله: ﴿الفساد في الأرض﴾ ساقط من ج، م، ب، ع.
(١١) هود / ١١٦.
(١٢) ك. قوله.

الداخلة على الفعل المستقبل في سورة هود[1] إن شاء الله تعالى[2].

١١٧ ـ الآية الخامسة والعشرون (١٠) قوله تعالى:

﴿[قُلْ] يَـٰقَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥).

وكذا في سورة الزمر[3]، وفي قصة شعيب عليه السلام من سورة هود (٩٣): ﴿وَيَـٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. فانفردت آية هود هذه بمجيء حرف التَّسويف[4] عَرِيًّا عن اقتران فاء[5] التعقيب[6] بخلاف الأُخرَيَيْن مع اتفاق الآيات في التهديد، وحرف التسويف[7].

للسائل أن يسأل عن ذلك[8].

والجواب عن ذلك[9] ـ والله أعلم ـ أن هذه الآيات الثلاث، وعِيدٌ لمن كفر وكذَّب، وآية الأنعام والزُّمر منها أريد بهما كفار العرب من هذه الأمة، وقد افْتُتِحَتَا[10] بأمره سبحانه لنبيه عليه السلام بوعيدهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، فقَوَّى[11] في هاتين الآيتين

(١) آية / ١١٧.
(٢) ساقطة من ك.
(٣) هـ: الرابعة والعشرون.
(٤) آية / ٣٩.
(٥) ج، ع: التنفيس.
(٦) م: ما.
(٧) م: أعقبت، وزاد في ك بعدها: به.
(٨) ب: التسوية.
(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك).
(١٠) الجار والمجرور ساقطان من ب.
(١١) ج، هـ، ب، ع: افتحها.
(١٢) ج: قوى.

تقدير معنى الشرط المُنْجَرّ[1] تقديره في الأوامر نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[2]، لافتتاحها بأمره تعالى لنبيه عليه الصلاة[3] والسلام، ثم أمره عليه السلام لهم في قوله: ﴿اعْمَلُواْ﴾: فاعتَضَد ما يستدعي الجَوَابيَّة بالفاء. فوردت في الجواب المَبْنِيّ على الشرط المقدَّر بعد هذا الأمر[4] على أحد مَأْخَذي[5] النحويين، أو الذي تضمَّنته[6] الجملة، ونابَتْ مَنَابَهُ على القول الآخر.

ولَّما كانت آية هود إخباراً عن قول شعيب عليه السلام لقومه وإنْ تضمَّنت أمرهم إلّا أنّه إخبار لنبينا عليه الصلاة والسلام، فضعُف فيها تقدير الشرط، فلم تدخل الفاء، وجاء كل على ما يجب ويناسب[7]، والله أعلم.

١١٨ ـ الآية السادسة والعشرون[8] قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (١٤٨).

وفي سورة النحل (٣٥): ﴿لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

---

(١) ج، هـ، ب، ع: المنجز.
(٢) إبراهيم/ ٣١.
(٣) ساقطة من ك.
(٤) م: هذه للأمر.
(٥) ج، هـ، ك: مآخذ.
(٦) ك: تضمنه.
(٧) ساقط من ك.
(٨) هـ، م، ك: الخامسة والعشرون.

للسائل أن يسأل[1] عما اختلف [٨٠/ظ] في هاتين الآيتين[2]، مع أنّ المقصود واحد.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنّه لما تقدم آية الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾[3]، وهذا إخبار عن بني إسرائيل فيما حرّم عليهم. ثم ورد بعدها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا﴾[4]، وهو خطاب لهم أيضاً فقد اكتنف الآية المذكورة ما مَرجِعُه إلى بني إسرائيل مما حرّم عليهم وما ألحقوه[5] بذلك تحريفاً وتبديلاً، ووردت الآية المتكلَّم فيها مورد ما يَرِد من الجُمَل الاعتراضية، لاتصال ما قبلها بما بعدها[6]، فلم يكن ليلائم ذلك الإسهاب وطول الكلام، إذ الوجه فيما يراد اعتراضاً أن يُوجَزَ[7].

وأما آية النحل فلم يتقدمها خطاب[8] لغير العرب، مؤمنهم وكافرهم، وقد أطنَب في تذكيرهم ووعظهم وبسط لهم ذكر نعم ودلائل، فناسب ذلك الإسهاب الوارد فيها من قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. ولم يكن ليناسب آية الأنعام ما ورد هنا، ولا الوارد هنا ذلك الإيجاز، والله[9] أعلم.

---

(١) أنْ والفعل ساقطان من هـ.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الآيتين..).

(٣)، (٤) الأنعام/ ١٤٦، ١٥٠ على الترتيب.

(٥) ك: لحقوه.

(٦) هـ، ك: ما بعدها بما قبلها.

(٧) ك: يؤخر.

(٨) مكرر في ج، م، ك.

(٩) ك: زاد بعدها «سبحانه».

١١٩ ـ الآية السابعة والعشرون[1] قوله تعالى[2]:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (١٥١).

وفي سورة بني إسرائيل[3] (٣١): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾. ففي الأولى: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، ﴿وَنَرْزُقُكُمْ﴾، بتقديم ضمير المخاطبين، وفي الثانية: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، و﴿نَرْزُقُهُمْ﴾، بتقديم ضمير الأولاد، ثم عطف ضمير المخاطبين.

للسائل أن يسأل عن[4] وجه هذا الاختلاف في الآيتين مع اتحاد المقصد فيهما.

والجواب عن ذلك[5] ـ والله أعلم ـ أن المخاطبين بآية الأنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حين فعلهم ذلك. فالحامل لهم على قَتْلِهم[6] قد كان حاصلاً حين قَتْلهم فقيل: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، أي: من أجل الإملاق الحاصل، ثم قيل لهم: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فقدم رزقه تعالى لهم بحصول كذبهم في الحال ليكون أمنع لهم وكأن السياق يُشْعِرِ بتَشْفِيع[7] الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين. فكأن قد قيل لهم[8]: إنَّما ترزقون بهم،

(١) هـ، ك: السادسة والعشرون.
(٢) ساقطة من هـ.
(٣) هي سورة الإسراء.
(٤) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن...).
(٥) الجار والمجرور محذوفان من ب.
(٦) ج: فعلهم.
(٧) ك: بتشنيع.
(٨) هنا خَرْمٌ في نسختي ج، ع، قدره ثلاث عشرة صفحة في بقية النسخ ينتهي أثناء الآية السادسة =

فلا تقتلوهم، فتأكد تقديم ضمير الآباء لهذا الغرض.

وأما الآية الأخرى فقصد بها كفار العرب، وكان وَأْدُهُم البنات خشية الفقر المتوقَّع والعجز عن مَؤُونَتِهِنَّ[1] فيما يتوقعونه مستقبلاً. فقيل: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ فجُعلت الخشية هي العِلَّة في فعلهم فانتصبت [٨١/و] ذلك والمَعْلُول الذي هو الإملاق لم[2] يقع بعدُ. وضَمِنَ تعالى لهم رزقهم، ورزق أولادهم، ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتَهم[3]، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد، ثم عطف عليه ضمير الآباء، وكان الأهم[4] هنا، فقُدِّم[5]، وجاء كل في الموضعين على ما يجب ويناسب، والله أعلم[6].

١٢٠ - الآية الثامنة والعشرون[7] قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١).

وفي الآية تِلْوِها (١٥٢): ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي الثالثة تَلِيها (١٥٣): ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[8] الاختلاف في العِلَل بهذه[9] الآيات.

= من سورة الأعراف. وقد كتب الناسخ في ج: «وجد بياض بالأصل قدر ورقتين»، وترك الناسخ في ع بقية هذه الصفحة والصفحات الثلاث التاليات بيضاوات.

(١) م: مؤنتهن.

(٢) ك: ولم.

(٣) هـ، م: خشيته.

(٤) هـ، م: الاسم.

(٥) هـ، م: مقدم.

(٦) والله أعلم: محذوف من ب.

(٧) هـ، ك: السابعة والعشرون.

(٨) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه..).

(٩) ك: المعلل به في هذه.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه[1] لمَّا كانت الخِلال[2] الخمس في الآية الأولى وهي: الشِّرك، والعُقُـوق، وقتل الأولاد لأجـل الفقراء، وارتكاب الفواحش، وقَتْل النفس التي حرَّم الله بغير الحق، خمستها[3] مما يدرك العقل ابتداء قبحهـا، ويستقل بِدَرْكِهَا؛ أعني أن العقل يستوضح قبحاً شرعياً[4]، لبيان أمرها في استقباح الشرع إياها. وإلا فالعقل عندنا لا يُحَسِّنُ ولا يُقَبِّحُ[5]. فلما كانت على ما ذكرنا أُتبعت بترجِّي التعقُّل، لأن السلامة منها لا تكون مع وضوح أمرها إلّا بتوفيق الله تعالى. ولذلك جاءت بأداة الترجي. ولما كانت الخمس التالية لها وهي قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلى آخرها[6]، مما تُؤَثِّر فيها الشَّهوات والأهواء وذلك مما يُعمِي ويُصِمُّ أتبع برجاء التذكر فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، مَن تذَكَّر أبصَر فعقَل، فامتنع. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[7]. ولما كان مجموع هذه المرتكبات العشْر مما اتفقت عليه الشرائع، ولم يُنْسَخ منها شيء وهي المُحْكَمَةُ التي من أخذ بها كان سالكاً[8] الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، ولا أمْتَ، واتَّخَذَ أسْنَى وقاية من عذاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[9]، والأمر عامٌّ لكافة الخلق. ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا

---

(١) ساقط من هـ، م.

(٢) هـ، م، ك، ب: الخلل.

(٣) هـ، ب: خمسها.

(٤) هـ، م، ك: شرعاً.

(٥) القول بالتحسين والتقبيح العقليين، قول المعتزلة الذي ينكره عليهم أهل السنة، والجماعة. انظر: تفسير المعتزلة للقرآن الكريم/ ٣٣٦-٣٤٧.

(٦) الأنعام/ ١٥٢.

(٧) الأعراف/ ٢٠١.

(٨) هـ، م، ك: مالكاً.

(٩) الأنعام/ ١٥٣.

السُّبُل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1]، أتبعه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وترتَّب حاصلاً من مضمَّن الآياتِ الثلاث، أن مَن عقل وتذكر اتَّقى، والمتقون هم المفلحون، فسبحان من هذا كلامه.

١٢١ ـ الآية التاسعة والعشرون[2]. (غ)[3] قوله تعالى:

﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣)

وفي سورة الأعراف (١٤٣): ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يُسأل عن الفرق.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية لما تقدمها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[4]. وقد قال في سورة [آل عمران][5]: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[6]. وفي وصِيَّته عليه السلام [٨١/ظ] لِبَنِيهِ: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[7]. وبهذا أوصَى يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ ـ الآية[8]، وهي جواب بني يعقوب حين قال لهم ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾، فأجابوا بقولهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ﴾ ـ إلى قولهم ـ ﴿إِلَـٰهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[9]. وقال سبحانه لنبيِّنا محمد صلى

---

(١) الأنعام/ ١٥٣.

(٢) هـ، ك: الثامنة والعشرون.

(٣) ساقطة من هـ، م، ك، ب.

(٤) الأنعام/ ١٦١.

(٥) جميع النسخ: البقرة، وصوابها ما أثبتناه.

(٦) آية / ٦٧.

(٧، ٨) البقرة/ ١٣٢.

(٩) البقرة/ ١٣٣.

الله عليه وسلم وعليهم أجمعين: ﴿أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1]. وقال تعالى له[2]: ﴿قُلْ﴾، أي قل يا محمد، ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]. فإنما قال عليه السلام وعمل، واقتدى ظاهراً وباطناً بما أمر به، وما دَرَج عليه هؤلاء الصَّفوة المذكورون ومن سلك مَسْلَكَهم. وعبارة الإسلام، تضم الاسْتِسْلام بالظاهر والباطن، والإيمان الذي هو التصديق داخل تحت ذلك. ومن جملة ما ينطلق عليه اسم الإسلام، فقد تحصَّلت عبارته عليه السلام مُنْبِئَةً عن الكمال في مُسَمَّى الإيمان والإسلام على الحال التي دَرَجَ عليها المُصْطَفَوْنَ الأَخْيَار وحالهم في ذلك لا يدركها غيرهم من حيث الكمال التام صلى الله عليهم أجمعين، ولا قَطَعَنا عن التَّمَسُّك بهَدْيِهِم. فقد وضح بما ورد في هذه الآية الجليلة أنّه لا يناسب هنا غير هذا الوارد، والله أعلم.

وأما آية الأعراف، وقوله فيها: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فالقائل ذلك موسى عليه السلام حين سأل الرؤية، وظن أنها جائزة في الدنيا فلم يسأل عليه السلام مُحالاً، وإنما سأل جائزاً ممكناً وحاشاه عليه السلام من أن يسأل محالاً، ويجهل من ربه مثل هذا، لولا الجواز. فلما استعجل وطلب ذلك في الدنيا قال ربه تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾، في الدنيا وأمره أن[4] ينظر إلى الجبل، وأراه تلك الآية العظيمة، وصار الجبل دكّاً، وخرّ موسى عليه السلام صَعِقاً، لعظيم ذلك المُطَّلَع، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ولم يُرِدْ عليه السلام تُبْتُ من معصية، ولا جهل بربه، أنْ يجوز عليه ما لا

---

(١) الأنعام/ ٩٠.

(٢) ك: وقال له تعالى، وسقط الجار والمجرور من هـ، م.

(٣) الأنعام / ١٦١-١٦٣.

(٤) ب، ك: فأمره بأن.

يجوز. فأقدارُ الأنبياء عليهم السلام فوق ذلك وهم أعلم الخلق بما يجوز عليه تعالى وما يستحيل. ثم قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أول المصدِّقين بأنك لا تُرَى في الدنيا. وليس موضع التعبير بأن يقول: «وأنا أوَّلُ المسلمين»، لأن ذلك الوصف حاصل له عليه السلام على الصفة الحاصلة للمُصْطَفَيْن ممن تقدم. وإنما أراد ما يعبر عن مجرد التصديق بهذا الذي غاب عنه جواز تعجيله مع علمه بجوازه على الجملة. فقد وضح ورود كل من العبارتين بالإسلام، والإيمان، على ما يجب ولا يناسب العكس بوجه، والله سبحانه أعلم [٨٢/و].

١٢٢ ـ الآية الموفية ثلاثين[١] من سورة الأنعام [غ] قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَـٰئِفَ الْأَرْضِ﴾ (١٦٥).

وفي سورة فاطر (٣٩): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَـٰئِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، بإضافة لفظ خَلاَئِفَ في الأولى، ولم يضف في الثانية، بل جيء بحرف الوعاء[٢]، فيسأل عن ذلك[٣].

والجواب عنه[٤] ـ والله أعلم ـ أنه قد تقدم قبل آية الأنعام قوله سبحانه لنبيه عليه السلام. ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥]. واستمر الخطاب له مُعرِباً عن حاله، وواضح طريقه إلى قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٦]. فَعَمَّ ما سواه سبحانه بالدخول تحت مِلكِه، وقهره، فناسب هذا ما ذكر من إنعامه على عباده بجعلهم خلائف الأرض،

(١) هـ: التاسعة والعشرون.
(٢) م، هـ، ب: الدعاء.
(٣) السؤال محذوف من ب.
(٤) ب: ووجهه ذلك (هكذا).
(٥)، (٦) الآيتان/ ١٦١، ١٦٣ على الترتيب.

ولو كان بحرف الوعاء، لم يكن ليُفهم التوسعة في الاستيلاء والإطلاق إلاّ بِضَمِيمٍ يحرز ذلك، لأن قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، إنما يُفْهِم أنها موضع استِخْلافِهم، وهل كلها أو بعضها؟ ذلك محتَمل. أما بحرف الوعاء فأظهر في التعميم[1] وإنْ لم يكن نصاً، إلاّ أنه أظهر[2] من المتقيد[3] بحرف الوعاء، فناسب الإطلاقُ الإطلاقَ.

وأما قوله في سورة الملائكة[4]: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، فقد تقدم قبله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾- إلى قوله - ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾- الآية[5]، ثم أعقب قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، بقوله[6]: ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾- [الآية[7]]. فلما اكتنف[8] الآية ما ذكرتُه مما[9] هو[10] نقيض الوارد في سورة[11] الأنعام، ناسب ذلك التقييدُ بحرف الوعاء، إذْ لا يلائم البَسْطُ القَبْضَ، فجاء كل على ما يجب، ولا يناسب العكس[12]، والله سبحانه[13] وتعالى[14] أعلم، بما أراد[15].

---

(1) ك: التعبير، هـ، م: النعيم.
(2) ساقط من هـ، م، ك.
(3) هـ: التقيد.
(4) هي سورة فاطر.
(5) الأيتان / ٣٦، ٣٧.
(6) هـ، م، ك، ب: فقوله.
(7) فاطر/ ٣٩. وفي جميع النُسخ: الآيات.
(8) هـ، م: اكتنفت.
(9) ساقط من هـ، م.
(10) هـ، م: وهو.
(11) ك، ب: آية.
(12) ساقطة من ب.
(13) محذوف من ب.
(14) محذوفة من ك، ب.
(15) محذوف من ب قوله: بما أراد.

١٢٣ ـ الآية الحادية والثلاثون[١] (غ)[٢] قوله تعالى:

﴿إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٥)

وفي الأعراف (١٦٧): ﴿إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص[٣] آية الأعراف بزيادة اللام المؤكِّدة في الخبر وسقوطها من آية الأنعام.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية الأنعام لما تقدمها قوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ثم استمر ما بعدُ على خطابه صلى الله عليه وسلم لِمَا منحه الله إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ﴾ ـ الآية[٤]. فهذا له صلى الله عليه وسلم ولأُمَّتِه[٥] فجاء الخبر من قوله: ﴿إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، بغير لام التأكيد، مناسباً للحال، إذْ هؤلاء [٨٢/ظ] المذكورون ليسُوا بجملتهم ممن استحق عقاباً، ومن عوقب من أهل القبلة فعقابه منقطع بفضل الله، فلا حامل على التأكيد؛ لأن ذكر العقاب هنا تخويف يحمل المؤمن على استصحاب الرُّعب والرَّهب[٦] وما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه.

وأما آية الأعراف، فقد وقع[٧] قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[٨]. وقد تقدم ذكر

---

(١) هـ، ك، ب: الموفية ثلاثين.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن اختصاص...).

(٤) الأنعام/ ١٦١ـ١٦٥.

(٥) إلى قوله مناسباً للحال، مكرر في هـ، ك.

(٦) ب: الرهب والرغَب.

(٧) ب: ورد.

(٨) آية / ١٦٧.

المقصودين بهذا الوعيد، وذكر مرتكباتهم السيئات، فتخلَّصت الآية[1] للمستحقِّين العقاب بمُجْتَرَحَاتِهم المفصِحة بكفرهم وعنادهم، فناسب تأكيد الخبر المُنْبِيء بعقابهم وسوء مآلهم، وجاء كل على ما يجب ويناسب[2].

سورة الأعراف

١٢٤ ـ الآية الأولى منها، قوله تعالى:

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـٰغِرِينَ﴾ (١٢، ١٣).

وقال في سورة الحجر (٣٢-٣٤): **﴿يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾**.

في الآيتين ممَّا يُسأَل عنه في قوله تعالى في الأولى: **﴿مَا مَنَعَكَ﴾**، وفي الثانية **﴿مَا لَكَ﴾**. وفي الأولى استفتاح سؤاله عن امتناعه بقوله: **﴿مَا مَنَعَكَ﴾**، من غير ندائه باسمه. وفي الثانية نداؤه: **﴿يَا إِبْلِيسُ﴾**. وفي الأولى قوله: **﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾**، وفي الثانية: **﴿أَلَّا[3] تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾**. وفي الأولى: **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِّن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**، وفي الثانية: **﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾**. وفي الأولى: **﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا**

---

(١) ب: الآي.
(٢) زاد بعدها في ب: والله أعلم.
(٣) م، ك: أنْ ـ لا.

فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، وفي الثانية: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. فهذه خمس سؤالات[1].

فأقول لما تقدم في الأعراف ذكر خلق الإنسان وتصويره من غير ذكر المادة التي خلق منها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ﴾[2]، والخطاب لبني آدم، ولم يذكر خلْقَ غيرهم من مَلَك أو جن[3]. ثم إن الأمر بالسجود ورد للملائكة[4]، ولم يرد إشْعَارٌ بأن إبليس من غيرهم، فسبق من ظاهر الكلام أنه منهم ومأمور معهم لاستثنائه منهم، فناسب هذا قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، لأنه مأمور بظاهر ما تقدم، وناسب ذلك أيضاً وعضَّد ما قلناه قوله: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾. ولمّا لم يقع ذكر لخلق غير الآدميين، ولا ذكرت مادة خلق الإنسان [٨٣/و] ناسب ذلك ما ذكره سبحانه عن إبليس من قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِّن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ﴾، فاستوفى ذكر المادتين وبنى على ذلك ما توهم من فضل النار على الطين.

أما آية الحِجْر فقد تقدم قبلها قوله تعالى[5]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حمإٍ مَّسْنُون[6]. وَالْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[7]، ثم قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ـ إلى قوله ـ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[8]. فأشارت[9]

---

(١) ب: خمسة أسولة.

(٢) الأعراف/ ١١.

(٣) هـ، ب: حي.

(٤) هـ، م: الملائكة.

(٥) هـ، م: سقط منها «قوله تعالى».

(٦) ما بعدها إلى قوله ﴿مسنون﴾ في الآية التالية ساقط من ك بانتقال النظر.

(٧، ٨) الحجر/ ٢٦-٢٩.

(٩) ك: فإشارة.

الآية بظاهرها إلى أن إبليس ليس من الملائكة، وقد نطقت الآية أن الملائكة هم المأمورون بالسجود فبحسب هذا البادي الظاهر وردت المَعِيَّة في قوله: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. فلما لم يكن في أصل الخِلْقَة والمادة منهم، وكان الأمر بظاهر العبارة لهم - وإن كان مراداً أنه معهم - فبحسب هذا قيل له[1]: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فقيل معهم، إذ ليس منهم. قال تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2]. وبحسب ذلك استُؤْنِف نداؤه فقيل: ﴿يَا إِبْلِيسَ مَا لَكَ﴾، ولم يقل: ما منعك، لأن ذلك لو قيل، لكان يقتضي أنه منهم[3]، ولم يكن ليناسب ما أشار إليه صَدْرُ الكلام من أنه ليس منهم، فنُودِيَ باسمه المُشْعِر بطرده ومُغَايَرَتِه لهم، فقيل: ﴿يَا إِبْلِيسَ﴾[4]، فتناسب هذا، كما تناسب أيضاً ما ورد في الحِجر من تَبْيِين خلق إبْلِيسَ من النار، وفَصْلِه من الملائكة ما أعقب به من مَحْكِيِّ[5] قوله: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، واحتقاره مادة الطين، وتفضيله مادة النار عليها. فناسب هذا تعقيب أمره بالخروج في قوله تعالى له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾.

وقيل في آية الأعراف: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾، وليس التعبير بالإخراج كالتعبير بالهبوط، فقد أمر آدم بالهبوط، ولم يقصد من تعنيفه ما قصد بإبليس، فليفرَّق ما بين العبارتين فيما تُعطيانه. قيل في الأعراف: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾، إذ لم يتقدم فيها من أنه ليس من الملائكة ما تقدم في الحِجر، بل ظاهر ما في الأعراف أنه منهم، فجرى الأمر آخِراً مناسباً لهذا الظاهر، فعبر بالهبوط.

---

(١) ساقط من هـ، م.

(٢) الكهف / ٥٠.

(٣) هـ، م، ب: منهم.

(٤) زاد بعدها في هـ: عليه.

(٥) هـ: يحكى.

ولما تقدم في الحجر أنه ليس من الملائكة لخلقه من نار السموم؛ فأشعر ذلك بِشَرِّ المادة ناسبه قوله: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ وإتْبَاع ذلك بما يلائمه من الوصف ويناسبه من قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ثم بما كتب عليه من الطرد واللعنة، ولم يَرِد في الأعراف هكذا بل رُوعي فيه [٨٣/ظ] مناسبة ما تقدم ولئلاّ يتنافر الكلام، ويتنافر المعنى فقيل: ﴿فَمَا يَكُونَ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

فإنْ قلتَ: فقد قيل هنا ﴿فَاخْرُجْ﴾ كما قال في سورة الحجر. قلتُ: تَدرَّجَ به إلى التعنيف، وسبق هناك من أول وَهْلَة وجاء كل على ما يجب ويناسب ولم يكن ليناسب[1] ورود العكس في السورتين، والله أعلم بما أراد. وقد حصل جواب السؤالات بأسرها والحمد لله.

١٢٥ ـ الآية الثانية من[2] سورة الأعراف، قوله تعالى:

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ[3]﴾ (١٤، ١٥)

وفي سورة الحِجْر (٣٦ـ٣٨)، وسورة صٓ (٧٩ـ٨١): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. فورد في آيتي «الحجر، وص»، زيادة[4] الفاء في قوله: ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنَّكَ﴾، وزيادة قوله[5]: ﴿رَبِّ﴾، ولم يَزِدْ ذلك في الأعراف، فيُسأل عنه.

---

(١) هـ: يناسب.

(٢) إلى الأعراف محذوف من العنوان في م.

(٣) ب: زاد هنا في الآية ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ بانتقال النظر إلى آية الحجر.

(٤) ما بعدها إلى قوله «ثم إنه ورد في سورتي الحجر وص» ساقط من ب.

(٥) ساقط من م.

وجواب ذلك ـ والله أعلم ـ مناسبة ما تقدم قبل كل واحدة من الآي الثلاث من الإسهاب[1] والتأكيد، والإيجاز[2]. ألا ترى أن مجموع الكَلِم الواقعة من لدن قوله في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾، وهو ابتداء القصة إلى قوله: ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، بِضْعٌ وأربعون كلمة، والوارد في الحِجْر من لدن قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ﴾ - إلى قوله -﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾[4]، بِضْع وسبعون كلمة، وفي سورة «ص» من لدن قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، إلى الآية[5] بضْعٌ وستون كلمة. فقد وضح ما قصد في الأعراف من إيجاز الأخبار في القصة، وما في السورتين بعدُ من الإطْنَاب. ثم إنَّه ورد في سورتي «الحِجْر، وصَ»، والتأكيد بكُلٍّ وَأَجْمَع في [قوله[6]]: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[7]، ولم يرد ذلك في الأعراف بقصد[8] ما قلنا، وتناسب الإطْنَابُ والتأكيد، ولاءم ما ورد من الزيادة في السورتين الأخيرتين[9]، ولم يكن ليناسب العكس، والله أعلم بما أراد.

فإن قلتَ: ما وجه ورود القصة الواحدة موجزة مرة ومُطَوَّلة أخرى؟ قلتُ: ليحصل من ذلك الاطِّلاع علَى عَلِيِّ البلاغة، وجلالة النظم وعَلِيِّ الفصاحة في طرفي الإيجازِ والإطْنابِ. فإن الفصيح البليغ من البشر، رَامَ هذا، لم يَفِ في الطرفين بما يريده، ووضح التفاوت في مرتكبه، وَلَانَ،

(١) هـ، م، ك: الأسباب.
(٢) هـ، م، ب: الإيجاز.
(٣) الآيات/ ١٠-١٤.
(٤) الآيات /٢٦-٣٦.
(٥) الآيات/ ٧١-٧٩.
(٦) جميع النسخ: قولهم.
(٧) الحجر/ ٣٠، ص/٧٣
(٨) م، ك، ب: فقصد.
(٩) هـ، ك، ب: الأخرتين.

وظهر الضعف مهما طال. ولا ينفك كلام الفصحاء والبلغاء عن التفاوت في هذا بوجه.

فإن قلتَ: فما وجه تقديم الموجَز على المُطَوَّل؟ قلتُ: شُبِّهَ [٨٤/و] ذلك بالمُجْمَل[١] من الكلام والمُفَصَّل[٢]. وإنما يرد التفصيل بعد الإجمال. وهذا الجواب مُتَنَزِّلٌ على الترتيب الثابت، والله سبحانه[٣] أعلم بما أراد.

١٢٦ ـ الآية الثالثة قوله تعالى، مخبِراً عن قول إبليس:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٦، ١٧).

وفي سورة الحجر[٤] (٣٩، ٤٠): **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**.

إن سأل سائل[٥] عن وجه اختلاف الوارد في السورتين المَحْكِيِّ من قول إبليس مع اتحاد القصة[٦].

فجوابه[٧] ـ والله أعلم ـ أن المعنى الحاصل من قوله في السورتين، واحد لا إشْكالَ فيه. ثم اختلف التعبير عن ذلك بحسب ما تقدم في كل

---

(١) م: الجمل.
(٢) م: الفصل.
(٣) ساقطة من م، ب.
(٤) هـ: الحج.
(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).
(٦) هـ، ك، ب: القضية.
(٧) ب: وجوابه.

واحدة من السورتين، وما استدعاه من المناسبة. ولما تقدم في الأعراف قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1]، والإشارة إلى القرآن؛ لأنه يوضح الطريق إليه، وهو الطريق المستقيم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾[2]، والإشارة بهذا إلى المنزَل قرآناً، لأنه مبيِّن الصراط المستقيم الذي طمِع اللعين في الاستيلاء عليه، وقَطْعِ سَالِكِهِ، فقيل عبارة عن مَرَامِهِ من ذلك: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، إلى آخر المحكى من كلامه. ومراده لأَسْتَوْلِيَنَّ لهم عليه، لا على ما فهمه بعض المتأخرين حين رام إلحاق مثل هذا من الظروف المختصة بالمُبْهَمة منها، وخالف الناسَ في ذلك ولو كان الأمر على ما قال لكان وصول الفعل الذي هو «لأقْعُدَنَّ»[3]، على تقدير حرف الوعاء[4]، الذي هو «في»، وكان يَفسُد المعنى، لأن مراد اللعين وطمعه، إنما كان في الاستيلاء على الطريق، بدليل حَصْرِهِ الجهات في قوله: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾. فهذا طلبُ أخْذِهِم بكل الجهات، وطمع[5] في الاستيلاء، وأن يكون له سلطان. ولهذا قال عز وجل له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[6]، ولو كان على تقدير حرف الوعاء لناقض[7] هذا الغرض، ولكان تقديره: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ﴾، وهذا ضِدُّ ما يقتضيه تقدير «على» من الاستيلاء، وقد بُسِط[8] هذا في موضعه، وأن الصواب ما

---

(١) آية / ٣.
(٢) الأنعام / ١٥٣.
(٣) ك: لأقعن.
(٤) ب: الدعاء.
(٥) هـ، م: طلب.
(٦) الحجر / ٤٢.
(٧) ك: لتناقض.
(٨) ك: يبسط.

عليه جماعة النحويين، وما فهموا عليه كلام سيبويه ـ رحمه الله ـ من أن الطريق المختص، لا المبهم[1]، وأن المعنى هنا في الآية على تقدير حرف الاستعلاء [٨٤/ظ]، لا حرف الوعاء، ولما كان قد ورد في الحِجر منعه ومنع جنوده عن تعرُّف خبر السماء واستراق السمع في قوله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[2]. فلما صُدَّ من هذه الجهة، عدل إلى الأخرى فقال: ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾، أي: إن كنت ممنوعاً من إغوائهم من حيث خبر السماء، وإبداء المُقَدَّرات مما يُوحِيه[3] الله إلى ملائكته مما يحدث في عالم الأرض، وقد سبق في العلم القديم، فإن كنتَ قد منعتني عن إغوائهم من هذه الجهة، رجعتُ إلى إغوائهم من جهة لم تمنعني عنها، ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلا من عصَمْتَه مِنِّي، ولم تجعل لي سبيل إليه، وهم عبادك المخلَصون.

فلأجل اختلاف المتقدم في كل من السورتين ما اختلف المَبْنِيُّ عليه، من المحكى عن إبليس من طمعه، وورد كل على ما يناسب، ولم يكن ليناسب تعقيب ما ورد في الأعراف بما أعقب المتقدم في الحِجر، وتعقيب ما ورد في الحِجر بما أعقب المتقدم في سورة الأعراف، والله سبحانه[4] أعلم بما أراد.

---

(١) هـ، م، ك، ب: مبهم.

(٢) الحجر/ ١٦ ـ ١٨.

(٣) هـ، م، ب: يوجهه.

(٤) ساقط من ب.

١٢٧ ـ الآية الرابعة من سورة الأعراف (غ) قوله تعالى[١]:

﴿وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٩).

وفي سورة الأنفال (٣٥): ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. فورد في الأولى: ﴿تَكْسِبُونَ﴾، وورد في الأنفال أن عذابهم بكفرهم[٢].

فللسائل أن يسأل فيقول: ما الفرق الموجب[٣] للاختلاف.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن المذكورين قبل آية الأعراف المقُول لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، قد خالفت حالُهم حالَ المذكورين في آية الأنفال. وذلك أن آية الأنفال في قوم بأعيانهم، وهم كفار قريش من أهل مكة، وحالهم معلومة، إنما كانوا عَبَدَة أوْثان، ولم تتكرر فيهم الرسل، ولا كفروا بغير التكذيب به صلى الله عليه وسلم، وبتصميمهم[٤] على عبادة آلهتهم.

أما آية الأعراف ففي أَخْلَاطٍ[٥] من الأمم وأصناف من المكذِّبين، تنوَّع كفرهم وتكذيبهم، وارتكبوا ضروباً من المخالفات، وافْتَرَوا على الله سبحانه. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ ـ الآية[٦]، وفيها: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ

---

(١) هـ: قوله جل وتعالى.
(٢) ك: بكسبهم.
(٣) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن الفرق الموجب...).
(٤) هـ، م، ب: تصميمهم.
(٥) م: اختلاط (؟).
(٦) الآية/ ٣٧، وفي هـ، م، ك، ب: الآيات.

فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا [٨٥/ و] حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ﴾[١]، ثم قال: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾. فلِشَتَّى مُجْتَرَحَاتِ هؤلاء، وشنيع مرتكباتهم، وأنهم ضَلُّوا وأَضَلُّوا، ناسب ما وقع جزاؤهم عليه ذكر الاكتساب لا سيَّما على القول بأن الكفار مخاطبون بالفروع، وهو قول حُذَّاق الأصوليِّين، وقول مَالِك رحمه الله.

ولمّا انْحصَرَ مرتكب الآخرين فيما ذكروا، وكان مدار أمرهم على الكفر بما جاء به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم، ناسب ما وقع جزاؤهم عليه تخصيص اسم الكفر فَكُلٌّ من الإِطْلَاقَيْن جارٍ على ما يجب ويناسب، والله سبحانه أعلم.

١٢٨ ـ الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (٤٤، ٤٥).

وفي سورة هود (١٨، ١٩): ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾. فزِيد[٢] في هذه الآية ضمير الفصْل ولم يُزَد في الأولى.

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك.

---

(١) آية/ ٣٨.

(٢) ب: (يقال ما وجه زيادة ضمير الفصل في الثانية، وسقوطه من الأولى؟. والجواب ـ والله أعلم. . .).

وجوابه ـ والله أعلم ـ أنّ ابتداء الإخبار في الأعراف بحال هؤلاء الملعونين في الآيتين وهو قوله في الأولى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وابتداء الإخبار عنهم في سورة هود قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ففي هذه إطنابٌ وتأمَّلْ وورود الظاهر في موضع المضمَر من قوله: ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل عليهم، فناسبه زيادة ضمير الفصل. وفي آية الأعراف، إيجاز ناسبه سقوطه، ولو لم يكن ما بين «أنْ» و«ألا»، فإن ذلك مراعى فيما قصدناه. فأنْ أوجز من «ألا» و«أنْ» هنا حرف عبارة وتفسير. وهي كالواردة في قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تلكُم الجَنَّةُ﴾[1]، وفي قوله: ﴿وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾[2]، وتقع بعد ما يُراد به القول، وليس بلفظه، وتفسر بأيْ[3]. وأما «ألا» فاستفتاح، وكل من الموضعين على ما يجب ويناسب، ولو فرض العكس لما تناسب[4]، والله أعلم.

١٢٩ ـ الآية السادسة قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ[5] فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ [كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]﴾ (٥٧).

وفي سورة الفرقان (٤٨، ٤٩): ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ

---

(١) الأعراف / ٤٣.

(٢) ص/ ٦.

(٣) هـ: باب.

(٤) ب: يناسب.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

يَدَيْ [٨٥/ظ] رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً. لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾.

وقال في سورة الروم (٤٨): ﴿ٱللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

وقال في سورة الملائكة (٩): ﴿وَٱللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾.

وقع في هذه الآي اختلاف مع تشَابُهِهَا في اللفظ، وتَقَارُبِ مقاصدها.

فأول ذلك اختلاف مطالعها بورود: ﴿يُرْسِلُ﴾ و ﴿أَرْسَلَ﴾.

الثاني وصف الرياح وإتباعها بقوله في الأعراف والفُرقان ﴿بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ ولم يَرِد ذلك فيما سواهما.

الثالث ما يكون عن[1] إرسال الرياح. ففي آية الأعراف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ﴾، وفي[2] سورة الروم، وسورة الملائكة: ﴿فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾، ولم يذكر ذلك في الفرقان. وفي سورة الأعراف بعد إقْلال الرياح السَّحابَ: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾. وفي سورة الملائكة: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾. وفي سورة الروم بعد إثارة الريح[3] السحابَ فَيَبْسُطه في السماء كيف يشاء، ثم يجعله كِسَفاً. وفي الأعراف: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ ٱلْمَاءَ﴾. وفي الفرقان: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾. وفي الروم: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾، ولم يرد في الملائكة ذِكْرٌ لإنزال الماء ولا كيفيته. وفي الأعراف: ﴿فَأَخْرَجْنَا

(١) ك، ب: من.
(٢) إلى قوله (إقلال الرياح السحاب) ساقط من هـ، م.
(٣) ب: الرياح.

بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾. وفي الفرقان: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾. وفي الروم: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. وفي سورة الملائكة: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. وفي سورة الأعراف: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾. وفي سورة الملائكة: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، ولم يقع في الأخيرتين إحَالةُ التَّنْبِيه. وفي الأعراف: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ولم يقع في سورة الملائكة مثل هذا التَّرَجِّي. فهذه جملة سؤالات.

والجواب عن السؤال الأول ـ والله أعلم[1] ـ أن آية الأعراف لما تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[2]، فذكر سبحانه ما تقرَّر وتحصَّل من خلق السموات والأرض مما لا تكرُّر فيه، وهما من أعظم آياته. وأعقب سبحانه بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ محمُولاً على ما تقرَّر بثُمَّ المقتضية التنبيه على جليل الحال فيما يُعطَف بها والتحريك للاعتبار بذلك، وموقعه، ورُتْبَته حيث لا يراد مهلة الترتيب الزماني، لأن موضوع «ثُمَّ» في اللسان قصد الترتيب الزماني مع المهلة، حيث يراد ذلك. وقَصْدُ [٨٦/و] الترتيب الاعتناء، والتنبيه على حال ما عطف بها، حيث لا يقصد زمان ولا يُلحَظ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[3]. فهذا وارد مورد الدعاء على ما[4] يخاطب به البشر، كما يَرِدُ التعجُّب والتَّرَجِّي، وربما المنزَّه عن ذلك كله، ولكن خوطب البشر على ما يتعارفون ويجري بينهم.

---

(١) والله أعلم: محذوف من هـ، م.

(٢) آية / ٥٤.

(٣) المدثر / ١٨ ـ ٢٠.

(٤) ك: من.

فلما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فذكر ما هو تعالى عليه منزّهاً عن الأيْنِيَّة، والتمكُّن المكاني والمُمَاسَّة، والحُلُول - جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. فلما[1] ذكر تعالى من هذه الأفعال العظيمة ما ذكر مما لا يتكرر، أعقب سبحانه بما يتكرر ويتوالى من إنعامه على الخليقة بما به قوام أحوالهم ومصالح عَيْشِهِم فقال سبحانه: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[2]، وأورد ما يتوالى بطول تَوالُدِ العالَم بمشيئته، ويتجدَّد عليهم بما به قوام حالهم، إلى انقضاء الأمد المحدود ومجيء اليوم الموعود. وأتبَع هذا التعريف بما يجاري الجُمَل الاعتراضية مما تقتضيه حال الكلام، مما يلائم ويناسب، وذلك تعريفه بقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[3]، فأعلَم بانفراده بخلق ذلك كله وتصرف أمره في الجمع بما شاء، وأخبر بتعاليه وعظمته؛ فقال: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4] وأمر عباده بالدُّعاء والتضرُّع إليه، وحذرهم، وذكّرهم باستصحاب الخوف، وتلك حال المُوقِنِينَ، إذْ لا يُؤْمَن مَكْرُه، ولا يُيْأَسْ مِن رَوْحِه، ثم رجاؤهم[5] بقرب رحمته ممن أحسن. ثم عاد إلى التذكير بجليل التوالي من أنعامه وعظيم ألطافه؛ فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، فانتظم آخر الكلام بأوَّله، وارتبط عَودُه ببَدْئِه، وتناسب أوضح تناسبٍ، بما يُفهمه الفعل المضارع من التكرُّر، من حيث لا يمنع ذلك. ولو ورد هنا بلفظ الماضي لما ناسب لما يقتضيه من الانقطاع إلاّ[6] لحامل، والله أعلم.

وعلى هذا النحو جرى الوارد في سورة الروم، فإنه ورد قبل الآية قوله

---

(١) هـ: فلماذا - ذكر.
(٢) الأعراف / ٥٤.
(٣، ٤) الأعراف/ ٥٤.
(٥) هـ، م، ك، ب: رجاهم.
(٦) م: مكانها بياض.

تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾(1)، فذكر من آياته وإنعامه بإرسال الرياح وإجراء الفلك لِيُبْتَغى فَضْلُه، ويُطلب الرزق منه حالي الظَّعْن والإقامة. ثم اعترض بقوله تأنيساً لرسوله، ووعداً بنصره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(2). ثم عاد الكلام إلى تمام ما تقدم مما يُرسل سبحانه به، ولأجله الرِّياح فقال بصورة الاستئناف، لأجل آية الاعتراض: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾؛ وأورد من النعم بها غير ما ذكر قبلُ، وجاء بلفظ الاستقبال [86/ ظ]؛ لأنه من تتميم ما تقدم، وليناسبه، ولو جاء بلفظ الماضي لما ناسب، والله أعلم.

وأما آية الفرقان، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾(3)، فورد قبلها ذكر هذه الدِّلالات وأوضح هذه الشواهد، وقد تقيَّد(4) بزمان(5) خَلْقِها، وجعَلها بالمُضِيِّ في خَمْس كَرَّات مع أنها مما يتكرر من الآيات ويتوالى. وكذا في مطلع السورة، وما وقع بعده مما يُعتبر به، وليس بإخبار أُخْرَاوِي، فأتبع سبحانه ذلك بموافق مناسب، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً﴾، ولم يكن ورود المستقبل هنا ليناسب.

وأما آية سورة الملائكة فمبنية على مطلع السورة، وذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي

(1، 2) الروم/ 46، 47 على الترتيب.

(3) الفرقان/ 45-47.

(4) م: تقدم.

(5)، م، ك: زمان.

﴿أَجْنِحَةٍ﴾[1] و﴿فَاطِرِ﴾ و﴿جَاعِلِ﴾ هنا بمعنى المُضِيِّ، ولا يمكن فيهما غير ذلك، ولم يقع بعد هذا[2] ذكر مقصود به الاعتبار من مخلوقاته سبحانه مما نَصَبَه دالاً عليه إلّا قوله[3]: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾، فجاء ذلك مناسباً لقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ لموافقة الفعل الماضي اسمَ الفاعل، بمعنى المُضِيِّ ومناسبته، ولا يناسب المستقبل. وأما ما وقع بين الآية، وبين ما بُنِيَتْ عليه مما ذكرنا، فليس من قبيل المذكور فيه ما نصبه سبحانه دليلاً على الاعتبار، ومُعتَبَراً لذوي الأفكار كخلق السموات وإرسال الرياح. فهذه المذكورات الثلاث هي المقصودة هنا للاعتبار. أمَّا قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ إلى ما بعده إلى آية[4] إرسالة الرياح[5]، مع جليل التحامه بما اتَّصل به فليس من قبيل ما ذكرناه. ولا يمنع من حمل الآية المتكلَّم فيها على نحو[6] ما ذكر، حَمْلُها عليه[7]، ولا يناسب المستقبل هنا ما تقدمه، مما بيَّنا حمْلَه عليه، وأنه لا يصح حملُه على غير ما ذكر، والله أعلم بما أراد[8].

والجواب عن السؤال الثاني أن آية الأعراف تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[9]، ثم قال: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[10] وقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[11] ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[12] وفي هذا كله استلطاف، وتعطُّف، وترَجٍّ.

---

(١) الآية الأولى.

(٢) ك، ب: بعدها ـ ذكر.

(٣) م، هـ: دالاً ـ قوله ـ ولا قوله(؟).

(٤) في ك، م فقط.

(٥) فاطر/ ١ـ٩.

(٦، ٧) ساقطتان من ب، ك.

(٨) ك: أراده.

(٩، ١٠)الآيتان/ ٥٤، ٥٥.

(١١، ١٢) آية/ ٥٦.

ومن نحو هذا الاستلطاف، ويجاريه[1] في قوة الترجي، قوله سبحانه في سورة الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ ـ الآية[2] ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾. فهذا أعظم[3] استلطاف، يناسب الوارد في السورتين. من هذا قوله تعالى عقب إرسال الرياح: ﴿بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، ولمَّا لم يَرِد في سورة الروم ولا في سورة الملائكة، مثل هذا الاستلطاف ولا بعضه، ولم يُتبَع ذكر إرسال الرياح بما أُتبع في آيتي الأعراف والفرقان، إذْ لم يكن ليناسب، فجاء كل على ما يجب والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثالث أن آية الأعراف لمَّا قيل فيها: ﴿فَأَخْرَجْنَا [٨٧/و] بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾. فعَمَّ بكُلّ، وهي من نصوص ألفاظ العموم ناسب ذلك وُرُودُ ما يُفهِم كثرة ماء السحاب؛ إذْ لا يحصل منه إخراج ما يقدَّر إخراجه من كل الثمرات إلاّ لكثرته فذكر استقلال السحاب بالماء الكثير، وهو الذي يعطيه قوله: ﴿ثِقَالاً﴾. وإنما تَثْقُل بكثرة مائها، وذلك يُقِلُّها، ولا يكون استقلالها بما يثقلها من الماء إلاّ بعد إثارتها، فكأن قد قيل: أثارت الرياح السحاب، فأقَلَّتْها بالماء الكثير، فتناسب[4] هذا كله، ولم يكن[5] مجرَّد ذكر إثارة السحاب ليعطي كثرة مائها وتكثير الثَّمر المخرَج به، مع أنَّ الإثارة مفهومة. فحصل في هذا النظم العَليِّ الإيجازُ، والوفاء بالتوسعة، والتعميم المقصود.

---

(١) هـ، ك، ب: مجاريه.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقط من ك.

(٤) هـ، م: فناسب.

(٥) هـ، ك، ب: يكون.

ولما لم يقع في الآي الأخر توسعة في المُخرَج بالماء، وقع الاكتفاء بذِكْر إثارة السحاب، وحصل إرسالها الماء مما بعدُ.

فإن قلتَ: فقد ورد في سورة الملائكة: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وذلك تعميم، ومع ذلك فقد وقع الاكتفاء فيها بقوله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾. قلتُ: لفظ الأرض لا يعُمّ في كل موضع، إذْ ليس من ألفاظ العموم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾[1]، وهو لم يستَوْلِ إلاّ على بعضها. وبدليل قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾[2]. وبالجملة فليس الألف واللام هنا للعموم، ولا هي حيث تُفهم العموم بمنزلة «كُلّ»، و«طُرّاً» و«أجمعين»؛ ولا نزاع في هذا؛ فالاكتفاء في سورة الملائكة بذكر الإثارة فقط بيِّنٌ.

وأما سورة الروم، فليس فيها عموم، بل فيها خصوص حاصل من التَّقْييد[3]، بقوله: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فالاكتفاء فيها بذكر إثارة الرياح السحاب أبْيَن شيء، فجاء كل على ما يناسب، ولا يمكن خِلافُه، ولم يَرِد في سورة الفرقان ذكر إثارة السحاب اكتفاءً ببشارة قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، لأنه قصد هنا ذكر الإنعام، ولم يُنط بذلك ما يقصد[4] به امتداد[5] الاعتبار. ألا ترى قوله قبل الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتَاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾. فقصد ذكر الإنعام ثم الاعتبار جارٍ مع ذلك، ثانٍ عن المقصود من ذكر الإنعام، فلم يذكر إلاّ باديَ الإنعام، فجاء كل على ما يناسب ويجب، ولا يمكن خلافه والله سبحانه أعلم.

---

(١) القصص/ ٤

(٢) المائدة/ ٣٣.

(٣) هـ: التعقيب.

(٤) ك، ب: قصد.

(٥) هـ: ابتداء.

والجواب عن السؤال الرابع، وهو الفرق بين ما في الأعراف، وسورة الملائكة من سَوْق الريح السحابَ إلى البلد الميت، وما في سورة الروم من قوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ[1] فِي السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾، بزيادة ذكر [٨٧/ظ] سَوْقِه إلى بلد ميت في آيتي الأعراف والملائكة، وسقوط ذلك في سورة الروم، مع زيادة بيان حال السحاب في انتشارها في السماء وتقطُّعها لانبعاث المطر فيقول السائل: إنْ كان الكلام مقصوداً به قصْد الإطالَة فلِمَ لَمْ[2] يرِد فيها الوارد في الأُخْرَيَيْن[3]، من قوله سبحانه: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، وإنْ كان قد قصد به الإيجاز، فلم ورد هذا الإطنَابُ هنا بما بسط من حال السحاب.

والجواب عن ذلك أن الآيات الثلاث محرزة أجَلَّ إيجازٍ، وأبْلَغُهُ أن آية الروم لم يسقط منها شيء من التعريف بسوق السحاب إلى البلد الميت، وإنما الحامل على ما زِيدَ فيها من بيان حال السحاب ما قصد من تحريك المُعْتَبِر، وتَنْبِيهٍ على ما فيه أعظم دلالة، وأوضح برهان. ألا ترى تقديم قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾[4] وجليل موقع هذه الاستعارة، وقوله: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾[5]، ثم أشير إلى عِلَّة تسخير الفلك بقوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[6]، فقد ورد هنا تعداد نعم جليلة. فلما عاد الكلام إلى إرسال الرياح وذكر إثارتها السحاب، أَتبع ذلك بما يناسب، فقال تعالى: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ والإشارة إلى ما يَؤُمُّه السحاب ببَسْطِه إيَّاهُ فتوازي من أقطار الأرض وجهاتها ما يشاء

---

(١) هـ: يبسطه.

(٢) ساقطة من ك.

(٣) هـ، م: الأخرتين.

(٤-٦) الروم/ ٤٦.

سبحانه إحْيَاءَه وسَقْيه، ويجعله سبحانه ﴿كِسَفاً﴾، أي: قِطَعاً متخلخلة[1] لنفوذ ما تحملت من الماء، فينبعث الماء من تلك المَسَامِّ كانبعاث العرَق من مسام الأجساد، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾. وبحسب ما حملها سبحانه، وأثْقَلَها من الماء، يكون المُرسَل عنها في الكثرة، وما دونها، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. فلما انْبَنَتْ هذه الآية على ما قصد من زيادة التنبيه وتَوْفِيَةَ الاعتبار، خُصَّت بما لم يقع في آيتي الأعراف والملائكة، وإنما لم يذكر هنا سَوْقَهَا للبلد الميت، لحُصُول ذلك من قوله بعدُ: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2]. فلو قيل أولاً ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، لكان تكراراً. فإذا تأمَّلْتَ ما ذكرناه، وعظيم الحاصل منه[3]، وضح لك ما انطوت عليه هذه الآي من عظيم التنبيه، مع جليل الإيجاز بحسب ما قصد، وعَلِيِّ البلاغة، وموجب المزيد من آية الروم، وما يستدعيه المكتنِفان لها من قوله قبلها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾، وقوله بعدها: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ﴾ - الآية، وتحريك المُعْتَبِر، ولم يرد ذلك في الأخريين[4]. ويتبين[5] لك أنه ينقص منه شيء، وأنَّ كُلًّا منها وارد على ما يجب، ولم يكن ليناسب خلافه، والله أعلم.

والجواب [٨٨/و] عن السؤال الخامس، أن قوله في الأعراف: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، وفي سورة الملائكة: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لِفَارِقٍ بين

---

(١) هـ: يتخلخله.
(٢) الروم/ ٥٠.
(٣) ك، ب: عنه.
(٤) هـ: الأخرتين.
(٥) ب: ويتبين، ساقطة من ك.

الموضعين وهو أن قوله تعالى[1] في الأعراف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾، كلام يستدعي جواباً. ألا ترى أنه في قوة قول القائل: فلما استقلّت السحابُ بما فيها من الماء، ومِثْلُ هذا في استدعاء الجَوابيَّة لا توقُّف فيه، وليس مما يجاوب بالفاءِ. إنما جواب ذلك مثل هذا مجرداً فيه الفعل عن الفاء، وغيرها. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا[2] جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾[3]. فالجواب هنا قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[4]. ومنه آيات الأعراف المذكورة، لا مدخل فيها للفاء، لا التي تقع جواباً ولا العاطفة؛ إذْ ليس قوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، معطوفاً[5] على ما قبله. أما قوله تعالى في سورة الملائكة: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فكلام معطوف بعضه على بعض بالفاء المقتضية الترتيب[6] والتعقيب، ليطابقَ اللفظ ما تَحْتَه من المعنى، فلزمت الفاء هنا، لإحراز معناها. وقد تَقرَّر أنها لا مدخل لها في آية الأعراف، فورد كل على ما يجب.

ولمَّا استدعى لفظ: ﴿سُقْنَاهُ﴾، المكان المَسُوقَ إليه، وإنما يَصِلُ إليه بلام الجر، أو بإلىَ، عُدِّيَ في الأعراف بلام الجر، فقيل ﴿لِبَلَدٍ﴾، ليناسب المجرور فِعلَه[7] الذي استدعاه في الوَجَازَة. ولمَّا طَالَ الفعل الآية الأخرى

---

(١) ساقطة من هـ.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٣) يونس/ ٢٢.

(٤) البقرة/ ٨٩.

(٥) هـ، م: معطوف.

(٦) م: للترتيب.

(٧) هـ: قبله.

بما لزمه من حرف التعقيب، ناسبه تعديته بإلى، إسهاباً مقابل إسهاب، وإيجازاً مقابل إيجاز.

وأما آية الروم ففيها زيادة التعريف بكيفية انفصال الماء من السحاب، وأنه يخرج من خلاله مقسطاً على الأرض مُجَزَّأً، ليَسْتَوِيَ[1] السَّقْيُ ويتناسب[2] كسَرَيَانِ الغذاء في الأبدان بعد تهيئته. ولو صُبَّ من جانب دون ما أشار إليه التخلُّل[3] لأضَرَّ، ولم تحصل به المنفعة، وهو زيادة في الاعتبار، وإطْلاَعٌ على عظيم الحكمة. وكل هذه الآي متلائمة متعاضدة، لا تعارُض[4] ولا إشْكَالَ [فيهَا].

وقد تضمَّن هذا الجواب أجوبة عن مواضع هذه الآي[5]. وقوله في الأعراف: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ مناسب لقوله: ﴿حَتَّىٰ[6] إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾، لما تقدم ما يشير إلى كثرة مائها [٨٨/ظ] ناسبه التعريف بكثرة ما يُخرج سبحانه من مختلف الثمرات. ولمّا قصد في آية الفرقان سَقْيَ الحيوان العاقل، وغير العاقل، ناسبه ما تقدم من وصف الماء بالطَّهُورِيَّة والطِّيب، وقد حصل إخراج الثمرات بقوله تعالى: ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾. وأما قوله في سورة الروم: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فجَارٍ مع قوله قبل الآية، ومع آياته، ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾. لما ذكر سبحانه إرسال مبشرات أَتبَع بذكر ما به البشارة، وهو[7]

---

(١) ب: ليستوفي.
(٢) ساقط من هـ، م.
(٣) ك: التحلل.
(٤) هـ، م: لتعارض.
(٥) إلى هنا انتهى الخرم في نسختي: ج، ع.
(٦) ساقطة من الآية في: ج، هـ، ع.
(٧) م، ب: وهذا.

الوَدْق المرسَل من السحاب المشار بها، والإخبار عن[1] المبشِّر[2] بها، وهو من شاء تخصيصه من عباده بتلك الرحمة. فأوضح آخر الآية المُجْمَلَ قبلها، وحصَّلت ما قصد بها على أكمل تناسب. وأما قوله في سورة الملائكة: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فَمَبْنِيٌّ على قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، والمراد بهذا[3] العودة الأُخراوِيَّة فأرى سبحانه مثالاً يوضِّحها لمن تدبَّر وعقل فقال تعالى: ﴿سُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ[4] مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾، والآيُ قبلها لم يتقدمها مثل ما تقدم هذه من تحريك الخلق وتخويفهم بالوعد الأُخْرَاوِي، فلم تعقب بمثل ما أعقبت به[5] هذه من تحرير التشبيه، وإنْ كان في أكثرها التشبيه على إحياء الموتى، ولكنه ليس كالواقع هنا.

والجواب عن قوله في سورة الأعراف، ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾، أنه مقابَل به قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، ولم يرد هكذا في سائر الآيات، أعْني التعبير بلفظ الإخراج لما يُنبِتُ المطر، ولما يخلق سبحانه في الأرض.

ولمّا ورد في سورة الملائكة قوله سبحانه: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، قُوبِل تشبيهاً بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾، ولم يكن ليتحرر المراد لو قيل: كذلك الإحْيَاء، ولو قيل كذلك إحياء الموتى، لاجتمع فيه الطُّول مع مخالفة[6] الفَوَاصِلِ فيما قبل الآية وما بعدها. الا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا

---

(1) ك: بمن.
(2) م: البشر.
(3) ج، هـ: بها.
(4) ج، هـ، م: لبلد.
(5) ساقط من ج، هـ.
(6) هـ، م: مخالفته.

يغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[1]، وقوله بعد الآية: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2]، وما تخلَّل الآيتين وما ورد بعدهما. ثم إن النُّشُور هو إخراج الموتى وإحياؤهم، مع أنه أَوْجَزُ وأَطْبَقُ للفواصل فجاء كل ذلك على ما يناسب. وأما سائر الآي فلم تُبْنَ على قصد التشبيه، ولا جَرَى فيها ذلك، فوقع الاكتفاء فيها بمجرد الإيماء، والإحالة على غير طريقة التشبيه.

والجواب عن تعقيب آية[3] الأعراف [٨٩/و] بترجِّي التذكُّر[4] من قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مناسب لقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، لأن الماء المنزَل من السماء واحد لا يختلف، وإنِ اختلفت أحواله في الكثرة والقِلَّة، وطول زمن الإنزال وقصَره. فالمذاق والطعم والصفة لا تختلف والمُخرَجُ به بإذن الله من ضروب الثمرات مختلف في الطعم واللون والرائحة إلى غير ذلك من صفاته. قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾[5]. ففي هذا أعظم عبرة لمن استبصر، وأدَلُّ دليل على القدرة التي تَجِلُّ عن الحدِّ والغاية، وأعظم شاهد على إحياء الموتى. فلهذا أعقبت برجاء التذكير فقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

١٣٠ ـ الآية السابعة قوله تعالى[6]:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩).

---

(١) فاطر / ٥.
(٢) فاطر / ١٠.
(٣) هـ: الآية.
(٤) هـ، م، ك، ب، ع: التذكير.
(٥) الرعد / ٤.
(٦) ك: قوله جل وتعالى.

وفي سورة هود (٢٥، ٢٦): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنْ لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

وفي سورة المؤمنين (٢٣): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

في[١] هذه الآي ست[٢] سؤالات:

السؤال الأول قوله في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾، غير منسوق بواو العطف، وفي السورتين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بواو العطف.

والثاني: اختلاف مَقالِهِ عليه السلام لهم.

والثالث: وجه اختصاص الواقع في كل سورة من الثلاث من[٣] مقاله بتلك السورة..

والرابع: وجه اختلاف ما خوفهم به[٤] وأنذرهم[٥] اثر أمرهم بالعبادة في كل واحدة.

والخامس: وجه ندائه في السورتين، وسقوط ذلك في سورة هود.

والسادس: وجه افتتاح أمرهم بالعبادة[٦] في السورتين، وقوله في سورة هود قبل أمره إياهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

فهذه[٧] ست سؤالات.

---

(١) م: وفي.
(٢) ساقطة من هـ.
(٣) م: في.
(٤) مكانها بياض في ج.
(٥) ج: وإنذارهم.
(٦) ج: في العبادة.
(٧) إلى قوله «سؤالات» محذوف من ب.

والجواب عن الأول أن آية الأعراف لم يتقدمها ذكر إرسال، ولا أمر بدعاء الخلق، ولا جملة يناسبها عطف إرسال إلى الأمم، ودعاء الخلق[1] إلى الإيمان، إنما تقدم قبلها ذكر أصحاب الأعراف، ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ - إلى قوله - ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[2]، ثم ابتدئت[3] قصص الرسل مع أممهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وتتابع قصصهم. أما آية هود، فقد تقدم قبلها ذكر رسالة[4] محمد صلى الله عليه وسلم، وبذلك افتُتِحَت السورة، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ [٨٩/ ظ] مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾. ثم استمر ذكر دعائهم وتحذيرهم من التَّوَلِّي وما يعقبه إنْ وقع منهم، ثم ذكر تَحَدِّيه عليه السلام إياهم بالقرآن[5]، وطلبهم بمعارضته والإتيان بعشر سور مثله في البلاغة، وعليِّ النظم وإنْ كان ما يأتون به مفترى ليكون أسهل عليهم، ولم يعدل بالآي عن هذا الغرض وما يرجع إليه، إلى ذكر إرسال نوح عليه السلام، فوردت الآي بذلك منسوقة على ما تقدمها بواو العطف على أتَمِّ مناسبة.

وأما آية المؤمنين فقد ورد قبلها ما يناسب عطفها عليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ - الآيات[6] وبعدها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ - الآيات[7] فذكَّرهم بإيجادهم وانتقالهم منقلبين في أطوار، مكتنفين

---

(١) ساقطة من ك.

(٢) الآيات / ٥٤، ٥٨.

(٣) هـ، م، ك، ب: ابتدأت.

(٤) ب: زاد بعدها «نبينا ومولانا».

(٥) ساقط من ج، ع.

(٦)، (٧) الآيات/ ١٢-٢٢.

بمتوالي إنعامه منسوقاً بعض ذلك على بعض مفتتحة المطالع بما[1] يتأتى به القسم من قوله[2]، ﴿لَقَدْ﴾[3] تحكيماً وإظهاراً للظاهر من اكتناف إنعامه وإحسانه. ثم عطف على ذلك ما أنعم به من إرسال الرسل فذكر أوَّلهم إرسالاً إلى الخلق ليناسب ما بُدِئُوا به من النعم الأوَّلية، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾. وكل ما ذكر في هذه الآي نعم متناسبة[4]، وآلاء[5] متوالية. ولهذا لم يذكر في هذه الآية ذكر عذاب، إلا بالإيماء الوجيز وخصت بقوله عقب الأمر بالعبارة: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، فذكَّرهم بالتقوى المحرزة لنجاتهم وتخلُّصهم من العذاب، ولم يكن ليلائم ذكر العذاب والإفصاح[6] به، ما تقدم من التذكير بإحسانه سبحانه، وإنعامه من أول السورة إلى هنا.

والجواب عن السؤال الثاني أنَّ دعاء الرسل أُمَمَهم مما يتكرر ويتوالى في أوقات مختلفة، ومَحَالٌ متباينة فمرة يُرَغِّبُون، ومرة يُخَوِّفون ويُنْذِرُون، وذلك بحسب حال حال، ولكل مقام مقال. فاختلاف المحْكِيِّ من مقالهم إنما هو بحسب اختلاف الأوقات، وما يناسب كل وَقْتٍ وَقْتٍ، وما يجري فيه، ويشاهَد من أقوال المَدعُوِّين وأحوالهم[7]. وكل المحْكِيِّ من معنى مقالاتهم، لا إشكال فيه. ألا ترى نبينا صلى الله عليه وسلم، وعليهم

---

(١) ج، هـ، م، ب: لما.
(٢) سقط من ب قوله «من قوله».
(٣) ساقط من ك.
(٤) ج، ع: مناسبة.
(٥) ب: الآ؟.
(٦) ج، هـ، ع: والافتضاح.
(٧) ساقط من ج، ك، ب.

أجمعين، كان يدعو[1] قبائل العرب إذا وفدوا[2] على مكة[3] ويقف على كل قبيلة قبيلة، فيكلمهم ويُسْمِعُهم القرآن ويدعوهم إلى الله بما يناسب أحوالهم ومقالهم. ألا ترى قوله عليه الصلاة[4] والسلام لقبيلة كانت تُعرف ببني عبد الله: يا بني عبد الله[5] إنَّ الله قد حسَّن اسم أبيكم [٩٠/و]. فكان يفتتح دعاء كل طائفة بمثل هذا، فلكل مقام مقال. فلا سؤال في المحكى من قول نوحٍ عليه السلام لقومه[6]، واختلاف ذلك، وإنما السؤال في اختصاص كل سورة بالوارد فيها من حكاية كلامه عليه السلام، إذ لا يذكَر[7] في كل سورة إلا ما يناسب، وهذا[8] [هو جواب] السؤال الثالث.

والجواب عنه أنَّه لما تقدم ذكر اليوم الآخر في غير ما آية من أول هذه السورة إلى ابتداء قصة نوح عليه السلام[9]، وقد تضمن ما ذكر من ذلك من أهوال، ذلك اليوم ما يعظم أمره كقوله تعالى[10]: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ - الآية[11]؛ وقوله: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ - إلى قوله -﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[12]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابَ

---

(١) ج، هـ، ع: يدعوا - بالألف.
(٢) ع: وقفوا.
(٣) ج، ب، ع: ملة.
(٤) ساقطة من هـ، م، ب، ك.
(٥) المنادى والأداة ساقطان من ج.
(٦) في ك فقط.
(٧) هـ، م: ينكر، ب: إلا ما يذكر.
(٨) ك: وهو.
(٩) في ب فقط.
(١٠) في م فقط.
(١١) الأعراف/ ٨.
(١٢) الأعراف/ ٣٨، ٣٩.

ٱلسَّمَاءِ﴾ ـ الآية[1]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ﴾ ـ الآية[2] وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾ ـ الآية[4]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾[5]. فلما تقدم من أهوال هذا اليوم ما لم يتقدم في السورتين الأُخْرَيَيْن[6]، ناسبه في مقالة[7] نوح عليه السلام لقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وناسب[8] قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[9] قول الممتحنين: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[10] وأما افتتاح الآية بأمرهم بالعبادة فبيِّن.

أما[11] آية هود، فافتتاح دعاء نوح قومَه فيها: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، يناسب[12] قول نبينا صلى الله عليه وسلم للعرب في إخبار الله تعالى عنه: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[13]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾[14]، وأما قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[15] فمناسب لقوله تعالى على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام، لقومه ممن خاطبه وشافهه: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[16]وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[17] وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾[18] فتكرر ذكر[19]

(١ ـ ٥) الأعراف/ ٤٠، ٤٤، ٤٧ـ٤٩، ٥٠، ٥٣ على الترتيب.

(٦) م، ك: الاخرتين، ب: الأخيرتين.

(٧) ك: مقالات.

(٨) م، ب: وناسبه.

(٩، ١٠) الأعراف/ ٥٩، ٥٣.

(١١) ك: وأما.

(١٢) هكذا في ك، وبقية النسخ «فناسب».

(١٣) هود/ ٢.

(١٤ ـ ١٨) هود / ١٢، ٢٦، ٣، ٨، ١٧ على الترتيب.

(١٩) ج، هـ: ذلك.

العذاب، فناسبه ما ختمت به آية دعاء نوح عليه السلام من قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

وأما آية المؤمنين، فالجواب عنها قد تقدم مُنجرًا[1] في الجواب عن السؤال الأول، وتحصَّل من أنه من مقالاته عليه الصلاة والسلام في كل سورة من هذه الثلاث ما يجري مع ما اتصل به ويناسبه[2] [٩٠/ظ] حسبما تبيَّن، ولم يكن ليناسب ورود ما في سورة منها ما ورد من ذلك في الأخرى، والله سبحانه أعلم بما أراد.

والجواب عن السؤال الرابع قد انجرَّ فيما تقدم. وعن الخامس أنَّ نداءهم في السورتين، لا كلام فيه لجريانه على ما ينبغي، وإنما يسأل[3] عن سقوط ذلك في سورة هود، ووجهه أنَّ ذلك جارٍ مع ما افتتحت به[4] السورة من قوله تعالى على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام[5]: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[6]، فدعاهم إلى عبادة الله، وأنْ يُفرِدُوه بها، ولم يُنادِهم، لأن ذلك لم يكن ليلائم مطلع[7] السورة إذ[8] لم يَجْرِ ذكره عليه السلام، منطوقاً به، فينزل عليه نداؤهم، بل قيل له: هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[9] ثم أتبع هذا بأمرهم مُبتَدأً، بحرف العبارة والتفسير وهو أن الحرف الواقع بعد ما ينبىء ويحصل منه معنى القول وليس

---

(١) ب: منجزاً.
(٢) ج، هـ، ب، ع: ويناسب.
(٣) ج، هـ، ع: السؤال.
(٤) ساقط من ك.
(٥) هـ، م، ك: عليه السلام، ب: صلى الله عليه وسلم.
(٦) هود/ ٢.
(٧) ج، هـ، ع: مطالع.
(٨) م، ع: إذا.
(٩) هود/ واحد.

صريح قول، ولا مرادف له، إلا أنه يُفهِمُه كقوله تعالى[1]: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ[2] مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا﴾[3]، فأَنْ الواقعة حرف عبارة وتفسير[4] المقدرة بأي، وإنما تأتي[5] بعد ما يُفهم القول: فكما يقع بعدها ما يدل على تقدير القول، وليس بقول، فكذلك[6] يقع بعد ما لا يلتئم معه ذكر القول[7]، ويكون مع ذلك مُغنياً عنه. ومنه مطلع هذه السورة بعد التنبيه بالحروف المقطعة، فقيل: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ﴾، كما قيل في آية ص: ﴿أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا﴾، فليس موضع صريح القول الذي يقصد به الحكاية. فلهذا ورد دون صريح القول[8]، ثم وردت قصة نوح عليه السلام على هذا المنهج للمناسبة، ثم [9] جيء بقصة هود وصالح[10] عليهما[11] السلام على هذا المنهج للمناسبة بعد هذا مُفتَتَحَيْن بالقول على ما يجب والله أعلم.

والجواب عن السؤال السادس أن افتتاح أمرهم بعبادة الله في سورة الأعراف والمؤمنين، لا سؤال فيه، لأنه أول ما يُطلب به الخلق. وإنما يسأل عن افتتاح[12] مكالمتهم في سورة هود بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[13].

---

(١) في ك فقط.

(٢) ساقطة من الآية في ج، هـ، م، ب، ع.

(٣) ص/٦

(٤) ك: وتصديق.

(٥) ج، ع: يقع.

(٦) هـ، م، ب: وكذلك، ك: كذلك.

(٧) ج، ع: ذكرا ـ لقول.

(٨) هـ، م، ك: قول، ب: قوله.

(٩) ما بعدها إلى قوله «المنهج» ساقط من ج، ب.

(١٠) ما بعدها إلى قوله «المنهج» محذوف من ك.

(١١) هـ: عليه ع: عليهما الصلاة والسلام.

(١٢) الجار والمجرور ساقطان من ج.

(١٣) الآية / ٢٥.

ووجه ذلك مطابقته لما افتتحت به السورة من قول محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه، مخاطِباً بكلامه تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[1].

١٣١ ـ الآية الثامنة، قوله تعالى[2]:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ. قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٦٠، ٦١).

وقال في سورة هود (٢٧): ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

وقال في سورة المؤمنين (٢٤): ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَـٰذَا إِلَّا [٩١/و] بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾.

قلت هذه أجوبة في مقامات شتى وأحوال مختلفة، فلا سؤال في اختلافها وإنما السؤال عن وجه الواقع في كل سورة؛ إذ لا يكون إلّا لمناسبة وقد تقدم بيان هذا في الآية قبلها فيسأل عن ذلك، وعن ثبوت الفاء في قوله: ﴿فَقَالَ﴾ في سورة هود، وسورة المؤمنين، وسقوطها في سورة الأعراف، وعن وصف الملأ بالكفر في السورتين[3]، وسقوط هذا الوصف من آية الأعراف. فهذه ثلاثة أسولة.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ أن نقول: إنَّ تخصيص الواقع من الملأ من قوم نوح عليه السلام، جواباً له عند دعائهم في سورة الأعراف إلى عبادة الله مناسب لما تقدم فيها من قول مكذِّبي الرُّسُل حين تتوفَّاهم

---

(١) الآية / ٢.

(٢) قوله تعالى: ساقط من ج، هـ، م.

(٣) ك: بالسورتين.

الملائكة. فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾[1]، وقول أخراهم لأولاهم عند دخولهم النار، وتداركهم فيها جميعاً: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾[2]، فصار هذا مألوفاً من كلامهم، وجواباً متكرراً منهم ثم قد جرى على هذا إخبار الله سبحانه عنه عند تمنيهم الشفعاء، والرَّدَّ إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم، قال الله[3] تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[4]، ولم يتقدم في السورتين بعدُ مثل هذا، فناسب هذا ما تقدم.

وأما الوارد في سورة هود من قول الملأ المذكورين من قوم نوح فقد تقدم في صدر السورة قوله تعالى مخبراً عن كفار قريش وغيرهم من معاندي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾[5]، فأعلم سبحانه بطغيانهم وتمرُّدِهم في كفرهم فناسب هذا قول المتمرِّدين[6] من قوم نوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[7].

وأما الوارد في سورة المؤمنين فإنه قد تقدم فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[8]. فذكر سبحانه تطور الإنسان في تقلبات وأحوال تشهد بحالة[9] الحِضيضِيَّة

(۱، ۲) الآيتان / ۳۷، ۳۸ على الترتيب.
(۳) ساقط من ج، ع.
(٤) الأعراف/ ٥٣.
(٥) هود/ ٥.
(٦) ك: المتردين.
(٧) هود/ ٢٧.
(٨) الآيتان / ١٢، ١٣.
(٩) ج: بحال.

ومهانته الأولية إلى أن تلحقه[1] العناية الربّانية والاختصاص الاصطِفائي فيَعِزُّ بإعَزاز مُوجِدِه ويختص باختصاص التقريب والتشريف، فتتفاوت أقدار [٩١/ظ] الخلق عند ذلك، فمنهم اللاّحِق بأشرف المقامات، وأَسْنَى الحالات، ومنهم الباقي في حَضِيضِيَّة من غير تَرَقٍّ لما[2] فوقها من الانتقالات. ولما لم يتلمّح الملأ من قوم نوح جليل مزِيّة التشريف، وما مُنِحَه هذا النبي الكريم من عَلِيِّ قَدْرِهِ المُنِيف، وظنوا[3] التساوي على مقتضى الحالة الأوْلية قالوا يخاطبون أَتْبَاعَهُم جواباً لنبيهم عليه السلام: ﴿مَا هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ - الآية[4]. وتأمل[5] باطل مقالة الملأ هنا ومناسبته لما[6] تقدم[7] من خلق الإنسان تجده أنسب شيء، ولم يكن مقالهم في كل موضع من هذه ليناسب غير ما وقع فيه[8]، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني أن الواقع في سورة هود من قوله تعالى مخبراً عن جواب قوم نوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا﴾[9]، إلى آخر كلامهم، كلام لا يستقل مُبتَدأً به، بل يستدعي ما يبنى عليه إذ لا يَفتتح احدٌ أحداً بمثل هذا مُبتَدأً، وإنما يتكلم بهذا جواباً. ولما قال لهم نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾[10]، إلى ما

---

(١) ع: تلحضه.
(٢) ج: لها.
(٣) ج: وضنوا.
(٤) المؤمنون/ ٢٤.
(٥) ساقط من ج، ع.
(٦) هـ: ما، ك: لما.
(٧) م، ك، ب: قدم.
(٨) ساقط من ج، هـ، م.
(٩) هود/ ٢٧.
(١٠) الأعراف/ ٥٩.

عرَّفهم به مما حصل به الإعلام بمقامه النبوي وجاوبوه بُعداً عن تعرُّف صدقه ومعرفة حقِّه بقولهم[1] : ﴿مَا نَرَاكَ إلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا﴾؛ أي لو كنت كما تزعم لكنت من جنس الملائكة، ولم تكن من جنس البشر، وقد أفصحوا بهذا في سورة المؤمنين. وتكرر هذا المرتكب من غيرهم في غير ما آية. فلبناء هذا الكلام على ما قبله وتمحُّض الجَوابِيَّة فيه، ورد بالفاء المقتضية السببية، والمبنية للجوابية. ومثل هذا من غير فرق، هو الوارد من جوابهم في سورة المؤمنين، من قولهم: ﴿مَا هَـٰذَا إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾، ثم قالوا[2]: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾[3]. وهذا هو الذي أشرنا إليه من مقالهم في هاتين السورتين بالفاء، لربط الجوابية ووضوح السببية.

أما قوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فإن هذا وإن تضمَّن الجوابية، فإنه بغير الفاء، وحصلت الجوابية من حيث المعنى مع رَعْي ما يناسب في النظم. ونظير هذا في وروده بغير الفاء لما ذكر قوله تعالى في قصة[4] هود عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وإنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[5]. فتأمل جوابهم هنا لما كان الوارد في قصة نوح عليه السلام في أنه يُبْتَدَأ بمثله ولا يفتقر إلى ما ينبى عليه كيف ورد بغير الفاء. فهذا يزيدك وضوحاً فيما قدمناه، والله سبحانه أعلم [٩٢/و].

والجواب عن السؤال الثالث، ويتنزَّل على تمهيد، وهو أن الله تعالى

(١) ج، هـ: بقوله.
(٢) ج، هـ، ع: قال.
(٣) المؤمنون/ ٢٤.
(٤) ج، هـ، م، ب، ع: سورة.
(٥) الأعراف/ ٦٦

أمر رُسُلَه عليهم[1] السلام بالرِّفق في دعاء الخلق، وحضَّهم على التلطف بهم، والصبر على أذاهم، فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[3] وقال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ[4]﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ﴾[7] ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[8]، وهذا كثير. وقال تعالى لموسى وهارون ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[9].

وعلى هذا جرى دعاء الرسل أممهم في إخبار الله تعالى عنهم. وتأمل ما تحمل من التلطف والرفق بالعباد قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[10]. وعلى هذا المنهج جرى ما ورد في الكتاب العزيز من دعاء الرسل أممهم: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ - الآيات إلى قوله - ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[11]. ثم اختلف جواب الأمم: فمن مسرع في الإجابة بهداية الله تعالى، ومن مبطىء، ومن مصمِّم على ضلاله[12]،

---

(١) ب: عليه.

(٢) النحل/ ١٢٥.

(٣) المزمل/ ١٠.

(٤) ج: بمسيطر. وهي قراءة ابن عامر في رواية الحلواني عنه، والكسائي في رواية ابن الجهم عن الفراء. السبعة/ ٦٨٢، الحجة/ ٣٦٩، ٦٢، الاتحاف/ ٤٣٨.

(٥) الغاشية/ ٢٢.

(٦) الأحزاب/ ٤٨.

(٧) الشورى/ ٤٨.

(٨) آل عمران/ ١٥٩.

(٩) طه/ ٤٣، ٤٤.

(١٠) البقرة/ ٢١، ٢٢.

(١١) نوح/ ١٠-٢٠.

(١٢) ب: ضلالة.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ[1] لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[2]. ثم لكل نبي مقامات ومقالات [3] بحسب اختلاف المواطن[4] والمجتمعات، ولكل مقام مقال يناسبه، فجرى اختلاف ما ورد جواباً بنسبة ما وقع الجواب عليه، مع إحراز الأنبياء عليهم السلام[5] ما أمروا به من الصبر والتلطف في أكثر أحوالهم متوقفين فيما وراء هذا على ما يرد منه تعالى، كما قيل لنوح عليه السلام: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[6] فقطع عليه السلام رجاءه منهم، وفهم من ربه تعالى جواز دعائه عليهم، واستشعر انتقامه منهم، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[7]. وذلك بعد مبالغتهم[8] في البعد عن الاستجابة وقولهم: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[9]. قال تعالى فيمن سلك مسلكهم في التكذيب: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ ـ الآية[11]. فأقول بناءً على ما تمهد[12]: إنَّ قوم نوح لما ذكر تعالى عنهم في سورتي[13] هود والمؤمنين

---

(١) ساقط من الآية في ج، هـ، م، ع.
(٢) الأنعام/ ٣٥.
(٣) ساقطة من ج.
(٤) ك: الموطن.
(٥) ج، هـ، ب، ع: عليهم الصلاة والسلام.
(٦) هود/ ٣٦.
(٧) نوح/ ٢٦.
(٨) ج: مبالغته.
(٩) هود/ ٣٢.
(١٠) الزخرف/ ٥٥.
(١١) يوسف/ ١١٠.
(١٢) ب: تقدم.
(١٣) ب: سورة.

إساءة جوابهم لنبيِّهم، وإطالة في المرتكب حين[1] قالوا في سورة هود: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ [٩٢/ظ] بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾، فجمعوا في هذا مع الإطالة، توهُّمهم مساواته عليه السلام فيما وراء البادىء من البشرية والصورة الإنسانية إلى استرذال اتِّباعه، كما قالوا في الموضع الآخر: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[2]. وإلى التَّعامي عن فضله عليه السلام عليهم وظنُّهم كذِبَه، وقد نزّهه[3] الله عن ذلك كلّه. فإذا تأملت مجموع هذا استَطْلَعْتَ منه مكنُون كفرهم. ومثل هذا من غير فرق قولهم في آية سورة المؤمنين ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فلإساءتهم فيما ذكر من الوارد عنهم[4] في الموضوعين، وصِفوا بالكفر فقال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾، فوصفهم بالكفر في السورتين.

وأما آية الأعراف، فقولهم فيها ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ليس[5] كجوابهم[6] في السورتين لا من جهة الطول، ولا من جهة المعنى، لأن لفظ الضلال ليس بِنَصٍّ في الضلال عن الدِّين، لأنه يقال: ضَلَّ بمعنى تحيّر وحاد عن دِينٍ أو طريق، ويُتّسع في إطلاق لفظ الضلال على غير[7] ما ذكرناه[8]. وقد قال بعض المفسرين هنا في تفسير الضلال: إنَّه الذهاب عن

---

(١) ج، هـ، م، ب: حتى.
(٢) الشعراء/ ١١١.
(٣) ك: نزّة.
(٤) ج، ع: منهم.
(٥) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.
(٦) ج، هـ، ب، ع: لجوابهم.
(٧) ساقطة من م.
(٨) ك: ذكرنا.

طريق الصواب والحق. وبالجملة فإنهم لم يريدوا هنا الضلال الذي هو الكفر، وإنْ كان قد يقع إذا تقدمته[1] قرينة[2] على أعظم من الكفر، وأما هنا فليس كذلك. فلما لم يكن[3] في الوارد في سورة الأعراف من الإطالة في العبارة والإبلاغ فيما قصدوه من المعنى مثل ما في السورتين ناسبه الإيجاز، وإن لم يوصفوا هنا بالكفر، فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِۦٓ﴾. ومما يشهد لهذا أنّ قوم هود[4] عليه السلام لما بَلَغُوا في إساءة[5] جوابهم لنبيِّهم في قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾[6]، أرادوا: في قلّة علْم، وخفّة حلْم، قاله الغُزْنَويّ[7]. وقال غيره في خفة حلم وسخافة عقل[8]. فلما أساءوا في مقالهم هذا عبَّر عنهم[9] بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ فوصفوا بالكفر مناسبة لقولهم. ولمّا لم يقع في جوابِ قوم صالح مواجهة نبيهم بمثل هذا، بل عدَلوا إلى مخاطبة ضعفائهم بقولهم لمن آمن منهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[10]، فلما لم يواجهوا نبيهم بما واجه[11] قوم هود، عبر عن هؤلاء بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾[12]. فإن قيل: فإنهم قد وصفوا بما يُفهِم كفرهم وهو الاستكبار.

---

(١) م، ك: تقدمت.
(٢) ك، ع: القرينة.
(٣) ج، هـ، م: فلم يكن.
(٤) ك، هـ، م، ب، ع: نوح، وصوابها ما أثبتناه.
(٥) هـ، م: إساءته.
(٦) الأعراف/ ٦٦.
(٧) ج، ب: الهروي.
(٨) انظر جامع البيان١/٢٩٣-٢٩٥، ٣/٩٠، الكشاف ١/٥٥٤، ابن كثير ٢/٢٢٤.
(٩) ك: عنه.
(١٠) الأعراف/ ٧٥.
(١١) م: واجهه، ك: وجه.
(١٢) الأعراف/ ٧٥.

قلت: قوبل بهذا وصف مخاطِبيهم[1] بالاستضعاف. وليس كالإفصاح بالكفر، فوضح ما بسطناه أولاً، وجرى كل من ذلك على ما يناسب، والله أعلم بما أراد [٩٣/و].

١٣٢ ـ الآية التاسعة[2] من سورة الأعراف قوله تعالى:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٢).

وفي قصة هود [منها] (٦٨): ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

فيهما سؤالان:

الأول[3]: قوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾، وفي الأخرى[4]: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

والثاني: أن كل واحد من هذين النَّبِيَّيْنِ الكريمين يعلم من الله سبحانه، ما لا يعلمه قومه، فهل في قصة نوح ما يحمله على قوله لقومه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما ليس في قصة هود.

والجواب عنهما، أن قوم نوح عليه السلام، لما رَمَوْه بالضلال، وأكدوا ذلك وزعموا استحكامه بالوصف في قولهم[5] له[6] عليه السلام[7]: ﴿إِنَّا

---

(١) ج، هـ، م، ب، ع: مخاطبتهم.
(٢) ما بعدها إلى الأعراف ساقط من العنوان في ب.
(٣) ب وأحدهما ورود قوله في الأول».
(٤) ب: الثانية.
(٥) هـ، م، ب: قوله.
(٦) في ك فقط.
(٧) عليه السلام ساقطتان من: ج، ع.

﴿لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فزعموا أن ضلاله غير خاف، وهو الذهاب عن طريق الصواب، ولا يكون إلاَّ عدم العلم بما فيه رشاد الضَّالّ[1]، واستقامة حاله نَفَى عليه السلام كل ذلك عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ثم أتبع بأوصاف عليّة تناقض قولهم، وتدمغه، وتشهد للمتصف بها ببراءته من ذلك. وتـردُّد[2] ذلك الوصف عليهم، وأنهم الأهلون لما[3] رمَوه به فقال: ﴿وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4]، ولا يرسل رَبُّ العالمين، المالِك للكل العالم بهم، إلا من جعله في أعلى درجات المهتدين العالمين بِنِصَاب[5] الرسالة، وما يلزم متحمِّلها ثم بيَّن لهم نصحه واستمراره في إبلاغهم ونصحهم فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾[6]، ثم أتبع بتعريفهم بجهلهم[7] بما عنده من ربه، وبِعِلْمِه هو بذلك فقال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[8]، وإنما قال: ﴿وأَنْصَحُ﴾ ـ ﴿وأَعْلَمُ﴾، ليعلم بتماديه على النصح لهم وهم لا يشعرون ولا يهتدون، وبإمداده بزيادة علومه بالوحي وهم عن ذلك في أشنع ضلال وأبعده، فجمع عليه السلام فيما خاطبهم به رَدَّ مقالهم ورَمْيِهم بأكثر مما رَمَوه به، وردّ ذلك عليهم بألطف رد، وأَبْيَنَه، لمن وُفِّقَ، ونزَّه عليه السلام عبارته المحصِّلة[9] لذلك على أتم الوجوه عن شنيع عبارتهم، وقُبح مواجهتهم.

---

(١) ج، ب، ع: الضلال.
(٢) ج، ك، ب، ع: وترد.
(٣) ج، ك، ع: بما.
(٤) الأعراف/ ٦١.
(٥) ج، ع: بنصب.
(٦) الأعراف/ ٦٢.
(٧) ج، ع: بجهلهم.
(٨) الأعراف/ ٦٢.
(٩) ج، هـ، م، ب، ع: المخلصة.

وأما جواب هود عليه السلام، فإنّ قومه لما قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، فرموه بخفة الحلم وقِلّة التَّثَبُّت[1] وكثرة الطَّيْش، ونفَى عليه السلام ذلك عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾، فردَّ قولهم، ثم عرَّفهم برسالته، وقدم ما ينبغي للرسول أن يكون عليه، ثم أتبع بجليل أداء أمانة الرسالة من التبليغ والتمادي عليه فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾، فجاء الفعل المشعِر بالتكرُّر والاستمرار قياماً [٩٣/ظ] بإبلاغ رسالته وحفظاً لأمانتها. ثم قال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، فعرَّفهم بصفتين جليلتين قد اكتنفه العصمة فيهما ومن كانت صِفَتَاهُ اللاَّزِمتان[2] له: النُّصح، والأمانة[3] فقد تنزَّه قدره عن الطيش وعدم الحلم، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[4]. وإنما أتى في إخبارهم بنصحه وأمانته بالاسم فقال: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ولم يقل أنصح فيأتي بالفعل، ليحصل منه أنَّ[5] ذلك الوصف الجليل لازم له غير مفارِق ولم يكن الفعل ليعطي ذلك فجاء[6] بالاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو «أنا». فهذا مقصود ثبات[7] الوصف ولزومه مثل الوارد في قوله تعالى مخبراً عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ[8] اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ[9]﴾[10]،

---

(١) ب، ع: الثبات.

(٢) ج: اللزمتان.

(٣) ما بعدها إلى قوله ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ساقط من ج، ب، ع.

(٤) البقرة/ ١٣.

(٥) ساقطة من ج، ك.

(٦) ك: فجيء.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: بثابت.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ك.

(٩) ب: زاد من الآية هنا ﴿ويمدهم﴾

(١٠) البقرة/ ١٤ ـ ١٥.

فأخبر[1] عن قولهم للمؤمنين آمنا بالفعل الماضي وليس من وضعهم إعطاء الدوام في الأكثر؛ إذْ قَدْ يقول: «فَعَلْتُ» مَنْ أوقع الفعل مرة واحدة، وأخبر تعالى عن قولهم لإخوانهم وشياطينهم بقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ فجاؤوا بالاسم إعلاماً بصفتهم التي هم عليها مستمرُّون[2].

فكذا هذا الإخبار الواقع هنا في هذا المقصود من التمادي والاستمرار حين قال هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾. فجاء بالاسم لانتفاء[3] ما رمَوه به من السَّفاهة جملة، وقابل عليه السلام مقالهم الشنيع بخبره الصادق عن نفسه، فردَّ مقالَهم، ولم يكن الفعل ليحرز هذا المقصد، كما أحرَز قول نوح عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الإخبار عن نفي ما رمَوه به جملة، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

ومما يسأل عنه في هاتين الآيتين أنَّ نوحاً وهوداً عليهما السلام[4] دَعَوَا إلى العبادة قوماً كفاراً، وقد ورد في قصة نوح عليه السلام: ﴿قَالَ[5] الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾، وفي قصة هود عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، فوسِموا بالكفر بخلاف قوم نوح. ووجه ذلك ـ والله أعلم[6] ـ الاكتفاء[7] بما وقع في دعاء نوح عليه السلام من قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وخوفه من تعذيبهم، إنما كان لكفرهم، ولم يقع ذلك في دعاء هود؛ لأن قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ليس فيما يعطيه من

---

(١) إلى قوله ﴿إنما نحن مستهزءون﴾ ساقط من ج، ع.
(٢) ج: مستمرين.
(٣) هـ، م، ك: فانتفاء، ع: بانتفا.
(٤) ج، ع: عليهما الصلاة والسلام، وبعدها في ك: «إنما دعوا».
(٥) ساقط من ج، ع.
(٦) والله أعلم: مكانها بياض في ج.
(٧) زاد بعدها في جميع النسخ «به».

التخويف [في][1] قوة: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ إذْ قد يؤمَر بالتقوى للمؤمن، ويقال للعاصي بصغيرة: ألا تتَّقي الله؟!. فلما كان في دعاء نوح ما يشير إلى الكفر، ويدل عليه، اقتضى الإيجاز الاكتفاء بذلك. ويشهد لهذا أنَّ قصة صالح وقصة[2] شعيب الوارد [فيهما][3] الدعاء إلى الإيمان على هذا المنهج لمَّا لم يقع في دعاء هذين النَّبيَّيْن عليهما السلام ما وقع في دعاء نُوح عليه السلام ما ينبىء بالكفر، وورد في حكاية مقالة قومهما ما يحصل منه ذلك المقصود، وذلك قوله [٩٤/و] تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾، وذلك جارٍ مع الواقعة في قصة هود من غير فرق، لأن استكبارهم عن إجابته والإيمان به كفر، والله أعلم بما أراد.

١٣٣ ـ الآية[4] العاشرة قوله تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾ (٦٤).

وفي سورة يونس (٧٣): ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُنذَرِينَ﴾.

فيهما[5] أربع سؤالات يذكر كل سؤال منها متَّصلاً[6] بجوابه:

---

(١) جميع النسخ: ففي.
(٢) ساقطة من ج، ع.
(٣) جميع النسخ: فيها.
(٤) إلى آخر العنوان محذوف من ك.
(٥) ك: فيها.
(٦) ج، ع: متحصلاً.

الأول: قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، وفي الثانية[1]: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾. فاختلف نقل فَعَلَ الهمزة في الأولى، وفي الثانية بالتضعيف.

و[الثاني قوله] في الأولى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، وفي الثانية: ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾، فاختلف الموصول أيضاً.

والجواب عن هذين السؤالين ـ والله أعلم ـ أنَّا قد أوضحنَا في كتاب «البرهان» أن ترتيب سور القرآن أصل مراعى، وترتيب الآيِ في هذا الحكم أوْلى وأبْين[2]. وإذا تقرر هذا فاعلم أيضاً أن لفظ الآي وما تصرَّف منه للمثنى والمجموع أصل في الموصولات، إذ لا يخرج لفظ الذي عن الموصولية. أما ﴿مَنْ﴾، فإنها تخرج إلى الاستفهام، والشرط، وغيرهما. والأصل في النَّقل أن يكون بالهمزة، وأما النقل بالتضعيف والباء وغيرهما فثَانٍ[3] عن الأصل. ومن يقول[4] بالقياس في النقل، على اختلاف مذاهبهم، من أنَّ المَقِيس فيه النَّقل من الفعل، إنما هو غير المتعدِّي، أو المتعدِّي إلى واحد، أو المتعدِّي إلى اثنين[5] مع الضربين قبلَه، وهو قول الأخْفَش[6]. فكل هؤلاء إنما المَقِيسُ[7] عندهم ما يُنقَل [بالهَمْزَة][8]، ويجعلون النَّقل بالتضعيف وغيره، موقوفاً على السَّمع. فإذا تقرر ما ذكرناه،

---

(١) هـ: الثالثة، وصوابها ما أثبتناه.

(٢) ج، هـ، م: أوْلاً أبْيَنَ.

(٣) ب: فبان.

(٤) ج، هـ: يقل.

(٥) ك: أو المتعدي إلى واحد ـ مع غير المتعدي إلى اثنين. . وبقية النسخ والمتعدي إلى اثنين. .

(٦) ذكر الزمخشري في «المفصل/ ٢٥٧» أن للتعديه ثلاثة أسباب هي: الهمزة، وتثقيل الحشو يعني التضعيف، وحرف الجر. وتختص الهمزة منها بالمتعدي إلى اثنين فتنقله إلى ثلاثة نحو: أعلِمْتَ ونسب إلى الأخفش أنه أجَازَ قولهم: اظْنَنْتَ، واحْسِبْتَ واخِلْتَ، وازْعَمْتَ إلحاقاً لها بقولهم: أعْلَمْتَ وأرأيتَ من المتعدي إلى ثلاثة المنقول بالهمزة عن المتعدي إلى مفعولين.

(٧) م: المفسَّر.

(٨) جميع النسخ: به الهمزة.

فنقول: إنَّ سورة الأعراف ورد فيها قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، كل منهما على الأصل في نقل الفعل وفي الموصول رَعْياً للترتيب، ولا يمكن العكس على هذا، ثم انجر مع ذلك رعي تناسُب التقارن لما ورد في الأولى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، بزيادة همزة النَّقل المثبَت لها صورة الألف في الخط ونُطْقٌ يَخُصها بحركة الهمزة، فطالت الكلمة بالألف خطًّا وبالنطق بحركة الهمزة لفظاً [و]ناسبها[1] الموصول الذي هو ﴿الَّذِي﴾، لزيادة حروفه على حروف ﴿مَنْ﴾. ولمَّا قيل في الثانية: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾، فجيء بما هو أخصَر في الخط، ناسبه[2] مِنَ الموصولات، ﴿مَنْ﴾ المفرد، في معنى الذي، وهو أخصَر.

السؤال الثالث: زيادة[3] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾، في سورة يونس، وذلك مثال طائفة معينة من المجمَل الوارد في أول السورة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم [٩٤/ ظ] بِالْبَيِّنَاتِ﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4]، وقوم نوح عليه السلام أول أمة أُهلِكتْ بتكذيبها، ثم خلَفها غيرها. فذكر من المتقدِّم مجمَلاً أوّل واقع منه، وأنهم جُعِلُوا خلائف كمَن جَرَى فيمن بعدهم.

والسؤال الرابع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾، وذلك[5] مقابَل به[6] قولهم لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾، فقيل لهم:

---

(١) ج، ع، ب: فاشبها.
(٢) ج، هـ، م، ع: ناسب.
(٣) ج: بزيادة.
(٤) الآيتان/ ١٣، ١٤.
(٥) ج، هـ، ك: ذلك.
(٦) ساقط من ج، ع.

بَلْ أنتُمْ قَوْمٌ عَمُونَ فَأَنَّى لَكُم بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ ٱلْهُدَى وَالضلالَة. وأما قوله في الأخرى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾، فليجْرِيَ[1] مع آية الأعراف، فيما ورد فيها من التعريف بإنذارهم في قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾[2]، فوقع هنا التعريف بإنذارهم، ثم ورد في يونس بقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾، فحصل[3] التعريف في الآيتين بإنذارهم وعاقبة من أُنذِرَ، فلم يرجع عن غيِّه، والله أعلم.

١٣٤ ـ الآية الحادية عشرة[4] من سورة الأعراف قوله تعالى في قصة صالح:

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣).

وفي سورة هود (٦٤): ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

وفي سورة الشعراء (١٥٥، ١٥٦): ﴿قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ[5] وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فاختلف الوصف المختوم به الآي الثلاث[6]. فقد يسأل عن ذلك.

والجواب أن[7] مثل هذا ليس خلاف ولا مُشكِل، لأن وصف العذاب

(١) ج، هـ، م، ع: فليجر.
(٢) الأعراف/ ٦٣.
(٣) هـ، م: فجعل.
(٤) ما بعدها إلى الأعراف محذوف من العنوان في ب.
(٥) ما بعدها إلى قوله (عذاب) محذوف من الآية في ب، وفي موضعه (إلى قوله).
(٦) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.
(٧) ساقطة من ك.

بالإيلام لا ينافر وصفه بالقرب، وإنما وصف في سورة هود بالقرب، ليجري مع قوله بَعدُ: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[1]، فجرى في الوصف رَعْيُ هذا، ولا ينافر ذلك الإيلام.

وأما الوصف في سورة الشعراء بعظيم، فمن صفة اليوم، لما فيه من الأهوال، لا من صفة العذاب. فلا إشكال في شيء من هذا.

١٣٥ ـ الآية الثانية عشرة قوله تعالى في قصة صالح:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٧٨).

وكذا في قصة شعيب فيما بعد[2]، وفي سورة هود في القصة المذكورة قبلُ[3]: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

وقال في قصة شعيب في سورة هود أيضاً (٩٤): ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا[4] فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ[5]﴾. وفي هذه الآية الأخيرة، تسمية عذابهم بالصيحة، وجمَع اسم الدار، وفي الآية قِبل الرجفة وإفراد [٩٥/و] الدار فأقول: إنَّ وجه اختصاص كل سورة بما خصت به، أنَّ اسم الدار لفظ يقع على المنزل الواحد، والمسكن المفرد، ويقع على مساكن القبيلة، والطائفة الكبيرة، وإن اتَّسَعْتْ وافْتَرقتْ، وتعددَّت مساكنها وديارها، إذا ضمها إقليم واحد واجتمعت في حكم أو مذهب.

وإذا تقرر هذا، فوجه اختيار لفظ الجمع في الآية [الثانية] من[6] هود

---

(١) آية/ ٦٥.
(٢) الأعراف / ٩١.
(٣) آية/ ٦٥.
(٤) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من ج، هـ، م، ع.
(٥) ساقطة من الآية في ب.
(٦) ساقطة من ج، ب، ع.

مناسبة ما اقترن به من لفظ الصَّيحة، وهي عبارة هنا عن العذاب مطلقاً دون تقييد بصفة، وهو من الألفاظ الكلّية، فإن لم يكن عاماً، فانتشار مواقعة من حيث الكلية حاصلة. وأما الرجفة فالزَّلزلة، فلهذا اللفظ خصوص، وهو جزئي. ومن المعلوم بالضرورة، انحصار الألفاظ في الضَّربين وأن اللغات لا تختلف في ذلك، فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها. وإذا عبر بالرجفة لم يتناول لفظها[1] إلا ما كان عذاباً بها، فناسب عموم الصيحة جمع الديار مناسبة تركيب النظم، وناسب خصوص الرجفة إفراد «الدار» ثم إنّ وجه تخصيص آية سورة هود بما وقع فيها[2] أنَّه ذكر قبلها في مرتكبات قوم شعيب وسوء ردُّهم[3] على نبيهم عليه السلام، بما[4] لم يَرِد مثله في آية سورة الأعراف. وتأمَّل قولهم له: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[5]. فتأمَّل ما في ردهم هذا من الاستهزاء والإساءة وشنيع المقابلة لجليل[6] وعظِه عليه السلام لهم، ورأفته في دعائه إيَّاهم بقوله: ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[7]، وقوله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[8]، وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً[9] وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[10]، وقوله: ﴿لاَ

(١) ج، ك: لفظهما.
(٢) ج: منها.
(٣) ج، هـ، م، ب، ع: شرودهم.
(٤) ج، هـ، ك، ب، ع: مالم.
(٥) هود / ٩١.
(٦) ج، هـ، م، ب، ع: بجليل.
(٧،٨) هود / ٨٤، ٨٦.
(٩) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(١٠) هود/ ٨٨.

يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ[1] مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَو قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾[2]، وقوله[3] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُـوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[4]. فما أجمل تلطف هذا النبي الكريم في دعائه إياهم، وما أشنع ردِّهم عليه. فلهذا ما عبَّر عن عذابهم وأخذهم هنا بأعم مما ورد في غير هذه الآية. ولما لم يرد في غيرها مثل هذا في الدعاء والجواب، ناسبه اللفظ الأخف رعياً لإحراز النظم الجليل وعَلِيِّ تناسبه، مع أن لا كبير اختلاف في المعنى الحاصل في العبارتين والله أعلم.

وجواب ثان في اختلاف الوارد فيما أُخِذَ به قوم شعيب وهو أن يكون المراد أخذهم بضُروبٍ [٩٥/ظ] من العذاب لقبيح[5] مرتكبهم وسوء ردهم على نبيهم فبين ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، والظُّلَّة غَيْمٌ تحته سَموم. فهذا ولا بد[6] عند[7] الرجفة، لأنها زلزلة. فعلى هذا يكونون قد أُخِذُوا بعذاب الزِّلزال، وعذاب الصيحة ـ وهو عذاب يصحبه صوت ـ وعذاب الظُّلَّة[8]. فورد ذلك على التدريج والتناسب، بحسب ما ذكر قبل كل عذاب من هذا من مرتكباتهم. وقد ذكر المفسرون تنوُّع عذابهم: بالرجفة[9]، والصيحة، والظُّلَّة، كما امتُحن آل فرعون بالطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدَّم، والطُّمسة.

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٢) هود/ ٨٩.
(٣) ساقط من ج، ب، ع.
(٤) هود/٩٠.
(٥) ج: بقبيح.
(٦) بياض في ج، هـ، ع مكان «ولا بُدَّ».
(٧) م، ك، ب: غير.
(٨) كذا في جميع النسخ.
(٩) ج، هـ، ب: فالرجفة.

١٣٦ - الآية الثالثة عشرة[١] من سورة الأعراف قوله تعالى في قصة صالح:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ (٧٩).

وقال في قصة شعيب عليه السلام [منها] (٩٢، ٩٣): ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَانُوا هُمُ الخَاسِرِينَ. فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾.

للسائل أن يسأل ويقول[٢]: إذا كان كل من الرسل عليهم السلام قد أبلغ قومه ما أُرسِل به، وكلهم في أداء تلك الأمانة وحفظها على نهج سواء من غير تفاضل في هذا، أعني الأمانة والإبلاغ، والعصمة في ذلك، وإنما التفاضل بأشياء غير ما ذكر. فإذا تساوَوْا فيما ذكر، وكلهم آمِر بإفراد الله سبحانه[٣] بالعبادة، واتّقاء عذابه بالتزام الطاعات، وامتثال الأوامر والنواهي، فكلهم أَمَر وَنَهى، وأوضح لقومه طريق النجاة، وحذرهم طُرُقَ[٤] المهالك ووصف كل واحد منهم برسول، ووصف ما جاء بالرسالة بالإفراد، فحصل[٥] المقصود فما وجه الجمع في قوله في قصة شعيب عليه السلام: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ ولم يرد على الإفراد، كما ورد في قصة صالح؟

والجواب أن العرب تراعي في أجوبتها ما نبّهنا عليه من سؤال أو غيره، إنْ إطالة فإطالة، أو إيجاز فإيجاز[٦]. وربما أَتَتْ باللفظ موجزاً وتحته معانٍ

(١) ما بعدها إلى الأعراف محذوف من العنوان في ب.
(٢) إلى هنا محذوف من ب، وفي موضعه «يقال».
(٣) ب: الله تعالى، ج، ع: الله تعالى سبحانه.
(٤) ك: من.
(٥) م، ك: فالإفراد محصل.
(٦) ك: وإيجاز.

كثيرة. وايضاً[1] فأجوبتهم مُراعىً فيها المعنى ملحوظ فيها ما وردت جواباً له. ولمَّا ورد في دعاء شعيب عليه السلام، تفصيل في الأمر والنهي، والتحذير، ألا ترى قوله بعد أمرهم بتوحيد الله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[2]، ثم قال: ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾[3]، وذكَّرهم بتكثيرهم بعد القِلَّة فقال: ﴿وَاذْكُرُواْ [٩٦/و] إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾[4]، وأنْ يتذكروا حال من تقدمهم ممَّن كذَّب فقال: ﴿وَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[5]. وورد عقب هذا من قول قومه له في قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[6]، وقولهم: ﴿لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾[7]. وقد انطوى هذا الكلام من التعريف بقبيح ردِّهم وشنيع مرتكبهم في مجاوبتهم على أعظم اجترام فحصل مِن هذا في[8] خطابه[9] إيَّاهم وما رَدّوا به وجاوبوه عليه السلام إطِناب[10] في العبارة، وإمعان فيما تحتها من المعاني، وفي كلا الضَّربين تناسَب[11] ذلك الجمع في قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي﴾.

وأما قصة صالح عليه السلام، فلم يقع فيها بعد أمرهم بالعبادة غير تعريفهم بأمر الناقة وأمرهم برَعْيها، وتذكيرهم بقوم هود في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا

(١) ك: وإجمالاً.
(٢) الأعراف/ ٨٥.
(٣-٥) الأعراف/ ٨٦.
(٦، ٧) الأعراف/ ٨٨، ٩٠ على الترتيب.
(٨) ك: فحصل في هذا من.
(٩) ب: خطابهم.
(١٠) ع: لإطناب.
(١١) ك: فناسب، ج: وفي كل الضربين يناسب.

إذ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ ـ الآية[1]. ولم تَفَصَّل[2] مُكَالَمَتُه إياهم كتفصيل ما قدم. وأما المحكى عنهم كقوله تعالى مخبراً عنهم من قول كافريهم لمن آمن منهم: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[3] وقولهم: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4] فليس هذا مثل المتقدم من جواب قوم شعيب له في المحكى من العبادة، ولا فيما[5] تحته من المعنى، فناسب الإفراد الوارد في قوله: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾.

فإن قلت: فقد ورد ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾[6]، [في][7] قصة نوح، وقصة هود عليهما السلام، ولم يتقدم في القصتين[8] إطناب، ولا إطالة تقتضي ذلك. فإن[9] الوارد في قصة نوح من قول قومه له، قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وهذا ليس كجواب قوم شعيب عليه السلام في إطالته. وإذ لم يكن في ذلك طول، فما وجه الجمع في قوله: ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، ولم تفرد كما في قصة صالح إذ هي شبيهتها في الإيجاز؟

فالجواب أنَّ لفظ الضلال وإنْ كان يرادف الكفر حسبما تقدم، وما يأتي به فإنه يقتضي بحسب كلِّيته وانتشار مواقعه مقتضيات عِدَّة، وأنهم لم يريدوا تخصيصه بقول بعينه من أقواله عليه السلام، بل أرادوا أقوالاً كثيرة مما

(١) الأعراف/ ٧٤.
(٢) ك: تتصل، ب، ع: تنفصل.
(٣،٤) الأعراف/ ٧٦، ٧٧ على الترتيب.
(٥) ج، هـ، م: في
(٦) الأعراف / ٩٣.
(٧) جميع النسخ: وفي.
(٨) ج، هـ، م: القضيتين.
(٩) هـ: بان.

أمرهم به ونهاهم عنه، ومِمَّا[1] حذرهم وأنذرهم من عذاب الآخرة حين قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. فلانسحاب اسم الضلال على مسمَّيات شتى، كان في وِزَانِ ما طال من الكلام فأشبه الواقع في قصة شعيب عليه السلام. قال الزمخشري [٩٦/ظ]: الضلال، الذهاب عن طريق الصواب والحق. فكأنهم قد أفصحوا بأن قالوا: لا نعتمد على قولك في شيء، ولا نعوِّل عليه، لأنك ذاهب فيه عن طريق الصواب والحق. ويشهد لإرادتهم هذا التفصيل قول نوح عليه السلام في رَدِّ مقالهم: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، ولم يقل ليس بي ضلال، فينفي عين ما قالوه، بل عدل إلى ما يدفع قليل ذلك وكثيره في كل قضية. وإذا نفى وجود الضلال في كل قضية من تلك القضايا، فقد انتفى الضلال عن كلِّها وبرئت ذمته الرفيعة عن الاتصاف بشيء رمي به[2]. ومثَّله الزمخشري بجواب من قيل له: أَلَكَ تَمْرٌ؟ قال: لا، ولا تَمْرَة[3] وهو تنظير حسن. وقد حصل من هذا إطناب وتفسير[4] في المعنى ولطول المجاورة بينه وبين قومه ما قالوا له في آخر مقالهم[5] قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فلهذا قال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، فجمع فكأنه عليه السلام يقول: كل قضية أُبلغكم إياها فربي أرسلني بها، وكل منها رسالة أرسلت بها إليكم، محفوظاً في ذلك بعصمة الله إيَّايَ، منزَّهاً عما توهمتم من الضلال. ثم أَتْبَع[6] بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يريد مما منعكم من تصديقي فيه ما رميتموني به من الضلال فردّ

---

(١) ج، هـ، م: وما.

(٢) ك: رموه به، ب: رمز به.

(٣) راجع النص في الكشاف ١/٥٥٢، ٥٥٣.

(٤) ك: تفصيل.

(٥) ج، ك، ع: أمر مقالتهم.

(٦) ساقط من ك.

عليه السلام قولهم بألطف ردٍّ وأرْفَقِه بقوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي طيِّ هذا الكلام ما يُفهم توبيخهم، ويشير إلى تعاميهم وجهلهم، فهو يَرْعَي[1] ما تمهد موضع جمع رسالة لما تحمل[2] مما[3] يفهمه النظم الجليل من التفصيل الذي به يتم المعنى المقصود بكلامه عليه السلام، مع ما بُنِيَ عليه من التفصيل الذي تضمَّنه جوابهم، فليس كالوارد في قصة صالح عليه السلام، لأن قول صالح عليهالسلام في قضية خاصة والله أعلم. ألا ترى قول ملأ قومه من كفارهم لمن آمن منهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، فقصروا سؤالهم وخصُّوه بصحة الرسالة، ثم قالوا للملأ من المؤمنين: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ثم بنَوْا على هذا سائر ما كان منهم من الكفر والعِتِّو وَعَقْر الناقة. وإنما سألوا أوَّلاً ودار أمرهم على صحَّة إرساله[4] عليه السلام، فطابق ذلك الإفراد قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾.

وأما قوله قوم هـود في جوابهم لنبيِّهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، والسَّفاهة الطيش وقِلَّة الحِلم، فحال من اتصف بذلك كحال من اتصف بالضلال فلا يثْبت على قول[5] ولا يُعتمد عليه فهذه كقضية [٩٧/و] قوم نوح. فالجواب عنها كما تقدم في تلك، وكلٌّ وارد على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

---

(١) ج، ب، ع: مرعي، م، ك: يرعى.
(٢) ج: يحصل.
(٣) م: بما.
(٤) ج، ب، ع: الرسالة.
(٥) ج: مكان الجار والمجرور، بياض.

فصل

قد تقدم لنا في هذه الآية، وفيما قبلها أن الضلال يقع على ما دون الكفر، فيكون مع شناعته فيما يقتضيه بوصفه - وإنْ لم يرد به الكفر - دون الإفصاح بلفظ الكفر، إذْ يصح أن يطلق على متصف بالإيمان بريء من الكفر. وقد قال تعالى مخبراً عن إخوة يوسف في قولهم لأبيهم عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾[1]، وإنما أرادوا ما يرجع إلى عِمارَة خاطره عليه السلام برجائه يوسفَ، وما يرجع إلى هذا. وقد تكرر نحوه في القرآن، فأعلَم أنَّ الرسل عليهم السلام لم يجرِ أمرهم في دعائهم أُمَمَهُم[2] إلى الإيمان أوَّلاً، كما جرى آخراً، وبنسبة[3] ذلك جرى جواب أُمَمِهم في مراجعتهم في الأكثر. فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام، إنما ابتدأوا دعاءَهم الأممَ بالتلطف، والرفق، والصبر، وبذلك أُمِرُوا. قال تعالى لموسى عليه السلام في إرساله إلى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[4]، وهذا واضح، والغالب في مجاوبة أُمَمِهم إنما جرى بنسبةٍ من هذا. ألا ترى قول قوم[5] نوح عليه السلام في أول دعائه إياهم ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، وظاهر هذا إنَّهم إنما أَنِفُوا من[6] الانقياد لأمره[7]. وقد سبقهم في ذلك ضُعَفَاؤُهم، ومن لم يرَوْهُ بحسب التوهم الخيالي الضعيف أهلاً يُقْتَدَى به. وهذا[8] كما قال غيرهم في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم

---

(١) يوسف/ ٩٥.
(٢) ما بعدها إلى قوله «جواب أممهم» ساقط من ج.
(٣) هـ، م، ب: بنسبته.
(٤) طه/ ٤٤.
(٥) ساقطة من ب.
(٦) ج: عن.
(٧) ج، هـ، م، ب، ع: إلى أمره.
(٨) مكان «وهذا كما قال» بياض في ج.

مِّنْ بَيْنِنَا﴾[1]. وقول الآخرين: ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[2]، وهذا كلّه ليس إفصاحاً بالتكذيب، وإنّ أرادوه. وكذا قول قوم نوح عليه السلام: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا﴾، إلى ما أتبعوا من هذا، وإنما أفصحوا بالتكذيب أخيراً[3] قال تعالى في أمر الكافّة من الرسل حين توقُّف أممهم عن الاستجابة﴿حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[4]، وقال تعالى في مكذّبيهم: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا ٱنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[5]. وتأمّلْ دعاء الرسل حيث دعوا أممهم، والتدريج فيما جرى منهم، وسير[6] نبيِّنا صلى الله عليه وسلم يَلُحْ لك ذلك، وهو أبين من أن نطوّل بذكره. فعلى هذا قلنا إنّ قوم نوح في أول جوابهم له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ليس كقولهم أخيراً: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾، وإنما قالوا: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾، بعد طول محاورة. ثم إنهم لم يدّعوا علماً [97/ظ] بما قالوه من ذلك بل أفصحوا بأن ذلك ظن. فالمراد ـ والله أعلم ـ بما رمَى به قوم نوح نبيَّهم[7] من الضلالة ـ وإنْ تضمن من حيث انتشار مواقع التفصيل واحتمل[8] قصدهم الكفر وغيره ـ ليس كما لو[9] أفصحوا أولاً فقالوا: إنّه[10] كاذب أو كافر[11]. واعْتَبِرْ هذا الذي أوجَزْتُه تجِدْه أوضح شيء، والله سبحانه أعلم[12].

---

(1) الأنعام/53.
(2) الأحقاف/ 11.
(3) ج: أسيراً.
(4) يوسف/ 110.
(5) الزخرف/ 55.
(6) مكانها بياض في ج.
(7) ساقطة من ج، ك.
(8) ساقط من ج، هـ، ك، ب.
(9) في ك فقط.
(10) ع: إنك.
(11) في ك فقط.
(12) زاد في ج «بما أراده»

١٣٧ ـ الآية الرابعة عشرة[١] من سورة الأعراف قوله تعالى:

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ[٢]. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَنْ قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ. فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٨٠-٨٤).

وفي سورة النمل(٥٤-٥٧): ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ[٣]. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآ ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ. فَأَنْجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّآ ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ الْغَـٰبِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾.

وقال في سورة العنكبوت (٢٨-٣٠): ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ[٤] فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَنْ قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

---

(١) ما بعدها إلى الأعراف محذوف من العنوان في ب.

(٢) ما بعدها إلى قوله «مطراً» محذوف من الآية في ب، وفي موضعه «إلى قوله».

(٣) ما بعدها إلى قوله: «الغابرين» محذوف من الآية في ب، وفي موضعه «إلى قوله».

(٤) ما بعدها إلى قوله «من الصادقين» محذوف من الآية في ب، وفي موضعه «إلى قوله».

قلت: قد تقدم[1] البيان أنّ اختلاف مقالات الأنبياء لأممهم إنما هو لاختلاف مقاماتهم، إذ ليس دعاؤهم إيَّاهم في موقف واحـد، ولا لقوم مخصوصين، بل يدعو[2] النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتّى. وقد يكون للطائفة منهم خصوصُ مرتكَب[3] فيراعِي[4] نبيّهم[5] ذلك في دعائهم، وقد يخاطب ملأهم الأعظم في موطن، والفئة القليلة[6] منهم في موطن آخر وربما أطال في موطن وأوجز في موطن، وذلك بحسب ما يرونه عليهم السلام أجدى وأرجَى، فلا يشكِل على هذا اختلاف أقوالهم ولا اختلاف مجاوبة أممهم لهم فهذا مما لا يحتاج إلى سؤال عنه، وقد مرّ بيان ذلك، وإنما يبقى السؤال عن وجه خصوص كل سورة بما خُصَّت به من ذلك، وإنما أجبنا عن[7] ذلك، وأبدينا بحول الله وجه المناسبة والالتحام حتى يتبين أن كلًّا من ذلك لا يصلح تأخيره عن الموضع الذي ورد فيه تعويضاً بالوارد في غير ذلك [٩٨/و] الموضع منه، لم يبق في هذه الآيات ما يشكِل، والله أعلم[8].

وفي قصة لوط[9] عليه السلام[10] سبع سؤالات:

أولها: قوله في مطلع الآيات في الأعراف والنمل: ﴿أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ﴾، وقال في العنكبوت: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ﴾.

---

(١) الفعل وحرف التحقيق ساقطان من ج.
(٢) ج، هـ، ك، ع: يدعوا.
(٣) ج، هـ: ومرتكب.
(٤) ج، هـ: يراعي.
(٥) ج: بينهم.
(٦) ج، هـ، ب: البقية.
(٧) ج، هـ: على.
(٨) ك: ما يشكل عنه بحول الله، هـ، م، ب: والحمد لله.
(٩) زاد بعدها في ك «هذه».
(١٠) ساقط من ج، ع.

وثانيها: وصف حالهم في مرتكبهم في الأعراف والعنكبوت بقوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، وفي سورة النمل: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

والجواب عن هذين السؤالين أن قوله في الأعراف والنمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، الهمزة فيه للاستفهام المقصود به الإنكار والتعظيم في توبيخهم على الفاحشة الشَّنعاء التي لم يأتها غيرهم. ولما كان قد تقدم في الأعراف من ذكر الأمم المكذِّبين ذكر قوم نوح وهود وصالح، وذُكرت مرتكباتهم السيئة من معاندتهم للرسل، وتكذيبهم، وسوء مراجعتهم، وذلك مما يطَّلع [عليه] من أتَى بعدهم. وقد خصّ بالذكر من مرتكباتهم أقبَحها مما استوجبوا به العذاب، وأخذ كل طائفة بذنبها، قيل لقوم لوط عليه السلام، إنَّ هؤلاء المكذِّبين مِن قبلكم على سوء مرتكباتهم لم يسبقوكم إلى ما أنتم عليه، وقد سمعتم بهم، وخلَت من قبلكم المثُلات، فناسب ما تقدم[1] مِن أحوال مَن قبلهم في هذه السورة، وذكْر تلك الأحوال على التفصيل أن وبَّخ قوم لوط بقبيح جريمتهم، وأن مَن قبلهم ـ على شَتّيء[2] أحوالهم ـ لم يرضَها[3]. فكأن قد قيل لهم هذه قصص من تقدمكم، وذكرٌ مِن مرتكباتهم[4] التي أخِذُوا بها، فهل وقع منهم ما وقع منكم أو هل سبق أحد منهم إلى مرتكبكم[5] الشنيع، فناسب ذكر الأمم المكذِّبين قبلهم تقريع هؤلاء بكونهم أول مَن فعل تلك الشناعة، وأنهم لم يسبقهم أحد إليها. ثم[6] قيل لهم في سورة النَّمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي تدركون فحشها

(١) ك، ب: قدم.
(٢) ك: شتى.
(٣) ج: يرضيها.
(٤) ج، ع: مرتكباتكم.
(٥) م، ك: إلى مرتكباتكم، ج، هـ: إلى مرتكبهم.
(٦) ساقطة من ك.

ببصائركم، وأمرها غير خاف على كل ذي عقل، فهل يصدُر هذا إلا من معاند، متصِفٌ[1] بأعظم الجهل. وقيل أنهم كانوا يتجاهرون بهـا، ولا يستحي بعضهم من بعض، فالمراد[2] بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي: ترون ذلك بأعينكم لا يستتر بعضكم من بعض، تهكُّماً واستهزاء[3] هذا أعظم الجهل. فلستم ممَّن يفعل أو يعلم شيئاً، بل أنتم تجهلون. ولمَّا لم يتقدم في هذه السورة تفصيل أحوال الأمم المكذِّبين، وأخْذِهم، ولم يذكر ذلك كان ذكرهم كأن لم يتعرفوا حال من تقدمهم، فعدل عن توبيخهم بما وُبِّخُوا، حيث ذكر مَن كان قبلهم إلى ضرب آخر من التوبيخ لم يكن نَصَّ عليه في الأعراف من بيان شنيع المرتكب [٩٨/ظ] في فعلهم، وأنه غير خافٍ فقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي أن من شأن من له عقل أو بصر يبصر به على المأخذ الآخر أن يكتفي بعقله وإبصاره في مَيْزِ ما يشنُع. ثم قد تقدم في هذه السورة قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾[4]، أي بيِّنة واضحة أو مرئيَّة مشاهَدة بالأبصار جحدوا بها، وهو من أقبح مرتكب. فلما تقدم هذا، ناسبه في قصة لوط عليه السلام قولـه: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، ولقبح هذا التَّعامي، ما أعقب بقوله بعد: ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. ولمَّا تقدم في سورتي[5]: الأعراف والنَّمل: تقريرهم تقريعاً وتوبيخاً وعرفوا بذلك مرَّة بعد مرَّة، وردت قصتهم في العنكبوت مؤكَّدة بإنَّ واللام لثبوتها، فوردت مورِد ما يجيء به القَسم ملتقىً[6] به القَسَم، إذ قد

---

(١) ك: متصفاً.
(٢) ج، هـ، م، ب، ع: والمراد.
(٣) هـ م، ك، ع: استهتاراً.
(٤) ب: النمل/ ١٣.
(٥) ك: سورة.
(٦) م، ع، ب: متلقى، ب: فتلقى.

تقدم تقريرهم التوبيخ مرتين، فجاء الإخبار بعدُ بما به[1] يخبَر عن المتقرر الثابت، ولم يكن ليناسب العكس. وهذا على مقتضى الترتيب في السور والآي، فجاء كل على ما يجب.

والسؤال الثالث: أنه لمَّا تقرر بقوله في الأعراف والنَّمل: ﴿أَئِنَّكُمْ[2] لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ فذكر مرتكبهم القبيح، وأنهم في ذلك من حيث لم يراعوا في فعلهم إلا مجرد الشهوة، ولم يلحظوا ما لحظه العقلاء، ولا ما قررته الشريعة من قصد التناسل والتوالد، وجُبِلَتْ عليه البهائم، وجرى التعريف مِن حالهم في سورة العنكبوت بمثل ذلك فقال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾. فللسائل أن يقول[3]: ما وجه اختلاف ما بُنِيَ عليه هذا الإخبار في السورتين من وصفهم، فقيل في الأولى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، والعدول في سورة العنكبوت من قوله: ﴿شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾، إلى قوله: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾. ما الوجه في هذا وقد اتفقت الأخبار في مطالع الآي في هذه السور الثلاث؟.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه قصد بما ذكر في سورة الأعراف الإشارة إلى التعريف بانهماكهم في الجرائم، وقبيح[4] المرتكبات، فنص على أفحشها، وحصل الإيماء إلى ما وراء ذلك بما ذكر من إسرافهم، فقيل: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾. ولمَّا قيل في سورة النَّمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ كان أهم شيء أن تُنفى[5] عنهم فائدة الإبصار، إذْ

---

(١) ج، هـ، ع: بعدها به.

(٢) ك: إنكم وهو نصّ آية الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه..).

(٤) ك: قبح.

(٥) م: ينفى، ج، هـ، ع: انتفى.

لم يُغنِ[1] عنهم شيئاً، فأعقب بقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، أي مرتكبكم مع علمكم بشنيع ما فيه من أقبح ما يرتكبه الجهّال، ولم يذكر هنا إسرافهم، إذ [٩٩/و] قد حصل فيما ذكر في الأعراف.

وأما سورة العنكبوت، فقُصد فيها[2] تفصيل ما أشير إليه في الأعراف من شنيع ما ارتكبوه من إسرافه[3] فقيل[4]: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وورد أوّلاً بحسب الترتيب المتقرر عليه السور والآيات ذكر أفحش مرتكباتهم ثم أجمل القول في سائر جرائمهم[5] ثم أُتبع في السورة الثانية[6] بشنيع حالهم في تلك الفَعلة المنصوص عليها من حيث بيان فحشها للأبصار والبصائر ثم أُتبع ذلك في السورة الثالثة بتفصيل بعض[7] قبائح أفعالهم[8] والتنصيص عليها. وجاء هذا[9] كله[10] على ما يجب ولا يكون العكس فيما ورد يناسب[11]، والله أعلم.

والسؤال الرابع ما وجه الاختلاف الوارد[12] في جواب[13] قوم لوط عليه

---

(١) ك، ع: تغن.

(٢) ج: فقد (بياض) فيه.

(٣) ك: إسرافهم.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) مكانها بياض في ج، ع.

(٦) ما بعدها إلى قوله الثالثة في ك فقط.

(٧) في ك فقط.

(٨) ك: أعمالهم.

(٩) ساقط من ج، هـ، ع.

(١٠) ب: وجاء كل هذا.

(١١) في ب فقط.

(١٢) ساقط من ج، ع.

(١٣) هـ: جوابه.

السلام له في سورة الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ﴾ وفي سورة النَّمل: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وفي سورة العنكبوت: ﴿آئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

والجواب أنه لمَّا زيد في تعنيفهم في النَّمل وتعريفهم بإتيانهم الفاحشة على علم بها، أو مع مشاهدة بعضهم بعضاً وعدم استخفائهم بها، وذلك أقبح في المرتكب. فلما زيد في تعريفهم زيد في تعليل الإخراج التنصيص على الآل [1]، لأن قوله: ﴿آلَ لُوطٍ﴾، أنصُّ في إخراج جميع مَن لِلُوط عليه السلام من ذَوِيهِ [2] وأهله من قوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، بزيادة [3] التنصيص الأعم بإزاء الأزيد في التقريع. ولمَّا عدَّد من قبائح مرتكباتهم في العنكبوت ما عدَّد بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، فكان تَعداد مرتكباتهم أشدَّ توبيخاً في تقريعهم [4]، وأنْكأ لتمييز أفئدتهم كان مظِنة تهيج [5]، واشتعال [6] لسيء [7] أخلاقهم، وقبيح [8] جوابهم، فجاوبوا جواب من استحكم خُنقُه وطُبع على قلبه، فقالوا: ﴿آئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾، تحكيماً وتحقيقاً لتكذيبهم وشاهداً بتصميمهم على المعاندة والكفر، لأن قولهم في الموضعين قبلُ: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يفهم بفحواه ما يستلزم إخراجهم من مجازاتهم على ذلك. فهو في قوة قول القائل

(١) ك، ع، هـ: الاهل(؟).

(٢) ب: دونه، ج، ع: ذو. . . . . ـه (هكذا) هكذا.

(٣) ك: فزيادة.

(٤) ج، ع: تعريفهم، وقد سقط من النسختين قوله: «وأنكأ لتمييز».

(٥) ج: تهييج.

(٦) ساقطة من ع.

(٧) ج، ع: السيء.

(٨) ج، هـ، ك، ب، ع: قبح.

لمعانده: أنا أعاملُك[1] بكذا، فإن قدرتَ على الانتصار لنفسك فافعل. وقول القائل: أنا أفعل كذا ولا أبالي بما يكون على ذلك، وكأن قد قالوا: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، فإن كان [٩٩/ظ] عذاب فليأت به. فلما اشتد حنقُهم هنا، طلَبوا العذاب، وعدَلوا عن ذلك السبب، استعجالاً للمسبَّب فجاء كل من هذا على ما يجب، والله سبحانه أعلم.

والسؤال الخامس قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، وفي سورة النمل ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾. وقد ورد في إهلاك امرأة لوط عليه السلام في الحجر ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[2].

للسائل أن يسأل عن[3] وجه الاختلاف فيما ذكر، ووُرود كلٍّ من هذه العبارات حيث ورَد.

والجواب أن ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾ مُعْطٍ من المعنى ما يعطيه كانت من غير فرق. لأن المراد إلحاقها بالهالكين وإخراجها من النّاجين، وهذا المعنى هو المراد بقدَّرناها مشدَّداً. وكذلك قوله في الحِجر ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا﴾. وأما وجه اختصاص كانت بآية الأعراف فليناسب إيجاز قوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، وقوله في النمل: ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾، ليناسب ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾، وقوله في الحجر: ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا﴾، ليجري مع ما وُكِّدَ بإنَّ ويناسبه كقوله: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5] فقيل مناسباً لذلك ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا﴾ وتناسَب هذا كله.

---

(١) ج، هـ، م: اعلِّمك.

(٢) الحجر/ ٦٠.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).

(٤) الحجر/ ٥٨.

(٥) الحجر/ ٥٩.

والسؤال السادس، ما وجه تعقيب قوله في الأعراف: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ بقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وفي النمل بقوله ﴿فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾ وهل كان يحسُن العكس؟.

والجواب أنه لمَّا تقدم في الأعراف: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾، حصل منه[1] أن ارتكابهم[2] ما لم يسبق إليه غيرهم، وقد جمع إلى قبح الفحش الاجْتِرَام[3]، فأعقب[4] بقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، ولما تقدم في النمل قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، حصل منه تعنيف وإنذار لم يقع مثله في الأعراف، إذْ ليس موقع قوله[5]: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾ في الإنذار والتعنيف كموقع تعريفهم بعلمهم بها وشُنعَة معاينة بعضهم بعضاً في ارتكابها، فناسب إنذارهم[6] بهذا ما أُعقب به[7] من قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾. ولو أُعقبت آية الأعراف بهذا، وآية النمل بما أُعقبت به آية الأعراف، لم يكن متناسباً، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

والسؤال السابع ما وجه قوله في الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، منسوقاً بالواو، وفي النمل والعنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالفاء مع[8] أن القصة واحدة فلا فرق بين الجوابين.

---

(١) ج، هـ: منهم.
(٢) هـ: ارتكاباتهم.
(٣) ك: زاد هنا (من حيث لم يفعل تلك الفعلة الشنعاء من تقدمهم فاجتمع إلى الفحش الاجترام فأعقب بقوله).
(٤) ج: فأعقبت.
(٥) هـ، مَ: قبله.
(٦) ج، ع: الإنذارُ.
(٧) ساقط من جـ، هـ، ع.
(٨) ما بعدها إلى قوله «مع ما» ساقط من ج.

والجواب أنه حيث يراد مع ما[1]، سببية أو ما يشبه معنى المجازاة، وكان الكلام المجاوَب بصريح الفعل، إذ هو أوضح إحرازٍ لهذا المعنى [١٠٠/و]، فحيث جِيء هذا فالوجه والأوْلَى أن يترتب الجواب الفاء. وسواء تسبَّب عن الأوَّل[2] أو أُقيمَ مقام ما تسبب[3] عن الأول. مثال[4] الجاري على طريقة السببية قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾[5]، وقوله[6]: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[7]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ﴾[8] وهذا كثير.

ومثال الثاني: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[9]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً[10] فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾[11]. ولما تقدم في سورة النمل قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي: وقد مُنِحْتُم بصائر الفهم[12] والاعتبار وأبصاراً لإدراك[13] الأشياء[14]، وإحراز الحياء المانع من مُوَاقَعة العار[15]، فما

(١) ك: معنى.
(٢) ما بعدها إلى قوله «عن الأول» ساقط من ج.
(٣) ك: يتسبب.
(٤) ب: مثل.
(٥) الأعلى/ ٦.
(٦) ساقط من ك.
(٧) الصافات/ ١٤٨.
(٨) الأعراف/ ٦٤.
(٩) الإسراء/ ٦٠.
(١٠) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه (الآية).
(١١) الأحقاف/ ٢٦.
(١٢) ع: للفهم.
(١٣) ج، هـ، م، ب: وأبصار ـ الإدراك.
(١٤) م، ب: للأشياء.
(١٥) ع: المعار.

إثم[1] ذلك إلا التَّعامي عن رشادكم، وتمادي عنادكم. فختام الآيتين[2] بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تبصِرُونَ﴾، وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. فالجملة الفعلية في[3] خبر المبتدأ في الأولى، وفي الصفة الموطِّئة للخبر في الثانية، مسوِّغ لتقدير معنى السببية، وأنسب لذلك من الوارد في سورة الأعراف، إذِ الختم في الآيتين [الأخريين] قبل آية الجواب بالجمل الاسمِيَّة: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[4]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[5]. فليس هذا في تقدير السببية كالأول. فالجواب هنا بالواو[6] وحسُن هنا[7] مع جواز[8] الفاء. والجواب بالفاء حيث تقدم أقوى لمكان الفعل، وكَوْنِ المعنى عليه. فورد على ما يقوِّيه السياق، ويشهد له المعنى.

وأما آية العنكبوت، فقد تقدم أيضاً فيها قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾. فهذه جُمَلٌ فعلية، وتقدير معنى السببية فيها كآية النمل. فالجواب فيها كما في آية النمل أَوْلَى وأجرى مع المعنى، وما يعطيه السياق. وكل من ذلك على ما[9] يناسب، والله أعلم.

---

(١) ج، هـ، م، ب، ع: زاد هنا كلمة «أنس».

(٢) يريد آيتي سورة النمل/ ٥٤، ٥٥، وانظر في تخريجها وتخريج آية الأعراف الكشاف ١/٥٥٨، ٢/٤٥٦.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٤) الأعراف/ ٨٠، العنكبوت/ ٢٨.

(٥) الأعراف/ ٨١.

(٦) ج: بالوارد. والمراد هنا آية الأعراف/ ٨٢.

(٧) زيادة في ب فقط.

(٨) ب: جواب.

(٩) ساقطة من ج، هـ، م، ك.

١٣٨ ـ الآية الخامسة عشرة[١] من سورة الأعراف (غ) قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (٨٥).

وفي[٢] سورة هود (٨٤): ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾ وفي سورة العنكبوت (٣٦): ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا اللَّـهَ﴾ فاختُصت[٣] آية العنكبوت بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ﴾، فيسأل عن ذلك.

والجواب عنه أنه لم يقع في سورة العنكبوت من ذكر إرسال[٤] الرسل ما بُنِيَ على ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ظاهراً أو مقدَّراً منوطاً به ذكر المُرسَل إليهم بحرف الغاية الذي هو ﴿إِلَىٰ﴾[٥]، غير[٦] قوله تعالى: ﴿[و] لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وقوله[٧]: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ تعلّق [١٠٠/ظ] حرف الغاية في الأولى بالفعل الظاهر، وهو أرسلنا، وتعلق في الثانية بـأرسلنا المقدّر. وقد قيل فيما بُنِيَ عليه[٨] الإخبار بالإرسال في الأولى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾[٩] بالفاء في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾. فقيل في الثانية: ﴿فَقَالَ﴾ بالفاء ليتناسب[١٠]. وما ورد في هذه السورة [من] ذكر

---

(١) ما بعدها إلى الأعراف ساقط من العنوان في ك.

(٢) إلى آخر آية هود ساقط من م.

(٣) ب: «يقال ما وجه اختصاص آية العنكبوت بالفاء في قوله تعالى: فقال، والجواب عنه...».

(٤) ج، ب، ع: إرساله.

(٥) ساقط من م.

(٦) ب: غيره.

(٧) ب: وقال.

(٨) ك: على.

(٩) العنكبوت/ ١٤.

(١٠) ك: ليناسب.

إبراهيم ولوط عليهما السلام؛ فعلى غير البناء على أرسلنا ظاهراً أو مقدراً، وإيصاله إلى المرسل إليهم بإلى، بل عدل في ذلك إلى ما يصحُّ فيه تقدير اذْكُرْ[1] كقوله[2]: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾[4]. فلما انفردت الآيتان أوّلاً، وهُما آية إرسال نوح، وآية إرسال شعيب، لما انفردتا[5] بما ذُكِر، نوسب بينهما، فدخلت الفاء في قوله ﴿فَقَالَ﴾ في قصة شعيب عليه السلام، كما دخلت في قوله: ﴿فَلَبِثَ﴾ في قصة نوح كما تقدم. وأما آية الأعراف وآية هود، فإنه لما ذكر في كل واحدة من هاتين السورتين جماعة من الرسل[6] مبيَّناً أخبارهم على وتيلة واحدة من ذكر الرسل والمرسل إليهم، وتكرر[7] ذلك، بدىء بأول قصة على الاستيفاء فقيل: ﴿[وَ] لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾، ثم أوجز ما بعده فورد بغير الإفصاح بلفظ الإرسال، وبغير الفاء والتحم ذلك وتناسب، لاتحاد القصد[8] في السورتين، والله أعلم.

١٣٩ ـ الآية السادسة عشرة قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٠١).

---

(١) ج، هـ، ب، ع: تقديراً ـ ذكر.
(٢) ج، هـ، ب، ع: لقوله.
(٣) العنكبوت/ ١٦.
(٤) الأعراف/ ٨٠، النمل/ ٥٤.
(٥) ج، ع: انفردت.
(٦) ما بعدها إلى قوله «ذكر الرُسل» ساقط من ج، هـ، ع.
(٧) ك: وذكرت.
(٨) ك: المقصد.

وفي سورة يونس (٧٤): ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

وورد في أول هذه السورة[1] أيضاً (١٣): ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

فيها أربع سؤالات:

الأول: ورُود الضمير المجرور في الآية الثانية من سورة يونس، وهو قوله ﴿بِهِ﴾ وسقوطه مما سواها.

والثاني: قوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، فجيء بالاسم الظاهر في سورة الأعراف، واكتفى بالضمير في ثانية[2] يونس فقيل ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾.

والثالث: وصفهم في الأعراف بالكفر، وفي ثانية يونس بالاعتداء.

والرابع: قوله تعالى في الأولى من سورة يونس ـ عدُولاً عمّا في السورتين ـ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [١٠١/و].

للسائل أن يسأل عن ذلك[3].

والجواب عن الأول أنه لمّا تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾[4]، ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾[5]. ثم قال بعد: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا

(١) يريد سورة يونس.
(٢) ب: آية.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).
(٤، ٥) الأعراف/ ٨٦، ٨٧.

بِمَا كَذَّبُوا﴾، وقع الاكتفاء بما تقدم من قوله: ﴿بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾. والذي أرسل به هو الذي طُلب منهم الإيمان به فحصل المقصود. فلو قيل أخيراً به لكان تكراراً، فاقتضى الإيجاز وإحراز البلاغة حذفه، لحصوله، كما حذف من قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ مع أنه مراد. فحذف الموصول وصلته ورابطهما، إذِ التقدير: وطائفةٌ لم يؤمنوا بالذي أرسلتُ به[1] لحصول ذلك مما تقدم.

أما قوله في يونس: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، فلأنه لم يتقدم هنا ما تقدم[2] هناك فلم يكن بُدٌّ من الإتيان بالضمير ليحصل ما وقع به التكذيب ولترتبط الصلة بالموصول.

والجواب عن الثاني «أنَّ»[3] قوله تعالى في سورة يونس: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ مناسب ومرتبط بما افتُتحت به الآية من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾، فأخبر تعالى بإنعامه على عباده ممن هداه ببَعْثَة[4] الرسل إحساناً وامتناناً. ولتقوم الحجة على الخلق فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ بإضافة هذا الفعل إلى الكِتَابة العِليَّة وهي ضمير المتكلم فناسب ذلك ما بني[5] عليه وارتبط به من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ مراعاة للتَّناظر والتَّقابل.

وأما آية الأعراف، فمبنية على مطلعها من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾، فلم يتقدم ما يُطْلَب بورود الفاعل مضمراً على ما يجب، إذْ لا طالِب بمناسبة.

---

(١) الجار والمجرور ساقطان من، ج، ع.

(٢) سقط من ج قوله: «هنا ما تقدم».

(٣) ساقطة من هـ، م، ب.

(٤) ك: بنعمة.

(٥) م: يبقى.

والجواب ـ عن الثالث أن آية الأعراف لما تقدمها قَصَصٌ قد جرى فيها ذكر مكذِّبي الأمم أنبياءَهم، وما ردوا عليهم، وخاطبوهم به كقول كفار قوم صالح عليه السلام لمن آمن به منهم[1]: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾، وقولهم: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، وقول الملأ من قوم شعيب لمن آمن منهم ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾، إلى ما بعدُ، وما قيل من سَيِّءِ المحاورة من مكذِّبي الأمم، فحصل من هذه الآي من التعريف بحال هؤلاء من الأمم وتعقيب هذه القَصص بذكر غيرهم من[2] الأمم مِمَّن سلك مسلك مَن تقدمهم من المذكورين، ما ناسبه قوله تعالى عُقَيبَ جميعها: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

وأما آية يونس فلم يتقدم قبلها تفصيل، ولا إفصاح بمخاطبة[3] نَبِيٍّ ومواجهته بمثل ما في[4] [١٠١/ظ] آي الأعراف، بل ورد ذلك مورد الإجمال[5] فناسبه وصفهم بالاعتداء، وإن لم يقع إفصاح بكفرهم، مع أنهم كفار وأن ذلك حاصل من مجمل ذكرِهم، إلا أن جليل مناسبة النظم مُقْتَضٍ ما ورد عليه كل مما في السورتين، وذلك واضح والله أعلم بما أراد.

والجواب عن السؤال الرابع أن قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ لم يتقدم قبله تفصيل قصص، ولا بَسْطُ قصة منها بل أوجز معنى ما انطوت عليه تلك القصة فعبَّر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ

---

(١) زيادة من هـ، م فقط.

(٢) ج، ك: فمن.

(٣) ج، هـ، م، ع: ايضاح لمخاطبة.

(٤) سقط هنا من النسخة «هـ» ما بعد ذلك إلى قوله «وإن استوضحت ذلك» في آخر الآية الثالثة والعشرين من هذه السورة، ثم وضعت في موضع الصفحات ١٩٧-٢٠٠ ، أثناء سورة القيامة. ويقابل هذا السقط في م «١٠١/ ظ-١٠٤ / ظ».

(٥) ك: الأعمال.

قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾، فناسب هذا الإيجاز[1] ما بني عليه من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ومن التعبير عن المُشار إليهم من المهلَكين بالإجرام ـ وهو أكبر[2] موقعاً من الاعتداء ـ ليطابق وصفَهم بالظلم، والمراد به تكذيبهم الرسُل وكفرهم بما جاءوهم به، فلم يكن ليطابق ذلك الوصف بالاعتداء، ولم يوصفوا أيضاً بالكفر إذْ لم يقع به إفصاح فيما تقدم، فكان وصفهم بالإجرام أنسب، والله أعلم.

١٤٠ ـ الآية السابعة عشرة[3] قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَـدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ. وَجَـاءَ السَّحَـرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ (١٠٩-١١٣).

وقال في الشعراء (٣٤-٣٨): ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ[4] فِي ٱلْمَـدَائِنِ حَـٰشِرِينَ. يَـأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّـارٍ عَلِيمٍ[5]. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ﴾.

في هذا أربع سؤالات:

أولها: قوله تعالى في الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، وفي الشعراء ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾.

(١) ج، هـ، م: إيجاز.
(٢) ج: أكثر.
(٣) ب: الرابعة عشرة.
(٤) ج، م، ك، ب، ع: وأرسل، وصوابها في ك فقط.
(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ج.

والثاني: قوله في الشعراء: ﴿بِسِحْرِهِ﴾، ولم يثبت ذلك في الأعراف.

والثالث: قوله في الأعراف: ﴿وأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَائِنِ[1]﴾، وفي الشعراء ﴿وَٱبْعَثْ﴾.

والرابع: قوله في الأعراف عقب قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، وأعقب في الشعراء قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ بقوله: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ[2]. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ﴾[3]، وبعد ذلك قيل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾[4].

والجواب عن الأول أنه لا توقُّف في أن موسى عليه السلام خاطب فرعون وملأه، وأنه أُمر بخطابهم، وإليهم أُرسل. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[5]، وأنه لمَّا دعاهم لتصديقه والإيمان به[6] جاوَب فرعونُ وجاوَب مَلَؤُه[7] بقول فرعون: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [ممَّا][8] قال لمَلَئِهِ ومَن حضره. ثم قال ملؤه لحاضريهم وبعضهم لبعض وإذا وضح أن ذلك القول صدَر من فرعون وقاله أيضاً ملؤه بَقِيَ السؤال عن وجه اختصاص كل سورة بما خُصَّتْ. والجواب أنه لمَّا تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ

---

(1) الجار والمجرور ساقطان من الآية في ب.
(2) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وبدله «الاية».
(3) الشعراء/ ٣٨-٤٠.
(4) الآية ٤١.
(5) هود/ ٩٦، ٩٧.
(6) ك: «والإيمان بما قاله لملئه وقد حضره»، في موضع «والإيمان به - إلى - ومن حضره».
(7) ك: ملاه.
(8) جميع النسخ: إنما.

فِرْعَونَ ومَلَئِهِ﴾[1]، فوقع ذكْر الملأ مبعوثاً إليهم مع فرعون، ناسَب ذلك أنْ يُذكَرُوا في الجواب حتى [١٠٢/و] يكون في قوة إنْ قيل: بعث إليهم، وخوطبوا فقالوا، ولم يكن ليناسب: بعث إليهم، فقال فرعون. ولما تقدم في سورة الشعراء قوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَونَ﴾[2]، ثم جرى ما بعدُ من المحاورة، ومراجعة الكلام بين موسى عليه السلام وفرعون ولم يقع ذكر الملأ هنا ناسب ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَونُ﴾، لأنه الذي راجع وخوطِب، فجاء كل على ما يجب ويناسب.

فإن قيل: فقد قيل في الأعراف: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، فقدم فرعون، فهو أعمد من الملأ لأنهم أتباعُه وآله فَلِمَ لمْ يُبْنَ الجواب على ذلك. فيقال: قال فرعون؟

فالجواب أنه لو قيل: قال فرعون، لبقي التشوُّف إلى تعرُّف قول الملأ وهم قد بعث إليهم، وخوطبوا ولا بُدَّ من تعرُّف جوابهم، وبه يحصل تعرُّف جوابه هو؛ لأنهم[3] تابعوه وإنما يتكلمون غالباً بما يريده ويصدر عنه ويبدأ به. وقد تبيَّن ذلك في سورة الشعراء وأنَّ فرعون خاطبهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ﴾، فجاوب فحصل من جوابهم جوابه. ولو جاوب هو وسكت ملؤه، لأمكن أن يكونوا قد استوضحوا الحق وخالفوا فرعون. كما جرى للسَّحرة، وقد كانوا ناصِرين[4] لفرعون ومن معه. فجاءجواب الملأ منصُوصاً وحصل منه جوابُ متبوعِهم، ولم يكن ليحصل من جوابه على انفراده، وحصلت مناسبة ما تقدم من قوله: إلى فرعون وملئه.

---

(١) الآية /١٠٣.
(٢) الآية/ ١٦.
(٣) ج، هـ، ك، ب، ع: لأنه.
(٤) ك: مناظرين.

فإنْ قلتَ: فقد ورد في الشعراء جواب فرعون دون جواب[1] ملئه.

فالجواب[2]. أنهم[3] قد جاوبوا بعدُ. وذلك أنه لما خاطب فرعونُ ملأهُ الأقربين وألقى إليهم ما اعتمده بضلاله في أمر نبي الله موسى عليه السلام واستشارهم بقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟ وجاوبوه بموافقته العائدة على جميعهم بالخسران المبين بيَّن ذلك قوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾. وهذا يوضح أنَّ جوابهم في الأعراف مبني على استطلاع ما عنده وسماع ذلك منه كما وضح هنا، ثم روعي تناسب النظم والتَّقابُل، كما تقدم. فقد تبين أنَّ الوارد في سورة الشعراء لم يكن ليناسب المتقدم في سورة الأعراف، ولا الوارد في سورة الأعراف ليناسب ما تقدم في سورة الشعراء بوَجْهٍ[4]، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾[5].

والجواب عن السؤال الثاني أنَّ زيادة ﴿بِسِحْرِهِ﴾ في الشعراء، لأنه من قول فرعون طاغية موسى عليه السلام وهو أحنق عليه من الملأ بجمعهم[6] وأعظمهم بغضاً له وكراهة [١٠٢/ظ] لما جاء به موسى فأكد بقوله: ﴿بِسِحْرِهِ﴾، طمعاً في صفوهم لقوله، والثَّبات على مذهبه الشنيع ومرتكبه. ورجاء أنْ يعتقد الملأ من قومه أن آية موسى عليه السلام سحر[7]، لا توقُّف فيها[8] فلم يقنَع بقوله لملئه: إنَّه لساحر عليم، وأنه يريد إخراجهم من أرضهم حتى سجَّل على ذلك وأكَّد طمعاً في قبول باطله بقوله بسحره. ولمَّا

---

(١) ما بعدها إلى قوله (خاطب فرعون ملأه) ساقط من ك.

(٢) هـ: قلت، بدلاً من: فالجواب.

(٣) جميع النسخ: انه.

(٤) ب: ولو كان بوجه.

(٥) النساء/ ٨٢.

(٦) ج: بجميعهم، ب: فجمعهم.

(٧) ب: بسحر.

(٨) ك: فيه.

لم يكن حال الملأ من قومه كحاله فيما ذُكِر، اكتفوا بقولهم لرسولهم[1] وبعضهم لبعض: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ. يُـرِيـدُ أَنْ يُخْـرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾. فهذا قول الملأ والذي ثبت في الشعراء قول فرعون وزيادة ﴿بِسِحْرِهِ﴾ ليتبين حال الملأ من حال فرعون المتولِّي كِبْرَ الأمر والتناسب بيِّن. وكل في السورتين وارد على ما يجب. وقد وضح أنَّ العكس غير مناسب والله أعلم.

ويشهد أنَّ زيادة بسحره من فرعون لزيادة حنقه تكرُّر ذلك من قوله في سورة طه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[2].

وأما الواقع[3] بعدُ في هذه السورة من قوله سبحانه مخبراً عن الملأ: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾[4] فإنما قالوه بعد تنازع وتفاوض[5] فيما بينهم ، وفرعون في جملتهم. يدل على هذا ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾[6]، وقوله: ﴿فَتَنَازَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾[7]، وإنما أسروا نَجواهم بعد تنازعهم في إعمال المكيدة فيما أجابهم، وفرعون مرجِّح آرائهم، وأبلغهم احتيالاً وكيداً فيما تشاوروا فيه فلم يمكنهم في هذا المجتمع إلا القول بما رآه بعد[8] تنازعهم عليه، فقالوه[9] بتوقيف منه ـ وهو حاضرهم ـ

(1) ج، هـ: أرسلوهم.
(2) طه/ ٥٧.
(3) ساقطة من ك.
(4) طه / ٦٣.
(5) م: وتعارض.
(6) طه/ ٦٠.
(7) طه/ ٦٢.
(8) هـ: رأى المبعد.
(9) ج، هـ: فقالوا.

حال تنازعهم، وقولهم لموسى عليه السلام؛ فإذا هو القائل لا الملأ.

وأما الوارد في الأعراف فقول الملأ، إذْ لا يقتضي قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أنّ فرعون هو القائل وإنْ كان كذلك، بل الظاهر السابق من هذه العبارة أنه قول الملأ منفردين عن فرعون، والتناسب اللفظي هو المطلوب، وقد تبيَّن.

والجواب عن السؤال الثالث[1] وهو ورود: ﴿وَأَرْسِلْ﴾، في سورة الأعراف، وفي الشعراء: ﴿وَٱبْعَثْ﴾ فالجواب عنه مبني على الترتيب الذي استقر عليه المصحف فنقول: إنّ أرْسَلَ أخصُّ في باب الإرسال من: ابعث، إذْ لا يقال: أرسل، إلاَّ فيما كان توجيهاً فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازاً. أما بعَث فأوسع، فإنّه يقع بمعنى الإرسال، وبمعنى البعث الأخراوي ففيه اشتراك. فلما كان الإرسال أخص، وقع الإخبار به أولاً، ثم وقع ثانياً بالبعث تنويعاً للعبارة وعلى الترتيب [١٠٣/و] في موقع اللفظ المطَّرد في القرآن ولا يمكن على ما تقرر من ذلك العكس. ونظير هذا مما تقدم: تَبِع واتَّبَع، ويذبِّحون ويقتِّلون، وقد مرَّ بيانه، والاطِّراد أوضح شاهد في هذا.

والجواب عن السؤال الرابع، وهو ورود قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، في الأعراف، عقب قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾، وتأخير الإخبار بمجيئهم في الشعراء، وورود: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾. الآيات المذكورة فاصلة بين ما اتَّصل في الأعراف، فأعلَم أولاً أن كلاً من العبارتين لا بدَّ منها[2] في تحصيل المطلوب إذْ جمعهم لا يعطى بهذه العبارة أنهم جاءوا فرعون ولا[3] مجيئهم فرعون يحصل منه المعنى الحاصل من قوله:

(١) مكانها بياض في ج، ب، ع.
(٢) ك: منهما.
(٣) ج، هـ: لا.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ فلا بدَّ من العبارتين. فاجتمع مجموع ذلك في الشعراء، ولم يذكر[1] ذلك[2] في الأعراف [مِنْ] جَمْع السحرة وما بعده.

[ويبقى][3] السؤال عن وجه اختصاص كل من السورتين بما ورد فيها، واختصاص الشعراء بالاستيفاء.

والجواب عن ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ إلى ما اتَّصل بهذا ممَّا يتضمَّن معناه فيه إطناب يناسب ما تقدم من ذلك في محاورة موسى عليه السلام ومكالمته فرعون من لدن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾، إلى هذه الآية ولم يقع في قصصه عليه السلام في السور الوارد فيها قصصه من الإطالة في مراجعة فرعون مثل الوارد هنا فناسبه ما أعقب به، مما لم يقع الإخبار به في الأعراف. ولما كان الوارد قبل آية الأعراف مبنياً على الإيجاز وتحصُّل المراد بأوجز كلام ناسبه إيجاز الآية المذكورة وورَد كل من ذلك على ما يجب ويناسب، ولا يحسُن فيه العكس، والله أعلم.

١٤١ ـ الآية الثامنة عشرة قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (١١٣).

وفي[4] الشعراء (٤١): ﴿فَلَمَّا[5] جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا

---

(١) ساقط من ج، وفي ب: يقع بدل يذكر.
(٢) ساقط من ع.
(٣) جميع النسخ: فيبقى.
(٤) إلى آخر الآية ساقط من ج، هـ، ع.
(٥) إلى قوله (نعم) محذوف من الآية في م.

لأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

يسأل عن هذا في زيادة إذاً في سورة الشعراء، وسقوطها في الأعراف وتجريد الأعراف في قوله: ﴿وَجَاءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَونَ قَالُواْ﴾ بخلاف الوارد في سورة الشعراء ﴿فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَونَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً﴾.

والجواب عن الأول أن (إذاً) تقع جواباً وجزاء، والمعنى في السورتين مقصود فيه الجزاء، فوقع الاكتفاء في الأعراف بقوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾. والمعنى نعم لكم ما أردتم من الأجر وزيادة التقريب والحظوة، ولا شكّ أنّ المعنى: إنْ غلبتم فلكم ذلك، فالمعنى على ذلك. ثم ورد في سورة الشعراء مفصِحاً بالأداة المحرزة [١٠٣/ظ] له، وهي (إذاً)[١]، لتناسب[٢] بزيادتها ما مضت عليه آيُ هذه السورة من الاستيفاء والإطنابِ، كما تقدم وناسب سقوطها في الأعراف مقصود الإيجاز في هذه القصة، وقد مرَّ هذا. وعلى ذلك[٣] جرى الوارد من قوله في الأعراف: ﴿وَجَاءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَونَ قَالُواْ﴾، ويجري في مثل هذا كثيراً عطفه بالفاء مناسباً لما يقصَد[٤] في الكلام من الارتباط، أو[٥] بالواو تحكيماً للاشتراك.

ونظير الآية في سقوط حرف التشريك: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُواْ يَا أَبَانَا﴾[٦] ومجرى الأعراف في الآية أن يكون قوله: ﴿قَالُوا﴾، مقدَّر الاستئناف، كأن قد قال قائل لما قال: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، قيل فما فعلو، أو ما قالوا؟ فجواب هذا المقدَّر بقوله: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا

(١) ج: إذ.
(٢) ج، هـ، م، ك، ع: ليناسب.
(٣) ج، ب، ع: هذا.
(٤) هامش ك: هنا بياض.
(٥) ع: و - بالواو.
(٦) يوسف/ ١٦.

﴿لَأَجْرًا﴾. وهذا الضرب كثير فصيح وموجود حيث يقصد الإيجاز كهذه الآية.

وأما الوارد في الشعراء من قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ﴾ فوارد على ما يُحتاج فيه إلى تقدير، وعلى ما هو الأصل في تركيب مثله من[1] الكلام، ومناسب للإطناب[2] المبني عليه ما قبل الآية، وكل على ما يجب[3]، والله أعلم.

١٤٢ - الآية التاسعة عشرة من الأعراف[4] قوله تعالى[5]:

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (١١٥).

وفي طه (٦٥): ﴿قَالُوا يَـٰمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾.

وهنا سؤالان:

أحدهما: إنَّ كلام السحرة وتخييرهم في الإلقاء على ظاهر السياق كان في موطِن واحد، فما وجه اختلاف ما ورد في السورتين؟

والثاني: ما وجه اختصاص كل من السورتين بما ورد[6] فيها؟

والجواب عن الأول أنه لا يلزم من الآية أن كلام السحرة هذا كان في

---

(١) ج، ك، ب، ع: في.
(٢) ب: الإطناب.
(٣) زاد هنا في ك «ويناسب».
(٤) الجار والمجرور ساقطان من م، ب.
(٥) محذوف من ب.
(٦) ج، ع: أورد.

موطِن واحد، بل لعله كان في موطِنَيْن، أو لعله كان قد تكرر منهم، وإنْ كان في موطن واحد. ولعل بعضهم قال هذا، وقال بعضهم هذا، أو لعل المعنى الذي حُكِي عنهم تعطيه العبارتان. وهذا أقرب شيء لما بين اللغات من اختلاف المقاصد عند المواضع الأُوَل[1] أو قصد الإلهام، على الخلاف في ذلك. ومع هذه[2] الإمكانات يسقُط الاعتراض رأساً.

والجواب عن السؤال الثاني أن كل واحدة من الآيتين[3] جرَت على وِفْق[4] فواصل تلك السُّورة ورؤوس آيِها، فالعكس لا يناسِب بوجه؛ فوجب اختصاص كل سورة بما ورد فيها [١٠٤/و].

١٤٣ ـ الآية الموفية عشرين[5] قوله تعالى:

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ (١٢١، ١٢٢).

وكذلك في الشعراء[6]. وورد في طه (٧٠): **﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾**.

هنا سؤالان كالمتقدِّمَيْن، والجواب كالجواب من غير فرق.

١٤٤ ـ الآية الحادية والعشرون، قوله تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ (١٢٣)

(١) م، ب: المواضع الأولى.
(٢) ج: هذا.
(٣) ج، هـ، م، ب: الاثنين.
(٤) ساقطة من ج، ب، ع.
(٥) هـ: عشرون، وزاد في ع بعدها: «من سورة الأعراف».
(٦) الآية/ ٤٨.

وقال في طه (٧١)، والشعراء (٤٩): ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

هنا سؤالان:

أحدهما: ظهور اسم فرعون في آية الأعراف وإضْماره في السورتين.

والثاني: قوله في الأعراف ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، فجرّ[1] ضمير موسى عليه السلام بالباء، وقوله في طه والشعراء: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ فجرّ[2] الضمير باللام، والمقصود واحد.

والجواب عن الأوَّل، أنه لمَّا تقدم في الأعراف قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، فعرَّفت هذه الآية أنهم كانوا المُتَوَلِّين للجريمة من تكذيب الآية، وردّ ما جاء به موسى عليه السلام ولم يجر هنا ذكر لفرعون، ولا فيما يلي[3] الآية[4] ويتلوها من المحاورة والمراجعة بين الملأ وأتباعهم - إلى قوله - ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ فلما لم يقع إفصاح باسمه في هذه الجملة، مع أنه هو القائل على كل حال ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، إخباراً، أو استفهاماً إنكارياً، ناسب هذا أن يُفصِح باسمه ليرتفع الإلباس وهو إمكان أن يكون القائل: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ غير فرعون وإنْ بَعُدَ ذلك. ولو لم يكن لَبْسٌ البتّة، فإن كونه لم يجر له ذكر مما يقتضي أن يذكر. وَلمَّا تقدم في سورة طه أمر موسى عليه السلام بإرساله إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ[5]

(١) ب: غير.
(٢) هـ: جرى، ك: بجرّ.
(٣) ع: تلي.
(٤) ساقطة من ك.
(٥) إلى قوله «طغى» في الآية الثانية ساقط من ج، ع.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[1] وقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[2] ثم كرر ذلك. ثم وقع بعد ذلك سؤال فرعون لهما في قوله، ﴿فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾[3]، ثم في قوله: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأُولَىٰ﴾[4]. ثم إنَّ الله تعالى أخبر عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾[5]. ثم أخبر أيضاً عنه بقوله: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[6] ثم قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾[7] فتكرر ذكر فرعون واسمه ظاهراً ومضمراً ولم يجر لملئه ذكر مفصَح به ظاهرٌ البتَّة ولا مضمر سوى الجاري مضمراً في قوله: ﴿فَتَنَازَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ. قَالُوٓاْ﴾[8]، إلى ما بعد هذا من غير إظهار البتَّة. فلتكرر اسم فرعون كثيراً، ظاهراً ومضمراً، وارتفاع اللَّبْس البتة حسن إتْيانُه مضمراً في قوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾، إذ ليس الوارد هنا كالوارد في الأعراف، للافتراق من حيث ذكرنا. وكذا جرَى في سورة الشعراء من تَرْدَادِ ذكر فرعون في محاورته من أوَّل السورة إلى الآية، ولم يجر ذكر ملئه إلَّا مَقُولاً لهم في قوله: ﴿لِلْمَلإِ حَوْلَهُ﴾، فناسب ما ذكر إظهار اسم فرعون في قوله: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾.

والجواب عن السؤال الثاني أن الباء في قوله: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، واللام في ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾، محتاج إلى كل واحدة منهما، من حيث إنَّ التصديق والانقياد معنَيان[9] مَحتاج[10] إليهما، والباء تحرز التصديق، واللام تحرز الانقياد والإذعان؛ فبدأ[11] بالباء المعطية معنى التصديق وهي أخصُّ بالمقصود من اللام، فاقتضى الترتيب تقديمها ثم أعقب [١٠٤/ظ] في السورتين بعدُ

(١ـ٨) الآيات/ ٢٤، ٤٣، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٣ على الترتيب.

(٩) هـ: معينان.

(١٠) ك: يحتاج.

(١١) ج، م، ع: فبدات، ك: فبدى، ب: فيبدأ.

باللام[1] حتى كأن قد قيل لهم: أصدَّقتُموه مُنقَادِين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء به[2] من عند الله، فحصل المقصود على أكمل ما يمكن، والله أعلم.

١٤٥ ـ الآية الثانية والعشرون قوله تعالى[3]:

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ (١٢٣، ١٢٤)

وفي[4] سورة الشعراء (٤٩): ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾.

وورد في سورة طه (٧١): ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة[5] اللام في قوله في الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وسقوطها في الأعراف، وعن سقوط حرف التسويف واللام في طه جملة. فهذان سؤالان.

والجواب عن الأول منهما أن زيادة اللام[6] في الشعراء مناسب لما تضمَّنته[7] من الاستيفاء[8] الجاري في هذه القصة، وقد تقدمت الإشارة إلى

---

(١) ج، هـ: اللام.
(٢) ساقط من ج، هـ، ك.
(٣) العنوان ساقط من ع.
(٤) إلى آخر الآية، بعد آية طه في ج، ع مراعاة لترتيب السور في المصحف المتداوَل.
(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة...).
(٦) ب: الأم.
(٧) ج، هـ، م، ب، ع: تضمنه.
(٨) ب: الاستئناف.

ذلك. وذلك أن هذه اللام[1] مقرِّبة[2] من زمن[3] الحال، وتحقيق الوقوع، ولم يكن تقدَّم في الأعراف، ولا في طه ما يحرز هذا المعنى فاستوفته هذه السورة[4]، ليناسب ذلك استيفاءها لما كان بين موسى عليه السلام وفرعون. وهذا مع ما تعطيه من التأكيد وما سوى هذا المعنى في هذه الآية، فلا فرقَ بين آية الأعراف وآية الشعراء، إلى قوله: ﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾.

وأما سقوط حرف التُسويف في طه مع اللام، وهو جواب السؤال الثاني فلِلْعِوَض[5] منهما وذلك العِوَض هو اللام والنون الشديدة المؤكدة في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾. مع أن معنى التسويف قد تقدم مراعاة الترتيب. وإذا روعي ذلك وجد تدريج [6] زيادة التأكيد على ترتيب السور فالوعيد الواقع في آية طه آكَدُ من الذي في آية الأعراف، والذي في الشعراء آكَدُ من الوارد في طه، وإنِ استوضحتَ ذلك[7] فهمتَ[8] وجه تخصيص كل من السور الثلاث بما خُصّت به.

١٤٦ ـ الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢٤).

وفي طه (٧١) والشعراء (٤٩): ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ بالواو، والمتوعَّد به واحد في الموضعين.

---

(١) ب: الأم.
(٢) ج، هـ: معرفة.
(٣) م، ك: زمان.
(٤) هـ، م: الصورة.
(٥) هـ، م،ب: فلا عوض، ك: فلها عوض.
(٦) ك: تأكيد.
(٧) إلى هنا ينتهي خَرْم «هـ» الموجود بعد ذلك في الصفحات من ١٩٧ إلى ٢٠٠.
(٨) م: وجدت، ب: وتعقب، وغير مقروءة في هـ، ومكانها بياض في ج، ع.

فيسأل لِمَ لَمْ يكن العطف فيهما بحرف واحد، والواو أنسب؛ إذِ التوعّد[1] بقوله: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ لم يقصد فيه تراخٍ في الزمان ولا مُهْلَة. فبابه أن يأتي بالواو أو بالفاء إنْ قُصِد رَعْيُ التعقيب. فللسائل أن يقول[2]: لم عدل في الأعراف إلى «ثُمَّ»؟

والجواب أن ثُمَّ للتبايُن والتَّراخي في الزمان. ويعبر النحويون عن ذلك بالمهلة وتكون للتبايُن في الصفات والأحكام وغير ذلك ممَّا يُحمَل به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليُعلم موقع ما يُعطف بها وحاله، وأنه لو انفرد لكان كافياً فيما قُصِد به. ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[3] [١٠٥/و] ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[4]، ثم عطف بعد ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[6] ولم يُقصَد في شيء من هذا ترتيب زماني[7]، بل تعظيم الحال فيما عُطِف وموقعه ومكانته وتحريك النفوس لاعتباره. ولما تقدم في الأعراف تهويل الواقع من فعل السَّحرة وموقعه من نفوس الحاضرين، ولذلك آنس سبحانه نبيَّه موسى عليه السلام بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾[8]، ووقع التعبير عما ذكرنا بقوله: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[9]، فناسب رعياً لفظياً وتقابُلاً نظمياً تهويل ما توعَّدهم به فرعون فعطف[10] بثم لتُحرزَ ما قصد فرعون من تعظيم

---

(١) ك: التواعد.

(٢) ب: يقال لم عدل.

(٣) المدّثر/ ١٩، ٢٠.

(٤، ٥) البلد/ ١١، ١٧ على الترتيب.

(٦) طه / ٨٢.

(٧) ج، ب، ع، زمان.

(٨) طه / ٦٨.

(٩) الأعراف / ١١٦.

(١٠) ب: فعطفه.

موقع ما توعَّدهم به ثانياً في قوله: ﴿لأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ عليهم. وأيضاً فإن فرعون وملأه حين رأوا ما جاءت به السَّحرة ووقع منهم موقعاً[1] أطمعهم، وتعلَّق به رجاؤهم. ثم لما وقع ما أبطله وأوضح كيدهم فيه وباطلهم الخيالي، وجد الملأ كذلك، واستشعر فرعون ما حلّ به وبملئه فهوَّل في توعده[2] ومقالِه، تجلُّداً وَتَصَبُّراً، وتعزية لنفسه عما نزل به فأرعد وأبرق[3] في تهويله وما توعد به السحرة فقال: ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، فقد تناسب المتقابلان لفظاً ومعنى. ولما ضُمَّ[4] الواقع في سورة الشعراء لم يحتج إلى هذا الرعي فعطف بالواو، ولم يكن على ما تقرر ليمكن العكس، والله أعلم.

١٤٧ ـ الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ[5]﴾ (١٢٥).

وفي الشعراء (٥٠): ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

للسائل أن يسأل[6] عن زيادة قوله ﴿لَا ضَيْرَ﴾ في سورة الشعراء، ولم يزِدْ ذلك في الأعراف.

والجواب عنه أن قوله ﴿لَا ضَيْرَ﴾ مقابَل به ما تقدم من قوله: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ لما اعتقدوا أوَّلاً له عزة ونسبوها إليه، وظنوا أنه يقدر على ما يريده ويستبد بفعله. ثم لما وضح لهم الحق، رجعوا عن اعتقادهم وظنِّهم وعلموا أن القدرة والعزة لله سبحانه وسلَّموا لخالقهم ولم يُبَالُوا

---

(١) ج، هـ، ب، ع: موقعها.
(٢) ج، هـ، م، ب، ع: تجلُّده.
(٣) ج، م، ب: فأرعدوا ـ برقاً.
(٤) هامش ك: «هنا بياض، وفي نسخة غيرها لم يكن بياض».
(٥) ج، هـ، م، ك، ع: «لَمُنْقَلِبُونَ» وهي الآية/ ١٤ من سورة الزُّخرف.
(٦) ب: يسأل عن.

بفرعون وملئه فقالوا[1]: ﴿لَا ضَيْرَ﴾، أي لا ضرر، ولا خوف من فرعون، إذِ العزة لله وحده. ولمَّا لم يقع من قولهم في الأعراف أوَّلاً مثل الواقع هنا، لم يجيئوا في الجواب بما جاءوا هنا، فافترق الموضِعان[2]، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٤٨ ـ الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى[3]:

﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَآءَ اللَّـهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ (١٨٨).

وفي يونس (٤٩): ﴿قُلْ لَّا [١٠٥/ظ] أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَآءَ اللَّـهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل هنا عن[4] تقديم النَّفع في الأعراف وتأخيره في يونس، وعن تعقيب آية الأعراف بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ـ الآية، وآية يونس بقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

والجواب عن الأوَّل [أنه] لما تقدم سؤالهم عن الساعة وتكرر في قوله: ﴿يسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[5]؛ أي عالم بها، وكأن ظاهر السياق يشير إلى أنهم كانوا يُظنُّون أنه عليه السلام يعلمها، فطلبوا تعريفهم بها، وأن يخصهم بذلك، ولا شك أن العلم بالشيء نَفْعٌ[6] لصاحبه، فعرَّفهم بأنه لا

---

(١) ما بعدها إلى قوله: ضرر، ساقط من ج، هـ.
(٢) ج، هـ، ع: الوصفان.
(٣) العنوان ساقط من ع.
(٤) ب: يسأل عن.
(٥) الأعراف/ ١٨٧.
(٦) م، ك: يقع.

يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وتقدم ذكر النفع، لأنه مشير إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها، فأعلمهم أنه سبحانه استأثر بعلمها، وأنّه عليه السلام لا يملك من ذلك شيئاً إلا ما شاء الله له مما عدا[1] علم الساعة، لانفراده سبحانه عن خلقه بعلمها، لا يجلّيها لوقتها إلا هو. ثم تأكد هذا الغرض بقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾، وهذا كله بيّنٌ[2] التناسب. وأما تأخير ما تقدم في الأعراف، وفي سورة يونس، وهو قوله: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فقدم الضر، فللمتقدم قبله من قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾[3]، فطلبوا هذا العذاب استهانة وتكذيباً، ولم يعلموا ما في مطلبهم من المحنة، والمضرة العاجلة، فقال لهم عليه السلام بأمر الله تعالى: إني لا أملك الضر ولا النفع لنفسي، ولا لكم فلا تستعجلون ذلك، فليس بيَدَيَّ. فقدم الضُّر لأجل ما تقدم من طلبهم إيَّاه، وأخبِروا أن لكل أمة أجلاً، شاءه[4] الله وقدَّره لهم، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. فقد وضح وجه التقديم والتأخير في الضُّر والنفع، وتوجيه التعقيب بما أُعقِب به كل من الآيتين.

١٤٩ ـ الآية السادسة والعشرون[5] قوله تعالى:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ[6] إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠).

---

(١) هـ، م: عدى.

(٢) ج، هـ، م، ب: من.

(٣) يونس/ ٤٨.

(٤) ج، ك، ب، ع: لما شاءه.

(٥) ب، ع: السابعة والعشرون.

(٦) هـ، م، ك، ب: إلى قوله (بالله) من آية السجدة ساقط بانتقال النظر، وقد ختمت فيها الآية بختام آية سورة السجدة.

وفي سورة حم السجدة[1] (٣٦): ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فوردت الصفتان في سورة الأعراف على طريقة التنكير، ووَرَدَتَا[2] في السورة الأخرى معرَّفتين وزِيد قبلهما الضمير الوَاقع فصْلاً، فقيل: ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن وجه التَّعريف[3] والتَّنكير، وعن زيادة الضمير.

والجواب عن السؤالين أن سورة الأعراف تقدم فيها[4] قبل الآية وصف آلهتهم المنحوتة[5] من الحجارة[6] والخشب التي وُبِّخُوا بعبادتها في قوله في موضع آخَرَ ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[7]، فوصف هنا بأنها لا تخلُق [١٠٦/و] شيئاً ولا يستطيعون لهم نصْراً، ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُـدَىٰ لَا يَسْمَعُوا، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِليكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[8]. فنفى عنهم القدرة، والسمع، والبصر، وآلة البطش[9] بقوله[10]: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾[11]، ولم يتقدم هنا ما يُوهِمُ أدنى شيء يُلْحِقُها بِشَبَه الأحياء،

---

(١) هي سورة فصِّلت.
(٢) هـ، ج، ب، ك، ع: ورد.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه التعريف...).
(٤) ج: قبلها.
(٥) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.
(٦) ج، هـ، ع: النجارة.
(٧) الصافات/ ٩٥.
(٨) الأعراف/ ١٩٨.
(٩) ك: آلة المشي وآلة البطش، ب: الطيش.
(١٠) ج، هـ، ب، ع: بقولهم.
(١١) الأعراف/ ١٩٥.

فضلاً عما فوق ذلك. فورَد الصِّفتان[1] بقوله ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، مورِداً لم يتقدمه ما يُوهِم صلاحية شيء من ذلك لغيره تعالى ممَّا عبدوه من دونه ممَّا قصد هنا ولا ذكَر دعوى شيء مِن ذلك مِن مُدَّعٍ، فيستدعي ذلك التوهُّم مفهوماً بنفيه، فجاء على ما يجب.

أما آية السجدة فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. وقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَـٰاءَ فَزَيَّنُواْ لَهُمْ مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَٱلإِنْسِ﴾[4]، فحصل من هذا أن مضِلَّهُم[5] إنما كان من عالم الإنس والجن، وكلا الصِّنفين موصوف بالسمع والبصر، ممَّن[6] يُنسب إليه علم بخلاف المتقدم[7] ذكره في الأعراف. فلما تقدم في سورة السجدة ما يظهر منه الغَنَاءُ[8] ويمكن أن يسمع ويُبصر ويعلم، ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك من غير الموصوف بهما تعالى. ثم أكد ذلك بضمير الفصل المقتضى التخصيص ليقوَى[9] المفهوم المسمَّى عند كثير من الأصوليين بدليل الخطاب. فصار الكلام في قوة أن لو قيل: الله، السميع، العليم لا غيره، وأحرز الفصل بالضمير هذا[10] المعنى مع إعطاء المفهوم إيَّاه. ولم يكن ورود ما في سورة الأعراف من التنكير ليناسب الوارد متقدماً في سورة السجدة، ولا التعريف الوارد في الصفتين العليَّتين في سورة

---

(١) هـ، ك: الصفان.
(٢-٤) فصلت/ ٢٢، ٢٥، ٢٩ على الترتيب.
(٥) م، ب: مضِلّيهم.
(٦) ج، هـ: وما، م، ب، ع: ومما.
(٧) ك: من قدم، م، ب: المقدَّم.
(٨) م: الغنى.
(٩) ك: فقوى، ب: قوى.
(١٠) ج، هـ: هو.

السجدة ليناسب ما تقدم آية[1] الأعراف. فجاء كل على ما يناسب والله أعلم بما أراد.

سورة الأنفال

١٥٠ ـ قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَـٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٧٢)

وفي سورة براءة (٢٠): ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فقدم[2] في آية براءة قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، على قوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وفي الأنفال عكس ذلك.

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك[3]، وخصوص كل من السورتين بما خُصَّ[4] به.

والجواب عن ذلك أنَّ آية الأنفال[5] مقصود بها[6] ـ مع المِدْحَة ـ تعظيم[7] الواقع منهم من الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال وتَغْبيطهم بما مَنَّ

---

(١) ج، ب، ع: في سورة.
(٢) ج، م: فتقدم.
(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه...).
(٤) ك: خُصَّت.
(٥) زاد بعدها في ج، ك، ع «معه».
(٦) ك: فيها.
(٧) ج: بعظيم.

الله عليهم به من ذلك [١٠٦/ظ] وتفخيم فعلهم الموجب لموالاة بعضهم بعضاً. فقدم ذكر الأموال والأنفس تنبيهاً معرِّفاً بموقع ذلك من النفوس. وأنهم بادروا بها على حبِّها، وشُحِّ الطباع بها لقوله[١]: ﴿وآتى المَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، وليس تأخير هذا المجرور كتقديمه، لأنه إنَّما يقدَّم حيث يقصَد اعتناء وتخصيص وتنبيه على موقعه. ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[٢]. وقد تقدم هذا فإنما قدم تَغْبِيطاً لهم وإعظاماً لفعلهم.

أما آية براءة فتعريف بأمر قد وقع، مَبنيٌّ[٣] على التعريف بالمفاضلة بين سِقاية الحاجِّ وعِمارة المسجد الحرام وبين من آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله بما له ونفسه بقصْد[٤] ردّ من ظن أن السِّقاية وعمارة المسجد الحرام أفضل، وعرف أنَّ الإيمان وما ذكر معه أعظم درجة عند الله؛ فلم يعرض هنا داعٍ إلى تقديم ما تقدم في الأخرى، فتمحَّضت فضيلة ذلك المجرور هنا فأُخِّر. وقد نص سيبويه على أن المجرور إنما يقدم حيث يكون مستقِراً ويعني بذلك الخبر نحو: عندك مَالٌ[٥]، ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ والقصد[٦] تخصيص كناية[٧] الإخلاص. والتخصيص مقصود في آية الأنفال ولم يقصد ذلك في براءة ولا وقع المجرور فيها خبراً؛ فوجب بمقتضى اللسان أن يقدم في آية الأنفال قوله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ويؤخَّر في سورة براءة. وقد وقع في كل واحدة من الآيتين[٨] في كل من السورتين ما

---

(١) هـ، م، ب، ك: كقوله.
(٢) الإخلاص/ ٤.
(٣) ج، هـ، ع: مبنى.
(٤) ج، هـ، م: فقد.
(٥) ج، هـ: نحو سال.
(٦) ك: ولقصد.
(٧) ك: كآية.
(٨) ج، هـ: الاثنين.

استدعى إيصال ما بعده به، ولم يكن ليناسب لو ورد بالعكس فوضح وجه[1] تخصيص الواقع في كل من السورتين بموضعه، والله أعلم.

سورة براءة[2]

١٥١ ـ قوله تعالى، وهو أول آية من متشابه هذه السورة (غ)[3]:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٥)

وفيما بعدُ (٢٧): **﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

فاستوت الآيتان في إعلامه تعالى نبيَّه والمؤمنين أنه يتوب على من يشاء. وفي ختم الآيتين بالصفتين من صفاته سبحانه، ثم اختلفت الصفتان فقيل في الأولى: **﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**، وفي الثانية: **﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى أُعقِب بها ما تقدمها متَّصلاً بها من الآي في كفَّار مكة، وفعلِهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في التَّضييق والإخراج وبدئهم بالقتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خُزَاعَة في صلح الحديبية. وهذا كله مبسوط في كتب السِّيَر والتفسير[4] فأمر تعالى بقتالهم ووعد بتعذيبهم وخِزيهم والنصر عليهم وشفاء صدور مَن آمن مِن

---

(١) ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٢) هي سورة التوبة.

(٣) ساقط من ج، هـ، م، ب، ع: وهي من المغفَلات.

(٤) نزلت الآية المتقدمة في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة عن قتادة وعكرمة، وقال السُّدِّيّ: شفي الله صدور خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم من بني بكر. أما ما تقدمها من الآيات (٧ـ١٤) فقد نزلت في أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وهمّوا بإخراج الرسول. انظر اللباب/ ١١٤، أسباب النزول/ ١٦٣، وجامع البيان ١٤/ ١٦١، ١٦٢.

خـزاعة وغيـرهـم ممن آذوه قال تعـالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[1]. ثم قـال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾[2] كأبي[3] سُفيان بن حرب وعِكرِمة [١٠٧/و] ابن أبي جَهل إلى من أسلم منهم بعد ما صدر من اجتهاده في الإذاية والصَّدِّ عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي بما في القتال، أو في[4] طَيِّ ما جرى من ذلك كله بتقديره السابق أوَّلاً إذ لا تتحرك ذَرة إلا بإذنه وتقدُّم علمه أولاً، وما في ذلك من الحكمة وخَتْم أفعالهم السيئة بالأَوْبَة والرجوع[5] إليه سبحانه بسابق سعادة لِمَن شاءها له منهم. فهـذا وجه النَّظْم، والتناسب فيه واضح[6].

وأما الآية الثانية فسببها ـ والله أعلم ـ ما جرى يوم حُنَيْنٍ من تَوَلِّي الناس مدبرين حين ابتُلوا بإعجابهم بكثرتهم فلم تُغْنِ[7] عنهم شيئاً ولم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم أُحَدٌ، إذ لم يبرح عليه السلام من مكانه، فلم يثبت معه إلا القليل من العدد القليل فنادى العبَّاس رضي الله عنه: يا لَلأَنْصَارِ، فاستجاب ناسٌ وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ومكّن نبيه عليه الصـلاة والسـلام والمسلمين مِنْ أعدَائِهِمْ، والقصة معروفة[8]. فخُتمت هذه الآي بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، تأنيساً

---

(١) التوبة /١٤.

(٢) الآية / ١٥ وفي ب: ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ ـ وهي الآية ٢٧ مما بعد هذه الآية.

(٣) ج، هـ، ع: كان.

(٤) ب: وفي.

(٥) ج: الروع.

(٦) هـ، م: أوضح.

(٧) ج: يغن.

(٨) يريد بذلك ما تقدم الآية من ذكر يوم حنين في آيتي / ٢٥، ٢٦. وحنين ما بين مكة والطائف قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم هوازن وثقيف، وفيها ظن فريق من المسلمين أن كثرتهم=

لمن فرّ من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم[1] بتوبة الله عليهم، وأنّ ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم رحمةً من الله فجاء كل من هذا على ما يناسب ويلائم[2] ولا يلائم خلافه، والله أعلم.

١٥٢ ـ الآية الثانية قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٩)

وورد بعد هذا بآية (٢٤): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾. وبعد الحزب الأول عن هذه السورة (٣٧): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾. وفي ذكر المنافقين عن هذه السورة (٨٠): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[3] افتراق أوصاف المذكورين في هذه الآي بالظلم والفسق والكفر وهل ذلك لِدَاعٍ من المعنى؟

والجواب أن كل وصف منها إنما جرى على ما تقدمه لدَاعٍ مناسب من المعنى، أما الآية الأولى فإن قبلها[4] قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾[5]. وهؤلاء المقول لهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾[6]، إنما هم[7] كفار قريش، ممّن ظلم نفسه بالتقصير في النظر، وظن أنّ عمله من

ـ ستنصرهم فهزمهم الله، ثم كشف الهزيمة عنهم وأمدّهم بالسكينة والملائكة جنوداً ونصرهم على عدوهم. انظر اللباب/ ١١٥، ١١٦، وجامع البيان ١٤ / ١٨٠ـ١٩٠.

(١) ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(٢) ساقط من ج، هـ، ك، ع.
(٣) ب: يسأل عن وجه.
(٤) ج، هـ، م، ب، ع: قبله.
(٥) الآية/ ١٩.
(٦) ساقطة من ج، هـ.
(٧) ج، هـ: انهم.

سقاية الحاج وعِمارة المسجد الحرام كافٍ مخلِّص عند الله، وأن المؤمن بالله واليوم الآخر المجاهد[1] في سبيل الله، ليس بأفضلَ حالاً وعملاً منه. فَرَدَّ الله مقالَهم وقيل لهم: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ومن ظن ذلك كما ظننتم فظالم لنفسه من حيث قصَّر في نظره مع تنبيه[2] [إلى[3]] النظر في وجهه [١٠٧/ظ] ما به خَلاَصُه، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وهم الذين سبَق في علم الله أنهم لا يؤمنون بظلمهم أنفسهم. وأما الآية الثانية فكَفٌّ ومَنْعٌ للمؤمنين عن ارتكاب ما ليس من شأنهم. ألا ترى أن قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ـ الآية[4]. فنُهُوا عن مُوالاة مَن ذكر من آبائهم، وإخوانهم، إذ كانوا مُؤْثِرين للكفر مستحبِّيه على الإيمـان. ثم قيـل لهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[5]، ثم أعقب بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ[6] مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[7] وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[8]، أي أنكم إذا اتَّصفتُم بهذا فقد خرجتم عن دينكم وفارقتم إيمانكم ولحِقتم بمن كفر بعد إيمانه[9]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[10]، والفاسق الخارج.

---

(١) ج، هـ: الجاهد.
(٢) ك: التنبيه.
(٣) ج: عن، هـ، م، ك، ع، ب: على
(٤، ٥) التوبة/ ٢٣.
(٦) ما بعدها إلى قوله ورسوله ساقط من الآية في ك.
(٧) هـ، ب: زاد هنا «أي أن آثرتم ما ذكر وكان أحب اليكم من الله ورسوله».
(٨) التوبة/ ٢٤.
(٩) ج: إيمانهم.
(١٠) التوبة/ ٢٤.

وأما الآية الثالثة فقبلها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]، ثم ذكر مُرتَكَبِهم فيه وتزيين ذلك لهم لما قدر لهم من تماديهم في كفرهم فقال: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2]. فوُسِمُوا أولاً بالكفر فقيل: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إذ لم يكن تقدم لهم إيمان ثم خرجوا عنه[3] بل كانت حالهم التَّمادي على كفرهم الذي لم يتقدمه إيمان. ولمَّا ذُكِرَ بعض ما حمَلهم عليه كفرُهم، وأنّه من سوء أعمالهم، وممَّا زيَّنه الشيطان لهم. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وأما الآية الرابعة، فهي في طائفة مَن المنافقين، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ[4] لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[5]- الآيات. فوُصفوا بالتظاهر بالإسلام ثم خرجوا[6] بشنيع كفرهم وقبيح مرتكباتهم، ووصفَهم تعالى بأنهم يلمِزُون المُطَّوِّعين من المؤمنين ومن لا يجد إلَّا جهده إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[7] ثم قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[8]. فلخروجهم ومفارقتهم ما قد كانوا تظاهروا به من الإسلام وُصفوا بالفسق الذي هو الخروج والمفارقة من قولهم: فسَقَتْ الرُّطَبَة إذا خرَجت عن[9] قِشرها. قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[10]، فقد وضح في كل آية من هذه أنّ

(١، ٢) التوبة/ ٣٧.
(٣) ساقط من ج، هـ، م.
(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٥) التوبة/ ٧٥.
(٦) ك: خرجوا عنه.
(٧، ٨) التوبة/ ٨٠.
(٩) ج، هـ، ب، ع: من.
(١٠) الكهف/ ٥٠.

ما أُنجز فيها من وَسْم من أريد بها وجرى ذكره قبلها بمقتضى ورود ذلك الوصف على ما ورد عليه، وأنه لا يلائم كل آية منها إلا ما أُعقبت به، والله أعلم.

١٥٣ ـ الآية الثالثة، قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ﴾ (٣٢).

وفي سورة الصف (٨): ﴿يُرِيدُون لِيُطْفِئُوا نُور اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَـٰفِرُونَ﴾. ومعنى الآيتين في السورتين واحد، وقد زادت آية براءة على آية الصَّف [١٠٨/و] عشرة أحرف صُوَراً.

فللسائل[1] أن يسأل عن وجه[2] ذلك.

والجواب عنه والله أعلم أنَّ زيادة آية براءة مقابَل بها ما ورد مِن الطُّول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى. قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُـودُ عُزَيْـرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ، وَقَالَتِ ٱلنَّصَـارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[3]. فوقع في المحكي هنا[4] طول اقتضى طول ما بُنِيَ[5] جواباً عليه ليتناسب[6]. وأما آية الصف فمقابَل بها قول قوم عيسى عليه السلام، لما قال لهم[7]: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

(١) ج: للسائل.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك..)
(٣) الآية / ٣٠.
(٤) ساقط من ج، ع.
(٥) م: بقي.
(٦) ج: ليناسب.
(٧) ساقط من ج، ع.

مُصَدِّقاً[1] لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2] ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[3]. وإنما الجواب عن[4] المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم: ﴿هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وليس هذا في الطول وعِدَّةِ الكَلِمِ كالْمحْكِي في سورة براءة. ألا ترى أن الواقع في سورة براءة ستُ كلمات، وفي الصف ثلاث كلمات. ثم إنَّ الواقع في سورة براءة مقال طائفتين وهم[5] اليهود والنصارى مفصَحاً به، والواقع في الصف مقال[6] طائفة واحدة، وهذا مراعى. فقد وضح ورود[7] كل من الآيتين مناسباً لما اتصل به، وعلى ما يجب في السورتين[8]، والله أعلم بما أراد[9].

١٥٤ ـ الآية الرابعة (غ)[10] قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ (٤٢)

وفيما بعد من هذه السورة (١٠٧): ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ[11] لَكَـٰذِبُونَ﴾.

وكذا في سورة[12] الحشْر(١١) والمنافقين (١)، فورد في الأولى: ﴿يَعْلَمُ﴾، وفي البواقي ﴿يَشْهَدُ﴾، مع أن المقصود في الأربع الآيات

---

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».
(٢، ٣) الصف /٦.
(٤) ك، ب، ع: على.
(٥) ك: منهم.
(٦) ك، ب، ع: مقالة.
(٧) ساقط من ج، هـ، م، ب، ع.
(٨) الجار والمجرور ساقطان من ك.
(٩) محذوف من ب «بما أراد».
(١٠) ساقطة من ب، ع، وهي من المغفلات.
(١١) ب: إنَّ المنافقين وهي في الآية الأولى من سورة «المنافقون».
(١٢) ك: سورتي.

واحد، وهو أنه سبحانه عليم بما يُخفونه أو يظهرونه من أعمالهم.

فللسائل[1] أن يسأل عن وجه ذلك[2].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن الاستطاعة أو عدمها حُكم لا يُطَّلع عليه في الغالب، بل ينفرد كل بحاله في ذلك، إلا أن يُعلم ذلك بقرينة. فقول المنافقين في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾[3]، غير مشاهَد من ظاهرهم فقد كان يمكن صدقهم، أو صدق بعضهم[4] لولا أنه سبحانه أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وما يكون من اعتذارهم قبل أنْ يقع منهم [عيبُهم] [5] وتقاعُسهم [6] عن الخروج فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾[7] فأعلم تعالى بما يكون منهم قبل أن يكون، وذلك غيب وأعلم بوجه تقاعسهم وتثبُّطهم، وأعلم[8] بكذبهم فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فحصل العلم بحالهم بإخباره تعالى، ثم تكاثرت الشواهد عليهم. فلما [١٠٨/ظ] كان حال الاستطاعة[9] على ما ذكرنا من الخفاء[10] لا يُطَّلَعُ عليها، ناسب ذلك التعريف عن اطِّلاعه تعالى ما أخبر به[11] من حالهم بالعلم[12] فقال سبحانه: ﴿وَاللَّـهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

---

(١) ج: للسائل.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

(٣) التوبة / ٤٢.

(٤) هـ، م: نفسهم: أنفسهم.

(٥) في جميع النسخ: غيبهم ـ ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٦) م، ك، ب: ونفا ـ عنهم.

(٧) التوبة/٤٢.

(٨) ك: ثم أعلم، ب: أعلم.

(٩) ج، م، ب: استطاعة.

(١٠) ج، ب، ع: الخفى.

(١١) ك: خفوه، والجار والمجرور ساقطان من م.

(١٢) ج، هـ، م، ب، ع: ما يعلم.

لَكَاذِبُونَ﴾، ولا يناسب غيره.

وأما الآية الثانية فهي في أهل مسجد الضِّرار، وأمرهم مما قد كانوا تواطئوا عليه ولم يخْفَ حال بعضهم عن بعض، وذلك بخلاف حال الاستطاعة وما يمكن فيها من الخفاء، فكان هذا مما يرجع إلى حُكم الظهور والشهادة وهو سبحانه عالم الغيب[1] والشهادة فكان ورود قوله تعالى هنا: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾، أنسب. وكذا الحُكم في آية الحشر لبنائها على قوله تعالى[2]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ إلى آخر الآية. وكل هذا قول مشاهَد معلوم مدرَك بحاسة السمع وما وعَدوا به إخوانهم من نُصرتهم والخروج معهم إلى أنْ خرجوا. كل ذلك مما كان يشاهَد ووقع، وليس بشيء من ذلك كالاستطاعة في خفائها وغيبها؛ فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. وكذا الوارد في سورة المنافقين[3] لأن قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ قول مدرَك بالسمع، مع أن في هذه الآية قولهم: ﴿نَشْهَدُ﴾، وطابق[4] هذا وناسبه قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وجاء كل من هذه الآي[5] على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٥٥ ـ الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ (٥٤).

---

(١) هـ، م، ب: العيوب.

(٢) ساقطة من ج، ع.

(٣) إلى قوله ﴿إن المنافقين﴾ ساقط من ج.

(٤) ك: فطابق.

(٥) ب: الآية.

وفيما بعدُ من هذه السورة (٨٠): ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وبعد هذه الآيات (٨٤): ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة الباء في قوله[1]: ﴿وَبِرَسُولِهِ﴾، ولم يَرِدْ[2] في الآيتين بعدُ، والظاهر التساوي في مقصود هذه الأخبار، فما الفرق وليس في المعقَب به بعدُ ما يُسأل عنه، لأنها مقاصد مختلفة.

والجواب أنك إذا قلتَ مثلاً: المانع من تقريب زَيْدٍ نِفَاقُه؛ فإنك لم تزِد على أن أخبرت عن علَّة منع تقريب زَيْدٍ شيئاً. فإذا قلت: إن المانع من تقريب زَيْدٍ نِفَاقُه، فقد زدتَ على الإخبار بالمانع[3] من التقريب تأكيداً ليس في الأول لما زدت إنَّ[4] المؤكِّدة للخبر[5]. فإذا قلت: ما المانع من تقريب زَيْدٍ إلاَّ نِفَاقُه، فقد حصرتَ المانع من التقريب في النِّفاق، وأكدت ذلك تأكيداً أكثر من الحاصل بإنَّ. ولهذا اتفق الأصوليُّون على قوَّة المفهوم في قوله صلى الله عليه وسلم [١٠٩/و] «إنَّما الوَلاَءُ لِمَنْ أعْتَقَ»[6]. ولم يتفقوا في المفهوم الحاصل من قوله عليه السلام: «في سائِمة الغَنَم

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة في بقوله (هكذا)).

(٢) ك: تزد.

(٣) ج، هـ، ع: بالواقع.

(٤) ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٥) ج، هـ: الخبر.

(٦) روى الشيخان هذا الحديث في جارية اشترتها السيدة عائشة لتعتقها فقال أهل الجارية: نبيعكها على أن ولاءها لنا، فحدَّث الرسول عليه السلام فقال: «لا يمنعك ذلك فإنما الولاء لمن اعتق». وفي رواية البخاري، فقال: «اعتقيها فإن الولاء لمن أعطى الوَرِق». البخاري ١٩٢/٣، ومسلم ٧٣١/٣-٧٣٢، وانظر الترمذي ٤/ رقم ٢١٢٥.

الزّكاة»[1]. وذلك بسبب ما تقتضيه إنما من معنى الحَصْر. وقد جرّده بعضهم عن المفهومات، وجعله دليلاً برأسه، لقوته وأَبى أن يجعل[2] هذا من دليل الخطاب. وفي معنى قوله: إنما الولاء لمن أعتق، قولك: مَا الوَلاَءُ إلاَّ لِمَن أعتَق، فإن معناه حصر الولاء في المعتِق[3]، وأنه لا ولاء لغيره. ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4]، أي: ما يخشاه تعالى حق الخَشية إلا العلماء. وقال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5]، فنزّه سبحانه نُطْقَ نَبيِّه أن يكون بغير[6] وَحْيٍ. وليس قولك في الكلام: هو وَحْيٌ يُوحَى، [وَلاَ] قولك: إنّه وَحيٌ يُوحَى[7]، في[8] قوة الإخبار القرآني من قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، لما بُيّن قبلُ.

فإذا وضح هذا فقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾، فقد ورد على أبلغ وجوه التأكيد، وحصل حصر المانع من القبول في كفرهم وأنه لو لم يكن الكفر لكان[9] القبول، فناسب هذا التأكيد الذي بلغ به الغاية، زيادة الباء في قوله: ﴿وَبِرَسُولِهِ﴾، لإعطائها معنى التأكيد وإحرازها إيّاه. ولمّا لم يكن هذا التأكيد الحصْري واقعاً في الآيتين بعدُ وإنما وكّد فيهما بأن قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا

---

(١) الحديث بلفظه في تخريج الفروع على الاصول/ ٧٣ وقد اختلفت الصّحاح في الفاظه من حديث أنس بن مالك عن أبي بكر: «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة، شاة» البخاري ١٤٦/٢، والترمذي ٣/ رقم ٦٢١.

(٢) ك: يحمل.

(٣) م: العتق.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) النجم/ ٤.

(٦) ج، هـ، ع: غير وحي.

(٧) ك: زاد هنا «لما زدت من التاكيد بإنّ ولا قولك إنّه وحي يوحى».

(٨) ج، ب، ع: وفي.

(٩) ك: لا كان.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ[1]﴾. وقال تعالى: ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، فلم يبلغ هذا[2] الإخبار مع تأكيده، وقوته مبلَغ الأول [لمَّا] لم تلحقه الباء، وجاء كل على ما يجب والله أعلم بما أراد.

١٥٦ ـ الآية السادسة[3] من سورة براءة قوله تعالى في المنافقين:

﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ. فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ (٥٤-٥٥).

وقال فيما بعدُ (٨٥): ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾، فحُمِلَت الآية الأولى على ما قبلها بالفاء، والثانية بالواو وزيدت لا النَّافية في الأولى، وسقَطت من الثانية، وقيل في الأولى: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ[4]﴾، وفي الثانية ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾. وقال في الأولى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، واكتفى بالوصف في الثانية فقيل: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، فتلك أربع سؤالات.

والجواب عن الأول أنه لما وصف تعالى أقوال المنافقين في كفرهم، وَسَيِّءِ مُرتكباتهم وقرّر ما هُم[5] عليه في آيات إلى قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾. فلما عرّف بأحوالهم قال لنبيه عليه السلام فلا تُعجِبْك أموالهم وكأنَّ الكلام في قوة أن لو قيل: إذا عرفت أحوالهم فلا تغتر بما لديهم، فتظن أن ما مكَّنَّاهُم فيه، ومنحناهم إيَّاه

(١) م: وبرسوله.
(٢) ك: بهذا.
(٣) ما بعدها إلى (براءة) محذوف من ب.
(٤) ما بعدها إلى قوله يعذبهم ساقط من ك.
(٥) ج: ومن رماهم، والضمير ساقط من ب.

[١٠٩/ظ] من مال وولد، إحسان عجّلناه لهم: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1] ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[2] والكلام في قوة الشرط والجزاء فكان موضع الفاء.

أما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾، فمنسوق على قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ. وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾. وكل هذا نهي له صلى الله عليه وسلم أن يفعله وليس كالأول[3] في أنّ ذكر[4] مرتكباتهم ما بنى نهيه عليه السلام عليه فيتصور فيه معنى شرط وجزاء. فلا مدخل للفاء هنا، ولا هو موضعها.

والجواب عن الثاني أن الآية الأولى مقصود فيها من التأكيد ما لم يقصد في الثانية لمّا قيل له عليه السلام: وما منعهم أن تقبل منهم[5] نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله، وذُكر له من قبيح[6] مرتكباتهم أشنعها، أكد نهيه عليه السلام عن أن يلتفت إليهم، تنزيهاً لقدره[7] العليّ عن الصغوّ[8] إلى ما حاصله إملاء لأهله في الحقيقة استدراجاً ومَنّاً[9]، فدخلت لا تأكيداً يناسب[10] هذا القصد[11]. ولمّا لم يكن في الآية الأخرى معنى اشتراط

(١) المؤمنون/ ٥٥، ٥٦.
(٢) آل عمران/ ١٧٨.
(٣) م: الأولى.
(٤) ساقطة من ك.
(٥) ساقط من ج.
(٦) ك: قبح.
(٧) ج، ع: بقدره.
(٨) ك: الصعود.
(٩) جميع النسخ: استدراج وعنا(؟).
(١٠) ج، ع: ناسب.
(١١) ك: المقصد.

وجزاء يقتضي التأكيد[1] فلم تدخل لا فجاء كل على ما يجب ويناسب.

والجواب عن السؤال الثالث، أن قوله في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، بلام الجر مناسب لما في الآية من التأكيد، إذ لا يقتضي تراخياً، فناسب هذا ما ذكر من التأكيد. أما قوله في الآية الثانية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فيقتضي أن التأكيد لمَّا لم يبلغ في هذه الثانية مبلغ الأولى بما تقدم فيها أشعَرَتْ أنْ بما فيها من التراخي، بأن هذه ليست من التأكيد في نمط الأولى. وهذا رعي مناسبة لفظية، إذ الإخبار بحالهم ومآلهم واحد في الآيتين[2] من غير فرق.

فإن قيل: فإنَّ لَامَ كَيْ في قوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ تقدَّر بعدها [3] أنْ على قول الجمهور [4]، فقد تساوت الآيتان. قلتُ: ليس المعنى مع تقديرها هو المعنى مع ظهورها، بل لظهورها حكم لا يكون في تقديرها، وقد نص سيبويه ـ رحمه الله ـ على ذلك في باب الجواب بالفاء من كتابه، وأنه كلام العرب فتبيَّن أن قوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[5]، ليس كقولنا[6]: ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فيما يعطيه ظهور أنْ من التَّراخِي، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الرابع أن قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في الآية الأولى بالجمع بين الصفة والموصوف مناسب أيضاً، وملائم أوضح ملاءمة للتأكيد الجاري. أما الآية الأخرى فلا تأكيد فيها، فناسب ذلك الاكتفاء بقوله: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، وجاء الكل على ما يجب ويناسب.

---

(١) ما بعدها إلى قوله (من التأكيد) في جواب السؤال الثالث، في ك فقط.

(٢) ج، هـ، م: الاثنين.

(٣) جميع النسخ: بها.

(٤) انظر الكتاب٣/٥ـ٧، «باب الحروف التي تضمر فيها أن».

(٥) بعدها في جميع النسخ (إنه).

(٦) ك: كقوله.

١٥٧ ـ الآية السابعة من سورة براءة قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَـٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ، وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعْ ٱلْقَـٰعِدِينَ [١١٠/و] رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٦-٨٧).

وقال بعدها (٩٣): ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فيهما[1] سؤالان:

الأول[2]: قوله في الأولى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، ببناء الفعل للمفعول، مكتفى به، وفي الثانية: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ﴾، ببناء الفعل للفاعل على الأصل.

والثاني: قوله في الأولى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وفي الثانية ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والجواب عن الأول، أن مطلع الآية قبلها قوله: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾، على بناء[3] الفعل للمفعول، فجاء قوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، على ذلك، ونوسب بختام هذه الآية بَدْءُ[4] ما قبلها. وأما الثانية فلم يقع قبلها فعل بُنِيَ للمفعول، وقد ذكر الفاعل فيها، فجرى الكلام على ما يجب، فقيل: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

والجواب عن الثاني أن قوله: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ

---

(١) ج، هـ: فيها.
(٢) ساقطة من هـ، م، ك.
(٣) ساقطة من ج.
(٤) ج، هـ، م، ك، ب: بداة.

﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾، لمَّا اجتمع ذكر إنزال السورة والإشارة إلى ذكر المراد بها بقوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ استدعى ذلك نَظَرَ مَن بَلَغَه هذا المنزَل، واعتباره، وتفهُّم المقصود به على الكمال ليقع الامتثال على وجهه. فلما تَرَامَوْا إلى الخلود إلى الراحة، وترك الجهاد الذي تحمَّلت الآية الأمر به[1]، ناسب ذلك أن يُنفَى عنهم الفهم والتدبُّر، فقيل: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، والتفقُّه التفكر والاعتبار. ولما لم يقع في الآية بعد ذكر ما يحتاج إلى تدبره وتفهمه لقرب المعنى المراد منه؛ وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ صُرِفَ النفي إلى الحامل إلى التفهُّم وهو العلم فقيل: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

١٥٨ ـ الآية الثامنة من هذه السورة قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٤).

وقال بعد هذا (١٠٥): ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ـ الآية.

فيهما[2] أربع سؤالات:

الأول قوله في الأولى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، بواو النسق، ولم يرِدْ

---

(١) ساقط من ج.

(٢) ج، ب، ع: فيها.

فيها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال فيها: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، وقال في الثانية: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ﴾، بفاء التعقيب. وفيها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل في الأولى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾، بالواو، وفي الأولى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾. فاختلفت الآيتان في ثلاثة [١١٠/ظ] مواضع[١]. فيُسأل عنها، وهل كان يصح وقوع الأولى في موضع الثانية، والثانية في موضع الأولى وكل منهما على ما بُنِيَ. فهذه أربعة أسولة[٢].

والجواب عنها على[٣] الجملة، أن الآية الأولى في المنافقين لم يخالطهم سواهم، والثانية في طائفة من المؤمنين كان فيهم تقصير، ولهم إيمان فأنِسُوا وَقَوِيَ رجاؤهم. قال الطَّبري: «هي فيمن تاب من المخلَّفين»[٤]. قلت: ويشهد لهذا ما اتصل بالآية مما قبلها، والواقع [في][٥] الأولى من قوله: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾، أي لستم صادقين في اعتذاركم. ثم قال: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾، أي: قد أطلَعنا الله على نفاقكم، وسوء سرائركم. ثم قال: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، وهذا تهديد عُطِف على مثله، وقصد تعريفهم[٦] بالمجموع مما استوجبوا به المَقت ولم يُعطَف بالفاء، إذْ ليس ما تعطيه من المعنى مقصوداً هنا، ولم يقل هنا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، إذ النفاق عمل يُخفيه المنافق فلا يطلع عليه إلا الله سبحانه وقد يطلع عليه رسوله ومن شاء من عباده. وإنما كانوا يتظاهرون بخلاف ما [يبطنون][٧]. ثم قال: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ

---

(١) ب: في المواضع.
(٢) ج: أربعة سؤالات، ع: أربع أسولة.
(٣) ج، هـ، م: عن.
(٤) ج، ك، ع: المخالفين، وانظر جامع البيان ٤٦٢/١٤.
(٥) جميع النسخ: قبل.
(٦) هـ: تقريعهم.
(٧) جميع النسخ: يظهرون.

﴿ٱلْغَيْبِ﴾[1]، فعطف ردَّهم إلى الله بثُمَّ المعطية مع مهلة الزمان هنا، تفاوتاً في التهديد والوعيد، ولم تكن الواو لتعطي هذا المعنى وتحرزه، وقد تبيَّنت المواضع الثلاثة التي خالفت[2] فيها هذه الآيةُ[3] الآيةَ التي بعدها. وأما الثانية فهي في المتخلِّفين عن غزوة تَبُوكَ. قال الطبري: [إنها] فيمن تاب منهم، كما تقدم، وقد وقع قبلها قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[4]، ثم قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[5] فأمره[6] سبحانه بأخْذ زَكَوَاتِهم وأخبرهم أنها تطهير لهم وتزكية وأمره[7] أنْ يدعوَ لهم بقوله ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، ثم زادهم تأنيساً بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَاتِ﴾[8].

فإنْ قيل: إنك قد عَضدْتَ[9] هذا المأخذ في هذه الآية بما اتصل بها من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، وهذه مطلَقة يراد بها جميع من أُمِر بالزكاة وهم المؤمنون، ولم تختص[10] بأهل تبوك ولا غيرهم. قلت: إنما دليلي في اتصالها بـالآية عَقِبِها المتكلَّم فيها وفي اتصـالها بها تحصل الشهادة، ويعتضِد المراد، ويلتئم النظم، لأن من كان مقصوداً بالآية الثانية

---

(1) التوبة/ ٩٤.
(2) ك: خلفت.
(3) ج، هـ، م، ب، ع: الأيات.
(4) التوبة/ ١٠٢.
(5) التوبة/ ١٠٣، وانظر جامع البيان ١٤/ ٤٤٩-٤٥٢.
(6) ج، هـ، ع: فأمر.
(7) ج، هـ، م، ب، ع: وأمر.
(8) التوبة/ ١٠٤.
(9) ج، هـ، م، ب، ع: عقدت.
(10) ج، ع: يختص.

وهي قوله: ﴿ٱعْمَلُوا﴾، على ما تمهّد من جملة[1] المؤمنين المخاطَبين بالزكاة، فالمعنى[2] ومقتضى النظم وجلالة التركيب [١١١/و] وتناسب السياق تحصيل[3] الشهادة. ثم نرجع فنقول: قال تعالى: ﴿وَقُلْ ٱعْمَلُوا﴾، والمراد أمرهم بالدُّأب[4] على أعمال البرِّ لتمحوَ ما سلف من تقصيرهم. ونظير هذا ما وقع عقِب قوله تعالى:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ ـ الآية[5]، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[6]. فليس قوله: ﴿وَقُلْ ٱعْمَلُوا﴾، وإنْ كان قد يبدو منه تهديد كالواقع في الآية قبلُ، إنما هو في الحقيقة أمر بالعمل المرجوِّ مَحْوُه لما سلف من تقصير وتهديد لمن لم يتب، وقوله: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، جواب للأمر من قوله: ﴿ٱعْمَلُوا﴾، فالفاء جواب وكأن قد قيل تأنيساً: اعملوا، فلن يُضِيعَ الله عملكم. وقيل هنا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن الأعمال الإسلامية يشاهدها المسلمون بعضهم عن بعض كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك من الأعمال فيرى المسلمون ما تُظُوهِرَ به من هذه الأعمال. ويشهده لما وراءها مما يرجع إلى قبيل الإيمان من الاعتقادات القلبية وما يرجع إليها قال عليه السلام: «إذا رأيتم الرَّجلَ يشهد المجلسَ فاشْهَدُوا له بالإيمان»[7]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ

---

(١) م: حمله.
(٢) ج، م، ع: بالمعنى.
(٣) هـ: ويحصل، م: ومحصل، ك: وتحصل.
(٤) في جميع النسخ: الدؤب.
(٥،٦) الزمر/ ٥٣، ٥٤.
(٧) ج، ع: بالإسلام، وكما أثبتناه في بقية النسخ، وقد خرج الإمام أحمد، والقرطبي، وابن كثير الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» وخرجه ابن كثير بألفاظ أخرى من روايات: الترمذي، وابن مردويه، والحاكم. انظر ابن كثير ٢/ ٣٤٠، ٣٤١، أحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٩٠.

اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ - الآية[1]. فلهذا قيل في هذه الآية ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل ذلك في أعمال المنافقين، لأنها مما لا[2] يتظاهرون بها للمؤمنين[3].

وهذا مما يعضُد قول الطبري، لأن الآية في التائبين من المتخلفين، لأن أعمال المنافقين قلَّما[4] يتظاهرون بها للمؤمنين، إنما يُبدونها لإخوانهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَقَدْ دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ فإنما يشاهِد المؤمنون، ويرَوْن ما يُتظاهر به من الأعمال. وفي هذا يشاركون نبيهم عليه السلام في رؤيته[7] فتلك أعمال المسلمين لا أعمال المنافقين.

فقوله: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الصفة من التَّشريك بينهم وبين نبيهم عليه السلام في رؤيته[8] إنما هي أعمال الطاعة فهي التي تُشاهَد، ويشاهد فيها[9] بين المحافظ[10] والمقصِّر. ألا ترى قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾. فإنما نبَّأهم سبحانه وتعالى بما لم يشاهدوه، ولا رَأَوْهُ من مضمرات المنافقين. ولما كان وصول المؤمنين إلى تعرُّف[11] ذلك بإخبار الله تعالى من غير رؤية من

---

(1) التوبة/ ١٨.
(2) ساقطة م ج، هـ.
(3) زاد هنا في ك (إنما يبدونها لإخوانهم - إن الآية في القائمين من المتخلفين...).
(4) جميع النسخ: قل - ما.
(5) البقرة/ ١٤.
(6) المائدة/ ٦١.
(7،8) ج، هـ: رأيته، ع: رغبته، م، ك، ب: رويته.
(9) جميع النسخ: فيا.
(10) ج، هـ، ك، ب، ع: الحافظ.
(11) ج، هـ، ك، ب، ع: تعريف.

المؤمنين. لذلك[1] قال تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، ولم يقل هنا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لأنهم لم يحصل لهم شيء من أخبار المنافقين إلّا بإنباء الله تعالى لا[2] بإدراك رؤية [١١١/ظ] أما الآية الثانية، فقيل فيها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن الواقع من هؤلاء ـ والله أعلم ـ أعمال مرئية كما قدمنا، فشهد هذا السياق ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى في المنافقين المستمرين على نفاقهم، وأن الثانية في التائبين المستمرين بعدُ على أعمال محمودة تُشاهَد وتُرَى، هذا حاصل قول الطبري. وإنْ قلنا بما قال أبو محمد بن عطية[3]، وزعم أنه الظاهر من المراد بقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ ـ الآية، آلْمُتَعذِّرُونَ[4] الذين لم يتوبوا، المتوعَّدون المعنِيُّون بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ فيعارضنا اتصالها[5] بما اتصلت به. وأما على قول الطبري فلا إشكال وهو أظهر، والله أعلم بما أراد. وقد استمر كلام من وقفنا على كلامه من المفسرين على عبور هذا الموضع دون نزول للاعتبار[6]، وهو من[7] المواضع التي يجب أن يُتعرَّض لها، وقد جرى فيها كلام الزمخشري على مقتضى قول الطبري من غير تعرُّض لغير ذلك[8]، وهو ظاهر، والله أعلم.

---

(١) ج، هـ، ع: كذلك.

(٢) ساقطة من ج، هـ، ب، ك، ع.

(٣) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي المغربي الغرناطي، المالكي، له تفسير بعنوان «المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ويعد من طبقة الزمخشري في تفسيره ومنْهاجه. كان ابن تيمية يتهمه بالميل إلى آراء المعتزلة ـ توفي / ٥٤١ للهجرة. التفسير والمفسرون ١/٢٣٨-٢٤٢، التفسير ورجاله/ ٦٠-٦٤، الداودي ١/٢٦٠-٢٦١.

(٤) ج، هـ، م، ب، ع: المعتدون.

(٥) ج، هـ: اتصاله، ب: اتصالنا.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع: الاعتبار.

(٧) ج، هـ، ك، ب، ع: في.

(٨) انظر الكشاف ٢/٥٦، ٥٧.

١٥٩ ـ الآية التاسعة (غ)[١] قوله تعالى:

﴿إنَّ إبْرٰهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤)

وفي سورة هود (٧٥): ﴿إنَّ إبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أوَّهٌ مُّنِيبٌ﴾. فتقدم في الأولى الوصف بأوّاه، وتأخر في الثانية وتقدم فيها وصفه بحليم.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن الأوّاه الكثير التّأوُّه. وفي كتاب ابن عطية إنَّ التأوّه[٢] التَّفَجُّع، فالمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة[٣] أبيه وقساوته [طَفِقَ يَدْعُوهُ] حتى قال له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأرْجُمَنَّكَ﴾[٤]، وإبراهيم عليه السلام يتأوَّه تأسفاً وتحسُّراً على إباية أبيه عن إجابته واتّباعه مع[٥] تلطف إبراهيم عليه السلام في قوله دعاءً لأبيه إلى الإيمان في إخبار الله تعالى عنه: ﴿يَا أبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ إلى قوله: ﴿يَا أبَتِ إنِّي أخَافُ أنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾[٦] وكان عليه السلام لفرط ترحمه ورأفته[٧] وحِلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع [الرَّجاء] من حاله وتبيَّن له أنه عدو لله فتبرّأ[٨] فأخبر الله تعالى نبيَّه محمداً[٩] بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقتدي به، ويهتدي بهَدْيه فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

---

(١) ساقطة من ج.
(٢) إنّ واسمها ساقطان من ج، هـ، ك.
(٣) ج: عضله.
(٤) مريم/ ٤٦.
(٥) ج، هـ، م، ب، ع: عن.
(٦) مريم/ ٤٢-٤٥.
(٧) ج، هـ، ع: رقته.
(٨) ج: فتبر.
(٩) جميع النسخ (محمدٌ) مرفوعة.

لَهُمْ أَنَّــهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ﴾[1] وأعلمه تعالى بعُذْر إبراهيم في استغفاره[2] وأن ذلك كان[3] عن مَوعِدَةٍ تقدمت منه، لأبيه فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه أوّاه وذلك مناسب لما بيّناه.

أما آية هود فمُنْزَلَةٌ على ما ذكره سبحانه من مجادلته في قوم لوط جرياً على وصفه سبحانه [١١٢ / و] من الحلم. فكان تقديم وصفه هنا بالحلم أنسب وأجرى ورودَه على ما بُني عليه. فوضح ورود كلا الموضعين على ما يجب ويناسب، ولا يمكن عكس الوارد على ذلك، والله أعلم بما أراد.

سورة يونس عليه السلام

١٦٠ ـ الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿آلر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١).

وفي مطلع[4] سورة لقمان (١-٢): ﴿آلمٓ. تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

وفي مطلَع سورة يوسف (١): ﴿آلر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

فافتتحت هذه السور الثلاث بعد الحروف المقطَّعة في مطالعها بالإشارة إلى الكتاب المُذَكِّر به والمنبِّه بآياته، فقيل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ﴾، ثم وصِف في السورتين، بـ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾، وفي سورة يوسف، بـ﴿ٱلْمُبِينِ﴾، فيسأل عن ذلك.

---

(١) التوبة/ ١١٣

(٢) ب: استغانة (هكذا).

(٣) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٤) ساقطة من هـ، م، ك، ع.

والجواب ـ والله أعلم ـ بأن سُورَتَيْ[1] يونس ولقمان تردَّد فيهما من الآيات المعتبَر بها المطلع على عظيم[2] حكمته، وإتقانه للأشياء ما لم يرد في سورة يوسف كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[3]. وخلق السموات والأرض، وما انطوت عليه من أعظم المعتبَرات قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، وقد تبع الآية المذكورة من سورة يونس ما يجاريها في التنبيه بما به الاعتبار كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ـ إلى قوله ـ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[6]، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ. إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾[7]، لم يتخللها ما يخرُج عن باب الاعتبار من حُكم أو غيره ولا من القصص إلا ما تضمن اعتباراً كالوارد في[8] قصة نوح من قوله لقومه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ﴾[9]. والمراد من هذا الكلام تعجيزهم وقطعهم عما كانوا يَرُومُونَ من المَكْر به عليه السلام، وإرادة إهلاكه وقد قطع عليه السلام بنصرة الله إيَّاه عليهم وقطعهم دون ما يرومونه[10] وإنْ

---

(١) ج، هـ، م، ك، ع: سورة.
(٢) ج، هـ، م، ك، ع: عظم.
(٣) يونس/ ٣.
(٤) غافر/ ٥٧.
(٥) الجاثية/ ٣.
(٦) يونس/ ٥.
(٧) يونس/ ٦، ٧.
(٨) ك: من.
(٩) يونس/ ٧١
(١٠) ج، هـ: يرمونه.

تألفوا[1] واجتمعوا، وذكر عليه السلام شركاءهم وأن يكونوا معهم تهكُماً بهم، وتوبيخاً على اعتمادهم على ما لا يعقل ولا يضر ولا ينفع، وفي هذا كله أعظم معتبر. ثم ذكر تعالى نجاة نوح عليه السلام منهم في الفُلك، هو ومن آمن معه، وجعلهم خلائق وإغراق أعدائهم المكذِّبين، ولم يُغْنِ عنهم كيدُهم، ولم يرد هذا [١١٢/ظ] الضَّرب المقتضب من قصة نوح عليه السلام، على هذه الصفة في غير هذه السورة لما قدمنا ذكره، ولم يكن ليناسب ما بُنيت عليه السورة غير هذا الوارد. ومن نحو ما ورد من قصة موسى عليه الصلاة والسلام، ودعائه في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾[2]، فكان ذلك حسبما دعاه إلى ذكر إغراقه في مَلئه وطمعه في الإيمان حين أدركه الغرق فقال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[3]، فلم ينفعه ذلك لفوات وقته. فاقتُصر أيضاً على هذا القدْر من قصة موسى عليه السلام لما تقدم من مناسبة هذه السورة.

وأما سورة لقمان فورد فيها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ - إلى قوله -﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾[4]، وبعد ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[5]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ - الآية[6]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ - الآية[7]. وفي هذه السورة أيضاً ما مُنِح لقمان من الحكمة، وما انطوت عليه قصته من حكمة، وما صدر عنه في وصيته ولم تخرج آي هذه السورة عن هذا. فهذا وجه وصف الكتاب في هاتين السورتين بالحكيم.

---

(١) هـ، م: تألبوا.

(٢) يونس/ ٨٨.

(٣) يونس/ ٩٠.

(٤-٧) الآيات/ ١٠ - ١١، ٢٠، ٢٥، ٣٤ على الترتيب.

وأما سورة يوسف عليه السلام، فلم تنطو على غير قصته، وبسط التعريف بقضيته، وبيان ما جرى له مع أبيه في فراقه وامتحانه بإلقائه في الجُبّ والبيع والتعرُّض له بالفتنة وتخلصه بسابق اصطفائه مما كِيدَ به وابتلائه بالسجن وجمعه بأخيه واشتمال[1] شمله بأبيه وإِخْوَتِه[2] عليهم[3] الصلاة والسلام، ولم تخرج آية من آي[4] هذه السورة عن[5] هذا من بسط هذه القصة. فلهذا أُتبع الكتاب بالوصف المبين. فقد وضح ورود كل من الموضعين على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

فإن قيل: ما وجه ورود الميم في سورة لقمان مكان الراء[6] في قوله تعالى في السورتين، فقيل في مطلع لقمان: ﴿الٓمٓ﴾، مع موافقتها سورة يونس عليه السلام فيما تمهَّد، ثم خالفَتها في هذا فقيل: ﴿الٓمٓ﴾. فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن سورة لقمان تضمنت من التنبيه والتحريك للاعتبار إفصاحاً وإيماء للمؤمن والكافر ما لم تتضمن سورة يونس على طولها، وإنْ كانت آيُهَا كلها آيُ اعتبار إلا أنها ليست كالوارد في ذلك في سورة لقمان فمن التنبيه المتضمِّن تقريع مَن عَبَد غيره سبحانه وتعالى بعد ذكر خلق السموات بغير عمَد وإرساء الأرض بالجبال وذكر ما [١١٣/و] فيها من الدواب وإنزال الماء وذكر ما أنبتَ سبحانه من كل زوج بهيج، فقال تعالى: ﴿هَـٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ ولا تجدُ

---

(١) ج، ب: اشمال.

(٢) في ب فقط.

(٣) ج، هـ، م، ك، ع: عليهما الصلاة والسلام وإخوته.

(٤) في ك فقط.

(٥) هـ، م، ب: على.

(٦) ك: الراي.

مثل[1] هذا إلا حيث يُراد المبالغة في توبيخ من عبَد مع الله غيره. ويجاري هذا في هذا القصد ـ إلا أنه أرْفقُ في التعنيف ـ قوله تعالى في سورة يونس[2]: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ـ الآيات إلا أنها ليست كآية لقمان، ولا خُتمت بمثل ما خُتمت به. وقد تكرر هذا في آيات وآية لقمان من أشدِّها وعيداً. ولعظيم ما انطوت عليه أتبعها تعالى بتأنيس نبيه صلى الله عليه وسلم بعد قصة لقمان بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾[3]. وبإخباره أنهم لو سئلوا عن خلق السموات والأرض لم يجدوا مصرفاً غير الاعتراف فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّـهُ﴾[4]، ليعلم عليه السلام أن ذلك من حالهم جارٍ بقدَر الله، وما سبق في علمه، وهو الحكيم في أفعاله، ومن التنبيه للمؤمنين، ولغيرهم[5]: فمن سبقت لهم السعادة قوله مخاطَبة لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّـهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ـ الآية[9]. فورد هذا التنبيه بهمزة التقرير، ولَمْ الجازمة، وهي الأداة المتكررة في آي التنبيه، فكُرِّرَتْ[10] في هذه السورة في ثلاث آيات، ولم تقع متكررة في شيء مما أتى بعدها من السور إلى آخر القرآن، ولا في سورة مما قبلها وما يماثلها في عدد كَلِمِهَا، ولا فيما هو الضِّعْف منها

(1) ساقط من ع.
(2) الآية/ ٣٤.
(٤،٣) لقمان/ ٢٣، ٢٥.
(5) ج، هـ، م، ب، ع: وغيرهم.
(6) لقمان/ ٢٠.
(7) زاد في ب من الآية هنا: ﴿ويولج النهار في الليل﴾.
(8) لقمان/ ٢٩.
(9) لقمان/ ٣١.
(10) ج، م: وكررت.

إلا في سورة فاطر وهي أطول من سورة لقمان فتناسب[1] ذلك مع ما في هذه السورة من التنبيه الذي لم يرد ما يماثِلُه فيما ذكر قبل في سورة يونس ورود[2] صورة أداة التنبيه في مطلعها[3] بوقوعَ الميم مكان الراء الواردة في مطلع سورة يونس.

وأما سورة يونس فمبنية على التعريف بربوبية الله تعالى وقهره. وقد ابتُدِئَتْ ثالِثُ آيِهَا بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ثم تكرر فيها اسم الرب سبحانه في بضعة عشر موضعاً. أولها هذا، وآخرها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[4]، ولم يرد من هذا في سورة لقمان غير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ ـ الآية[5]. ثم إنه تكرر في سورة يونس من الكلام الواقع فيها الراء مائتا كلمة وعشرون كلمة، أو نحوها. وأقرب السُّوَر إليها مما يليها [113/ظ] بعدها من غير المفتَتَحة بالحروف المقطعة سورة النحل وهي أطول منها. والوارد فيها [مِمَّا[6]] تركب على الراء[7] من كَلِمِها مائتا[8] كلمة، مع زيادتها في الطول عليها. فلمجموع ما ذكرنا وردت في الحروف المقطَّعة في مطلعها الراء مكان الميم الواردة في لقمان، وجاء كل على ما يجب ويناسب والله أعلم.

---

(1) ج، هـ، م، ب، ع: فناسب.
(2) ج، هـ، م، ب، ع: وورد.
(3) ب: ومطلقها.
(4) الآية / 108.
(5) الآية / 33.
(6) جميع النسخ: فما.
(7) ج، هـ، م، ب، ع: زاد هنا قوله «من الراء».
(8) ك: مائة.

١٦١ ـ الآية الثانية من سورة يونس قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (١٨)

وقال في الأنبياء (٦٦): ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.

وقال تعالى في سورة الفُرقان (٥٥): ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.

فقدم في سورة يونس، ما أخّر في سورة الأنبياء والفرقان فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الموجب لتأخير: ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ في سورة يونس ما وُصِل به من قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّـهِ﴾. فكأنْ قد قيل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، ويزعمون أن ذلك ينفعهم، ولم يكن ليناسب لو قيل: «ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم»، ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [فتَنَاسَب[١]] الوارد من متصل قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّـهِ﴾. فلما كان الاتصال فيما ذكر أنسب، وردت الآية بحسب ذلك.

أما آية الفرقان فإنّ قبلها ذكر دلائل وشواهد من مصنوعاته تعالى يهتدي[٢] المعتبر بالنظر[٣] فيها إلى تخلُّصه من وطأة[٤] الشُّكوك، ويستقيم له دينه وذلك أعظم النفع وأجلّه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ

(١) جميع النسخ: تناسب.
(٢) ج، هـ، م: يهدي.
(٣) ج، هـ، م: بالنظم.
(٤) ك: ورطات.

الظِّلَّ﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[1]. فلما تقدم التنبيه بهذه الآيات الواضحات الموقظات من سِنَاتِ الغفَلات، والمحصِّلات أعظم النفع في امتثال الواجبات، والنجاة من الضَّلالات، ناسبها تقديم ما قدم في الآية من قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾. وصار الكلام بقُوَّتِه مجاوِباً لقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾[2]، وورد كل على ما يجب، والله أعلم.

١٦٢ ـ الآية الثالثة[3] من سورة يونس (ع)[4] قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣١)

وفي سورة سبأ (٢٤): ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
فأفرد لفظ السماء في الأولى، وجمع في الثانية، مع اتحاد المعنى والتساوي في ألفاظ الآية غير ما ذكر، فيسأل[5] عن ذلك.

والجوابِ أن الإفراد الوارد في سورة يونس محصِّل للمعنى مع الإيجاز، فورد هنا على ما يجب.

وأما الوارد في سورة سبأ على الجمع فروعي فيه ما تقدم من قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ، وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّنْ ظَهِيرٍ﴾[6]. والمراد بذلك نَفْيُ الشركاء له تعالى ثم عاد الكلام إلى ذلك

---

(١) الفرقان/ ٤٥-٥٤.
(٢) النحل/ ١٧.
(٣) ما بعدها إلى يونس ساقط من م، ب.
(٤) ساقطة من ب.
(٥) ك: يسال.
(٦) سبأ/ ٢٣.

أيضاً فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على الجمع مناسَبة لما تقدم إذِ الآية قبلُ، وهذه في قضية واحدة هي نفي الشركاء والأنداد فجاءت على ما يناسب التي قبلها.

فإن قيل: فلم ورد الجمع في قوله في الأولى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ﴾، وقد كان لفظ الإفراد يحرز هذا المعنى مع أنه أوجز. فالجواب أن ما قصد من قطع توهمهم أن شركاءهم[1] ينفعونهم أو يملكون شيئاً، إنْ قلَّ، والتصرف في شيء مما قصد من هذا يقتضي تعميم النفي وتأكيد هذا الغرض بأعم مما يعبَّر به في ذلك، فناسب ذلك جمع السموات ولم يكن[2] الإفراد ليناسب ثم نوسب بين هذه الآي التي بعدها في الجمع، ولم يكن في آية يونس ما[3] يستدعي ذلك، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٦٣ ـ الآية الرابعة من سورة يونس قوله تعالى:

﴿كَـٰذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)

وقال في سورة المؤمن (٦): ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ النَّارِ﴾.

للسائل أن يسأل هنا عن قوله في الأولى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، بغير حرف عطف[4]، وفي الثانية: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وعن قوله في الأولى: ﴿عَلَى الَّذِينَ

(١) بعدها بياض بقَدْر كلمة في كل النسخ.
(٢) سقط من ج، هـ (لم يكن).
(٣) هـ، م، ب: فلم.
(٤) ب: صيغة السؤال (يسأل عن ورود الآية الأولى بغير حرف عطف...).

فَسَقُوا﴾، وفي الثانية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وعن قوله في الأولى ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله في الثانية: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، فتلك ثلاث مسائل.

والجواب، أنه لما تقدم في سورة يونس قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ - إلى قوله - ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1] [١١٤/و] فذكَّر[2] سبحانه عباده بما لا يجدون مَحِيصاً عن إضافة ذلك كلِّه وإسناده إليه، إذ الرزق كالخلق، وقد كانوا يقرُّون بإسناد الخلق إليه سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[3]، وأخبر هنا سبحانه باعترافهم بإسناد ما قُرِّرُوا عليه، إليه، بقوله: ﴿فَسَيَقولون الله﴾[4]، قيل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[5]، أي عجباً لكم كيف تجمعون بين الإقرار بهذا كله، ثم لا تخافون مَن إليه [مصير][6] ذلك كله، وتتخذون وقاية من عذابه على مخالفتكم. ثم قيل لهم: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ٱلْحَقُّ﴾[7] أي: مالك ذلك كله، والمنفرد بتدبيره، هو ربكم الحق فكيف تصرَفون عنه. ثم أخبر تعالى أن كلمته التي لا تُبدَّل لما حقَّت أزلاً على من انصرف عن الحق وتركه بعد بيانه بحسب ما قُدِّر له في الأزل ولم يُقلِع عن ذلك إذْ لا يُؤمَن أبداً أن الذين حقت عليهم كلمة[8] ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية. ولما لم يتقدم قبل هذه الآيات فيما اتصل بها مقال من ذكر مَن حقَّت عليه كلمة[9] العذاب أتى بقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ﴾، بصورة

---

(١) الأيتان/ ٣١، ٣٢.

(٢) بعدها به - في ع فقط.

(٣) الزخرف/ ٨٧.

(٤، ٥) يونس/ ٣١.

(٦) مكانها بياض في كل النسخ.

(٧) يونس/ ٣٢.

(٨) في جميع النسخ (كلمات) وصوابها من الآية.

(٩) جـ، هـ، ك: كلمات.

الاستئناف غير معطوف[1]، إذ لم يتقدم ما يُعطَف عليه وقيل فسقوا. لأن[2] ما تقدم مما قرَّروا عليه مع ما جعل لهم من الأسماع والأبصار والأفئدة ومُكِّنُوا من النظر بما خلق لهم من الأدوات ووضوح[3] المنظور فيه. بمجموع هذا كانوا بمنزلة من تحصل له الأجر. وكأنه قد اتصف به وتمكَّنت حاله فيه، ثم تركه وخرج عنه. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[4]، فلاءم هذه الحال وَسْمُهُم بالفسق، فقيل: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوا﴾، فاستحقوا على فسقهم بقَدَر الله عليهم أنْ مُنِعُوا التصديق وهو الإيمان فأضَلَّهم الله على علم.

أما آية غافر، فإنه تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5]، ثم أعقب بذكر قوم نوح والأحزاب وهَمَّ كل أمة برسولهم ليأخُذُوهُ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذهم الله وأهلكهم بما حَقَّ عليهم. ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾. وأهلها فكيف يصح منهم[6] الإيمان وقد حقت الكلمة: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي ٱلنَّارِ﴾[7]. فلما تقدم في هذه السورة، ذكر من حقت عليه كلمة العذاب، عطف عليه، ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾ ولم يتقدم ذلك في يونس. ولما تقدم قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولم يتقدم بسْط دلالات مما به اعتبار لم يكن

---

(1) ك: معطوفة.
(2) ساقطة من ج، ع.
(3) ج، هـ، ب، ع: ووضوع.
(4) البقرة/16.
(5) الآية/ 4.
(6) هـ، ك، ع: منه.
(7) الزمر/ 19.

هؤلاء بمنزلة المذكورين في يونس وإنْ كانت الدَّلالات[1] عنده في حق الكل، ولكن مراعاة النظم أمر مُلزِمٌ[2] الإفصاح [١١٤/ظ] بالذكر كما أفصح في آية يونس [و]لم يقع هنا. فلما لم تكن هذه الآية كتلك[3] فيما ذكر وسمَ هؤلاء بالكفر. وقيل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولم يقل فسقوا، إذ لم يتقدم هنا ما تقدم هناك مما يتقدم معه ذكر الفسق. وأيضاً فقد تقدم في غافر قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾، فناسبه، ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾، وإذا كانوا كافرين، فهم أصحاب النار. فأما الفاسق[4] فإن كان فسقه يخرجه عن الإيمان كان كافراً، وإن كان بالخروج إلى معصية دون الكفر لم يكن كفراً. إلا أن المراد بفُسوق مَن ذُكِر في سورة يونس، إنما هو ترك الاعتبار الحامل على الإيمان، إذا وُفِّق المُعتَبِر. فالتارك لذلك خارج عن التصديق، فكان كافراً، فقد حصل الجواب عن [المسائل][5] الثلاث، ووضوح مجيء كل على ما يناسب، وأنَّ الوارد في سورة يونس لا يناسب ما تقدم قبل الآية في سورة غافر، ولا الوارد في سورة غافر، يناسب ما تقدم في سورة يونس، والله أعلم.

١٦٤ ـ الآية الخامسة قوله تعالى[6]:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥)

---

(١) ج: الدلالة.
(٢) في جميع النسخ: ملتزم.
(٣) ج، ب، ع: كذلك.
(٤) م، ب، ع: الفسق.
(٥) جميع النسخ: السؤال.
(٦) عنوان الآية ساقط من هـ.

وقال فيما بعدُ (٦٦): ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾، ثم قال بعدُ (٦٨): ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَـٰنٍ بِهَـٰذَا﴾.

هنا ثلاث سؤالات:

يُسأل عن سقوط «مَا» من قوله في الآية الأولى: ﴿أَلَّا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ووجه ثبوتها في قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وعن ورود «مَنْ» مكان ما في الآية المتوسطة في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

والجواب عن السؤال الأول أنه تقدم قبل الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾[1]. وليس ذلك لها بل كل ذلك لله سبحانه، ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فلما كانت مبنية على هذه التي قبلها والمعنى يبين ذلك وقع الاكتفاء بوقوع «ما» في الأولى[2] واجتزأ بذلك[3] عن تكرُّرها، في الثانية وليس الموضع موضع تأكيد فتُكرَّر لذلك. وأما ثبوتها في الآية الثالثة وهو السؤال الثاني فوجهه أنّ التأكيد مقصود في هذه الآية، لأن قبلها حكاية قول الكفار: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، فنزَّه تعالى نفسه عن مقالهم فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4]. وإذا ورد في القرآن [١١٥/و] ذكر

---

(١) زاد في ك: (وهذه الآية مبنية عليها ومجموع الآيتين في قوة أن لوقيل: ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به...).

(٢) ب: الأول.

(٣) ب، م: بذا.

(٤) يونس/ ٦٨.

مقال[1] هؤلاء المعتدين في ضلالهم تبعه ذكر ملكه سبحانه لكل من في السموات والأرض، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾[2]، ثم قال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[3]. ثم ذكر سبحانه عظيم مرتكبهم في شنيع مقالهم فقال: ﴿تَكَادُ السَّمَـٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا﴾[4]. أي من أجل دعائهم الولد لله سبحانه. ثم قال تعالى[5]: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[6]، وكيف والكل عبيده وملكه، إنْ كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبْداً، وهو الغني عن العالمين، فلما كان موضع تأكيد ناسبه الإتيان بما، والتأكيد بها وإنْ كان المعنى حاصلاً بدونها.

والجواب عن السؤال الثالث، أن ورود «مَنْ» في الآية المتوسطة مناسب لما قصد بها وبنيت عليه. ألا ترى أن ما ثبت قبل هذه الآية من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾[7]. فأنّسه تعالى وثبّته، كما قال في موضع آخر: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[8]. فتأمّل عظيم هذا التأنيس وما تضمنه قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، من وضوح صدقه عليه السلام وتصديقه. فلم يبق إلا الحسَد، وقصْد إطفاء نور الله، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾. فلما قال له تأنيساً وتكفلاً بحفظه إيّاه: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾، أتبع ذلك سبحانه بإعلامه إياه أنّ العزة لله ـ جل جلاله ـ لا يشاركه[9] في ذلك أحد ولا يعتز

---

(١) ج، هـ: فقال.

(٢-٤) مريم/ ٨٨، ٨٩، ٩٠-٩١ على الترتيب.

(٥) ساقط من ج، هـ، ك.

(٦) مريم/ ٩٢.

(٧) يونس/ ٦٥.

(٨) الأنعام/ ٣٣.

(٩) هـ، م، ك، ب: يشركه.

مخلوق إلا بإعزازه [فيعزُّ][1] من يشاء ويَذِلُّ من يشاء. وإلى ذلك أشار قوله: ﴿جَمِيعاً﴾. ثم قال: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أي لا يخفى عليه مقالهم فيك، وما يسرُّونه من مكر أو مكيدة ثم أعلمه باحتواء ملكه سبحانه على ما أعلمه به في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فهو يعزك بإمداده إياك بمن[2] شاء من مخلوقاته، ولله جنود السموات والأرض. ولما كان تأييده[3] عليه السلام في الغالب عند لقاء أعدائه. إنما يكون بالملائكة والمؤمنين. لذلك ما ورد التعبير بمَن، وكُرِّرتْ تأكيداً، فقيل ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهو مؤيِّده وممدّه بمن شاء من عباده، فلا يحزنك قولهم. وقد وضح أنّ كل آية من هذه الآيات لا يناسبها غير ما اتصلت به، ولا يمكن على ما تبين بوقوع واحدة منها في موضع الأخرى، والله أعلم بما أراد.

١٦٥ ـ الآية السادسة من سورة يونس (غ) قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧)

وفيما بعدُ من هذه السورة (٥٤): ﴿وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١١٥ / ظ].

وفي سورة الزمر (٦٩): ﴿وَجِاْيٓءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وفي آخر السورة (٧٥): ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ

---

(١) جميع النسخ: ويعز.
(٢) ج، ح: ممن، ب: على من.
(٣) ج، ع: تأكيده.

حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِيْنَ﴾.

فورد في الموضعين من سورة يونس ﴿بِالْقِسْطِ﴾، وفي الموضعين من سورة الزمر ﴿بِالْحَقِّ﴾، فللسائل أن يسأل عن الفرق[1].

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنَّ القسط يراد به العدل والتَّسوية في الحُكم فمَظِنَّةُ وروده، حيث يراد منه موازنة الجزاء بالأعمال من غير زيادة كما قال تعالى في جزاء الكافرين: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[2]، أي موازناً لأعمالهم موافقاً لها، ولا يظلم ربك أحداً. والحق الصدق فوروده حيث يراد تصديقُ وعيدٍ، أو إخبار متقدمٍ، وأن الله سبحانه وعد المؤمنين بزيادة الأجور والإحسان بما يفوت الغايات، ويفوق[3] الحَصْر ولم يجعل جزاءهم على أعمالهم الدينية وِفَاقاً لأعمالهم في مقادير الجزاء، بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]، قال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[6] ومنه جعْل الحسنة بعشْر أمثالها، وهذا كثير في الكتاب والسُّنَّة. ولما كان الوارد في آيتي الزمر منزَّلاً على الحكم حقًّا بين النبيِّين والشهداء والملائكة والمؤمنين. قال تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ

---

(1) ب: صيغة السؤال (يقال ما فرق ما ورد في الموضوعين من سورة يونس بالقسط وفي سورة الزمر بالحق...).

(2) النبأ/ ٢٦.

(3) ج، هـ، م، ع: يفوت.

(4) الزمر/ ١٠.

(5) البقرة /٥٨.

(6) النساء/ ١٧٣.

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ﴾. والضمير في الأولى إما أنْ يكون للنبيين والشهداء [ولكونه][(١)] في أن هؤلاء مما تضاعَف أجورُهم، فجيء بقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾، تصديقاً لما ورد ـ وورود القسط. وإما أن يكون للخلق كافة، وفيهم المؤمن والكافر، فورد قوله بالحق تصديقاً لما ورد في حق الفريقين من الزيادة في أجر المؤمن، والعدل في حق الكافر فلا يظلم مثقال ذرة وإنما جزاؤه، وِفَاقَ عمله ولا يصح هذا أن لو[(٢)] قيل: وقضي بينهم بالقسط. وعلى هذا يجري ما ورد في الآية الأخيرة من غير فرق.

وأما آيتا يونس، فقد تقدم الأولى منها غير ما آيات في تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم، وتعسُّف كفار قريش، ووعيدهم، وتسليته عليه السلام في أمرهم. ألا ترى ختام الآي قبلها بقوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، [فيُسْفِرُ][(٣)] تكذيبهم عياناً، لا يجدون محيصاً عنه. ثم قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾، أي حضرهم في القيامة وقد كذَّبوه في الدنيا، قضي بينهم وبينه بصدقه[(٤)] وكُذِّب معاندوه فنُجِّيَ المصدِّق وهلك المكِّذب. ولما لم يقصد هنا تفصيل أحوال المصدقين بل لُحِظَ الطرفان [١١٦ / و] من التصديق والتكذيب كان موضع التعبير بالقسط، الذي هو العدل بين المصدق والمكذب. وإنما بناء الآي على إرغام المكذبين ولا يناسب هذا إلا ذكر العدل بحسب ما بنيت عليه الآي قبله[(٥)].

وأما قوله في الآية بعدُ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ [وَقُضِيَ

---

(١) هـ، م، ك، ب: لا ـ كونه، ومكانها بياض في ج، ع.
(٢) هـ، م، ب: الو.
(٣) مضطربة في هـ، م، ك، ب، ومكانها بياض في ج، ع. وما أثبتناه أقرب قراءة للسياق.
(٤) م، ب، ع: بصدق، ك: فصدّق.
(٥) ج، هـ: قبل.

بَيْنَهُمْ[(1)]﴾ هم المكذبون وهم المشاهِدون للعذاب. والضمير في قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، عائد عليهم فليس موضع التعبير بقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ لما قد تبين. فقد وضح ورود كل من هذه الآي على ما يناسب ويلائم، وأنه لا يناسب خلافه.

١٦٦ ـ الآية السابعة[غ] قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠)

وقال في غافر (٦١): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ[(2)] لَا يَشْكُرُونَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[(3)].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية غافر لما تقدمها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(4)] ومقصود هذه الآية تحريك الخلق للاعتبار والتذكير[(5)] بما نصبه من الدلائل والآيات فاقتضى ذلك تكرار الظاهر كما في آية التذكير والتنبيه. ثم جيء بعد هذا بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾،فنوسب بين هذا وبين ما تقدم لتجيء هذه الآي، على منهاج واحد من التذكير فاقتضت الثانية تكرار[(6)] الظاهر.

---

(١) ك: ندامتهم، بدا ـ منهم، هـ، م، ب: قد آمنهم، وصوابها تكملة الآية.
(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بين الإضمار في الأولى والإظهار في الثانية، والجواب...).
(٤) الآية/ ٥٧.
(٥) ما بعدها إلى قوله (آية التذكير)، ساقط من ج، ع.
(٦) ك، ب: تكرير، وكلاهما جائز.

وأما آية يونس فإنما تقدمها تأنيس بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ ـ الآية[1]. ثم رجع الكلام إلى تعنيف الكفار في تحكيمهم فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ ـ الآية. ثم قال: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[2]﴾ ولم يتقدم تكرير يطالب[3] بمناسبة. فلذلك ورد الكلام على ما هو الأصل من الإتيان بالضمير ليحصل به ربط الكلام فجاء كل من الموضعين على ما يقتضيه ما قبله رعياً لتناسب الكلام.

١٦٧ ـ الآية الثامنة من سورة يونس (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذلك وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١)

وفي سورة سبأ (٣): ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. وقال فيها فيما بعدُ (٢٢): ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن تقديم[4] الأرض على السماء في سورة يونس، وعكس ذلك [١١٦/ظ] في الموضعين في سورة سبأ.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية يونس مقصود فيها من تأكيد الاستيفاء والاستغراق ما لم يقصد في الأخريين وإنْ كان العموم مراداً في

(١) يونس/ ٥٨.
(٢) المتضايفان محذوفان من الآية في ك.
(٣) هـ، م، ك، ب: يطلب.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تقدم...).

الجميع إلاّ أن آية يونس قضت[1] بزيادة التأكيد، ولذلك تكررت فيها مع ما قبلها ما النافية الملتقي[2] بها القسم في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾[3]، فقوي بذلك قصد تأكيد الاستغراق وتضمين الكلام معنى القسم فقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ بزيادة «مِنْ» في الفاعل وهي مقتضية معنى الاستغراق في مثل هذا وبناؤها على الملتقى[4] بها القسم يُفْهِم ما قلناه من معنى القسم وتأكيد الاستغراق، بل أقول[5] إنَّ مِنْ في مثل هذا نَصٌّ في ذلك. قال[6] سيبويه ـ رحمه الله ـ إذا قلت: ما أتاني رجُل، فإنه يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أن تريد أنه ما أتاك رجل واحد؛ بل أتاك أكثر من واحد.

والثاني: أن تريد ما أتاك رجل في قوته ونفاذه، بل أتاك الضعفاء.

والثالث: إن تريد أنه ما أتاك رجل واحد ولا أكثر من ذلك.

فإنْ قلت: ما أتاني مِن رَجُلٍ كان نفياً[7] لذلك كله. هذا معنى كلامه، والحاصل منه أن مِن في سياق النفي تَعُمُّ وتستغرق. ثم إنه قد تقدم قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ[8] إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾، فزيدت في المفعول وهو اسم نكرة وارد في سياق النفي وذلك محصِّل للاستغراق ثم حُمِلَ عليه قوله

---

(١) ك: نصّت.

(٢) ج، م، ع: المتلقى.

(٣) يونس/ ٦١.

(٤) م، ع: المتلقى.

(٥) ج: بل أقوال.

(٦) ساقط من ج، ب.

(٧) ساقط من ج، ع.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من هـ، م، ك، ب

تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ ـ الآية، فناسب تقديم ذكر الأرض على السماء، لأن السماء مِصعَد الأمر ومحل العُلُوّ، ومسكن الملائكة، وهي مشاهدة[1] لهم، ومستقبل الداعين، ومنها ينزل الأمر ورزق العباد، وفيها الخزنة من الملائكة، وإليها يُصعَد بأرواح المؤمنين، وتعرُج[2] الملائكة السيَّاحون في الأرض المسئُولون عن أفعال العباد. فكان العلم بما فيها أجلى وأظهر، وكان العلم بما في الأرض أخفى، وهذا بالنظر إلينا[3]، وبحسب متعارَف أحوالنا، وإلا فعلم بارئنا سبحانه بما في الأرض وما في السماء على حد سواء. كما أن علمه السر والجهر مُسْتَوٍ سواء منكم مَن أسرَّ القول ومَن جهر به ولكِنًا إنّما خوطبنا على أحوالنا، وبما نتعاهده ونتعارفه من المعاني واللغات، ولذلك ورد في القرآن التعجُّب والدعاء والترجِّي[4] وغير ذلك، فخوطب العباد بما يتعارفون ويألفون فيما بينهم، فهذا بيان ما تقدم.

فلما كانت الأرض بالنسبة إلى السماء فيما ذكرنا كان[5] أمرها أخفى، وكان أمر السماء أوضح وأقرب من حيث ذكرنا خوطب الخَلق على ذلك فقدَّم ذكر ما هو عندنا [١١٧/و] كأنه أخفى فقيل عند قصد المبالغة في تأكيد الاستغراق والقسم على ذلك: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾. ونظير هذا الوارد قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[6]. وهذه الآية في الذي تعطيه من إفهام القسم والاستغراق،

---

(١) ك: مشاهد.
(٢) ك: يعرج.
(٣) زيادة من ك.
(٤) هـ: التحرجي.
(٥) ساقطة من ج.
(٦) إبراهيم/ ٣٨.

والابتداء بما هو عندنا أخفى[1] كآية يونس من غير فرق وعلمه سبحانه بما خفي عندنا، أو ظهر سواء، تعالى ربُنا عن شَبَه الخليقة.

فإنْ قيل: فإنَّ قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [2]، قد اجتمع فيه زيادة «مِنْ» الاستغراقية بعد ما النافية المشيرة إلى معنى القسم كما في الآيتين قبلُ وقد تقدم فيها ذكر السماء بخلاف ما في الآيتين. قلتُ: لما تقدم هذه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[3]، وقد تقدم في سبأ إحراز ذلك المعنى من تقديم[4] الأخفى أُتبع بما[5] يحرز التسوية من غير فرق؛ فقد ذكر السماء وإنما كانت تكون كالآيتين[6] لو لم يتقدمها ما ذكر. وإذْ قد تبيَّن وجب تقديم الأرض في سورة يونس مما يحرز تأكيد العموم والاستغراق ولم يكن فيها داعٍ من المعنى لتقديم الأرض على السماء. ثم إنَّ ورود السموات بلفظ الجمع يجري في الآيتين من سورة سبأ، [عَلَى] معنى العموم الاستغراقي، إذ هو مراد في كل الآيات الواردة في هذا المعرِض[7] فأعطاه، وأحرزه في آية يونس، وآية إبراهيم ما انْجَرَّ في هاتين الآيتين من مُحْرِز معنى القسم والاستغراق وأعطاه[8] وأحرزه في آيَتَيْ سبأ من جمع السموات، وجاء كل على ما يجب ويناسب[9].

---

(١) ج: أخص.

(٢) النمل/ ٧٥.

(٣) النمل/ ٧٤.

(٤) ج، هـ: تقدم.

(٥) ج، ك: ما.

(٦) ك، ع: في الآيتين.

(٧) ك: الغرض، ب: التعرض.

(٨) م: فأعطاه.

(٩) زاد في ب هنا: والله أعلم.

١٦٨ ـ الآية التاسعة من سورة يونس [غ] قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣).

وفي سورة الجاثية (١٦، ١٧): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ[١] وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ[٢] وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ. وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف[٣] الوارد في هاتين السورتين وزيادة ﴿مَا﴾ في الوارد في سورة الجاثية من الألفاظ مع اتحاد المعنى المقصود في الموضعين من مَنْحِهم واختلافهم.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم أن آية يونس تقدم قبلها[٤] قوله [١١٧/ظ] عليه السلام على فرعون وملئه بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ـ الآية[٥]، فأجاب سبحانه دعاء نبيِّه وطَمَس على أموال فرعون[٦] وملئه وأغْرَقَهُم وآل ونجَّى بني إسرائيل من الغرق وقطع دابر عدوّهم[٧]، وأورث بني إسرائيل أرضهم وديارهم يتبوَّءُونَ منها حيث شاءُوا فقال سبحانه معرفاً لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا

---

(١) في جميع النسخ: النُّبوءةُ وهي قراءة وقد سبق الحديث عنها.
(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف...).
(٤) ج، هـ: تقدمها، م، ب، ع: تقدم فيها.
(٥) يونس/ ٨٨.
(٦) ج، هـ، م، ع: آل فرعون.
(٧) ج، هـ: عدوه.

بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[1] أي مكّناهم[2] ومهدنا لهم أمرهم بإهلاك عدوهم وبما أورثهم بعد ضعفهم[3] من مشارق الأرض ومغاربها. فبعد تمكُّن أمرهم واستحكام حالهم واستقرار أمر دينهم بما شاهدوه من الآيات وعظيم البراهين المعقِبة لمن شاهدها اليقين اختلفوا جرياً على ما سبق لهم ولغيرهم ممن أشار إليه قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾[4]. وتناسب هذا كله تناسباً لا توقُّف في وضوحه ولم يتقدمه في السورة ما يستدعي من حالهم أكثر من هذا.

وأما آية الجاثية فتقدم قبلها بسط الدّلالات والبراهين من لدُن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، إلى ما تبع هذا من التنبيه بخلقهما، وما بَثَّ سبحانه فيهما من أصناف المخلوقات واختلاف الليل والنهار وتعاقُبهما، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها، بما[6] ينزل من الرزق إليها وتصريف الرياح[7]. ثم ذكر سبحانه أنَّ هذه الآيات إنما يَعتَبِر بها، ويهتدي بأنوارها من منحه تعالى العقل وهداه إلى الاعتبار فقال: ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ولم يرد ذكر هذه الجملة للاعتبار بها في موضع من كتاب الله أوعب من هذه، في هذه السورة وفي سورة البقرة، وهي هناك أوعب، لذكر الفُلْك وجريها في منافع العباد وتسخير السحاب بين السماء والأرض وذكر تصريف الرياح. ولهذا عقب ذكر هذه الآيات في الموضعين بقوله في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ

---

(١) يونس/ ٩٣.

(٢) ج: سكناهم.

(٣) م: صفقها، ب: ضعفها.

(٤) يونس/ ١٩.

(٥) الآية/ ٣.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع: ما، ك: مما

(٧) ك: الريح.

﴿دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ ـ الآية[1]، إشارة إلى كفار العرب وسوء مرتكبهم، وتعاميهم عن الاعتبار والاستدلال مع وضوح الأمر، إذ لا يقبل العقل تكوّن هذه المخلوقات العظام بأنفسها، ولا أن بعضها أوجد بعضاً لتساويها فيما قام بها من دلائل الحدوث، فلا بد من صانع مُرِيدٍ، مختار، عالم، قادر، منزّه عن شبه هذه الجملة وإلا لافتقر إلى موجد آخر. وذلك يؤدي إلى التسلسل، وهو محال عقلاً، والاثنينية ممتنعة عقلاً، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [2]، فتعين توحيد الموجد الحق، وأنه[3] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [4]. ولما كان الاستدلال بهذه الجُمل المفصَّلة [١١٨/و] أوضح شيء أتبعها سبحانه بقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ولكونه من أبسط ما ذُكِّر به من خوطب بالقرآن، ثم لم يُجْدِ ذلك في حق من سبق له الشقاء منهم إلا المنافرة والمخالفة أُعقب[5] بذكر من ترادفت[6] وتوالت عليه الآيات، وكثُرت في حقه الشواهد ثم لم يعقبه ذلك إلا الاختلاف والعدول عن سلوك المنهج الواضح وهم الممتحَنون بالخلاف من بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [7] فاقتضى ما تقدم من بسط الآيات وواضح

---

(١) البقرة/ ١٦٥.
(٢) الأنبياء/ ٢٢.
(٣) ك: انجز، ولانه.
(٤) الشورى/ ١١.
(٥) ك: أعقبت.
(٦) ج، هـ، ك: ترادف.
(٧) الجاثية/ ١٦، ١٧.

ما قصَّه تعالى من واضح الآيات[1] في صدر هذه السورة بسط ما مُنحه بنو إسرائيل وما بيّن لهم بما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾، بعد ذكر ما أُوتُوه من الكتاب والحُكم وتوالي[2] النبوة[3] فيهم، وكثرة الرسل منهم، وما بسط لهم من الرزق. وإذا رأوا[4] النِّعم فعَتَوْا واعتدوا وقتلوا الأنبياء بغير حق لينفذ فيهم ما قُدِّر على فاعل ذلك منهم من ضرب الذِّلَّة، والمسكنة عليهم ومَسْخِهم قِرَدةً وخنازير ولعْنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، فلا يأتلف شملُهم ولا تجتمع جماعتهم إلى يوم القيامة ليعلم المعتبِرون بالآيات، أنه لا يجريِ على أحد إلا سابق سعادة إنْ قدِّرت له إلا[5] أن الانقياد للاعتبار والإذعان لموجب الدلالة عنوان رجاء، والمنافرة لذلك عنوان مشقَّة[6] وهما شاهد حال. والشأن كله في الخواتم والكتاب والسنَّة موضحان لهذا الإجمال. ولما لم يكن تقدم آية سورة يونس من الدلالات مثل ما بسط في[7] سورة الجاثية من الاعتبار، لم يناسبه الواقع في الجاثية من الإطناب، فنوسب الإيجازُ بالإيجازِ، والإطناب بالإطناب، وجاء كل على ما يجب ويناسب، مع اتحاد المقصود في السورتين.

١٦٩ ـ الآية العاشرة[8] من سورة يونس قوله تعالى:

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤)

---

(١) ك: الدلالات.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ج، هـ، ب، ع: النُّبوءة.

(٤) هـ، ب، ع: وإذرار.

(٥) ساقطة من ج، هـ.

(٦) ج، هـ: ومشقه.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: من.

(٨) ما بعدها إلى يونس محذوف من ب.

وفي آخر[1] سورة النَّمل (٩١): ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ للسائل أن يسأل عن الفرق الموجِب لافتراق الوصفين[2] في الآيتين.

والجواب أن الآية الأولى قبلها[3] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّـهِ﴾[4] وبعد هذا: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، وبعد [١١٨/] هذا الآية المذكورة من قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وتناسُب هـذا كله بيّن. ثم من المعلوم أن اسم الإيمان إنما يقع لغة على التصديق، وعلى هذا يطلقه الأشعريَّة[6] ومنه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[7]. ثم قد يُتَّسع[8] في إطلاقه فيوقَع على التصديق والاستسلام. ومنه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والأصل في اسم الإسلام وقوعه على[9] الاستسلام والتزام الأعمال الظاهرة ثم يُتَّسع فيه فيطلَق على مجموع التصديق والاعتقاد، والاستسلام. ومنه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. وقد يختص كل من الاسمين بمُسَمَّاه[10] من غير اتّساع ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ

---

(١) ساقطة من ج، هـ، ك.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب افتراق الموضعين...).

(٣) ج، هـ، م، ع: فيها.

(٤) يونس/ ٩٩، ١٠٠، وزاد هنا في ب (وبعد هذا: وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وهي من الآية/ ١٠١.

(٥) يونس/ ١٠٣.

(٦) عبارة الإمام الأشعري في بيان عقيدة الأشاعرة في الإسلام والإيمان: «ونقول أن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمان». الإبانة في أصول الديانة/ ١٠.

(٧) يوسف/ ١٧.

(٨) ك: يتبع.

(٩) ج: عن.

(١٠) ج، ع: سماه.

قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[1]. وفي حديث سؤال[2] جبريل عليه السلام: ما[3] الإسلام قال: أنْ تشهد أنْ لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحُج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقتَ، فما الإيمان؟ قال أن تؤمنَ بالله ـ الحديث[4] فوقع فيه التفصيل إجراءً على أصل التسمية.

فإذا تقرر هذا، فاعلم أن ما تقدم قبل آية يونس من تكرُّر اسم الإيمان، لم يكن ليلائمه إطلاق اسم الإسلام[5]، لأن رتبة الإيمان فوق رتبة الإسلام، ومقامه أعلى. وهذا على إطلاق كل واحد من الاسمين على مسمَّاه لغة وعلى رعي التفصيل، فكان يكونُ عكس التَّرقِّي إلى الأعلى أبدَى[6] فلا يمكن في آية يونس إلا ما ورد عليه.

أما آية النَّمل، فإنَّ قبلها قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾[7]، وقوله[8]: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يقتضي تسليم كل شيء له، والتَّبَرِّي من توهُّم شريك أو نظير، فناسب هذا قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وجاء على ما يجب.

---

(١) الحجرات/ ١٤.
(٢) في ك فقط.
(٣) ج، هـ، م، ك، ب: وما.
(٤) الحديث متفق عليه رواه الشيخان بطرق عديدة عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر عن أبيه عمر، ومالك بن أنس، وطلحة بن عبيد الله. البخاري ١/١٩ـ٢٠، مسلم ١/ أحاديث أرقام: ١، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩.
(٥) هـ: الإيمان، ج، ع، ب: إلاَّ إطلاق اسم الإيمان.
(٦) جميع النسخ: أبدا.
(٧) النمل/ ٩١.
(٨) ج، ع: فقوله.

١٧٠ ـ الآية الحادية عشر قوله تعالى:

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨).

وفي سورة النَّمل (٩٢): ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾.

فورد[1] في الأولى عقب قوله: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ وفي الثانية عقب قوله: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ﴾، فللسائل[2] أن يسأل عن الفرق[3].

والجواب أن آية يونس مرتبطة بقوله تعالى، فيما قبلها: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. فلما تقدمها هذا ومعناه هو المعنى الوارد في قوله تعالى في سورة الزُّمَر: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فقيل هنا على لسانه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. وتناسَب هذا وارتبط ارتباطاً لا يلائم الموضع خلافه والله أعلم.

وأما آية النمل، فإنها راجعة إلى قوله تعالى فيما تقدمها: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا [١١٩ / و] وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَمَا أَنْتَ بِهَادِي ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾. فناسب هذا أتمّ مناسبة قوله

---

(١) إلى قوله (من المنذرين) ساقط من م.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع: للسائل.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما...).

تعالى: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾، ولم يكن قوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾، ليناسب المتقدم في سورة يونس، ولا قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ليلائم ما تقدمها، والله أعلم[1].

---

(١) ك: «تم السِّفر الأول والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم وعبده وعلى آله وصحبه الموفين بعهده وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، على يدي العبد الفقير إلى رحمة مولاه الراجي عفوه وغفرانه أحمد بن محمد الفخار، اللهم اغفر لنا ولوالديه ولجميع المسلمين آمين. يتلوه ـ إن شاء الله ـ السفر الثاني [وأوّله] سورة هود عليه السلام».

مِلاكُ التأويل

القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل

لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي
٦٢٧-٧٠٨ هـ

السِّفْر الثاني

تحقيق
الدكتور محمود كامل أحمد
مدرس الدراسات الإسلامية بآداب عين شمس
وعضو لجنة تحقيق التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالقاهرة

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص. ب. ١١-٠٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هُود عليه السلام

١٧١ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (١٠)

وفي سورة [حمٓ] السَّجدة[1] (٥٠): ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي[2] وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة[3] ﴿مِّنَّا﴾، وزيادة ﴿مِنۢ﴾ في[4] سورة حمٓ السَّجدة[5]، وسقوطهما[6] معاً في سورة هود.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لم يرد في سورة هود ما يستدعي تلك الزيادة. وأما سورة [حمٓ] السَّجدة، فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي﴾[7]، قطعا بهم وتنبيها، على سوء مرتكبهم، وقد عاينوا

(١) يريد سورة فُصِّلَت، وتسمى أحياناً «حم السجدة»، للفرق بينها وبين سورة السجدة.
(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ك.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما . . .).
(٤) ساقطة من ب.
(٥) ج، هـ، ك، ب، ع: السجدة.
(٦) جميع النسخ: سقوطها.
(٧) فصلت/٤٧.

الحق وضَلَّ عنهم ما كانوا يدْعُون من قبلُ من الشركاء لله سبحانه وظنوا، أي: أيقنوا وعلموا أنه لا محيص لهم، ولا مفرّ[1]. فلما تقدم ذكر الشركاء قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾، فنبه تعالى بقوله: ﴿مِّنَّا﴾، على أن لا شريك له[2] ولا مُعْطِيَ غيره، وأنه لا يأتي العبد شيء من سواه سبحانه.

ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر شريك، لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله: ﴿مِّنَّا﴾، وأما زيادة ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، فمناسب[3] لإطناب[4] هذا الغرض في هذه السورة فناسب ذلك الزيادة، ولإيجاز[5] هذا القصد في سورة هود، ناسبه سقوط مِن، فجاء كل على ما يجب ويناسب[6] ولم يكن ليلائم كلا من الموضعين إلاّ ما ورد فيه، والله أعلم.

١٧٢ ـ الآية الثانية منها[7] [غ] قوله تعالى[8]:

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧)

وفي آخر السورة إثر قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾[9].

وفي سورة السَّجدة (٢٣): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِ﴾ بثبات نون تَكُنْ وحذفها في آيتي[10] سورة هود.

---

(١) ج: لا مفراً.
(٢) ج، هـ، ع: مثله.
(٣) ج، هـ، ع: فناسب، ك: ومناسب.
(٤) ج، هـ، ع: الأطناب.
(٥) ج، هـ، م، ك، ب: الايجاز.
(٦) ج، هـ، ع: يناسب ويجب.
(٧) ك: من سورة هود عليه السلام.
(٨) ساقطة من ك.
(٩) الآية/١٠٩.
(١٠) م: آية.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[1].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن العرب تصرفت في تكُونُ[2] عند دخول الجازم تصرفا لم تفعله في نظائرها [١١٩/ظ] مما يشبهها. وبسط هذا في مَظَانِّه فكأن الجواب في تكُون[3] عند دخول الجازم تسكين النون فتُحذف الواو، عند التقاء الساكنين كما ورد في سورة السجدة، الا أن حذف النون في تكون[4] من فصيح كلامهم ما لم تكن متحركة. فإن كانت متحركة لم تحذف لقوتها بالحركة؛ وإن كانت عارضة كقوله[5] تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6] ولا تحذف إلا في الشعر نحو قوله: (رمل).

لَمْ يَكُ الحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ   رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسُّرَرِ[7]

فورد في سورة هود على ما اعتمدوه من تخفيف هذا اللفظ ليناسب[8] بذلك إيجاز الكلام المتعلق بقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾. والمتصل به تمامه تمام المعنى المقصود؛ وذلك قوله: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[9] وكذلك قوله في آخر السورة: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ـ الى قوله ـ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾[10]. وورد في سورة [حمٓ] السجدة على أصل الكلمة قبل الحذف، ﴿فَلَا تَكُنْ﴾، ليجري ذلك مع ما ورد في هذه السورة من طول الكلام المتعلق بقوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾،

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

(٢، ٣، ٤) هـ، م، ك: يكون.

(٥) ج، هـ، م، ب، ع: في قوله.

(٦) البيّنة / واحد.

(٧) البيت غير منسوب، ويروى: «تعفت بالطلل». الدرر ١/٩٣، المقاصد النحوية ٢/١٥٦، الديباج ١/١٢١، وأنظر: معجم الشواهد ١/٢٦٢، شواهد النحو الشعرية رقم /٢٤٠٧.

(٨) ج: فناسب، ب: ليناسبه.

(٩) الآية / ١٧.

(١٠) الآية / ١٠٩.

ألا ترى أن الكلام واحد الى قوله: ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، فنوسب الإيجاز بالإيجاز، والطول بالطول، والله أعلم.

١٧٣ ـ الآية الثالثة منها قوله تعالى:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٢٢)

وقال[١] في سورة النحل (١٠٩): ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[٢] تخصيص آية هود بقوله: ﴿الْأَخْسَرُونَ﴾، وآية النحل بقوله: ﴿الْخَاسِرُونَ﴾، وهل كان يمكن العكس.

والجواب أن آية هود قد تقدمها ما يُفْهِم المفاضلة. ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[٣] يُفْهِم[٤] من سياقها أن المراد: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كمن كفر وجحد، وكذب الرسل. ثم اتبع هذا بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[٥]، فهذا صريح مفاضلة، ثم استمرت الآي في وصف من ذكر، وعرضهم على ربهم، وقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٦]، الى ذكر مضاعفة العذاب لهم، واستمر ذكرهم الى قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، فناسب لفظ الأخسرين بصيغة التفاضل ومقصود التفاوت ما تقدم مما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ

---

(١) إلى آخر آية النحل ساقط من ك.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص...).
(٣) هود / ١٧.
(٤) م، ب: لأنه يفهم، ك: الآية يفهم.
(٥) هود / ١٨.
(٦) هود / ١٨، ١٩.

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. وأفعل من كذا[1] في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ[2] عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾. والآيات من لدُن قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ـ الى قوله ـ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾، مُبَيِّنَاتٌ[3] على ما ذكرناه غير خارجة من هذا المقصود. ولو ورد هنا الخاسرون مكان الأخسرين لتنافر[4] النظم [١٢٠/و] وتباين السياق، ولم يتناسب.

وأما آية النحل فلم يقع قبلها أفعل التي[5] للمفاضلة والتفاوت، ولا ما يفهمها، وانما قبلها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ[6]، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[7]. وبعد هذا: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[8]، وبعد هذا: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[9]. فتأمل هذه الفواصل واتفاقها في اسم الفاعل المجموع جمع السلامة في قوم متفقي الأحوال في[10] كفرهم إلى أن ختم وصفهم، وما قصد من ذكرهم بقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ فتناسب الآي في السياق والفواصل، وختمت بمثل ما به بدئت، ولم يكن ليناسب ما ورد هنا لفظ المفاضلة، اذ ليس في الكلام ما يستدعي ذلك؛ لا من لفظه ولا من معناه ووضح اختصاص كل من العبارتين [في][11] مكانه، وأنَّ العكس لا يلائم، والله أعلم.

---

(١) ساقط من ج، هـ، ع.

(٢) ما بعدها إلى اخر الآية ساقط من هـ، م، ك، ب.

(٣) إلى قوله: (مكان الأخسرين) ساقط من ك.

(٤) ك: لتنافى.

(٥) بعدها في ج، هـ (كان).

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من ك.

(٧، ٨، ٩) النحل / ١٠٤ ـ ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨ على الترتيب.

(١٠) ساقطة من ج.

(١١) جميع النسخ: من.

١٧٤ ـ الآية الرابعة من سورة هود عليه السلام في قصة نوح عليه السلام:

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَـٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ (٢٨).

وفي قصة صالح بعدُ (٦٣): ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَـٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

للسائل أن يسأل عن مجاوبة[1] كل واحد من هذين النبيين الكريمين لقومه، لِـمَ تقدم المجرور في قول صالح عليه السلام: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، على المفعول الثاني من مَفْعُولَيْ آتاني[2]، الذي هو رحمة، والوجه تأخيره، لأنه فَضْلة كما ورد متأخراً في قول نوح عليه السلام: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾.

والجواب عن ذلك أنّ قوم صالح عليه السلام بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا: ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـٰذَا﴾[3]، أي قد كنت مرجواً أن تسود فينا حتى نقطع عن رأيك، ونرجع اليك في أمورنا. فَرَمَوْا مقامه النبوي بحط مرتبته عنهم فلما بالغوا في إساءة الجواب، جاوبهم عليه السلام رداً لمقالهم الشنيع بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، ولا شك[4] أنه عليه السلام كذلك، وأنه على بصيرة من أمره، وأنه خاطبهم على ما يجري في[5] المناظرات[6] من فرض ما لا يعتقده المناظر على حسب

(١) ب: (يقال ما وجه مجاوبة...).
(٢) م: اتي.
(٣) هود / ٦٢.
(٤) ج، هـ: يشك.
(٥) ج، ع: تجري فيه.
(٦) ك: المناظرة.

نطقه؛ ولكنه يستنزل بذلك مناظرة ليقيم الحجة عليه فيقول: هَبْ كذا على ما تقوله. فعلى هذا جرى قول هذا النبي الكريم ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي كيف ترون إنْ كنت على واضحة، وعلى يقين من ربي وآتاني منه رحمة فعصيته بموافقتكم. فإن فعلتُ ذلك فمن ينصُرُني ويمنعني من عذابه [١٢٠/ظ] فخاطبهم عليه السلام بطريقة فرض هذا إنْ كان كذا وهو عليه السلام العليم بحاله الجليل، وعلى بينة من ربه وأكد بتقديم المجرور في قوله: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، لما يحرزه[1] من التأكيد ويعطيه بمفهومه من أن الرحمة منه سبحانه، لا يشاركه[2] فيها سبحانه غيره، وهو خصوص[3] لا يحصُل مع تأخيره. فتقديم هذا الضمير المجرور كتقديمه في قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقد تقدم مثله وإنشاد سيبويه ـ رحمه الله:

لَـتَـقْـرَبُـنَّ قَـرَبـاً جِـلْذِيّـاً ... مَـا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيّـا[4]

فلما بالغوا في قبح الجواب بالغ عليه الصلاة والسلام في رد مقالهم، فقدم المجرور لتأكيد أن الرحمة من عند الله تعالى [قال]: وآتاني منه رحمة. ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب ـ لأن أقصى المفهوم من قولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ الحاقه بهم، ومماثلته إياهم، وكأنهم يقولون لو كنت رسولاً لكنت من الملائكة ولم تكن لتماثلنا. فلم يكن في قول هؤلاء ما في قول[5] قوم صالح؛ فجرى جوابه عليه السلام على نسبة ذلك، فقال: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾، فأتى بالمجرور مؤخراً في محله

---

(١) ك: يجوز.

(٢) ك: يشركه.

(٣) ج، هـ، ب: حصول.

(٤) راجع تخريج البيت في الآية رقم / ٧.

(٥) ساقطة من هـ، م، ب.

على ما يجب حيث لا يقصد من احراز المفهوم، ما[1] قصد في الآية الأخرى. فورد كل على ما يلائم والله أعلم.

١٧٥ ـ الآية الخامسة من سورة هود قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ[2] وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾(٤٠).

وفي سورة قد أفلح المؤمنون[3] (٢٧): ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ـ الآية.

للسائل أن يسأل عن قوله في سورة هود: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾، وفي السورة الثانية: ﴿فَٱسْلُكْ﴾ والقصة واحدة[4]. فهل ذلك لمقتضى[5] كل[6] واحد من الموضعين[7] ما وقع فيه؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن لفظ احمل أوسعُ مَواقِعَ في اللغة، وأكثر تصرُّفاً في الكلام تقول: حملتُ الشيء الى فلان، وحملته على كاهِلي. وحملت العلم عن فلان، وحمل فلان الأمانة، وحملتْ القصب على كذا، وحمل الفارس على صاحبه، وحملتْ المرأة، والشجرة. ولا تقول في شيء من هذا سلك، الا أن يكون المحمول فيه جسماً، فيتعاقب سلك وحمَل إنْ لم يعرض من المعنى ما يمنع. وأما سلك، فان العرب

(١) ج، هـ: وما.
(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٣) ب: سورة المؤمنين، وكلاهما تسمية للسورة.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بين الأولى والثانية مع أن القصة...).
(٥) هـ، ع: لمقتضى، ك: مختص.
(٦) ج، هـ، م، ع: لكل.
(٧) ب: العصبة.

تقول: سلكت الشيء في الشيء، وأسلكته أي أدخلتُه. قال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾[1]، أي أدخلها. وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرْ﴾[2] أي ما أدخلكم، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[3]. أي ندخله فيه وقلَّ ما يخرج سلك عن هذا المعنى من الدخول حقيقة أو مجازاً [١٢١/و] من حيث المعنى خصوص. وأما حمل ففيها اتساع لا يكون في سلك، فوجه ورودها في سورة هود مناسبتها من حيث المعنى ومن حيث ما اقترن بها من لفظ قلنا؛ فطال الكلام لفظاً على ما أشرنا اليه من سعة المَحَامِلِ وإنْ لم يرد جميعها هنا؛ لكن ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من استيفاء قصة نوح عليه السلام وطول الكلام بذلك.

وأما آية المؤمنين ففي قصة نوح فيها إيجاز، وإجمال ألا ترى أنها في كلِمها وعدد حروفها - أعْني آية هود - على الضِّعف، أو أطول مما في سورة المؤمنين. فلذلك ورد في سورة المؤمنين لفظ[4] اسلك لإيجازه من حيث معناه وعُرُوِّهِ عن اقتران لفظ قلنا وغيره مما يحرز الطول بخلاف ما في سورة هود. ومما يعضد هذا المقصد، ويشهد له قوله تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، وفي سورة المؤمنين[5]: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، فتأمل[6] تنظير حتى [وإذا]، وهي أربعة أحرف بفاء التعقيب في سورة المؤمنين في قوله ﴿فَإِذَا﴾، وانما الفاء على حرف واحد فنوسب بالفاء

(١) القصص / ٣١.
(٢) المدثر / ٤٢.
(٣) الجن / ١٧.
(٤) ج، ب، ع: بلفظ.
(٥) زاد بعدها في ج، ب، ع: (في قوله).
(٦) ك: تأمل.

موضعها المبني[1] على الإيجاز، وبِحَتّى[2] موضعها المبني على الاستيفاء والطول، فقد وضح ورود كل ما في السورتين على ما يجب ويناسب والله سبحانه أعلم بما أراد[3].

١٧٦ ـ الآية السادسة من سورة هود قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ (٥٨)

وقال في قصة شعيب عليه السلام (٩٤): ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، فعطفت[4] ﴿لَمَّا﴾ على ما قبلها بواو النسق في هذين الموضعين وخالفت قصة صالح وقصة لوط عليهما السلام في الحرف المعطوف به هذه الجملة المصدَّرة بحرف الوجوب[5]، فقيل في قصة صالح عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[6] بعطف[7] لمّا على ما قبلها في هاتين الآيتين بفاء التعقيب.

فللسائل أن يسأل عن وجه اختصاص آيتي هود وشعيب بالواو، وآيتي صالح ولوط[8] بفاء التعقيب وهل ذلك بواجب؟

والجواب عن ذلك ـ والله اعلم ـ أن آيتي صالح ولوط عليهما السلام ورد فيهما ما يقتضي معناه أن يربط بالفاء المقتضية للتعقيب. أما قصة

---

(١) ما بعدها إلى قوله (موضعها المبنى) ساقط من ب.
(٢) ج، هـ، ع: وبحق.
(٣) ساقط من ج، ع(قوله: (بما أراد).
(٤) ك: فقطعت.
(٥) ج، هـ، ب، ع: الوجود.
(٦) هود / ٨٢.
(٧) ب، ع: فعطف، ج، هـ: فعطفت.
(٨) ما بعدها إلى قوله آيتي صالح ولوط عليهما السلام ساقط من ك.

صالح منهما[1] فتقدمها قوله تعالى: ﴿فعقروها﴾ فقال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فكأن قد قيل: [١٢١/ظ] فلما انقضت، فالموضع للفاء لقصد[2] التعقيب.

ومثل هذا من غير فرق قوله تعالى في لوط عليه السلام: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ ولا شك ان المعنى يستدعى تقدير: فلما أصبح؛ تحقيقاً لصدق الوعيد، وإعقابا لا يتحصل بغير الفاء[3]، فهذا يوجب خصوص الفاء بهذين الموضعين.

وأما قصة هود عليه السلام، فلم يرد فيها ما يستدعي تعقيباً، بل قبلها ما يقتضي ما ينسق ما بعده عليه بواو العطف. وذلك قوله تعالى مخبراً عن قوم هود: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾[4]، ثم قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، فعطفت هذه الجمل بعضها على بعض بما يعطي ذاك، ويناسب العطف بالواو. وعلى هذا وردت آية شعيب عليه السلام فورد قبلها: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾[5]، ثم بعد ذلك: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾. وليس هنا ما يقتضي تعقيباً، بل بابه حمل الآي بعضها على بعض بحرف التشريك فجاء كل[6] على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٧٧ ـ الآية السابعة من قصة هود قوله تعالى:

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾(٦٠)

وفي قصة موسى بعدُ من هذه السورة (٩٩): ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ

(١) ج، هـ، م، ب: منها.
(٢) هـ، م: لقصود.
(٣) ما بعدها إلى قوله (خصوص الفاء) ساقطمن ج، هـ، ع.
(٤، ٥) هود / ٥٧، ٩٣.
(٦) في ك فقط

﴿لَعْنَةً﴾، فجمع في قصّة هود بين اسم الاشارة ولفظ الدنيا الجاري عليه وصفا، واكتفى في قصة موسى باسم الاشارة دون التابع.

فللسائل ان يسأل عن وجه ذلك، وهل كان يجوز عكس الوارد.

والجواب عن ذلك أن الوارد عليه كل من الآيتين لا يحسن خلافه ولا يناسب. وذلك لوجهين:

أحدهما: أن قصة هود عليه السلام، في هذه السورة أكثر استيفاء من قصة موسى عليه السلام بكثير؛ فناسب الطول الطول، والإيجاز الإيجاز، ولا يليق العكس..

والوجه الثاني: أن قوله تعالى في قصة هود عليه السلام: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، وارد على الأصل من الجمع بين التابع نعتا، أو عطف بيان وبين متبوعه. وجاء في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ لَعْنَةً﴾، على حذف الوصف والاكتفاء باسم الاشارة، وكُلٌّ فصيح فجيء بما هو الأصل اولا، ثم جيء ثانياً بما هو ثان عنه على ما ينبغي ولا يحسن العكس؛ لأن ذلك سبب[1] التفسير وبابه أن يتقدم، فما يحذف يكون لما تقدم مما يدل عليه، ولا يحذف لما سيأتي بعد، إلاّ في قليل نحو:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[2]

وهذا الوَجْه كافٍ، والوجه الأوّل أنسب لرَعْيِ النَّظم وَاللهُ أعلم.

---

(١) ج، م، ب، ع: شبه.

(٢) البيت في ديوان قيس بن الخطيم / ٢٣٨، الكتاب ١/ ٧٥ وقد صوب الأستاذ عبد السلام هارون نسبته إلى عمرو بن امرىء القيس كما في الخزانة ٢١/ ١٩٠، وجمهرة أشعار العرب / ١٣٧، ومجاز القرآن ١/ ٣٩، والدرر ١/ ٢٣. وينسب البيت للمرار الأسدي، ولدرهم بن زيد الأنصاري. أنظر: معاني الفراء ٢/ ٣٦٣، الأنصاف / ٦١، معجم الشواهد ١/ ٢٣٩، وشواهد النحو / ١٧٢٥.

١٧٨ ـ الآية الثامنة من سورة هود قوله تعالى في قصة صالح:

﴿قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنْتَ [١٢٢/و] فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَـٰنَآ أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢).

وقال في سورة إبراهيم عليه السلام (٩): ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن ثبات[١] النونين، وهما نون المضاعفة الداخلة للتأكيد، ونون الضمير[٢] في ﴿إِنَّنَآ﴾ في سورة هود[٣] وسقوط إحدى النونات في سورة ابراهيم من ﴿إِنَّـا﴾، وعن إفراد النون في سورة هود في ﴿تدعونا﴾[٤] وإلحاق نون ثانية في ﴿تَدْعُونَنَا﴾ من سورة إبراهيم.

والجواب عن ذلك أن ﴿إِنَّنَآ﴾ الواردة في سورة هود المضموم فيها الى إنَّ المشددة الناصبة للاسم والرافعة للخبر نون الضمير المنصوب واردة على ما يجب، وعلى الأصل في اتصال الضمير المنصوب[٥] بها ثم يجوز حذف أحد المضاعَفين تخفيفاً فنقول: ﴿إِنَّـا﴾ فنكتفي بالضمير عن[٦] النون المحذوفة، وذلك من فصيح كلامهم، والأصل الأول. واذا تقرر هذا فاعلم أن الضمير المتصل بالفعل في ﴿تدعونا﴾ في سورة هود ضمير مفرد مستتر، وهو ضمير صالح عليه السلام، ورفع هذا الفعل بالضمة المقدرة في الواو، و«نا»[٧] ضمير قوم صالح، ولا نون هنا غير هذه.

---

(١) ب: يقال ما وجه ثبات...

(٢) ساقط من ج.

(٣) ما بعدها إلى قوله (تدعونا) زيادة من ك.

(٤) ك: تدعوننا.

(٥) ع: بالمنصوب، ك: المنصوب.

(٦) جميع النسخ: على.

(٧) الضمير محذوف من ك.

وأما قوله في سورة[1] ابراهيم ﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا﴾[2]، فالواو ضمير الرُّسُل المقول لهم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾، ورفع هذا الفعل بالنون الأولى، والنون الثانية ضمير الْمَدْعُوِّين فلا بد هنا من النونين [3] في تدعوننا، فَكَانَ في مظنة [4] الاستثقال، فحسن الحذف حيث يجوز فقيل: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا﴾[5]، ولما لم يكن في «تدعونا» في سورة هود إلّا نون واحدة وهي نون الضمير، لم تستثقل. فجيء بإنّنا على الأصل فجاء كل على ما يجب والله أعلم بما أراد.

١٧٩ ـ الآية التاسعة من سورة هود قوله تعالى:

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ (٦٧)

وقال في هذه السورة في قصة شعيب عليه السلام (٩٤): ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾.

يسأل عن سقوط علامة التأنيث من الفعل في قوله: ﴿وَأَخَذَ﴾ في قصة صالح، وثبوتها فيه في قصة شعيب مع التساوي في الفاعل وهو[6] الصيحة، والتساوي في الفصل الواقع بين الفعل وفاعله الرافع له.

والجواب عن ذلك أن التأنيث على ضربين: حقيقي، وغير حقيقي. فالحقيقي [١٢٢/ظ] لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلّا أنْ يقع فصل

---

(١) ك: قصة.
(٢) ما بعدها إلى قوله: (رفع هذا) ساقط من ج، هـ.
(٣) ك: التنوين.
(٤) ك: مضلة.
(٥) زاد في ك بقية الآية.
(٦) ك: وهي.

نحو: قام اليوم هند. وكلما كثر الفصل حسن الحذف ومن كلامهم: «حضر القاضي اليوم امرأة» والإثبات مع الحقيقي أوْلى[1] ما لم يكن جمعاً. وأما التأنيث غير الحقيقي، فالحذف فيه مع الفصل حسن. قال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ﴾[2]، وهو كثير. فان كثر الفصل ازداد حسناً. ومنه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾. فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن فجاء الفعل[3] في الآية الأولى على الأول. ثم ورد في قصة شعيب، وهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني جمعاً بين الوجهين ـ اذ الآيتان في سورة واحدة ـ وتقديماً[4] للأوْلى[5] على ما ينبغي، والله أعلم. وهذا ما لم يكن الفاعل ضمير مؤنث، فله أحكام تخصه[6].

١٨٠ ـ الآية العاشرة من سورة هود قوله تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (٦٨).

قرىء[7] ثمود في الموضعين بالوجهين من الصرف وعدمه[8]، إلاّ أنّ أكثر القُرّاء[9] على الصرف في الأول ومنعه في الثاني[10]. فترتب[11] على

(١) ج، هـ، ك، ع: أولا.
(٢) البقرة / ٢٧٥.
(٣) ج، ع: الفصل.
(٤) ك، ب: تقدمها.
(٥) ج، هـ، م، ع: للأول.
(٦) ك: تخصا.
(٧) ك: وقرىء.
(٨) ك: وعليه.
(٩) ك: القرى.
(١٠) ذكر أبو حيان في البحر المحيط أن قراءة الصرف تنسب للأعمش وابن وثاب، والصرف قراءة الجمهور. وذكر ابن مجاهد حمزة فيمن ترك الصرف، واستوفى الخلاف في قراءة الآية. أنظر: البحر ٥/ ٢٢٨، والسبعة / ٣٣٧، سيبويه ٣/ ٢٥٢، ٢٥٣.
(١١) ج، هـ: فترتبت.

قراءة الأكثرين سؤال وهو[1]: لم صُرف الأول في قراءة غير حفص وحمزة، ومنع الثاني الصرف في قراءة الجماعة غير الكسائي. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ التفات شيء فيه خفاء يراعي [2] مثله. وذلك أن الاسم النكرة [3] إذا كُرِّر، وأريد بالثاني الأول ولم [4] يرد غيره، لزمته [5] الألف واللام التي للعهد، فصار معرفة؛ تقول: رأيتُ رجلا فضربتُ الرجل، تريد المذكور، ولا تعيده نكرة بوجه. ولك أن تأتي به مضمرا، فتقول: رأيتُ الرَّجُل فضربتُه. فاذا تكلمت بهذا في المعرفة [6]، فالأكثر أن تأتي به مضمرا، أو موصوفا بقولك: المذكور[7]. أما[8] ما لا يخرج عن الأول حتى لا يظن أنك تريد سواه فتقول: رأيتُ زيْداً فكلَّمتُه، ولقيت عَمْراً فضربتُ المذكورَ، أو فضربت عَمْراً المذكور. فالثاني المكرر أبدا، إنْ كان الأول نكرة، كان هو معرفة بأداة العهد، وإنْ كان الأول معرفة كان الثاني أمْكَن في التعريف إذْ قد يدخل الأول اشتراك لوجود امثاله ممن تَسَمَّى[9] باسمه. وأما الثاني فلا يدخله اشتراك من حيث هو، إلاَّ أن يَسْرِيَ له الاشتراك من الأول فقد ثبت[10] على كل حال أنه أبْعَد من الاشتراك والالتباس من الأول وذلك شفوف له عليه فكأنه أعْرَفُ منه. فاذا كرر غير مضمر ولا منعوت، وكان

---

(1) ج، ع: وهم، وفي هامش ج: سؤالان وهما.
(2) م، ك، ب: يرعى.
(3) ج، ع: الثاني.
(4) ج، هـ، ك، ع: لم..
(5) ك: لزمت.
(6) ك: فاذا غدا في المعرفة.
(7) ك: لقولك للمذكور.
(8) جميع النسخ: أو.
(9) ك: سمى؛ ج: يسمى.
(10) ك: فنقب.

علّما مما يجوز في مثله الوجهان من الصرف وعدمه ـ وذلك الثلاثي[1] ساكن الوسط. والعرب قد تصرفه لخفته[2]، ومنهم من يمنعه [١٢٣/و] الصرف لوجود علّتين، ولا يراعِي خفته وقد أنشدوا عليه:

لَمْ تَتَلَفَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ ... وَلَمْ تُسْقَ دَعْدُ فِي الْعُلَبِ[3]

فصرف أولا، ولم يصرف آخراً فاذا كان اكثر[4] تعريفاً، كان الوجه منع[5] صرفه اشعارا بتمكُّن تعريفه، اذ هذا الضرب من التعريف من موانع الصرف، ولا اعتبار بما دونه من المعارف في منع الصرف، إلا لمانع[6] آخر. فلهذا كان الثاني في قوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾، أوْلَى بمنع[7] الصرف والله أعلم. وعلى هذا ورد ما أنشدوه من قوله:

لَمْ تَتَلَفَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ ... وَلَمْ تُسْقَ دَعْدُ فِي الْعُلَبِ[8]

فالمؤنث الثلاثي الساكن الوسط اذا لم يكن منقولا من مذكر، فيه الوجهان: الصرف وعدمه. الا أن في اختصاص مكره بالمنع تأنيساً لما ذكرناه وإنْ لم ترد به الشواهد؛ إذ باب هذا معروف ومفهوم، لا[1] توقف فيه.

---

(١) ج، هـ، م، ب، ع: الثاني.
(٢) هـ، م، ب) لخفة.
(٣) البيت في ديوان جرير /٨٢، وينسب لابن قيس في ملحقات ديوانه /١٧٨. وأنظر: الخصائص ٣/٦١، التصريح ٢/٧٧، شرح المفصل ١/٧٠، الاقتضاب /٣٦٧، اللسان: لفع.
(٤) ك: أكد، وساقط من ج، ع.
(٥) هـ، م: مع.
(٦) ك: لموانع.
(٧) ج، هـ، ب: من منع، ع: في منع.
(٨) ك: فيأتي توقف.

١٨١ ـ الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧).

وفي سورة العنكبوت (٣٣): ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُواْ لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ[1] إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[2].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنّ «أنْ» هذه الخفيفة، كثيراً ما تزاد وزيادتها على ضربين: بقياس، وغير قياس. فالذي بغير قياس نحو قوله[3]:

كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إلى وَارِقِ السَّلَم

فزيدت [مع] كاف التشبيه بينها وبين مجرورها. وأما التي[4] تزاد بقياس فبعد لمّا[5]. ولما ورد في[6] آية هود قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾. ثم ورد هذا اللفظ بجملته في سورة العنكبوت متكرراً بعينه، ورد أولا بغير أنْ على الأصل، وورد ثانياً بزيادة أنْ على الثاني

---

(١) ما بعدها إلى آخر الآية في ك فقط.

(٢) ب: يقال ما وجهه.

(٣) البيت مختلف في نسبته إلى خمسة شعراء هم: باعث بن صريم اليشكري، وأرقم بن علباء اليشكري، وكعب بن أرقم، وزيد بن أرقم، وراشد بن شهاب وصدره:

ويوماً توافينا بوجه مُقَسَّم

أنظر: الهمع ١/ ١٩٢، ١٤٣، سيبويه ٢/ ١٣٤، شرح المفصل ٨/ ٧٣، الانصاف ١/ ١١٣، اللسان (قسم)، المحتسب ١/ ٣٠٨، المصنف ٣/ ١٢٨، الخزانة ٤/ ٣٦٤، العيني ١/ ٢٩٣، الأشموني على الالفية ١/ ٢٩٣، شواهد النحو / ٢٨٣٥.

(٤) ك: الثاني.

(٥) ك: لا.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع: وردت آية.

ليحصل بين[1] المتواردين ما يرفع تثاقل اللفظ المتكرر.

فإن قيل: فإنه قد تباعد ما بين الآيتين، ومثل هذا لا يحصِّل[2] ما ذكرت.

فأقول: لما كان اللفظ وكانت زيادة أنْ وعدم زيادتها هنا، هيِّن فصيح[3]، جيء بالجائزين معاً[4]، وتأخرت الزيادة، إذْ هي غير الأصل الى المتأخر من الآيتين.

فإن قلت: فإن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾[5]، لم يقع فيه تكرر، فَلِم زيد فيه «أنْ» ولم يأت على الأصل؟. قلت: لما كان مجيء البشير الى يعقوب عليه السلام، بعد طول الحزن وتباعد المدة، ناسب ذلك زيادة أن، لما في مقتضى وضعها من التراخي فورد كل من هذا على ما يجب، والله أعلم.

۱۸۲ ـ الآية الثانية عشرة من سورة هود قوله تعالى:

﴿قَالُواْ [١٢٣/ ظ] يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ (۸۱).

وقال في سورة الحجر (٦٥): ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.

هنا ثلاث[6] سؤالات:

أحدها: استثناء[7] ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ في سورة هود، ولم يقع هذا الاستثناء في الحجر.

---

(۱) ساقطة من ك.

(۲) ك: لا يلحظ.

(۳) ج، ك، ع: هينا فصيحا. والمعنى المقصود منا هو أن اللفظ هين فصيح مع الزيادة وعدمها.

(٤) ج، هـ، م، ك، ب: معنا.

(٥) يوسف / ٩٦.

(٦) ك: ثلاثة.

(۷) في ك فقط.

والثاني: ما ورد في الحجر من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾.

والثالث قوله تعالى: ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾، ولم يذكر ذلك في سورة هود.

والجواب عن الأول أن آية الحجر قد ورد قبلها في قصة ابراهيم عليه السلام قال: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ. قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾[1]. فلما ورد هنا استثناء المرأة وذكر حالها وقع بذلك الاكتفاء فلم يذكر في الآية بعد، إذْ[2] ذلك كله كلام متصل بعضه ببعض ولم يتقدم لامرأة لوط عليه السلام في سورة هود ذِكْر فاحتيج الى استثنائها[3].

والجواب[4] عن السؤال الثالث[5] أن قوله في سورة الحجر: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾، زيادة إخبار بما ليس في سورة هود، وقد تأخرت سورة الحجر عنها، فَوَفَتْ بما لم يذكر في سورة هود، ومثل هذا لا سؤال فيه.

١٨٣ ـ الآية الثالثة عشرة (غ)[6] قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٨٢).

وفي الحجر (٧٤): ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾[7]. ففي الأولى: ﴿وَأَمْطَرْنَا

---

(١) الآيات / ٥٧ ـ ٦٠.

(٢) ج، ك: ان.

(٣) ك: استثناها.

(٤) ك: فالجواب.

(٥) م، ك، ب: الثاني، ولم يُجب عنه المؤلف.

(٦) ساقطة من هـ، م، ب، غ.

(٧) إلى هنا ساقط من هـ، وأعاد في م من آية هود: ﴿جعلنا عاليها سافلها..﴾ الخ.

عَلَيْهَا﴾، والضمير للقرية، والمراد أهلها، وفي الثانية: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، والضمير لقوم[1] لوط.

فللسائل أن يسأل عن وجه[2] اختلاف الضمير مع اتحاد المقصود.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن كلا من الموضعين مراعى فيه مناسبة ما تقدمه. ولما تقدم آية الحجر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، فذُكِر قوم لوط موصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم فروعي هذا المتقدم فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾. ونظير هذا قوله في سورة الذاريات: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾[3]، فقيل عليهم لما تقدم قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾.

أما آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا فاكتفى[4] بضمير القرية[5] فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وأغنى ذلك عن ذكر المهلَكين إذْ هم المقصودون بالعذاب، فورد كل على ما يناسب والله أعلم.

١٨٤ ـ الآية الرابعة عشرة من سورة هود قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ. إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ[6] أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٩٦ ـ ٩٧).

وفي سورة غافر (٢٣، ٢٤): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ. إِلَىٰ فِرْعَوْنَ [١٢٤/و] وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

---

(١) ج، هـ، ع: والمراد قوم.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).
(٣) الآية / ٣٢.
(٤) ك: فالمعنى.
(٥) ب: القريب.
(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف في ك.

وقال في سورة الزخرف (٤٦): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِأَيَٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد ذكر صاحب الدرة هذه الآيات الثلاث لاستوائها في الافتتاح والمطالع وانفراد آيتي غافر وهود بزيادة قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ولم يرد[1] ذلك في آية الزخرف وقد ورد من مثل هذا[2] مثلها[3] في العدد وإنْ خالفه في المطالع والافتتاح، إلا أنها من ضربها وذلك قوله في سورة المؤمنين[4]: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ. فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾. وتقدم في سورة الأعراف[5]: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾. وفي سورة يونس[6] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا[7] مُّجْرِمِينَ﴾ فورد في سورة[8] هود[9] وسورة المؤمنين وسورة غافر زيادة قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ولم ترد[10] هذه الزيادة في السور الثلاث الأُخَرْ. وورد في سورة يونس وسورة المؤمنين ذكر تأييد موسى وأخيه[11] هارون عليهما السلام ولم يرد ذلك في غيرهما. وانفردت سورة

---

(١) ك: يذكر.
(٢) ساقطة من هـ، ج.
(٣) ساقطة من ع.
(٤) الآيات / ٤٥ ـ ٤٧.
(٥) الآية / ١٠٣.
(٦) الآية / ٧٥.
(٧) هـ: أعاد من قوله: ﴿عَالِينَ﴾ في سورة المؤمنين إلى آخر آية يونس، وفي ب: أعاد من قوله: وتقدم في سورة الأعراف إلى آخر آية يونس أيضاً.
(٨) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.
(٩) ج: هذه.
(١٠) ك: لم ترد.
(١١) ك: بأخيه.

المؤمنين بالجمع بين تأييده عليه السلام بأخيه وسلطان مبين.

فللسائل أن يسأل عن توجيه ذلك كله لاتحاد الأخبار [1].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنه حيث يذكر سوء رد المرسَل اليهم وقبح جوابهم يقابل أبداً بتاييده بأخيه أو عَضْدِهِ بالآيات مما يقتضي القهر والإرغام وهو المعبَّر عنه بالسلطان المبين فيكون ذلك في مقابلة شنيع مجاوبتهم وسوء ردِّهم بالجملة. فانه إذا اجتمع إفصاحهم بالتكذيب واستكبارهم جُمِعَ في التمهيد [2] المتقدم [3] بين التأييد بهارون والسلطان المبين، وحيث يصرح [4] بالتكذيب أو ما يعطيه بيِّنا [5] كقوله: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾، قدم ذكر التأييد بالسلطان المبين، وحيث ذكر صفتان مُحَوَّمَتَان [6] على التكذيب من غير إفصاح؛ يقدم [7] ذكر التأييد بهارون عليه السلام وما كان دون ما ذكر لم يذكر هارون ولا السلطان المبين فِمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ فإنه أخبر تعالى عنهم بأنهم لم تُجْدِ عليهم [8] البراهين والآيات إلا اتباع فرعون [9] وقوله مخبراً عنهم في سورة المؤمنين بقوله: [١٢٤/ظ] ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ الى ما تبع هذا من قبيح قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا﴾، وإخباره تعالى عنهم في سورة غافر بقولهم: ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾. فهذه المواضع لَمَّا ذكر فيها من شنيع مرتكبهم في تلقي دعاء موسى عليه السلام اياهم قدَّم

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك كله مع اتحاد الأخبار...).
(٢) ج، ك، ب، ع: التهديد.
(٣) ك: المتقدر.
(٤) هـ، م، ك: يسرح.
(٥) ك: بياناً.
(٦) ك: محرمتان.
(٧) ج، م: تقدم.
(٨) ج، هـ، ع: عنهم.
(٩) ك: أمر فرعون.

توطئة لسوء مرتكبهم، تأييدَه عليه السلام بالسلطان المبين لِيُفْهِمَ ذلك أخذهم وهلاكهم بسوء مرتكبهم.

وقدّم في سورة يونس توطئة لما ذكر من[1] استكبارهم واجترامهم تأييد موسى بأخيه هارون عليهما السلام وذلك من السلطان المبين. ولما تضاعف المحكي عن مرتكبهم وقبيح مقالهم في سورة المؤمنين قدم في ذكر إرساله تأييده بأخيه والسلطان المبين مقابلة للإخبار عنهم بقوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ فَقَالُواْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا﴾، فأخبر تعالى عنهم بالتكذيب والاستكبار والاجترام والعلو تمرداً وعُتُوًّا وادّعاء[2] للمماثلة لهم في البشرية والاحتقار[3] لأقدارهما[4] العلية، فقوبل هذا الإسهاب من مقالهم السيء بالاطالة في ذكر التباين[5] ليتناسب الطرفان. أما حيث ذكر السلطان فتجد[6] جوابهم في ذلك دون ما تقدم من التشديد كقوله في سورة الأعراف: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾، وقوله في سورة الزخرف: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[7] فليس موقع جوابهم في هاتين السورتين كموقع ما تقدم في الأيتين، فنوسب بين طرفي الدعاء والجواب[8].

١٨٥ ـ الآية الخامسة عشرة، قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧)

---

(١) ساقطة من ج، ب.

(٢) في ع فقط وبقية النسخ: ادعاءاً.

(٣) ب: الاختصار.

(٤) ج، هـ، ب، ع: لأقدارهم.

(٥) ك: التأكيد.

(٦) في ك، فقط وبقية النسخ: فيجر.

(٧) الزخرف / ٤٧.

(٨) ب: زاد هنا (والله أعلم).

وفي سورة القصص (٥٩): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله في[1] الآيتين. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾، وفي [الثانية][2]: ﴿وَمَا كُنَّا﴾، وعن قوله في الأولى: ﴿لِيُهْلِكَ﴾، بالفعل الداخلة عليه لام الجُحود وفي [الأخرى][3]: ﴿مُهْلِكَ﴾، ﴿وَمُهْلِكِي﴾، باسم الفاعل، وعن قوله في الأولى: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً﴾ - الآية[4]، ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾، فتلك ثلاثة[5] أسئلة والجواب أن آية هود تقدمها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[6]، اي فهلّا كان منهم خيار ينهون عن الفساد والظلم فلو[7] كان منهم ذلك[8] لما هلكوا. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، اي ما كان ليفعل بهم ذلك، وإنْ وقع فيهم ظلم، اذا كان فيهم مغيِّر للظلم[9]، وناهٍ[10] عن الفساد، ولكنهم كانوا كما أخبر تعالى عن المعتدين من [١٢٥/و] بني اسرائيل في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[11] وجيء بالفعل في قوله:

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن قوله في...).

(٢) جميع النسخ: الثالثة.

(٣) ج، ب، ع: الأخيرتين، هـ، ك، م: الأخريين.

(٤) بعدها في جميع النسخ: وفي الثالثة.

(٥) ج، هـ، ع: ثلاث.

(٦) الآية / ١١٦.

(٧) ج، هـ: فلو لا.

(٨) ك: تلك.

(٩) ج، ب، ع: مغير الظلم.

(١٠) ج: وناه.

(١١) المائدة / ٧٩.

﴿لِيُهْلِكَ﴾، إشارة الى التكرر بحسب ما يكون منهم. فلو كان في كل أمة وقرن بعد قرن من ينهي[1] عن الفساد والظلم لما أُخِذُوا بذوي الظلم منهم ولكان تعالى يرفع[2] بعضهم[3] عن بعض ولكن تكرّر[4] الفساد عَمَّ[5] كل قَرْنٍ قَرْنٍ فتكرر[6] عليهم الجزاء والأخذ فأشار الفعل الى التكرّر، ولم يكن الاسم ليعطي ذلك.

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾[7]، ولم يقل: قَابضات لما قصد من معنى التكرر.

وأما قوله في سورة القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ ـ الآية، فإنه تقدم هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[8]، أي أتبعْنا وأوْلَيْنا التذكار. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[10]. فلما أعلم سبحانه بتتابع التذكار، وتعاقب الإنذار، قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾. وناسب هذا[11] ذكر اسم[12]

---

(١) ك: ينتهي.
(٢) ك، ب، ع: يدفع.
(٣) ب، ع: ببعضهم.
(٤) ك: تكون.
(٥) ج، هـ: وعمر، وفي بقية النسخ: وعم، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٦) ك: فتكون.
(٧) الملك / ١٩.
(٨) القصص / ٥١.
(٩) فاطر / ٢٤.
(١٠) الإسراء / ١٥.
(١١) ك، ع: هنا.
(١٢) هـ، م، ب، ع: ذكر الفاعل.

الفاعل لأنه قصد[1] ذكر[2] الاتصاف[3] بهذا، ولم يقصد التكرار، ولم يكن حاصله[4]. وقال هنا وفي سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾، باضافة اسم الرب - جل وتعالى - الى ضمير نبينا محمد[5] صلى الله عليه وسلم المخاطَب بهذا ملاطفة لهذا النبي عليه الصلاة والسلام، وتأنيساً له ولأمته، وإشعاراً بعظيم حظوته ومنزلته لديه سبحانه. ثم أتبع هذا بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾، فأخبر تعالى أنه ما يهلكهم إلّا بعد استحقاق جميعهم العذاب، وتساويهم في الظلم وقيل في هذه الآية الأخيرة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰ﴾ لئلا يتكرر اللفظ بعينه مع الاتصال والقرب وليس من مواضعه وقد حصل جواب الأسئلة[6] الثلاثة وبيان خصوص [كُلٍّ] آية[7] منها بموضعها، والله أعلم.

سورة يوسف عليه السلام

١٨٦ - الآية الأولى منها (غ)[8] قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

---

(١) ساقط من ج، ك، ع.

(٢) ساقط من ك.

(٣) ع: للاتصاف.

(٤) نص العبارة في ك: «وناسب هنا ذكر اسم الفاعل لأنه قد نفي الاتصاف بهذا ولم يقصد التكرار وإن كان حاصله» أ هـ.

(٥) ساقط من ك.

(٦) جميع النسخ: الأسولة.

(٧) ساقطة من ج، هـ، وفي م، ب: أمه.

(٨) ساقطة من ك، ب وهي من مغفلات الدرة.

وفي سورة الزخرف (٣): ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فورد هنا[1] ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ في[2] موضع ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ في الآية الأولى.

فللسائل أن يسأل عن موجب هذا[3] التخصيص، لاتفاق الوارد في الآيتين لفظاً ومعنى في[4] غير ما ذكر.

والجواب[5] ـ والله أعلم ـ أن آية سورة يوسف، لما كانت توطئة[6] لذكر قصصه عليه الصلاة والسلام، ولم[7] تتضمن السورة غير ذلك، إلاّ ما أُعقبت به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيباً عند قريش والعرب، ومستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون [١٢٥/ظ] أنهم انفردوا بعلمه فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أتمَّه[8] ومعرفة من[9] قصصه العجيب، ومؤدّية أكمله، وأعمه ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب وأهل الكتاب أن ذلك مُنْزَلٌ من عند الله تعالى لموافقته ما عند أهل الكتاب، وليقطع[10] العَرَبُ والجميع أنّ محمّداً[11] صلى الله عليه وسلم لم يَتلقَّ ذلك القصص من أحد من العرب، إذ لم يكن عندهم من نبأ، ولا رحل في

---

(١) ساقط من ك.
(٢) في ك فقط.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب هذا التخصيص).
(٤) ساقطة من ك.
(٥) زاد هنا من ك «عنه».
(٦) ساقط من ج، هـ، م، ع.
(٧) ج، م، ع: ولما.
(٨) ج، هـ: لاتمه، وفي ب: لامه.
(٩) ب: بين.
(١٠) هـ، م، ك، ب: ولقطع.
(١١) ج، هـ، م، ك: محمد.

تعرُّفه[1] إلى أحد، فكان قصصا وآية مُعْلِماً[2] بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم، وعظيم تلك العناية. فالتعبير بالإنزال هنا بيّن[3].

وأما آية الزخرف فلم تُبنَ على إخبار بل أُعقبت بآي الاعتبار والملطف[4] في التنبيه والتذكار. قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾[5]، وهذا أعظم التلطف. وقال تعالى بعد: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[6]. ثم مضت أكثر آي هذه السورة على نحو هذا الاعتبار وما يناسبه[7]. وقد ذكر سيبويه ـ رحمه الله ـ في أقسام «جَعَلَ» كونها بمعنى[8]: صيّر، ملحقاً لها بظننت وأخواتها ومنه قولهم: جعلت الطين خزفا، وذلك انتقال وتَصْيِيرٌ[9]، فالمراد في الآية[10] جعل الكتاب معتبراً هدى ونوراً، والمنبَّهُون به[11]، والمعتبرون بآياته والمخاطبون به مخلوقون تقدمهم العدم. وإنما صح خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم فصح بالتفات[12] حالهم التصيير، وجل عن التغيير والحدوث كلام الحكيم الخبير. فكلامه سبحانه قديم ليس بمخلوق فيبيّن، ولا صفة لمخلوق فينفد[13]. فقد وضح معنى الجعل هنا ومسوغه، وأنه لا يناسب هنا غيره[14]، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

---

(1) ك: تحرفه.

(2، 3) ساقط من ك.

(4) ك: والتلطف.

(5) الآية / 5.

(6) الآية / 9.

(7) ج، ب، ع: يناسب.

(8) ب: معنى كونها.

(9) ك: وصير.

(10) ب: بالآية.

(11) ج، ب: المتهون، وفي ع: المتنبهون.

(12) ك: بانتقال.

(13) جميع النسخ: فينفذ.

(14) ك: غير ذلك ولا يناسب الآية الأخرى غير إنزال فجاء...

١٨٧ ـ الآية الثانية من سورة يوسف قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢)

وفي سورة القصص (١٤): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن ثبوت[1] قوله: ﴿وَٱسْتَوَىٰ﴾، في سورة القصص ولم يثبت ذلك في سورة يوسف، وهل كان يمكن ورود العكس في الآيتين.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الأشُد مختلف فيه من البلوغ الى استكمال أربعين سنة، وقد قيل بالزيادة على الأربعين[2]. وظاهر القرآن أن الأشد يقع على ما دون الأربعين، لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[3] فلو كان الأشد الأربعين لأدى الى عطف الشيء على نفسه فانما الكلام في قوة أن لو قيل: حتى إذا بلغ أشده واستكمل وتم بالزيادة، والله أعلم [١٢٦/و].

واذا كان وقوع الأشد على ما ذكرنا، ولا يكون إلاّ على حال من العمر يحصل فيه الضبط والتدبير، والإحكام للأمور، والفهم للخطاب وتحقيق مقادير الأمور، وهذا بِجَرْي العادة. أما ابتداؤه من البلوغ، أو قَبْل البلوغ ثم يستحكم الى الغاية التي اليها انتهاء تمام القوة، واستحكام العقل فتلك[4] الأربعون. وعلى رأس اربعين سنة بعث الله نبينا[5] محمدا صلى الله عليه وسلم ثم إنَّ الله

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن ثبوت. . .).
(٢) الأشُدُّ هو القوة، وبلوغ الحلم، وقيام الحجة على المكلف. القاموس (الشدة)، الجصاص ٣/ ٣٩٠.
(٣) الأحقاف / ١٥.
(٤) ب: وتلك، وبقية النسخ: تلك.
(٥) ب: نبينا ومولانا محمداً.

سبحانه قال في قصة يحيى بن زكريا، عليهما السلام: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1]، وهذا ولا بُدَّ في حكم سن غير الأربعين[2]. وقد قال في قصة يوسف عليه السلام حال إلقائه في الجُبّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3] وهذا[4] حال ابتداء الوحي[5] من الله سبحانه، انما يكون بعلم وحكمة. وموسى عليه السلام انما ابتدىء بالوحي وسماع الكلام بعد فراره خوفاً من فرعون قال الله تعالى[6]: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[7] وأفصحت آي القرآن أن ذلك بعد رجوعه وإنكاح شعيب عليه السلام اياه ابنته ـ ولم يخرج من مصر [حَتّى] ائْتُمِر[8] به للقتل ـ وبعد وكزه[9] الذي كان من عدوه وقضائه عليه. ومجموع هذا انما هو بخروجه عليه السلام عن سن الابتداء الى استكمال[10] الأشد، وهو الاستواء؛ فقيل في قصته: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ ،أي استكمل وانتهى الى أحسن الحالات في السن.وأما يوسف عليه السلام في الوحي إليه في الجب فحاله[11] ـ وإنْ بلغ ما يسمى[12] أشداً ـ غير حالة الاستواء، فامتنع مجيء الاستواء في قصته، وورد في قصة موسى. وكلام المفسرين إذا تُؤُمِّل ـ وإنْ لم يكن إفصاحاً ـ مُشيرٌ بهذا، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

---

(١) مريم / ١٢.
(٢) ج، ع: ولا بد من حكم في غير الأربعين، ك: في غير سن الأربعين، ب: في حكم غير الأربعين.
(٣) يوسف / ١٥.
(٤) ك: هذه.
(٥) ج: ابتدار ـ الوحي، هـ، ك: ابتداو الوحي.
(٦) ساقطة من ج، هـ، ع.
(٧) الشعراء/ ٢١.
(٨) هـ، ك: ايتمر، ب: أوتمر.
(٩) في ك فقط، وبقية النسخ: وكز.
(١٠) ج، هـ، م: الاستكمال.
(١١) في ب فقط.
(١٢) ك: سمّى.

١٨٨ ـ الآية الثالثة من سورة يوسف عليه السلام قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ (١٠٩).

وفي سورة النحل (٤٣): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي سورة الأنبياء (٧): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾.

وفي سورة الفرقان (٢٠): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

للسائل أن يسأل عن[١] اختصاص هاتين الآيتين الأخيرتين بسقوط ﴿مِن﴾ منهما، وثبوتها في الآيتين الأوليين[٢].

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية يوسف قد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٤]. وقوة السياق في هذه [١٢٦/ظ] الآي يدل على معنى القسم ويعطيه، فناسب ذلك زيادة ﴿مِن﴾ المقتضية للاستغراق. وكذلك قوله في سورة النحل[٥]: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، يؤكد ذلك المعنى، فناسبه زيادة من، لاستغراق ما تقدم من الزمان.

أما قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).
(٢) ك: الآيتين.
(٣، ٤) يوسف/ ١٠٦، ١٠٨.
(٥) الآية/ ٤١.

﴿إِلَيْهِمْ﴾، فتقدم قبلها إنكار الكفار كون الرسل من البشر في قوله: ﴿هَلْ[1] هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[2]، واقتراحهم الآيات في قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[3]. فلما انطوى هذا الكلام على قضيتين من اقتراحهم الآيات وإنكارهم كون الرسل من البشر وقد تبين لهم حال المقترحين في قوله تعالى: ﴿مَآ آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾. فلما تقدم هذا أتبع بيان الطرف الآخر[4]، وهو التعريف بأن من تقدم من الرسل انما كانوا رجالا من البشر مختصين بتخصيصه سبحانه ولم يكونوا ملائكة فقيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾، فقيل هنا ﴿قَبْلَكَ﴾، كما قيل في نظيرتها: ﴿مَآ آمَنَتْ قَبْلَهُم﴾[5] فلم تدخل هنا ﴿مِن﴾، كما لم تدخل في النظير الآخر[6] لإحراز[7] التناسب، والتحام الجملة المنطوية على طرفي مقصدهم من الاقتراح وانكارهم كون الرسل من البشر. وكذا الوارد في سورة الفرقان من قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾، وانما ورد جواباً لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[8]، ولا داعي هنا للقسم[9]، إذ هو جواب لقولهم، فلا داعي لورود «من». فورد هذا كله على أبدع نظام وأعلى تناسب.

وإذا اعتبر الناظر استوضح أن كلا من هذه الآي لا يمكن كيانه[10] في موضع غيره، والله أعلم.

---

(1) جميع النسخ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾، وهي في سورة المؤمنون / ٢٤، ٣٣.

(٢، ٣) الآية / ٣، ٥.

(4) ساقطة من ك.

(5) الأنبياء / ٦.

(6) في ك فقط.

(7) ج، هـ، م، ب: لاحتراز.

(8) الفرقان / ٧.

(9) ك: ولا داعي من هذا للقسم.

(10) ج، ك، ع: إتيانه.

١٨٩ ـ الآية الرابعة من سورة يوسف قوله عز وجل:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ (١٠٩)

قلت: تكرر هذا الضرب من الاعتبار بأحوال من تقدم من الأمم، وما أعقب المكذبين تكذيبُهم في عدة مواضع: منها ما ورد فيه بعد همزة التقرير بفاء[١] التعقيب، ومنها ما ورد بواو النسق.

فأما تقدم الهمزة قبلها فلما لها من الصدرية، فلا يتقدم حرف العطف عليها. ولما جرت في عطفها في هذه الآي على ما ذكرنا من تخصيص بعض هذه المواضع بالفاء المقتضية مع التشريك الترتيب والتعقيب وبعضها بالواو المقتضية مجرد التشريك والجمع [١٢٧/و] كان ذلك مظنة سؤال.

فللسائل أن يسأل[٢] عن وجه اختصاص كل واحد من هذه المواضع بما اخْتُصَّ به[٣] في عطفه على ما قبله[٤]. فمن[٥] الوارد بالفاء آية يوسف المذكورة آنفاً، وفي سورة الحج[٦]: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ[٧] يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ـ الآية، وفي آخر سورة غافر[٨]: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[٩] كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ ـ

---

(١) ج، هـ، ب، ع: فاء، ك: جاء.

(٢) ب: (فللسائل سؤال عن..).

(٣) في ك فقط.

(٤) ك: قبلها.

(٥) ك: فهؤلاء.

(٦) الآية / ٤٦.

(٧) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٨) آية / ٨٢.

(٩) من هنا إلى نظيرتها في آية القتال ساقط من ج، ع، وفي ب: حذفت بقية آية غافر.

الآية، وفي سورة القتال[1]: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾؛ فهذه أربع آيات مما ورد آنفاً. ومن الوارد بالواو قوله في سورة الروم[2]: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[3] كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ - الآ[ية]. وفي سورة الملائكة[4]: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ - الآية، وفي سورة المؤمن[5]: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فهذه ثلاث آيات.

والجواب عن الضرب الأول:

أما آية يوسف، فإنَّ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ - الآية[6] مربوط[7] بما قبله ومبني على ما تقدم كالحال في جواب مبني على ما قبله. ألا ترى أن قبل الآية آيات[8] تخويف وترهيب كقوله[9]: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[10]، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم

(١) هي سورة محمد، آية / ١٠.
(٢) الآية / ٩.
(٣) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٤) هي سورة فاطر، آية / ٤٤.
(٥) هي سورة غافر، آية / ٢١.
(٦) في ك فقط.
(٧) ج، ب، ع: مربوطاً.
(٨) ك: آية.
(٩) ك: لقوله.
(١٠) يوسف / ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ على الترتيب وزاد في بقية الآية: ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾.

مُشْرِكُونَ﴾[1]، ثم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوآ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ﴾[2]. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي[3] أَدْعُوآ إِلَىٰ ٱللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[4]، أي[5] قل لهم يا محمد[6] هذه سبيلي أدعوا الى الله ـ الآية. ثم قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ﴾[7]. فالكلام[8] بجملته في قوة ان لو قيل: «ما أرسلنا قبلك رجالاً من البشر أمثالك فَكُذِّبوا فهلك مُكذبوهم وأُخِذوا كُلَّ مَأْخَذ فإن شاءَ هَؤُلاء فَلْيسيروا في الأرْض فَيَنْظروا كَيف كان عاقبة[9] منْ تقَدم». فالكلام من حيث معناه في قوة الشرط والجزاء؛ فورد بالفاء وليس موضع الواو. ويشهد لهذا الغرض ويُبَيِّنُه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ﴾[10]، أي فان شككتم فسيروا في الأرض [١٢٧/ظ]. وعلى هذا المعنى كل ما ورد من هذا.

ومن هذا القبيل آية سورة الحج. الا ترى أنَّ قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

(١، ٢) يوسف / ١٠٦، ١٠٧.

(٣) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ك.

(٤) الآية / ١٠٨.

(٥) ساقطة من هـ، م، ب، ع.

(٦) سقط المنادي وحراف النداء من ج، هـ.

(٧) الآية / ١٠٩.

(٨) ك: فلا كلام، ومن هنا إلى قوله (فليسيروا في الأرض) ساقط من ج، ب، ع.

(٩) ك: عاقبة الذين من قبلهم من تقدمهم (هكذا).

(١٠) النحل / ٣٦.

نَكِيرِ﴾[1]. ثم قال: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[2]، أي فهلا[3] ساروا في الأرض قاصدين الاعتبار فعقلوا وانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم. فعلى هذا هو المعنى، ولا مدخل لواو العطف هنا، وإنّما الملائم الفاء لما تعطيه من السببية والارتباط.

وأما الوارد[4] في آخر سورة المؤمن، فقد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[5]، ثم قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي فهلا ساروا فاعتبروا بما[6] في الأرض من الآيات. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[7] فالمعنى على هذا وليس المعنى على العطف المجرد من معنى التسبب[8] فالموضع للفاء لا لواو[9] النسق[10].

وأما الوارد في سورة القتال فإنّ قبل الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[11]. ثم قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فالملائم هنا الفاء، لما في الكلام من معنى

(١، ٢) الآيات / ٤٢ - ٤٤، ٤٥ - ٤٦.

(٣) ج، ب: فهل - لا.

(٤) ج، هـ، ع: الواو.

(٥) غافر / ٨١.

(٦) ك: سقط منها (فاعتبروا بما).

(٧) الذاريات / ٢٠.

(٨) ج، هـ، ع: السببية.

(٩) هـ، ج، م: للواو.

(١٠) ساقطة من ج، م، ب، ع.

(١١) سورة محمد / ٧ - ٩.

التسبب والتحضيض[1] المحرزين[2] هنا ما يناسب[3] ويلائم مرتكبهم من التوبيخ[4]. فالموضع للفاء المقصود بها ربط الكلام بما قبله.

وأما الضرب الثاني مما ورد بالواو فلعطف ذلك على ما قبله تشريكا لا سبب[5] فيه، ولا معنى جوابية، ولا مقصود تعقيب، ولا ربط مقصود[6] بها من المعاني بما قبله سوى التشريك خاصة. ففي سورة الروم متقدما قبل الآية قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[7] فعطف على هذا عطف تشريك لا مسببية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾. فتشرّكت[8] الآيتان في الحض على الاعتبار، ومقصودهما فعطفت احداهما على الأخرى بما يقتضي ذلك، وليس إلاّ الواو. وأما الفاء وثُمَّ فلا مدخل لواحدة منهما هنا[9] والله أعلم.

وأما سورة الملائكة فتقدم فيها قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[10] فأحيلوا على ما اطَّرَدَ فيهم من سُنَّتِه تعالى فيهم من أخذهم بتكذيبهم سُنَّةَ الله تعالى التي قد خلت في عباده ثم أعقب بإحالتهم على من قرب منهم ممن شاهدوا آثاره وتعرفوا على قرب أخباره، فقيل: ﴿أَوَلَمْ

---

(١) ج، ب، ع: التخصيص.
(٢) ج، ع: المحرز من ب: المحرر ومن.
(٣) ساقط من ك.
(٤) ج، ع: التوضيح.
(٥) ك: سبب.
(٦) زاد في ك هنا «ما».
(٧) الآية / ٨.
(٨) ع: فتشترك، ج: فتشريك.
(٩) في ك فقط.
(١٠) فاطر / ٤٣.

يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾. [١٢٨/و] فقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾، مسلك واحد من الاعتبار فُصّل لهم بحسب ما أمِرُوا بعد [١] باعتبار حاله فعطف أحد الشيئين على الآخر مع اتحاد النوع المعتبَر به [٢] ولا يَعْطِف مثل هذا إلاّ الواو خاصة وما سوى الواو فلا يلائم ولا يناسب، والله أعلم.

وأما الآية الأولى من سورة المؤمن فملحوظ بها ما نيطت به في معناها من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [٣]. وليس بعد هذه الآية من معناها إلاّ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾. فمن آياته تعالى التي أراهَا لعباده ما أجراه من سنته فيمن خلا من الأمم، فوقعت الإحالة على ذلك بعطف [٤] الآية من قوله ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ على ما به نيطت حسبما تقدم، ولا يناسب ذلك غير الواو [٥].

سورة الرَّعْد

١٩٠ ـ الآية الأولى منها (غ) [٦] قوله تعالى:

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ (١)

---

(١) جميع النسخ: بحسب بعد ما أمروا (هكذا).
(٢) في ك فقط.
(٣) غافر / ١٣.
(٤) في م، وبقية النسخ: فعطف.
(٥) ع: الواو، وفي ج: ولا يناسب غير ذلك، وزاد في ج، ب، ع: والله أعلم بما أراد.
(٦) ساقطة من ب.

هنا سؤالان:

أحدهما: السور الخمس المكتنفة لهذه افتتحت بقوله تعالى[1]: ﴿الٓر﴾، وخُصَّتْ سورة الرعد وهي سادستها، بزيادة الميم، فقيل: ﴿الٓمر﴾. فللسائل[2] أن يسأل عن ذلك.

والسؤال الثاني، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيٓ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ وعطف هذه الجملة على ما قبلها يقتضي أن المعطوف مغاير لما عطف عليه، وإلّا لزم عطف الشيء على نفسه.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ أنه وإنْ كان مفهوماً مما تقدم، فلهذا الوارد هنا ما يخصه، وهو أنَّ السورتين المكتنفتين لهذه السورة، وهما سورة يوسف وسورة ابراهيم، لم يرد فيهما [3] من الكلم المجتمع في تركيبها الألف واللام والميم والراء ما ورد[4] في سورة الرعد[5]. أما سورة يوسف، ففيها من ذلك كلمة [6] الأمر في قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[7]، ولفظ المجرمين في قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا[8] عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[9]. وأما سورة ابراهيم ففيها قوله تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾[10]، وقوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[11]، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ

---

(١) في ك فقط.

(٢) ج، هـ، ع: للسائل.. وهي وما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.

(٣) ج، ب: فيها.

(٤) ساقط من ك.

(٥) زاد هنا في هـ: (أما سورة الرعد).

(٦) ك، ب: كله، وساقطة من ج، هـ، ع.

(٧) الآية / ٤١.

(٨) م، ك، ب: بأسه، وهي في سورة الأنعام / ١٤٧.

(٩) الآية / ١١٠.

(١٠-١١) الآيتان/ ٢٢، ٣٧.

﴿وَٱلْقَمَرَ﴾[1]، وقوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[3]؛ فهذه خمس كلمات.

وأما سورة الرعد، فقد ورد فيها من ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾[4]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[5]، وقوله: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ﴾[6]، وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾[7]، وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[8]، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[9]، فهذه ست كلمات من هذا التركيب[10]، لم ترد في مُكتنِفَتها[11]. فلزيادة ما ورد فيها من التركيب، ورد في مطلعها ما ورد من[12] زيادة الميم، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني، بعد تمهيد، وهو أنَّا إن قلنا: إنْ المراد بالمعطوف الكتاب بجملته هو [١٢٨/ظ] المنزَّل كان من عطف الشيء على نفسه، وإنْ قلنا: إنَّ المراد بالكتاب التوراة، والانجيل، [أو] أحد الكتابين، ففي هذا من البُعْد ما لا خفاء به إذْ لم نُتَعَبَّد من هذه الكتب الا بالإيمان بإنزالها ووجودها على الجملة على ما تقرر في شريعتنا فكيف تقع الإحالة في الاعتبار عليهما[13] ولم نؤمر باعتبارهما في حكم ولا أمر ولا نهي. وإنْ قلنا: إنَّ المراد بآيات[14] الكتاب آيات السورة، وبالكتاب السورة، وبالذي أُنزِل اليك سائر القرآن، كما قال الزمخشري[15] كان أقرب، وفيه تحويم

(١ - ٣) الآيات/ ٣٣، ٣٧، ٤٩ - على الترتيب -

(٤ - ٩) الآيات / ٢، ٣، ٨، ٣٠، ٤٢ - على الترتيب.

(١٠) ك: المركب، ومن هنا إلى قوله: ورد في مطلعها ساقط من ج.

(١١) ب: مكتنفتيها، ع: مكتنفيها.

(١٢) هـ، ب، ع: في.

(١٣) ج، ك: عنيها.

(١٤) ج: بآية الكتاب آية السورة.

(١٥) الكشاف ٢/ ١٥٨، ونص عبارته: «تلك إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة، أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها».

على المقصود، من غير إفصاح مخلص. فأقول ـ ونسأل الله توفيقه ـ ان الدلائل الاعتبارية على تفاصيلها منحصرة في منهجين بهما حصول التوحيد، وإثبات الرسالة. وعلى مضمن تفاصيلها دارت الآي الاعتبارية، والتذكير في كتاب الله تعالى:

أحدهما: ما يدرك بالحواس، وإطالة التفكر في الموجودات، وارتباطها، ولحظ الابتداءات والانتهاءات، وتقلُّب[1] الأكوان واختلاف الألسِنَة والألوان وحركات الأفلاك وكواكبها الثابتة والسيارة واختلاف حركاتها في السرعة والبطء[2]، وخُنُوس الخمسة منها، ومطارح شعاعها ومقادير الأزمان، وتقلُّب الليل والنهار بالطول والقِصَر، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل وتعاقب الفصول بالحر والبرد، وتسخير الرياح وما في ذلك كله مِن عَلِيِّ الإحكام، وجليل الاتقان الى ما يرجع الى ذلك مما تستقل[3] به وتجزم بدلالته العقول.

والمنهج الثاني: ما يرجع الاعتبار به الى المأثور من احوال الأمم والقرون المتقدمة، ودعاء الرسل اياهم، وما كان من جواب مكذبيهم[4] حين تمردوا وعتوا، فكل أخذ بذنبه، ونجاة المؤمنين من كل أمة. فعلى هذين[5] المنهجين دارت آيات الكتاب العزيز المنطوية على تذكير العباد وتحريكهم للاعتبار. فمن الأول قوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ

---

(١) ما بعدها إلى قوله: «والسيارة» في ك فقط.

(٢) ج: البطو، ب: البط.

(٣) ك: مما تستقل به العقول وتجزم بدلالته.

(٤) ك: من أخذ تكذيبهم.

(٥) ج: هذا.

تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2] ـ الى قوله ـ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَـٰتٍ﴾[4]، وقولـه: ﴿[وَ]فِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾[5]، الى ما يجاري هذه الآي[6] مما يشير الى دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس، وما يرجع الى ذلك من دلائل التوحيد والتذكير به. فالرُّبع الاول من القرآن أكثر، ثم[7] يليه في ذلك الربع الثاني، كما يكثر التذكير الثـاني. وانما ذلـك ـ والله أعلم ـ لأن الضرب الأول معقـول، ومستنده ضروري، لأن مباديه حسية، وبه اعتبَر من انتهى الى علم الـدلائل[8] ممن[9] كان في الفترات، فمنهم المصيب والمخطىء، وهو معتَبَر منصوب للعالَم من لدن وجودهم الى قيام[10] الساعة لا يضطر فيها الى نقل ناقل. وعلى الاعتبار به من حيث الدلائل[11] يتنزل النظر في آيات[12] الرُّسل، وما جاءوا به[13] متحدين، ويعرف الخارق للعادة من غيره. فلهذا ـ والله أعلم ـ تقرر هذا الضرب مبدوءاً به في الترتيب الثابت [١٢٩/و] عليه المصحف، وأُتبع بالضرب الأخير. فمن عرف الجائز والمستحيل أمكنه الاعتراف بالبدأة

---

(١) البقرة / ٢١، ٢٢.

(٢) ما بعدها إلى آخر آية الجاثية محذوف من ك وفي موضعه «الآيات».

(٣) البقرة / ١٦٤.

(٤) الجاثية / ٣.

(٥) الذاريات / ٢٠، ٢١.

(٦) ك: الآية.

(٧) ك: مما.

(٨) ك: الأويل.

(٩) م، ك، ب: وممن.

(١٠) ج، هـ، م: مقام. وفي ك: قيام فيه.

(١١) ك: الاطراد.

(١٢) ج: هـ، ع: آية.

(١٣) ساقط من ج.

والعودة، وارسال الرسل، والثواب والعقاب، فيحصّل العقل الجواز، ويحصل التصديق بوقوع هذا الجائز من أخبار الرسل بالنظر في معجزاتهم، [فبَدَأ[1]] بالضرب الأول بمقتضى الترتيب[2]، ولم يقع في الربع الأول من القرآن بسط اعتبار بالضرب[3] الثاني الإخباري، وإنما أُمْعَنَ بذكره[4] في الربع الثاني، وبسط الأخبار عن القرون المهلَكة والأمم السالفة مع أنبيائهم، وما أعقبهم التكذيب، وأخذ كل قرن من المكذبين، بما أخذوا به ولم ينقطع التنبيه والتحريك مع ذلك بما في الضرب الأول، وما يرجع اليه، ثم قد نجد السورة الواحدة مجردة لهذا الضرب كسورة الرّعد، وللضرب الثاني كسورة الأعراف، وسورة يوسف عليه السلام. وقد تجمع السورة الضربين على السواء، أو ما[5] يقاربه كما في سورة الحِجْر. وأما سورة البقرة فقد تضمنت من كل من الضربين ما فيه نسقا[6] على إجمال فيما أُشير اليه من الضرب الثاني. وهذا الضرب انما اسْتُوفي تفصيله في الربع الثاني .ثم إنّ الضرب الأول هو الذي يدرَك بالعيان[7] من آيات اللوح المحفوظ المتضمن لكل من الضربين. قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[8]. واذا قلنا إنّ الإشارة الى اللوح، إنما يريد ما يُسْتَدَلُّ به ويعتبر مما نصب تعالى من الآيات الدالة على عجائب من مُضَمَّنَاته[9]، إذْ لولا

---

(١) ك: فبدى، وبقية النسخ: فهدى.
(٢) زاد هنا في ك «كما بينا».
(٣) ك: الضرب.
(٤) ك: بتذكره.
(٥) ك: وما.
(٦) ك: شفاء.
(٧) ك: بالقياس.
(٨) هود / ٦.
(٩) ج: مصمماته.

نَصْب تلك الدلائل ووضوح الاعتبار بها لما اطلعنا على ما دلت عليه، فكأنها بإدراكها شاهدنا بالعيان طرفا مما في اللوح[1] المحفوظ، واطلعنا عليه ويبلغ كل بحسب ما قُدِّر له[2] الوصول[3] اليه من مضمّنه، اذ هو مُحْتوٍ على كل شيء. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[4]. وتتباين أحوال المعتبرين، فعلى هذا يفهم المراد من قولنا، الإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، الى اللوح المحفوظ، وهو مراد من قال بذلك في سورة البقرة من المفسرين، وسورة النمل، ومن قال به أيضاً في سورة الرعد وهو الظاهر فيها. وقوله: ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾، اشارة الى الضرب الثاني، وهو ما طريق تعرُّفه الخبر[5] الصادق، وتلك[6] أخبار الأمم مع أنبيائهم على ما تقدم، ونبينه بعد. وهذا الضرب موصِّل ايضاً الى المقصود، إلاّ أنه لا يوصل إليه إلا من جهة الخبر، وإنْ كان من[7] مضمّن ما في اللوح. وإذا وضح هذا التفصيل لم يبق[8] إشكال في فهم ما تقدم من الاشارة بقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الى غير ما أشير اليه بما[9] عطف عليه من قوله: [١٢٩/ظ] ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾، وقوله في الحجر: ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾[10]. وكذلك

---

(١) ك: من اللوح.

(٢) ساقط من ك، ب.

(٣) ج، هـ: الطول.

(٤) النمل / ٧٥.

(٥) ك: المخبر.

(٦) جميع النسخ. وذلك.

(٧) ساقط من ك.

(٨) مكان الجازم والمجزوم بياض في ج.

(٩) ك: مما.

(١٠) الآية / واحد.

الوارد في النمل ـ وإنْ خالف في التقديم والتأخير ـ لقوله[1] فيها: ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱلْقُرْآنِ وَكِتَابٍ﴾[2] فقدم هنا الإشارة الى الضرب المؤخّر في السورتين قبل. ويشهد لهذا ويوضحه رعي التقابل المناسب في هذه السور[3] وبناء النظم وبيانه على ذلك. ألا ترى إنّ سورة الرعد لم تنطو من الضرب الثاني على[4] قصة واحدة، وانما دارت آيُهَا الاعتبارية على ما به الاعتبار من الضرب الأول[5] خاصة، وسنعود الى بيان ذلك بإيرَاد آيِهَا[6]، وانما لم يذكر فيها شيء من الضرب الثاني[7]، لأن بناء السورة انما هو على الضرب الأول. ولهذا لم يشترك المعطوفان في اسم الاشارة. ألاَ ترى الى[8] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ جملة مستقلة وقد وقع الموصول منها، وهو ﴿ٱلَّذِي﴾ مبتدأ، خبره الحق، وما بينهما صلة، والجملة معطوفة على الجملة قبلها، وكل واحدة منهما مستقلة، ولا تَسَلُّط لاسم الإشارة على الجملة الثانية.

أما قوله في سورة الحجر: ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾، فقوله[9] ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ معطوف على الكتاب، المضاف الى الخبر عن اسم الاشارة وهو ﴿آيَاتُ﴾ وداخل تحت اسم الاشارة، وهو من عطف المفردات. والواو عاطفة جامعة، حمل بها مفرد على مفرد، والمراد بالآيات، آيات الكتاب،

---

(١) ج، ب، ع: كقوله.
(٢) الآية / واحد.
(٣) ج، ع: السورة.
(٤) ج، هـ، ك: مع.
(٥، ٦) مكانهما بياض في ج.
(٧) ج، هـ، ع: زاد بعدها (لأن الضرب الثاني).
(٨) في م، وبقية النسخ (ان).
(٩) إلى قوله في الآية «مبين» محذوف من ك، ب.

وما عطف عليه وشُرِّكَ[1] معه بخلاف آية[2] الرعد، إذِ العطف فيها من عطف الجمل. وأما الوارد في سورة النمل فمثل ما في سورة الحجر، وحكم اسم الاشارة منسحب[3] على ما أضيف اليه خبر اسم الاشارة، وما عطف عليه، وهو من عطف المفردات أيضاً كآية الحجر وكلا الآيتين مخالف لما ورد في سورة الرعد. فلما وقعت الاشارة في سورة الحجر والنمل الى الضربين مما تضمنت كل واحدة من السورتين مما به الاعتبار ذكر الضربين معاً. ولما اختُصَّت الاشارة في سورة الرعد بالضرب الأول لم يقع إخبار بغير ذلك الضرب، وهذا يرفع كل اشكال فيما تقدم. ومما يزيد وضوحاً فيما تقدم، أن[4] سورة الحجر لما قدّم فيها ذكر الكتاب قدّم فيها من الضربين الضرب المعتبر من آيات اللوح المحفوظ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ - الى قوله - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ - الآية[5]، ثم بعد ذلك ذكر مما به الاعتبار من الضرب الثاني في[6] قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ - الى قوله - ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[7]، فتأخر ما ورد في هذه السورة من هذا الضرب[8]، ليطابق تأخر ذكره في قوله: ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾. ولما تقدم في سورة النمل من الاسمين المضاف اليهما خبر[9] اسم الاشارة [١٣٠/و]

---

(١) ج، ب: شرط.

(٢) ك: آيات.

(٣) ك: ومنسوب.

(٤) ج: وان.

(٥) الآيات / ١٦ - ٢٢.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) الحجر / ٥١ - ٨٤.

(٨) في ك فقط وبقية النسخ (ورد في هذه من الضرب . . .).

(٩) في ك فقط وبقية النسخ (غير).

القرآن وتأخر الكتاب فقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، قُوبِل بتقديم الضرب المشار اليه أولا فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ. إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾[1]، وذكر من القصة مجملا. أما[2] إذا اعتبر وَفَى[3] بأتَمّ ما يحصل المعتبر به على أعلا مقصود مُوفٍ بخلاصه وذلك الى قوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]، ثم اتبع بقصة داود وسليمان وما استَجَرَّ ذلك من قصة بَلْقِيسَ وما تلاها، ثم اعقب بعد بالضرب الأخير[5]، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾[6]. ولما لم يقع في سورة الرَّعد[7] إشارة الى غير الضرب الأول، كما تقدم، لم يرد فيها من آي الاعتبار، إلاّ ما هو منه، ولم يقع في السورة غير ذلك. [فقد بانَ بحول الله ما اعتمدناه جواباً عن السؤال الثاني، ووضح التناسب، وجلالة النظم[8]. ومع[9] وضوحه لم أقف على من استقرأه من هذه السورة كما بينته، ولا توقّف فيه والحمد لله على ما أَلهَم اليه من ذلك. ثم اعلم بعدُ أن ما اعتمدناه من هذا المأخذ لم [ننفَرِدُ[10]] فيه اذا حقق بغير التمهيد، وإراءة[11] النظائر[12]، وبيان ما أجمله

---

(١) النمل / ٦، ٧.

(٢) ك: ما.

(٣) ج، هـ، ع: وفاء.

(٤) النمل / ١٤.

(٥) ك: الأخر.

(٦) النّمل/ ٦٠ ـ ٦٦.

(٧) ما بعدها إلى قوله «غيره» ساقط من ك.

(٨) ما بعدها إلى قوله (ما أَلْهَمَ إليه من ذلك) في ك فقط.

(٩) ك: منع.

(١٠) غير معجمة في م، وبقية النسخ (ينفرد).

(١١) ك: وإراد.

(١٢) ب: النظر.

غير واحد ممن تقدم من المفسرين على اختلاف في ترجمتهم عما[1] تتضمنه فمنها القريب، ومنها البعيد. وكل منها إذا أُمعِن فيه النظر ربما أدّى الىٰ ما[2] تقرر ولم انفرد عنهم إلاّ بتوفية النظم[3]، على ما اعتمدته واظهار المناسبة وابداء شواهد ونظائر[4] موضحة[5] لما اعتمدته. فمن ذلك ما تردد للمفسرين[6] في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ﴾[7]، من مأثور ما حَكَوْه عمَّن تقدم، من أن الاشارة الى اللوح المحفوظ. ذكره[8] ابن عطية وغيره من غير تعرض لزيادة، ونسبوا ذلك الى[9] ابن جُبَيْر[10]. وقال بعضهم في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱلْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، قال المراد بقوله: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، اللوح المحفوظ، وذكره الزمخشري ولا شك أن هذا إيماء الى ما تقدم بسطه. وزاد الزمخشري على هذا ما ذكره في سورة الرعد من أنّ المراد بآيات الكتاب[11] آيات السورة، وبالكتاب السورة، وبالذي أنزل اليك سائر القرآن وهو نحو ما قلناه[12]. ألا ترى أن آيات السورة لم تخرج عن الضرب الاعتباري المدرك لكل ذي عقل

---

(١) ك: مما.

(٢) ساقطة من ج، ب، ع.

(٣) ك: إلا بتوجيه النظر.

(٤) ساقطة من ج، ب.

(٥) ساقطة من ك.

(٦) ك: المفسرون.

(٧) الآية / ٢.

(٨) هـ، م، ع: ذكر ابن عطية.. ك: ذكر ذلك.

(٩) ساقط من ج، ك، ع.

(١٠) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أبو عبد الله. من سادات التابعين، وكبار الفقهاء. قرأ على ابن عباس وكان ابن عباس يقدمه على نفسه إذا سئل. قتله الحجاج سنة (٩٥ هـ). تهذيب التهذيب ١١/٤، تذكرة الحفاظ ١/٧٦، طبقات القراء لابن الجوزي ١/٣٠٥، الداودي ١/١٨١ - ١٨٢، التفسير والمفسرون ١/١٠٢ - ١٠٣.

(١١) زاد بعدها في ك (العزيز)، وحذف ما بعده إلى قوله: (وبالكتاب السورة).

(١٢) أنظر الكشاف ٢/٤٤١.

سليم على ما تقدم وما نبينه بعد وتلك آيات اللوح وأُمُّ[1] الكتاب فهذا ما قلناه وقد أَنْطَنَا به من الوارد في سورتي[2] الحجر والنمل ما يشهد بأنه المقصود قطعاً وقال بعضهم في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ﴾، إنّه واقع على القرآن وعلى الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ. ثم قال بعد ذلك مستدلا[3] [بأن] ﴿ذَٰلِكَ﴾ اشارة الى غائب يعني ان الاشارة [١٣٠/ظ] بذلك انما يشار به الى البعيد الغائب. ولوضوح إدراكه صحّت الاشارة اليه ثم قال بعد: وأم الكتاب غيب، ولذلك حسن فيه ذلك. ثم استدل على أنّ الاشارة الى أم الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ، بأن القرآن الحاضر ٱلْمَتْلُوَّ على أَلْسِنَتِنَا قد ارتاب فيه من لم يُرِدِ الله هدايته به فقالوا: سحر[4]، وأساطير الأولين، وذهبوا به[5] كل مذهب. وأم الكتاب يعني[6] ما بدا منصوباً، وظهر [أنّ] ليس كذلك فهو الذي لا ريب فيه اذ هو مشاهد للأبصار ومدرك للعيان لمن هدى واستبصر[7]. قال الله ـ جل جلاله ـ ﴿الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[9].

قلت: وعلى هذا[10] استمرت وتوالت آيات هذه السورة، لم يتخللها من

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ (اسم).

(٢) ج، ب، ع: سورة.

(٣) ك: مستدلا بعد.

(٤) ك: سحر وشعر.

(٥) ساقطة من ج، ع.

(٦) في م فقط وبقية النسخ (معنى).

(٧) ج، ع: استنصر.

(٨) الرعد / واحد، وزادت جميع النسخ بعد الكتاب لفظ (المبين) والصواب ما أثبتناه.

(٩) الرعد / ٢.

(١٠) في ك فقط، وبقية النسخ (هذه).

غير ما هو آية منصوبة للاعتبار إلّا ما استدعاه[1] مقصود آية منها، أو معناها من غير أن يتخللها مما يدرك بالخبر كبير شيء. على هذا دار كلام من أشرنا اليه وهو ما اعتمدته وبسطته، وقد استشهدت عليه ونظَّرْته فيما ظهر لي مما ليس في كلامه. قلت: ومما استشهد به من ذكرت كلامه على ما اختاره من كون الاشارة بقوله في مطلع سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ﴾ الى اللوح المحفوظ، استحكام يتنزل[2] ما بعده عليه، ووضوح النظم وبيانه على ذلك. ألَا ترى قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، أي بما غاب عنهم من مضمون أُمّ الكتاب استدلالا بما يدل[3] من آياته على ما غاب فقبلوا ما أخبر الله به على ألسنة رسله مما لا يدرك مشاهداً[4] استدلالا بما ادركوه وشاهدوه[5] لما أخبروا به فآمنوا بالله ورسله واعتقدوا من صفاته سبحانه ما هو عليه، ونزّهوه عما لا يليق به تعالى وصدقوا ما أخبرت به الرسل من كل غائب عنهم[6] مُتَلَقًى[7] من أخباره سبحانه فبنوا ذلك على اهتدائهم الأول، ومعتبرهم المشاهد المرئي حين وفقوا للاعتبار فآمنوا بالغيب، كما أخبر تعالى عنهم. ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، والمراد بهذا المنزَل اليه[8] القران. وقوله: ﴿وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[9]، أي من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل. وقال في الجميع: ﴿أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[10]. فتأمل بيان

---

(١) ج، هـ، ب، ع: ما هو استدعاؤه.
(٢) ك: تنزيل.
(٣) ك: يرى من الآيات.
(٤) ك: شاهداً.
(٥) م، ك: شاهدته، ب: شهادته.
(٦) ساقطة من ج، ب.
(٧) ج: متعلقاً.
(٨) ساقط من ك.
(٩، ١٠) البقرة / ٤، ٥.

النظم على هذا، فانه أوضح شيء. قلت: ومن البين أن مدار هذا الجواب بجملته انما هو[1] بناؤه على أنّ اسم الكتاب في سورة البقرة أو حيث وقع من فواتح هذه[2] السور وأشير اليه بذلك أَوْ تلك أَوْ وقع[3] في غير الفواتح فيصح أن يراد به فيها، أو في بعضها اللوح المحفوظ وأنْ تكون [١٣١/و] الاشارة اليه إذا شهد له[4] السياق، ووضح عليه النظم فاذا سُلِّم هذا فما بنيناه[5] عليه[6] أوضح شيء ولا يمكن إلاّ تسليمه، إذ لا معارض يمنع من عقل[7] ولا نقل، وإنِ اعترض معترض بالمنع فقد خالف جميع المفسرين مِمَّن تقدم أو تأخر، وخالف ما يعترف[8] كل ذي عقل سليم بإمْكَانِه. وقد تبين تنزيل النظم عليه على[9] أكمل تلاؤم، والله أعلم[10] بما أراد.

١٩١ ـ الآية الثانية من سورة الرعد قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

ثم قال تعالى (٤): ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ

(١) ساقط من ع.
(٢) ساقط من ج، ع.
(٣) ك: أوقع.
(٤) في ك فقط وبقية النسخ: به.
(٥) ج، هـ، ك: بيناه.
(٦) ج، هـ، م، ب: عقبه.
(٧) ك: تعجل.
(٨) ك: يعرف.
(٩) ساقط من ج، ع.
(١٠) زاد بعدها في م: بعد.

﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن[1] قوله في الأولى: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي الثانية ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وهل كان يصح ورود الأول مكان الثاني، والثاني مكان الأول؟.

والجواب أنّ معتبرات الآية الأولى من مدّ الأرض وما ذكر بعد ذلك أوضح للاعتبار، ومعتبرات الثانية أغمض. ألّا ترى أن تجاور قطع الأرض وتقاربها[2] في الصفات والهيئات من سهل وحزن ثم تخرج أنواع الجنات من النخيل والأعناب وضروب الأشجار والنبات والزرع واختلاف الطعوم في ثمراتها، والألوان والروائح وتفاوت الطيب والمنافع الحاصلة عن ذلك من غذاء ودواء، ونافع وضار، مع تقارب الأرض وتجاورها وتشاكلها وسقيها بماء واحد كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ فهذا مما تنقطع الأفكار وتقصر العقول عن عجيب الصنع الرباني فيه. وأما معتبرات الأولى[3] فيتوصل بالفكر الى الحصول على الاعتبار بها، وتعقلها، وعجيب الحكمة فيها. وغموض ما في الثانية بادٍ، ولا يُتَوصَّل الى بعض ذلك إلّا بعد طول الاعتبار والتأييد منه سبحانه والتوفيق. فلما كان العقل أشرف وأعلى ناسبه أن يُتبَع به ما هو أغمض وأخفى، وناسب الفكر ما هو أظهر وأجلى فقيل في عقب[4] الآية الأولى: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي عقب الثانية: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ولو[5] ورد العكس لم يكن ليناسب والله اعلم.

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه قوله في الأولى...).

(٢) هامش (م): لعلها تفاوت.

(٣) في ك فقط، وبقية النسخ: الأول.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) ب: ولا يناسب ورود العكس، والله أعلم.

١٩٢ ـ الآية الثالثة من سورة الرعد [غ] قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (١٥)

وفي سورة النحل (٤٩): ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ [١٣١/ظ] وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1]

فيها سؤالان:

خصوص آية الرعد بِمَنْ، وآية النحل بمَا، وزيادة قوله: ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ﴾ ولم يرد ذلك في سورة الرعد.

والجواب عن الأول أن ورود ﴿مَن﴾ في سورة الرعد، لا سؤال فيه، فان قبول الأوامر وامتثال الطاعات بالقصد والاختيار[2] بمشيئة الله سبحانه[3] إنما يكون ذلك من أصحاب العقول وهم الملائكة والإنس والجن وهم المقصودون في الآية. فوردت بِمَنْ الواقعة على العقلاء. ولهذا قيل: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، لأن ذلك انما يُسْتَوْضَحُ من العاقل. فالآية واردة على ما ينبغي.

وأما آية النحل فمراعى[4] فيها لفظ: ﴿مِن[5] دَآبَّةٍ﴾، الوارد فيها، إذ هو عام للعاقل وغيره فوردت الآية بما الواقعة على الأنواع والأجناس مناسبة لما تقدم من الإطلاق والعموم.

والجواب عن السؤال الثاني أن قوله تعالى في آية النحل:

---

(١) محذوف من ب.
(٢) ج: الأخبار.
(٣) ك: تعالى.
(٤) ك: فيراعى.
(٥) ساقطة من م، ب.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، تخصيص لهم بجليل حالهم فعُيِّنوا بالذكر مع دخولهم في العموم المتقدم. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ مع دخولهما تحت لفظ[1] الملائكة، ثم أكّد الوارد[2] في آية النحل بما[3] ورد فيها من لفظ دابة. فان قلت: لِمَ لَمْ يخصَّصُوا بالذكر في آية الرعد؟ قلت: لأنه لم يقع هناك لفظ دابة، الذي هو الموجب لتعيين[4] الملائكة، وتخصيصهم بالذكر، فكل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٩٣ ـ الآية الرابعة من سورة الرعد، [غ] قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ (١٦)

وفي سورة الفرقان (٣): ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

للسائل ان يسأل عن[5] تقديم النفع على الضر في سورة الرعد، وعكس ذلك في سورة الفرقان.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن آية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشركة[6]

(١) ب: لفظة.
(٢) ج، ب، ع: الواو.
(٣) ك: ما.
(٤) ك: لعكس.
(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).
(٦) ب: المشتركة.

في الاعراب والمعنى، قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾، وقدم قبلها ما عطفت عليه[1] بالواو ايضاً[2]. وذلك قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، فقد اتفقت هذه الجُمَل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضِّدَّيْن. ففي الأولى[3] عدم الخلق في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ﴾، مقابلا[4] لذكر الخلق والإيجاد[5] في قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾. وفي الثانية[6]، الضر مقابلاً[7] للنفع، وفي الثالثة[8] الموت والحياة وبَنَى مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين. ففي الأولى[9] الاشارة الى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وقد تأخر عن ذكر عدم الخلق في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وكذا في الثانية: الضر والنفع [١٣٢/و] والنفع[10] أشرف، وفي الثالثة الموت والحياة، والحياة[11] أشرف فلرعي تناسب الآي ـ على ما أوضحنا ـ تقدم[12] الضر على النفع في آية الفرقان.

أما آية الرعد فلم يعرِض فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب فجاءت من

---

(١) ك: عليه هي بالواو.
(٢) م، ب: بالواو ـ وأيضاً.
(٣) في ك فقط وبقية النسخ (الأول).
(٤) ج، ب، ع: مقابل.
(٥) ج، ع: الاتحاد.
(٦) ما بعدها إلى قوله: «الثالثة»، ساقط من ك.
(٧) ج، ع: مقابل.
(٨) ب: الثابة.
(٩) في ك فقط وبقية النسخ (الأول).
(١٠) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.
(١١) ساقطة من ج، ع.
(١٢) ك: فقدم.

حيث أُفرِدَتْ على ما يجب ويناسب[1] من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل وكان قد قيل فيها اذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم ثم أُتبع بما يَكمُل به التعريف بحال من اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه، والله أعلم[2].

فإن قلت: اذا كان تقديم النفع كما في سورة الرعد وارداً على ما يجب من حيث[3] هو الذي تطلبه نفوس العقلاء، فلم بنيت تلك الجمل المعطوفات في آية سورة الفرقان، على تأخير الأشرف في تلك المتقابلات حتى لزم أن يتقدم فيها الضر قبل النفع ليتناسب[4]. وهَلاَّ كان بناؤها على عكس ذلك وكان يحصل[5] التقابل[6] وورود النفع قبل الضر كما في آية الرعد؟

قلت: لما[7] تقدم قبل الجمل المذكورة في سورة الفرقان قوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[8]، فناسب هذا من ذكر آلهتهم، وصفها بأنها لا تخلق فقيل: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾، ليحصل من وصفه سبحانه بأنه: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وأن آلهتهم لا تخلق شيئاً، ما أفصح به من توبيخهم وتقريعهم من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، وتناسب أوضح تناسب وأبينه، ولا يمكن خلافه ثم [9] بَنَى عليه ما بعده لتناسب ذلك كله وحصل منه أن الوارد في كل من السورتين لا يمكن فيه العكس بوجه وربنا سبحانه أعلم بما أراد.

(١، ٢) ساقط من هـ، م، ك.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) ج، ك، ب: ليناسب.

(٥) في ك، وبقية النسخ: يحسن.

(٦) ما بعدها إلى قوله (الضر) ساقط من ك.

(٧) ك: كما.

(٨) الفرقان / ٢.

(٩) ج، ع: لو، وساقطة من ب.

١٩٤ ـ الآية الخامسة من سورة الرعد [غ] قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (٢٦)

وفي سورة القصص (٨٢): ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾.

وفي سورة العنكبوت (٦٢): ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وفي سورة[1] سبأ (٣٦): ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾.

وفي الشُّورى (١٢): ﴿لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

للسائل أن يقول أن هذه الآيات الخمس قد انطوت مطابقةً على معنى واحد، وهو إخباره سبحانه بأنه المتفرد بالقبض والبسط كما انفرد بالخلق والأمر فاذا اجتمعت في هذا المعنى، فما وجه انفراد آية العنكبوت، وآية سبأ بزيادة ما ورد فيها من التخصيص في قوله: ﴿مِن عِبَادِهِ﴾، وقوله: ﴿لَهُ﴾، ولِمَ لَمْ يرد ذلك في السور الأخرى.

والجواب عنه ـ والله اعلم ـ أن آية العنكبوت [١٣٢/ظ] لما تقدم قبلها في قصة ابراهيم عليه السلام قوله لقومه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾[2]، ثم ضرب سبحانه مثلا لما عُبِد من دونه فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ

---

(١) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٢) الآية / ١٧.

﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[1] ـ الآية[2]، ثم آنس عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]، ثم قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[4]، فأخبر سبحانه أنه المنفرد برزق الكل كما انفرد بخلقهم، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾، فخصَّ بعد أنْ عَمَّ بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، تشريفا للمؤمنين ليستأنسوا بما يجري لهم من الضربين، ويذكروه في حال القبض والبسط، فالإضافة اضافة تشريف. ولما لم يتقدم في السور الأخر مثل ما تقدم هنا بل فيها[5] ما يفهم منه أن المؤمنين لم[6] يقصد تخصيصهم بذلك الخطاب بوجه ألَا ترى قوله في آية الرعد: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وليس هذا من شان المؤمن فإنَّ الدنيا سجنه، وإنما فَرَحُه بربه وبما يرجوه منه في آخرته.

وأما آية القصص فمنصوص منها[7] على أن الذين تَمَنَّوْا حال قارون ومكانه هم القائلون: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، فإنما قالوه عالمين بأن الله[8] سبحانه بسط لقارون ما بسط فعلموا أنه القابض الباسط، وأنه لا يمتنع عن أحد ما بسط له.

وأما آية الشورى فقد تقدمها ما هو أبْيَنُ شيء في تَعْمِيم المؤمن والكافر، وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فمن أين يرزق المؤمن والكافر إلا من عنده، فلم يقصد في هذه الآية تخصيص المؤمن وتشريفه،

---

(١) زاد في ك من الآية: ﴿وإنَّ أوْهَنَ البُيُوت لَبَيْتُ العَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢ ـ ٤) الآيات / ٤١، ٥٦، ٦٠ على الترتيب.

(٥) ج، هـ: بان فيها، وسقط الجار والمجرور من ك.

(٦) في ك فقط.

(٧) ج، ب، ع: القصص فيها.

(٨) ك: الله تعالى سبحانه.

كما[1] قصد في تلك. فلما اختلف القصد اختلف الوارد، فجاءت كل آية على ما يجب ولا يمكن خلافه، والله أعلم.

١٩٥ -الآية السادسة من سورة الرعد (غ) قوله تعالى:

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢)

وفي سورة الحج (٤٤): ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[2] تعقيب الأولى بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، والثانية بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، مع تساوي الآيتين في مقصود الوعيد بمُكذِّبي[3] الرسل عليهم السلام.

والجواب ـ والله اعلم ـ أن العقاب أشد موقعاً من النكير لأن الإنكار قد يقع على ما[4] لا عقاب فيه بالفعل، وعلى ما فيه العقاب بالفعل. أما مسمى العقاب، فإنما يراد به في الغالب أَخْذٌ بعذاب مناسب لحال المجرم اثر معصيته[5] وعُقَيْبَ جريمته[6]. وقد تقدم في آية الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، والاستهزاء أمر مرتكب زائد على التكذيب من التهاون والاستخفاف بجريمة مرتكبة، أشنع جريمة، فناسبها الإفصاح [١٣٣/و] بالعقاب.

---

(١) ك: لما.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).

(٣) ك، ب، ع: لمكذبي.

(٤) ج، هـ، ب: من.

(٥) ج، هـ، ب، ع: معصية.

(٦) ج، هـ، ب، ع: جريمة.

أما آية الحجج[1]، فإن الوعيد فيها[2] للمذكورين[3] بالتكذيب، ولم[4] يذكر منهم[5] استهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾[6] فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب، وليس كالاستهزاء فقد يؤمن المكذِّب ويصلح حاله. أما المستهزىء فلا يصلح، وقد كفى الله نبيّه إياهم فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[7]، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب مرتكب مَنْ تقدم فيها ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

١٩٦ ـ الآية السابعة من سورة الرعد (غ) قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (٣٧)

وفي سورة طه (١١٣): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، والمراد[8] بالمُنزَل في الموضعين واحد وهو القرآن ثم اختلفت العبارة عنه في السورتين.

للسائل أن يسأل عن وجه ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن سورة الرعد لم يتقدم قبلها شيء من القصص الإخبارية، وانما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها الى اختلاف

---

(١) ج، هـ: آية الحجر ـ والصواب ما أثبتناه.

(٢) هـ، م: بها، ولم يذكر أحدهما في ك.

(٣) هـ، م، ك: لمذكورين.

(٤) ب: فلم.

(٥) ج، ب، ع: فيهم.

(٦) الآيات / ٤٢ ـ ٤٤.

(٧) الحجر / ٩٥.

(٨) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك مع أن المنزل في الموضعين واحد وهو القرآن ثم اختلفت العبارة عنه في السورتين والجواب . . .).

أحوال المكلفين جرياً على ما سبق من قضائه فيهم، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدّره سبحانه في أزله وما حكم به عليهم، كقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[1]. ثم بيّن تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم ثم أعقب بحال[2] الفريقين فقال فيمن هَدَاهُ بِعلْمٍ[3]: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ - الى قوله - ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[4] وأتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه، وأخبر بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار[5].
وبيّن تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء[6] وقبضه عمن يشاء فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، وأعلم[7] تعالى أنه يُضِل من يشاء ويهدي اليه من أَنَاب، ثم[8] وصفهم بايمانهم واطمئنان قلوبهم بذكره، وما منحهم بقوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾[9]. ودارت الآي بعد على أن كلَّ جَارٍ في خلقه فبتقديره[10]، وتناسب ذلك الى الآية. وكل ما تقدم فهو حكمه سبحانه السابق في خلقه فأعقب ذلك بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ قال الزمخشري: حكمة عربية؛ أي مترجمة بلسان العرب[11].

ولما تقدم آية سورة طه قَصَصُ موسى، وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل

---

(١) الرعد / ١٩.
(٢) م: بمآل، ك: بما.
(٣) ساقطة من ج، هـ، ع.
(٤) الرعد / ٢٣، ٢٤.
(٥) الرعد / ٢٥ ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.
(٦) ما بعدها إلى قوله «لمن يشاء» في الآية التالية ساقط من ك.
(٧) ب: ولعلمهم.
(٨) ساقطة من ك.
(٩) الرعد / ٢٩.
(١٠) ك: بتقديره.
(١١) الكشاف / ٢/١٦٨.

السّامِريْ، وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره اياهم وقول بني اسرائيل: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾[1] - الى قوله - ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾[2]. والمراد به القرآن. ثم أتبع هذا بما يلائمه، الى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾ [١٣٣/ظ] أي قصصا مَقْرُوءًا بلسان العرب مُذكِّرًا مَن وُفِّق لاعتباره، والاتعاظ به لعلهم يتقون، أو يُحدِثُ لهم ذِكْرًا فناسب كل من العبارتين موضعه أتم مناسبة ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

١٩٧ - الآية الثامنة من سورة الرعد [غ] قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[3] (٣٨)

وفي سورة الروم (٤٧): ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ ﴾ فقدم[4] ذكر الرسل على المجرور في سورة الرعد، فقيل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ ﴾، وورد[5] في سورة الروم بتقديم المجرور فقيل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِّنْ قَبْلِكَ رُسُلاً[6] إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾. فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك، وما روعي فيه.

والجواب عن ذلك أن المتقرر في الكتاب العزيز أنه إذا ورد اسم نبينا[7] صلى الله عليه وسلم مع غيره من الرسل عليهم السلام، مفصَحاً

(١) زاد بعدها في ك «حتى يرجع».
(٢) طه / ٩١ - ٩٩.
(٣) زاد في ك من الآية ﴿وما كان لرسول أن يأتي﴾.
(٤) ب: (يقال ما سبب تقديم ذكر).
(٥) ب: (وفي سورة الروم قدم...).
(٦) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف في ب.
(٧) ك: زاد هنا (محمد).

بأسمائهم في آية واحدة فانه يتقدم اسمه ـ ظاهراً كان او مضمراً ـ ثم يُذكَر بعده من تضمنته[1] الآية منهم عليهم [السلام] كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ ـ الآية[3].

فإن قلت[4]: قد تقدم هنا قوله قبله[5]: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾. قلت: المجموع جمع السلامة بالواو والنون رفعاً، والياء والنون نصباً وَجَرًّا، من ألفاظ العموم عند الأصوليين[6]. فقوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾، يعمّ نبينا صلى الله عليه وسلم، وغيره من النبيين عليهم السلام لما أفصح من ذكر في الآية من أُولِي العَزْم إشْعَارًا بتفضيلهم على من سواهم بدىء[7] به عليه السلام، فقيل: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[8] ـ الآية[9]، ثم قال[10]: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ[11]﴾ وقد دخلت تحت عموم: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾، مع أن[12] لفظ النبيين بالألف والام أوضح في العموم إذ ليس المضاف في العموم كالمعرَّف بالألف واللام فأقول: انما قدم

---

(١) ج، هـ، ع: تضمنت.
(٢) النساء / ١٦٣.
(٣) الأحزاب / ٧.
(٤) ك: فان قيل.
(٥) ك: قبله قوله.
(٦) إحكام الأحكام ٢/ ٢٩٠.
(٧) م: بدأ.
(٨) ابن مريم محذوف من ك، ب.
(٩) الأحزاب / ٧.
(١٠) ثم قال: محذوف من ب.
(١١) في م فقط وبقية النسخ (ميكاييل)، وهما قراءتان صحيحتان في الآية / ٩٨ من سورة البقرة، وما أثبتناه قراءة المصحف. أنظر السبعة / ١٦٥ - ١٦٦.
(١٢) ساقطة من ج، هـ.

المجرور في قوله: ﴿ مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾، في آية الروم لمكان[1] ضميره صلى الله عليه وسلم.

وأما آية الرعد فمُوَازِنٌ لها[2]، ومناسب ما تقدم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[3]، فتأخر الضمير في الآيتين للموازنة والتقابل. والثانية منها محمولة على الأولى في رعي ما ذكر.

فإن قلت: فلم تأخر ضميره عليه السلام[4] في الآية الأولى، عن ذكر الرُسُل.

قلت: لأن ذكرهم هنا عليهم السلام، لم يرد معرَّفاً بأحوالهم وما منحوا من الاصطفاء والتكريم. ولو ورد ذكرهم لهذا الغرض لكان اسمه عليه السلام مُتقدِّمَ الذكر كما في الآي[5] الواردة بذلك. وانما ذكر هنا إساءة[6] مكذبي أممهم [١٣٤/و] اليهم ونيلهم منهم ضروب المضرات، وليس ذلك مما يعرف بمناصبهم في التفضيل وانما[7] ذكر ذلك[8] ليتأسى بهم نبينا صلى الله عليه وسلم في الصبر والتحمل، وليقْتَدِيَ بهداهم كما أمر في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[9]، ولا تستعجل لهم. ثم له صلى الله عليه وسلم السيادة المعروفة والمكانة المتقررة فقدم

(١) ج، ك: ولمكان.
(٢) ك: بها.
(٣) الآية / ٣٢.
(٤) ك: صلى الله عليه وسلم، ج، ع: عليه الصلاة والسلام.
(٥) ك: الآية.
(٦) ك: إشارة.
(٧) ج: وإذا.
(٨) ساقط من ج.
(٩) الأحقاف / ٣٥.

ذكرهم في قوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾، وتأخر ضميره عليه السلام لما ذكر، ثم[1] وردت الآية بعد مجرى الأخبار فيها على ذلك إحرازاً للمناسبة والموازنة. وأيضاً فليس[2] ذكرهم مُجْمَلاً غير مُفَصَّلٍ كذكرهم على التعيين بأسمائهم. وقد تقدم الإيماء الى هذا[3]، والله سبحانه أعلم بما أراد.

سورة ابراهيم عليه السلام

١٩٨ ـ الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (١)

وفي سورة سبأ (٦): ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

وورد في سورة الحج (٢٤): ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾، فورد في هذه السور الثلاث ذكر الصراط مضافاً في السورتين منها الى ﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ مِنْ أسمائه، ثم اتبع بالحميد، واقْتَصَر في سورة الحج على اضافته الى اسمه[4] ﴿ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[5].

---

(١) هـ: لمّا ذكرتم.

(٢) ج، ع: قلت.

(٣) ما بعدها إلى آخر الكلام محذوف من ك، وحذف في ب (سبحانه).

(٤) ساقط من ج، هـ، ع.

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك).

والجواب عنه ـ والله اعلم ـ أن آية ابراهيم لما ورد فيها قوله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، وكان السابق من مفهوم هذا، أن ذلك الأمر[1] بيده عليه السلام. وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2]، وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[4]، فلما كان السابق من مفهوم[5] آية ابراهيم ـ كما ذكرنا[6] ـ أشار وصفه تعالى بالعزة الى قدرته تعالى وقهره وأنه لا يكون من العباد إلّا ما سبقت به إرادتُه التي لا يخرج واقع عن حكمها، وتعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، ولو شاء لهدى الكل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[7]، فأحرز الوصف بالعزة هذا المعنى العظيم، ولو لم يرد هذا الوصف لما تحرَّر هذا المقصود. وكذا الوارد من قوله في آية سبأ[8]: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾، والرؤية هنا بمعنى العلم، والحق مفعولها الثاني والضمير فَصْلٌ لا موضع له من الإعراب. ومحال أن يرى مَنْ وَصَفَهُ بالعلم حكم الله جارياً في خلقه[9] إلّا على ما يشاؤه ويريده، وأنه لو شاء لجمعهم على الهدى[10]. فهذه الآية كآية ابراهيم من غير فرق. وبوصفه سبحانه بالعزة تمام مقصودها كالمتقدمة وليس للمدعوين إلّا ما سبقت به

---

(١) ساقط من ج، هـ، ع.
(٢) آل عمران / ١٢٨.
(٣) الشورى / ٤٨.
(٤) القصص / ٥٦.
(٥) ج، ب، ع: مفهم.
(٦) هـ، ب: ذكر.
(٧) السجدة / ١٣.
(٨) آية / ٦.
(٩) ك: حكم الله تعالى في خلقه جارياً.
(١٠) ج، هـ، م: وأنه يجمعهم على الهدى.

ارادته ولا بِيَدِ نبيه صلى الله عليه وسلم إخراجهم ولا هداهم، [١٣٤/ظ] ولم يُرِدْ في هاتين الآيتين أن الإخراج من الظلمات الى النور والهداية مما وقع وانقضى وانما مقتضى الآيتين[١] رجاء إجابتهم وهدايتهم[٢] عند دعائه عليه السلام. ثم الرجاء راجع الينا، وربنا المنزه المتَعالِي[٣] عن الاتصاف[٤] وقد أحاط علمه سبحانه بما يكون منهم وانما خوطبنا على ما نتعارف[٥]. قال سيبويه ـ رحمه الله، وقد تعرَّض لهذا ـ وقد ذكر هذا في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٦]، و[٧] ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[٨] فقال: «لأنه لا ينبغي أن تقول إنّه دعاء ههنا، لأن الكلام بذلك قبيح»[٩]، ولكن العباد إنما كُلِّمُوا بكلامهم، وجاء القرآن على لغاتهم وعلى ما يعْنُونَ فكأنه ـ والله أعلم ـ قيل لهم: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾، و[١٠]﴿ وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾. أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم، لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة، ووجب لهم هذا.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[١١].

---

(١) ساقطة من ج، ب، ع.
(٢) ك، ب: وهداهم، وما بعدها إلى قوله (الاتصاف) ساقط من ك.
(٣) ج، هـ، ع: المتعال.
(٤) ج، ع: الاتصاف به.
(٥) ك: خوطبوا على ما يتعارفونه.
(٦) المرسلات / ١٥، ثم وردت بعد ذلك في تسعة مواضع منها.
(٧) ساقط من ج، ك، ب، ع.
(٨) المطففون / واحد.
(٩) العبارة مضطربة في النسخ وما أثبتناه من الكتاب ج ١/ ٣٣١. ففي ج، هـ: (لأنا نقول: إنَّ الويل دعاء...)، وفي م: (لا أنَّا نقول...)، وفي ك: (لا ينبغي أن يقال إنّ دعًا ها هنا..) وفي ب: (فقال: لا أن تقول ها هنا)، وفي ع: (لا أن نقول: إنّ الويل...).
(١٠) هكذا في ك، وسقط العاطف من بقية النسخ.
(١١) طه / ٤٤.

فالعِلْم[1] قد أتى من وراء[2] ما يكون، ولكن اذهبا أنتما على طمعكما ورجائكما ومبلغكما من العلم وليس لهما أكثر من ذا[3] ما لم يعلما.

ومثله: ﴿ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[4]، فانما أُجْرِيَ هذا على كلام العباد الذي به[5] أُنزِلَ القرآن[6]. فقد تبين تساوي هاتين الآيتين في استدعائهما وصفه تعالى بالعزيز لما يحرز من المعنى المتقدم.

أما آية سورة الحج، فقوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾، إخبار منه سبحانه بما شاءه لهؤلاء من فوزهم وفلاحهم، قد تم حكمه وانقضى، فلم يكن لِيُناسِبَه ما يفهم القهر. وانما المناسب ما يفهمه اسمه الحميد. فورد كل على ما يجب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب ولا ليلائم، والله سبحانه أعلم.

١٩٩ ـ الآية الثانية قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ (٣٢).

وقال في سورة النمل (٦٠): ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ ﴾ ـ الآية.

---

(١) جميع النسخ: والعلم، وتصويب العبارة من الكتاب.
(٢) الجار والمجرور ساقطان من ك.
(٣) ك: من هذا.
(٤) التوبة / ٣٠.
(٥) هكذا في ك فقط ونص سيبويه (كلام العباد، وبه أنزل القرآن)، وبقية النسخ (كلام العرب).
(٦) راجع النَّصّ في الكتاب ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

يسأل هنا[1] عن تأخر ﴿ لكم ﴾ في آية ابراهيم عن لفظ أنزل وإيلائها اياها مقدَّمَةً[2] في آية النمل، ما وجه ذلك.

والجواب أن آية ابراهيم قد تقدمها قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ ﴾ ـ الآية[3] وقد علم المؤمنون أن الله غني عن العالمين، وأن المُنزَل من ماء السماء انما هو رحمة للعباد، واحياء الأرض بعد موتها ليخرج ما بَثَّ فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمرات، وغير ذلك مما به صلاح أحوال العباد وتتميم[4] معايشهم ولم يَغِبْ عن المؤمنين المذكورين قبل أن ربهم غَنِيّ عن ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به فلم يحتج هذا الى تنبيههم[5] بأن ذلك لهم، إذْ حالهم التذكر[6] وموالاة الاعتبار لا[7] الغفلة، وأخر ذكر ذلك[8] الى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة [١٣٥/و] والطيب من الرزق: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[9].

وأما آية النمل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[10]. فلما تضمنت تعنيف المشركين على[11] سوء مرتكبهم وعَمَاهُم عن التفكر

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) ج: فقدمه.

(٣) الآية/ ٣١، وزاد في ك من الآية: ﴿وَيُنفِقُوا﴾.

(٤) ك: وتتم، ب: وتميم.

(٥) ج: تفهيمهم.

(٦) ك: إلى تنبيههم حالهم التذكير (هكذا).

(٧) في ك فقط.

(٨) ك: تلك.

(٩) الأعراف/ ٣٢.

(١٠) الآية/ ٥٩.

(١١) ج، هـ، ب: عن.

والاعتبار قصد تحريكهم وإيقاظهم[1] من رقدة الغفلة، فقيل: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ ﴾، فحصل تنبيههم وإعلامهم أن انزال الماء من السماء انما هو لهم، وأنه لا حاجة به سبحانه اليه[2] فاستَجرَّ الكلام تعنيفهم. ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية: ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[3]، أي يعدلون بربهم غيره، أو يعدلون بعبادته الى عبادة غيره. وكل هذا شِرْك لا فلاح معه. فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور وشأنه أبدا إذَا قُدِّمَ احراز معنى[4] التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لدى[5] غفلة. أما إذا تأخر فلا يُحْرِزُ هذا المعنى على الصفة التي [تُحْرِزُهُ][6] متقدماً. وتأمل الوارد من هذا في نظائر هذه كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[7]، خطابا لمن تقدم ذكره في قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾[8]، وقوله خطابا لفرعون[9] وملئه: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾[10] وهذا بعد قول فرعون في إخبار الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾[11] ـ الى قوله تعالى ـ ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ

---

(١) ج، ع: ايقاضهم.
(٢) ج، ب، ع: اليهم.
(٣) الآية / ٦٠.
(٤) ج، هـ: هنا.
(٥) ج، ع: لذا.
(٦) جميع النسخ: يحرزه.
(٧) الزخرف / ١٢.
(٨) الزخرف / ٩.
(٩) ما بعدها إلى قوله (بعد قول فرعون) في ك فقط.
(١٠) طه / ٥٣.
(١١) بعدها في ج، ع: قال إلى قوله تعالى: فما بال..

﴿ الْأُولَىٰ ﴾[1] . وقد تقدم بيان هذا في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا[2] أَحَدٌ ﴾. وما أنشده سيبويه ـ رحمه الله ـ من قول الشاعر[3] :

لَتَقْرَبُنَّ قَرَباً جِلْذِيّاً   مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيّا

ولا[4] إشكال في ذلك كله لمن اعتبر.

٢٠٠ ـ الآية الثالثة (غ) قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤).

وفي سورة النحل (١٨) : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. فأعقب[5] في الأولى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾، بغير ما أعقب في الثانية فيسأل عن ذلك.

والجواب عنه والله أعلم ـ أن آية ابراهيم تقدمها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ[6] كُفْرًا وَأَحَلُّوا دَارَ الْبَوَارِ ﴾[7]، ثم قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[8]. ثم ذكر إنعامه[9] على عباده في قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ

---

(١)) طه / ٤٩ ـ ٥١.

(٢)) مهموزة في جميع النسخ (كفؤاً) وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وأبو عمرو في رواية اليزيدي، وعاصم في رواية أبي بكر، واختلف فيها عن نافع. السبعة / ٧٠١، ٧٠٢، البحر ٨/٥٢٨، الاتحاف / ٤٤٥.

(٣) انظر تخريجه في الآية التاسعة والعشرين من آيات سورة البقرة.

(٤) إلى آخر شرح الآية محذوف من ك.

(٥) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه تعقيبه في الأولى بغير ما أعقبت في الثانية والجواب عنه . . .).

(٦) ما بعدها إلى قوله (ثم قوله) محذوف من ب.

(٧، ٨) الأيتان / ٢٨، ٣٠.

(٩) ساقطة من ج، هـ.

مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ وَآتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[1] فناسب ما ذكره تعالى، من تَوَالِي إنعَامِه، ودُرُورِ[2] إحسانه، ومقابلة[3] ذلك من العبيد بالتبديل، وجَعْل الأنداد، وَصْفُ الانسان بأنه ظلوم كفار.

أما آية النحل، فلم يتقدمها غير ما نَبَّه سبحانه عباده المؤمنين من توالي الآية وإحسانه وما ابتدأهم به من [١٣٥/ظ] نعمه من لدن قوله: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[4]، ثم توالت آية الامتنان والإحسان[5] فقال تعالى: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ﴾ فذكر تعالى بضعا وعشرين من أمَّهَاتِ النِّعَم، الى قوله منبِّها وموقظاً من الغفلة والنسيان: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾[6]. ثم أَتْبَع بقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾، فناسب ختام هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وجاء كل على ما يجب[7] والله أعلم.

٢٠١ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٥٢).

وفي سورة صٓ (٢٩): ﴿ كِتَـٰبٌ أَنْزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّـرُوا ءَايَـٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَـٰبِ ﴾.

---

(١) إبراهيم / ٣٢ ـ ٣٤.
(٢) ب: وورود.
(٣) في ك نقطو بقية النسخ: «مقابلته».
(٤) الآية / ٤.
(٥) ك: الامتنان الأحيان (؟).
(٦) الآية / ١٧.
(٧) ساقط من ك، وزاد في ج، ع بعده (ويناسب).

للسائل أن يسأل عن وجه اختصاص[1] آية ابراهيم بقوله: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾، وآية صٓ بقوله: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ ﴾ بتاء التَّفعيل.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن كُلًّا من[2] الموضعين حاصل فيه التناسب. أما آية ص، ففي قوله: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ﴾ حرفان من الحروف الشديدة، وهما: الباء والدال[3] وثانيهما مضاعف[4] فنسق عليهما[5] قوله: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ ﴾. وفيه أيضاً حرفان من حروف الشدة وهما: التاء والكاف، وثانيهما مضاعف. والتناسب بهذا واضح[6].

وأما آية ابراهيم ففيها[7]: ﴿ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا ﴾[8]. وقد عَرِيَتْ الكلمتان من حروف الشدة، وانما جميعها من الرِّخْوَة[9]، وهي ضد الشديدة فناسبها عطفاً عليها قوله: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ ﴾[10]، إذْ ليس فيه من الحروف الشديدة غير الكاف. وأيضاً فإنّ «يذَّكَّر»، و«يَتذكَّر» معناهما واحد والأصل للمدغم مَفْكُوكُه[11]. فلفظ يذَّكَّر ثان عن يتذكر وهو اكثر استعمالا، وأخف لفظاً فقُدِّم في سورة ابراهيم، وأخِّر الأثقل في سورة «صٓ» على الترتيب المتقرر على ما تقدم[12] في قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ في سورة

---

(١) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه اختصاص).
(٢) ساقطة من ج، ك، ع.
(٣) هـ، م، ك، ب: والكاف، ولعله انتقال نظر.
(٤) هـ، ع: مضعف.
(٥) ك: عليه.
(٦) ك: اوضح.
(٧) ك، ب: فورد فيها.
(٨) ك: زاد من الآية ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾.
(٩) ج، ع: الرخو.
(١٠) ك: وليتذكر.
(١١) ج، هـ، ب، ع: مفكوكة.
(١٢) ج، ك، ب، ع: على ما تقرَّر.

البقرة، وقوله: ﴿ مِمَّنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾، في سورة طه.

وقد تقدم من هذا نظائر وسيأتي أمثالها واطِّراد[1] ذلك شاهد برعيه، فحصل التناسب للفظين من هذين الوجهين، وأنَّ عكس الوارد لا يناسب والله أعلم.

سورة الحِجْر

٢٠٢ ـ الآية الأولى منها[2] (غ)[3] قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وفي سورة[4] النمل (١): ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾. فورد في هاتين السورتين ذكر الكتاب والقرآن معاً منسوقاً أحدهما على الآخر، ثم اختلفت كيفية الإيراد فقدم[5] في الأولى ذكر الكتاب، وأخرُ في الثانية.

والجواب عن هذا، قد تقدم في سورة الرعد.

٢٠٣ ـ الآية الثانية (غ) قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ. وَمَا يَـأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٠ ـ ١١).

---

(١) ج: واطرد.
(٢) إلى هنا ساقط من هـ، م، ك.
(٣) ساقطة من هـ، م، ك، ب.
(٤) محذوفة من ب.
(٥) ج، ع: فقد تقدم.

وفي سورة الزخرف (٦،٧): ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [١٣٦/و] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن[1] تخصيص آية الحجر بقوله: ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾، وآية الزخرف بقوله: ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾.

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم في آية الزخرف لفظ «كَمْ»[2] الخبرية، وهي للتكثير، ناسب ذلك كله من يوحى اليه من نَبِيّ مُرْسَل أو نَبِيٍّ غير مُرْسَل. فورد هنا ما يَعُمُّ الصنفين عليهم السلام.

أما آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يُطْلَب بالتكثير[3] مع ما تضمنت من قصد[4] تأنيسه عليه السلام وتسليته، فخصت بالتعيين[5] باسم الرسالة تسلية له عن قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وبما جرى للرسل قبله عليهم السلام من مثل ذلك. ومن البيّن أن موقع رسول هنا أمْكَنُ في تسليته عليه السلام. فجاء كل[6] على ما يجب من المناسبة والله أعلم.

٢٠٤ ـ الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٢).

وفي سورة الشعراء (٢٠٠): ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾.

فللسائل أن يسأل عن وجه ورود ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ في سورة الحجر، وورود

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص).
(٢) ج، لم آية.
(٣) ج، هـ، ع: التكثير.
(٤) ج، ب، ع: وصف.
(٥) ك: التعبير.
(٦) ب: كل مناسب والله أعلم.

﴿ سَلَكْنَاهُ ﴾ في سورة الشعراء[1].

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنه تقدم آية الحِجْر قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[2]، وهو قول العتاة من كفار قريش وغيرهم الذين عُتُوا[3] بقوله تهديداً[4] ووعيدا: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[5]، ولم يتقدم في هذه السورة[6] إخبار بحال[7] غيرهم من مكذبي الأمم سوى التعريف بأن كل قرية أُهْلِكَتْ فبأجَل معلوم، وكتاب سابق، ولا يتأخر عليه ولا يتقدم. فحال هؤلاء كحال من تقدمهم كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[8]، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، الضمير للذكر المتقدم وهو هنا القرآن، والمراد بسلوكه في قلوبهم ما تحصّل عندهم[9]، وقُطِعُوا به من معرفتهم بباهر نظمه، ورفيع إيجازه، وعليّ تناسبه وأنه[10] يفوق كل كلام مع انه بلسانهم[11]، وقد علموا مع هذا عجزهم عن معارضته، مع أنه لم يرد بغير لسانهم، ولا بما لا يعرفونه في [محاوراتهم][12]. فهذا المراد بسلوكه في قلوبهم[13]، فقد كانوا متفقين أنه ليس من كلام البشر. وبهذا أخبر سبحانه عنهم تسلية لنبيه عليه السلام، فقال:

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الحِجْر مع الشعراء والجواب ـ والله أعلم ـ).
(٢) الآية / ٦.
(٣) ج، ع: عتوا.
(٤) ج: تمهيدا.
(٥) الحجر / ٣.
(٦) محذوفة من ج.
(٧) ج: كحال.
(٨) فاطر / ٤٣.
(٩) ج: ما يحصل عنهم، ع: ما تحصل عنهم.
(١٠) ج، هـ، ب، ع: وأنّ.
(١١) في ك، وبقية النسخ: لِسَانه.
(١٢) ك: مجاوزاتهم، وبقية النسخ: محاولتهم.
(١٣) ج، ب، ع: طريقهم.

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1] ويعجزهم عن معارضته قامت الحجة عليهم، ثم امتنعوا عن[2] الإيمان بما سبق لهم في الأزل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾[3] . فورد هنا: نسلكه بلفظ المُبْهَم لأن[4] الإخبار عن كفار قريش ممن استمر على كفره فهو حالهم وقت نزول القرآن وبعده. وقوله: ﴿ نَسْلُكُهُ ﴾، [١٣٦/ظ] مشعر باستمرار حالهم وموافاتهم على ذلك. وقد تأكد هذا بوصفهم بالإجرام وتسجيل حالهم السيء بقوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وأداة «لا» نافية للمستقبل، فناسب هذا لفظ المبهم المضارع.

أما آية الشعراء فقد تقدمها ذكر قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وغيرهم من الأمم المكذبين بعد سلوك ما ذكر سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[5]، في قلوبهم. فلما تقدم أمر هؤلاء، وانقطعت أزمانهم وقعت العبارة بالماضي فقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ ﴾، ولم يناسب[6] غير الماضي. فقد وضح ورود كل من الموضعين على ما يناسب، ولم يناسب عكس الوارد، والله أعلم.

٢٠٥ ـ الآية الرابعة قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (٣٤ ـ ٣٥).

وفي سورة صٓ (٧٨): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

---

(١) الأنعام / ٣٣.
(٢) ك: من.
(٣) يونس / ٩٦، ٩٧.
(٤) ج، هـ، م: لا ـ الإخبار.
(٥) الشعراء / ١٩٦.
(٦) ج، ع: يناسبه.

للسائل أن يسأل عن[1] وجه اختلاف العبارتين من ورود اللعنة في سورة الحجر بالألف واللام، وفي «صٓ» بالاضافة، مع اتحاد المعنى.

والجواب عن ذلك[2] ـ والله أعلم ـ أن آية الحجر، وردت بالألف واللام[3]، وهي الأداة المقتضية للحصر[4] الجنسي حيث لا عَهْدَ. وذلك وارد على ما ينبغي لما قصد من المبالغة، ولا سؤال فيه.

وأما الوارد في سورة «صٓ»، مضافاً لياء المتكلم، فوجه المناسبة اللفظية لقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[5] فجرت العبارتان على منهج واحد، ومسلك متناسب[6]، ولم يكن لِيَتناسَب[7] العكس فيما ورد[8]، والله أعلم.

٢٠٦ ـ الآية الخامسة (غ) قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٥٣).

وكذلك في سورة والذاريات (٢٨): ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾، وورد في سورة والصافات (١٠١): ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴾. خلاف[9] الوصف بالعلم في السورتين[10].

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).
(٢) ك، ب: عنه.
(٣) ج، ك: بالألف والالف.
(٤) ساقطة من ج، وفي ك: لحصر الجنس، ب: الحصر الجنسي.
(٥) الآية / ٧٥.
(٦) ك: فناسب.
(٧) ج: ليناسب.
(٨) سقط من ج قوله: (فيما ورد).
(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود الأخير بالوصف في الحلم خلاف السورتين، والجواب والله أعلم).
(١٠) ج، هـ، ب، ع: في السورتين بالعلم.

ووجه ذلك، والله أعلم، أن آية «والصَّافَّات»، لما[1] وردت كالتمهيد[2] لِمَا تَلَاها متصلاً بها من قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾[3]، فتلقى الذَّبيحُ عليه السلام ما أخبره به أبوه ـ لعلمه أنه من أمر الله ـ بالرضى، والصبر، والقبول. قال ابن عطية في تفسير حليم: صابر، مُحتَمِل[4]، عظيم العقل قال: والحلم العقل، فأحسن عليه السلام جواب أبيه، معزِّيًا له محتسباً نفسه. فناسب هذا الوضع ورود وصف الذبيح بالحلم. ولما لم يرد في الآيتين الأخريين ذكر الأمر بالذبح[5]، ناسبهما الوصف بالعلم، وهو صفة الأنبياء. فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٠٧ ـ الآية السادسة من سورة الحِجْر قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ. وَإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٥ ـ ٧٧) [١٣٧/ و].

فيها سؤالان: جمع آيات في الأولى، وإفراد ذلك في [الثالثة]، وتخصيص الاعتبار أولاً[6] بالمتوسمين، وثانياً بالمؤمنين.

والجواب أن المتقدم من ذكر ضيف ابراهيم ووَجَلِهِ عليه السلام منهم، مع أنه كان لا يَهَاب كثرة الرجال، لما صح من القوة والأَيْد الى حال النبوة، وتخصيص الخُلّة[7]، ثم بشارة الملائكة بالولد مع بلوغ الكِبَر، ثم سؤاله إياهم

---

(١) هـ، ك، م: فلما.
(٢) ج، ب، ع: كالتهديد.
(٣) الآية / ١٠٢.
(٤) ج، هـ، ع: فتحمل.
(٥) هـ، ب: الذبيح.
(٦) ك: أولى.
(٧) ك: الجلة. والخلة بضم الخاء بمعنى الصداقة، والصفة الحسنة. يقال: هذه خلة صالحة وخلال حسنه، والخلة بالفتح هي الحاجة والافتقار. اللسان، والأساس (خلل).

عن إرسالهم، إذ ذاك فأخبروه أنهم أرسلوا لإهلاك[1] قوم لوط، وكانت مدينتهم[2] على قرب من حيث كان ابراهيم عليه السلام، فسألهم إشفاقاً ورحمة، جُبِل عليهما[3] الرسل والأنبياء عليهم السلام: أَيُهْلَكُونَ إِنْ كَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ؟!. وعن ذلك السؤال والمحاورة عبر بالمجادلة[4] في قوله: ﴿ يُجَادِلُنَا[5] فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾، أي يجادل[6] رسلنا وهي محاورته معهم وسؤاله إياهم حتى عرّفوه[7] أن آل لوط عليه السلام ناجُون إلاّ امرأته. ثم أعقَب ذلك من مجيء الملائكة من عند ابراهيم الى لوط وإنكار لوط أولا[8] إياهم حتى علم أنهم من الملائكة ثم أمْرُهُمْ إياه بأن يُسْرِيَ بأهله، وأن يقدّمهم أمامه ولا يلتفت الى ما وراءه، ولا يُعَرِّج على شيء، فإن قومه هالكون صبح[9] ليلتهم. ثم الإخبار بمجيء قوم لوط لما سمعوا بأضيافه وظنوا أنهم من البشر جاءوا مسرعين طامعين في غلبة لوط عليه السلام، وقهره في ضيفه ليأخذوهم لأغراضهم الشنيعة، ومن قبلُ كانوا يعملون السيئات فذكرهم عليه السلام، وأمرهم بتقوى الله ـ عز وجل ـ فقال: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾[10]. ثم عرض عليهم نساء آله وقومه بالوجه المُحَلّ لذلك فقال: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾[11]ونساء قوم كل نبي بنات له[12]، وهو لهم بمنزلة الأب؛ فلم

---

(١) ج، ب، ع: إلى هلاك.
(٢) ب، ع: مدينهم.
(٣) هـ، ك، ع: عليها.
(٤) ك: المجادلة.
(٥، ٦) ك: يجادلون.
(٧) ج، ب، ع: عرفوا.
(٨) ساقطة من ج.
(٩) في ك، وبقية النسخ: صبيح.
(١٠) الحجر/ ٦٨، ٦٩.
(١١) هود ٧٨.
(١٢) ساقط من ك.

يُجْدِ ذلك عليهم شيئا. وعند [1] تمردهم وطغيانهم قال عليه السلام: ﴿ لَوْ أَنَّ بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [2]، عشرة وقبيل [3] يحموني، فقالت الملائكة إذ ذاك: ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ [4]، أي لا سلطان لهم عليك ولا عون. فروي أن جبريل عليه السلام نفخ في أعيُنِهم فخرجوا وقد عَمُوا[5] قائلين: إنّ عند[6] لوط سحرة، أو كما قالوا، ثم صبحهم العذاب فأخذتهم الصيحة مُشرقين. قال تعالى: ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [7]. هذه جمل ومقدمات، عجائب من الآيات يجول فيها اعتبار المعتبر ويتسع له النظر ويتوسم فيها المتفرِّس [8] مخايل الهلاك ومقدمات التلف لأولئك الأشرار فقيل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي للمعتبرين [9] أو المتفرسين والناظرين، فهذا[10] مناسب لما تقدم [١٣٧/ظ]. ثم لما تحصل من قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ قَلْبُ مدينتهم الشاهد[11] أثَرُهُ مرئياً[12] مشاهداً لمن أتى بعدهم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾، أي طريق واضح ودليل بيِّن لمن شاهده وأبصره وذلك أمر مدرك ومعتبر متحد[13] حاصل لنا تفصيل قصصه بخبره الصادق عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي

---

(١) في ك فقط، وبقية النسخ: «وهو عند...».
(٢) هود / ٨٠.
(٣) في ك فقط وبقية النسخ: «وعشيرة يحموني».
(٤) هود / ٨١.
(٥) م، ك: عملوا.
(٦) ك، ب: «وقالوا لمن وراءهم عند لوط...».
(٧) هود / ٨٢.
(٨) ج: المفترس.
(٩) ك: المعتبرين.
(١٠) ج: فهذه.
(١١) ج، هـ، ب، ع: المشاهد.
(١٢) ك: أمره بائنا ـ مشاهداً.
(١٣) ساقطة من ب، ع، ومكانها بياض في ج، وفي ك: متخذ.

ذلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِيْنَ ﴾، فأفرد آية، وقال: ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، أي للمصدقين المشاهدين أثَرَهُم. فجاء كل على ما يجب، ولم يكن ليناسب[1] المتقدم إفراد آية، ولا جعل العبرة للمصدقين مع ذكر المتوسمين في الأخرى، ولا المتأخر ما ورد في الأولى، بل ورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٠٨ ـ الآية السابعة (غ) قوله تعالى:

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨).

وفي سورة الشعراء (٢١٥): ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فزيد هنا قوله تعالى: ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾، ومقصود الآيتين واحد[2].

فللسائل[3] أن يسأل عن وجه التخصيص.

والجواب عن ذلك أنه لما لم يتقدم آية الحجر تخصيص بمَدْعُوٍّ، بل تقدمها خطابه عليه السلام بالتأنيس والتسلية عمن أعرض، والرفق لمن آمن فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، لم يحتج هنا الى زيادة. ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[4]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على ما يخاطبه به أتبع ذلك تلطفاً وإنعاماً على من آمن به من عشيرته صلى الله عليه وسلم، وغيرهم[5] بقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقيل هنا ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾

---

(١) ج: فجاء كل على ما يناسب، ولم يكن ليناسب.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ في الثانية، ومقصود الآيتين واحد. والجواب...).

(٣) ج، ب، ع: للسائل.

(٤) آية / ٢١٤.

(٥) ك: عليه السلام وغيره.

ليكون أنصَّ في تعميم المؤمنين مطلقاً من العشيرة وغيرهم. ولو قيل هنا: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما كان نصاً في التعميم بل كان يحتمل أن يراد به خصوص المؤمنين من عشيرته عليه السلام، وكأن قد[1] قيل: واخفض جناحك لمن آمن منهم، أي من العشيرة، لأن لفظ المؤمنين هنا وإن عمَّ فإنه بما[2] تقدمه، وبنى عليه من قوله: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، يشبه الوارد من العمومات على سبب خاص وذلك مما يكْسِرُ سَوْرة عمومه، ويدخله الخلاف فجيء بالمجموع من قوله: ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ليرفع ذلك الاحتمال ويُبْقِي العُمُوم كما في الآية الأخرى.

فإن[3] قلت: إنَّ الضمير المرفوع من قوله: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ راجع الى عشيرته[4] عليه السلام، وذلك مما يلزم أن يكونوا المَعْنِيِّين بالكلام، فقوله[5] هنا: ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لا يمتنع أن يراد به الخصوص.

والجواب أن رجوع الضمير إلى العشيرة على اللزوم غير لازم، بل يمكن رجوعه إلى الجميع ممن هو[6] متماد على كفره، ومُتَّبع. أما الأول فبيّن، وأما الثاني فللارتداد[7]. وقد قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ [١٣٨/ و] قَوْمًا كَفَرُواْ[8] بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾[9]. قبل رجوع الضمير الى الكل [أَوْلَى[10]]، ليستصحب

---

(١) ساقط من ج، ع.
(٢) ك، ب: مما.
(٣) ساقطة من هـ، م، ب.
(٤) ج: عشيرتك.
(٥) م، ب: بقوله.
(٦) ك: من متماد.
(٧) ج، ك، ع: فبالارتداد.
(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ج، ع.
(٩) آل عمران / ٨٦.
(١٠) جميع النسخ: «أولا».

المؤمن الخوف. ولهذا قيل: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾، لوقوع اسم المعصية على الكفر وما دونه[1]، والله سبحانه أعلم[2].

سورة النَّحل

٢٠٩ ـ الآية الأولى منها، قوله تعالى:

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١١ ـ ١٣).

يسأل عن توحيد آية في الأولى[3] والثالثة[4]، وجمعها في الثانية المتوسطة، وعن تعقيب الأولى بقوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، والثالثة بقوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

والجواب عن السؤال الأول أن الاشارة بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾، في الآية الأولى، الى المنزل من السماء في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[5]. ثم قال: ﴿ يُنۢبِتُ

---

(١) ك: وما فوقه.

(٢) في ج فقط.

(٣) ك: في الآية الأولى.

(٤) هـ، م، ع: الثانية وهو خطأ.

(٥) النحل / ١٠.

لَكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾، اي ينبت لكم بالماء المُنزَل من السماء مع وحدته في الصفة ضروب الأقوات والفواكه وأنواع الثمرات. فقيل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ بالإفراد، لأن الإشارة الى الماء، او إلى إنبات[1] أنواع الثمرات المختلفات في الطعم والألوان مع وحدة المادة من الماء وهو واحد. وكذلك الآية الثالثة، الإشارة فيها إلى الجنس الواحد الواقع عليه لفظ «ما» من قوله: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾ فأفرد هذا الضرب لرجوعه الى ما الواقعة على جنس واحد مبثوث[2] في الأرض يشتمل على أنواع مختلفة في الطعوم والألوان، فأفرد لفظ الآية كما أفرد لفظ الضمير؛ لوقوع ذلك على الجنس الذي عبَّرْتُ عنه وهو جنس واحد، فاقتضى ذلك إفراد آية.

وأما الآية المتوسطة فالإشارة فيها الى خمسة أشياء مختلفة، أحيل عليها في الاعتبار وسخرت لنا تسخيراً به قِوَامُ مَعَاشِنا وصلاح[3] أحوالنا، ومعرفة حسابنا، وهي الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وكل واحدة من هذه تتبع[4] جهات النظر فيه والاعتبار بعجائبه. فالليل للسكن[5] والراحة، والنهار للاكتساب والتصرُّف والسياحة، والشمس للإضاءة والتسخير[6]، والقمر [١٣٨/ظ] للنور والترطيب والتلوين[7]، وبِكِلَا النيِّرين[8] معرفة الشهور والسنين: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱللَّيْلُ سَابِقُ

---

(١) هـ، ب: إثبات.

(٢) ج، ب: مثبوت.

(٣) ك: ولصلاح.

(٤) ج، ب: «وكل واحد من هذه يتبع»، ك: «وكل من هذه تتسع جهات».

(٥) ك: للسكون.

(٦) ك: التسخين.

(٧) ك: التكوين.

(٨) ساقطة من ك.

﴿النَّهَارِ﴾ [1] والنجوم للاهتداء في ظلمات البراري [2] والبحار، وجهات الاعتبار بهذه [3] الخمس تفوت الإحصاء والإشارة [4] إلى هذه المتعددات جمع فقيل: ﴿لَآيَاتٍ﴾.

والجواب عن السؤال الثاني وهو وصف المعتبرين في الآية الأولى بالتفكر، وفي الثانية بالعقل، وفي الثالثة بالتذكر [5] أن إنبات [6] الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات بالماء المُنزَل من السماء مع كونه واحداً والمُنْبَت به مختلف الأنواع والطعوم والمنافع أمر [7] يوصل الى تعرفه وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك وإنْ لم يطل بشرط السلامة من الغفلة، فيحصل بمجرد الفكر على عظيم [8] المعتبر. وأما تسخير الليل والنهار الى ما ذكر معهما [9] فلا يُكْتَفَى في معرفة ذلك والحصول على الاعتبار به بمجرد الفكر، فإن العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفى إلَّا على ذوي البصائر والفِطَر [10] السليمة، والعقول الراجحة، فلم يقنع التفكر هنا بل وصف المعتبِر بهذا [11]، بما [12] هو فوق الفكر. وتأمل ما يعقب به موسع [13] الاعتبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) يس / ٤٠.
(٢) ج: البر - وارى.
(٣) هـ: بهذا.
(٤) ك: فللاشارة.
(٥) ك: بالذكر.
(٦) هـ، ب: إثبات.
(٧) ساقطة من ج، ومكانها بياض في ع، هـ: أمْ.
(٨) ج: عظم.
(٩) ج، هـ، ك، ع: معها.
(١٠) ج، هـ، ع: النظر.
(١١) ك: بها.
(١٢) هـ، م، ب، ع: مما.
(١٣) ج، هـ، ع: توسع، ب: بوسع.

وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ ﴾[1] ـ الآية[2] ـ الى قوله ـ ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ لما كان في الاعتبار بما انطوت عليه هذه الآية[3] غموض وخفاء، قيل ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وأما الآية الثالثة وهي قوله: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾، فَبَدْأَةُ الفكر السالم[4] وقَصْدُهُ[5] التذكر كاف في حصول الاعتبار بذلك. فإذا تأملت ما ذكرناه ألفيت ذلك كله وارداً على أجل مناسبة، وعلمت أن كل آية من هذه الثلاث لا يناسبها إلّا ما أعقبت به.

٢١٠ ـ الآية الثانية من سورة النحل قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٤).

وقال في سورة الملائكة (١٢): ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

في هذه الآية ثلاث سؤالات:

الأول: لم[6] أخّر المجرور في سورة النحل فقيل: ﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾،

---

(١) البقرة / ١٦٤.
(٢) ج، هـ، م، ع: الآيات خطأ.
(٣) ج، ب، ع: الآيات خطأ.
(٤) ك: السليم.
(٥) ج، هـ، م، ع: فقصد.
(٦) ج، ك: لما.

وقدم في السورة الأخرى، فقيل: ﴿ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾.

الثاني: زيادة الواو في قوله: ﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ في سورة النحل وسقوطها في سورة الملائكة.

والثالث: زيادة ﴿ مِنْهُ ﴾ في سورة [١٣٩/و] النحل[1] في قوله: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً ﴾، وسقوط ذلك في سورة الملائكة.

والجواب عن الأول أن آية النحل بنيت على تأخر المجرورات عما[2] تعلقت به، وجرى الكلام جرياً واحداً للمتناسب والتشاكل، فقيل: ﴿ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ ﴾، ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ ﴾، و﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾. ولو قيل هنا: «فيه مواخر» بتقديم المجرور على العامل فيه، وهو «مواخِر»، اسم فاعل مجموع من المَخْرِ، وهو شق السفينة الماء بحيزومها[3]، لما ناسب ما تقدم مما بنيت الآية عليه وتقدم في المجرورين قبله.

وأما آية الملائكة فمبنية على تقديم المجرور على ما به تعلّق. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً ﴾، فتأكلون، العامل في المجرور الذي هو «من كل» متأخر عنه فناسب ذلك تأخير العامل أيضاً في المجرور الثاني ليناسب الكلام بناء[4] آخره على ما بُنِيَ عليه[5] أوّله، ولم يكن ليصح ما لا يناسب.

والجواب عن السؤال الثاني أن آية النحل مبنية[6] على قصد الاعتبار،

(١) ما بعدها إلى آخر آية النحل، محذوف من ك.
(٢) هـ، م، ب: كما.
(٣) ج، ع: بحيزوفها. والحيزوم: ما استدار بالظهر والبطن، وما اكتنف الحلقوم. ومن السفينة مُقدَّمُها.
(٤) ب: بينا.
(٥) ساقط من هـ، م، ك.
(٦) ساقطة من ك.

وتعداد[1] النعم. وقد اجتمع في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ[2] لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا﴾ ـ الآية، مجموع الأمرين من الاعتبار وإبداء النعمة بتسخير البحر وأكل اللحم الطري منه، وإخراج الحلية للناس، ومَخْر[3] السفن اياه للمنافع والاكتساب. فهذه نعم جليلة وفي كل منها مجال للاعتبار، ومتسع للتفكر والنظر. فلما كان من مقصود هذه الآية تعداد النعم، ناسب ذلك عطف بعضها على بعض لأنه مظنة إطْنَاب وتفصيل، فقيل[4]: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، والمجرور متعلق بفعل التسخير[5]، أي سخره للأكل، واستخراج الحلية، وجري السفن، والابتغاء من فضل الله.

وأما آية سورة الملائكة فمبنية[6] على إبداء القدرة وجليل[7] الحكمة. ألَا ترى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[8]، ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[9]. فهذا مقصود الاعتبار والتعريف بانفراده سبحانه بخلق ذلك كله، والقدرة عليه وإحكام الصنعة وإن انْجَرَّ طَيَّ[10] ذلك إبداء النعم وجليل الإحسان إلَّا أن مقصود الآية وبناءها على ما ذكرناه ثم تجرَّد باقي الكلام للتعريف بالإنعام والامتنان، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلٍّ

---

(1) ج، ب: تعديد.
(2) ما بعدها إلى «طريا» من الآية في م فقط.
(3) ج: وبجرا، ك: ومخرج.
(4) ج، ب، ع: قيل.
(5) ما بعدها إلى كلمة (للأكل) محذوف من ك.
(6) ك: فَبُنِيَتْ.
(7) ج، ع: جليل.
(8، 9) فاطر/ 11، 12.
(10) ج، ع: في طي.

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾، فتعلق [١٣٩/ظ] المجرور الذي هو ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾، بإسم الفاعل المجموع، أي سخره[1] للابتغاء[2] من فضله. فالابتغاء[3] هنا مُنْجَرٌ طيّ الكلام[4]، والامتنان مقصود، إلَّا أن [مخر][5]السفن كأنه ليس لشيء إلَّا للابتغاء. فلما تعلقت اللام بمواخر من حيث تحمل[6] اللفظ معنى الفعل، لم يصح دخول الواو، ولم يكن كآية النحل، فافترق المقصدان، ولم يلائم كُلًّا من الموضعين، إلَّا الوارد فيه.

والجواب عن السؤال الثالث، أن المعنى في قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، مستقل[7] لا إيهام[8] فيه ولا إحتمال، لأن تقدير الكلام: ومن كُلِّ البحرين[9] أكلكم[10] واستخراج الحلية لِلُّباس[11]. فالكلام في قوة المبتدأ والخبر، لا يوهم خلاف ما ذكر. وأما قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، فلو سقط هنا المجرور الذي هو ﴿مِنْهُ﴾، لكان مجالاً[12] للاحتمال. [و]لو قيل: وتستخرجوا حلية[13]، لم يكن بالنص في

---

(١) م: مجرد، ك: سخر.
(٢) م: الابتغاء، ك: لابتغاء.
(٣) ك: فالاعتبار.
(٤) ج، ع: إلا كلام.
(٥) ك: سخر، بقية النسخ: مجرى.
(٦) ك: بمواخرة من حيث يحمل.
(٧) ك: مستقبل.
(٨) ج، هـ، ع: إبهام.
(٩) ك: البحر.
(١٠) ج: أكلهم.
(١١) ج، هـ، م، ع: للناس.
(١٢) ك: محتالاً.
(١٣) ساقطة من ج، هـ، ع.

أنَّ استخراج الحلية من البحر، وإن كان ظاهراً، إلاَّ أن هذا القدر من الاحتمال منقدح هنا، وغير منقدح في آية الملائكة، فثبت الضمير هنا رافعاً لهذا الاحتمال، ولم يثبت في آية سورة الملائكة، إذْ لا انقداح فيها للاحتمال. فورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٢١١ ـ الآية الثالثة من سورة النحل[١] قوله تعالى[٢]:

﴿فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩).

وفي[٣] سورة الزُّمَر (٧٢): ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وفي سورة المؤمن (٧٦): ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة[٤] اللام في آية النحل، وسقوطها من الآيتين الأخريين، وما وجه ذلك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية النحل تقدمها ثماني[٥] آيات أو نحوها في ذكر هؤلاء المَقُولِ لهم: ﴿فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾، وفي وصفهم من لَدُن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾[٦]. وتلك إطالة في

(١) قوله «من سورة النحل» محذوف من ب.
(٢) عنوان الآية كله ساقط من هـ.
(٣) إلى آخر آية الزمر ساقط من هـ.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة اللام...).
(٥) ج، ع: ثمان.
(٦) الآيات / ٢٤ ـ ٢٩.

ذكرهم، واستيفاء يناسبه التأكيد باللام المشيرة الى معنى القَسَم.

وأما الآيتان من سورة الزمر، وسورة المؤمن فإن المتقدم في الأولى منهما قوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ ﴾[1]. وذلك كلام[2] قد جُمِعَ الى الوَجَازَة أنه[3] لم يذكر من كفرهم ما ذكر في المذكورين قبل آية النحل من ردّهم المُنَزّل بقولهم: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾. وتلك مقالة شنعاء من كفرهم. فناسب إيجاز الواقع قبل آية الزمر مع ما أُجْمِل فيها من كفرهم، سقوط اللام من قوله: ﴿ فَبِئْسَ ﴾ [١٤٠/و]. وأما آية سورة المؤمن، فلم يقع أيضاً قبلها من استيفاء التعريف ما وقع في سورة النحل، ولا نَصٌّ من شنيع مرتكبهم على غير هذا التكذيب، فناسب ذلك سقوط الكلام، كما في الزُّمَر، وورد كلٌ على ما يجب ويناسب.

٢١٢ ـ الآية الرابعة (غ)[4] قوله تعالى:

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٣٤).

وفي سورة الزُمَر (٥١): ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ استدعاء التناسب، في كل من الموضعين. وقد ورد قبل آية النحل قوله تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

(١) الآيتان / ٧١، ٧٢.

(٢) في ع فقط.

(٣) ساقط من ج، ع.

(٤) ساقط من ك، ب، والآية من المُغفَلات.

بِما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، ثم صرف الكلام الى كفار العرب في توقفهم عن الإيمان فقيل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ﴾[2]، ثم قيل[3]: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[4]. والمراد: من قال: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾، [ومن][5] كان على مثل حالهم، فقيل بناءً على قولهم: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾[6]، ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾[7]، وتناسب هذا أبْيَنَ تناسُب.

وأما آية الزمر، فقد وقع قبلها قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ـ الى قوله[8] ـ ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ. وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[9]. وبعد هذا: ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[10] ثم قال[11]: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ[12]، وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰؤُلَاءِ ﴾[13]، يعني كفار العرب، سَيُصِيبُهم سيِّئاتُ ما كسبُوا؛ فقد وضح وجه التناسب في الآيتين. وعكس الوارد لا يناسب، والله أعلم.

---

(1) الآية / ٢٨، وزاد في ك: (ثم استمرت الآي إلى قوله: ﴿ ادْخُلُوا الجنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.
(2) الآية / ٣٣.
(3) ب: قال.
(4) آية / ٣٥.
(5) جميع النسخ: وما كان.
(6، 7) الآيتان / ٢٨، ٣٤.
(8) ج، هـ، م، ع: إلى قولهم.
(9) الآيتان / ٤٧، ٤٨.
(10) لزمر / ٥٠.
(11) ثم قال: ساقطان من ج، ع.
(12) زاد في ك بعدها (وحاق بهم يعني كفار الأرض..).
(13) الزمر / ٥١.

٢١٣ ـ الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ. ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٣ ـ ٥٥).

وفي سورة العنكبوت[١] (٦٥ ـ ٦٦): ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٢] وفي سورة الرُّوم (٣٤): ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

للسائل[٣] أن يسأل عن وجه تكرار اللام في قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾، في سورة العنكبوت، ولم يتكرر في الآيتين الأخريين، وهل بين آية العنكبوت وآيتي النحل والروم فرق في ذلك يوجب[٤] تكرار اللام حيث ذكر أم لا؟.

وهل قوله في سورة العنكبوت: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، يعم[٥] جميع المذكورين في ذلك؟ وقال في الآيتين الأخريين: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾، فَخَصَّ[٦] بعضهم [١٤٠/ظ] ولم يعم، فهل ذلك لموجب يقتضيه[٧]؟ فهذان سؤالان.

والجواب أن هذه اللام في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾، لام

---

(١) ك: أخرَ آية العنكبوت وقدّ الروم وزاد فيها (وفي الروم: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ..﴾ وما أثبتناه هو ترتيب المصحف.

(٢) ما بعدها إلى آخر آية الروم ساقط من هـ.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرار الأم..).

(٤) ج: لوجب، هـ، ب، م: فوجب.

(٥) ك: مع جميع، ب: فعم جميع.

(٦) ج: يخص، ب: يخص.

(٧) ساقطة من ك.

الأمر المقصود[1] به التهديد والوعيد كقوله: ﴿ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[3]. وإذا تقرر هذا فقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ. ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم[4] بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[5]، خطاب يعم ولا يخص، وإذا كان الخطاب عاماً يشمل العالم الكثير فأبعد شيء أن يكونوا في[6] تلقّيه على حدّ سواء[7]، بل يكون منهم المُقْبِل والمُعْرِض. فعلى هذا الحكم ورد في سورتي النحل والروم: ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾[8]، لأن ما تقدم من الخطاب الإخباري في قوله: ﴿ وَمَا بِكُم ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ ﴾. وفي قوله: في الروم: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ ثُمَّ إذا أَذَاقَهُم ﴾ عام غير خاص؛ فأخبر سبحانه بتفصيل أحوالهم في تلقيه وأن منهم فريق يرجعون إلى ما قُدِرَ عليه من الشرك بربهم. ومفهوم هذا الكلام أن غير ذلك الفريق ليسوا مثلهم في ذلك؛ فقد تفصل تلقيهم[9]، وافترقت أحوالهم بشاهد جَرْي العادة الذي لا ينكسر. وإذا تقرر هذا فالوعيد لا يُفْهِمُ[10] معنى؛ بل يخص الفريق المسمى وإن عم بلفظه تخويفاً لمن عدا ذلك الفريق وليكون أَرْهَبَ للجميع[11]، وإنْ تفصلت أحوالهم. أما قوله في

---

(١) ك: لام مقصود به.

(٢) هود / ٩٣.

(٣) الكهف / ٢٩.

(٤) ساقطة من ب، م، هـ وزاد في هـ: «ولا يخص».

(٥) ما بعدها إلى قوله «يَخُصّ» في ك فقط.

(٦) ج، ع: على.

(٧) ك: واحد.

(٨) هكذا في آية الروم، وفي آية النحل «إذا فريقٌ مِّنكُمْ».

(٩) ج، هـ، ع: ترقبهم.

(١٠) ج، ك، ع: يعم.

(١١) ك: الجميع.

سورة العنكبوت[1]: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾ فليس هؤلاء كل الناس، ولا يتناول الخطاب غير من ذكر. فقوله[2] بعد: ﴿ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ يتناول[3] جميع من شمله[4] الضمير في قوله: ﴿ رَكِبُوا ﴾، وظاهر الخطاب تساوي هؤلاء في مرتكبهم. فالوعيد شامل لجميعهم، ومُتَنَاوِلٌ[5] جملتهم فحسن توكيد الوعيد لشموله لهؤلاء المخصوصين فقيل: ﴿ وَلِيَتَمَتَّعُواْ ﴾ ولم يحسن في المذكورين في آيتي النحل والروم لتفصيل أحوالهم فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢١٤ ـ الآية السادسة (غ)[6] قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦٠).

وفي سورة الروم (٢٧): ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

للسائل أن يسأل عما زيد[7] في آية الروم من قوله: ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، مع أنَّ ذلك مفهوم من الآية الأخرى، ومعلوم[8] لا يمكن خلافه وإن لم يقع به إفصاح في اللفظ.

والجواب أن ذلك إنما جرى بحسب مقتضى المقصود في كل من

---

(١) م، ك، ب: الروم، والصواب ما أثبتناه.
(٢) ك: بقوله.
(٣) ك: فيتناول.
(٤) ك: حمله.
(٥) ج، هـ، ب، ع: ويتناول.
(٦) في ك فقط والآية من المغفلات.
(٧) ب: صيغة السؤال (يُسأل عمّا زيد..).
(٨) ما بعدها إلى قوله «خلافه» ساقط من ك.

الآيتين. أما آية النحل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾، فقوبل بحسب التفصيل، ومقتضى التقابل بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ فتطابق[1] الكلام، وتناسب، مُوَازَنَةَ لَفْظٍ، وجليلَ تقَابُلٍ، ولم يقع قبلها ذكر السمٰوات والأرض فلم يكن ليناسب ذلك ذكرهما بعد.

وأما آية الروم فتقدمها قوله عز وجل: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾[2]. ثم قال بعد[3]: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [١٤١/و] وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. ووضوح التناسب في هذا غير محتاج الى زيادة بيان.

٢١٥ - الآية السابعة منها[4] قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٦١).

وفي سورة الملائكة (٤٥): ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

فيها سؤالان:

أحدهما، قوله في الأولى: ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾، وفي الثانية: ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾.

---

(١) ك: فطابق.
(٢) آية / ٢٦.
(٣) ج: بعده.
(٤) ساقط من ك، ب.

والثاني: قوله في الأولى: ﴿ عَلَيْهَا ﴾، وفي الثانية: ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾.

والجواب أن آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾[1]. فإشارة الآية إلى وأْدِهِم البَنَاتِ وهو أعظم الظلم وأشنعه إذ لم يتقدم للموؤدة جريمة ولا شبهة يتعلق بها قاتلها. فناسب هذا ذكر الظلم، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ والضمير من «عليها» للأرض يفهمه سياق الكلام، فناسب ما أشير إليه من عظيم ظلمهم التصريح[2] بذكر الظلم في قوله: ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾. ولمّا لم يتقدم في آية سورة الملائكة إفصاح بلفظ الظلم، بل تقدمها قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا. اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴾[3] فأُشير الى اجتراحاتهم وسيء اكتسابهم لنفورهم ومكرهم السيء فناسب ذلك قوله: ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾، وقيل هنا: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾، والضمير للأرض فَسَّرَه السياق الأول فقيل ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ ليناسب في طول تركيبه قوله: ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾، كما ناسب قوله: ﴿ عَلَيْهَا ﴾، في الآية الأولى قوله: ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ في قلة حروفه تناسب التوازن والتناظر والتقابل، فورد كل على ما يجب.

---

(١) الآيتان / ٥٨، ٥٩.

(٢) هـ، ب: التسريح، ك: التبريح.

(٣) فاطر / ٤٢، ٤٣.

٢١٦ ـ الآية الثامنة[١] قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ. وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ [١٤١/ظ] لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٦٥ ـ ٦٩).

في هذا ثلاث سؤالات: الأول إفْرَاد «آية» في ثلاثة مواضع[٢]، مع أن الثاني منها قد تفصَّل فيه الاعتبار بذكر الأنعام ولبنها، وذكر ثمرات النخيل والأعناب وما يتخذ منها، فيسبق[٣] في الظاهر أن الوجه[٤] جمع آية[٥] بخلاف الآية الأولى والثالثة، وقد أفردت فقيل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

والسؤال الثاني، ما وجه ختام الأولى بقوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾، والثانية بقوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، والثالثة بقوله[٦]: ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

---

(١) محذوفة من ب.
(٢) ج، هـ، ك، ع: الثلاثة مواضع.
(٣) ك: فسبق.
(٤) ك: الواجب.
(٥) في ك فقط وبقية النسخ (آيات).
(٦) ساقط من ك.

والسؤال الثالث، ورود الأنعام مفرداً في قوله: ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾. وَمَا الفرق بين هذا وبين الوارد في قوله في سورة المؤمنين: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾[1].

والجواب عن السؤال الأول أنّ قوله: ﴿ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، راجع إلى قوله: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ ﴾ - الآية. وذلك اعتبار باتخاذ السَّكَر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، وهو نوع واحد وقد أفرد في قوله: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ﴾، فجاء إفراد آية على ذلك. وأما إخراج اللبن من بين الفرث والدم في الأنعام فلا يرجع إليه قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾، إذ قد أغنى عن ذلك قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾، كاف عن آية، ومُغْنٍ ذلك الغَنَاءُ. فلا وجه للجمع بينهما. وإنما مرجع آية لما ذكر من المتَّخَذِ من ثمرات النخيل والأعنابِ كما تبين، فاندفع هذا السؤال جملة. ذلك[2] أن الآية الأولى للاعتبار فيها بالماء المنزل من السماء، والاعتبار في الثالثة بما تضمنت من أمر النَّحل والإيحاء إليه بما ذُكِر. فالاعتبار في كل منهما إنما وقع بنوع مفردها[3] فما[4] وقع من تفصيل، فمصرفه إلى حال أو وصف[5] مع وحدة النوع.

والجواب عن الثاني، ان وجه مناسبة قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ - الآية[6]، بناء ذلك على المتصل به من قوله: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ

---

(١) آية / ٢١.

(٢) ج، ع: وكذا، ب: وذلك، ك: فليدفع ذلك، هامش «م» بعد ذلك: «لعله أن».

(٣) ك: مفرد.

(٤) ساقطة من هـ، م، ب، وفي ك: وما.

(٥) ج، ع: أوصف.

(٦) الآية / ٦٥.

﴿ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[1]، ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾، فاتصل ذكر إنزال الكتاب، بإنزال الماء. وقد سماه رحمة، لرحمته عباده به، وماء السماء رحمة وقد سَمَّاهُ بذلك. وبالمنزل من الكتاب يُتَذكر[2] اعتبار الرحمة بالماء المنزل[3] من السماء، ولا يحتاج في ذلك الى كبير تذكر، بل التنبيه على إنزاله بالوارد في الكتاب مع مشاهدة منافعه كاف في الاعتبار في إحياء الأرض بعد موتها، [وهو] أوضح شيء[4] وأَمَارَةٌ لإحياء الموتى وإخراجهم بما[5] وُعِدُوا به، فالتحم الكلام، وتناسب النظم والمعنى [١٤٢/و] وانما تحصل ثمرة الكتاب المنزل بسماعه، ولذلك نهى المعرضون عنه أَتْبَاعَهُم فقالوا: ﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[6]. وقال في قِسْم مَنْ رُحِمَ بسماعه[7] من الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ﴾[8]، وإنما يستجيب سامعه إذا كان غير معرض فإذ ذاك[9] يصغي إلى اعتبار ما أعقب به من إنزال ماء السماء. فلهذا الالتحام ما[10]أعقبت الآية المذكورة بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴾، والله أعلم.

وأما الآية الثانية فلما وقع فيها ذكر السَّكَر في قوله تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرًا وَرِزۡقًا حَسَنًا ﴾، وذلك حكم لا يمكن الوصول الى معرفة سببه ولا تعليله بطريق الحواس، ولا يوصل إلى ذلك بجهة تفكر أو اعتبار

(١) الآية / ٦٤.
(٢) ك: يذكر.
(٣) ك: بالمنزل من.
(٤) ك: شهادة لإحياء.
(٥) ك: لما.
(٦) زاد في ك، ب من الآية: «وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ».
(٧) ج، هـ، ع: به.
(٨) الجن / واحد، وزاد في ك من الآية الثانية من السورة «يَهۡدِي».
(٩) ج، هـ، ب، ع: وإذا لم، م: فإذا لم.
(١٠) ساقطة من ج، هـ، م، ع.

عبّر [1] بقوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، إذِ العقل يُسَلِّم إمكان ما لا يُعلَم له علة مما [2] ليس بمحال فيكون مما ينفرد تعالى بعلمه ويعجز البشر عن فهمه.

وأما الآية الثالثة [3] فَمَحَلُّ مجال [4] الفكر، ومتسع الاعتبار فناسبه ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

والجواب عن السؤال الثالث أن قوله: ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾، فإفراد [5] الضمير وتذكيره مراد به الجنس. وقد حكى سيبويه ـ رحمه الله ـ أن من العرب من يقول: «هو الأنعام» [6] وعليه حمل آية الأنعام في [7] تذكير الضمير، وورد في سورة المؤمنين على التأنيث والجمع لما بُني [8] على ذلك من قوله: ﴿ نُسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾، فنوسب بضمير الأنعام ما أُتْبِع به من الضمائر في قوله: ﴿ فِيهَا ﴾، ﴿ وَمِنْهَا ﴾، ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾، فورد بصور التأنيث والجمع.

٢١٧ ـ الآية التاسعة [9] من سورة النحل قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّـٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٧٠).

---

(١) ك: عبرة.

(٢) في ك فقط وبقية النسخ: فيا.

(٣) ج: الثانية.

(٤) ك: لحال.

(٥) ك: بإفراد، وبقية النسخ: فأفرد، وما أثبتناه هو الصواب.

(٦) ك: هو ـ لانعام، وانظر سيبويه ٣/ ٢٣٠.

(٧) ك: وتذكير الضمير ورد في سورة.

(٨) ج: بنيء.

(٩) ما بعدها إلى كلمة: النحل، محذوف من ب.

وفي سورة الحج (٥): ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة: ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾، وسقوطها من آية النحل مع اتحاد المعنى. هل ذلك بسبب[١] حامل يقتضي زيادتها هنا وسقوطها هنالك؟.

والجواب أن سبب ذلك ـ والله أعلم ـ التناسب والسياق وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ. ألا[٢] ترى إلى تكرر[٣] ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ [١٤٢/ظ] وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً، وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾. فقد تكررت[٤] لفظة ﴿ مِنْ ﴾ في هذه الآية[٥] في ستة مواضع الخمسة منها قبل قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾، والواحدة بعدها. وكلها محرزة معناها الذي جيء بها من أجله، إلا التي في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾، إذ النظم مع سقوطها ملتئم[٦] والمعنى تام فاستوى وجودها وعدمها، فاستدعاها سياق آية الحج للتشاكل والتناسب المَرْعِيِّ[٧] في النظم، ولم

---

(١) ب، م، ع: لسبب، وساقطة من ك.
(٢) قوله «ألا ترى إلى تكرُّر من» ساقط من ب.
(٣) ساقط من هـ.
(٤) ج، ك: تكرر.
(٥) في ج فقط. وبقية النسخ (الآي) وما أثبتناه الصواب.
(٦، ٧) ساقط من ك.

يكن في آية النحل ما يستدعيها، إذ لم تقع في شيء من كَلِمِ الآية، فوردت حيث اقتضاها سياق النظم، ولم ترد حيث لم يرد ما يقتضيها، فورد كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن العكس. والأوْلَى في قوله: ﴿ مِّنۢ ٱلْبَعْثِ ﴾ [أن تكون] لابتداء الغاية وما بعدها للتبعيض، ألَا ترى [الى][1] التي في قوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ ﴾، فإنها زائدة رعياً للفظ، لا النافية، وإن كانت هنا مزيدة.

٢١٨ ـ الآية العاشرة[2] من سورة النحل قوله تعالى:

﴿ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٢).

وفي العنكبوت (٦٧): ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن ثبوت[3] الضمير المنفصل المبتدأ في قوله: ﴿ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ في آية النحل، وسقوطه من آية العنكبوت مع أن المعنى متَّحِد، والعبارة متكررة، أعني قوله: ﴿ أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ـ الآية، فما وجه ذلك؟.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن الوارد في آية النحل راجع الى من قُدِّمَ[4] ذكرهم في قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾[5]، وفي قوله[6]: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ لِلَّذِينَ [لَا] يُؤْمِنُونَ ﴾[7]،

(١) ساقطة من ج، وفي بقية النسخ: إلاَّ.
(٢) ما بعدها إلى كلمة: النحل محذوف من ب.
(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن ثبوت..).
(٤) ساقط من ك.
(٥) النحل / ٥٦.
(٦) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من ب.
(٧) النحل / ٥٧ ـ ٦٠.

وقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[1] وقوله: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، راجع الى المذكورين في هذه الآي، وليس راجعاً إلى ما اتصل به من قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[2]. فلما كان قوله: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ راجعاً إلى ما تباعد أتى بضميرهم المُشْعِر بالبُعْد[3] وهو ضمير الغائبين فقيل: ﴿ هُمْ ﴾، وارتفع بالإتيان به تَوَهُّم عودة ضمير ﴿ يؤمنون ﴾ الى المقول[4] لهم؛ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾.

فإن قيل: لو قيل: تؤمنون، وتكفرون، على الخطاب لكان للمخاطبين بقوله: ﴿ لَكُمْ ﴾، أما على وروده على طريقة الإخبار عن الغائبين [١٤٣/و] فلا يُوهِمُ[5] ما ذَكَرْتَ فلا ضرورة تدعو الى ضميرهم[6].

قلتُ[7]: هذا لو لم يكن الالتفات من فصيح كلام العرب، وهو الرجوع[8] عن[9] الخطاب إلى الغَيْبَة، ومن الغيبة إلى الخطاب، وإلى التكلُّم[10]، كقوله[11]:

(١) نفسه / ٦٢.
(٢) نفسه / ٧٢.
(٣) في ك فقط وبقية النسخ: بالتعداد.
(٤) هـ، م، ب: المفعول لهم.
(٥) ج: توهم.
(٦) هـ، م، ب: «تدعوهم»، بدلاً من: «تدعو إلى ضميرهم».
(٧) جميع النسخ (فقلت).
(٨) ك: المرجوع.
(٩) ج، هـ، ك، ب، ع: من.
(١٠) ك: المتكلم.
(١١) الأبيات لامرىء القيس بن حجر الكندي في ديوانه /١٨٥ برواية الطوسي. وهو الثابت الشهير في نسبتها. ونقل ابن حبيب عن ابن الكلبي أنها لعمرو بن معد يكرب. وقيل لامرىء القيس بن عابس. أنظر: ديوان عمرو بن معديكرب / ٩٢، سمط اللالىء / ٥٣١، التصريح ١/ ١٩١، شرح الأشموني على الألفية ١/ ٢٣٦، شرح شواهد المغني / ٢٤٩، شواهد النحو / ٦٩٩.

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمَدِ ... وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِن نَبَإٍ جَاءَنِي ... وَخُبِّرْتُهُ عَن أَبِي الأَسْوَدِ

فتأمل كيف التفت في قوله: وبات وباتت له ليلة، بعد الخطاب بقوله: تطاول ليلك ولم ترقد، فرجع من الخطاب إلى الغيبة، ثم قال: وذلك من نبأ جاءني، فرجع الى التكلُّم وإنما خاطب بذلك نفسه. وفي الكتاب العزيز: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾[1] فقوله[2]: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾، رجوع من الخطاب الى الغيبة، وفي الكتاب العزيز من ذلك كثير[3].

فإذا تقرر أن الالتفات من فصيح كلامهم، فما يمنع من احتمال أن يفهم قوله: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾، على أنه راجع الى المخاطبين بقوله[4]: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ على طريقة الالتفات، رجوعاً من الخطاب الى الغيبة. فجاء قوله: ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ ﴾، بضمير الغائبين؛ رافعاً لهذا الإبهام[5] ومُخَلِّصاً المعنى المقصود بالكلام من رجوعه إلى من قدم ذكره. فهذا موجب ورود هذا الضمير المبتدأ هنا.

أما قوله في سورة العنكبوت: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾، فكلام[6] لا يرجع شيء منه إلى متقدِّم قبله فيتباعد منه، بل هو مستقل[7]

---

(١) يونس / ٢٢.
(٢) إلى قوله «بهم» من الآية ساقط من ج، م، ك، ع.
(٣) راجع ما كتبه ابو هلال العسكري عن الالتفات في الصناعتين / ٤٠٧ ـ ٤٠٩.
(٤) ب: كقوله.
(٥) ك: الايهام.
(٦) م، ك، ب: فكلامهم.
(٧) ك: مستعمل، ب: يستقل.

بنفسه والمَعْنِيُّونَ[1] بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ هم المرادون[2] بقوله: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾. وليست هذه الآية مثل آية النحل فيما تقدم فيحتاج[3] فيها إلى ما احتيج هناك. فكل من الآيتين وارد على ما يجب ويناسب، ولا يمكن عكس الوارد على ما تمهد، والله أعلم.

٢١٩ ـ الآية الحادية عشرة (غ)[4] قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

وفي سورة المؤمنين (٧٨): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

وفي سورة المُلْك (٢٣): ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، فورد في هاتين نَفْيُ شكرهم على المعروف من هذه العبارة، أو تقليله بمقتضى اللفظ، وورد في سورة النحل: تَرَجِّي شكرهم، مع اتحاد المقصود من إبداء عظيم النعمة بالأسماع والأبصار.

فللسائل أن يسأل عن الفرق[5].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية النحل مبتدأة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم [١٤٣/ظ] مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾. فناسب هذا

---

(١) ك: والمعنون..

(٢) ج، هـ، ع: المراد.

(٣) ك: فيتاج.

(٤) ساقطة من ك، والآية من المغفلات.

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينها).

لكونه وصف حال قبل تعيين التكليف. وورود[1] التَّرَجِّي [معناه أنَّه] لا يكون منهم الشكر، لذكره[2] إياهم في حال لم يتهيئوا فيها بعد لقبول[3] أمر أو نهي أو إعراض عن ذلك، ولا تَعَلُّق[4] بهم التكليف، فناسب هذا ذكر الترجي.

أما الآيتان بعد فالإخبار فيهما عن أحوال من استوفى سِنَّ التكليف وعَقَل الخطاب وفهمه[5] وتكرر[6] عليه التذكار؛ فلم يُجْدِ عليه شيئاً. ألا ترى قبل آية سورة المؤمنين: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ** ﴾[7]؛ إلى ما اتصل بهذا، فقد صدر من هؤلاء التعامي فخالف الوارد في آية النحل، فناسب ذلك هنا نَفْيُ شكرهم. وأما آية الملك فالمخاطب بها من قيل له تعريفاً وتوبيخاً[8]: ﴿ **أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ** ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ** ﴾[9] والآي مشيرة إلى موالاة إنعَامِه سبحانه على عباده، وإدرار أرزاقهم إلى ما يجري مع هذا، فناسب ذلك حين لم يُجْدِ عليهم مُسْتَمِرُّ إحسانه، ومتوالي إنعامه[10]، أن نَفَى شكرهم، فقد وضح التناسب في هذه الآي، ووردت[11]

(١) ك: ورود، وبقية النسخ: ورد، والصواب ما أثبتناه.
(٢) هـ، م،: لمذكره، ب: لذكرهم.
(٣) ج: القبول، ك: بقبول.
(٤) ج: يعلق.
(٥) ك، ب: وفهمها.
(٦) ك: وتكون.
(٧) الآية / ٧٦.
(٨) ك: ترجيحاً.
(٩) الآيات/ ٢٠ ـ ٢٣.
(١٠) ك: وموالاة إحسانه.
(١١) هـ، ك، م، ب: وورة.

كل واحدة منها على ما يجب، وان عكس الوارد غير مناسب.

٢٢٠ ـ الآية الثانية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٧٩).

وفي سورة المُلْك (١٩): ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾، فورد في الأولى: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وفي الثانية: ﴿ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾، ومقصود الآيتين من التنبيه على الاعتبار بعظيم قدرته تعالى، وعلى حكمته في تسخير الطير في جو السماء وتسخير الهواء وتهيئته لذلك[1] بتقدير العزيز الحكيم، مقصود واحد.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[2].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن سورة الملك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من صَفِّه جناحيه وقبضهما وهما حالتان يستريح إليهما الطائر. فتارة يصُفُّ جناحيه كأن لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جَنْبَيْهِ حتى يلزقهما[3] بهما ثم يبسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة، كما يفعل السابح. فناسب هذا الإنعام منه تعالى ورود اسمه الرحمن.

أما آية النحل فلم يرد فيها ذكر هذه الاستراحة فقيل هنا: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وتناسب[4] ذلك وامتنع عكس الوارد بما تبين[5]، والله أعلم.

---

(١) زيادة من ك.

(٢) ب ـ صيغة السؤال (يسأل عن ذلك).

(٣) ج، م، ب، غ: يلزقا.

(٤) ك: وبناسب.

(٥) ك: بيّن.

٢٢١ ـ الآية الثالثة عشرة[1] (غ) قوله تعالى: [١٤٤/و].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤).

وفي آية سادسة من هذه (٨٩): ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، ففي الأولى: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾، وفي الثانية: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾، وفي الأولى: ﴿شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وفي الثانية: ﴿شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ﴾.

للسائل أن يسأل عن موجب[2] الاختلاف في الآيتين. واعلم أن الآية الأولى مُتَفَقٌ على أن المراد بها الأنبياء عليهم السلام مع أممهم، فكل نَبِيٍّ شاهد على أمته وَلِهَا بإيمان مؤمنها، وكفر كافرها. ولم يختلف المفسرون في هذا، وإنما السؤال في الآية الثانية لاختلافهم فيها. فأكثر المفسرين لم يفرق بينها[3] وبين الأولى فيما قصد بها وأنّ نبينا محمداً[4] صلى الله عليه وسلم شَاهِدٌ على أمته كَشهادة الرسل[5] على أممهم. ثم إنَّ هذه تضمنت زائداً إلى ذلك حسبما نبينه. وأشار بعضهم إلى الفرق بين الآيتين من غير تحرير، ولا ركون الى توجيه يعتمد فأقول ـ واسأل الله توفيقه ـ إن هذه الآية الثانية المراد بها تخصيص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالإفصاح فيها مع ما شاركت فيه الأولى بما منح من الكتاب العزيز، وعظيم النعمة به

---

(١) ك: الآية العاشرة.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب...).

(٣) ج، هـ، ك، ع: بينهما.

(٤) ساقط من ج.

(٥) ك: الرسل عليهم على أممهم (هكذا).

عليه وعلى أمته؛ فاستؤنف قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾، وكُرِّر ليبني عليه ما بعد من قوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ - الآية. فهو من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾[1]. وتقدم هذا[2] قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ ﴾[3]، فكرر: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ ﴾ ليبني عليه مما اتصل به. ونحو هذا قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[4]. وقد تقدم أمره عليه السلام بهذا، إلَّا أنه أُعِيدَ ليبني عليه ما بَعْدُ من قوله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[5]، ليفهَم ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ من البلاد والمواضع التي خرجتم إليها. ولم تكن الآية المتقدمة لتعطي ذلك إلا بالاعتماد من غير تحري؛ر فلم يكن[6] بُدٌّ من إعادة ما ذكر ليتحرّر[7] المعنى المراد. وقد مرّ بيان ذلك في سورة البقرة عند ذكر الآية المشار إليها. من نحو هذا في الأخبار قوله تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾[8]، فكرر ﴿ أَنَّكُمْ ﴾، ليبني عليه الخبر[9] بالإعادة والإخراج لما بعد من قوله في أول آية: ﴿ أَنَّكُمْ ﴾، وهو مُرْتَكَبٌ بليغ متكرر في الكتاب العزيز. فكذا الوارد في هذه الآية من قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ ﴾ [١٤٤/ظ] تكرّر لعظيم ما بُنِيَ عليه

---

(١) الأعراف / ٩٠.
(٢) زاد بعد اسم الإشارة في ج، ع: في.
(٣) الأعراف / ٨٨.
(٤، ٥) البقرة / ١٥٠.
(٦) مطموسة في ج، هـ.
(٧) هـ: ليتحرز، ح: ليتحرى.
(٨) المؤمنون / ٣٥.
(٩) زيادة في ك فقط.

وقُصِدَ الإخبار به[1]، والبشارة من قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]. فكم بين هذا الإنعام العظيم، وبين الحاصل طيَّ الآية المتقدمة من مَخُوفِ[3] الوعيد، وبما أعقب به التعريف فيها بالشهادة من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾، الى ما تَلَا هذا. فالآيتان بما أعقبتا به وأنيط بكل واحدة منهما معرَّفَتَان بالحال في الطرفين. الأولى معقب فيها التخويف والتهديد بأشد الوعيد، والثانية قد أُعقِب مخوف[4] تهديدها بترجي السلامة من مهول وعيدها بما أُتبِعَتْ به مما يُفْهِـم البشارة والتلطف والإنعام بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾، بعد ذكر نبينا عليه السلام. والمراد[5] بهذا الخطاب التعريف بشهادته لأمته مُفْصَحاً بالإشارة اليه تنويهاً وتعظيماً، وبالإنعام بما أَوْلَاهُ ومنح أمته من الرحمة[6] بالكتاب المهيمن على ما سواه من الكتاب المبيِّن لكل شيء، والهدى[7] والرحمة والبشرى - أوزعنا الله شكر نعمه وجعلنا من أمة هذا النبي الكريم بِمَنِّه. ولما كان قوله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ حاصلا من تعيينه عليه السلام وتحقيق كونه الشهيد على أمته، وكونه من أنفسها[8]، وَرَدَ ما قبله محرزاً فيه ذلك الغرض من تحقيق ذلك الحكم، من أن كل نبي قبله إنما كان من أنفس القوم المُرْسَل إليهم ذلك

---

(1) الجار والمجرور ساقطان من ج، ك.

(2) النحل / ٨٩.

(3) في ك فقط وبقية النسخ «تخوف».

(4) هـ، ك، ب: بخوف.

(5) هـ، ك، ع: المراد.

(6) ساقطة من ج، هـ، ع.

(7) هـ، ع: للهدى.

(8) ج، هـ: أنفسنا.

الرسول، لا من غيرهم، وهو الشهيد عليهم. وحقق ذلك في الثانية بما يحرزه حرف الوعاء الذي هو ﴿ فِي ﴾، ويقتضيه في استحكام الإخبار بكَوْن الشهيد من نفس[1] الأمة؛ لأن قوله ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ يحتمل أن يراد به أن يكون منهم في مذهب، أو جَامِعَ بَيْنِهِمْ وبينه، من غير أن يكون من أنفسهم. أما قوله: ﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾، فأنَصُّ في الاتصال واللزوق، لا سيما بما أُتْبِع به من قوله: ﴿ مِّن أَنفُسِهِمْ ﴾، فطوبق بين المتقابلين من قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ ﴾، فقد وضح ما باينت هذه الآية به الآية[2] المتقدمة، وبانت جلالة هذا النظم العجيب، وَأَنَّ ما تُوُهِّمَ تكراره ليس بتكرار إذ[3] كان مقصود ما أعيد مما تقدم ذكره، التمهيد[4] لما بُنِيَ عليه، فتحصّل[5] من هذه الآية العظيمة جليل الاعتناء[6] بهذا النبي الكريم، وتأنيسه كالآية في قوله تأنيساً للأمة، وإعلاماً[7] بعظيم مكانته صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ [١٤٥/و] مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ ـ الخ الآية[8]. فهذا ـ والله أعلم ـ فَصْلٌ ما[9] بين الآيتين. وقد بَانَ فيه التناسب، وجلالة النظم وحسن[10] الالتئام، والله أعلم بعد[11] بما أراد.

---

(١) ك: أنفس.

(٢) سقط من ك قوله: به الآية.

(٣) ج: إذا.

(٤) ك: الشهيد.

(٥) ج، هـ، م: فيحصل.

(٦) ج، ب، ع: الاعتبار.

(٧) في ك فقطوبقية النسخ: اعظاماً.

(٨) التوبة / ١٢٨، وزاد في ك منها: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٩) سافطة من ج، ع.

(١٠) ج، ع: وجنس.

(١١) ساقطة من ج، ع.

فَصْلٌ

لم يتعرَّض لهذه الآية أكثر المفسرين، ومن تعرض[1] لها ألحقها بالأولى، وقد وقعت في التفسير الكبير المنسوب للإمام أبي الفضل بن الخطيب. وقد تعرض لهذه الآية؛ فأورد مآخذ الإمامية القائلين بأن كل عَصْرٍ عَصْرٍ[2] لا يخلو من إمام معصوم، وذكر تخريج الآية عندهم عليه. ثم محَّلَه وأتْبَع بأن قال: فثبت أنه لا بد في كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم: ثم حكى عن أبي بكر الأصم[3] أن المراد بالشهيد هو أنه تعالى يُنطِق عشرة من أجزاء الإنسان تشهد عليه وهي الأذنان، والعينان، والرِّجلان، واليدان، والجلد، واللسان. قال: والدليل عليه أنه قال في صفة الشهيد، أنه ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾، وهذه الأعضاء لا شك أنها من أنفسهم. وذكر أن القاضي[4] أجاب عن هذا من وجوه:

الأول[5]، أنه تعالى قال[6]: شَهِيدًا عَلَىٰ ٱلْأُمَّةِ، فيجب أن يكون غيرهم.

والثاني[7]، أنه قال: ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ ﴾، فوجب أن يكون ذلك الشهيد

---

(١) ك: تعرض منهم لها.

(٢) محذوفة من ك.

(٣) هو عبد الرحمن بن كيسان الأصم، أبو بكر. ألف تفسيراً كاملاً للقرآن عدّه جولدتسيهر أقدم كتب التفسير الاعتزالي. ذكر القاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي أنه جمع في تفسيره بين الورع والفقه والفصاحة. طبقت شهرته الآفاق وكان صاحب مذهب فقهي. وعدّه الزركشي من مفسري التابعين، وكان معاصراً لهشام بن الحكم المتوفى / ١٩٠ هـ. أنظر تفسير المعتزلة للقرآن الكريم، ترجمة الأصم / ١٠٩ ـ ١١٣.

(٤) القاضي علَمٌ على أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، المتكلم السني الشهير (ت ٤٠٣ هـ) أنظر: الديباج / ٢٧٦، الشذرات ٢ / ٥٧، ابن خلكان ١ / ٤٨١. ويطلق المعتزلة على عبد الجبار الهمذاني، أبو الحسن (ت ٤١٥ هـ) قاضي القضاة لا يطلقونه على سواه أنظر: تفسير المعتزلة للقرآن الكريم ترجمة عبد الجبار / ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٥) مكانها بياض في ج.

(٦) هـ، م، ع: قال تعالى.

(٧) مكانها بياض في ج.

من الأمة، وآحاد الأعضاء لا يصح وصفها بأنها من الأمة. هذا حاصل ما وقع في هذا[1] التفسير، ولم يقع فيه تعرض لشيء من ألفاظ الآية. وتنزيل هذه المآخذ على الآية، أو[2] أخذها من أبعد شيء. وقد ذكرت[3] في ذلك منزلاً على الآية ما أراه الأَوْلَى في المراد بها، والله أعلم.

وأما قول الإمامية أنه لا بد في كل عَصْرٍ عَصْرٍ، وقَرْنٍ قَرْنٍ[4] من إمام معصوم يشهد عليها في القيامة فباطل، وقد كفانا وجه فساده من تقدم[5]. وقول الأصم بعيد، لما قاله القاضي. وأما ما اعتمده أبو الفضل فبعيد أيضاً، وفيه[6] ما يشبه الصَّغْوَ إلى قول الإمامية[7]. وقد ورد في الصحيح أن الرسل هم الذين يشهدون على أممهم. وعلى ذلك حمل المفسرون قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[8]، ولا فرق بين هذه الآي، والله أعلم.

٢٢٢ - الآية الرابعة عشرة وهي من تمام ما قبلها (غ) قوله تعالى:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩).

---

(١) ساقط من ج، ب.

(٢) ج، هـ، ك، ب: وأخذها.

(٣) ك: ذكره.

(٤) ك: في كل عصر وقرن.

(٥) ك: تقدمه.

(٦) في ك، وبقية النسخ: فبعيد وفيه أيضاً.

(٧) قال البغدادي في أصول الدين / ٢٧٨: «وقالت الشيعة كلها بعصمة الإمام في الجملة» والإمامية فرقة من فرق الشيعة سميت بذلك لقول أصحابها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نص على إمامة عليٍّ عليه السلام باسْمِهِ وعيّنه ونسَبه، وأن الأمة ضلت بصرفها الخلافة عنه. أنظر: مقالات الإسلاميين ١ / ٨٧، الحور العين / ١٥٧، التمهيد / ١٨٤، ١٨٥، التبصير في الدين / ٢٠، ٢١.

(٨) النساء / ٤١.

وفيما بعدُ من هذه السورة (١٠٢): ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن [١٤٥/ظ] رَّبِّكَ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾. فورد في الأولى زيادة وَرَحْمَةً﴾[1] مع اتحاد المقصود في الموضعين من وصف الكتاب، وهذا بظاهر الوارد في الموضعين. فيسأل عن ذلك[2].

والجواب عن ذلك أن الأولى مقصود بها بشارة وإنْعام لا يشوبه غيره، وقد بُيِّنَ ذلك. وأما الثانية فواردة مورد الزجر[3] والتعنيف لمن لم يؤمن مع البشارة للمؤمنين[4]. ألا ترى ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾[5]. فَجُووِبُوا عن هذا بقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾، أي قل لهم يا محمد هـذا الكلام، وورد بعدها[6]: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[7]. فاكتنف الآيـة المذكـورة ما يُفْهِم التعنيف لهم والـوعيد على سوء[8] مرتكبهم. ووضح أنّ المقصود لم يتحد في الآيتين كما يوهم البادي من ظاهرها وأن زيادة قوله: ﴿ وَرَحْمَةً ﴾، في الأولى مناسب لمَقْصُودِها من البشارة والإنعام المجرد عن اتصال ما يفهم تعنيفاً، أو وعيداً[9]، ولم يكن ورود ذلك ليناسب الوارد[10] في الثانية، فورد كل على ما يجب والله أعلم.

---

(١) ج، هـ، ع: رحمة.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجهه؟).
(٣) ك: البعراء ـ هكذا بدون اعجام وفوقها مكتوب (كذا).
(٤) ك: للمرشد.
(٥) النحل / ١٠١.
(٦) هـ، م: ورد بعد ما، ج، ب، ع: ورد بعدها.
(٧) الآية / ١٠٣.
(٨) ساقطة من ك.
(٩) هـ، م، ب: أو وعدا.
(١٠) ج، ع: ذلك.

٢٢٣ ـ الآية الخامسة عشرة [غ][1] قوله تعالى:

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦).

وقال بعدُ (٩٧): ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

وورد في سورة[2] الزُّمَر (٣٥): ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾. فورد هنا ﴿ ٱلَّذِي ﴾، مكان ﴿ مَا ﴾ في الآيتين من سورة النحل.

فللسائل أن يسأل عن ذلك[3].

والجواب عنه[4] ـ والله أعلم ـ أن آية النحل الأولى لما افتُتحت بما الموصولة في قوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾، والمراد بها الإطلاق والعموم كانت في هذا الموضع أوْلَى من لفظ الذي وإنِ اشتركا في الموصولية. إلَّا أنَّ ﴿ ٱلَّذِي ﴾ لا تفارق الموصولية، فهي كأنها أعرق[5] في التعريف من ﴿ مَا ﴾ لخروج ما عن الموصولية من حيث[6] إنَّها تكون حال اسميتها شرطاً واستفهاماً، ولا يفارقها العموم والإطلاق في هذين الموضعين، ولا الإبهام إذا كانت صفة، أو نكرة موصوفة، أو تعجباً. وبالجملة فالإطلاق أمْلَكُ بها، وهو هنا مقصود. وأما ﴿ ٱلَّذِي ﴾ فلا تفارق الموصولية، والعَهْدِيَّة فيها أغلب من الجنسية. [١٤٦/و] فما في الآية أحرز

---

(١) ساقط من جميع النسخ، والآية من المغفلات.

(٢) جميع النسخ: آية.

(٣) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه ورود الذي في الزمر مكان ما في الآيتين من سورة النحل).

(٤) ساقط من ج، ب، ع.

(٥) ك: أعرف.

(٦) ساقطة من ج، ب، ع.

للمقصود منها[1] فوردت[2] فيها، وتكررت في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد، والكلام مراعى فيه معناه؛ وكأن قد قيل: «كل ما عندكم ينفد، وكل ما عند الله باق». ولفظ «ما» أجرى مع هذا من «الذي»، لما يحرزه من معنى الإطلاق، ولما تقرر[3] من التزامها العموم في الشرط والاستفهام وأنها لا تمنع الاشتراك حال إبهامها فيما عدا الموضعين. ومن أهل النظر من يطلق العموم بمعنى منْع الشركة، والذي لا يقول بهذا لا يمكنه إنكار الإبهام الإطلاقي، وكيفما قيل فإن معنى التوسعة لا يفارقها وليست «الذي» كذلك فكانت «ما» أمْلَكَ بالمعنى المقصود في الموضع، ثم ناسبها وجرى معها ورودها في قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، ولم تكن الذي لتناسب[4]؛ فجاء كل[5] على ما يجب.

وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾، الآية[6]؛ جارية[7] مجرى الآية التي قبلها ومَن أقرب لها من الذي، لما بينهما من[8] الاشتراك في المعاني التي لا تشاركها[9] فيها الذي. ألَا ترى أن الذي لا تكون استفهاماً البتة ولا نكرة، ولا موصوفة، ولا مبهمة، إذ لا تفارق التعريف.

فإن قُلْـتَ: قد يدخلها معنى الشرط في نحو قولك[10]: «الذي يأتيني

(١) ك: هنا.

(٢) ج، هـ، فورد.

(٣) ج، هـ: تقدر.

(٤) هـ، ج، ع: لتناسبه.

(٥) في ك فقط.

(٦) في ب فقط.

(٧) ج، ع: جار.

(٨) ج، هـ، ع: في.

(٩) هـ: يشاركها، ج: يشارك.

(١٠) ك: قوله.

فَلَهُ دِرْهَمٌ» وهو المسوّغ لدخول الفاء في خبرها في مثل هذا المثال؛ ففيها إذ ذاك عموم.

قلتُ: ذلك متوقف على شروط معلومة ولو لم يتوقف ذلك على شرط لبقي اشتراك فيما لا تدخل فيه «الذي». فمن على كل حال أجرى مع ما يناسبها وما انْجَرَّ معها من مدلولية قصد الاستغراق من قوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾. وهذا المُنْجَرُّ في هذه الآية يقابل تكرار ما في الآية قبل هذه كتلك بهذا النظير من غير فرق؛ فلم يكن ليناسب ذلك ورود الذي مكان «ما» في قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فتَناسُب هذا كله أوضح شيء. ولا يمكن في هاتين الآيتين ورود لفظ «الذي» مكان «ما» لمن لَحَظَ المُرَاعَى في عَلِيِّ نَظْم الكتاب العزيز، واعتبر التناسب الذي يعجز البشر عن محافظة رَعْيِهِ ولا يمكن الوفاء به بوجه، إلَّا في كتاب الله سبحانه.

وأما آية الزمر، فواردة في معنى الخصوص المقصود به طائفة بعينها. ألا ترى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[1] والمراد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالذي صَدَّقَ به مُتَقَدِّمُو [١٤٦/ظ] أصحابه ممن سبق وحسن تصديقه؛ كأبي بكر رضي الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره وهؤلاء لا يشاركهم في حالهم غيرهم، وفيهم ورد ما بعد، واليهم مرجع[2] الضمائر من قوله: ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[4]، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾، فلم يكن ليصلح هنا غير الأداة العهدية. فجاء بالذي في الموضعين من قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ

---

(١) الزمر / ٣٣.

(٢) ك: ترجع.

(٣، ٤) الزمر / ٣٣، ٣٤.

﴿ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾، ولم تكن «ما» لتناسب هذا لما تقدم فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن فيه عكس الوارد[1] في الضربين على ما تقدم، والله سبحانه أعلم بما أراد.

سورة بني إسرائيل[2]

٢٢٤ ـ الآية الأولى منها. قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ (٤١).

وفيما بعدُ (٨٩): ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾.

وفي سورة الكهف (٥٤): ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلإِنْسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾.

ففي الأولى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾، وفي الثالثة تأخير الناس، فيسأل عن ذلك[3].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن الأولى وقع قبلها: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾[4]. وهذا خطاب مراد به كفار العرب فلم يذكر فيه لفظ الناس من العامِّ[5] لهم ولغيرهم؛ إذ الخطاب خاص بهم.

---

(١) ما بعدها إلى آخر شرح الآية ساقط من ب.

(٢) هي سورة الإسراء.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود الأول ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ ﴾ وفي الثالثة تأخير الناس ـ والجواب..).

(٤) الإسراء / ٤٠.

(٥) ج، هـ، م، ع: إنعام.

وأما الآية الثانية فقبلها: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾[1]، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ ﴾، فخص من الفريقين وعيَّن ممن ذكر الناس اعتناء بهم، أعني بالجنس الإنساني ليظهر شرفهم على الجن، وقدّم الناس لما يعطيه تقديم[2] المجرور، وقد مرّ هذا، وأيضاً فلثقل التكرر فيما تقارب. ولو قيل: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ لجاء لفظ الناس كأنه قد أُعِيدَ متَّصلاً[3] والعرب تستثقل مثل هذا، فقدم المجرور ليستحكم الفصل فلا يُسْتَثْقَل.

أما آية الكهف فلم يتكرر فيها لفظ: الناس، فيقع استثقال فقدم قوله: ﴿ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ لأن تقديمه أهم إذ هو أبلغ في تنبيههم على الاعتبار[4] وقد مرّ قول سيبويه في مثل هذا. وأما آية الكهف فلم يقع قبلها ذكر الثَّقَلَيْنِ فيحتاج إلى ذكر تقديم الناس كما احتيج في آية الإسراء. ألا ترى أن قبل آية الكهف: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ ـ الآية[5]. فلم يرد فيها ما في الأخرى وكان الأهم ذكر القرآن الشافي[6] لمُعتَبِرٍ[7] ما صُرِّف[8] فيه من الأمثال. فقيل: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا [١٤٧/ و] فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ[9]، مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾. ولكَوْنِ الخطاب عامًّا في الآيتين[10] لم يكن بُدٌّ من ذكر الناس بخلاف الآية الأولى من سورة الإسراء، إذ خطابها خاص بالقائلين من كفار العرب: إنّ الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فقد ورد كل من هذه الآيات على ما يناسب ويلائم ما اتصل به.

---

(١) الإسراء / ٨٨.
(٢) ج، هـ: تقدم
(٣) ج: مفصلاً.
(٤) ك: الأعيان.
(٥) الآية / ٥٢.
(٦) ب: ما يفي، وبياض في ج، ع.
(٧) ج، ع: المعتبر.
(٨) ج، هـ: صرفه.
(٩) محذوف من ك وهو محل الشاهد.
(١٠) ك: الإنسان.

وأما ختام الأولى بقوله: ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ فالضمير للمذكورين ممن[1] خُصَّ بمقصود[2] الخطاب المكنَّى عنهم[3] بقوله: ﴿ لِيَذَّكَّرُواْ ﴾. وأما إعقاب الثانية بقوله: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾، فلتعطي[4] إعادة الظاهر من التعنيف والتقريع ما لا يعطيه المضمر، ولأن أوَّلَ الخطاب وصَدْر الآية لمَّا قدم فيه ذكر الناس لشرف الجنس الإنساني على الجن، ثم لم يكن ممن لم يؤمن منه إلا العناد[5] فقيل: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ ليعطي بفحواه إنْ كان قد قيل: فأبى أكثر الناس على تشريفهم وتفضيلنا اياهم إلاَّ الكفر،فأحرز الظاهر ما لم يكن ليحرزه[6] إضْمارُهم فتأمل ذلك.

وأما قوله عقب آية الكهف: ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ فمن المعلوم جدَال كل كافر ومعاند عن دينه ومذهبه. قال تعالى: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴾[8]. واذا كان الجدال من صفة كل مخالف لمذهب أو مُعتَقَد[9] لم يبق السؤال إلاَّ عن وجه تخصيص هذه الآية بوصف الإنسان هنا بالجدل[10]. والجواب أنه وصف هنا بذلك ليكون ختام هذه الآية تمهيداً لما يأتي بعده من قوله تعالى: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ ﴾.[11]. فلما بُنِيَ هذا على الآية واتصل[12] الكلام والتحم، نوسب بينهما. وليس في الآيَتَيْن قبل، ولا فيما

(١) هـ، م: فمن.
(٢) ب: مقصود.
(٣) في ك فقط وبقية النسخ: عليهم.
(٤) ج، م، ب، ع: فليعطي.
(٥) في ك فقط وبقية النسخ: العباد.
(٦) ج، ب، ع: ليحرز.
(٧) الأنفال / ٦.
(٨) غافر / ٦٩.
(٩) ج، ع: لمذهبه أو معتقده.
(١٠) ج، ب، ع: بالجدال.
(١١) الكهف / ٥٦.
(١٢) هـ: واتصال.

تقدم كل واحدة منهما، أوْ فيما بُنِيَ عليهما[1] مما يستدعي ذكر الجدل[2] ولا الوصف به، فلذلك أعقبت[3] كل واحدة منهما بما تقدم فأعقبت الأولى بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾، لما بيِّن من استدعاء معنى الآية ذلك، وأعقبت الثانية بقوله: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾، لما بيِّن أيضاً عند ذكر ذلك. وأعقبت هذه الأخرى بما يناسب ما ورد عليه بعده، وجاء على ما يجب.

٢٢٥ ـ الآية الثانية [غ][4] قوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾ (٥٦).

وفي سورة سبأ (٢٢): ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلاَ فِي ٱلأَرْضِ ﴾.

للسائل أن يسأل [١٤٧/ظ] عن الوجه في[5] ورود اسمه سبحانه مضمراً في قوله: ﴿ مِّن دُونِهِ ﴾ في سورة الإسراء ومُظْهَراً في[6] قوله: ﴿ مِّن دُونِ ٱللهِ ﴾ في[7] السورة الأخرى وهل كان يجوز العكس.

والجواب أن آية سبأ تقدم قبلها قوله تعالى مخبراً عن الكافرين: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ

---

(١) ك: عليها.
(٢) ج، ع: الجدال.
(٣) ك: عقب.
(٤) ساقط من جميع النسخ، والآية من المغفلات.
(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود..).
(٦) ب: مظهراً في سورة سبأ في.
(٧) ساقط من ج، ع، قوله: في السورة الأخرى.

عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾[1]. ثم قال بعد آية من تمام الآية التي قبلها: ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ فجيء بالاسم الظاهر ليكون أبعد عن[2] إيهام عودة الضمير ورجوعه الى المتَّبع لهم في الآية المتقدمة. وانما المراد: قل ادعوا كل من اتبعتم بعبادة[3] أو صَغْو الى ما كان[4] يريده من إضلالكم[5] ولا شك أن ابليس رأس المضلين، وأولى من أمروا تعجيزاً لهم، وقطعاً بهم[6]، بدعائه في قوله: ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾، فورد التحفظ بإيراد الظاهر مما كان المضمر يوهمه، وجاءت الآية على ما يجب.

أما آية بني اسرائيل فإن قبلها قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾[7]، ثم قال: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[8] ـ الآية، ثم قال: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ فجيء[9] بالضمير [فناسبه][10]، ولم يكن ليناسب مجيء الظاهر هنا[11]، فجاء كل على ما يجب ويناسب والله أعلم.

فإن قيل: فقد ورد قبل قوله: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾[12]، قوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[13]، كما ورد قبل آية سبأ، فلم خُصَّت آية سبأ بعودة الاسم ظاهراً دون آية بني إسرائيل؟

---

(١) الآية / ٢٠، وزاد في ك منها ﴿ إلاَّ فريقاً ﴾.

(٢) ك: على إيهام.

(٣) ج، هـ، ب، ع: بعبادته.

(٤) في ج، ع فقط.

(٥) م: إخلالكم، ب: إخلافكم.

(٦) ج: وقطعوا بهم.

(٧، ٨) الإسراء / ٥٤، ٥٥.

(٩) ساقط من ك.

(١٠) جميع النسخ: مناسبة.

(١١) ما بعدها إلى آخر الجملة محذوف من ب.

(١٢، ١٣) الإسراء / ٥٤، ٥٣ على الترتيب.

قلت: ورد ذكره في بني إسرائيل مُحَذَّراً منه، موصوفاً بنزغه وعداوته، مع أن الآية خطاب بأمر المؤمنين بقوله: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1]، والإضافة في قوله: ﴿ قُلْ لِعِبَادِي ﴾ إضافة تخصيص، والأمر أمر بما هو أولى وليس يُواجَه[2] ولا يُخاطَب بهذا إلاّ المؤمنون[3] ثم إنَّها أُتبعَتْ بما يلائم الآية المتكلَّم فيها أجلّ ملاءمة. وأما ورود ذكر إبليس في سورة سبأ فمتصل بالآية، وإبليس فيها موصوف بأنه اتُّبِع وأنه صدَّق ظنه على المذكورين. والآية إخبار عن الكفار، والكلام كله إعلام بحالهم إلى قوله: ﴿ قُلْ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ فهذا الاعتراض غير لازم، وورود الآيتين على أعلاَ تناسب وأجَلّ ملاءمة، ولو قدّر عكس الوارد لما صح على الجاري المطرد في نظم الكتاب العزيز، والله سبحانه أعلم بما أراد.

٢٢٦ ـ الآية الثالثة قوله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً. أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (٦٨، ٦٩).

ثم ورد بعد هذا بآيات (٧٥): ﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ [١٤٨/و] ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾.

ثم قال بعدُ (٨٦): ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾.

---

(١) الإسراء / ٥٣.

(٢) ك: يواجد.

(٣) ك: بها إلا المؤمنين.

للسائل أن يسأل عن وجه[1] ختم الآية الأولى بقوله: ﴿ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً ﴾، والثانية بقوله: ﴿ ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾، والثالثة بقوله: ﴿ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نصيراً ﴾، والرابعة بقوله: ﴿ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وكِيلاً ﴾.

والجواب أن معنى كل آية منها استدعى تعقيبها بما به أُعقبتْ. فأما الأولى فلما تقدمها من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[2]، أي[3] اضمحل تعلقكم بشيء من أندادكم ومعبوداتكم سواه، وبطل ذلك ولجأتم إليه سبحانه، كما قال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[4]، فلما دعوتموه ونجاكم الى البر أعرضتم ورجعتم الى ما كنتم قَبْلُ من[5] شرككم، وظنكم أنْ قد أمِنتُم عذابه ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ ﴾، أي يَقْلِب بكم جانب البر[6] وهو الذي حملكم [وأقَلَّكُم[7]] عند انفصالكم من البحر ونجاتكم منه، وذلك جانب من البر، إذ ليس البر كله هو المستقل بهم إذّاك وإذا هُمْ في قطعة من البر، وجانب من الأرض، والأرض كلها لله سبحانه: أفأمنتم أخذه سبحانه لكم بالخسف أو بإرْسَالِه حاصباً[8] من الريح[9] الشديدة ترميكم بالحصباء حتى تهلككم رجماً؛ ثم لا تجدوا إذّاك من يتوكل بصرف ذلك عنكم ودفعه عن إهلاككم فيتدارككم المتوكل لكم بدفع ذلك وصرفه عنكم فتحصلون في حزب[10] النَّاجِينَ بعد مشاهدة الهلاك فهل تجدون برًّا. فهذا تقديرُ دافِعٍ قبل

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ختم..).
(٢) الإسراء / ٦٧.
(٣) ساقطة من ج، ب، ع.
(٤) النحل / ٥٣.
(٥) ساقطة من ج.
(٦) ما بعدها إلى قوله وجانب من البر، ساقط من ج، ع.
(٧) جميع النسخ: أذلكم.
(٨) جميع النسخ: حاصب.
(٩) الجار والمجرور ساقطان من ك.
(١٠) ج، ب: فتحلون في ضرب.

الإمضاء ثم قال: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾، أي في البحر كحالكم أولا بتهيئة العذر[1] لكم للحاجة لركوبه كما ركبتموه قبل، فيرسل عليكم قاصفا من الريح، وهي التي تكسّر ما مَرّتْ به وتفرّق أجزاءه. فالمراد فتُكْسَرُ[2] الفلك فتغرقكم ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ أي مطالباً يطلبنا بثأركم بعد إهلاككم بغَرَقكم. فلمّا كان المقدّر[3] تعلقهم به هنا بعد الفَوْت والتلف بالإغراق، ناسب ذلك ولاءمه[4] تسمية هذا المُقدَّر الطَّالِب تبيعاً، لأنه يتبع بعد الفوت[5] كما يسمى طالِب[6] ذمة من مات، تبيعاً وأتْباعاً ومنه[7] ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[8]، والتابع من يجيء بعد. ولما كان المقدر في الآية الأولى دافعاً قبل الفوت ومانعاً[9] دون الاستئصال ناسبه العبارة بوكيل، لأنه الذي يدفع ويمنع الوصول أو الاستئصال، فجاء كل على ما يجب، ولم يكن ليلائم ختام هذه الآية ختام تلك، ولا ختام تلك ما ختمت به هذه.

وأما قوله: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ فالمراد[10] تضعيف عذاب الآخرة، وعذاب القبر والتضعيف [١٤٨/ ظ] التكثير، فختم هذه الآية بقوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ أبين شيء، لأن الامتحان عندنا في الشاهد، وإذَاقة العذاب إنما يكون من ذي استِعْلاء وقهر، فاللجأ[11] فيه الى الناصر إنْ وُجِد.

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ: القدر.
(٢) هـ: بتكسر، ك: نتكسر، ج، ب، ع: تكسر.
(٣) ج، ب، ع: القدر.
(٤) ب، ك: ولامه.
(٥) ب: الموت.
(٦) ج، ع: طالب.
(٧) في ك فقط وبقية النسخ: وعنه.
(٨) البقرة / ١٧٨.
(٩) في ك فقط وبقية النسخ: وما دون.
(١٠) هـ، ب، ع: والمراد.
(١١) هكذا في ع، وفي ج، هـ: ما للحافية، م، ب: فلجأ، ك: فيلجأ. واللَّجأ محركة هي المعقل والملاذ، كالملجأ.

وأما قوله: في الآية بعد هذا: ﴿ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾، فإن قوله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي لَنَرْفَعَنَّ القرآن، ولَنَذْهَبَنَّ به من الصدور ثم لا تجد وكيلا يمنعنا عن[1] ذلك، ولا من يقوم بدفعنا عنه وليس هنا ما يستدعي الانتصار. فكل من هاتين[2] الآيتين على ما يجب ويناسب، ولا يلائم ختام هذه الآية ختام ما قبلها، ولا ما ختمت به الآية قبلها هذه[3]. وذلك واضح بحول الله تعالى.

٢٢٧ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (٩٤).

وفي سورة الكهف (٥٥): ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ـ الآية[4]. فورد في الثانية ﴿ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ ﴾ ولم يرد في الأولى، فيسأل[5] عن ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[6] فقوله تعالى مخبراً عن عتاة قريش: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾[7]، إلى الثامنة[8] من مقترحاتهم وهي تَمَنِّيهم تَنَزُّل كتاب يقرأونه، فبالغوا في شنيع اقتراحاتهم وتوغلوا في مطالبهم المُفصِحَة باليأس من فلاحهم، فحصل

---

(١) ج، ع: من.
(٢) ج، ع: هذين.
(٣) محذوفة من ك.
(٤) محذوفة من ب.
(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجهه والجواب...).
(٦) الإسراء/ ٨٩.
(٧) الإسراء/ ٩٠.
(٨) ج: الثانية، والصواب ما أثبتناه. أنظر الآيات/ ٩١ ـ ٩٣ من سورة الإسراء.

من جملة حالهم بُعْدُهُمْ عن الإنابة إلى الإيمان؛ فلم يكن ذكر الاستغفار ليناسب هنا، لأنه إنما يكون ممن[1] لا يبلغ الكفر من المعاصي. هذا الغالب في وروده أما حيث[2] يفصح الكفر فليس موضع ورود[3] الاستغفار. ولما كان المتقدم قبل آية الكهف لا يبلغ مبلغ الآية المتقدمة في الإفصاح[4] بتمردهم وعتوهم ناسبه ذكر الاستغفار. ألا ترى ان قوله تعالى قبل آية الكهف: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَـانُ أَكْثَـرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾[5]، وليس قوله فيها: ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانَ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ في قوة قوله في آية الإسراء: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَـرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾، لأن الجدال لا يلزم عنه[6] أن يكون مُرتكِبُه كافراً، وإنما مظنة الجدال بالتناظر في الطرفين والاحتجاج لتقابل المذهبين الى ما يرجع الى هذا. وقال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[7] والمراد بذلك ملاطفتهم بالاحتجاج[8] عليهم والصبر والتحمل لما عسى أن يكون منهم. فلما كان الوارد في آية الكهف من وصف حالهم لا يبلغ مبلغ الوارد في آية سورة الإسراء[9] ورد فيه ذكر الاستغفار موازنة لِلِين ما بني عليه من الإخبار بكثرة جدالهم[10] إذْ ليس كالوارد في الآية الأخرى من الإفصاح بكفْرهم وسوء حالهم، ولم يناسب آية سورة الإسراء أن يرد فيها ذكر الاستغفار وإن كان حال المحكى عنهم في الآيتين غير مفارق للكفر، ولا نازح عنه حَالَ الإخبار. وقد تقدم هذا في أول آية من هذه السورة، ولكن تناسب اللَّفظ[11] في الشدة واللِّين

(١) ك، ب: مما.
(٢) ك: حديث.
(٣) ساقط من ج، ع.
(٤) ج، هـ: بالإفصاح.
(٥) الآية / ٥٤.
(٦) ج، هـ، ع: منه.
(٧) النحل / ١٢٥.
(٨) ك: في الاحتجاج.
(٩) ك: الأسرى.
(١٠) ج، هـ، ب، ع: حالهم.
(١١) ك: النظم.

مراعى[1] معتمد. فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله سبحانه أعلم بما أراد.

٢٢٨ ـ الآية الخامسة (غ) قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِنَا﴾)٩٨).

وفي الكهف (١٠٦): ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَـٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾. ففي هذه الآية ﴿جَهَنَّمُ﴾ ولم يرد في الأولى مع وحدة المعنى، فيسأل عن ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن قوله في الأولى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ إلى ما اتصل به من قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[2]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾، فالإشارة إلى ضروب عقابهم ومأواهم، واسم الإشارة متصل بما أشير إليه لم يُفصل بينهما إلاّ بوصف جهنم التي هي مأواهم فجاء على ما يجب.

أما قوله في الثانية: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾، فالإشارة الى جهنم المتقدم ذكرها في قوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ﴾[4]، لمَّا بَعُدَ ما بين اسم الإشارة والمشار إليه بما فُصِل به بينهما من قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[5]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾[6] ـ الآيتين؛ فبعُد اسم [١٤٩/ و] الإشارة عما أشير إليه، أعيدَ مُظْهرًا فقيل: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ والله أعلم بما أراد.

---

(١) هـ، ب، ع: مرعى.

(٢) الإسراء / ٩٧.

(٣ ـ ٦) الكهف / ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥ على الترتيب.

سورة الكهف

٢٢٩ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (٢٢).

فيسأل عن اختصاص واو الثمانية[1] بالواو. ولم ترد بالجملة من[2] قوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ صفة للنكرة قبلها، كما تقدم قبل[3]، ولم عدل الى العطف.

وأظهر جواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أنَّ هذا الإخبار العَلِيَّ مُعَرِّف باختلاف اليهود في فِتْيَةِ الكهف وأنّهم أو أكثرهم لم يتحققوا عددهم، فحكى سبحانه قولهم وانجرّ[4] بإيماء وإشارة تقريع الصحيح من قولهم؛ مع أنهم ـ أعني أكثر يهود ـ غير عالِمين بذلك ولا مُرَجِّحين فأتى[5] بالجملة الأولى وهي قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ ﴾ أعني المحكية بعد ذلك القول إذ التقدير: هم ثلاثة، ثم سيقت الجملة من قولهم: ﴿ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، صفة الثلاثة[6] والجملة تقع[7] صفة للنكرة، وحالا من

---

(١) واو الثمانية هي واو العطف التي تعطف الثامن على ما قبله، إذا لم يدخل على أحدها قبله الواو العاطفة ذلك أنَّ السبعة أصل النهاية في العدد والمبالغة فيه. ومنه في القرآن ﴿ التَّائِبُونَ. العَابِدُونَ. الحَامِدُونَ. السَّائِحُونَ. الرَّاكِعُونَ. السَّاجِدُونَ. الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ. وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ ﴾. أسرار التأويل / لوحة ١٢٨، البيان ٢ / ١٠٤. وقد ضعفه المحققون من النحاة في رصف المباني / ٤٢٦، الجني الداني / ١٦٧، المغْني ٢ / ٣٦٢.

(٢) ب: ولم يرد بالجملة.

(٣) ك: فيا قبل.

(٤) ك: والخبر.

(٥) ك: فأفتى.

(٦) في ك فقط.

(٧) ساقط من ج، هـ، ع.

المعرفة. ثم قال: ﴿ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، فسادسهم كلبهم للنكرة صفة[1] للنكرة قبلها[2] كالمتقدمة. ثم أُتْبِع هذا الكلام من اختلافهم بقوله: ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾، ورجما[3] منتصب على الحال، راجع معناه إلى المَحْكيِّ قبله من اختلافهم أي رمياً بالكلام من غير علم بحقيقته[4]. ثم قال سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ﴾ وخرج هذا المحكي من قولهم: سبعة عن الاتصاف بالحاصل قبله من الوصف بالحالي[5]، وهو قوله: ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ فأُفْهِمَ - والله أعلم - أن هذا ليس من نمط ما تقدم، فكأن قد قيل: ويقولون سبعة هم كذلك، وثامنهم كلبهم[6]. هذا[7] أحسن ما تخرج عليه الآية. وعلى تقدير[8] صحة[9] كونهم سبعة وثامنهم كلبهم، وأن هذا ليس داخلا تحت ما تقدم من أنه رجم بالغيب، وأن الوصف بتلك الحال انما يرجع إلى ما قبله من قولهم: ثلاثة رَّابعهم، كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم جرى[10] كلام ابن عباس رضي الله عنه ومن يعتمد من المفسرين. قلتُ: حكى سيبويه أن العرب تستعمل الحذف كثيراً في كلامها .ومنه

(١) ساقطة من ج، ب، ع.
(٢، ٣) ساقطتان من ك.
(٤) ب: تحقيقه، ج، هـ، م، ع: بحقيقة.
(٥) ج، هـ، ب، ع: الخالي.
(٦) إجماع المفسرين على أن الواو دخلت لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق وليس من رجم الظنون، وعليه يكون كلبهم هو ثامن جماعتهم. وقال الزمخشري: «فائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف للدلالة على أنه أمر ثابت مستقر. وهذه الواو هي التي آذَنَتْ أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات وعلم وطمأنينة». وذلك عنده إذا دخلت الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة، أو الواقعة حالاً من المعرفة. وكلاهما له في الآية وجه عند الزمخشري وابن الزبير، ومنع الحال العكبري وأبو حيان النحوي احتجاجاً بأنها لا عامل لها لأن التقدير: هم ثلاثة، وهم لا يعمل. أنظر الكشاف ٢/ ٢٥٥، إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٠٠، البحر ٦/ ١١٤ - ١١٥، أحكام القرطبي ١٠/ ٣٨٣.
(٧) إلى قوله «وثامنهم كلبهم» ساقط من ك.
(٨) ساقطة من م.
(٩) ساقطة من ج، ك، ب، ع.
(١٠) ساقط من ك.

قولهم فيما حكى سيبويه ـ رحمه الله ـ «اللهم ضبعاً وذئباً»، إذا كان القائل يدعو بذلك على غنم رجل قال: وإذا سألتَهم ما تَعنُون؟قالوا:اللهم اجْمَعْ ضبعاً وذئباً. وحكي عن ابي الخَطَّاب[1] أنه سمع بعض العرب وقيل له: لم أفسدتم مكانكم [هذا][2]؟، فقال الصبيان: بأبي[3]، كأنه[4] حَذِر أن يلام فقال: لُمِ الصبيان.

وقيل لبعض العرب[5]: أمَا [بِمكَانِ[6]] كذا وكذا وَجْذٌ[7]؟ فقال: بلى وِجَاذاً[8] أي أعرِفُ بها وجاذاً، وهو المكان المُمْسِكُ للماء[9].

ويحذفون الجملة الإسمية برأسها، إذا دل [١٤٩/ظ] الدليل عليها كما يفعلون في الفعلية. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّائِي يَئِسْنَ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[10]، ﴿ وَٱللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾، أي فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر، والحذف في كلامهم كثير، إذا كان في الكلام ما يدل على[11] المحذوف. فظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الواو في قولهم: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، إنما[12] عطف بها على جملة إسمية محذوفة، كما قدمنا. ومن المفسرين من جعل هذه الواو التي تدخل على

(١) هو الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد. كان أستاذاً لأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، ويونس. عدّه الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة البصرة. توفي / ١٧٧ هـ. أنظر: نزهة الألبا / ٢٩، طبقات الزبيدي / ٤٠، بروكلمان ٢/ ١٥١.

(٢) زيادة من نص سيبويه.

(٣) ج: ما في، هـ، ع: بأبي، ك: يا فتى.

(٤) ب، ع: كأن.

(٥) نص سيبويه: وحدثني من يوثق به أن بعض العرب قيل له.

(٦) جميع النسخ: كان، وما أثبتناه نص سيبويه.

(٧) ك، ب: وجد، ع: وحد. وزاد سيبويه هنا: «وهو موضع يمسك الماء».

(٨) ج، ع: وجاذ، ك: وجـاذاً مهموزة الثالث.

(٩) أنظر سيبويه ١/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(١٠) الطلاق / ٤.

(١١) ك: عليه.

(١٢) ب: انها، وساقطة من ج، هـ، ع.

الجملة الواقعة صفة للنكرة قبلها[١] وهي سبعة. قال الزمخشري: «هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل[٢] على الواقعة حالا من[٣] المعرفة في نحو قولك: «جاءني زيد ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف». ومنه قوله تعالى[٤]: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾[٥]، وفائدتها توكيد[٦] لُصُوق[٧] الصفة بالموصوف والدلالة على أنّ اتصافه بها امر ثابت مستقر[٨].

وهذه[٩] الواو هي[١٠] التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم، وطمأنينة نفس ولم يرجموا[١١] بالظن كما فعل غيرهم. والدليل عليه أن الله سبحانه اتبع القولين الأولين [قوله[١٢]]: ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾، واتبع القول الثالث، [قوله[١٣]]: ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾. وقال إبن عباس رضي الله عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدة[١٤]، أي لم يَبْقَ بعدها[١٥] عدة يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات. وقيل: ﴿ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[١٦] من أهل الكتاب، والضمير في: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ - على هذا - لأهل الكتاب خاصة، أي: «سيقولون:

---

(١) ساقط من ك.
(٢) ك: كما تدخل حالاً على المعرفة.
(٣) هـ، ب: عن.
(٤) ك: عز وجل، وبقية النسخ: عز وعلا، وما أثبتناه من الكشاف.
(٥) الحجر/ ٤.
(٦) هكذا في الكشاف وبعدها في «م»: الصدق والصفة.
(٧) ب: الحرف، ك: الصدق والصفة بالموصوف، وما أثبتناه عبارة الكشاف.
(٨) ج، هـ، ع: مستمر.
(٩) ج، هـ، ب: وهي.
(١٠) في ع فقط وسقط الضمير من بقية النسخ.
(١١) ج، ب، ع: يرجموا.
(١٢، ١٣) جميع النسخ: بقوله.
(١٤) ك: القوة.
(١٥) ساقطة من ج.
(١٦) زاد بعدها في ج، هـ، ك، ب، ع: أي، وليست في نص الكشاف.

أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا عِلْمَ بذلك[1] إلاّ في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين»[2]. انتهى ما قاله الزمخشري وحكاه، وقد حصل منه أنه قليلا من أهل الكتاب قد كان يُعلَم عَدَدُهُم وهذا لا ينافر[3] المأخذ المتقدم. وحكى المفسرون أنّ ابن عباس رضي الله عنه، كان يقول في قوله: ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ ﴾، أنَا من ذلك القليل[4]. وهذا القَدْر كافٍ، والله أعلم.

٢٣٠ ـ الآية الثانية من سورة الكهف قوله تعالى في قصة صاحب الجنة:

﴿ وَلَئِنْ رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (٣٦).

وفي سورة حم السجدة (٥٠): ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾.

للسائل أن يسأل عن[5] اختصاص آية الكهف بقوله: ﴿ وَلَئِنْ رُّدِدتُّ ﴾، واختصاص آية السجدة بقوله: ﴿ وَلَئِنْ رُّجِعْتُ ﴾ مع أنّ الظاهر اتحاد المقصود في الآيتين.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآيتين وإن اتحدتا في الغاية الحاصل منها وَصْف[6] حال[7] الكافر المنكر للبعث الوارد في كل واحدة منهما في قوله: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾، فإن آية الكهف منهما أقوى تعريفاً ببُعْد الكافر المضروب [١٥٠/و] به المثل عن حال الايمان.

---

(١) ج، هـ، ك: في ذلك.
(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٥، ٢٥٦.
(٣) ك: لا ينافره.
(٤) البحر ٦/ ١١٥، أحكام القرطبي ١٠/ ٣٨٤.
(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).
(٦) م، ك، ب، ع منها من وصف.
(٧) ك: بحال.

وأما آية السجدة فصالحة لاتِّصَافِ الكافر والمؤمن بالحال[1] المفتتحة[2] بهـا من قوله: ﴿ لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾[3]، من حيث إنّ هذا وصف يعم المؤمن والكافر. ولهذا قال ابن عطية بعد أن ذكر أن المراد بها الوليد بن المُغِيرَة، أو عُتْبَة بن ربيعة[4]، وأن[5] أكثرها يعطي أن الآية نزلت في كفار، ثم[6] قال: «وإنْ تضمَّن[7] أولها خُلُقًا ربما يشارك فيه بعض المؤمنين. فحصل من كلامه أن هذا التعريف بحال المضروب به المثل[8] في هذه الآية أَرْجَى من حال[9] المضروب به المثل في آية الكهف». ألا ترى أن آية الكهف لا يكاد شيء من كَلِمِها يجري في وصف المؤمن. ألا ترى ابتداء مطلع المذكور فيها مخبرا عنه بقوله: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾[10]، وبقوله: ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾[11] ثم حكم[12] لنفسه بعد إنكاره البعث باستحقاق ما عُجِّل له من جعل الجنتين[13] كما وُصِفتا فقال: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾، فتأمل ما بين هذه الكلم الواردة في وصف هذا الكافر والواردة[14] في قوله في آية

---

(1) ب: بإيجاز.

(2) في ك فقط وبقية النسخ: الممتحنة.

(3) فصلت/ ٤٩.

(4) «انظر: البحر المحيط ٧/ ٥٠٤، وذكر القرطبي في أحكام القرآن ١٥/ ٣٧٢: «وقيل الوليد بن المغيرة. وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف».

(5) ك: فإن.

(6) ساقطة من ج.

(7) ك: تظمن.

(8) ما بعدها إلى قوله (المضروب به المثَل) ساقط من هـ.

(9) هـ: محال.

(10) الكهف/ ٣٥.

(11) الكهف/ ٣٥، ٣٦.

(12) ك: حكى.

(13) ك: الايتين.

(14) ج، هـ: الوارد.

سورة السجدة: ﴿ لاَّ يَسْأَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾، أي من أن يدعو بالخير لنفسه، ويستزيد منه. وهذه صفة توجد في المؤمنين وبها افتتح الوصف المضروب به المثل في هذه الآية. ثم قال بعد ما ذكر من كلامه: ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾، فقوله: ﴿ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾، ليس في موازنة قول الآخر في آية الكهف: ﴿ لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ وإنْ خفى ما بينهما. فلما افترقت الآيتان فيما ذكر، ناسب آية الكهف قوله: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ ﴾ لِمَا يُشْعِر لفظ ﴿ رُّدِدتُّ ﴾ ويحتمله من القهر والتعنيف، وقوعا أكثرياً لا بالوضع بخلاف لفظ «رَجَعَ»، إذا قلت: منه رَجَعْتُه، أو رجع، فإنه لا يحتمل ولا يفهم من معنى[1] القهر والتعنيف ما يحتمله: «رِدُّه». ألا ترى وروده في مثل قوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[3]، وقوله بعد: ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[4].

وفي الصحيح قوله[5] صلى الله عليه وسلم في الشيطان حين تعرض له في صلاته، قال صلى الله عليه وسلم: «فردَّه الله خاسئاً»[6].

ففي كثرة ورود هذا حيث يراد هذا المعنى أول دليل على ما أشير اليه، أما

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) الكهف/ ٨٧.

(٣، ٤) التوبة/ ٩٤، ١٠٥.

(٥) ساقط من ج.

(٦) روى مسلم الحديث من طريق شُعْبَة بثلاثة أسانيد متصلة مرفوعة فيها محمد بن زياد، ومحمد بن جعفر، وأبو بكر بن أبي شيبة وشَبَابَة ونص الحديث: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ عفريتاً من الجن جعل يفْتِكُ عليّ البارحة ليقطع عليّ الصلاة، وإن الله أمكنني منه فَذَعَتُّه، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم. ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾، فردّه الله خاسئاً) صحيح مسلم ٢/ ١٧٨، ١٧٩/ رقم ٣٦.

« رَجَعَ » وما تصرَّف منه[1] فقلّمـا[2] يرد في هذا المعنى. وإنْ ورد[3] فليس ككثـرة «ردّ». فأما قوله [١٥٠/ ظ] تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4] فهذا عام للمؤمن والكافر، وإنْ كان أظهر في المؤمن فلا مَعْنَى تَعنِيفٍ فيه.. فوضح التناسب في الآيتين، والله أعلم.

٢٣١ ـ الآية الثالثة من سورة الكهف قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِئَايَـٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (٥٧).

وفي سورة ألم السجدة[5] (٢٢): ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾.

للسائل أن يسأل عن ورود[6] آية الكهف بفـاء التعقيب، وآية السجـدة بثُـمَّ المقتضية المُهْلَة.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن سورة الكهف مكية، والخطاب فيها من أولها إلى الآية المُتكلَّم فيها لم يخرج إلى غير العرب أعني أنه لم يتعرض فيها إلى إخبار بحال غيرهم إلاّ ما عرفوه[7] من قصة أهل الكهف وخَبَرِهِم وهو من سؤالات قريش بتنبيه[8] يهود إياهم حسبما وقع[9] في الحديث[10]. فقوله في الآية المذكورة

---

(١) ج: منها.

(٢) جميع النسخ: فقل ـ ما.

(٣) ك: «يرد هذا وإن وروده ليس..».

(٤) زاد في ك من الآية: ﴿ثم نوفي﴾.

(٥) في ك فقط وبقية النسخ: «سجدة لقمان»، وهي سورة السجدة في المصحف الثابت.

(٦) ب: صيغة السؤال: (يسأل عن ورود..).

(٧) ك: ما عروه.

(٨) ب: بتَبْيينه.

(٩) ساقط من ج، ب.

(١٠) يعني حديث عكرمة عن ابن عباس في سبب نزول سورة الكهف. فقد بعثت قريش النضر بن=

﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾، المراد بالآيات آيات القرآن ودلائله الواضحة، وإنْ كان اللفظ مقتضياً كل ما يسمى آية إلا[1] أن آيات[2] القرآن أعْمَدُ[3] ما قصد هنا. ويشهد لذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[4]، وما تقدم الآية من قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[5]- الآية، وقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾[6]، والمراد به القرآن. قال تعالى: ﴿ هَـٰذَا هُدًى ﴾[7] والحجة قائمة عليهم إذا سمعوا منه بعض آياته، أو سوره، وعلموا عجزهم عن الإتيان بمثله فالحجة قائمة عليهم عقب سماعهم وتدبرهم. فورد بالفاء المقتضية التعقيب على ما يجب.

وأما آية السجدة ـ وإنْ كانت السورة مكية ايضاً ـ فإن الآية عامة في حق العرب وغيرهم والإخبار فيها إنما هو عن جميع من شاهد آية بينة وكذَّب. ودليل هذا ما تقدمه مما هو على إطلاقه في العرب وغيرهم من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[8]. هذا عام في المكلفين ثم فصَّل حالهم فيما بعد

= الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود ليسألاهم عن محمد ويصفوا لهم صفاته. فقال الأحبار: سلوه عن ثلاثة أشياء، فإن أخبركم بهن نبي مرسل: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ما هو. فلما سألته قريش عنها أمهلهم إلى غد، ثم مكث خمس عشرة ليلة لا يوحى إليه، فعزّ عليه تشنيع الكفار من أهل مكة، فجاءه جبريل بسوره الكهف معاتباً، مجيباً عن أسئلتهم. انظر: ابن كثير ٣/ ٧٢، اللباب/ ١٤٤، أحكام القرطبي ١٠/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨.

(١) ساقطة من ج، ب، ع.

(٢) في م فقط وبقية النسخ: آية.

(٣) ك: أعيد.

(٤، ٥) الكهف/ ٥٧، ٥٤.

(٦) الإسراء/ ٩٤.

(٧) الجاثية/ ١١.

(٨) السجدة/ ١٨.

قال[1] مُعْلماً بحال الجميع على ما تورده العرب عند التعجب لتباعد ما بين الأحوال، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾. فالمراد بهذه الآيات كل ما قامت به الدلالة، ووضح منه الشاهد، كناقة صالح عليه السلام، وانفلاق الصخرة عنها، وانقلاب العصا حيّة، الى غير ذلك من آيات موسى عليه السلام، وآيات[2] عيسى عليه السلام كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وانشقاق[3] القمر لنبينا عليه السلام، ونَبْعِ الماء من بين[4] الأصابع، وتكليم الجمادات ونطق الحيوان البهيم[5]، وانقلاب الأعيان، وتكثير الطعام القليل، إلى آيات الكتاب [١٥١/ و] العزيز المَتْلُوَّة قرآنا إلى ما لا يحصى من آيات الرسل والأنبياء عليهم السلام، فلما انطوت في قوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾من التعميم[6] بحسب الشاهد مما اقترن بها على ما لا يتوقف فيه ذو[7] عقل سليم إلاَّ أن يمنعه مانع قدّر عظيم مُرتكَب المعرِض، فعطف بثم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾، استبعاداً للتوقف عن الإيمان والتصديق عند[8] مشاهدة ما لا غبار عليه من الدلائل، ولا إشكال فيه.

قال الزمخشري: «ثم في قوله: ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾، للاستبعاد». قال: «والمعنى أن الإعراض عن[9] مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى

(١) ك، ب: ثم قال.
(٢) ك: بينات.
(٣) ج: وانشـ[بياض].
(٤) ساقطة من ك.
(٥) ج، ع: البهم، وساقطة من ك.
(٦) ك: التفهم.
(٧) ك: «ذو عقل إلا أن يمنعه مانع من ذلك عظم مرتكب».
(٨) ج، هـ، ع: عن.
(٩) هـ، م، ب، ك، ع: «في مثل آيات القمر وأمثالها»، وفي ج: آية القمر، وما أثبتناه من الكشاف.

سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل[1] كما تقول لصاحبك: «وَجَدْتَ مثل تلك[2] الفرصة، ثم لم تنتهزها»، استبعاداً لتركه الانتهاز. قال ومنه [ثُمَّ[3]] في بيت الحماسة: (طويل).

لاَ يَكْشِفُ الغَمَّـاءَ إلاَّ ابْـنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ المَـوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا [4]

قال: «استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أنْ رآها واستيقنها واطَّلَع على شدتها»[5] انتهى نص كلامه إلاَّ في لفظة أَسْقَطْتُهَا لجَرْيِهَا فيما لا يكاد ينفك عنه في إحراز مذهبه الخبيث فتركتها، وإسقاطها لا يخل بشيء من المعنى[6].

قلتُ: والمراد أن ما ذكر من الاستبعاد والاستعظام الذي[7] تقتضيه[8] «ثم» هنا، قائم مقام المهلة، فلتكاثر الآيات وتنوعها[9] مُسْتَوْضَحَة عظمت جريمة المُتَوقِّف[10] عنها فأشارت «ثم» لذلك فافترق القصدان، وجاء كل على ما يناسب والله أعلم.

وجواب ثان وهو أنه لما ذكر في آية الكهف إرسال الرسل عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[11]. فذكر إرسالهم وتكذيب قومهم إياهم، وإنما

---

(١) بعدها من الكشاف «والعدْل» وقد أسقطها ابن الزبير كما سيقول.

(٢) جميع النسخ: ذلك.

(٣) من الكشاف.

(٤) ينسب البيت في حماسة أبي تمام لجعفر بن علبة الحارثي بضم العين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ـ على حد عبارة الديوان ـ ١/٣١٧.

(٥) ع: شدتها.

(٦) النص في الكشاف ٢/٥٢٦.

(٧) ع: التي.

(٨) ج، هـ: يقتضيه.

(٩) ك: تنويعها.

(١٠) ج، هـ، ب، ع: التوقف.

(١١) الآية/٥٦.

وقع تكذيب المكذبين عند دعاء الرسل إياهم مُعقباً به دعاؤهم[1] فجرى مع هذا وناسبه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾، بفاء التعقيب، لأنهم إنما أعرضوا عقب دعاء الرسل إياهم، وعند جدالهم المذكور في قوله: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾، فالتعقيب هنا بيّن، فورد بالفاء.

وأما آية السجدة، فلم يقع فيها ذكر إرسال الرسل، ولا جرى في[2] [السورة] ذكر تكذيب ولا دعاء، وإنْ كانت آيَهَا عامّةً في العرب وغيرهم. وإنما ورد فيها [١٥١/ ظ] انقسام المكلفين بحسب السوابق في إشارة قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوونَ ﴾. ثم ذكر تعالى مآل[3] الفريقين وأن الفاسقين مأواهم النار وأن حالهم فيها كما ذكر الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[4] ولا شك أن استحقاق جزائهم بذلك إنما هو لتماديهم[5] على الكفر مدى حياتهم الى الموافاة. ولم تقع هنا إشارة إلى مباشرتهم الرُّسُل بالتكذيب؛ فلما لم يكن في الكلام ذكر مباشرة الرسل والمواجهة بالتكذيب، صار إعراضهم وتكذيبهم كأنه إنما عُلِم وتحصل بذكر الجزاء، وإن كان المؤمنون قد علموا ذلك بخبر الصادق وإمّا بتأخر[6] العلم به للمكذب حتى يباشر الجزاء، والجزاء متأخر، فناسب ذلك العطف بثم المقتضية المهلة فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾، فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم[7].

---

(١) ب: دعاهم.
(٢) ك: قَبْلَ الآية ولا دعاء (؟)، وبقية النسخ: في الآية، وما أثبتناه يناسب السياق.
(٣) ج، ب، ع: مثال.
(٤) السجدة/ ٢٠.
(٥) ك: تماديهم.
(٦) ك: تأخر.
(٧) ج، هـ: والله سبحانه أعلم.

٢٣٢ ـ الآية الرابعة من سورة الكهف قوله تعالى مخبراً عن قول موسى للخَضِر عليهما السلام عند خَرْق السفينة:

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ (٧١).

وقوله عند قتل الغلام (٧٤): **﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾.**

للسائل أن يسأل عن الفرق بين الموضعين[1] الموجب لوصف كل من هذين الفعلين بما وصف به.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن خرق السفينة لم يبلغ بحيث يتلفها، وإنما قصد به الخَضِر عيبها، ليزهد فيها مُرِيدُ غَصْبِها بدليل قوله بعد: **﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾**[2]، فإنما أراد بقاءها على مالكيها[3]، ودفع هذا الغاصب عنها اذا رأى ما بها من العيب المانع من الرغبة فيها وهذا لا يبلغ ظاهره[4] مبلغ قتل الغلام بغير سبب ظاهر فوصف بـ «إِمْرًا»[5] في قوله: **﴿ شَيْئًا إِمْراً ﴾**. هذا وهو دون النُكْر. وأمّا البادي الظاهر من قتل الغلام عند من يغيب عنه ما عمله الخَضِر فشيء نُكرٌ، ومُرْتَكَبٌ عند من لَحَظَهُ بظاهره وغاب عنه ما في طَيِّه[6]، لشنيع[7] وِزْرِه[8] فوقع التعبير في الموضعين بما يناسب كُلاً من الفعلين. وعن قتادة ـ رحمه الله ـ النُكْرُ أشد من الإِمْرِ، فجاء كل على ما يلائم ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصفين في موضع الآخر، والله أعلم.

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن الفرق بين. . .).

(٢) الكهف/ ٧٩.

(٣) ك: أبقاها على مالكها.

(٤) ج، ع: بظاهرة.

(٥) هـ، م، ك، ب: بإمر.

(٦) ب: ظنه.

(٧) ج، هـ، ب، ع: لبليغ، ب، شنيع.

(٨) ك: ووزر، هـ، ب، ع: وزر، وبياض في ج، م.

٢٣٣ ـ الآية الخامسة من سورة الكهف قوله تعالى في حكاية قول الخَضِر عليهما السلام.

﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٢).

ثم قوله بعد ذلك في قصة قتل الغلام (٧٥): ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن[1] الفرق الموجب لزيادة ﴿ لَّكَ ﴾ في هذا القول الثاني.

والجواب أن الخَضِر قد كان قال لموسى حين قال له موسى عليهما [١٥٢/و] السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[2]، فقال: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾[3] فلما كان من موسى عند خرق السفينة ما كان من الإنكار بقوله: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[4] ذكره الخَضِر بما كان قد قاله له فقال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ (لَّكَ) إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾[5] فاعتذر موسى عليه السلام بقوله: ﴿ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[6]. فلما وقع منه بعد ذلك إنكار قتل الغلام بقوله: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾[7]، وأبلغ في وصف الفَعْلَة بقوله: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾[8]، قابل الخضر ذلك بتأكيد[9] الكلام المتقدم فقال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾[10]. فالضمير المجرور بيانٌ جيء به تأكيداً ليقابل بالكلام ما وقع جواباً له من موسى عليه السلام، زيادة للتناسب وتعلق المجرور الواقع بياناً مُخْتَلَف[11] فيه. فمنهم من يعلِّقُه بفعل مضمر، ومنهم من يُجْرِي حرف الجر فيه، كحرف الجر الزائد، فلا يعلقه بشيء. وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾[12]

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق الموجب..).
(٢، ٣) الكهف/ ٦٦، ٦٧.
(٤ ـ ٨) الآيات/ ٧١ ـ ٧٤ على الترتيب.
(٩) ك: يتأكّد.
(١٠) الكهف/ ٧٥.
(١١) ك: مختلف.
(١٢) الكهف/ ٧٥.

على هذا المأخذ معمول للقول من قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾. ويمكن عندي فيه[1] وجه آخر وهو أن يكون قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾، كلاماً مستقلاً[2] محذوفاً منه معمول القول، وكأنه في تقدير: «ألم أقل لك ما قلت»، ثم استأنف المقالة فقال: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾. فقوله: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، على هذا ليس معمولا للقول من قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾، إنما معمول: ﴿ أَقُلْ لَّكَ ﴾ محذوف مقدّر، كما حذف معمول القول من قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ أَسِحْرٌ هَـٰذَا ﴾[3]. ومعمول[4] القول محذوف، تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم سحر مبين. ثم قال لهم تقريعاً وتوبيخاً: ﴿ أَسِحْرٌ هَـٰذَا ﴾، فسحر مُبِّينٌ المُقَدَّر، معمول للقول وهو من قولهم، وقوله: ﴿ أَسِحْرٌ هَـٰذَا ﴾، من قول موسى عليه السلام توبيخاً لهم[5]، كما ذكرنا، فكذا[6] حذف من قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾، كما تقدم، والله أعلم.

٢٣٤ ـ الآية السادسة من سورة الكهف قوله تعالى:

﴿ فَمَا اسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ (٩٧).

للسائل أن يسأل[7] عن الفرق الموجب لمجيء ﴿ اسْتَطَاعُواْ ﴾ ثانياً[8] بالتاء، دون الأول.

---

(١) ج، هـ، ب، ع: من.
(٢) هـ، ب: مستقبلاً.
(٣) يونس/ ٧٧.
(٤) مكانها بياض في ج.
(٥) راجع: إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ٣١.
(٦) ج، هـ، ع: فلهذا.
(٧) ب: صيغة السؤال (يسأل عن الفرق...).
(٨) محذوفة من ك.

والجواب أن[1] يقال: « آسْتَطَاعَ[2]، وآسْتَاعَ[3]، وَآسْطَاعَ[4] » والأول الأصل، ثم يحذفون أحد[5] الحرفين تخفيفاً[6] فجيء أولاً بالفعل مخففاً[7] عند ارادة[8] نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مُسْتَوْفَى[9] الحروف عند نفي قدرتهم على نفيه وحذفه[10]. ولا شك أن الظهور عليه أيسر من النَّقْب، والنَّقْب أشق[11] عليهم وأثقل، فجيء بالفعل خفيفاً مع الأخف، وجيء به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب[12]. ولو قدّر [١٥٢/ ظ] بالعكس لما تناسب. وأيضاً فإن الثاني محل التأكيد لنفي قدرتهم على الإستيلاء على السَّدّ وتمكنهم منه فناسب ذلك الإطالة. وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأوَّل أوْلَى، فَلْنَكْتَفِ بهذا، والله أعلم بما أراد.

٢٣٥ ـ الآية السابعة (غ) قوله تعالى[13]:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (١١٠).

و[كذا] في سورة حَمَ السَّجْدة[14].

(١) ب: أنه.
(٢) ك: استطاعوا.
(٣) محذوف من ب.
(٤) ك: واسطاعوا.
(٥) ب: آخر.
(٦) ج، ع: تخفيفاً.
(٧) ج، هـ: مخففاً.
(٨) ج: إيراده.
(٩) ب: مستوفا.
(١٠) ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(١١) ك: أشد.
(١٢) ك: فناسب.
(١٣) عنوان الآية ساقط من ك.
(١٤) يريد الآية/ ٦ من سورة فصلت. وقد أثبتها الناسخ في هامش م، ومكتوبة في هـ بدون تصدير، فتوهم التكرار.

وفي سورة الأنبياء (١٠٨): ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، فلم[1] يقع في هذه الآية لفظ ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ﴾، وورد في الأولى؛ فللسائل أن يسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك، أنه لما تقدم في أول سورة الأنبياء، إثبات كون الرسل عليهم السلام من البشر فيما حكاه تعالى قول[2] الكفار بعضهم لبعض: ﴿ هَلْ هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[3]، ثم قال تعالى راداً لقولهم، ومثبتاً لكون الرسل من البشر عدة مواضع، إفصاحاً وإشارة آخرها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[4]. والخطاب لنبينا عليه السلام، قال تعالى بعد ذلك: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، فلم يُحتَج هنا إلى[5] أن يذكر كونه عليه السلام من البشر، إذ قد توالى ذكر ذلك جملة وتفصيلاً.

أما سورة الكهف فلم يتقدم لها مثل هذا، فكان مظنة الإعلام بكونه صلى الله عليه وسلم من البشر إرغاماً لأعدائه، ولما في ذلك من تلطفه تعالى بالخلق، ورحمته إياهم. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾[7]. فكَوْن الرسل من البشر من[8] أعظم إنعامه سبحانه على الخلق. وخُصَّتْ آية الكهف بذكر بشريته عليه السلام، لما بيناه. وورد كل على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم بما أراد.

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه سقوط لفظ ﴿ أَنَا بَشَرٌ ﴾ وورد في الأولى والجواب..).

(٢) هـ، م، ب: قولي.

(٣) الآية/٣.

(٤) الآية/١٠٧، والمواضع التي أشار إليها هي الآيات؛ ٦، ٧، ٢٥، ٢٦، ٩١.

(٥) ساقط من م، ك، ب.

(٦، ٧) الأنعام: ٩، ٨ على الترتيب.

(٨): ساقط من ك.

سورة مَرْيَمَ عليها السلام

٢٣٦ ـ الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى في قصة يحيى بن زكريَّاءَ عليهما السلام:
﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١٤).

وفي قصة عيسى عليه السلام (٣٢): ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾. فاختلف الوصفان في الآيتين مع اتحاد مرماهما في السابق من ظاهرهما. فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله سبحانه وصف يحيى عليه السلام بعِظَم التقوى في قوله قبل: ﴿وكَانَ تَقِيًّا﴾[1] وتَقِيٌّ «فَعِيلٌ» من التقوى وهو من أبنية المبالغة فتفهم الوفاء بوجوه التقوى حتى لا يكون من الموصوف بذلك معصية، ولا تقصير. فقوله بعد: ﴿وَلَمْ يكُن جَبَّاراً عَصِيًّا﴾، المراد به ـ والله أعلم ـ نفي المعاصي[2] جملة، وهو المراد بقوله في الموضع الآخر: ﴿وَسَيِّداً وحَصُوراً﴾[3]، أي ممنوعاً من المعاصي، والحَصْرُ: الحبس والمنع، قال مكِّيٌّ[4] ـ رحمه الله ـ حَصَرَ [١٥٣/و] عن الذنوب، فلم يأتها. وما قاله المفسرون من أن المراد هنا منعه عن النساء بأي وجه قالوه، فلا يصح، والله أعلم، لأن عدم القدرة على النساء نقص، والأنبياء منزَّهُون عن النقص فكيف يصح ورود هذا الوصف في مَعرِض المِدْحَةِ، وهو في نفسه نقص. والقوة في ذلك كمال ومِدْحَةٌ.

---

(١) مريم/١٣.

(٢) ك: للمعاصي.

(٣) آل عمران/ ٣٩.

(٤) ج: مكى. تصحيف صوابه ما أثبتناه. ومكي هو مكي بن أبي طالب النحوي المقرىء القيرواني يقال: إن له نيفاً وثمانين تأليفاً منها: إعراب القرآن، والموجز في القراءات، والتفسير الكبير، وغريب القرآن، ومشكل إعراب القرآن. وقد قام بتحقيق الكتاب الأخير ودراسته الدكتور عبد الحميد السيوري خير دراسة. توفي مكي ٤٣٧ هـ أنظر: الداودي ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨، الترجمة الوافية لمكي في رسالة الدكتور السيوري ج ١/ الفصل الأول ـ التعريف بالمؤلف/ ١ ـ ٢٥.

فالمراد هنا بالحَصُور الممنُوع عن المعاصي. وقد روى عمرو[1] بن العاص[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يأتِي يَومَ القيامَة ولَهُ ذَنْبٌ، إلاّ يَحْيى بن زَكَرِيَّاء»[3] ثم نُوسِب[4] بين هذا الوصف، وبين ما تقدَّمه من قوله: ﴿ولَمْ يكُن جَبَّاراً﴾، بلفظ المبالغة مثله، والمراد نفي المعاصي عنه عليه السلام والتناسب في هذا كله واضح. وأما قوله في قصة عيسى عليه السلام: ﴿ وَلَم يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا ﴾، فملحوظ بذلك ما جرى لأتْباعِه عليه السلام، وما وقعوا فيه من العظيمة حين قالوا: هو ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ فاستحقوا الوصف بالشقاء بمقالهم. والشقي مستحق العذاب الأخراوي، وإلى السعادة والشقاء انقسام العالم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[5]، فهما طرفان حَصَرَا العالم[6] في الآخرة، وهما كقوله: ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾[7] فلما لَحَظَ في قصة عيسى عليه السلام عصمته من الرضا بما وقع في أتباعه ناسب ذلك نَفْيُ صفة الضالِّين[8] ممن توهم أنَّه ممن اتبعه ليتبرأ عليه السلام من حالهم كما يتبرأ[9] حين يقول في الآخرة[10] ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾[11]. فقد وضح ورود كل من الوصفين على أجل النظم، وأتم المناسبة، وأن عكس الوارد لا يمكن، والله أعلم.

---

(١) في «م» فقط.

(٢) في جميع النسخ: «العاصي» بياء النسب.

(٣) روى الحديث أبو جعفر الطبري، والحافظ ابن كثير في تفسيره. كلاهما برواية سعيد بن المُسَيِّب عن ابن العاص، وكلاهما يشك في تحديد ابن العاص، قال الطبري: «إما عبد الله وإما أبوه»، وقال ابن كثير: «لا يُدْرَى عبد الله أو عمرو» وقد رواه الطبري مرفوعاً برقم ٦٩٨١، ثم رواه موقوفاً على عمرو، وابنه برقم: ٦٩٨٣. أنظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٦١، جامع البيان ٦/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٤) ب: فنوسب.

(٥) هود/ ١٠٥.

(٦) ج، ع: فهما طرفا حصر العالم.

(٧) التغابن/ ٢.

(٨) ك: الظالمين.

(٩) ج، ب، ع: تبرأ، ك: يبرأ.

(١٠) الجار والمجرور ساقطان من: ج، ك، ع.

(١١) المائدة/ ١١٧.

٢٣٧ ـ الآية الثانية قوله تعالى:

﴿ فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣٧).

وفي سورة الزخرف (٦٥): ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، وقوله في الأخرى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، ما وجه تخصيص كل آية منها بما ورد فيها، وعن قوله في الأولى: ﴿ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، وفي الثانية: ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾، فهذان سؤالان[1]:

والجواب عن الأول منهما، أن الكفر بالله سبحانه أعظم من كل خطيئة، والذي لا ينفع معه شيء من أعمال البرّ، فهو أعظم من الظلم ثم قد يوصف الكافر بالظلم إشارة إلى الصفة اللازمة له من ظلمه لنفسه بكفره وشنيع مرتكبه فيُشْعِر إذ ذاك هذا[2] الوصف إذا ورد تابعاً للكفر، ولفظ الكفر منطوق[3] به، أو مفهوم من سياق الكلام بزيادة توجب زيادة التنكيل، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[4]، فقوله في آية سورة مريم [١٥٣/ ظ] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، مُعقّب بها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ . وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[5]،

---

(١) ب: صيغة السؤال (للسائل أن يقول: ما وجه تخصيص كل آية بما ورد فيها، وعن مخالفة الأولى للثانية...).

(٢) ك: هو.

(٣) ج: منطوقاً.

(٤) النساء/١٦٨.

(٥) آيات/ ٣٤ ـ ٣٦.

ثم قال: ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، والمراد اختلافهم في نبي الله عيسى عليه السلام حيث قال بعضهم: هو الله، وبعضهم: هو ابن الله، وبعضهم: ثالث ثلاثة، فهذا اختلافهم. وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، فوسَمَهُمْ بالكفر الذي هو ضابط أقوالهم وأُمُّ[1] مرتكباتهم، وأخبر باستحقاق الويل لهم لكفرهم، من شهود ذلك اليوم الفاضح لهم على رؤوس الأشهاد. وفيه قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[2]، وفيه يقول الأشهاد: ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[3]. ثم ذكَرَهم في سورة[4] الزخرف[5] بصفتهم من الظلم اللازم لكفرهم، وليناسب ذلك ما تقدم من وصف من اعتمد غير[6] الله سبحانه، فقُرِن بمُعْتَمَدِهِ في العذاب وهو المقول فيه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[7]، فقيل فيه وفي مُتَّخِذِهِ: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[8]. والظلم هنا ظلم الكفر، وحال مَن عَبَد عيسى عليه السلام من الأحزاب المذكور اختلافهم في خاصته[9] دون متَّخِذِه بحال هؤلاء، فوسموا بالظلم كَوَسْمِ من تقدم فقيل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، وظلم هؤلاء كفر، كحال من تقدم، فناسب هذا، ولم يقع قبل آية سورة مريم ما يطلب بمناسبة فوصفوا هناك بالكفر بخلاف آية الزخرف. فجاء كل على ما يجب. ثم قال: ﴿ مِن عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾، فذكر العذاب المُعْقَب به ذلك اليوم المشهود، ووصف اليوم بالإيلام، وإن كان المُؤْلِم إنما هو العذاب مبالغة في شدة الإيلام من عذاب ذلك اليوم كما قالوا:

(١) الأم من كل شيء أصله. ومنه تسمى جلدة الرقبة التي تصل الرأس بالجسد أم الدماغ، والحبل الذي يربط العلم بالسارية أم العلم أو البند.

(٢، ٣) هود/ ١٠٣، ١٨ على الترتيب.

(٤) ك: آية.

(٥) الآيتان/ ١٩، ٢٠.

(٦) مكانها بياض في ج.

(٧، ٨) الزخرف/ ٣٦، ٣٩.

(٩) ك: خاصة.

« نهارُكَ صائم وَلَيْلُكَ قائـم »[1]. وهـذا العـذاب ثان عن قيامهـم في ذلك اليوم المشهود وسوء حالهم فيه، وجاء ذلك على الترتيب الذي استقر عليه الكتاب فذكر في المتقدم من الآيتين المتقدم وجوداً من حالهم الأخراوي، وفي الآية الثانية في ترتيب ما هو ثان عن ذلك، وجاء كل من ذلك على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٣٨ ـ الآية الثالثة (غ)[2] قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ (٣٩).

وفي سورة المؤمن (١٨): ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴾، والمراد بالآيتين تذكيرهم بالقيامة وأهوالها ثم اختلفت العبارة في الكناية عنه. ففي سورة مريم: ﴿ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾، وفي سورة المؤمن: ﴿ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ ﴾[3] [١٥٤/و] فللسائل أن يسأل عن ذلك.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن اليوم المشار إليه يشتمل على مواقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة، وبحسب ذلك تختلف العبارة والاختلاف لاختلاف[4] المقاصد والمواطن. ألا ترى قوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[5] وقوله: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[7]، وقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ

---

(١) سيبويه ١/٣٣٧.
(٢) ساقطة من ب.
(٣) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.
(٤) في ك فقط وبقية النسخ: اختلاف.
(٥) المؤمنون/١٠١.
(٦) الصافات/٢٧، الطور/٢٥.
(٧) الصافات/٢٤.

وَلاَ جَانٌّ ﴾[1]، ولا شك أن هذا في مواطن مختلفة، وبحسب ذلك اختلفت الكناية عما أضيف إليه اليوم هنا. فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي يحصل فيه العلم اليقين بتأبيدِ خلودهم، واستمرار عذابهم إلى غير نهاية، ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك، فلا أشد فرحاً من أهل الجنة يومئذ، ولا أشد حسرة من أهل النار.

وفي هذا ورد الخبر الصحيح من أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار يُنَادَى يا[2] أهل الجنة فيَشْرئِبُّون، ويُنَادَى يا أهل النار كذلك، ويؤتى بالموت فيقال لهم: هل تعرفونه؟ فيقال نعم ـ الحديث إلى قوله فيه ـ يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت. إذَّاك تعظم حسرتهم، ويشتد كَرْبُهُمْ.

ونَصُّ الحديث على ما روينا في صحيح مسلم [منسوب] إلى [أبي] سعيد: «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَاءُ بالموت يوم القيامة كأنه كبش أَمْلَحُ، زاد أبو كُرَيْب: فيوقف بين الجنة والنار، واتفقا في باقي الحديث: فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون ويقولون: نعم، هذا الموت. [قال] فيؤمر به فيُذْبَح. [قال] ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. [قال] ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾، وأشار بيده الى الدنيا»[3].

قلت: وهذا الحديث من مُشْكِلِ[4] الأحاديث، وله وجه من التأويل يرفعُ

---

(١) الرحمن/ ٣٩.

(٢) حرف النداء ساقط من ج.

(٣) ألفاظ الحديث في مسلم برواية أبي معاوية، وعثمان بن أبي شيبة وكلاهما عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري (حديث رقم ٣٨ ج ٥). ورواه بروايات مختصرة من طريق زهير بن حرب، عبد بن حميد، والحسن بن علي الحلواني، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعيد: عن أبي صالح، عن نافع عن عبد الله بن عمر، كما رواه عن ابن عمر: عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه محمد بن زيد (الحديثان/ ٣٩، ٤٠ ج ٥).

(٤) ك: مشكلات.

إشْكَالَهُ، وقد تَفَسَّرَتْ مَظِنَّةُ[1] الحسرة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قُضِيَ ٱلأَمْرُ ﴾، والمراد به استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، كما ورد في الخبر. وحُقَّ لمن قدم ذكره قبل هذه الآية ممن وقع في العظيمة من أمر عيسى عليه السلام حين قالوا: المسيح ابن الله، مع إقرارهم بالبعث الأُخراوي والجزاء، فَحُقَّ لهم أن يذكّروا تحذيراً وتخويفاً بمثل هذا، ولم يتقدم الآية ذكر غيرهم. فهذا أوضح [١٥٤/ ظ] تناسب.

وأما آية سورة المؤمن فقد ورد[2] قبلها قوله تعالى خطاباً للمؤمنين: ﴿ فَادْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[3]. ثم تتابع الكلام معهم الى الآية من قوله: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلأَزِفَةِ ﴾[4]، فَخُوِّفُوا بإسْرَاع أمر الساعة وتعجيل وقوعها، كما قال سبحانه: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾[5]. أَزِفَ الشيء: أسرع، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلأَزِفَةُ. لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[6]. وتأمل ما اتصل بقوله: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلأَزِفَةِ ﴾ من قوله: ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾، فقد تناسب هذا ووضح أن ما ورد في الآيتين على أتم مناسبة، وأنّ عكس الوارد على ما بيّناه لا يلائم[7]، والله أعلم.

٢٣٩ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ (٥٢ ـ ٥٣).

---

(١) ج، هـ: مضنَّة.
(٢) ج، ع: تقدم.
(٣، ٤) غافر/ ١٤، ١٨.
(٥) الأنبياء/ واحد، وزاد في ك من الآية: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.
(٦) النجم/ ٥٧ ـ ٥٨.
(٧) ب: لا يلاهم.

وفي سورة الفرقان (٣٥): ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴾. ومقصود الآيتين تأييد موسى عليه السلام بأخيه هارون، ثم اختلف الوصف بالنبوءة والوزارة مع اتحاد المقصود، فللسائل أن يسأل عن ذلك.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ يحصل[1] طيَّ تمهيد، وهو أن السورة المُتردَّد فيها ذكر الرُّسُل عليهم السلام مَنُوط فيها بذكر أُممهم وما كان من معاندة الأمم وتكذيبهم وأخْذ المكذِّبين بمرتكباتهم، ولا تكاد تجد سورةً منها وارِد[2] فيها ذكرُهم إلاّ على ما ذكرنا، وأكثر تلك السور استيفاءً لهذا الغرض سوَرٌ ثلاث، وهي: سورة الأعراف، وسورة هُود، وسورة الشُّعَراء، ثم يليها في ذلك سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]، وقلَّما تجد سورة ورد فيها قصة منها وَاحِدَة فصاعِداً إلاّ جارية على ما ذكَرْتُه، وربما أُجمِل ذلك في بعضها مع تحصيل ما ذكرنا من أخذ الأمم بعد تكذيبهم. وآخر سورة ذُكِرَت فيها قصصهم معتمداً فيها طَرْد أَخْذِ كل أمة بتكذيبها، وبيان ما به أهلكت من الغرق، والريح، والصيحة، والحاصب، وعنيف الأخذ، والعزة والاقتدار، سورة القمر مع إيجاز في القصص لم يرد في غير هذه السورة مع الوفاء بما ذكرنا. وإنما خُصَّت هذه السورة ببيان كيفية أخذ المكذبين، لما بينته في كتاب «البرهان»[4] ثم إنَّ سورة مريم تضمنت ذكر طائفة عظيمة، فصَّل ذكر بعضهم، وأُجْمَل ذكر البعض. وقد جرَّد فيها من الإخبار بأحوالهم، ذكر التعريف بخصائص من منحهم، وعَليِّ أقدارهم، وما أيِّدوا به من ذلك، من غير أن يشوب هذا ذكر شيء من تكذيب من كذَّب منهم، إلاّ ما ورد في ذكر إبراهيم عليه السلام من قول أبيه له: [١٥٥/و] ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ ـ الآية[5]، ولم

---

(١) ب: تحصيل.
(٢) ج، هـ، ع: ورد.
(٣) هي سورة المؤمنون في المصحف الثابت.
(٤) ما بعدها إلى قوله: ذكر البعض، ساقط من ج.
(٥) مريم/٤٦.

يذكر من حال قومه عليه السلام شيء، ولا ذكر فيما بعد، ولا فيما تقدم من هذه السورة كما تقيدت به مما ذكرنا[1]. ثم إنّ النبوة هي أعظم خصائصهم التي تَسَاوَوْا في تحمل أمانتها، وأفردوا عليهم السلام بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم. أما اسم الوزارة والوصف بها، فليس مما يخصهم، ولا مما أفيدوا[2] به فلم يكن وصف هارون عليه السلام بها هنا ليناسب هذا القصد[3] العَلِيَّ ولا يلائمه[4].

أما قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾، فترتب على سؤال موسى عليه السلام في سورة طه في قوله: ﴿ وَٱجْعَلْ لِي وَزِيراً مِن أَهْلِي ﴾[5]، فأُعطِيَ عليه السلام مطلبه، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾، وورد هذا على الترتيب المتقرر في المصحف[6]. ثم إنّ ما اتصل بهذه الآية، وآية سورة مريم مما قبلهما. يستدعي التناسب في مقاطع الآي وفواصلها، فلم يكن ورود الآيتين في السورتين على غير ما وَرَدَتَا ليناسب، فجاء ذلك على ما يجب من الوجهين المذكورين، والله أعلم بما أراد.

٢٤٠ ـ الآية الخامسة من سورة مريم قوله تعالى:

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً. إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (٥٩ ـ ٦٠).

---

(١) في ك فقط، وبقية النسخ: ذكر.

(٢) ج، ب، ع: اقتدوا.

(٣) ك: المقصد.

(٤) ك: يلائمها.

(٥) طه/ ٢٩.

(٦) ك: المعجب.

وفي سورة الفرقان (٦٨ ـ ٧٠): ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا[1] ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله في الأولى: ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾، وقوله في الثانية: ﴿ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ﴾، وعن قوله[2] في الأولى، في جزائهم: ﴿ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾، وفي الجزاء[3] في الثانية: ﴿ فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾.

والجواب أن الآية الأولى ورد قبلها بعد ذكر المُنْعَم عليهم، ومن اهتدى بهديهم، قوله[4]: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[5]، وهذا قول موجزٌ يناسبه الإيجاز في قوله: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ ـ الآية؛ فتناسبا في التقابل الإيجازي، كما تناسبا أيضاً في الفواصل، ومقاطع الآي، وذلك قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾، وقوله: ﴿ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾. والمسهِّل من القرّاء يقول «شيًّا» فيُعْقِب[6] بالياء المشدّدة.

وأما قوله في آية الفرقان: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾، فإطْنابٌ ناسب التفصيل الواقع قبله من قوله: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ﴾[7] [١٥٥/ظ] ثم قال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾، يريد ما ذُكِر مِمَّا مُدِح[8]

---

(١) ما بعدها إلى قوله «صالحاً» محذوف من ب، وفي موضعه «إلى قوله».

(٢) ج، ب: قولهم.

(٣) ب: صيغة السؤال: في الأولى: ﴿وعمل صالحاً﴾، وفي الثانية: ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ وأيضاً فقال في الأولى في جزائهم ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾، وفي الثانية: ﴿فأولئك...﴾ هكذا.

(٤) ساقطة من ج، ك، ع.

(٥) مريم/ ٥٩.

(٦) ك: فيقف.

(٧) الآية/ ٦٨.

(٨) ب: «تمامه» بدل «مما مدح»، وسقط من ك.

المتصف بتقوى الله بتركه والتنزه عن مُوَاقَعَةِ شيء منه، ﴿ يَلْقَ أَثَاماً ﴾. ثم فسر ما يلقاه بقوله: ﴿ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾، أي يكثر عليه، ويزاد[1]، ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾، فجعل بازاء مضاعفة العذاب لفاعل ذلك، تبديل السيئات بالحسنات إلى الغفران والرحمة، فإيجاز بإيجاز، وإطناب بإطناب مناسبة بين الجواب وما جُووِبَ به، وكل على ما يجب ولا يسوغ العكس على ما تمهد، والله أعلم.

سورة طه

٢٤١ ـ الآية الأولى منها، وما يتعلق بها، ويرجع الى معناها، وتتم به مما يتصل بها قوله تعالى:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ. إِذْ رَءَا نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً[2] لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً. فَلَمَّا أَتَـٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰ. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ. إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ. فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ (٩ ـ ١٨).

وفي سورة النمل (٧ ـ ١٠): ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَـَٔاتِيكُمْ

---

(١) ك: يزداد ـ بلا واو.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآيات محذوف من ب.

مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ[1] لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ـ الى ـ ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾.

وفي سورة القَصَص (٢٩ ـ ٣١): ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا[2] قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾.

هذه الآي من مُشْكِلاَت[3] الضرب الثاني الذي بنينا عليه مقصود هذا الكتاب، لأن محصولها الإخبار عن ابتداء أمر موسى عليه السلام في رسالته، وتكليم الله سبحانه إياه، وهو خبر واحد عن قصة واحدة قد وقعت، وعيَّن[4] وقوعها ما وقعت عليه من الصفة التي اتحدت بوقوعها وتَبَيَّنَتْ، فلا يمكن فيها العدول عما وقعت عليه، فكيف هنا الواقع الوارد من قوله في السورتين: ﴿ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا ﴾، ولم يقع لفظ ﴿ امْكُثُوا ﴾ في سورة النمل، وفي السورتين: ﴿ لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا ﴾، وفي النمل ﴿ سَآتِيكُم مِّنْهَا ﴾، فورد ﴿ سَآتِيكُمْ ﴾، عِوَضَ ﴿ لَّعَلِّي ﴾[5]، وفي طه [١٥٦/و] ﴿ بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾، وفي النمل: ﴿ بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾، فقدم ذكر القَبَس في «طه»، وأخر في السورتين، ثم اختلف التعبير فعبر[6] عنه في القصص: ﴿ بِجَذْوَةٍ ﴾، وعوّض في النمل، فقيل: ﴿ بِشِهَابٍ ﴾[7] مضافاً الى القَبَس،

---

(١) ما بعدها إلى قوله: «حولها» محذوف من ب.
(٢) ما بعدها إلى قوله «العالمين وإنْ» محذوف من ب، وفي موضعه «إلى قوله».
(٣) ك: مشكل.
(٤) ج، م، ب: عن.
(٥) ب: فوقع عوض «سآتيكم»، «لعلّي».
(٦) ساقط من ج، هـ، م.
(٧) ك: ﴿ بشهاب قبس ﴾.

وكرر: ﴿ أَوْ آتِيكُمْ ﴾، في النمل. ولم يقع ذلك[1] في غيرها، وأفصح في السورتين الأخرتين بالحاجة إلى النار وهو الاصطلاء، ولم يقع ذلك في «طه»، جملة.وعبّر عن الخبر في طه بقوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾، ولم يذكر ذلك في السورتين. فهذه مواضع اختلفت العبارة فيها، واختلفت في الزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، مع أن الإخبار عن واقعة معينة، وقصة مُتَّحِدَة، والخبر الواحد الصدق، لا يمكن فيه الزيادة ولا النقص، ولا النَّسْخ ،من حيث هو خبر، ولا شيء مما ذكر. ويرجع السؤال فيها الى شيئين[2]:

أحدهما: وجه الاختلاف.

والثاني: وجه[3] تخصيص كل موضع بما خُصَّ به.

فأقول ـ مستعيناً بالله، وسائلاً منه سبحانه توفيقه وإرشاده[4] ـ إن المعاني المُتَصَوَّرة[5]في الأذهان المعقولة القائمة بنفس العقلاء لا تحصل تعديتها إلى غير مَنْ قامت به إلاّ بالعِبَارات[6] المترجمة منها من الألفاظ الاصطلاحية، وبما[7] خوطب العالم. وما سوى اللفظ من إشارة إلى غيرها لا يستقل في تحصيل المعنى المترجم عنه استقلالها. وبالجملة فلم يخاطب إلاّ بها.

وإذا تقرر هذا، فمن المَعْلُوم أن اللفظ بالتفات مدلوله المعنوي يتعدد، ومرجع الألفاظ إلى مُسَمَّيَاتِها[8] ينحصر في أربعة أقسام:

إما أن يتَّحِد اللفظ والمعنى.

---

(١) ما بعدها إلى قوله: «ولم يقع ذلك» ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(٢) ك: سَبَبَيْن.
(٣) ج: وجمع.
(٤) ك: وإرشاداً.
(٥) ج، ع: المصورة.
(٦) ك: بالمعبرات.
(٧) في ك فقط وبقية النسخ: وربما.
(٨) في ك فقط، وبقية النسخ: مسبباتها.

أو يختلف اللفظ والمعنى.

أو يتحد اللفظ، ويختلف المعنى.

أو يختلف اللفظ، ويتَّحِد المعنى.

ولا يقتضي النظر العقلي زائداً على هذا التقسيم، وعلى مقتضاه دارت العقول[1] وتخاطب العقلاء.

فالقسم الأول منها، وهو المتَّحِد اللفظ والمعنى. وهو المتواطىء، وهو دلالة اللفظ على معنى، ثم يعرض لذلك المعنى عند الشخص كثرة، فيكون ذلك اللفظ يدل على تلك الأشخاص بتواطوء[2]. ومثاله: رَجُلٌ، وفَرَسٌ، وأسد. ومنه دلالة اسم النوع، كالإنسان على أشخاصه، وكذلك دلالة الجنس، كالحيوان على الإنسان، والفرس، والطائر.

والقسم الثاني، وهو المختلف اللفظ والمعنى. وهي الأسماء المتباينة، وهي أسماء مختلفة لمعاني مختلفة كل اسم منها يخص معناه [١٥٦/ظ] الذي وضع له، نحو: السواد والبياض، والقدرة والعجز.

والقسم الثالث، وهو ما اتحد فيه اللفظ واختلف المعنى. وهي الأسماء المشتركة نحو: العين الباصرة[3] وعين الماء، ونحوَ ذلك. فاللفظ متحد والمعنى مختلف.

والقسم الرابع، وهو ما تعدد لفظه واتحد معناه. هي المترادفة، كالأسد، والليث للحيوان المعروف.

ثم قد يعرض للمشترك، وهو المتحد اللفظ مع اختلاف المعنى تفاوت في قوة دلالته على ما تحته. وأعني بالتفاوت استقلال المعنى بنفسه غير مفتقر إلى الغير، أو عدم استقلاله فينقسم بحسب هذا إلى متواطىء ومُشكِّك، كوقوع اسم موجود على

---

(١) ك: اللغات.

(٢) جميع النسخ: بتواطى.

(٣) جميع النسخ: والباصرة.

الجوهر والعَرَض، إذ الجوهر هو قائم بنفسه، والعرض لا يقوم بنفسه؛ ففي[1] وقوع اسم موجود عليهما[2] تفاوت بيِّن. فهو في وقوعه على الجوهر من قسم المتواطىء، ووقوعه على العرض بتشكيك[3].

ثم من الألفاظ على الجملة مجازية: وهي الواقعة على مُسمَّياتها[4]، لا على أنها[5] أسماء لها[6]، بل[7] لمناسبتها لِمَا وضعت الأسماء الحقيقية بإزائها. ومن المعلوم في عوارض التركيب، الضرب المسمى بلحن الخطاب، وهو حذف الكلمة من الجملة مع إرادتها، ودلالة السياق والمعنى عليها، كالواقع في قوله تعالى: ﴿ أَنْ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾[8]، ولا شك أن المراد: فضرب فانفلق.

ومما يُلحَق به عند الجمهور - إلاّ من قال بقول الكَرْخي[9]: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[10]، والتقدير: فأفطر، ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾. فهذا من لحن الخطاب، ومن معروف التخاطب الجاري[11] وهي دلالة المنطوق به على مسكوت عنه، يُفهِمُه السياق وقصد المتكلم من عُرْف اللغة نحو فَهْم مَنْع الضرب والشتم من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾[12]. وهذا الضرب من المفهوم يجاري النصوص[13]. ولهذا لم يخالف فيه من أنكر القياس، فهذه

---

(1) ك: في.
(2) ك: عليها.
(3) ك: تشكيك.
(4) ج، ع: مسبباتها.
(5) ساقطة من ج، ع.
(6) ج، ع: أسمائها.
(7) سقط من ك قوله: بَلْ لِمُنَاسَبَتِها. لِمَا.
(8) الشّعراء/ ٦٣.
(9) محمد بن إبراهيم الكرخي، الفقيه. أنظر: أحكام القرآن، للجصّاص ١/ ٢١٣ - ٢١٦، وللقرطبي ٢/ ٢٩٩ - ٣٠١، ولابن العربي ١/ ٨٢ - ٨٥.
(10) البقرة/ ١٨٤.
(11) ج، ع: الفحوى، هـ، م، ب: الفحاوي.
(12) الإسراء/ ٢٣.
(13) ج، م: المنصوص.

جملة يستعان بها على تلقي ما يرد، وليست خاصة بالذي نحن فيه من هذه السورة، ولا بموضع دون موضع. ثم من المعلوم بإعلام الله سبحانه أنه تعالى لم يرسل رسولاً إلاّ بلسان قومه. فموسى عليه السلام، إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني الذي هو لسان قومه، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت، والتقييد بالجملة. فالوارد في كتابنا إنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى عليه السلام وخاطَب به، واللساني العبراني أقرب الألسنة إلى اللسان العربي، فما المانع أن يجري فيه، ويَطَّرِدُ كل ما في اللسان العربي من الضروب المذكورة، قَلَّ أو كثر ذلك.

ثم في الجواب عما تقدم ما لا يُفْتَقَرُ فيه إلى بنائه[1] على ما مهدناه، فأقول - مستعيناً بالله سبحانه - إنّ قول موسى عليه السلام لأهله: ﴿ امْكُثُواْ ﴾، وسقوط ذلك من سورة النمل قد يكون مما قاله عليه السلام: [١٥٧/و] نطقاً باللغة التي كلمهم بها. وقد يكون ذلك مما فهمه عنه أهله بإشارة أو قرينة حال[2]، فيكون قد أمرهم بذلك على كل حال، فإما بِنُطْقٍ، أو غيره. فمرة حكى معنى نطقه أو مراده بما قد فهم عنه أهله الأمر، ومرة اكتفى بما بعد هذا[3] الأمر اقْتِصَاراً على ما يحصل المقصود؛ فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَّعَلِّي آتِيكُمْ ﴾ في السورتين، وقوله في النمل: ﴿ سَآتِيكُمْ ﴾ فإن حرف التَّسْوِيف يُفْهِم الاستقبال، ولفظ « لَعَلَّ »، أيضاً[4] يعطي ذلك مع زيادة التَّرجِّي والطمع فيمكن لتقارب مَعْنَيَيْهِما، أن يكون ذلك في لسانهم[5] بعبارة موضوعة للمعنيين[6] وضعاً واحداً، ولم يقع ذلك في لساننا، أعني

---

(١) ج، هـ، ب: نيابة.

(٢) ك: أو حال.

(٣) ساقط من ك.

(٤) ساقطة من ج، هـ.

(٥) زاد بعدها في ج، هـ، م، ب كلمة: مَعْنًى.

(٦) ما بعدها إلى كلمة (معاً) محذوف من ب.

بلفظ واحد يعطي المعنيين معاً، فلم يكن بدّ من ورود الحرفين عند الحكاية ليحرز ذلك وقوع المعنى وحصوله على ما هو في لسانهم. وأما[1] تقديم ذكر القبس في سورة طه على الخبر، وتأخيره في السورتين[2] فعنوان بيّن يُعرَف أن القصة[3] محكية على معناها لضرورة اختلاف اللغتين. ولو ورد الإخبار على التزام التقديم في أحدهما، وتأخير الآخر على اللزوم لَمَا أحرز ما ذكرناه[4]. وأما القبس والجَذْوة والشهاب من القبس، فإن ذلك مما يفصّل[5] في لغتنا بمراعاة أدنى شيء يُسَوِّغ افتراق التسمية، وذلك كثير في لغتنا[6] كقولهم: سيف، وصارم، ومهنّد، وقولهم في التَّمْر: طلع وضحك[7] وإغريض، وبلح، وسياب، إلى تمام أحواله العشر، له في كل حالة منها اسم، والمسمّى واحد. ومتى كان للعرب تَهَمُّمٌ[8] بشيء من الموجودات، وكان مما يكثر في كلامهم وضعوا له عدة أسماء اتساعاً، حتى إنهم قد أنْهَوْا بعض المُسَمَّيات إلى مائة اسم أو نحوها. وإنما كان هذا في لغة العرب لاضطرارهم إليه في الشعر والأسجاع[9]؛ فلو لم تتسع اللغة العربية فيما ذكر لَضَاقَ عليهم الأمر، واعْتَاصَ النظم والنثر، وأقرب شيء أن[10] يكون التعبير في تلك اللغة وقع بلفظ واحد، لا[11] يعبَّر في لغتهم عن ذلك المراد المقصود بغيره.[12] وقد أحرز وضع ذلك اللفظ العبراني ما يعبر عنه في لغتنا بعدة أسماء. وسواه عَنَى[13] في كل

(١) ك: ولما.
(٢) ج، هـ، ع: السورة.
(٣) ج، هـ، م، ع: القضية.
(٤) ب: لما أحرزنا ذكره.
(٥) ك: يتصل، ب: يقصد.
(٦) ك: السنتنا.
(٧) ساقطة من ب.
(٨) ج: تهتم.
(٩) ج، هـ، م: الأسماع.
(١٠) ساقطة من ك.
(١١) ك: ولا.
(١٢) ج، هـ، م، ب: لغيره.
(١٣) ك: «وهو عين» في موضع: «وسواه عني».

اسم منها ما في المسَمَّى، أو كانت مترادفة على المسَمَّى من غير أن يُرَاعَى في شيء منها معنى ما في المسَمَّى.

وأما تكرار ﴿ أَوْ آتِيكُمْ ﴾ في سورة النمل، فليس فيه إلاّ تكرار ما يحرز التأكيد [1] وتأكيد ما هو خبر، ليس أمراً ولا نهياً إنما ثمرته وفائدته صدق [2] الأخبار، وذلك حاصل منها سواء تأكد أم [3] لم يتأكد. وإذا كان الكلام على ما قلناه والصدق حاصل على كل حال فلا يتكرر إذا حكي بمعناه، أو يؤكد مرة، ولا يؤكد أخرى، إذ لا زيادة للتأكيد فيه سوى الجري على مرتكبات العرب في مثله. وأما الإفصاح في السورتين الأخريين بالحاجة إلى النار، وهو الاصطلاء، ولم يقع ذلك في طه [١٥٧/ ظ] فإن ذلك إخبار بزيادة لا يعارضها شيء مما في سورة طه. فمرة وقع به الإخبار، ومرة لم يذكر اكتفاء بذكره حيث ذكر. وأما التعبير عن الخبر في سورة طه بقوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾، فإفصاح بما هو معلوم من قوله في سورة النمل ﴿ سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾، وقوله في سورة القصص: ﴿ لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾، لأن أهله لم يكن لهم من حاجة لغير الاصطلاء واستعلام طريقهم. فورد في سورة طه مُفْصِحاً بالمقصود، معبراً فيها بما هو مفهوم من آيتي: النمل، والقصص، من معنى الكلام وسياقه فلا اختلاف في شيء من ذلك كله، ولا تعارض ولا خلاف[4]، والحمد لله.

والجواب عن السؤال الثاني أن تخصيص كل سورة من هذه السور بما[5] ورد فيها مُقْتَضِيهِ بيّن. أما أولاً فإن فواصل هذه السور، ومقاطع آيِهَا مناسبة للوارد فيها. أما سورة طه فمقاطع آيِهَا لازمة الألف المقصورة، وعلى ذلك آي السورة كلها. وأما النمل والقصص فقد اكتنف الواقع من آي هذه القصة[6] فيها ما مقطعه[7] من

(١) في ك فقط، وبقية النسخ: التوكيد.
(٢) ج، هـ، م: صرف.
(٣) م، ب، ع: أو لم.
(٤) ك: ولا اختلاف.
(٥) ج، هـ، ع: ما.
(٦) ج، ع: القصد.
(٧) ج، ع: يقطعه.

الآي النُّونُ الواقع قبلها الياء، أو[1] الواو الساكنان بحسب ما تقدمهما[2] من حركتي الضمة والكسرة. فإن قلت: إنّ السورتين مستويتان[3] في هذا فما الفارق؟

قلت: الإيجاز والطول. أما سورة النمل فأوجز في هذا المقصد، وأما سورة القصص فإن خبر موسى عليه السلام فيها يكاد يستغرق آيَهَا كلها فناسبه طول الوارد فيها مما فيه الكلام وذلك غير خاف[4]. وتأمل الوارد في سورة طه من قوله تعالى مخبراً عن نبيه عليه السلام من قوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾، ومناسبة ذلك لما بُنِيَتْ عليه سورة طه من تأنيس نبينا[5] عليه السلام وافتتاحها بقوله تعالى: ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ يَلُحْ لك التلاؤم والتناسب. وقد وضح أن كل ما في كلُ سورة من السُّور الثَّلاث من هذه القصّة لا يُلائم غيرُها، وأنّ كلّ قصّة منها لا يحسُن وقوعها في موضع الأخرى؛ لعدم المناسبة، وبُعْد التَّلاؤُم، والله أعلم.

٢٤٢ ـ الآية الثانية من سورة طه [غ] قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (١٥).

وفي سورة غافر (٥٩): ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾.

للسائل أن يسأل عن تخصيص[6] آية طه بقوله في وصف الساعة: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾، ووصفها في سورة غافر بقوله: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾، وعن زيادة اللام في آية غافر: ﴿ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾.

فهذان سؤالان.

---

(١) ك، ب: والواو.

(٢) في م فقط وبقية النسخ: تقدمها.

(٣) ج، هـ، ب، ع: مستويتين.

(٤) ك: غير كاف.

(٥) ب: نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦) ب: صيغة السؤال (إن قيل لأي شيء خص...).

والجواب عن الأول منهما، أن آية طه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يتضمن تأنيسه وتسليته عن حال كفار قريش في توقفهم عن[1] الإيمان [١٥٨/و] فافتُتِحَت[2] السورة بأجَلِّ التأنيس وهو قوله تعالى مبشراً لنبيه عليه السلام مُقْسِماً على ذلك: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾، ثم تتابع التعريف بتعظيم الكتاب وذكر مُنْزِله[3] سبحانه وتعالى بما انفرد به من ملك السموات والأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، ووصفه بأنه يعلم السرّ وأخفى، وانفراده بأسمائه الحسنى ثم عرّف نبيه عليه السلام بابتداء أمر موسى عليه السلام، إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ تعريفاً بعظيم خفاء أمر الساعة، وتغييب كُنْهِهَا عن[4] الخلق، حتى كأنّ أمرها لم يُخْبَر عنه ولا وقع تعريف بشيء منه فهو إخبار بفرط إخفاء أمرها. وذلك إعلام بوصف وحال لمن قد تقرر[5] بوقوعها يقينه[6]، وانطوى على علم كيانها إيمانه. ولما كان هذا الخطاب والتعريف لمن جرى[7] ذكره، من تنزُّهه[8] صلى الله عليه وسلم عن الارتياب في أمر الساعة لم يُحْتَج إلى نفي الريب، إذ مقام النبوة في الإيمان بها المقام الذي لا يُدَانَى[9]. فلم يكن نفي الارتياب ليلائم ولا يناسب، وإنما عُرِّفُوا بحال وصف تابع.

أما آية غافر فأكثر الخطاب المتقدم[10] قبلها من أول السورة إليها، خطاب لقريش، وسائر كفار العرب وهم المجادِلون في الساعة، والجاهلون بكيانها[11]،

---

(١) سقط من ك قوله: توقفهم عن.
(٢) ج، ك، ع: وافتتحت.
(٣) ك: منزلته.
(٤) ج: على.
(٥) هـ: تفرد.
(٦) ك: وقوعها بغيبه.
(٧) في ك فقط، وبقية النسخ: حوى.
(٨) ج، هـ، ب، ع: ممن تنزه.
(٩) ج: لا دانا (؟).
(١٠) ج: المتقدر.
(١١) ج، ب: بكيانتها.

والقائلون: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[1]. فقدم لهم قبل ذكر الآية قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾[2]، فذُكِّروا بما لا يمكن أحداً من المخلوقين إلا الاعتراف بعظيم أمره، والعجز عنه، وهو الخلق الأعظم. ثم أُتبع بنفي الريب الذي هو ملتبسهم وصفتهم، واتبع بتأكيد الإخبار بدخول اللام[3]، ونَفْي الريب في ذلك. وذلك أوضح شيء في المناسبة. فكل من الآيتين وارد على أتم مناسبة، ولا يمكن أن يقع الوارد في سورة غافر في سورة طه، ولا الوارد في سورة طه في سورة غافر، والله أعلم بما أراد.

والجواب عن الثاني أن آية طه وردت أثناء خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأنيس والتسلية عما يلقاه من مكابرة قريش، وسائر كفار العرب، وتعريفه له بما جرى لموسى عليه السلام وظهوره على فرعون. فلم يكن ليناسب ذلك تأكيد الخبر عن أمر الساعة، إذ هو عليه السلام مِن أمرها على أوضح الجادة. أما آية غافر فإن قبلها تعنيف الكفار من قريش وغيرها. وعلى ذلك استمرت الآيات من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[4]. فناسب ذلك من حالهم تأكيد الإخبار عن إتيان الساعة بدخول السلام، وصيرورة الآية بذلك في قوة المُقْسِم [١٥٨/ ظ] عليه تحقيقاً للأمر، وتأكيداً لِمَا في طيّ ذلك من وعيدهم بسوء مآلِهِمْ. فورد كل من الآيتين على ما يناسب، والله أعلم.

---

(١) المؤمنون/٣٧.

(٢) غافر/٥٧.

(٣) ك: الألف واللام.

(٤) الآيات ٥٦ - ٥٨.

٢٤٣ ـ الآية الثالثة من سورة طه قوله تعالى:

﴿ آذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ[1]. قَالَ رَبِّ آشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَآحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَآجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي. هَٰرُونَ أَخِي. آشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً. وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً. إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (٢٤ ـ ٣٦).

وفي سورة الشعراء (١٠): ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ آئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ[2]. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

وفي سورة القصص (٣٢): ﴿ آسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَآضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَٰسِقِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ وَمَنِ آتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف المَحْكيّ من قول موسى عليه السلام حين بُعِثَ[3] إلى فرعون مع اتحاد القضية في السور الثلاث، وقد وقع في كل سورة منها ما ليس في الأخرى، فيسأل عن ذلك، وعن وجه اختصاص كل سورة بما ورد فيها.

والجواب عن السؤال الأول أن قول موسى عليه السلام، لا توقُّف فيه، في أنَّه

---

(١) ما بعدها إلى قوله: ﴿بَصِيراً﴾ محذوف من ب، وفي موضعه: إلى قوله.

(٢) ما بعدها إلى آخر آيات الشعراء والقصص محذوف من ب، وفي موضعه: إلى قوله: ﴿وَمَنِ آتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

(٣) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما هذا الاختلاف في حكاية موسى حين بعث...).

لم ترد حكايته إلاّ بالمعنى لاختلاف اللسانين كما تقدم. وإذا تقرر كونها بالمعنى والترادف فيما بين اللغتين في كل لفظتين يراد بهما معنى واحداً غير مُطَّرِدٍ، فلا إشكَال في أن المعنى قد يتوقف حصوله على الكمال، على تعبيرين أو أكثر، لا سيما مع ما في اللسان العربي من الاشتراك والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز، وغير ذلك من عوارض الألفاظ[1]. فكيف ينكر اختلاف التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ وعبارات مختلفة، بل نقول: إنه لو كان المحكيُّ قولاً عربياً وَحكيَ بالمعنى لما استنكر اختلاف العبارة فكيف مع اختلاف اللسانين. والحاصل[2] من قول موسى عليه السلام[3] في هذه السور الثلاث سؤاله رَبَّه شَرْحَ صدره، وتيسير أمره، وإطلاق لسانه، وتَشكِّيه منه، والتعاون بأخيه هارون عليهما السلام، وخوفه أنْ يُكَذَّب، وذكره ما تقدم منه من قول القبطي. على هذه القضيات السبع دارِ المحكي من كلامه عليه السلام. وقد يرد في سورة منها بعض ذلك مما ليس في الأخرى. ولم يتعارض شيء من ذلك، فارتفع الإشكال المُتوهَّم جملة.

والجواب عن السؤال الثاني، أن الوارد في سورة طه من قوله: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [١٥٩/و] الى أن قيل له: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، مناسب لما بنيت عليه السورة من التأنيس والبشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم من لَدُنْ افتتاحها بقوله: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾، إلى ختمها[4] بقوله لنبيه عليه السلام: ﴿ لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾[5]، وقوله تهديداً ووعيداً لأعداء نَبيِّه: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ ـ الآية[6]. ولا توقف في بيان هذا التناسب.

---

(١) ساقطة من ج، هـ، ع.
(٢) ج، ع: الحاصل.
(٣) ما بعدها إلى قوله: «وكلامه عليه السلام» ساقط من ج، ب، ع.
(٤) ختمتها.
(٥) الآية/١٣٢.
(٦) الآية/١٣٥.

وأما سورة الشعراء وسورة القصص، فإنما بناؤهما على قصص موسى عليه السلام. أما الشعراء، فمبنية على ابتداء إرساله ودعائه فرعون، ومراجعة فرعون إياه[1] إلى نجاة بني إسرائيل بذبح الأبناء، واستحياء النساء للخدمة والمهانة[2] وتخليص موسى عليه السلام من ذلك وتكَفُّل الله سبحانه به ابتداء ونشأة، إلى توجيهه إلى مَدْيَنَ ورجوعه من عند شعيب عليهما السلام، إلى ما تخلل ذلك، وما أعقب به إلى أخذ فرعون وهلاكه. ولما كانت سورة الشعراء مذكوراً فيها قصص الرسل مع أُمَمِهِمْ ابتداء واختتاماً[3] ـ فيما يخص حال الرسالة، الى أَخْذ كل طائفة بما أُخِذَت به ـ خصت من قصص موسى عليه السلام دعاء ومحاورة إلى أَخْذ فرعون وملئه. ولما كان قوله تعالى، في مطلع[4] سورة القصص: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ﴾[5] تأنيساً وتنبيهاً لنبينا عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[6]، وفي آخر السورة الإفصاح من هذا التأنيس برجوعه إلى مكة بعد أن خرج عنها عليه السلام مهاجراً لأجل قومه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[7]. ناسب ذلك من قصص موسى عليه السلام خروجه إلى مَدْيَنَ ورجوعه إلى مصر، فتناسب هذا كله أكمل مناسبة في السور الثلاث. وإذا اعتبر ذلك، علم أنه لا يناسب كل سورة من الثلاث إلاّ ما خُصَّتْ به، والله أعلم بما أراد.

---

(١) ساقط من جـ، هـ.
(٢) جميع النسخ: المهنة.
(٣) ج، هـ: وختاماً.
(٤) ساقطة من ك.
(٥) الآية/ ٣.
(٦) هود/ ١٢٠.
(٧) القصص/ ٨٥.

٢٤٤ ـ الآية الرابعة من سورة طه (غ)[1] قوله تعالى:

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴾ (٤٧).

وفي سورة الشعراء (١٦): ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴾. ففي[2] الأولى: ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾، وفي الثانية: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ﴾، وفي الأولى: ﴿ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ ﴾ بالتثنية والإضافة إلى ضمير الخطاب، وفي الثانية: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فورد هنا رسول بلفظ الإفراد وإضافة ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، والظاهر [١٥٩/ ظ] أن أمر موسى وهارون عليهما السلام بما في الآيتين كان أول أمر أُمِرَا به في إرسالهما إلى فرعون، وأن أمرهما معاً بهذا لم يتكرر. وقد تقدم في سورة طه أمر موسى عليه السلام منفرداً عن أخيه هارون في أول تكليم الله تعالى له، وأمره بخلع نعليه وإعطائه آيتي العصا واليد، وأمره بالذهاب إلى فرعون وطلبه شرح صدره، إلى طلبه[3] المعونة بأخيه هارون. وبعد ذلك أُمِرَا معاً بما في هاتين الآيتين ثم لم يتكرر حسبما ذكرناه بمقتضى الظاهر. فللسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيهما[4]، ووجه[5] اختصاص كل من السورتين بما ورد فيها.

والجواب عن الأول ما تقدم من أن[6] الإخبار عن ذلك كله من كتابنا مُعْتَمَد فيه المعنى، وقد تقدم بيان ذلك مستوفى. وأما وجه التخصيص بأن ورود اسم فرعون مضمراً في قوله: ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾، إنما ذلك لتقدم ذكره في قوله: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ

---

(١) ساقط من ع.
(٢) ك: في.
(٣) ج، هـ، ك، ع: طلب.
(٤) ج، ب، ع: فيها.
(٥) ب: صيغة السؤال (إن قيل: ما وجه الاختلاف فيها ووجه...).
(٦) ساقطة من ج، هـ، ع.

﴿ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[1]، فلم تكن إعادة اسمه ظاهراً مع الاتصال والقرب، إذ لم يفصل بين ظاهره ومضمره إلاّ كلمتان.

أما آية الشعراء فقد اجتمع فيها أمران: أحدهما، الفصل بين مضمر الاسم وظاهره مع إتيان الظاهر مضافاً إليه فضله إلى ما ذكر من الفصل ببضع وعشرين كلمة. والثاني، أن أمر موسى عليه السلام أولا إنما ورد بإتيانه أمر فرعون قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾، فقد يُتَوَهَّمُ أن الجاري على هذا أن لو قيل عِوَض قوله: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ﴾ « فَأْتِيهِمْ »، إلاّ أنه لم يقصد [باسمه][3] إلاّ ذكر متبوعهم، فلم يكن بدّ من الإفصاح بذكره[4] غير مضمر. وأما قوله تعالى في الأولى: ﴿ فَقُولَا لَهُ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، بتثنية لفظ رسول[5]، فوارد على اللغة الشهيرة. وأما قوله في الثانية: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فعلى لغة من يقول « رسول » للواحد والاثنين[6] والجمع، والمذكر والمؤنث، وعلى ذلك قول الهُذَلِي: (رمل).

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُولِ أَعْلَمُهُمْ[7] بِنَوَاحِي الْخَبَرْ[8]

فورد في الأول في الترتيب الثابت على اللغة الشهيرة، والثاني على اللغة الأخرى، على ما تقدم في مثل هذا، وعكس الوارد مخالف للترتيب ولا يناسب.

وأما قوله: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، بإضافة اسمه[9] تعالى إلى ضمير الخطاب، فإنه مناسب، من حيث ما فيه من التلطف والرفق لما تقدمه من قوله تعالى:

(١، ٢) طه/ ٤٣ ـ ٤٤، ١٠ ـ ١١ على الترتيب.

(٣) ع: ثانياً، وساقطة من ك، وبقية النسخ: بأننا.

(٤) ك: باسمه.

(٥) ج: رسولاً.

(٦) ك: الاثنان.

(٧) ج، هـ، ع: أعلنهم.

(٨) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ١٤٦، ولم ينسبه العسكري في المصون في الأدب/ ١١٢.

(٩) ج: اسم تعالى.

﴿ فَقُولاَ لَهُ قَولاً لَيِّنًا ﴾. وقد تَفَسَّر هذا القول، وتبين ما فيه من التلطف، بقوله[1] تعالى في سورة «والنازعات»: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ. وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[2]. وناسب هذا [١٦٠/و] عليَّ ما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم، وتأنيس موسى كليمه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾[3] وما بعد إلى قوله[4]: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، وما بعد. فلما كان مبنى هذه السورة بجملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك مما[5] أمر به موسى عليه السلام من دعاء فرعون آنسه وألطفه، وأمر موسى عليه السلام وأخوه[6] هارون بذلك فقيل لهما: ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا ﴾، وجرى على ذلك قوله: ﴿ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ ﴾، فأشعرت هذه الإضافة التلطف الرباني[7]. ولما لم تكن سورة الشعراء مبنية على ما ذكر، وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملئه وإغراقهم، وأخذ المكذبين للرسل بتكذيبهم. وهذا في طرف من التلطف؛ ورد فيها: ﴿ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بإضافة اسمه سبحانه إلى العالمين[8] ليحصل منه أنه مالِكُ الكُلِّ وأنهم تحت قهره تعالى وفي قبضته، وعَدَل عن الإضافة إلى ضمير الخطاب، إذ لم يقصد هنا ما قدم من التلطف. ونظير الوارد في هاتين الآيتين قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[9]، تأنيساً لنبينا صلى الله عليه وسلم ثم ورد فيما بعد: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾[10]؛ فَقِفْ على ذلك في سورة الأنعام. وقد تبين جليل النظم وعليٌّ التناسب في كل ما تقدم، وأن عكس الوارد في هذه الآية لا يناسب، والله سبحانه أعلم.

---

(١) ج، هـ، ب، ع: وقوله.
(٢) الآيتان/ ١٨ ـ ١٩.
(٣) الآيات/ ١٣ ـ ٣٦.
(٤) ج، هـ، م: وما بعده بقوله.
(٥) ج، هـ، ك: ما.
(٦) م: وأخيه.
(٧) في ك فقط، وبقية النسخ: الزماني.
(٨) الجار والمجرور ساقطان من ك.
(٩، ١٠) الآيتان/ ١١٢، ١٣٧.

٢٤٥ ـ الآية الخامسة من سورة طه (غ) قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ (٥٣).

وقال في سورة الزخرف (١٠): ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف[1] بين: «سَلَكَ»، و«جَعَلَ»، ووجه اختصاص كل من السورتين[2] بما ورد فيها.

والجواب عن ذلك أن العبارتين في السورتين معناهما متقارب وهو ما هيأه سبحانه لعباده من المذكور في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[3] والمراد بسَلَكَ وجَعَل[4] ما خلق، وذَلَّلَ سبحانه فيها، وهيأه لتصرفاتنا في معايشنا ومنافعنا.

والجواب عن الثاني أنَّ اختصاص كل واحدة من العبارتين بموضعها أن آية طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله: ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً ﴾. فلما بنى الكلام على هذا وأعقب بقوله: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ. كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَامَكُمْ ﴾[5] ولا إشكال فيما في هذا من التلطف، والرفق في الدعاء[6]، ناسب ذلك العبارة بسَلَكَ عما أنهج تعالى [١٦٠/ظ] من السبل والطرق لمرافق العباد ومصالحهم وهي منبئة عما يعطيه[7] ﴿ جَعَلَ ﴾ في الآية الأخرى مع زيادة الوضوح

---

(١) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما وجه الاختلاف...).

(٢) ب: السور.

(٣) الملك/ ١٥.

(٤) ج، هـ، ب، ع: جعل وسلك.

(٥) طه/ ٥٣، ٥٤.

(٦) ك: والدعاء.

(٧) هـ، م، ب، ع: تعطيه.

وكمال التهيئة، فهي أَنْسَبُ لما قصد في هذه السورة بقول مَنْهَج هنالك[1]، أي واضح بيّن[2]. ولو قلت مجعول لم يعط هذا المعنى من الوضوح.

أما آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم، ألا ترى قوله سبحانه: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾[3] وقوله إخباراً عن مكذبي الأمم: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[4]. وقوله: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾[5]، أي من هؤلاء الذين كذبوك[6] يا محمد. فهذا كله من توبيخ الجاحدين[7] والمعاندين. وتأمل ما افتتحت به السورة من قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[8]، والتعقل لا يستلزم الاهتداء والإيمان. ألا ترى قوله سبحانه: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[9] فأين موقع قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ من قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾. فتدبر هذا يَلُحْ لك الفرق. فناسب هذا على ما ينبي[10] عن الخلق والاختراع من غير زيادة. فعبّر هنا بجعل، وأيضاً فقد اكتنف لفظ: ﴿ جَعَلَ ﴾ في الزخرف قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾، وقوله بعدها: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[11] فناسب هذا ذكر الجَعْل، ولم يكن ليناسب هنا هذه المناسبة لفظ سَلَكَ، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

---

(١) ك: سالك.

(٢) ساقطة من ك.

(٣ ـ ٥) الآيات/ ٥، ٧، ٨ على الترتيب.

(٦) ج، ب: كذبوا.

(٧) ك: توبيخ للجاحدين.

(٨) الزخرف/ ٣.

(٩) البقرة/ ٧٥.

(١٠) ج، هـ: ينبني على.

(١١) الآية/ ١٢.

٢٤٦ ـ الآية السادسة من سورة طه (غ) قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (١١٢).

وفي سورة الأنبياء (٩٤): **﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾** فوردت آية طه منسوقة على ما قبلها بالواو، والثانية بالفاء المقتضية في مثل هذا استئناف التفصيل مع بنائه على ما قبله بمقتضى الفاء، ثم أعقبت الأولى بقوله: **﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾**، والثانية بقوله: **﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾**[1]، ومقصود الآيتين واحد. فللسائل أن يسأل عن الفرق.

والجواب عن الأول أن قوله: **﴿ وَمَن يَعْمَلْ ﴾**، بواو النسق، ورد في مقابلة ما تقدمه من المعنى الحاصل من قوله: **﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾**[2]، لأن عَنَتَ الوجوه ذِلَّتُها[3] في القيامة، من[4] قولهم: العاني للأسير. فمن حمل ظلماً فقد خاب وخسر. ومن قدم خيراً أو عملاً صالحاً فلا يخاف ظلماً [١٦١/ و]، أي زيادة سيئاته، ولا هضماً، أي نقصاً من حسناته. هذا معنى[5] الكلام والله أعلم. فهذا موضع الواو، ولا مدخل فيه للفاء. أما قوله في آية الأنبياء: **﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾**، فافتتاح تفصيل أحوال الفريقين لمّا[6] قال تعالى: **﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾**[7]، والمراد اختلافهم وافتراقهم في المذاهب والأديان. أتْبع ذلك تعالى، ببيان حال المحسن والمسيء في افتراقهم فاستؤنف تفصيل جزائهم فقيل: **﴿ فَمَن**[8] **يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا**

---

(١) زاد بعدها في ك من الآية ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَاتِبُونَ﴾.
(٢) طه/ ١١١.
(٣) ج، هـ: ذلها.
(٤) جميع النسخ: ومن.
(٥) ج: المعنى.
(٦) ج، ع: بما.
(٧) الآية/ ٩٣.
(٨) ك: ومن.

كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾، إلى ما بعد، وفي قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾[1]، إلى ما يتلوه، بيان جزاء المسيء وحكمه. وربطت الفاء ما فُصِّل من الجزاء بما وقع الجزاء المُفَصَّل مربوطاً به، ومبنياً عليه، فالموضع للفاء ولا مدخل للواو هنا.

وأما تعقيب[2] آية طه بقوله: ﴿ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا ﴾، فإفصاح بالتأنيس المناسب لما بنيت عليه السورة. وقد وضح هذا في الآية المترجم عليها قبل التي تلي هذه، ولم تُبْنَ آية سورة الأنبياء على ما ذكر، فجيء فيها بما يناسب، وورد[3] كل على ما يجب، ولا يلائم عكس الوارد، ولا يناسب، والله أعلم.

٢٤٧ ـ الآية السابعة من سورة طه قوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى] ﴾ (١٢٨).

وفي سورة السجدة (٢٦): ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ﴾، فلحقت همزة الاستفهام ـ الوارد هنا تقريراً[4] وتوبيخاً ـ حرف العطف، متقدِّمة قبله كما يجب، واختلف حرف العطف. فللسائل أن يسأل لم اختُصَّت الأولى بالفاء من حروف العطف، والثانية بالواو، وعن زيادة «مِنْ» في سورة السجدة.

والجواب عن ذلك والله أعلم، أن قوله في الآية الأولى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، كلام لم يتقدمه ما يكون هذا معطوفاً عليه، وإنما هو كلام مستأنف مبتدأ. ألا ترى ما تقدم قبله من قوله تعالى إخباراً عمن[5] أعرض عما جاءت به الرسل، فقال

---

(١) الآية/٩٥.
(٢) ك: وما تعقبت.
(٣) ج، هـ، ك: وروده.
(٤) ج، ع: تفريعا.
(٥) ج، ع: عن من.

تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾، أي بإعراضه عن اتباع الرسل، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾[1]. هذا إخبار عن جزاء من أعرض ولم يؤمن ثم ورد ما بعد مستأنفاً، وارداً مورد ما يرد [١٦١/ظ] من الكلام التفاتاً. وهذا مراد أبي محمد، ابن عطية بقوله: «ثم ابتدأ توبيخهم وتذكيرهم، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ والضمير المجرور لكفار قريش، ومن كان معهم، أي: أفلم يتبين[2] لهم، والفاعل[3] على ما يُفهَم من[4] جملة الكلام وسياقه، أي[5]: أفلم يهد لهم هذا المشاهَد لهم الواضح من تقلبهم في بلاد عاد وثمود، يمشون في مساكنهم، ويعاينون آثار هلاكهم، و «كَمْ» مفعولة بأهلكنا، واستمر الكلام مع المذكورين إلى آخر السورة. وإذا كان قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ مبتدأ مستأنفاً[6]، فالموضع للفاء. وهذا كقوله في سورة الرعد: ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[7]، وكقوله في سورة القتال[8]: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، وما أتى من[9] مثل هذا، مما الوجه فيه الاستئناف ولم يقصد عطف على ما قبله، وإنما ارتباطه بما تقدمه من جهة المعنى، ولا مدخل فيه للعطف مع أن الالتحام حاصل من وجه آخر كما بينا.

وأما آية السجدة فالواو فيها عاطفة على مُقَدَّر، لما قال[10] تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ

---

(١) طه/ ١٢٤ ـ ١٢٧.
(٢) ج، ب، ع: يبين.
(٣) ك: والفاء.
(٤) ساقطة من ج، ع.
(٥) ساقطة من ج.
(٦) ج، هـ، ع: مستأنف.
(٧) الآية/ ٣١.
(٨) هي سورة محمد صلى الله عليه وسلم. الآية/ ٢٤.
(٩) في م فقط.
(١٠) ج، هـ: قاله الله.

مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[1] كأن قد قيل: أفلا يذكروا[2]، أوْ لِمَ أَعْرَضُوا، أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ[3] كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ، أي أَوَلَمْ يتبين لهم إهلاك من تقدمهم من القرون. قال الزمخشري: «الواو في: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، للعطف على معطوف عليه مَنْوِيٍّ من جنس المعطوف، والضمير في لهم، لأهل مكة»[4]. قلت: وهذا هو عين ما قدمنا، وإنما لم تكن الواو بغير العطف، لأن الواو لا يستأنف بها، بخلاف الفاء كما قدمنا، فاختلف المقصد من الآيتين، ووضح مجيء الفاء في آية طه، والواو في آية السجدة.

وأما زيادة «مِن» في قوله في سورة السجدة: ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، فإنما مقصود فيها استغراق عموم، لمناسبة ما تقدم هذه الآية من حصر التقسيم في قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ ﴾[5] وما أعقبت به، مما يفهمه قوله[6]: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ ﴾[7]، إذْ ليس هذا الوصف كالوارد في سورة طه من قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾. فهذا يُشْعِر بعموم واستغراق يناسبه، زيادة «مِن» في قوله: ﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾، فجاء كل على ما يناسب ويجب، والله أعلم[8].

٢٤٨ ـ الآية الثامنة من سورة طه [غ] قوله تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (١٣٠).

---

(١) السجدة/٢٢.
(٢) جميع النسخ: تذكروا.
(٣) جميع النسخ: لكم.
(٤) الكشاف ٢/٥٢٧.
(٥) السجدة/١٨.
(٦) ما بعدها إلى كلمة قوله في صدر آية طه ساقط من ج، هـ، ب، ع.
(٧) السجدة/٢٦.
(٨) ج: والله سبحانه أعلم بما أراد.

وفي سورة ق (٣٩) [١٦٢/و]: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾. فقال في الأولى: ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾، وفي الثانية: ﴿ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾، وفي سورة الطور[١]: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ. وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾. فيسأل عن الفرق.

والجواب أن[٢] ذلك ـ والله أعلم ـ لرعي الفواصل ومقاطع الآي. ألا ترى ما تقدم قبل آية «ق» من قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٣]، فناسب هذا قوله: ﴿ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾. وأما سورة «طه» فقد اكتنفها، آيٌ مقاطعها الألف المفتوح ما قبلها نطقاً، أو تقديراً[٤] فجاء ذلك على ما يجب في السورتين.

فصل:

وأما قوله تعالى في السورتين: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾، فبناء على المتقدم فيهما[٥] من قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾، واتصاله[٦] به بيّن الوضوح لأن المراد أمره عليه السلام بالصبر على أذاهم في قولهم: كاهن، ومجنون، وساحر، إلى غير ذلك مما نزه الله نبيه عليه السلام منه، فأُمِر بالصبر على ذلك، وأُمِرَ أن يستعين بصبره وصلاته كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٧]، وهو المراد أيضاً هنا. وعن الصلاة عبّر بالتسبيح في قول أكثر المفسرين، وإن أريد

---

(١) الآيتان/ ٤٨، ٤٩.

(٢) ج، هـ، م، ع: عن.

(٣) الآية/ ٣٨.

(٤) في ك فقط وبقية النسخ: وتقديراً ـ بالواو.

(٥) في ج فقط وبقية النسخ: فيها.

(٦) في ك فقط.

(٧) البقرة/ ٤٥.

بالتسبيح معنى التنزيه بالذكر المعروف ـ فذلك أيضاً بيِّن ـ والمعنى المتعارَف[1] ويكون مأموراً بالصبر، والذكر بالتنزيه، فالالتحام[2] بيِّن. وإنما المُشْكِلُ قوله تعالى في سورة «ص»: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾[3] ـ الآية، وربط قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾[4]، بما قبله، ومطابقته إياه. وقد أجاب الزمخشري عن ذلك بما جرى فيه على شنيع المرتكب، وسوء الأدب، بناء على استبداد العبيد بفعلهم ما لا يرضاه الخالق، ولا يريد، فجعل لله شركاء، وأفرد[5] العباد بأفعالهم استبداداً ومِلْكاً. وأجاب بناء على ما أصَّل، ولم يُوَفَّق في الموضع لوجه المطابقة ولا حصَّل. وأذكر ـ إن شاء الله ـ ذلك في أول آية سورة «ص»، على أوضح منهج بحول الله تعالى[6].

سورة الأنبياء عليهم السلام

٢٤٩ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢).

وفي سورة الشعراء (٥): ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾. فورد في الأولى: ﴿ مِّن رَّبِّهِم ﴾، وفي الثانية: ﴿ مِّنَ

---

(١) ك: متقارب.
(٢) هـ، م، ب: فالتنزيه بالالتحام.
(٣، ٤) الآية/١٧.
(٥) جميع النسخ: وإفراد.
(٦) زاد بعدها في ج: «والله سبحانه الموفق».

﴿ الرَّحْمَٰنِ ﴾، مع اجتماع[1] الآيتين في أن التذكير لا يجدي على من[2] ذُكِرَ في الآيتين. فللسائل أن يسأل [١٦٢/ ظ] عن الوجه في ذلك[3].

والجواب[4] ـ والله أعلم ـ أن هذين الاسمين العظيمين وهما: الرَّبّ والرَّحْمَن تَوَارَدَا[5] في الكتاب العزيز كثيراً. أول ذلك في الفاتحة، ثم إنّ اسمه سبحانه الرحمن، يغلب وروده حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان والرفق بالعباد، والتلطف والتأنيس. فمن موارده في التأنيس: البسملة، وأم القرآن، وصدر سورة طه، وآية الشعراء المتكلم فيها، وما ورد من مثل الوارد في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ ﴾، فتحقيق[6] الاعتبار يقتضي تأويله بالرُّجوع إلى ما ذكرناه[7]، وأما اسمه: «الرَّبّ»، فيعم وروده طرفي الترغيب والترهيب، أما الترغيب فبيّن، وأما الترهيب فحيث يراد معنى ملكيته سبحانه لهم وانفراده بإيجادهم، وإدْرَارُ أرزاقهم وبيان إنفراده تعالى بذلك ثم هم مع ذلك على كفرهم. ولما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار ما طيّه وعيد وترهيب مع تلطفه سبحانه بهم بتذكيرهم[8]، لم يكن ليناسب ذلك ورود[9] اسمه «الرحيم»[10]. ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾[11]، أشد تخويفاً[12] للمخاطبين؛ ثم لفظ الناس لفظ لا يَخُصُّ به المؤمنين إنما يراد حيث يراد عموم المخاطبين، ويكثر

---

(١) ك: اجتمع.

(٢) ج، هـ، ع: ما.

(٣) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه ذلك).

(٤) ب: والجواب عن ذلك.

(٥) ج: تواردت.

(٦) ج، ب: بتحقيق.

(٧) ك: ذكرنا.

(٨) ج، ع: فيذكرهم، ج، م، ب: فتذكرهم.

(٩) ج، ب، ع: وورود.

(١٠) ج، ع: الرحمن.

(١١) الأنبياء/ واحد.

(١٢) هـ، م: تخويف.

حيث يراد الوعيد، والإنـذار[1] والتخـويف والدُّعـاء[2] الأَوْلَى إلـى[3] العبـادة[4] و[5]الدخول في الإسلام.

وأما من ذكر بعد وصفه بالغفلة والإعراض، وما انجر مع ذلك، فأهل الكفر والتكذيب، والسورة مكية، ولفظ: «الناس»، عام كما تقدم، إلاَّ أنَّ قوله بعد: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، خاص بمن حكي قولهم الذي أسرُّوه وهو: ﴿ هَلْ هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[6].

وأما آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم، وإعلامه أن توقف قومه عن الايمان إنما هو[7] بقَدَرِه[8] تعالى ولو شاء لأراهم آية تبهرهم[9]، كَنَتْق[10] الجبل فوق بني إسرائيل. وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[11]. ثم رجع إلـى الكلام [عن][12] تعنيف المكذبين. فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا[13] صلى الله عليه وسلم، وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم[14] إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قُدِّر له الايمان منهم، فأشار إلى هذا، وناسبه اسم «الرحمن»، فقال

(1) ج، ب، ع: الإنكار.
(2) ج، ب: الوعيد.
(3) ساقطة من ج، ب.
(4) ج، ب، ع: العباد.
(5) هـ، م، ك: أو.
(6) الأنبياء/٣.
(7) في ك فقط وبقية النسخ: هي.
(8) ك: بقدرته.
(9) ج، ع: تبصرهم.
(10) ج، هـ، ب: كشق.
(11) الشعراء/٤.
(12) جميع النسخ: إلى.
(13) زاد هنا في ب: محمد.
(14) ب: عليهم.

تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾، فقد وضح ورود كل من الاسمين في موضعه على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٢٥٠ ـ **الآية الثانية [١٦٣/ و] قوله تعالى:**

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ (٣٦).

وفي سورة الفرقان (٤١): ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا. إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ ـ الآية.

فيها[١] سؤالان:

أحدهما: ظهور الفاعل[٢] في الآية الأولى، وإضماره في الثانية.

والثاني: ما وجه تعقيب الآية الثانية بما أُعقبت به.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ أن الكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يتقدم قبل آية الأنبياء فيما يليها من آي السورة[٣]، أو يقرب منها، خطاب يُعيِّنهم[٤] ويخصهم من غيرهم؛ إنما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ﴾[٥]. وهذا يتناول كل كافر مكلف ذي عقل، كان من العرب أو غيرهم، معاصر أو غير معاصر. ثم لم يقع بعد هذه الآية ما يعارض عمومها. فلهذا تعيَّن إظهار الفاعل في قوله: ﴿ وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[٦]، اذ لو قيل: واذا رأوك، لما كان يمكن رجوعه إلاّ للمذكورين

---

(١) ك: هنا.
(٢) هـ، م، ب: الفاء.
(٣) م: السور.
(٤) ك: يعنيهم.
(٥) الأنبياء/ ٣٠، وزاد في ك منها ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.
(٦) الأنبياء/ ٣٦.

قبل. في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، وليس خاصاً بالمعاصرين. فلم يكن ليناسب.

أما آية الفرقان فإن قبلها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[1]، والمُنزَّل عليه القرآن معلوم صلى الله عليه وسلم، [والقائلُونَ[2]] معاصروه وهم الذين عنُّوا على القطع بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ ﴾ ـ الآية[3] فلما تقدم ذكرهم غير مُتَناوِلٍ غيرهم وتعينوا[4] بالذكر، واحتيج بعد إلى الإخبار عنهم أُتِيَ[5] بضميرهم، إذ هو أوجز. وقد عُلِم فقيل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾، ولم يكن الإضمار ليناسب في آية الأنبياء ولم يكن الموجه الإظهار[6] هنا. فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني أنه لما تقدم في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾[7]، وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[8]، وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾[9]، فتكرر ذكر مُرْتَكَبِهم في اتخاذهم معبودات لا تغني عنهم، ناسبه قولهم: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾.

أما آية الفرقان فقد تقدمها قوله: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[10]؛ فأنكروا كون الرسل من البشر. فجرى مع ذلك وناسبه قولهم: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾، تعجباً واستبعاداً أن يكون الرسل من البشر. وقد ردّ ذلك [١٦٣/ ظ] عليهم بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ

---

(١) الآية/ ٣٢.
(٢) جميع النسخ: فالقائلون.
(٣) ك: زاد من الآية: ﴿جملة واحدة﴾ ـ بدلاً من كلمة الآية.
(٤) ك: وعنوا.
(٥) ج: أوتي.
(٦) ك: ولم يمكن الإظهار.
(٧ ـ ٩) الآيات/ ٢١، ٢٢، ٢٤ ـ على الترتيب.
(١٠) الآية/ ٧.

﴿ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[1]، فوضح التناسب فيما تقدم[2]، والله أعلم.

٢٥١ ـ الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (٤٥).

قراءة الجماعة إلا ٱبْن عامر[3]، ﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَاءَ ﴾. وٱبْن عامر: «ولا تُسمع الصمَّ الدعاء» ـ بضم التاء، وفتح الميم من الصم.

وفي النمل (٨٠)، والروم (٥٢): ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ ﴾.

قراءة ٱبْنِ كثيرٍ بفتح[4] الياء[5] ورفع الميم[6] كقراءة[7] الجماعة في آية الأنبياء، وقرأه الباقون[8] «ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ» بضم التاء وفتح الميم[9]، كقراءة ابن عامر في الأنبياء[10]، فاستوت الآي الثلاث في ورود القراءتين على الجملة، وفي المعنى

---

(١) الآية/ ٢٠.

(٢) زاد بعدها في ك: «فيها».

(٣) ما بعده إلى «ابن عامر» محذوف من ك مما أخل بالعبارة.

(٤) ك: بضم.

(٥) ج، ع: التاء.

(٦) ك: وفتح الميم.

(٧) ما بعدها إلى قوله: «وفتح الميم» ساقط من ج.

(٨) ك: وقراءة الباقين.

(٩) ب: «ولا تَسْمَعُ» بالفتح في التاء والميم.

(١٠) يتلخص خلاف القراء في الآيات الثلاث على الوجه التالي:

آية الأنبياء: ﴿لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بالمضارع من سمع مع المفرد الغائب، والصم فاعل، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعموم الجمهور.

﴿لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ بالمضارع للمفرد المخاطب، والصم مفعول به، وهي قراءة ابن عامر وحده.

آية النمل والروم: قرأها الجمهور بقراءة ابن عامر في الأنبياء، وقرأها ابن كثير بقراءة الجمهور في الأنبياء. أنظر الإتحاف/ ٣١٠، ٣٣٩، ٣٤٩، السبعة: ٤٢٩، ٤٨٦، ٥٠٨.

المقصود. ثم ختمت الأولى بقوله: ﴿ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾، وآية النمل والروم: ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾، فيسأل عن ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية الأنبياء تقدمها أمره عليه السلام بخطاب حاضريه، وإنذارهم بما أوحي اليه[1]، وإعلامهم بأن انذاره إياهم لا يجدي عليهم تسلية له عليه السلام، وإعلاماً[2] بما سبق لهم أزلاً فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾[3]، ثم قال لهم: ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ﴾، فأعلمهم بإعلام الله تعالى بأنهم صُمُّوا عن سماعه ومنعوا ثمرته من الإجابة لما سبق عليهم فقال: ﴿ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾، أي أنهم وقت إنذارهم ممنوعون عن السمع، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[4]. ولما ورد قبل آيتي النمل والروم قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾، إلحاقاً لحال[5] المخاطبين بهم في عدم الجدوى عليهم[6] ناسب ذلك قوله: ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾، فورد[7] التناسب في نظام هذه الآي، وأن العكس لا يناسب والله أعلم.

٢٥٢ ـ الآية الرابعة قوله تعالى في إبراهيم:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ (٥٢، ٥٣).

وفي سورة الشعراء (٧١): ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا

---

(١) ج: الله.
(٢) ج: إعلاماً، هـ، م، ب: إعلام.
(٣) الأنبياء/ ٤٥.
(٤) الكهف/ ٥٧.
(٥) ج، ب، ع: بحال.
(٦) ج: عنهم.
(٧) ك: فوضح.

﴿تَعْبُدُونَ. قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَـا ءَابَاءَنَـا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُـونَ﴾[1]. فورد في الأولى: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾، وفي الثانية: ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا أَبَاءَنَا﴾، فيسأل عن[2] زيادة ﴿بَلْ﴾ في الثانية. وقد يسأل عن المختلف في حكاية قول إبراهيم عليه السلام في الأولى: ﴿مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓأَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾. وظاهر القصة أنها واحدة وقد اختلف المَحْكِيُّ.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ أن جوابهم في الموضعين ليس جواباً لسؤال واحد، وإنما ورد جواباً[3] لسؤالين فاختلف بحسبهما. فسؤاله في آية الأنبياء سؤالُ مُطَّلِعٍ على معبوداتهم ما هي بعد أن شاهد عبادتهم [١٦٤/ و] لها ولزومهم إياها، وكيفية[4] ظهورها فقال: ﴿مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَـاثِيلُ ٱلَّتِي أَنْتُمْ لَهَـا عَاكِفُـونَ﴾، أي ملازمون فلم يَجِدْ جواباً إلاَّ إعترافهم بتقليد آبائهم في عبادتها؛ فجاوبوه بقولهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، وحصل اعترافهم بأنها تماثيل مصـورة منحوتـة. والتمثال[5] ما جُعِلَ من الصور مثالاً لغيره، ونُحِيَ به نحوه، فأقـروا بالعجـز عن جواب مقنع، واستشعروا ما يلزمهم في عبادة ما يصنعونه بأيديهم، وتقدم وجودهم وجوده، فرجعوا إلى التقليد، فوقع جوابهم على ما تقدم.

وأمـا آية الشعـراء، فإن سؤال إبـراهيم عليه السـلام إياهـم بقولـه: ﴿مَـا تَعْبُدُونَ﴾، ورد مورد سؤال عن ماهية[6] معبوداتهم، وكيفيتها، وكأنه عليه السلام يشاهدها[7]، وعلم أنَّهـم يعبـدون ما لا يُعْبَـدُ فسألهـم عن ماهيتـه[8]، فجاوبـوه

(١) على هامش م أمام الآيتين بدون إحالة: «وفي الزخرف والصافات».

(٢) ما بعدها إلى قوله «وقد يُسأل عن» ساقط من ج، ع.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) ج، ب، ع: ليفيد.

(٥) ك، ب: والتماثيل.

(٦) ك: سالفة.

(٧) ك: لم يشاهدها.

(٨) ما بعدها إلى قوله ﴿عاكفين﴾ من الآية ساقط من ك.

بقولهم: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾، فجاوبوه معترفين[1] بمساهية معبوداتهم على ما أمْرُهُم عليه[2]، وطابق جوابهم سؤاله فأردف عليه السلام بسؤال آخر قاصداً تعجيزهم، والقطع بهم فقال: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾، أي: إن كانوا هكذا مستبدين غير مفتقرين، فذلك عُذْرٌ في عبادتكم إياهم، فلما استشعروا ما يلزمهم عَدَلوا عن الجواب، وأضربوا عن طرفي الإثبات والنَّفْي[3] إلى تقليد الآباء، وقالوا: ﴿ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾. وحصل من جوابهم بمفهوم الإضراب بـ «بَلْ»، أن آلهتهم لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر، إذْ لو اتَّصفَتْ[4] بوجود هذه الصفات، لما عدلوا إلى[5] الإضراب. فإن قيل: إنما أضربوا عن أنْ يجيبوا بنفي أو إثبات[6] فكيف يقال إنَّ اعترافهم حاصل بأنها لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر. فأقول لو وجدوا أدنى شبهة لتَرَامَوْا إليها[7]. فقد وضح أن جوابهم هاهنا على ما بَنَوْهُ[8] جواباً عليه، لا يمكن غيره إلا بمخالفتهم المحسوس لو أنهم[9] قالوا إنّها تسمع، أو تنفع، أو تضر أو نسبتهم أنفسهم إلى ما لا عذر لعاقل في ارتكابه، ولا شبهة لو أفصحوا جواباً بأنها لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر. ثم استمروا على عبادتهم إياها، فأضربوا عن ذلك إلى اعتمادهم على تقليد[10] آبائهم وجعلوا ذلك حجة على مرتكبهم، على وَهَنِ هذا التَّعَلُّق. ولهذا قيل لهم: ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[11]. فقد تبين

---

(١) ك: معرِّفين.
(٢) ج، ع: على ما هم عليه.
(٣) ساقط من ك.
(٤) ج: اتصف، هـ: انطقت.
(٥) في ك فقط وبقية النسخ: عن.
(٦) ج، هـ، م: وإثبات.
(٧) ك: عليها.
(٨) ك: هنا بناء على ما بنوه.
(٩) ج، ع: لو أنَّ.
(١٠) ك: تعبد.
(١١) الأنبياء/ ٥٤.

أن جوابهم هنا بـ «بل» لازم لما قصده لا يمكن سقوطها، وأن جوابهم في آية الأنبياء لا يمكن فيها «بل» بوجه[1]. فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني أنه لا حامل على القول بأن القصة واحدة، وإذا أمكن أن يكون ذلك في محلّين ووقتين لم يلزم[2] اتحاد الجواب، فلا سؤال والله أعلم.

٢٥٣ ـ الآية الخامسة قوله تعالى: [١٦٤/ظ]

﴿ وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلأَخْسَرِينَ ﴾ (٧٠).

وفي «الصافات» (٩٨): **﴿ فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلأَسْفَلِينَ ﴾**.

هنا سؤالان:

أحدهما: ما وجه الاختلاف مع اتحاد المقصود في الموضعين.

والثاني: ما وجه اختصاص كل موضع بما ورد فيه.

والجواب عن السؤالين معاً، أن الخاسر عندنا من فقد ما بيده[3] من سبب أو مال، كان يعتمده لدنياه ومعاشه أو محاولة فسدت عليه فساءت حاله لذلك ومهما استحكمت حاله في ذلك كان أخسر. وقد جعل سبحانه الخسران المبين، من خسر الدنيا والآخرة. وأعلمنا تعالى أن الأخسرين من[4] لا يقام لهم[5] وزن في القيامة، قال تعالى: **﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾** ـ الى قوله ـ **﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾**[6]، فلا أدْوَنَ حالاً من

---

(١) ك: يوجد.

(٢) ساقط من ج.

(٣) ب: صيغة السؤال: «إن قيل ما وجه الاختلاف مع اتحاد المقصود في الموضعين؟ وما وجه اختصاص كل موضع بما ورد فيه؟. والجواب أن الخاسر عندنا من فقد ما بيده...».

(٤) ساقطة من ك.

(٥) جميع النسخ: له.

(٦) الكهف/١٠٣ ـ ١٠٥.

هؤلاء. ولما أراد قوم إبراهيم عليه السلام به الكيد، ألحقهم تعالى بهؤلاء عقوبة توافق مرتكبهم وسوء انتحالهم والأخسرون هم الأسفلون. ولهذا كان مطلوب الكافر في الآخرة وتَمنّيه لو بلغه إلحاق من أضَلَّهُ من الجن والإنس بهذا النمط. قال تعالى مخبراً عن حالهم في الآخرة: ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا ٱللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[1]. فالصفتان[2] من الخسران والسفالة[3] غاية حال الكافر ومن كان من الأخسرين[4]، فقد خسر خسراناً مبيناً. فلا تضاد بين الصفتين، سوى أن السُّفُولَ[5] لاحق في ذات المُسْتَفُلِ. والخسران حقيقة في خارج عنه. فالسفول أبلغ. فقدم ما هو لاحق خارجي، وأخَّر ما لا يتعدى ذات المتصف به تكملة، وتتِمَّة، إذ هو أبلغ على ما يجب، وعلى ما قدمنا من رعي الترتيب. والتَّسَفُّل ضد التَّرقِّي. فورد كل على ما يجب ويناسب.

وقيل في آية[6] الصافات مقابلة قولهم[7]: ﴿ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا ﴾، لأنه يفهم منه إرادتهم علوَّ أمرهم بفعلهم ذلك فقوبلوا بالضد فجعلوا الأسفلين. قال معناه صاحب الدرة[8] وهو حسن، والله أعلم.

٢٥٤ ـ الآية السادسة قوله تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ . فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ (٨٣ ـ ٨٤).

---

(١) فصلت/ ٢٩.

(٢) ج، ب، ع: فالصفات.

(٣) ج، ع: الشفاعة.

(٤) هـ، م: الأسفلين.

(٥) في ك فقط وبقية النسخ: المسفول.

(٦) هـ، م، ك: آيات.

(٧) ساقط من ك.

(٨) راجع درة التنزيل/ ٢٣٨، ٢٣٩.

وفي سورة «ص» (٤١): ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ[1]. وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾. ففي آية الأنبياء ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾، وفي آية «ص» ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا[2] ﴾. وفي آية الأنبياء: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾، وفي سورة «ص»: ﴿ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ فيسأل عن الفرق في الموضعين [١٦٥/و] ووجه الإختصاص.

والجواب على الجملة ـ والله أعلم ـ أنه لما ورد في الأنبياء تلطف أيوب عليه السلام بقوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، فلما تلطف في سؤاله[3]، [لم][4] يفصح عليه السلام تلطفاً وتضرعاً بعظيم[5] ما أصابه من البلاء.[أما] إفصاحه في آية «ص» بقوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾، فبنى[6] على كل[7] ما يناسبه[8]، فقيل جواباً على عظيم تضرعه وتلطفه في قوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾، ما يلائم لطيف هذه الشكوى، وعلى قوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ما يناسب إفصاحه بهذه[9] البلوى فقيل بناء على الأول[10]: ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾، وقيل بناء على الثانية: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ لما وقع ذكر الشيطان، وأنه السبب في ذلك الامتحان وجُووب[11] باستعمال سبب، فقيل له: اركض برجلك واغتسل، فذلك يُذهِبُ عنك ما مَسَّكَ من الشيطان وحين لم يذكر عليه السلام واسطة جُووِب[12] برفع ما به، بغير واسطة سبب؛ فقيل جواباً لقوله: ﴿ مَسَّنِيَ

(١) ما بعدها إلى آخر الاية محذوف من ب وفي موضعه «الآية».
(٢) ك: منه تحريف.
(٣) الجار والمجرور محذوفان من ك.
(٤) جميع النسخ: ولم.
(٥) ج، ب، ع: بعظم.
(٦) ج، هـ: فبنى.
(٧) زاد هنا في ك قوله: «من الايتين».
(٨) هـ، م، ك: يناسب.
(٩) ج، بهذا.
(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: الاولى.
(١١، ١٢) ك: جوب (هكذا).

الضرُّ ﴾، ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾، وبَنى على الأول قوله: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ ،لتَمَكُّن «عند» فيما قصد، وعلى الثاني: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾، إذ ليس موقعها موقع ﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ ثم قيل في الأولى: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾، مناسبة لما تقدم، وقيل في الثانية: ﴿ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ مناسبة أيضاً، إذ اعتبار أولي الألباب يُورِثُهُم مقام العابدين، وهو أسنى مقام، وكل ذلك بعد مقامات عليّة، وأحوال جليلة. وقد جرى مع كل مقام ما يناسبه، ووضح أن كُلاًّ من هذه المَبْنِيَّات على ما قبلها لا يلائمه غير ما بُنِي عليه، والله أعلم.

وأما وجه الخصوص الواقع في كل من السورتين بموضعه، فإن سورة الأنبياء لما ورد فيها من قصص الأنبياء المذكورين قبل ذكر أيوب عليه السلام، أعلى مقاماتهم، ولم يرد في ذلك ما يخرج عن هذا. وذلك من لدن قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ - الى قوله - ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾[1]. ناسب ذلك من قصة أيوب عليه السلام ما يلائم هذا الغرض. ولما ورد في «صٓ» ما بُنِيَ عليه قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ - الى قوله - ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ﴾ - الآية[2]، وما بُنِيَ عليه قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ - الى قوله - ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾[3]، ناسب ذلك أيضاً ما أعقب به من قصة أيوب عليه السلام. فتأمل الوارد من قصص داود وسليمان في قوله في الأنبياء: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ - الى قوله - ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[4] والوارد من[5] قصصهما في سورة «صٓ» واعتَبِرْ ذلك فإن الفرق في ذلك بيِّن قد تنَزَّل على كل من هذه القصص في السورتين ما يناسبهما [١٦٥/ظ] من قصص أيوب وإذا استَوْضَحْتَ ذلك علِمْتَ إنَّ كُلاًّ منهما لا يناسبه غير موضعه. ثم إنَّ كُلاًّ من الآيتين

---

(١) الأنبياء/ ٥١ - ٨٢.

(٢، ٣) الآيات/ ٢٤ - ٢٥، ٣٤ - ٣٥ على الترتيب.

(٤) الآيات/ ٧٨ - ٨٠.

(٥) ج، هـ، ب، ع: في.

في السورتين قد جرى على ما اتصل به مما[1] تقدمه به، وتأخر عنه من فواصل الآي ومقاطعها. فلو وردت على العكس لما ناسب آية منها[2] ما اتصل بها، فحصل التناسب[3] في اللفظ والمعنى على أوضح شيء، وأنه لا يمكن عكس الوارد على ما قد تمهّد بوجه، والله أعلم بما أراد.

٢٥٥ ـ الآية السابعة من سورة الأنبياء قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ (٩١).

وفي سورة التحريم[4] (١٢): ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾. فيسأل عن وجه الاختلاف[5] في الضميرين مع اتحاد المعنى المقصود من الواقع به الثناء[6] وإن اختلف الحامل[7] على ذكر قصتها[8] في الموضعين، وعن وجه اختصاص كل من الموضعين بالوارد فيه.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ بعد تسليم اتحاد[9] المعنى والواقع فيه الثناء[10] أنّ الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو «التي»، وهي مريم ٱبنَة عمران، المفتتح[11] باسمها في آية[12] التحريم، أعيد الضمير هنا

(١) ج، ع: ما.
(٢) ساقطة من ك.
(٣) هـ، م: بالتناسب.
(٤) في هامش «م»: «وفي الزخرف والصافات» وما فيهما في غير السياق المذكور.
(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف...).
(٦) ك: البناء.
(٧) ك: التحامل.
(٨) ج، ب، ع: قصتها.
(٩) ب: بعد اتحاد تسليم.
(١٠) ك: الواقع به البنا.
(١١) ك: المفتتحة.
(١٢) ج، ع: الاية.

إليها من حيث إنّ ذلك تخصيص وتكريم جليل، وآية باهرة، وقد قصد ها هنا تشريفها، وتشريف ابْنِها عليهما السلام بالذكر في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً ﴾، ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها. فلما اتسع المقصود هنا بذكر من لم يذكر هناك، وقصد من التشريف ما هو أكثر؛ ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهَّرة بجملتها فقيل[1]: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾. وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص[2] بمَحَلِّ النَّفْخ من غير إشكال. وقيل في آية التحريم ﴿ فِيهِ ﴾ لِعَوْدِهِ[3] إلى الموضع المخصوص على ما يجب، إذ لم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها وإثباتها في القانتين، وتشبيه حالها في سابق سعادتها بالمذكورة قبلها، واجتماعها[4] في ضرب المثل بها[6] للمؤمنين. فالحامل على ذكرها هنا[5] غير الحامل في سورة الأنبياء، مع اتحاد الوصف الواقع به[7] التَّمَدُّح. هذا[8] مع تناظر الألفاظ وتشاكلها وهي قوله: ﴿ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ﴾، فاجتمع في هذا الوضع ما قصد من مِدْحَتِها ومدح ابنها عليه السلام، مع مضارعة الألفاظ وتشاكلها. فجاء كل على ما ثبت فيه ولم يقصد في آية التحريم غير ذكرها بالحال التي ناسبتها فيه امرأة فرعون [١٦٦/ و] ولم يوسَّع الكلام بذكر ابنها عليه السلام، كما ذُكِرَ في الأخرى ولا [توجد] هنا داعِيَةُ تشاكل كما هناك[9]. فلهذا ورد الضمير على ما ورد من الخصوص، فقيل «فيه».

---

(١) ساقط من ك.

(٢) ج، ع، هـ، ب الحاصل.

(٣) في ك، وبقية النسخ: عودته.

(٤) ك: باجتماعها.

(٥) هـ، ك: بها.

(٦) هـ: ذكرها بيّنًا.

(٧) ك: فيه.

(٨) ساقط من ك.

(٩) ك: ولا هنا عنه تشاغل كل ما هنالك.

والجواب عن وجه اختصاص كل واحد من الموضعين بالوارد فيه أنّ آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات[1] تضمنت ذكر جملة من الرسل موصوفين بخصائص عليّة وآيات نبوية أولهم إبراهيم عليه السلام، ثم ابنه إسحاق، وابنه يعقوب، ثم نوح، ولوط، وسليمان، وأيوب، وعيسى[2]، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكِفْل، وذو النُّون[3]، وزكريا[4]. فلماذُكِرَ هؤلاء الذوات[5] العليّة عليهم السلام بخصائص ومِنَحٍ ناسب ذكر مريم وابنها عليهما السلام بما مُنِحا.

وأما آية التحريم فمقصود فيها ذكر عظيمتين جليلتين تبين بهما حكم سبقية القَدَر بالإيمان أو الكفر[6]، وهما قضية امرأتي نوح ولوط وأن انضواءهما[7] إلى هذين النبيين الكريمين عليهما السلام إنضواء[8] الزوجية التي لا أقرب منها، ومع ذلك لم يغنيا عنهما من الله شيئاً. وقضية[9] امرأة فرعون وقد انضوت[10] إلى أكفر كافر، فلم يضرها كفره. ثم ذكرت مريم عليها السلام للالتقاء[11] في الاختصاص، وسبقية السعادة ولم يَدْعُ دَاعٍ إلى ذكر ابنها. فلا وجه لذكره هنا.

وأما آية الأنبياء فلذكره هناك أوضح حامل، فجاء كل على ما يجب ولا يمكن فيه عكس الوارد[12] والله أعلم.

---

(١) ج، ب، ع: آية.
(٢) ساقط من م، ك، ب، ع.
(٣) ج، ك، ب: ذا النون.
(٤) ب: زاد هنا «على نبينا وعليهم الصلاة والسلام» ـ هكذا.
(٥) في ب فقط.
(٦) ك: والكفر.
(٧، ٨) ك: انطواها، انطواء.
(٩) ك: وقصة.
(١٠) ك: انطوت.
(١١) ج، م، ب: للاكتفاء.
(١٢) ك: للعكس في الوارد.

٢٥٦ ـ الآية الثامنة من سورة الأنبياء قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾(٩٢، ٩٣).

وفي سورة المؤمنين (٥٢): ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ . فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل[1] عن قوله[2] في الأولى: ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾، وفي الثانية: ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾، وفي الأولى: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾، وفي الثانية: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾، وفيها أيضاً ﴿ زُبُرًا ﴾، ولم يرد ذلك في الأولى، وأتبعت الأولى بقوله: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾، والثانية بقوله: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[3]. فهذه أربعة مواضع[4] يسأل عنها.

فأقول تمهيداً للجواب: الأمة هنا المِلَّة، وقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ ﴾ إشارةٌ إلى ملة الإسلام. قال الزمخشري: أي ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، ملة واحدة غير[5] مختلفة، وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون، والخطاب للناس كافة. قال: والأصل تقطعتم، إلاّ أن الكلام صُرِفَ[١٦٦/ظ] إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعي عليهم[6] ما أسندوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم[7] ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله. والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قِطَعاً كما تتوزع[8] الجماعة الشيء

(١) زاد في ع: «هنا».
(٢) ب: صيغة السؤال: «إن قيل لم ورد في الأولى».
(٣) ما بعدها إلى قوله: يسأل عنها محذوف من ب.
(٤) زاد هنا في ع: «مما».
(٥) ك: وغير.
(٦) ك: ينفي عنهم.
(٧) في ك فقط وبقية النسخ «فعله».
(٨) ج، هـ، ع: تنازع.

ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب [ولذاك[1]] نصيب، تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم. هذا معنى كلامه[2].

ونرجع الى[3] الجواب فنقول: الجواب الأول، أن سورة[4] الأنبياء، لم يرد فيها لفظ «التقوى» في أمر ولا خبر من أولها إلى آخرها وورد فيها[5] الأمر بالعبادة من قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[6]. وأما سورة المؤمنين فتكرر فيها ذكر التقوى في ثلاثة مواضع:

أولها: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[7].

و[ثانيها]، القصة التالية لهذه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[8].

و[ثالثها] فيما بعد الآية المُتكلَّم فيها: ﴿ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[9].

فروعي في الأولى ما تقدمها، ونوسب بالثانية مااكتنفها. وأيضاًفإن العبادة مأمور بها ليحصل الاتقاء، فهي مقدمة في الطلب ليحصل ما يتسبب عنها، إذا كانت الإجابة. وعلى ذلك ورد دعاء الخلق. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[10]؛ وفي سورة المؤمنين المذكورة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ

---

(١) ك: لذلك، وبقية النسخ: لهذا.
(٢) أنظر: الكشاف ٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧.
(٣) ساقطة من ج، ع.
(٤) ك: ونرجع إلى الجواب عن الأول أن سورة (هكذا).
(٥) ساقط من ك.
(٦) الآية/ ٢٥.
(٧ ـ ٩) الآيات/ ٢٣، ٣٢، ٨٧ ـ على الترتيب.
(١٠) البقرة/ ٢١.

غيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾. فالاتصاف بالتقوى ثانٍ عن الاتصاف بالعبادة، فقيل في الأنبياء: ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾، وفي سورة المؤمنين: ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ رعياً[1] لما ذكر، وعلى مقتضى الترتيب. وأيضاً إذا اعتبرنا ما قدم من قصص الرُسُل في السورتين وجدنا الوارد في سورة الأنبياء مقصوراً على ذكر منحهم وتخليصهم وتأييدهم من لدن قوله تعالى في إبراهيم: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ ـ الآيات الى قوله ـ ﴿ آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾[2]. فتضمنت هذه الآية بضعة وعشرين [نَبيّاً[3]] أولهم إبراهيم وآخرهم من أعقب ذكره بالآية المذكورة. وقد اقتصر من قصصهم في هذه الآيةَ على مايُطْلِعُ المؤمنين على تكفّله[4] سبحانه بالمصطَفَيْن من عباده وما اختصهم به، ولم يرد مع ذلك تكذيب قومهم لهم، ولا ما يرجع إلى هذا. وكل هذا تأنيس، وذكر نعم وآلاء وألطاف [١٦٧/ و] يناسبها قوله: ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾ لكونه أمراً بالعبادة مجرداً عما في قوله: ﴿ فَاتَّقُونَ ﴾، من التخويف. وأما الوارد في سورة المؤمنين فتضمن الطرف الذي عدل عنه في سورة الأنبياء وهو ذكر جواب الأمم للرسل، وقبيح تكذيبهم إياهم، وشنيع ردّهم، وقبيح مقالهم كقولهم[5] في نوح عليه السلام: ﴿ مَا هَـٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾[6]. ثم بالغوا في الاستهزاء بقولهم في إخبار الله سبحانه عنهم: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[7] وقول أهل القرن المذكورين بعد قوم نوح لنبيهم: ﴿ مَا هَـٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ لَخَاسِرُونَ ﴾ ـ

---

(١) ك: وكلاهما ذكر على مقتضى.
(٢) الآيات/ ٥١ ـ ٥٣.
(٣) جميع النسخ: «نَبِيَّاً» وهي قراءة جائزة.
(٤) ج، هـ، ك، ع: تكلفه.
(٥) م، ك: كقول نوح.
(٦) الآيتان/ ٢٤، ٢٥.
(٧) الآية/ ٢٥.

الى قوله ـ ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وقوله تعالى لما تواتر ذكر إرسال الرسل وتكذيب قومهم لهم. فقال تعالى: ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[2]. وقال تعالى مخبراً عن قوم[3] موسى: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ ﴾. فناسب هذا التخويف قوله عقب هذا: ﴿ فَاتَّقُونَ ﴾، كما ناسب ما قدم في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾، ولم يكن ليناسب ورود واحدة منهما في موضع الأخرى، فجاء كل[4] على ما يجب، ولا يمكن خلافه.

والجواب عن السؤال الثاني وهو الفرق بين قوله في سورة الأنبياء ﴿ وَتَقَطَّعُواْ ﴾، وفي سورة المؤمنين: ﴿ فَتَقَطَّعُوا ﴾ بفاء التعقيب؛ أنه ورد في آي الأنبياء قبل هذه الآية تأنيساً لنبينا عليه السلام قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾[5]، وقوله: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[6]، ثم قال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً ﴾ ـ الى قوله ـ ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ ـ الآيات[7] فَنَبَّهُوا على[8] السؤال، ثم ذكر من قصص الأنبياء أوضحه وأجْلاهُ لمن اعتبر. وأورد ذلك إيراد التلطف، بذكر تخليص أولئك العِلْيَة عليهم السلام وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ[9] أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ. وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَداً ﴾[10]؛ ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ

---

(1) الآيات/ ٣٣ ـ ٣٨.
(2) الآية/ ٤٤.
(3) ج، هـ، م، ع: قول.
(4) في ك فقط.
(5، 6) الآية/ ٧.
(7) الآيتان/ ٨، ٩.
(8) ك: عن.
(9) زاد هنا في ج، هـ، ب، ع: «وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ثم قال» وهو انتقال نظر إلى أعلى من ناسخ أقدم النسخ «هـ».
(10) الآيتان/ ٢٥، ٢٦.

مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾[1]. فهذه الآي في قوة أن لو قيل نحن نبين لهم وهم يكفرون بالرحمن فهو سبحانه يبين لنبيه صلى الله عليه وسلم أحوال الأمم مع الرسل، مع مشاهدة الآيات تأنيساً له عليه السلام، وتذكيراً بالصبر على قومه [١٦٧/ ظ] فعلى[2] هذا المنهج جرى الوارد من قوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُمْ ﴾، أي نهيناهم[3] عن السؤال وأوضحنا لهم أمر من تقدمهم[4]، وعاقبة الاستجابة لمن تمسك بهدى المذكورين. وهم مع ذلك على عنادهم وافتراقهم، وكأن الكلام وارد مورد التعجب من أمرهم ولم يشبه شدة الوعيد ليبقى رجاؤه عليه السلام في استجابتهم فلم يخْلُ معنى[5] الكلام - مع الإخبار بتفرقهم - عن بعض، إبقاء تأنيس مناسباً لما تقدمه. ولهذا لم يقع بعد الآية تسجيل بتصميمهم[6] على الكفر، [والإمْعَانُ[7]] في طرفي التخويف الوارد في آية المؤمنين من قوله: ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[8] في[9] آية الأنبياء آنفاً[10].

أما قوله في آية المؤمنين: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ فَمُنَزَّلٌ مع ما قبله منزلة قوله في سورة النحل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾[11] وهذا وعيد شديد لمن حقت عليه كلمة العذاب ولم

---

(١) الرعد/ ٣٠.
(٢) ساقط من ك.
(٣) في ك فقط وبقية النسخ: نبهناهم على.
(٤) ك: وأوضحنا أمرهم من تقدمهم (هكذا).
(٥) ج، ب، ع: يخل بمعنى.
(٦) ب: بتصبهم، ج، هـ، ع: بتصميم.
(٧) م: ولا - امتحان، وبقية النسخ (ولا - إمعان)، ولعل ما أثبتناه الصواب.
(٨) الآيات/ ٥٣ - ٥٦.
(٩) في ك فقط وبقية النسخ: ففي.
(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: إبقاء.
(١١) الآية/ ٣٦.

يُجْدِ عليه التذكار[1]، فكان مجموع هذه الآي في قوة أن لو قيل لهم: قد بيّن[2] لكم، واطلعتم على حال من كذّب، وخوطبتم بما قيل للرسل: ﴿ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً ﴾[3]، وملة الكل ملة واحدة، ولم تؤمروا بما لا تطيقونه فتقطعتم، إلاّ أن الكلام صُرِفَ إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كما تقدم في سورة الأنبياء فقيل: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُمْ ﴾، أي فافترقوا، وما أجدى[4] عليهم القرآن شيئاً. فهذه الآية أشد في التخويف والترهيب من الأخرى، وكل يناسب ما قبله، ولو وردت إحداهما موضع الأخرى لما ناسب، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثالث أن قوله في سورة المؤمنين: ﴿ زُبُراً ﴾، تأكيد لافتراقهم، وانتصابه على الحال الواردة بياناً وتأكيداً لقبيح تفرقهم وشنيع مرتكبهم، فناسب ذلك مقصود هذه الآية لما هنا من التخويف والإنذار، ولم يكن ليناسب آية الأنبياء لبنائها على غير ما قصد هنا لِمَا تقدمها من تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم وتعريفه بما منَح سبحانه متقدمي الرسل، وما أعقبهم صبرهم على أممهم، وهو عليه السلام قد قيل [له]: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[5]. فقُدِّمَ له عليه السلام[6] في سورة الأنبياء من قصصهم ما ثبّت به فؤاده، وصار جليل هذا التأنيس مما بنيت عليه السورة. وعلى ذلك جرت سورة مريم وسورة طه على ما مهَّدتُه وبسطته في ترتيب بعض السور الكريمة، فمن حيث الإشارة إلى ما ذكر، ولم يكن ليناسب ذلك، تأكيد إفتراقهم وتَشَتُّتِهم[7]. ولما رجع الكلام للآية الثانية بعد تثبيته عليه السلام، وتأنيسه إلى التعريف بمُرْتَكَبَاتِ الأمم، وذكر ما

---

(١) ك: ادكّار.

(٢) ج، ع: تبين.

(٣) المؤمنون/ ٥١.

(٤) ب: أجرا.

(٥) الأنعام/ ٩٠.

(٦) ج، ب، ع: عليه الصلاة والسلام.

(٧) ك، ب: تشتيتهم، ج: تشتيتهم.

[ٱسْتَحَقُّوا[1]] به ما عوقبوا به، وأن كُلاً [١٦٨/و] من المكذبين أُخِذَ بذنبه كان ذلك[2] مظنة تأكيد المرتكب فقيل، ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً ﴾، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الرابع أن تعقيب[3] آية الأنبياء بقوله: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾[4] وإن[5] كان وعيداً وتهديداً فليس في شدة التهديد ومخوف الوعيد كالواقع في سورة المؤمنين. يوضح ذلك ويبيّنه ما اتصل بكل من الآيتين من قوله في آية الأنبياء: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾[6]، فذكر عند ذكر رجوعهم إليه سبحانه جزاء من أجاب وأحسن، وطوى الكلام على الإفصاح بحكم الطرف الآخر مِن ذِكْر[7] مَنْ أساء، فلم يجر[8] لهم ذِكْرٌ مُفْصَحٌ به[9] كما في الطرف الآخر مع أنّ إجْمَالَ[10] قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾، يقتضي أن لو قيل: فالمؤمن حكمه كذا والكافر حكمه[11] كذا، ولكن ليس كالمفصح به. فلما كان في آية الأنبياء ما قد بُيِّنَ من إبقاء يناسب هذا التأنيس، ناسب ذلك إغْضَاء[12] الكرم، وعدم ذكر نقيض[13] الإحسان، فليس[14] قوله: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾، وما أعقب به من قوله: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ -

---

(١) جميع النسخ: استخفوا.
(٢) ساقط من ج، ع.
(٣) م: تعقيبه.
(٤) الآية/٩٣.
(٥) ج، هـ، ب، ع: فان.
(٦) الآية/٩٤.
(٧) ب: ذلك.
(٨) ج، ك: يجد.
(٩) في ك فقط وبقية النسخ: يفصح.
(١٠) ك: احتمال.
(١١) ساقط من ك.
(١٢) ج، ك: إعطاء.
(١٣) ك: نقص.
(١٤) ساقط من ك.

الآية، كقوله في سورة المؤمنين: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[1]، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[2]. فقد وضح مناسبة المُتْبَع به في كل من الآيتين لما تقدمه، ولم يكن ليناسب عكس الوارد، والله أعلم[3].

سورة الحَجّ

٢٥٧ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى[4]:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ - الآية. (٥).

وفي سورة المؤمن[5] (٦٧): ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[6].

ففي الأولى: ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾، ولم يقع التعريف بهذه الأحوال من الانتقال عن العَلَقَة، وهو الدم المنعقد المتغير عن النُّطفَة وهو هنا المَنِيُّ المنفصل يصير هنا دماً جامداً ثم يصير مُضْغَة، والمضغة قطعة لحم قدر ما يُمْضَغُ مثله. ثم قد يُتِمُّ الله

(١، ٢) الآيتان/ ٥٤، ٥٥.

(٣) ج: والله سبحانه أعلم بما أراد.

(٤) عنوان الآية ساقط من «ع».

(٥) هي سورة غافر.

(٦) في هامش م: «وفي سورة فاطر» يريد الآية/ ١١ منها، وليس فيها محل الشاهد هنا.

سبحانه خلق تلك النطفة وتخطيطها وتصويرها على ما يشاء من هيئة[1] وصورة ولَوْنِيةً، كما قال تعالى [١٦٨/ ظ]: ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وقد لا يتمها[2] فينقص من خلقها ما يشاء من الأعضاء، أو الحواس. وإلى هاتين الحالتين الإشارة ـ والله أعلم ـ بقوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، أي تامة الخلق، وغير تامة؛ فأشار بتضعيف لفظ ﴿ مُّخَلَّقَةٍ﴾ إلى هذا فقيل: ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾.
أما السِّقْط المولود لغير التمام فحاصل من مفهوم قوله تعالى بعد: ﴿ونُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾، إذ مفهوم هذا ـ والله أعلم ـ أن بعض ذلك لا يقره تعالى وهو السقط. هذا ـ والله أعلم ـ مفهوم قوله ﴿ مَا[3] نَشَاءُ ﴾، ودليل خطابه. أما قوله: ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾، فمَصْرِفُه ـ والله أعلم ـ إلى ما قدمنا. وقوله: ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾، أي الأجل الذي شاء تعالى إبرازَ المولود[4] فيه وولادته. فهذه الانتقالات والأحوال قد اختُصَّت بها هذه[5] الآية، ولم ترد في آية سورة المؤمن مع البادي من[6] اتحاد المقصد في الموضعين.

فللسائل أن يسأل عن وجه ما ورد في كل من الآيتين[7]

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية سورة الحج مقصود فيها إقامة[8] البرهان على البعث[9] الأُخْراويّ، وبَسْط الدلالات على كيفيته وإرغام مُنْكِرِيه. ألا ترى أن هذه الأحوال والانتقالات على ما وضح مِنْ التدريج، لا يكون إلا من فاعل قادر حكيم[10] مختار عليم[11]. وقد فسر مقصود هذه الآية وزاده إيضاحاً قوله تعالى:

(١) ج، ع: من بقيته، وصوره، وكونه.
(٢) في ك فقط وبقية النسخ: يتم.
(٣) ساقطة من ج، ب، ع.
(٤) ج، ع: الوجود، هـ، ك، ب: الموجود.
(٥) في ك فقط وبقية النسخ: بهذه.
(٦) ج، ع: مع.
(٧) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه ما ورد في كل منهما).
(٨) ك: آية.
(٩) ج، هـ، م: التعب.
(١٠) ساقطة من: هـ، م، ك، ومكانها بياض في ج.
(١١) ب، ع: عليم حكيم مختار.

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ ـ الآيات[1]، وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ ـ الآية[2]. ويزيد هذا المقصود أيضاً بياناً تعقيب آية الحج بقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾. فهذا إحياء بعد موت، ثم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[3]. فتأمل هذا التعقيب وافتتاح الآية بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾، واعتبِرْ ما انطوت[4] هذه الآيِ عليه، يلُحْ لك ما تقدم من مقصودها.

أما آية سورة المؤمن فلم تتجرد لهذا الغرض وإن تضمنت ذلك بالإيجاز[5]، وإنما[6] بناؤها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وانفراده بالخلق والأمر، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، ونفي ما عُبِد من دونه تعالى. وتأمل ما تقدمها من لدن قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ ـ الى الآية المذكورة وما بعدها[7] يبنْ لك ما قصد بهذه الآية، وأنّها اختصت عن آية سورة الحج بما ذكرنا، واختصت تلك بما تقدم. فلذلك زِيدَ فيها من التفصيل ما تقدم ولم يكن عكس الوارد[8]، ليُناسِب، والله أعلم [١٦٩/ و] بما أراد.

٢٥٨ ـ الآية الثانية قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (٢٢).

---

(١) يس/ ٧٨.

(٢) الأنبياء/ ١٠٤.

(٣) الحج/ ٥، ٦، وزاد منها في ك ﴿ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

(٤) زاد هنا في ج، هـ، ك، ب، ع: عليه.

(٥) في ك فقط وبقية النسخ: بالانجرار.

(٦) في م فقط وبقية النسخ: وأما.

(٧) غافر/ ٥٧ ـ ٦٧.

(٨) ك: العكس ليناسب.

وفي سورة السجدة (٢٠): ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

هنا[1] سؤالان:

الأول: قوله في آية الحج: ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾، ولم يرد ذلك في سورة[2] السجدة.

والثاني[3]: ما أعقب به كل من الآيتين.

والجواب عن الأول أن زيادة قوله: ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾، مناسب لما ورد قبله، وبعده من تفصيل الجزاء في الطرفين بعد ذكر الحالين من نعيم أو عذاب، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾[4]، وقال في الطرف الآخر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[6]، فَفَصَّلَ حال هؤلاء، وحال هؤلاء[7]، فناسب[8] هنا زيادة: ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾.

ونظير هذا التفصيل قوله تعالى[9]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ - الآية[10]، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[11]، والإطناب يناسب

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال لم ورد في آية الحج...).
(٢) ج، ع: آية.
(٣) ب: ولم أعقب به.
(٤) الحج/ ١٩ - ٢١.
(٥) جميع النسخ: قولهم.
(٦) الآية/ ٢٣.
(٧) ب: ففصل حال هؤلاء هؤلاء (؟).
(٨) هـ، ع: ليناسب.
(٩) من هنا إلى قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الآية الثانية ساقط من ج، هـ.
(١٠، ١١) النساء/ ٥٦، ٥٧.

الإطناب. ولما قال في سورة السجدة: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[1]، فلم يقع تفصيل في الطرفين، وأوجز الكلام [فناسبه[2]] الإيجاز فلم يرد هنا قوله: ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾. ونظير هذا في إيجاز الجزاء قوله تعالى[3] في الطرفين: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[5]، فلم يقع وصف في الجزاء ولا تفصيل. فهذه كآية السجدة من غير فرق. وللإطناب في التفصيل زِيدَ في آية الحج ما حُذِفَ للإيجاز في آية السجدة. وورد كل على ما يجب ويناسب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب[6] على ما تمهَّد.

والجواب عن الثاني أن آية السجدة لما قيل فيها: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾، والفسق الخروج، وقد يكون إلى معصية دون الكفر، ويكون إلى الكفر، وهو المراد هنا فأُعْقِبَت الآية بما يرفع الاحتمال، ويوضح أن فسقهم إلى الكفر حين كذبوا بالوعد والوعيد الأخراوي فقيل لهم: ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾.

أما آية الحج فتقدم قبل ذكر الإفصاح بكفرهم في قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، فلم يحتج إلى التعريف الوارد في سورة السجدة. فجاء كل على ما يجب ويناسب. ونظير الواقع في آية السجدة في وصف النار وإتْباعها بصفة المُعذَّب بها قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلاَ ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ [١٦٩/ ظ] ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[7]، لمَّا تَنزَّل

---

(١) السجدة/ ١٩، ٢٠.

(٢) جميع النسخ: ناسبه.

(٣) زاد هنا في ك: جزاء.

(٤، ٥) النازعات/ ٣٩، ٤١.

(٦) في م فقط.

(٧) الآية/ ٤٢.

عذابهم على الظلم. والظلم يقع على الكفر وعلى ما دونه[1]، فأتبع الوعيد بما يبين أن المراد ظلم التكذيب والكفر، لا ظلم معصية دون الكفر، كما بيّن في سورة السجدة أن المراد بالفسق، فسق الكفر، لا فسق معصية دونه، فوضح ما قلته والحمد لله. فأما ما وقع بين هاتين الآيتين من التذكير والتأنيث في الموصول والضمير في قوله: ﴿ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ ﴾[2]، وقوله في الأخرى: ﴿ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا ﴾، مع التساوي فيما جرى عليه الوصف. فإن ذلك لرجوع الوصف في آية السجدة إلى العذاب، وهو مذكَّر، ورجوعه في آية سبأ إلى النار، وهي مؤنثة. وسنذكر[3] وجه التخصيص في سورة سجدة لقمان، إن شاء الله، والله أعلم.

٢٥٩ ـ الآية الثالثة قوله تعالى:

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ (٤٥)

وقال تعالى بعد هذا (٤٨): ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾. فيسأل عن الفرق الموجب لاختلاف الواقع في الآيتين.

والجواب ان الآية الأولى تنزلت على ما ذكر قبلها ممن أهلك من القرون والأمم السالفة بتكذيبهم للرُّسُل ممن قال فيهم بعد تفصيل ذكرهم: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾[4]. وأما الآية الثانية فوقع قبلها ذكر استعجالهم بالعذاب تكذيباً واستبعاداً في قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾[5]، فعُرِّفُوا بأن تأخره عنهم إملاء للمكذبين: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً ﴾[6] وقيل: إنّ حالهم في التكذيب واستبعاد وقوع العذاب قد جرى لمن تقدمهم من المكذبين، ثم جاءهم ما كذبوا به

---

(١) ساقط من هـ، ومكانه بياض في ج.
(٢) زاد في م، ك من الآية ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.
(٣) ك: ويذكر.
(٤) الرعد/٣٢.
(٥) الحج/٤٧.
(٦) آل عمران/١٧٨.

وحلّ بهم ما استبعدوه، فقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾. فاستعجالهم أوجب تعريفهم بحال غيرهم ممن ناسب حالهم لعلهم يذكرون. يزيد[1] ذلك بياناً قوله: ﴿ وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾. وكأن الكلام في قوة أن لو قيل لهم إنما يُعَجِّل من يخاف الفَوْتَ. أما إذا كان مرجع الكل ومصيرهم إليه فيأخذ المكذب متى شاء وإنْ أخَّره، فإملاء لزيادة محنة. فوضح ما بين الآيتين، وأنه لا يمكن على ما تمهد وقوع واحدة منهما في موضع الأخرى، والله أعلم.

٢٦٠ - الآية الرابعة من سورة الحج [غ] قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٤٧)

وفي سورة السجدة (٥): ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

وفي سورة المعارج (٤): ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

يُسأل عن وجه الفرق، وما معنى تقدير اليوم[2] بما ذكر تعالى.

والجواب عنه [١٧٠/ و] - والله أعلم - أن المراد تبيين أفعاله سبحانه، وأنه لا تكلُّف فيها ولا معالجة، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]. فكأن قد قيل لهم، إذا شاء عذابكم كان، فإنه سبحانه المتعالى عن التعاون والمعالجة والافتقار، فإذا قَدَّر الشيء وأراد إنفاذه كان وتحصَّل في الوقت الوجيز القريب، منه ما تقدِّرون حصوله ومعالجة وقوعه في ألف سنة من أيامكم، وما

---

(١) ك: فهو ذلك.
(٢) ساقط من ج.
(٣) يس/ ٨٢.

تقدرون تهيئته ونفوذه بألف سنة من أيامكم على مألوفكم[1]. وإذا أراد سبحانه وقوع ذلك كان أمره كُنْ[2]، أعجل من كل عاجل، إذ ليست أفعاله كأفعال خلقه التي يحتاجون إلى المُؤَنِ والعلاج، والآلات تعالى الله عن شبه[3] خلقه، فلِمَ تستعجلون ما لا تكلف في وقوعه وحلوله؟ فإنما يمنع من استعجاله[4]، ربطه بأجل إذا بلغ الأجل كان وقوعه وهو يوم القيامة، وهو الأجل المسمى. ومن شاء تعجّل[5] عذابه في دنياه، أو ما شاء من امتحانه حلّ به، إذا آن وقته وتَوَقُّفُه عمن قدّره[6] عليه إملاء وزيادة في امتحانه: ﴿ وكأيِّنْ مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[7]. وعلى هذا قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[8] - الآية. المراد أن بُعْدَ هذه المسافة لا يحول دون استعجال نفوذ تدبيره وامضاء مقاديره، وأنه سبحانه ليدبرها ثم يرجع إليه في وقت لو وُكِّلَ ذلك اليكم، وكان في مقدوراتكم لفعلتموه في ألف سنة على نحو ما تقدم في الآية الأخرى.

وأما آية المعارج فالمراد باليوم المذكور فيها يوم القيامة الواقع فيه حساب الخلائق، ووزن أعمالهم، وفَصْل ما بينهم، إلى استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ففيه من الأعمال المتعلقة بالخلق ما يتعذر وقوعه وتخليصه[9] في[10] أيام الدنيا على مُتعارَفِها، مع عظم أهواله، وشدة كُرُوبه، وأيام الأهوال

---

(١) ك: على ما لزمكم.
(٢) سقط من ك: أمره كن.
(٣) ج، هـ: سنة.
(٤) ج، هـ، ب: استعهانه.
(٥) ك: تعجيل.
(٦) ج، ب، ع: قدر.
(٧) الأعراف/٧، النحل/٦١.
(٨) السَّجدة/٥.
(٩) في ج فقط وبقية النسخ: تخلصه.
(١٠) م، ب، ع: من.

والشدائد، [توصف][1] بالطول[2] العظيم أهوالها[3]، مع ما يقضي فيه مقدّر في أيامنا بخمسين ألف سنة، وهو على المؤمن التقي[4]، كصلاة صلاّها، قال تعالى:
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ. فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[5]
ويدل على أن المراد يوم القيامة، ما ذكره الله سبحانه عقب تقديره من وصفه بقوله:
﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَاءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾[6]، والله أعلم[7].

٢٦١ - الآية الخامسة من سورة الحج قوله تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٥٠).

وبعد هذا بآيات (٥٦): ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ [١٧٠/ ظ] فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

يُسأل عن وجه الاختلاف فيما ذكر من الجزاء مع اتفاق وصفهم بالإيمان وعمل الصالحات.

والجواب عنه[8]، أن الآية الأولى إخبار لهم[9] عند دعائهم قبل أنْ آمنوا. ألاَ ترى أن قبله أمر الله سبحانه رسوله عليه السلام بما يقول لهم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ثم[10] أخبرهم بما لهم إنْ آمنوا من غفران ما تقدم لهم من أعمال المخالفات والمُجْتَرَحات، والرزق[11] الكريم. ولما ذُكِرَ في

---

(١) ب: فوصفه، وبقية النسخ: فوصف.
(٢) ج: الطول.
(٣) ج: أهواله.
(٤) ج، هـ، م: المتقى.
(٥) المدثر/٨ - ١٠.
(٦) المعارج/٨ - ١٤.
(٧) قوله: «والله أعلم» في ج فقط.
(٨) ج: عن، هـ، م، ب: عليه.
(٩) ساقط من ك.
(١٠) ج، هـ، م: بما.
(١١) ج، هـ، م، ع: من الرزق.

الآية الثانية[1] حالهم في الدار الأخرى[2] مع انصرام الدنيا، وحصول اتصافهم بالإيمان وأعمال الطاعات، أُخبِروا فيها بالحاصل من المغفرة وبيّن لهم الرزق الكريم، وأنه نعيم الجنة والخلود الأبدي فيها.

فالآية الأولى مُتَضمِّنَةٌ وعْدَهُم إنْ آمنوا، وذلك عند[3] دعائهم إلى الإيمان. ويزيدك في ذلك بياناً نداؤهم في دعائهم إلى الاستجابة[4] بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، ولو كانوا قد حصل لهم الإيمان لَوُسِمُوا بذلك في خطابهم، فكان يقال: «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا». فإنما دُعُوا بما[5] به يُدعى من لم يحصل له الإيمان ولا اتصف به وبُشِّروا إنْ آمَنُوا ثمّ أُخْبِروا ثانياً بالحاصل لهم بياناً لمضمن[6] البشارة الأولَى وإخباراً لهم بغاية الجزاء. فالآية الثانية بيان وتفصيل لما أجمل في الأولى مترتب عليه وآت[7] بعده كما يجب فيما يأتي فيه الإجمال والتفصيل فكأنهم[8] قالوا: ما الرزق الكريم؟ فقيل لهم: ﴿ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾. فورود كلٍ من الآيتين على ما يجب ويناسب، ولا يلائم ما ورد في[9] الجزاء في الآية الثانية على ما تمهّد، ما وقع دعاء وخطاباً في الأولى، ولا ما بُني[10] على الآية الأولى أن يقع إخباراً في الثانية، بل ورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٢٦٢ ـ الآية السادسة من سورة الحج قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ (٦٢).

---

(١) ب: التاسعة.

(٢) ج، ب، ع: الآخرة.

(٣) ساقط من ج، ع.

(٤) ما بعدها إلى قوله: يقال، في ك فقط.

(٥) ج، هـ، ع: ما.

(٦) ك: ليضمن.

(٧) ج، ب، ع: وأن.

(٨) ج، ب، ع: وكأنهم.

(٩) في ك فقط.

(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: ولا ما معنى.

وفي[1] سورة لقمان (٣٠): ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾.

للسائل أن يسأل عن التأكيد بزيادة «هو» في سورة الحج، وسقوطه من[2] سورة لقمان[3]. ووجه ذلك[4] - والله أعلم - أن سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا التأكيد بالضمير المنفصل ويناسبه وهو تكرر الإشارة إلى آلهتهم، والإفصاح بذكرها تعريفاً بوَهْن[5] مرتكبهم، وشنيع حالهم. وأوضح هذا المتكرر، وأشده ملاءمة، الإتيان بهذا الضمير المُعْتَدّ[6] فصلاً أو مبتدأ. قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[7]، وقوله في آخر السورة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ [١٧١/و] ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[8]. هذه الآية والتي ذكرنا قبلها، أنسب شيء لقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ ﴾. فورد قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ - الآية، بناء على قوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾، تمهيداً[9] وتوطئة لما وبخوا به بعدها وقرّعوا بما[2] لا عليه جواباً من قوله: ﴿ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾؛ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ ﴾. فتأمل عظيم هذه المناسبة، والتئام هذه الآي العظيمة، ولو لم يتقدم الآية المتقدمة من قوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾، لكانت الآية الأخيرة، وهي قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا ﴾ -

---

(١) إلى آخر الآية ساقط من: ج، هـ، ب، ع.

(٢) ج، ب، ع: في.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما فائدة التأكيد بزيادة هو في سورة الحج، وسقوطه في لقمان).

(٤) ب: ووجهه.

(٥) ج، هـ: لوهن.

(٦) ج، هـ، ع: المعد.

(٧، ٨) الحج/ ٣١، ٧٣ على الترتيب.

(١٠) ج، ك، ع: وتمهيداً. ومن هنا إلى قوله المتقدمة من قوله ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ ساقط.

(١١) ك: مما.

الآية[1]، كافية وكأن قد وقعت متقدمه. والتقديم والتأخير مما[2] ترتكبه العرب كثيراً، ويوجد في فصيح كلامهم. ومن نحو هذه الآية ـ إنْ بنينا مفهومها[3] على تقدير التقديم والتأخير ـ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[4]. فتأخر هذا في الترتيب والتلاوة عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾[5]، وفعلهم متقدم من جهة معناه، لأنهم إنما أمروا بذبح البقرة عند تشاجرهم في أمر القتيل المشار إليه. فالآيتان[6] في قوة أن لو قيل: «وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فأمرتم بذبح البقرة»، فأوضح لكم ذلك حكم القتيل.

فعلى هذا كانت تكون آيُ[7] سورة الحج، لو لم يرد قوله أولا: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ ـ الآية، فكان ترتيب الآي على قصور أفهامنا. وما عليه ترتيب الكتاب[8] أعلى نظماً وأجلّ، ولكن أفهامنا قاصرة: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[9]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ ﴾. فقدم وأخر، لحامل أيضاً على التقديم والتأخير لَسْنَا[10] الآن له. فهذه الآية كآية البقرة سواء.

ولما لم يقع في سورة لقمان مثل هذا؛ لم يرد فيها التأكيد بـ «هو»[11]، وذلك أبين شيء وأنسبه، وإعراب هذا الضمير مبتدأ، أو فَصْلٌ[12]؛ وثمرته التأكيد لما ذكر والله أعلم.

---

(١) ما بعدها إلى قوله: متقدمة محذوف من ك.

(٢) ج، هـ، ع: مما قد.

(٣) في ك فقط وبقية النسخ: مفهوماً.

(٤، ٥) الآيتان/ ٧٢، ٦٧.

(٦) م، ك، ب: فالإتيان.

(٧) في ك فقط وبقية النسخ: آية.

(٨) زاد بعده في ك «العزيز».

(٩) الحج/ ٧٣، ٧٤.

(١٠) ساقطة من ج، ع.

(١١) الباء والضمير محذوفان من ك.

(١٢) ج، هـ: مبتدأ ـ وفصل.

٢٦٣ ـ الآية السابعة من سورة الحج قوله تعالى:

﴿ لَهُ مَا فِي [١٧١/ ظ] السَّمَٰوَٰتِ وَ[مَا فِي] الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٦٤).

وفي سورة لقمان (٢٦): ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة «ما» في قوله في الآية الأولى[1]: ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾، وزيادة لام الابتداء المؤكدة[2] في الجملة التي هي خبر إنَّ، وسقوط الحرفين في سورة لقمان.

والجواب أن الزيادتين معاً للتأكيد، إذ لا تدخل اللام في الخبر لغير ذلك وتكرار الموصول أيضاً فدخلتا في آية الحج لما قدم في الآية قبلها من السورة من بنائها على مقصود التأكيد. فجواب هذين السؤالين حاصل مما[3] تقدم والله أعلم.

سورة المؤمنين

٢٦٤ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ[4]. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ

(١) صيغة السؤال (يسأل عن زيادة «ما» في الآية الأولى).
(٢) ج، ع: المذكورة.
(٣) ج: فيما.
(٤) ما بعدها إلى قوله «يُحَافِظُونَ» محذوف من ب، وفي موضعه: «إلى قوله تعالى».

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ. ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١ ـ ١١).

وفي سورة المعارج (١٩ ـ ٣٥): ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا[1]. إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ. ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ. وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ. لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ. وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ. وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ. وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل[2] عما اختلف في هاتين السورتين من هذه الأوصاف بالتكرر فيها والزيادة فيها مع اتحاد مرماها من ذكر حال المؤمنين وأوصافهم التي بها نجاتهم بتوفيق الله إياهم. ففي الأولى ذكر الخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو والتنصيص على الزكاة. ولم يرد إفصاح بهذه الخصال الثلاث في سورة المعارج. وفي سورة المعارج ذكر المداومة على الصلاة، وتعيين ذوي الحق في المال، وأنه للسائل والمَحرُوم، وذكر التصديق بيوم الدين، والدين الجزاء، وذكر الإشفاق من عذاب ربهم، وأنه غير مأمون، وذكر القيامة بالشهادة، ولم يقع إفصاح [١٧٢/ و] بهذه الخصال الخمس في سورة المؤمنين. وتوارد على الاتفاق في السورتين. التساوق على حفظ الفروج، وذكر الأمانة، والعهد، والمحافظة على الصلاة أربعتها. فهذه ثلاث سؤالات:

أَحَدُها: التكرر والاتفاق.

والثاني: وجه ما ٱختُصَّتْ به سورة المؤمنين.

---

(١) ما بعدها إلى قوله: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، محذوف من ب وفي موضعه: «إلى قوله».

(٢) ب: يسأل عما اختلف.

والثالث: وجه ما اختُصَّتْ به سورة المعارج.

والجواب عن الأول أن حفظ الفروج أحد الأصول الخمسة التي اتفقت فيها الشرائع، ولم يخالف فيها أحد من العقلاء، وهي: حفظ النفوس، والأموال، والفروج، والعقول، والأعراض. وأما الأمانة فلا تتم هذه الخصال إلاّ بها، فهي: الأصل لتلك الأصول، والضابطة لجميع التكاليف وزمام الأديان. وفي الحديث: «الدِّينُ الأَمَانَةُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ»[1]، وهي التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأَبَتْ عن حملها وهي بالجملة مِلاكُ الدِّين. وأما الوفاء بالعهد فَلاَحِقٌ بالأمانة في نصاب التأكيد، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ وتكرر الأمر لعظيم قدر الأمانة والعهد[2]. وأما المحافظة على الصلوات رعياً لأوقاتها، وكيفية أدائها وما تنطوي عليه من جميع مطلوباتها ومتعلقاتها، وما تستلزمه وتستتبعه حتى تكون ناهية عن الفحشاء والمنكر فذلك كُلُّ الدين، والمُعَبَّرُ به عن أخص صفات النّاجين[3] في قوله تعالى إخباراً عن جواب الهالكين: ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[4] فموقع هذه الخصال الأربع وضَمِّها لما سواها من المطالب الإيمانية واشتمالها على جميعها أوجب تَعَيُّنَها[5] بالذكر، ولم يكن ليحصل من ذكر غيرها ما حصل من[6] التنصيص عليها، فكررت[7] في السورتين ونص فيهما عليها[8]، لأنها أُمَّهاتٌ لما سواها.

فإن قلت: فإن الزكاة شقيقة الصلاة في التأكيد لأنها أم العبادات المالية، ولهذا

---

(١) ألفاظ الحديث كما رواه الإمام أحمد في مسنده: «لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ»، «وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ» ج ٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١، وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (دين، أمن).

(٢) ساقطة من ك.

(٣) في ك فقط وبقية النسخ: التأخير.

(٤) المدثر/ ٤٣.

(٥) ك، ع: تعيينها، ب: مانعيها.

(٦) ك: على.

(٧) في ك فقط وبقية النسخ: فتكررت.

(٨) ك: عليها.

قاتل أبو بكر مَانِعِيها[1] ورجع الصحابة رضي الله عنهم إلى قوله، وقلّما يرد الأمر بالصلاة في كتاب الله إلاّ مقروناً به الأمر بالزكاة. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾[2]، وهذا هو الذي تَهَدَّى[3] إليه الصديق رضي الله تعالى عنه، غير تُذَكِّرْ في الوقت ـ والله أعلم ـ للآية. وإذا وضح ذلك فللقائل أن يقول فلِمَ لَمْ تذكر مع أنها من الأمهات.

والجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أن وصف الحق بمعلوم في قوله: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾، جار مجرى الإفصاح بذكر الزكاة، إذ لا لمطلوب معلوم مقدَّر[4] في المال إلاّ الزكاة [١٧٢/ ظ] فقام الوصف مقام الإفصاح بذكرها.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو وجه ما خصت به آية المؤمنين، وهو أنّه لما افتتحها تعالى بقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾. والمفلح الظافر ببغيته ٱبْتَدِىءَ من أوصاف المفلحين بأجلّ خصالهم وهو خشوعهم في صلاتهم المنبىء بعظيم خوفهم، وهو الذي لا يمكن معه فُتُور ولا تفريط[5] في العبادة. ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ ومن أعرض عن اللغو سلم من كل ما يشين دينه. وحصل من هذا، وما قبله ترك المخالفات جملة. ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾، وهذه أخت الصلاة. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾. وقال بعد: ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾[6]. وقد حصل بحصول هذه الخصائص ما به وُصِفَ المُتَّقُونَ في قوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[7] فوضح منه أن هذه أخص صفات من

(١) ج، ك: مانعها.
(٢) التوبة/ ٥.
(٣) ساقط من ج.
(٤) ك، ب: معلوماً مقدراً.
(٥) ك: تفريط ولا فتور.
(٦) التوبة/ ١١.
(٧) البقرة/ ٣ ـ ٥.

أفلح وفاز برضى الله سبحانه. فهذا أوجب تخصيص هذه السورة بالإفصاح بهذه الأوصاف الثلاثة.

وأما ما خصت به سورة المعارج، وهو الجواب الثالث، فإنه سبحانه لما وصف الإنسان بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾، والهلع الفزع الشديد، يقال: هَلِع بكسر ثانيه، فهو هَلِعٌ وَهَلُوعٌ. ثم ذكر سبحانه ما يثيره للإنسان[1] هَلَعُه، فقال: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ﴾، والجزع ضد الصبر، ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾، والمنع ضد الإعطاء. وكلا الوصفين[2] من الجَزَع والمنع مذموم مأمور شرعاً بضِدَّيْهِما من الصبر والإيثار؛ وقد أثنى سبحانه على الصابرين والمؤثرين. فالهلع من أرذل صفات الإنسان، فذكر تعالى صفات من سلم منه، وأنهم المداومون على صلاتهم، لأن المداومة على الصلاة عنوان[3] تلقّي الأوامر بالقبول والامتثال، ولا يكون ذلك إلاّ عن يقين[4] صادق. وقد قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾[5]. ومن تيقن أن خالقه تكفل[6] برزقه أَجْمَل في الطلب وذهب عنه الجزع، ومن علم الحق في ماله من زكاة مفروضة أو صدقة مندوب إليها لم يكن منوعاً في الخير، فإذا اتصف بما ذكر وكان ذلك على تصديق يقيني بيوم حسابه، وإشفاق[7] من عذاب ربه وعقابه، ولم يأمن المكر، فإنه لا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون. فمن كان هكذا فليس بهلوع. فلهذا استثنى من اتصف بهذه الصفات الجليلة عن مسببات الهلع من المنع والجزع. فهذا وجه تخصيص هذه السورة بالإفصاح بما خصت به من هذه الأوصاف مفصَحاً به، وإنما قلت مفصحاً[١٧٣/ و] به، لأن ما ذكر في هذه السورة

---

(١) ج، ع: ما يثمر الإنسان.
(٢) ك: الموضعين.
(٣) ك، ب، ع: عنوان على تلقي.
(٤) ك: نفس.
(٥) طه/ ١٣٢.
(٦) ك، ب: تكفل له.
(٧) ج، ب، ع: وإشفاقه.

مما لم يقع به إفصاح في سورة المؤمنين داخل تحت ما ذكر هناك، كما أن ما أفصح به هناك داخل تحت ما ذكر مفصحاً به هنا. ألا ترى أن أفعال المكلفين من الأحكام الخمسة وهي: الواجب، والمحظور، والمندوب، والمكروه، والمباح. كل ذلك داخل تحت ضابط الأمانة والوفاء بالعهد. ومن أوفى بما عاهد عَلَيْهُ الله في إيمانه فقد أتى، ووفّى بجميع التكاليف الشرعية أخذاً وتركاً. وكذا الصلاة الموصوفة تماماً وخشوعاً، فإنها ناهية عن الفحشاء والمنكر، إلاّ أن الإفصاح[1] والتنصيص النطقي حكم عليه يقيناً[2] بما تقدم. فقد وضحت المناسبة فيما خصت به كل واحدة من السورتين ووجه ما اتفقنا في وروده مفصحاً به، والله سبحانه أعلم.

وأما الشهادة فداخلة تحت الأمانة، ووجه تخصيص هذه السورة بالإفصاح بها أنها الثانية في الترتيب الثابت،فاستوفت وأكدت بما قد أشير إليه في الأخرى، والله أعلم.

٢٦٥ ـ الآية الثانية من سورة المؤمنين قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢٤).

وفي القصة الثانية[3] بعدُ (٣٣): ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ [مِنْ قَوْمِهِ] ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

في هاتين الآيتين سؤالان:

الأول: لم[4] قدم المجرور في القصة[5] الثانية على الصفة فقيل: ﴿ وَقَالَ

---

(١) ك: للإفصاح المنطقي حكماً عليه.

(٢) هـ، م، ك: بنينا، ب: نبيّنا.

(٣) هـ، ب: الثابتة.

(٤) ج: لما.

(٥) ج، ع: الآية.

﴿ ٱلْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، ولم يؤخر عنها كما ورد في قصة نوح مع الاتفاق في وصف الملأ في القصتين بالكفر.

والسؤال الثاني: وجه[1] زيادة ما عطف على الوصف بالكفر في القصة الثانية من قوله: ﴿ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ ٱلآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ مع استحقاقهم العذاب بمجرد[2] كفرهم، فما ثمرة الزيادة عليه.

والجواب عن الأول أن المجرور الذي هو: ﴿ مِنْ قَوْمِهِ ﴾، رافع إمكان أنْ يكون القائلون غيرهم، ويليه في الحاجة إلى ذكره وَسْمِهِم بالكفر، لأنه سبب أخذهم وهلاكهم، إلاّ أنه لما كان قد[3] يُفهِمُهُ سياق الكلام لم يلزم الإفصاح في كل موضع، وإن أفْصَح به هنا. ألاَ ترى أنه لم يرد في قصة نوح عليه السلام من سورة الأعراف. أما الإفصاح بالمجرور فالإفصاح به أو بضمير يقوم مقامه ضروري لا بد منه ليحصل منه تخصيص [١٧٣/ ظ] الحكم بمن تقدم؛ كما لو قيل: قالوا. ثم حيث يفيدنا تأكيداً في البيان، أو زيادة في التخصيص، اعتناء برفع المفهوم، ورفع احتماله[4] جملة، تقدم في فصيح الكلام، وإن كان فَضْلَةً. ومنه[5]:

لَتقْرُبنَّ قَرَباً جِلْذِيَّا ما دامَ فِيهِنَّ فَصيلٌ حَيَّا

أي ما دام في هذه النُّوقِ ،فرفع بتقديم المجرور احتمال أن يكون[6] المراد، ما دام[7] في الوجود، وقد تقدم مثل هذا. فكما يقدم على الخبر، فكذلك يقدم على الصفة للحاجة إليه.

---

(١) ك: وصف.
(٢) ج: لمجرد.
(٣) في م، ك فقط.
(٤) ج، ب، ع: الاحتمال.
(٥) سبق تخريج البيت في الآية رقم/ ٣١.
(٦) أنْ والفعل ساقطان من ج.
(٧) في ك فقط.

فإن قلت: لا فرق بين هذه القصة وقصة نوح[1] قبلها في الحاجة إلى هذا المجرور، أو ما يقوم مقامه فلِمَ لَمْ[2] يقدم هناك؟

قلت: لم يرد هناك غير صفة واحدة جُعِلَتْ مع موصوفها كشيء واحد، وإن كان الوصف[3] بموصول، والموصول يطول بصِلَتِه، إلاّ أن طُولَهُ بصلته، لا يزيله من تقديره باسم واحد. فمن حيث جعلت الصفة مع موصوفها كشيء واحد للحاجة إليها وكونها مفردة قرنت بموصوفها وتأخر المجرور فقال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ ﴾، وحيث لم يقع الاكتفاء بصفة واحدة، وزِيدَ عليها، ولا يمكن جعل صفتين فمَا زاد مع موصوفها كشيء واحد، قُدِّمَ المجرور فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، فوقع المجرور في كل من الآيتين على ما يجب. وعَطْف الصفات بعضها على بعض كورودها غير معطوفة[4].

والجواب عن السؤال الثاني أن وجه الزيادة على الوصف في الكفر في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، إنها منبئة بأن المذكورين في القصة الثانية ليسوا في شمول الكفر إياهم واستيلائه على معظمهم كقوم نوح عليه السلام، بل الإيمان في هؤلاء أفشى وأكثر. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾[5] ولم يقع هنا وصفُ من آمن من قوم هود بقلة ولا بكثرة فبقي الاحتمال في الطرفين على حد سواء، إلاّ أنه ورد في وصف الملأ[6] المكذّبين من قوم هود في هذه السورة ممن أفصح بالرد والتكذيب وصدّ الناس عن اتباعه ما يشعر أنهم[7] ليسوا

(١) سقط المتضايفان من ج، ع.
(٢) ساقطة من ج، ع.
(٣) ساقطة من ك.
(٤) في ك فقط وبقية النسخ «صفة».
(٥) هود/ ٥٨.
(٦) هـ، ب، م: الملائكة.
(٧) ج، هـ، ع: بأنهم.

أكثر[1] قومه. وذلك لما وصفهم به بعد الكفر من التكذيب والإتراف، وهو التنعم والترفه والعقل شاهدٌ بأن المُتَرَفِّهِين ليسوا جميعهم. أما الكفر فلا يبعد اتصاف أمة بأسرها به ويبعد اتصاف جميعهم بالامتداد في النعم والتَّرَفُّهِ، بل ذلك ممتنع [١٧٤/و] أن يتصف به الأكثر فأشعر وصفهم بماذكر بعد كفرهم بكثْرَةِ[2] فِيمَن[3] عداهم بخلاف الحال في قوم نوح. وأشعر أيضاً بامتدادهم وتمكُّنهم في دنياهم أكثر من غيرهم. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[4]، فأشعرت زيادة الوصف بتوسع الحال وامتداد الآمال، فلم يكن بُدٌّ من وصفهم بما ذكر.

٢٦٦ ـ الآية الثالثة من سورة المؤمنين قوله تعالى[5]:

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤١)

ثم قال تعالى عند ذكر القرون (٤٤): ﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾. فقال في الأولى: ﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، ثم قال في الثانية: ﴿ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق[6].

والجواب أن الآية الأولى في أمة معينة قد بين حالها وقبيح مرتكبها، وتحصل العلم بكفرهم وظلمهم أنفسهم، فقيل: ﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، ووقوع اسم

(١) ج، هـ، ع: أكثر من.
(٢) ب: بكثرة ـ ما.
(٣) ك، ب: ما في من عداهم.
(٤) الفجر/٦ ـ ٨.
(٥) أسقط المؤلف قبل هذه الآية من المتشابهات قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ... ﴾ ولم يشرحها، اكتفاء بالإشارة إليها في سورة هود، وقد ذكرها في درة التنزيل/٢٥٧.
(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).

الظلم عليهم على أتم ما يقع عليه من عدم الإيمان وارتكاب العظائم[1]، من الكفر والتعذيب، وقبيح الرد على ما تفصل في الآي قبلها. وأما قوله بعد: ﴿ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾، فورد عقب إجمال وإخبار بطوائف وأمم اجتمعوا في التكذيب، وردّ ما جاءتهم به رسلهم؛ فأعقب بوصفٍ إذا وجد كان ما سواه من قول وعمل مناسباً له وبحسبه، وهو عدم الإيمان، ولم يكن وصفهم بالظلم ليعطي ذلك لوقوعه على الظلم بالكفر، وعلى الظلم بمعصية ليست كفراً. ألا ترى أنَّ بعض من يوقع عليه اسم الظلم، ويُوسَمُ به قد يكون مُبْقًى عليه اسم الإيمان ما لم يقترن به ما يقتضي كفره. وأما من اتصف بعدم الإيمان فلا فلاح معه [فـ]ـاجْتَمَعَ هؤلاء الطوائف في عدم الإيمان، [و] وُسِمُوا به. ولما كان عدم الإيمان حاصلاً لمن تقدم بما ذكر من تكذيبهم، وأخذهم بالصيحة وجعلهم غثاء، أعقب وصفهم بما ينبيء بالزيادة على كفرهم؛ إذ الكفر حاصل.

فإن قلت: فقد تقدم في وصف هؤلاء الأمم قوله: ﴿ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾، وحصل من ذلك عدم إيمانهم، [فَلِمَ[2]] كرَّر ولم يوصفوا بالظلم.

قلت: لم يقع في ذكر هؤلاء تفصيل مرتكباتهم، كما ورد فيمن تقدمهم، فناسب إجمال الواقع من التكذيب، إجمال الوصف بعدم[3] الإيمان. وجاء كل من ذلك على ما يجب والله أعلم.

٢٦٧ ـ الآية الرابعة من سورة المؤمنين[4] قوله تعالى:

﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ. قَالُواْ أَءِذَا [١٧٤/ ظ] مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (٨١ ـ ٨٣)

(١) ب: العظام، ج: العظيم.
(٢) جميع النسخ: فلما.
(٣) ج، هـ، ب: بتقدم.
(٤) اسم السورة محذوف من ب.

وفي سورة النمل (٦٨): ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰباً وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن تقديم المضمر المذكور[1] والمعطوف عليه، على المفعول الذي هو: ﴿ هَٰذَا ﴾ في آية المؤمنين وعكس ذلك في آية النمل.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم قبل آية المؤمنين قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ. أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2]. فتقدم التعريف في هذه الآية أن آباءهم قد جاءتهم الرسل وأنذروا كما أنذر هؤلاء، فلهذا قالوا: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هذَا مِن قَبْلُ ﴾[3]. ولما لم يتقدم في آية النمل ذكر إنذار آبائهم كان أهم شيء يُذْكَرُ[4]، الموعود الذي هو هذا فقالوا: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا ﴾، والله أعلم[5].

٢٦٨ ـ الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٤، ٨٥)

ثم قال في الآية التي تليها (٨٧): ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

وفي الآية[6] الثالثة (٨٩): ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن الوجه فيما[7] أعقبت به كل آية من هذه.

والجواب عن ذلك من وجهين[8]:

---

(١) ج: المؤكد، هـ، م: المذكر.

(٢) الآية/٦٨.

(٣) زاد من الآية في ك: ﴿إِنْ هذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

(٤) ج: ذِكْر.

(٥) ساقط من م، ك، ب.

(٦) محذوفة من ك.

(٧) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ما أعقبت به كل...).

(٨) ج، هـ، ك، ب: بوجهين.

أحدهما: أن كل توبيخ أعقب به في الآيات الثلاث مناسب للتذكير الواقع قبله، المرتب[1] الجواب بالتوبيخ. أما الأولى فإنه لما قيل فيها: ﴿ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. والمراد الأرض، ومن فيها، وما فيها، وما اشتملت عليه من بحارها وأنهارها وأشجارها وجبال إرسائها ومختلف عوالمها وما انطوت عليه واشتملت. هذا هو[2] المراد بقوله: ﴿ لِمَنِ الْأَرْضُ[3] وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ والمراد الأرض فوقع[4] الاجتزاء[5] بمن فيها[6] عما فيها إيجازاً لحصول ذلك من قوة الكلام، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾[8]. وليس المراد في هاتين الآيتين تخصيص ما تقع عليه ﴿ مَنْ ﴾ فكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾، إذ مقصود الآية الاعتبار والاستدلال بمصنوعاته سبحانه على انفراده بالخلق والأمر. قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[9]، فكأن قد قيل لهم: إذا أقررتم بأن ذلك ملك الله تعالى وخلقه، فهلاَّ اعتبرتم بما في الأرض من الآيات[10]، واستدللتم بذلك على نفي الشريك والند للمنفرد بملك الأرض والسموات إذ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا [١٧٥/ و] آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[11]، فلا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون. وهلاَّ استدللتم بتكرر إنبات النبات، وعودة إخراج الثمرات على إحياء الأموات: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ

---

(١) ك: المترتب.
(٢) في ك فقط.
(٣) ما بعدها إلى قوله: والمراد الأرض، محذوف من ب.
(٤) ب: فرفع.
(٥) ج، ب: الاحتراز.
(٦) سقط قوله: بمن فيها، من ج، ب.
(٧) يونس/٦٦.
(٨) مريم/٤٠.
(٩) الذاريات/٢٠.
(١٠) ك: آيات.
(١١) الأنبياء/٢٢، وما بعدها اقتباس من الآية/٣ ـ من سورة الأعراف.

تَذَكَّرُونَ ﴾[1]. ثم قال[2] تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3] وذلك الخلق أعظم من خلقكم[4] وخلق الأرض الحاملة لكم[5]. وأخبر بقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، [كأنه قيل له][6]: فقل لهم: «إذا أقررتم أنه مالك ذلك على عظيم أمره أفلا اتقيتموه، إذ أنتم في قبضته بإقراركم». ثم لما قال: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[7]، فبلغوا بالإقرار بذلك مع ما قُرِّروا عليه قبله مبلغ غاية توجب[8] الإيمان للمعتبر بما[9] قيل لهم وذكروا به مِنْ عِلْم هذا، قيل لهم: مَن علم[10] هذا ثم لم يُطِع من له[11] ذلك ويفرده[12] تعالى بالعبادة فهو مسحور، ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[13].

والجواب الثاني، وهو أجرى مع ظاهر[14] الآية من غير تكلُّف[15] تقدير، وليس بخلاف الأولى إلاّ في عبارة وهو أن تقول: إن تذكيرهم ورد أولاً بذكر ما كانوا يقرون به، ولا يتوقفون فيه، وهو ملكه سبحانه الأرض ومن فيها، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[16]، والخالق مالك لما

---

(1) الأعراف/٥٧.
(2) لك: لما قال.
(3) المؤمنون/٨٦.
(4) في لك فقط وبقية النسخ: خلقهم.
(5) زاد هنا في ج، هـ، م، ب: من خلقكم.
(6) بعد الآية في لك: فقل لهم، وبقية النسخ: قيل لهم، ولعل ما أثبتناه الصواب.
(7) المؤمنون/٨٨.
(8) ب: يوجب.
(9) ج، ب: ما.
(10) لك: عَلِم عِلْم.
(11) ب: له من ذلك.
(12) ج، لك: أو يفْرِدْهُ.
(13) بعدها في لك: أي فكيف تسحرون.
(14) لك: تظاهر.
(15) ج، ب: تكليف.
(16) لقمان/٢٥، الزمر/٣٨.

جملة فكان قد قيل لهم: إذا علمتم انفراده سبحانه بذلك فهلاً أفردتموه بالعبادة واستدللتم بالبدأة على العودة، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. ثم ذُكِّروا بربوبيته سبحانه وملكه السموات السبع والعرش العظيم فاعترفوا إلى اعترافهم بما تقدم، وإقرارهم بملكه لما ذكر وقدرته وقهره ولو سبقت لهم[1] سعادة لكان تذكرهم لذلك يُؤثِّر[2] خوفهم من عذابه. فلما لم يقع ذلك منهم قيل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. ثم ذكروا بعظيم سلطانه تعالى، وعلو قهره لجميع الموجودات وكونها في قبضته، وأنه لا حكم لأحد عليه تعالى فقال: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ثم ذكر اعترافهم بهذا في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلما تَمَّ تقريرهم على جميع ما تقدم مما ذكروا به، واعترافهم بكل ذلك ولم يعقبهم إقرارهم ولا اعترافهم الإيمان والانقياد، كانوا كمن فقد عقله، أو سُحِر فاختَلَّ نظره وعقله، فقيل لَهُمْ[3]: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ما بالكم كيف تُسْحَرونَ، ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ [١٧٥/ ظ] فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4]. فقد وضح تناسب هذا كله وتبين التحامه، والله أعلم[5].

---

(١) ب: له، ج، هـ، م: لكم.
(٢) ج: يورث.
(٣) ج، م، هـ: له.
(٤) المؤمنون/٩٢.
(٥) في م فقط.

سورة النُّور

٢٦٩ - الآية الأولى منها[1] قوله تعالى:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ[2] وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

وبعد ذلك[3] (٢٠): **﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.**

يسأل عن وجه الاختلاف في المعطوف[4] في الآيتين من الصفات العلّية إخباراً عن[5] قوله في الأولى: **﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾**[6] وفي الثانية: **﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**، وهل كان يناسب عكس الواقع.

والجواب أن الآية الأولى لما انْبَنَت على آية التَّلاعُن، وفيها من السَّتْر على المسلمين ممن آمْتُحِن بتلك البلية، ومن[7] إخفاء المحكمة في حكم التَّلاعُن[8] وشرعيته[9] على ما استقر عليه أمره مما يعجز عن فهمه كل معتبر، أعقبت[10]

---

(١) ساقط من ك، ب.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «وبعد ذلك» ساقط من ج، هـ، ب، وفيها: ختام الثانية، ختام للأولى.

(٣) م: بعدها.

(٤) ك: المعطوفات.

(٥) ج، هـ: من.

(٦) كرر هنا في هـ، م، ك: «وبعد ذلك» - إلى آخر الآية.

(٧) ج، هـ: من.

(٨) التلاعن والملاعنة فرع على القذف، يفيد تخصيص الحكم الشرعي السابق في الآيات السابقة في حد القذف بين الزوجين، وهو الجلد. فاللعان نسخ لحكم القذف الذي كان معمولاً به قبل نزول هذه الآية. ولهذا حين نزلت قال النبي عليه السلام لهلال بن أمية - وكان اتهم زوجته بالكبيرة -: ائتني بصاحبتك؛ فقد أنزل الله فيك وفيها قرآناً، ولَاعَنَ بينهما. وفي الملاعنة يحلف كل من الزوجين أربع أيمان بالله إنّه صادق ويستنزل اللعنة في اليمين الخامسة على الكاذب منهما. وقد أقر الشافعي وأبو حنيفة التفريق بين المتلاعنين طلاقاً بائناً، أي ثلاثاً. أنظر أحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ١٨٢ - ١٩٥، ولابن العربي ٣/ ١٣٢٨ - ١٣٣٥، وللجصاص ٣/ ٢٨٥ - ٣٠٨.

(٩) في م فقط، وبقية النسخ: مشروعيته.

(١٠) في ك فقط، وبقية النسخ: أعقب.

بالصفتين المناسبتين لما ذكرنا، مما هو[1] غير خاف، فقيل: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾. ولما تقدم قبل[2] الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[3] وجرى بظاهر هذه الآية من الوعيد ما يشتد خوف كل مؤمن منه أعقب ذلك بصفتين مُبْقِيَتَيْن رجاء المؤمنين، ومشيرتين بأن هذا العذاب ـ وإن نفذ الوعيد به ـ ليس الخلود ما لم يكن من فاعل ذلك كفر[4] باعتقاد حِلِّيَّة تلك المعصية، أو التكذيب بالوعيد، أو التلبس بما هو كفر، وأنّه إذا لم يكن شيء من هذا فلا قاطع عن[5] التوبة فقال: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾. فقد وضح أن ورود كل من هذه الصفات المعطوفة على ما يجب ويناسب وأن العكس لا يناسب، والله أعلم.

ومما يسأل عنه هنا جواب «لولا» كيف تقديره، ولم حذف، وإن لم يكن هذا من مقصود هذا الكتاب.

والجواب عنه أن التقدير في الآية الأولى لَفَضَحَ فاعل ذلك أو ما يرجع الى هذا. وجوابها في الثانية تعجيل[6] عذاب فاعل ذلك من حيث إشاعة الفاحشة في المؤمنين أو لإهلاكهم[7]. وأما مسوغ الحذف فطول الكلام بالمعطوف، والطُّولُ داعٍ للحذف، فحذف لذلك ولدلالة ما تقدم عليه. وذلك كثير في كلامهم[8].

---

(١) ساقط من ج، ك، م.

(٢) بعده في ج، هـ، ب: في.

(٣) النور/ ١٩.

(٤) ج، هـ: الكفر.

(٥) ج: من.

(٦) ج، هـ، ك، ب: لعجل.

(٧) قال ابن الانباري: «لم يذكر جواب لولا، إيجازاً واختصاراً لدلالة الكلام عليه، وتقديره: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعقوبة، أو فضحكم بما ترتكبون من الفاحشة». بيان غريب إعراب القرآن ٢/ ١٩٤، وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٥٤.

(٨) زاد بعدها من ج: «والله سبحانه أعلم بما أراده».

٢٧٠ ـ الآية الثانية من سورة النور قوله تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٨).

ثم قال (٥٩): ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

للسائل أن يقول[١]: لم قال في الأولى: ﴿ ٱلآيَاتِ ﴾، وفي الثانية: ﴿ آيَاتِهِ ﴾.

والجواب [١٧٦/ و] أنه لما تقارب اللفظ الواحد، عدل عن تكراره بلفظ واحد فيما تقارب، على عادة العرب في استثقالها تكرر اللفظ الواحد بعينه في بيت واحد من الشعر، أو ما تقارب من الكلام ما لم يحمل على ذلك حامل من المعنى فجيء بالآيات في الأولى مُعرَّفاً بالألف واللام للعهد، فيما تقدم من المعتبرات الواضحة الدلالة وفي الآية الثانية مضافاً إلى الضمير المتصل لتحصل نسبة الآيات لمن هي له تعالى: وكانت الثانية هي المضافة، لأنها مع ما تعطيه من النسبة مُبيِّنة للأولى بياناً تأكيدياً، إذ من المعلوم أنها آياته سبحانه. فجاء ذلك على ما يجب ـ ومن الوارد على هذا الرَّعْي ـ والله أعلم[٢] ـ قوله في سورة البقرة: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣]. ثم قال تعالى[٤] بعد آي: ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٥]. فهذا مثل الوارد في سورة البقرة، والله أعلم.

---

(١) ب: يقال، لم قال.

(٢) قوله: «والله أعلم» في (ك) فقط.

(٣) الآية/ ٢١٩.

(٤) ساقطة من ج، هـ.

(٥) البقرة/ ٢٢١.

سورة الفُرْقَان

٢٧١ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (٣).

وفي سورة يس (٧٤): ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن ورود اسمه سبحانه مضمراً في قوله سبحانه: ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ في سورة الفرقان، ومُظْهَراً في قوله: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من سورة «يس»، ما وجه ذلك؟

والجواب أن آية الفرقان تقدم قبلها اسمه سبحانه مكْنِياً عنه ـ جل وتعالى ـ في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا. ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[1]. فورد اسمه سبحانه مكنياً عنه ثماني[2] مرات.

أولها الموصول وهو ﴿ ٱلَّذِي ﴾ من قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي ﴾، وفاعل نَزَّل المضمر، والضمير في عبده، والموصول الثاني، والضمير المجرور باللام في «له»[3]، والضمير الفاعل في: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ ﴾، والضمير في «له» المجرور، والضمير الفاعل في «خلَق». فلما تكرر اسمه سبحانه مكنياً عنه ثماني مرات جرى[4] بعد ذلك في قوله: ﴿ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ﴾، مضمراً على حكم ما تقدم، ولو ورد مظهراً لم يكن ليناسب.

وأما الوارد في سورة يس فتقدم قبل الآية قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي

---

(١) الفرقان/ ١، ٢.

(٢) ك: ثمان.

(٣) سقط من ك، ب: في له.

(٤) ج: جرّ.

آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1]. فلم يكن ورود اسم الله تعالى هنا مضمراً ليناسبه[2] لو قيل: «واتخذوا من دونه» لما تقدم قبله من ذكر الشيطان، وتحذيرهم من عبادته فجاء كل من الآيتين على ما يجب ويناسب[3] [٧٦٠/ ظ].

سورة الشُّعَرَاء

٢٧٢ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى[4]:

﴿ قَالُواْ لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ (٥٠).

وفي سورة الزخرف (١٣، ١٤): ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن تخصيص[5] خبر إنّ هنا بزيادة لام التأكيد [في الثانية] وحذفها من الأولى.

والجواب أنه لما كان قول السحرة: ﴿ لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾، جواباً لفرعون لما توعدهم بقوله: ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[6] فجاوبوه[7] بقولهم ﴿ لاَ ضَيْرَ ﴾، أي لا ضرر، ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾، أي إذا فعلت بنا ذلك، فإنا منقلبون الى ربنا، ومجازون على صبرنا.

---

(١) الآية/ ٦٠.

(٢) ك: ليناسب.

(٣) زاد في ج: والله سبحانه أعلم بما أراد. ولم يذكر ابن الزبير الآية الثانية من الفرقان لورودها في سورة يونس، وذكرها في الدرة/ ١٦٤.

(٤) لم يذكر ابن الزبير أولى متشابهات الشعراء في «الدُّرَّة»، لورودها في سورة الأنبياء. أنظر: الدرة/ ٢٦٥.

(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن تخصيص...).

(٦) الشعراء/ ٤٩.

(٧) ما بعدها إلى قوله: «على صبرنا فجاوبوه»، ساقط من ج.

فجاوبوه معزّين أنفسهم، ومستأنسين بما[1] ينتظرون من الثواب وعظيم الجزاء بسبقهم إلى الإيمان، وصبرهم إنْ فعل ذلك بهم[2] ربهم على [سبيل][3] الامتحان ـ فليس موضع قسم ولا تأكيد بما هو إخبار عن رجائهم وما ينتظرونه[4] ثواباً على إيمانهم، فلا مدخل للام التأكيد هنا.

وأما آية الزخرف فمبنية على ما[5] تقدمها من الإخبار عن مشركي العرب في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ـ الآيات[6]. والمراد بذلك إقامة الحجة عليهم في إنكار البعث؛ فطابق ذلك وناسبه تأكيد قول المؤمنين المقول لهم: ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ فأكّد هذا وضَمّن معنى القسم، وأحرز ذلك تقديم ما النافية في قولهم: ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾، فوَطَّأتْ «ما» في هذه الجملة، من معنى القسم وأشعَرتْ به، ثم جيء بالجملة مؤكدة بحرفي التأكيد، وهما: إنّ واللام، فدخلت إن على الاسم في الخبر، لما تقدم منهم إنكار البعث [و] جاوبهم[7] المؤمنون، فكأنهم قالوا: والله إنه لحق، فسوّغ دخول اللام ما قصد[8] من هذا الغرض وليس ذلك في آية الشعراء. فورد كل على ما يناسب[9] والله أعلم.

(١) ج: لما.
(٢) ساقط من ج، هـ.
(٣) جميع النسخ: ذلك.
(٤) ج: وما ينظرونه.
(٥) ساقطة من ج.
(٦) الآيات/ ٩ ـ ١٢.
(٧) ج: جوابهم.
(٨) ما والفعل ساقطان من ج، هـ، م.
(٩) ج: يناسبه.

٢٧٣ ـ الآية الثانية من سورة الشعراء قوله تعالى:

﴿ واتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ إبْراهِيمَ. إذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ[١]. قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴾ (٦٩ ـ ٧١).

وفي سورة «والصّافّات» (٨٣ ـ ٨٧): ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإبْرٰهِيمْ[٢]. إذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. إذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَئِفْكاً ءالِهَةً دُونَ ٱللهِ تُرِيدُونَ. فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

يسأل عن زيادة اسم الاشارة في قوله: ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾، وسقوطها [١٧٧/ ل] من سورة الشعراء[٣].

والجواب عن ذلك أن قصص الرسل عليهم السلام مع أممهم لم تأت في القرآن العظيم على منهج واحد في الدعاء، والجواب والمحاورة والمراجعة ولا يمكن ذلك لاختلاف طباع الأمم، وأغراضهم واختلاف الحالات، ولكل مقام مقال. فمرة ترد القصة مقتصرة على الدعاء وإبداء الحجة والتوبيخ من غير ذكر شيء من جواب المَدْعُوِّين سوى الإخبار بتكذيبهم، ومرة يورد من مقالات الأمم لرسلهم اليسير، ومرة بِمَدٍّ أطناب الكلام في المحاورات فيما بين الرسل والأمم.

فمن الضرب الأول قول إبراهيم عليه السلام في سورة «والصافات»: ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ إلى آخر القصة، ولم يرد فيها كلمة واحدة من مراجعتهم له سوى الوارد من قولهم: ﴿ ٱبْنُواْ لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ ﴾[٤]. وليس هذا بمراجعة له ولا جواباً عن كلامه عليه السلام.

ومن الضرب الثاني آية الشعراء. فإنه ذكر فيها جوابهم بقوله تعالى مخبراً

---

(١) ما بعدها إلى آخر الاية محذوف من ب.

(٢) ما بعدها إلى قوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾، محذوف من ب وفي موضعه: «الاية» ـ (هكذا).

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما فائدة اسم الإشارة في قوله ﴿ماذا تعبدون﴾ في الصافات وسقوطها من الشعراء).

(٤) الاية/ ٩٧.

عنهم: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾[1]. ثم لما سألهم عليه السلام تقريعاً لهم[2] وتوبيخاً فقال: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[3]. جاوبوا بقولهم: ﴿ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[4].

ومن الضرب الثالث قصة شعيب عليه السلام في سورة هود[5] وأشباهها.

وتأمل القصص الواردة في القرآن تجدها على ما ذكرته. فلما كان في آية «والصافات» دعاء ابراهيم عليه السلام لهم مبيناً حالهم الشنيع وسيء مرتكبهم ممتد الأطناب فيما يقطع بهم من قوله: ﴿ أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾، وقوله: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾[6]، وَعَيُّوا بالجواب، ولم يحك عنهم غير قولهم: ﴿ ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ ناسب ذلك زيادة اسم الإشارة.

ولما كانت آية الشعراء واردة على غير هذا المنهج ناسبها سقوط اسم الإشارة، فقيل: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، ولم يقل «ماذا» كما في آية: «والصافات». ومن المفهوم عن العرب أن المُسْتفهِم إذا قصد التقريع والتوبيخ أطال كلامه إدْلاءً بحجته[7]، وتعنيفاً لمن يخاطبه[8]. والمقهور[9] أبداً محصور. وقوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، جملة فعلية، تقدم فيها المفعول، وهو «ما» الاستفهامية. فهي[10] في موضع نصب بالفعل بعدها. وقوله في الآية الأخرى ﴿ مَاذَا ﴾ استفهام أيضاً رُكِّبَتْ فيه «ما» مع اسم الإشارة وجُعِلا إسماً واحداً في موضع نصب بالفعل بعدها [١٧٧/ ظ] ويمكن تركها على بابها من الاستفهام غير مركبة وتكون «ذا» إسماً موصولاً في موضع رفع،

---

(١) الآية/ ٧١.

(٢) في ك فقط.

(٣، ٤) الآيات/ ٧٢ - ٧٤.

(٥) الآيات/ ٨٤ - ٩٥.

(٦) الصافات/ ٩٥.

(٧) ج: لحجته.

(٨) ج، هـ: خاطبه، ك: يخالفه.

(٩) ج، ب: المفهوم.

(١٠) ك: فهو.

خبراً للمبتدأ الذي هو «ما» والجملة من قوله: ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾ صلة، والجملة من المبتدأ والخبر محكية بعد القول، كأنه قال: أي شيء الذي تعبدونه؟ وانحذف[1] الضمير الرابط لأنه ضمير نصب متصل[2]، وليس في الصلة ضمير غيره، فحسن حذفه. والله أعلم.

٢٧٤ ـ الآية الثالثة من سورة الشعراء قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ[3]. وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (٧٨ ـ ٨١).

يسأل عن زيادة الضمير في قوله: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي ﴾، وفي قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾. ولِمَ لَمْ تدخل في قوله: ﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾.

والجواب أن أمر الإماتة والإحياء لا مَطْمَعَ فيه لأحد بخلاف أمر الإطعام والسَّقْيِ إذ[4] قد يتوهم من ضعف نظره أن ذلك مما يصح فيه النسبة حقيقية لغيره تعالى؛ إذ يقال: «أطعمني فلان وسقاني»، ويسبق إلى الوَهْم والاستقلال، وإنما ذلك على المجاز. ولا يقال: أمات[5] فلان فلاناً، أو أحياه، إلاّ ويسبق إلى الوهم ما الأمر عليه من المجاز. فلما كان [أمْرُ[6]] الإماتة والإحياء ونسبة ذلك إليه تعالى مما لا يخفى على أحد لم يحتج إلى الضمير واحتيج إليه فيما قبل، لرفع الإيهام إذ مفهومه أنه هو لا غيره يطعمني ويسقين فاحتيج إلى «هو» هنا ليحرز ما ذكرنا ولم يحتج إليه في قوله: ﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾، لأنه لا يتوهم أن غيره يفعل

---

(١) ج: والحذف.
(٢) ك: منفصل.
(٣) ما بعدها إلى آخر الآيات محذوف من ب.
(٤) ك: الذي.
(٥) ج: مات.
(٦) جميع النسخ: الأمر.

ذلك. فجاء كل على ما يجب ويناسب. وسنزيد هذا بياناً في سورة النجم إن شاء الله، والله أعلم.

٢٧٥ ـ الآية الرابعة من سورة الشعراء قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام:

﴿ مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٥٤).

وفي قصة شعيب عليه السلام (١٨٦): ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾.

يُسأل عن زيادة الواو العاطفة هنا، ولَمْ تَثْبُتْ في قصة صالح عليه السلام.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن ذلك لرعي المناسبة. بيان ذلك ما ثبت قبل الآية الثانية من قوله تعالى حكاية لما عدَّ شعيب في [أمْر[1]] قومه، وذكر من مرتكباتهم[2] في قوله: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ. وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ﴾[3]. فهذه خمس معطوفات من [١٧٨/و] مأمور به، ومنهي عنه، طابقها العطف في جوابهم من قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[4]، فهذه مناسبة واضحة. ولما تقدم في قصة صالح عليه السلام قوله: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هَاهُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ. وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ. فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ. وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾[5]. فلم يقع في هذه القصة من المعطوفات أمراً ونهياً سوى قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾، فناسب

---

(١) جميع النسخ: أمره.

(٢) ك: وذكره مرتكباتهم.

(٣) الشعراء/ ١٨١ ـ ١٨٤.

(٤) الشعراء/ ١٨٥، ١٨٦.

(٥) الشعراء/ ١٤٦ ـ ١٥٢.

ذلك ورود جوابهم في دعوى المماثلة في البشرية بغير حرف النسق[1]، فقالوا: ﴿ مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾، بخلاف الآية الثانية. وجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يناسب عكس الوارد، والله أعلم.

سورة النَّمْل

٢٧٦ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ. يَـٰمُوسَىٰ لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ. إلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠، ١١).

وفي سورة القصص (٣١): ﴿ أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلأَمِنِينَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن القول لموسى عليه السلام عقب[2] قوله عنده: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ لِمَا رأى من فعل الله سبحانه في عصاه، حين ألقاها من اهتزازها كأنها جان، فنودي تأنيساً وإعلاماً بما الأمر عليه. ولا شك أن ذلك في[3] مقام واحد، وحال ابتداء أمره ورسالته، فالمعنى واحد، فما وجه اختلاف العبارة؟

فأقول جواباً لهذا السؤال ـ وأسأل الله توفيقه وعصمته ـ أنه قد تقدم في سورة طه أن الوارد من هذه القصص، إنما أُخْبِرْنَا بها على المعنى، وإنما خُوطِبْنَا باللسان العربي، وخطاب موسى قومه باللسان العبراني: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ

---

(١) ك: السين.

(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن القول لموسى عليه السلام..).

(٣) ساقطة من ج، هـ.

قَوْمِهِ ﴾[1]، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت، وعن شبه كلام البشر، وبَسْطُ[2] هذا في مَظَانِّهِ.

وإذا تقرر أنا إنما خوطبنا بكلامنا، وأن الاختلاف والتفاوت فيما بين الألسنة معلوم، والمعاني لا تختلف. فالمراد من الوارد في السورتين[3] أن موسى عليه السلام أُمِنَ من خوفه الذي لحقه وأعلم أنه من الآمنين، وأن[4] الآمنين لديه سبحانه هم المرسلون، ومن اهتدى بهداهم ممن سبقت له الحسنى، ومن لحق بهم ممن ظلم ثم بدل حُسْناً بعد سوء، وسبقت له منا الحسنى. فهؤلاء هم الآمنون لديه سبحانه بما[5] سبق لهم، ولا يجب عليه سبحانه إلا[6] ما [178/ظ] أوجبه على نفسه. فهذا هو الحاصل من القول لموسى عليه السلام في السورتين من غير اختلاف في شيء من معناه وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾، وبقوله: ﴿ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ - الآية. والاستثناء منقطع وليس المراد إلا من ظلم من الرسل، ويكون من الاستثناء المتصل، كما قاله بعض المحرّفين من ذوي الضلال؛ فإن الرسل عليهم السلام معصومون من الكفر مطلقاً باتفاق من أهل القبلة إلا ما قالت[7] الشُّوْذِيَّةُ[8]، ومن قال

---

(1) ابراهيم/ 4.

(2) ب: وبسيط.

(3) ما بعدها إلى قوله: (سبحانه هم) ساقط من ك.

(4) في ك فقط، وبقية النسخ: فإنّ.

(5) ج: لما.

(6) بعدها في ك: على.

(7) في م فقط وبقية النسخ: قالته.

(8) هكذا في ك وهو الصواب. وبقية النسخ «الشرذية» وهو تحريف. والشوذية أتباع أبي عبد الله الشُّوْذِيّ الإشبيلي، كما جاء في كتاب: «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» 1/ 44. وممن ألف في التعريف بالشوذية من معاصري ابن الزبير أستاذه ابن رشيد في كتابه: «اماطة الأذية الناشئة من سباطة الشوذية». ولابن الزبير في الرد عليهم كتاب «ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل» الداودي 1/ 27، كشف الظنون 1/ 841.

بقولهم من المارقين ممن لا عبرة به، والظلم هنا هو الكفر فما دونه. وقد عصم الله منه الرسل، ومن شاء عصمته من ذلك، ممن سواهم. ثم إن من كان ظالماً لنفسه بالكفر وبما[1] دون الكفر، ثم بدل حسناً بعد سوء، فإنه رَاجٍ ما وعد سبحانه. ومن مات على[2] ظلمه ولم يكن كُفْراً، فهو في المشيئة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[3]. فما[4] أفهمت آية النمل من هذا فهو المراد بآية القصص من قوله: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾، ولم يقع في آية النمل ذكر غير المرسلين، ممن لم يظلم نفسه إيجازاً، لأنه من المعلوم أنه إذا كان الظالم لنفسه، المُبَدِّل حسناً بعد سوء على ما ذكرنا، فحال[5] من لم يظلم نفسه أولى. فسمع موسى عليه السلام من كلام ربه ما حصل له [به] المعنى المقصود، ثم اختلف التعبير عندنا عن ذلك، والمعنى واحد، فلا اختلاف.

فإن قلت: فما وجه اختصاص آية النمل، بما ورد فيها، وآية القصص بما ورد فيها. قلت: هذا[6] سؤال لازم على شرطنا. والجواب عنه[7] أنَّ سورة النمل لما ورد[8] فيها قصة بَلْقِيسَ وقومها وعبادتهم الشمس حسبما ورد في السورة في قوله: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ـ الآيات[9]. ثم هداها الله إليه بسليمان عليه السلام حتى قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ

(١) ك، ب: أو ـ دون.
(٢) ك، ب: عن.
(٣) النساء/ ٤٨.
(٤) ك: مما.
(٥) ج: محال، ب: فمحال.
(٦) ساقط من ك.
(٧) ج: «إن شاء الله في سورة النمل»، م: «إن شاء الله تعالى أن سورة النمل».
(٨) ج: أورد.
(٩) هذا اللفظ في ك فقط والآيات هي/ ٢٠ ـ ٤٤.

سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ ٱلْعَـالَمِينَ ﴾[1]. ناسب هذا قولـه تعالـى في تأنيس موسـى عليه السلام، ﴿ إلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوْءٍ ﴾.

ولما ورد في آخر[2] سورة القصص: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا ﴾[3]. وهي آية عامة في كل متصف بالإيمان متمسك بما في الآية وقد أشارت الى أَمْنِهِمْ، لأنهم ولا بد ممن سبقـت لهـم[4] الحسنى. وقد نَصَّ الكتاب على أنهم آمنوا لديه سبحانه حين قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا [١٧٩/و] ٱلْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَـا مُبْعَـدُونَ ﴾[5]، ثم قال: ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلأَكْبَرُ ﴾[6]، فهم آمنون. فناسب قولـه سبحانـه ﴿ تِلْكَ ٱلـدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا ﴾، ما خُصَّتْ به هذه السورة[7] من قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلآمِنِينَ ﴾.

وجواب ثانٍ، وهو أن الآمنين، لما تقدم بيان أنهم المرسلون، ﴿ وَمَن ظَلَمَ ﴾ من غيرهم ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوْءٍ ﴾، جُعِلَ في طيِّ هذا الكلام، وضمنه أنَّ مَن لم يظلم نفسه من غير المرسلين فلا توقف أنـه من الآمنين. فَلَمَّا تحصـل بيان الآمنين وقت الإحالة عليه في القصص، ولم يحتج إلى تفصيل أحوالهم اكتفاء بما تقـدم، فقيل: ﴿ إِنَّـكَ مِنَ ٱلآمِنِينَ ﴾. وهـذا الوجـه الثاني كاف في حصـــول التناسب، والله أعلم.

---

(١) النمل/ ٤٤.

(٢) ج، هـ: آية.

(٣) الآية/ ٨٣.

(٤) م، ب: له.

(٥، ٦) الأنبياء/ ١٠١، ١٠٣.

(٧) ج، ب: الآية.

٢٧٧ ـ الآية الثانية من سورة النمل قوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٥٩ ـ ٦٤).

للسائل أن يسأل[١] عن وجه الاختلاف فيما[٢] أعقبت[٣] به كل آية منها، وإبداء التناسب في ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى لما نُبِّهُوا فيها وذُكِّرُوا بما تشهد[٤] العقول بَدِيهاً، وتعترف بدلالته[٥]، إذ الإشْكَالُ[٦] فيه من أن السموات والأرض تشهد بإحكام صنعتها، واتقان خلقها وما أودع سبحانه[٧] فيها[٨] من العجائب والآيات المشاهدة للعيان مع انسحاب التغيّر[٩] على جميعها، وعلى ما فيها بأن لها موجداً أوجدها وأحكم صنعتها واتقانها، وأنه لا يمكن أَنْ أوجدت أنفسها، ولا أوجدها غيرها مما يماثلها في شواهد الافتقار وانسحاب التغير. وذلك مما لا ينفك عند سائر الموجودات فيشهد العقل بأن لها موجداً من غير جنسها متعالياً عن شبهها[١٠]، إذ لو أشبهها لافتقر الى موجِد آخر. فلبيان الأمر ما أعقبت هذه الآية الأولى بقوله: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[١١]، أي أن الأمر غير خاف، ولكنهم

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).
(٢) ج، هـ، ب، ك: بما.
(٣) ك: أعقب.
(٤) م: يُشهد.
(٥) ج، هـ: به الألسنة.
(٦) م: لا إشكال.
(٧) ساقطة من ب.
(٨) ساقط من ج، هـ، م.
(٩) ك: التغيير.
(١٠) ج، هـ، م: شبهتها.
(١١) النمل/ ٦٠.

يعدلون عنه. وكذا قيل في دعائهم إلى الإيمان في أول سورة البقرة حين ذُكِّروا بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] فهذا كقوله: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ من غير فرق لما ذكروا في الموضعين من خلق السموات والأرض وإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات، وإنبات الحدائق [١٧٩/ظ] العجيبة وكانوا يعترفون بخلقه سبحانه جميع ذلك: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3]. فاعترافهم بهذا ثم يجعلون لله تعالى النِّدَّ والشريك عدول عن واضح بعد قيام الحجة عليه، فقيل هنا: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ ـ الآية[4] فإن تمهيد الأرض للسكنى وتفجير الأنهار خلالها، وحجز ما بين العذب والمالح من مياهها ليس مما ظهور الاعتبار به وبيانه في الجلاء والوضوح كخلق السموات والأرض وإنزال الماء الى ما في الآية. فلما كان التذكر بما في هذه الآية أخفى أعقب هذا بقوله: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]، ثم تدرج الاعتبار إلى ما هو أخفى فقيل: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ ﴾[6]، وخفاء الاعتبار بهذا واضح، ولا يحصل عليه إلا من أمعن النظر فيما تقدم قبله فأعقب هذا لخفائه، بقوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[7]. ثم أعقب بما لا يمكن أن يتعاطاه أحد مع وضوح الأمر عند تدبره، وهو قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ـ الآية[8]، وذلك مما لا يتصور فيه من العاقل

---

(١) الايتان/ ٢١، ٢٢.

(٢، ٣) العنكبوت/ ٦١، ٦٣.

(٤، ٥) النمل/ ٦١.

(٦، ٧) الاية/ ٦٢.

(٨) الآية/ ٦٣.

إلاّ التسليم، فأعقب بحسب ذلك والتفات ما قبله بقوله: ﴿ تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]. ثم ختم ما قدم من هذه المعتبرات الجليلة بما لا يحصل الاعتبار به إلاّ بعد إحكام النظر فيما قبله من الاعتراف بما يجب لله سبحانه من الاتصاف بالعلم والقدرة، إذ بهما وبثبوتهما تفهم وتثبت العودة والبدأة، إلى ما يجب له سبحانه من الصفات العُلى، التي يثمر العلم بثبوتها له سبحانه النظر التام الصحيح والاعتبار بما تقدم في الآيات قبل هذه. فلما كَمُلَ ذكر ما به[2] يحصل الاعتراف والإيمان. ويستوضح منه أنه سبحانه المنفرد بالخلق والأمر، المالك للدارين، أعقب بطلب المعاند بالبرهان على ما يدعيه، فقيل: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3]، أي إن صدقتم أن لله شريكاً في ملكه تعالى الله عما يشركون. فقد وضح أن كل معقب به آية من هذه الآيات، المُذَكِّرِ بها من استبصر[4]، القاطعة[5] بكل من أشرك وكفر، جارٍ على أوضح مناسبة.

سورة القَصَص

٢٧٨ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله[6] تعالى:

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (٢٠).

وفي[7] سورة يس (٢٠): ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ [١٨٠/و] رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

---

(١) الآية/ ٦٣.

(٢) ما بعدها إلى الاعتراف مكانه بياض في ك.

(٣) الآية/ ٦٤.

(٤) ج، ب: استبصروا.

(٥) ب: العاطفة.

(٦) هي وما بعدها محذوفتان من ب.

(٧) إلى: يس ساقط من ب.

للسائل أن يسأل عن تأخير الفاعل[1]، عن المجرور في سورة يس، ولم يأت متقدماً يلي الفعل، كما ورد في سورة القصص.

والجواب عن ذلك بعد تسليم أن وروده في سورة القصص متقدماً فقيل: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾، وارد على ما يجب، لأن مرتبة الفاعل التَّقَدُّم، ولا يتأخر عن ولايته الفعل إلاّ لعارض من جهة اللفظ أو من جهة المعنى، [أو اتِّساعاً[2]]، وذلك غير الأَوْلَى، أعني إذا كان تأخره[3] لمجرد الاتساع[4] من غير حامل، وإذا تقرر هذا فإنما السؤال عن وجه تأخره في سورة يس.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنّ تقديم المجرور الذي هو قوله: ﴿ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ مشير إلى إحراز معنى جليل مُطْلِعٌ على حكم السوابق من إيمان من بَعُدَ مسافة عن داعيه إلى الهداية فلم يضره[5] بُعْدُ الدار وكفر من باشر الرسل وشافههم فلم ينتفع بقرب الدار. وذلك بحسب ما قدر لكل من المكلفين، وسبق له. وحاصل الإخبار من هذه الآيات مثال لحال كفار قريش من أهل مكة، وحال الأنصار[6] من أهل المدينة حين جاء هؤلاء وآمنوا به صلى الله عليه وسلم، مع بعد دارهم وعاند عتاة قريش فكفروا[7] مع الالتحام في النسب واتحاد الدار. ويوضح لهذا أن السورة مكية وإنما افتتحت بذكر قريش، وهم المَعْنِيُّون بقوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْماً مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ ـ إلى ما بعد من الآيات والإخبار بأن ذلك لا يجدي عليهم في قوله: ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[8]. فهذا إخبار بحال كفار قريش، ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ ـ

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تأخير الفاعل..).

(٢) ك: أو اتباعاً، وبقية النسخ: واتساعاً.

(٣) ما بعدها إلى قوله «وجه تأخره» ساقط من ج.

(٤) ما بعدها إلى قوله «حامل» ساقط من ك.

(٥) ساقط من ك.

(٦) ك: وحاصل الافصا.

(٧) ساقط من ك.

(٨) يس/٦ ـ ١٠.

الآية[1]، أي من انقاد وأصغى إليك وإن بعدت داره. وهذه حال الأنصار[2]. ثم قال: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً ﴾[3]، أي للفريقين ممن كفر مع قرب داره، ومن آمن مع بعد داره. وذكر تعالى: ﴿ أَصْحَابُ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[4] وحالهم مع من أُرْسِلَ إليهم، وأنهم أُرْسِلَ إليهم اثنان ثم عَزَّزُوا بثالث فجاوبهم أصحاب القرية المخاطبون مجاوبة الرد، والتكذيب فقالوا: ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[5]، كما قالت قريش: ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلأَسْوَاقِ ﴾[6]. ثم ذكر تعالى قول الرسل لأصحاب القرية: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[7]، وقول أصحاب القرية: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾[8]. فلما ذكر سبحانه هذه المحاورة والمراجعة قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾، أي ممن لم يحضر معهم، ولاشَاهَد ما طال من مراجعتهم. فجاء بحسب ما سبق لهم من السعادة يقول: ﴿ يَا قَوْمِ [١٨٠/ظ] ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى ما أخبر تعالى من قوله. فمجيئه من أقصى المدينة، مثال لمن بعد فلم يضره، وذكره المراجعين للرسل أصحاب القرية مثال لمن قرب وطالت مباشرته، وشاهد الأيام فلم ينفعه قربه. فلما قصد في آية يس مثال من ذكر من الفريقين خصت من تقديم المجرور على الفاعل بما يحرز المعنى المقصود[9]، فهو من قبيل ما قدم للاعتناء[10] والتَّهَمُّم، وقد تقدم في مواضع. وإنشاد سيبويه ـ رَحْمَة الله ـ عليه[11]:

لَتَقْرَبُنَّ قَرَباً جِلْذِياً ... مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا

فلإحراز هذا المعنى، ما قدم هذا المجرور هنا، وتأخر الفاعل.

---

(١) يس/ ١١.
(٢) ك: الأمصار.
(٣ ـ ٥) الآيات/ ١٣ ـ ١٥.
(٦) الفرقان/ ٧.
(٧، ٨) يس/ ١٦ ـ ١٧.
(٩) ساقطة من ج، هـ.
(١٠) ك: للاعتبار.
(١١) سبق تخريج البيت في الآية رقم/ ٣١.

أما آية القصص فلم يقصد فيها شيء من هذا فجاءت على ما يجب من تقديم الفاعل. وتناسب هذا كله ووضح أن كلاً من الموضعين لا يناسبه، ويلائمه غير الوارد فيه[1]، والله أعلم بما أراد.

٢٧٩ ـ الآية الثانية من سورة القصص، قوله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٠).

وفي سورة الشورى (٣٦): ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

يسأل عن زيادة قوله: ﴿ وَزِينَتُهَا ﴾ في الآية الأولى، وعن تعقيبها بقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2]، وسقوطها من الثانية، وتعقيبها[3] بقوله: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

والجواب عن الأول أن سورة القصص تضمنت ذكر قارون وما أُوتِيَهُ[4] من المال الذي هو زينة الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾[5]، ثم أخبر تعالى عن زهوه واختياله بماله[6] وظنه استحقاقه[7] إياه. قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾[8]، حتى قال من غفل عن آخرته ولم يعلم ما أُعِدَّ له فيها للمؤمنين: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾[9]، فقدم سبحانه للمعتبر من[10] عباده المؤمنين، وتنبيها للغافلين،

---

(١) ساقط من ج.

(٢) ما بعدها إلى الثانية ساقط من ج، هـ، ك، ب.

(٣) ج، هـ، ك، ب: وتعقيب الثانية.

(٤) سقط من ج، ب: ما أوتيه.

(٥) الآية/ ٧٦.

(٦) ك: بحاله.

(٧) ك: واستحقاق.

(٨، ٩) الآية/ ٧٩.

(١٠) ك: للمعتبرين عباده.

لتحصل السلامة للسعداء ممن عُصِمَ مما ابتلي به قارون فقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ ﴾ - أي للمؤمنين - ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾. وقد أخبرهم سبحانه في موضع آخر أن الدنيا وحياتها غرور وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار. وبعد[1] تحذير المؤمنين وردت[2] قصة قارون فالتحمت الآية بتلك القصة، وقيل هنا: ﴿ وَزِينَتُهَا ﴾ كما قيل في تلك: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾. ومن الذي يعدل عمَّا عند الله سبحانه إلى ما جعله[3] الله[4] تعالى سبباً لإهلاك المشركين .فتناسب هذا كله وتلاءم [١٨١/ و] ولم يقع في آية الشورى ذكر ﴿ وَزِينَتُهَا ﴾، إذ لم يرد فيها ما ورد هنا مما استدعى هذه المناسبة، ولم يرد في سورة الشورى من أولها إلى آخرها ذكر بسط حال[5] دُنيَاوِيّ لأحد، بل تضمنت حقارة الدنيا، ونزارة رزقها وأنه مقدور غير مبسوط. وتلك حال الأكثر فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾[6] وقال عند ذكر من اختار الدنيا ومال اليها: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾[7] فقال منها[8] بأداة التبعيض، فلم يقع في هذه السورة ما يستدعي ذكر الزينة المالية، فلذلك لم يذكر - والله أعلم -

والجواب عن السؤال الثاني أن قوله تعالى في آية القصص: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ملتحم أوضح التحام بما اتصل به من قوله: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[9]. فكأنه قد

---

(١) في ك فقط، وبقية النسخ: بعد
(٢) ك: ورد.
(٣) ج: فعله.
(٤) لفظ الجلالة ساقط من: ج، هـ، ك، ب.
(٥) في م فقط.
(٦، ٧) الشورى/ ٢٧، ٢٠ على الترتيب.
(٨) الفعل والجار والمجرور ساقطان من ج.
(٩) الآية/ ٦١.

قيل بعد قوله: ﴿ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾، وكأن قد قيل: أَفَلاَ تَعْقِلُونَ، ما بين الأمرين، ثم أخبر بقوله: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾، في العذاب الذي لا آخر بعده فقوله: ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾، من تمام ما قبله، وذلك بيّن التناسب. ولما ورد قبل آية الشورى: ﴿ وَتُنْذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً ﴾ - الى قوله - ﴿ فَادْعُ وَٱسْتَقِمْ ﴾[2] - الآية، وقوله: ﴿ أَلاَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾[3] وقوله: ﴿ تَرَى ٱلظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ ٱللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾[5]، ناسب هذا المتقدم من التخويف ما ينبيء المؤمنين المستجيبين، [فأضاف[6]] قوله: ﴿ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾. فقوله[7] تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُواْ ﴾، أي صدقوا بكل هذا، وعلموا[8] انفراده سبحانه بالخلق والأمر، فتوكلوا عليه. فأعقبت كل منهما بما يناسبها، ووردَتْ على ما يجب، والله أعلم.

٢٨٠ - الآية الثالثة من سورة القصص قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١).

ثم قال تعالى (٧٢): ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللهُ عَلَيْكُمُ [١٨١/ ظ] ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾.

(١ - ٥) الآيات/٧، ١٣ - ١٥، ١٨، ٢٢، ٣١ على الترتيب.

(٦) جميع النسخ: بأصناف.

(٧) م: بقوله.

(٨) ج، خـ، م: وأعلموا.

للسائل أن يسأل لم قدّم[1] الليل، ولم ختمت الأولى بقوله: ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ والثانية بقوله: ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.

والجواب عن الأول أن تقديم الليل على النهار جارٍ على ما بنت العرب عليه حساب شهورها من تقديم الليل وجعل النهار تابعاً له[2]، ولم يرد في كتاب الله تعالى على كثرة ترداده إلاّ كذلك.

والجواب عن السؤال الثاني أن قوله في الآية الأولى: ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾، [مناسب[3]] للمدرك ليلاً من ضَرْبَيْ ما يعتبر به من المسموعات والمبصرات، إذ الليل حائل دون المبصرات وإنما تدرك فيه المسموعات، لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها. فجيء بما يناسب، وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضاً. فقيل: ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً، فجيء مع كل بما يناسب والله أعلم.

سورة العنكبوت

٢٨١ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨).

وفي سورة لقمان (١٤، ١٥): ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تقديم الليل..).
(٢) الجار والمجرور ساقطان من ج، هـ، ب.
(٣) جميع النسخ: فناسب.

وفي الأحقاف (١٥): ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَـٰلُهُ ثَلَـٰثُونَ شَهْراً ﴾ ـ إلى قوله ﴿ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

اشتملت هذه الآي في السور الثلاث على التعريف بما يجب من حقوق الوالدين وما يرعى لهما. ومنتهى ذلك وغايته [قد][1] اجتمعت في هذا المعنى، ثم اختلف إيرادها. ففي العنكبوت والأحقاف «حسناً»، ولم يرد ذلك في سورة لقمان. وفي العنكبوت ولقمان النهي عن طاعتهما في الشرك، ولم يرد ذلك في الأحقاف[2]. وفي العنكبوت: ﴿ لِتُشْرِكَ بِي ﴾، بتعدية الفعل باللام. وفي لقمان: ﴿ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ ﴾ فعدى بعلي. وفي لقمان: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ ولم يرد ذلك في السورتين. وفي لقمان: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾، وفي الأحقاف: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾. وفي لقمان: ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾، وفي الأحقاف: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً ﴾. وفي لقمان والأحقاف، ذكر الأم[3] منصوصاً عليها، وورد ذكرها في العنكبوت مجملاً. وفي العنكبوت ولقمان، التعريف بالرجوع إليه سبحانه، ولم يرد ذلك في الأحقاف. فيسأل عن هذا، وعن وجه اختصاص [١٨٢/ و] كل سورة من الثلاث بما خصت به، وإن كان ذلك حاصلاً عن جواب ما تقدم فتلك تسعة أسولة.

والجواب عن الأول أن بناء آية العنكبوت على قصة سعد بن أبي وقاص، وما كان من فعل أمه وحلفها على ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى يرجع سعد إلى دينها[4]. والقصة مشهورة فنزلت الآية ولم يقصد غير هذا فاكتفى بالتنبيه على الإحسان بهما ما لم يدعوا معاً، أو أحدهما إلى الشرك. ولما كان هذا حكماً لا يخص أباً من أمٍّ، لم يحتج إلى التنصيص على أحدهما، فوقع الاكتفاء هنا بقوله:

---

(١) جميع النسخ: بل.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «وفي لقمان» ساقط من ك.

(٣) ج، هـ، ب: اللام.

(٤) راجع اللباب/ ١٧٠. وزاد الواحدي أنها نزلت في سعد بن مالك، أسباب النزول/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

﴿حُسْناً﴾، ونصبه على الحال، لأن المصدر إذا حذف اكتفاء بصفته فانتصابها عند سيبويه ـ رحمه الله ـ على الحال. ذكر ذلك في بابه[1].

وأما ورود حسناً في الأحقاف، فلما قصد من البسط والإطالة حسبما يُبيّن[2] بعد، وقد أنجز في هذا الجواب السؤال السابع[3].

والجواب عن السؤال الثاني أن النهي عن الشرك ورد في سورة العنكبوت لبناء الآية وما قبلها على ذكر ذلك، وهو المراد بالفتنة الواقع ذكرها في مطلع السورة. وورد في آية لقمان لما تقدم من قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] ولم يرد في سورة الأحقاف، لأن آية الأحقاف فيمن كان مؤمناً. ألا ترى قوله: ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[5] إلى ما بعد هذا، ولا مدخل هنا للشرك.

والجواب عن السؤال[6] الثالث أن قوله في سورة العنكبوت: ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾، بتعدية الفعل باللام وتَعْدِيتُه في آية لقمان بعلى، فإنما ذلك لفرق ما بين الآيتين في السورتين من حيث بناء آية[7] العنكبوت على الإيجاز. فناسب ذلك الاكتفاء باللام وبناء آية لقمان على الإطالة. فناسب ذلك التعدية بعلى. ولو قدرنا عكس الواقع لما ناسب، فجاء كل على ما يناسب.

والجواب عن السؤال الرابع أن قوله في آية لقمان: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾، أَمْرٌ بالرفق بهما والقيام من حقهما بما ليس بمعصية. ولما كان مبْنَى

---

(١) انظر سيبويه ٢/ ١٢٠، ١٢١، إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٨١.

(٢) ج، هـ: بين.

(٣) ساقط من هـ، م، ب.

(٤) الآية/ ١٣.

(٥) الأحقاف/ ١٥.

(٦) محذوف من ب.

(٧) في ك فقط.

الآية على الأمر بما يفعل بهما ومعهما من غير مطلب لهما وإنما ذلك على الجملة من التعريف بما ينبغي أن يكون الأمر معهما عليه، ناسبه[1] الوارد هنا من قوله: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾. ولما كانت آية العنكبوت مبنية على حكم من طلب من الأبوين الشرك والرجوع إلى الكفر كما تقدم؛ لم يناسب ذلك أن يقال فيهما: وصاحبهما في الدنيا معروفاً؛ لما كان يكون فيه بالسابق [١٨٢/ ظ] من مظاهر الكلام من الإذن في الصغو إلى مطلبهما وهو ما لا يمكن أن يؤذن فيه لا ظاهراً ولا باطناً فلم يرد هنا ما يوهم جوازاً، ولو في اراءتهما الانقياد لهما في الظاهر مع اعتقاد ما يجب اعتقاده في الباطن من التوحيد كما في آية الإكراه من قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾[2] وإنما قصد هنا العزم على ما هو الحق وألا يُصْغِيَ إلى مرادهما لا ظاهراً ولا باطناً، إذا جاهدا[3] في طلب[4] الشرك، فلم يكن ليناسب ولا يلائم ورود: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾، في آية العنكبوت بوجه.

وأما آية الأحقاف، فمبنية وواردة على حال إيمان المُوَصَّى بوالديه. وقد علم المؤمن ما يلزمه من أبَوَيْه المُؤْمِنَيْن، وأنه أكثر من الموصى به في آية لقمان، فجاء كل على ما يجب.

والجواب عن السؤال الخامس أن قوله: ﴿ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾، المراد به الضعف. وقوله في الأحقاف: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾، المراد به أنها حملته ووضعته على صفة من المشقة تُكْرَه ولا تُرَاد. فتحصل من الآيتين الإخبار بحاليهما[5] من الضعف والكراهة فلا تعارض.

والجواب عن السؤال السادس أن قوله في سورة لقمان: ﴿ وَفِصَالُهُ فِي

---

(١) ج، هـ، ب: ناسب.
(٢) النحل/١٠٦.
(٣) ب: جاء هذا في طلب.
(٤) ج: مطلب.
(٥) ج: بحالها.

عَامَيْنِ ﴾، وقوله في الأحقاف: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ لا تعارض بينهما، إلاَّ أنهما إخباران[1] عن قضيتين، لأن الحمل والفصال مدتان، ومدة الحمل غير مدة الرضاع فأخبر في الآية الواحدة عن مجرد مدة الرضاع، وفي الثانية عن المدتين. وقد تقدم التنبيه على انجرار السؤال السابع.

والجواب عن السؤال الثامن أن قوله تعالى في العنكبوت ولقمان: ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ تحذير من طاعتهما في الشرك، وإبلاغ في النهي عن الصغو إليهما في ذلك إلى الغاية؛ لئلا يظن أن ذلك كآية الإكراه كما[2] تقدم. ولما لم يقع في آية الأحقاف ذكر الشرك وكانت فيمن كان على إيمان وقد علم المؤمن من رجوعه إلى ربه؛ لم يرد فيها ذكر ذلك.

والجواب عن السؤال التاسع حاصل في الجواب المتقدم وتلخيصه أن تخصيص هذه السورة بما ورد فيها مختلف بهذا[3] السياق لما يُذْكَرُ، وقد مرّ. أما آية العنكبوت فلِمَا قُدِّم[4] ذكره في قصة سعد. وأما آية لقمان فلتقدُّم قوله تعالى:
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.
وأما سورة الأحقاف فلما انْجَرَّ في جواب السؤالين الثاني، والرابع من الخصوص بمن آمن والله أعلم.

٢٨٢ ـ الآية الثانية من سورة العنكبوت قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (٢٢).

وفي سورة الشورى (٣١): ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾.

---

(١) ج: اخبارا.
(٢) ساقط من ك.
(٣) ك: من مختلف هذا.
(٤) ج: تقدم.

للسائل أن يسأل عن[1] زيادة الوارد في سورة العنكبوت من قوله: ﴿ ولاَ فِي السَّمَاءِ ﴾. ولم يرد ذلك في سورة[2] الشورى.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ﴾[3]. وهذا من أشد الوعيد[4]، إذ حاصله أنه لا يفوته سبحانه أحد، وأنه[5] لا مهرب منه إلاّ إليه ناسب هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾، كما قال: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللهُ جَمِيعاً ﴾[6]. إلى ما ورد من هذا. وذلك تناسب بيّن. ولما لم يرد في سورة الشورى من أولها إلى الآية مثل هذا الوعيد الشديد، ولا كان فيها ما يستدعي هذا التعميم والاستيفاء الوعيدي[7]، وردت الآية مناسبة لذلك فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ ﴾ ولم يكن التعميم هنا، ليناسب؛ فورد كل على ما يجب والله سبحانه[8] أعلم.

٢٨٣ ـ الآية الثالثة من سورة العنكبوت قوله تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَـٰهُ ٱللهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لأَيَـٰتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٤)

وورد بعد هذا (٤٤): ﴿ خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾. فأفرد هنا «آية» وجمع في الأولى فقال «الآيات»، مع أن هذه الآية

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما فائدة زيادة..).
(٢) في م فقط وبقية النسخ: آية.
(٣) العنكبوت/ ٤، وزاد منها في ك: ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.
(٤) مكانها بياض في ج.
(٥) ساقط من هـ، م، ك. وفي ب: ولكنه.
(٦) البقرة/ ١٤٨.
(٧) ك: الوعدي.
(٨) محذوفة من ب.

أعظم. قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[1].
فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك[2].

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أن الإشارة في الآية الأولى بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾، ليست لقصة إبراهيم عليه السلام، وإنجائه من النار فقط بل الإشارة لمجموع معتبرات منها لُبْثُ نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ويريهم الآيات، فما آمن معه إلاَّ قليل. ومنها آية أخذهم بالطوفان وتعميم الغرق لجميع أهل الأرض. ومنها إنجاء أهل السفينة، وجعلها آية للعالمين. ومنها ما أحيلوا عليه من الاعتبار بمن قبلهم في قوله: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ ـ الآية[3]. ومنها دعاء إبراهيم عليه السلام، وعظيم بيانه لقومه، وما استجرّ[دُعَاؤُهُ[4]] إياهم من البراهين والآيات على نبوته. ومنها ما أحيلوا عليه آخر الآيات في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ [١٨٣/ ظ] ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾[5]. فلما تقدم تفصيل الآيات ورد التنبيه بالإشارة إلى جميعها فقيل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾.

أما قوله في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾، فالإشارة إلى المصدر وهو[6] الخلق المفهوم من قوله[7]: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾. كما في قوله تعالى: ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[8]. فالضمير للمصدر، وهو العدل المفهوم من قوله: ﴿ ٱعْدِلُوا۟ ﴾ وهذا جارٍ في الضمير، واسم الإشارة متردد[9] في كلام العرب. فكل من الآيتين جاء على ما يجب والله أعلم.

---

(١) غافر/ ٥٧.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك).
(٣) العنكبوت/ ١٨.
(٤) جميع النسخ: دعاؤهم.
(٥) العنكبوت/ ١٩.
(٦) ب: وهم.
(٧) في ك فقط.
(٨) المائدة/ ٨.
(٩) ج، ك: مترد.

٢٨٤ ـ الآية الرابعة من سورة العنكبوت قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَـٰتِنَا إِلاَّ ٱلْكَـٰفِرُونَ. وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَـٰتِنَا إِلاَّ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٤٧ ـ ٤٩).

للسائل أن يسأل[١] عن وَسْمِ الجاحدين أولاً بالكافرين[٢]، ثم وُسِمُوا بعد بالظالمين، والظلم يصح إطلاقه على ما دون الكفر، فقد يسبق إلى الوهم أنه لو ورد وصفهم أولاً بالظلم، ثم ثانياً بالكفر لكان أنسب.

والجواب أن الظلم وإن كان يطلق[٣] على الكفر وعلى ما دونه، قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَافِرُونَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾[٤] فإنه إذا ذكر بعد الكفر، ووصف به من قد وصف بالكفر أفهم زيادة مُرْتَكَبٍ على الكفر. قال تعالى[٥]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ ـ الآية[٦]. وعلى هذا ورد في القرآن، وقد تقدم ذلك. فقد وضح ما وردت عليه [آيات][٧] العنكبوت وليس من المُشْكِل، والله أعلم.

٢٨٥ ـ الآية الخامسة من سورة العنكبوت [غ] قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٦١).

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن..).
(٢) ما بعدها إلى قوله: دون الكفر ـ في ك فقط.
(٣) ج، هـ، م، ب: ينطلق.
(٤) البقرة/ ٢٥٤.
(٥) ساقطة من ج، ب.
(٦) النساء/ ١٦٨، ١٦٩.
(٧) ك: ايتا، وبقية النسخ آية.

وفي سورة لقمان (٢٥): ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وفي سورة الزخرف (٩): ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

تواردت هذه الآي الثلاث على معنى واحد من تقريرهم على ما كانوا يعترفون به من انفراده سبحانه بخلق السموات والأرض، واعترافهم بذلك إن سُئلوا[1]. ثم أَتْبَعَ ذلك في سورة العنكبوت بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2]. فأعلم تعالى أنهم لو سئلوا أيضاً عن هذا لاعترفوا، ثم اختلف ما أعقبت به هذه الآي من وصفهم حيث وصفوا فيها بعد فرض سؤالهم[3] واعترافهم فأعقبت [١٨٤/ و] الأولى بقوله: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾، وآية لقمان بقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وآية العنكبوت الثانية بقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ[4] بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، ولم يرد في آية الزخرف إتْبَاعٌ بوصف. فللسائل أن يسأل عن اتحاد مقصود هذه الآي وتفصيله وعن وجه اختلاف الحال فيما ورد التعقيب به في هذه الآي.

والجواب عن الأول أن المقصود فيها ليس واحداً. أما ثلاث الآيات الأُوَلُ فالمراد بها الاستدلال بهذا الخلق العظيم وما هو عليه من جليل التناسب، وإتقان الصنعة[5] وإحكامها من غير تفاوت ولا فطور على وحدانيته تعالى وانفراده بالخلق والأمر، واتصافه بالعلم والقدرة، إلى ما يجب له تعالى من صفات الكمال والتعالي عن شبه[6] الخليقة. ولوضوح هذا الدليل ما أخبر تعالى عنهم أنهم لو سئلوا

(١) ك: فاعترافهم بذلك أن يسألوا.
(٢) آية/ ٦٣، وهي ما شرحه الاسكافي تحت عنوان «الآية السابعة والثامنة من سورة العنكبوت».
(٣) ك: سالهم (؟).
(٤) إلى هنا من الاية محذوف من ج.
(٥) ج، هـ: الصفة.
(٦) في ك فقط، وبقية النسخ: شبيه.

لاعترفوا فقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ـ الآية، فمقصودها إقامة البرهان على الأحياء من بعد الموت[1]، وبيان ذلك بمثال مُشاهَد للعالم يحصل عن[2] اعتباره جواز ما قصد تمثيله[3]. وبذلك[4] أفصحت آية الأعراف في تعقيبها بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5]، وذلك أبين شيء فقد اختلف المقصد كما قدم. ووجه تخصيص سورة العنكبوت بهذه الآية مناسبتها لما تردد فيها وتكرر من ذكر العودة الأخراوية[6]، والإشارة إليها في نَيِّفٍ على عشرة مواضع:

أولها قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾[7]، وآخرها ما ورد قبل الآية المُتَكلَّم فيها من قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[8]، بما اتصل بها. وأنصُّهَا في[9] المقصود قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ﴾[10]، فناسب ما تردد[11] في هذه السورة من هذه الآي إيراد آية المثال المذكورة. ولمَّا لم يرد في السورتين الأخريين مثل الوارد المتكرر في سورة العنكبوت، لم يكن ليناسبها ورود[12] آية المثال مناسبتها حيث وردت.

---

(١) ك: موتها.

(٢) ك: منه، وفوقها كلمة «كذا».

(٣) ج: بمثيله.

(٤) ك: ولذلك.

(٥) آية/٥٧.

(٦) ك: الأخروية.

(٧) الآية/٥، وزاد من الآية في ك: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(٨) الآية/٥٧.

(٩) ج: على.

(١٠) الآيتان/١٩، ٢٠.

(١١) ج: ترد.

(١٢) ج: وورد.

والجواب عن السؤال الثاني وهو توجيه اختلاف الحال فيما وقع به التعقيب في هذه الآي. إن ذلك مبني على الترتيب الثابت في الكتاب العزيز. ذكر تعالى حالهم، ولو سئلوا عن خلق السموات والأرض وتسخير النيّريْن، ولا إشكال فيه لمن وُفِّقَ قال تعالى: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي كيف [١٨٤/ ظ] تُصرفُون عن الدلائل[1] مع وضوحها. ثم قال عقب لقمان: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. وحصل مما أعقبت به الآيتان ما في قوة أن لو قيل: كيف يصرفون مع بيان الأمر؟ ما ذلك إلاَّ لمنعهم عن العلم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[2]. وأمّا ختام آية الزخرف بقوله: ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فاعتراف تام بوصفه تعالى بالقدرة والعلم. وإذا اعترفوا بذلك لم يبقَ إلاَّ العناد بما قُدِرَ عليهم. ومناسبة هذا الختام على ما تمهد من رعي الترتيب بيّن[3]، وكأن هذه الآية الأخيرة في قوة أن لو قيل: وإذا حُقِّقَ عليهم وتُوبِعُوا في سؤالهم اعترفوا بالأمر على ما هو عليه، فكفرهم بذلك اتِّباعٌ للهوى وضلال على علم. والتناسب في هذا كله بيّن.

وأما آية العنكبوت الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فوُصِفَ أكثرهم هنا بعدم العقل[4]. فوجه ذلك ـ والله أعلم ـ التعريف بإفراط قصورهم حتى استحقوا الوصف بصفات البهائم، ومن لا يصح خطابه، وذلك أن العقل فصل[5] الإنسان، وبه امتيازه عن البهيمة ولا يمكن العلم بشيء منه إلاَّ بعد حصوله والاتصاف به، وهو مناط التكليف. وهو عند المتكلمين عبارة عن علوم ضرورية، وليس كل العلوم الضرورية. وهو مع هذا خصيصة

---

(١) هـ، م، ك: الدلالة.

(٢) الكهف/٥٧.

(٣) ج: بينة، ومكانها بياض في ك.

(٤) ك: بعد العقل.

(٥) في ك فقط وبقية النسخ: فضل بالضاد، والصواب ما أثبتناه طبقاً لحدود المنطق انظر: شرح السنوسي على مختصر المنطق/١٨، المنطق الصوري/١٨١ ـ ١٨٣.

جليلة، إن عدمت لم يمكن[1] التكليف، ولا وجود علم. وأضداد العلم العامة والخاصة، أضداد العقل[2]. وهو من قولهم: عَقَلْتُ البَعِيرَ، إذا أمسكته بعِقَال[3]، وبه صح[4] خطاب المكلفين، فإذاً فقد لحق فاقده بالبهائم. ثم نقول: إن إنزال الماء من السماء وهو ماء واحد يكون عنه مختلف النبات، وضروب الأشجار، وأنواع الثمر المختلف الحالات، مع وحدة المادة. فمن عقل هذا، عقل[5] وجود الإنسان من نطفة واحدة كوحدة الماء النازل من السماء، ثم يكون عن تلك النطفة شكل الإنسان، وما ينطوي عليه خلقه، وتشتمل عليه جملته، والمادة واحدة. فالتلاقي والشبه بين الماءين وما يوجده سبحانه عنهما أوضح شيء لمن عقل. فكيف يستبعد العودة من يشاهد هذا ويعترف به. فقد أرانا سبحانه في ماء السماء وما يكون عنه من الإحياء بعد الموت ما أوضحه في[6] قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ - الآية[7]، ما فيه أبين دليل لمن وفَّقَهُ سبحانه للنظر والاعتبار، لا توقف فيه. وجعل ذلك متكرراً ونبّه تعالى عليه بقوله: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ ﴾، وقال تعالى: ﴿ واللهُ ٱلَّذِي [أَرْسَلَ] ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ[8] مَيِّتٍ [١٨٥/ و] فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[9].

---

(١) ج: يكن.

(٢) ك: للعقل.

(٣) ك، ب: بعقل.

(٤) ج، هـ: وضح.

(٥) في ك فقط وبقية النسخ: وعقل.

(٦) في ك فقط وبقية النسخ: وفي.

(٧) الروم/ ٢٤.

(٨) بقية الآية غير موجود في هـ، ك، ب ومكانها بياض في ك. قال في هامش ك: «كذا وجد في الأصل» وترك بعده بياض أربعة سطور. وقال في هامش ب: «كذا وجدته» وترك بقية السطر وما بعده بياضاً.

(٩) فاطر/ ٩. وفي جميع النسخ: «يُرْسِلُ» بدل أَرْسَلَ وهي في الآية/ ٤٨ من سورة الروم.

سورة الرُّوم

٢٨٦ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً[1] وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ (٩).

وفي سورة فاطر[2] (٤٤): ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

وفي سورة غافر (٢١): ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾. وفي آخرها (٨٢): ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل[3] عن اختلاف هذه الآيات مع اتفاقها في المعنى المقصود بها وعن وجه اختصاص كل موضع من مواضعها بما خُصَّ به منها.

والجواب عن السؤالين معاً[4]، أن هذه الآيات لم يختلف المقصود بها وهو التنبيه على الاعتبار بحال من تقدم من القرون في أخذهم بمرتكباتهم[5] وإنما ورد

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٢) ب: كتب من الآية ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وحذف بقيتها.
(٣) ب: فيسأل عن اختلاف..
(٤) ب: والجواب عنها أن هذه...
(٥) ب: مرتكباتهم، ك: بمرتكبهم.

في كل موضع منها[1] مَنْ ذُكِر ممن[2] تقدم من القرون ما يلائم ما جرى في تلك السورة قبل ذلك الموضع، أو بعده من إشارة أو تعريف بذلك إخباراً من غير تنبيه أو تحريك إلى الاعتبار بهم حين جيء بالتنبيه بقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ** ﴾، روعي ما ورد قبل أو بعد من إخبار أو إشارة لذلك، فبنى[3] ما عرض عليهم، وَحُرِّكُوا به من التنبيه على ذلك المتقدم، أو المتأخر، والتحم معه وكَمُل التعريف التنبيهي بحال المذكورين، والتأم ذلك وتناسب. وربما جرى ذكر أخذهم وهلاكهم بتكذيبهم في غير آية التنبيه. ثم أفصح به في آية التنبيه الوارد في غير[4] هذه المواضع لاختلاف[5] في[6] المعنى. بيان ذلك أن آية الروم وهي أول تلك الآيات، قد ورد فيما بعدها من تلك السورة قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[7]. فهذا تعريف منه سبحانه بما فعل بأولئك الذين كانوا أشدة قوة من هؤلاء، وكانوا قد أثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عمرها[8] هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبينات[9]. فذكر في أول السورة من حالهم هذا، [١٨٥/ ظ] ولم يذكر ما فعل بمَن كذَّب منهم ولا مَن آمن فعرَّفَت الآية الأخيرة بذلك، وأنه سبحانه انتقم منهم لاجترامهم بالتكذيب، وعرّف بنصر مؤمنيهم ونجاتهم، فحصل من الآيتين التعريف التام بما جرى منهم ابتداء وانتهاء، وصار مجموع الآيتين من الالتحام كأن قد قيل: «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، مع زيادة قوّتهم وانتشارهم، وطول أعمارهم أكثر من هؤلاء، فجاءتهم رُسُلُهُمْ

---

(١) ب: من مواضعها.
(٢) ك: من.
(٣) ج، هـ: فمبنى.
(٤) ساقطة من ك.
(٥) ك: لا ـ لاختلاف.
(٦) ساقطة من ج، ب.
(٧) الآية/٤٧.
(٨) ج: عمروها.
(٩) ك: وجاءتهم البينات.

بالبينات فكذبوا فانتقمنا ممن أجرم وكذّب، ونصرنا من آمن وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون... وما ظَلَمْنا من انتقمنا منه»: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ ـ الآية[1]. فتأمل وضوح هذا كله وتناسبه[2] والتئامه.

فإن قيل: فلِمَ لَمْ[3] يرد ذكر أخذهم بالانتقام منهم لما أجرموا[4] متصلاً بما تقدم من التذكير والاعتبار بهم، وكان يحصل ذلك كله في كلام متصل بعضه ببعض، ولِمَ وقع ذكر أخذهم بالانتقام منهم لما[5] كذبوا[6] متأخراً عن الوارد من حالهم أولاً، التي أمر هؤلاء ونهوا[7] عن الاعتبار بها؟

قلت: جرى ذلك على المعتاد منه سبحانه في دعاء الخلق إلى الإيمان من التلطف والرفق والدعاء وبذلك أمر رسله عليهم السلام فقال لنبينا[8] صلى الله عليه وسلم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[9]. وقال لموسى عليه السلام: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّهِ ﴾[10]، أي بنعمه وآلائه قِبَلَهُم وقال: ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾[11]، وقال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾[12]، وهذا في القرآن كثير. فلما أُمِرَ هؤلاء وذُكِّروا بالاعتبار بمن تقدم من القرون، ولم يتقدم قبل الآية التلطف والتأنيس، لم يكن ليناسب ذلك من[13] أَخْذِ المكذبين إلاّ ما يكون إيماءً أو[14]

---

(١) العنكبوت/ ٤٠.
(٢) ج: تأمله.
(٣) ساقطة من ج، هـ، ب.
(٤) سقط من ج، ب: لما أجرموا.
(٥) بعدها في ج، هـ: «أجرموا متصلاً بما تقدمه»، وقد ألغاهُ في م.
(٦) ساقط من ج، هـ.
(٧) ج: نبهوا.
(٨) ب: زاد هنا «ومولانا محمد».
(٩) النحل/ ١٢٥.
(١٠ ـ ١٢) إبراهيم/ ٥، البقرة/ ٤٠، ٤٧، ١٢٢، طه/ ٨٠ على الترتيب.
(١٣) ساقط من ج، هـ.
(١٤) ج، هـ، ك، ب: وإشارة.

إشارة، لا إفصاحاً. فلذلك اكتفى أولاً من الإشارة إلى أخْذِهِم بقوله سبحانه[1]: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾[2]، وترك الإفصاح بالانتقام [منهم[3]] إلى أن أوردَ[4] إخباراً منه سبحانه لنبيه عليه السلام في غير معرض الدعاء إلى الإيمان. فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِم فَجَاءُوهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ﴾. وحصل التعريف بغاية حال المذكورين قبل في تكذيبهم. فهذا موجِب تفريق هذا الإخبار والله أعلم.

فإن قلت: فقد ورد في آية غافر من هذه الآي مجموع التنبيه والأخذ[5] متصلاً على غير ما فصّلت، أو قعّدت الآن[6]. قلت: ذلك لسبب اقتضاه يُذكر بَعْدُ. فآية الدعاء إلى الله إنما تَـرِدُ في الأغلب على ما ذكرنا من التلطف والإبقاء على العباد، وذِكْرِ الإحسان [١٨٦/ و] والرفق. وقد ترد على غير هذا لداع وحامل، والأكثر ما ذكرته. وأما آية فاطر فقد تقدمها قوله تعالى إخباراً لنبيه وتأنيساً: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَابِ ٱلْمُنِيرِ. ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[7]. فقيل بعد هذه فيما هو منها ومرتبط بمعناها: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[8]، فأخَذْتُهُمْ يا محمد بتكذيبهم وكفرهم ولم يَفُتْ[9] منهم أَحَدٌ، لأني العليم بهم وبأحوالهم القادر[10] الذي لا يعجزني شيء، ولا يفوتني هارب. فتأمل التحام هذا كله وتناسبه وكيف تم الاختبار وكَمُل ابتداء وانتهاء. وتأمل كيف وقع

---

(١) في ك فقط.

(٢) الروم/ ٩.

(٣) جميع النسخ: منه.

(٤) ج، هـ، ك: ورد.

(٥) ك: والآخر.

(٦) ح، هـ، ك: على غير ما قصدت الآية.

(٧، ٨) فاطر/ ٢٥ ـ ٢٦، ٤٤ على الترتيب.

(٩) ب، ج: نفُتْ.

(١٠) ك: القدير.

الاكتفاء في آية الاعتبار بالإيماء[1] إلى أخذهم بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي ٱلأَرْضِ ﴾، إحالة على ما تقدم في إخباره[2] نبيّه عليه السلام بأخذهم في قوله: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[3]. والتحم هذا كله وتناسب أعظم تناسب. وأما الآية الأولى من[4] سورة غافر، فوردت على الجمع بين التنبيه للاعتبار بمن تقدم وبين أخذهم ولم يرد فيها التفصيل الوارد فيما قدم فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُم أَشَدَّ مِنهُمْ قُوَّةً[5] وَآثَاراً فِي ٱلأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللهِ مِن وَاقٍ ﴾. ثم أُتبِعَت[6] الآية بما يؤكد أخْذَهُم، وذكرت العلة في ذلك من كفرهم، واجتمع في هذه الآية ما افترق في غيرها، فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[7] فحصل [8] منها التعريف بأخذهم، وذكر العلة الموجبة لذلك من تكذيبهم وكفرهم، متصلاً ذلك كله بعضه ببعض [9] ولم تَجْرِ هذه الآية من التلطف في الدعاء والتنبيه على ما جرت نظائرها مما تقدم ونبه عليه. وسبب ذلك أنه تقدم في أول هذه السورة من الإخبار بسوء مراجعتهم، وقبيح معاملتهم مع أنْبِيَائِهِم . ما يوجب سريع الأخذ وينافر[10] التلطف وذلك قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُواْ بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ

---

(١) ك: الايمان.

(٢) ك: إخبار.

(٣) فاطر/ ٢٦.

(٤) ج، هـ، م، ب: في.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب وفي موضعه: (الآية).

(٦) ك: اتبع.

(٧) غافر/ ٢٢.

(٨) م، ب: فخص، ك: فتحصل.

(٩) كرر في ب هنا: «ولم وقع ذكر أخذهم - إلى - ولم تجر هذه الآية» وهو يبدأ من الورقة/ ١٩٨/ ظ إلى ٢٠٠/ و.

(١٠) ج، هـ، ب: تنافر.

بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[1]. فلما تقدم هذا من جدالهم[2] بالباطل، وما هَمُّوا به من أخذ رسلهم وامتحانهم زائداً إلى[3] التكذيب ناسب هذا تعجيل أخذهم، فوردت آية التنبيه على ذلك. ولهذا اختصت من التأكيد بما لم يرد مثله فيما تقدمها فقيل: ﴿ كَانُوٓاْ هُمْ أَشَدَّ ﴾، فوكد بالضمير تخصيصاً [١٨٦/ ظ] وتعييناً للمذكورين قَبْلُ من قوم نوح والأحزاب. ثم أتبع ذلك في قراءة ابن عامر بتَخصيص لمن[4] وعظ بذلك، وخوطب فقيل: ﴿ مِنكُم ﴾[5]، فتقابل التأكيد في الطرفين تأكيداً يناسب ما بنيت عليه الآية، ويشهد له.

ولرَعْيِ ما قدم من السبب الأول وردت الآية الأخيرة من قوله في آخر السورة: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ثم أعقب هذا بقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[6]، إشارة إلى ما كانوا يظنونه علماً ويجادلون به من قولهم: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[7] وقولهم: ﴿ [مَا] هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾[8] وقولهم: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾[9]، إلى ما ورد من متعلقاتهم ومجاوبتهم[10] المشار إليها في قوله: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾، فسماه سبحانه علماً في قوله: ﴿ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾، بحسب اعتقادهم وظنهم، كما قال

---

(١) غافر/ ٥.
(٢) ك: جوابهم.
(٣) ج: على.
(٤) ك: من.
(٥) منكم بالكاف قراءة ابن عامر وحده، وكذا هو في المصحف الشامي، التفات إلى الخطاب. والباقون بضمير الغائب لقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ ﴾ انظر: الاتحاف/ ٣٧٧، السبعة/ ٥٦٩، النشر ٢/ ٣٦٤.
(٦) غافر/ ٨٣.
(٧) النحل/ ٢٤، الفرقان/ ٥.
(٨) القصص/ ٣٦. وفي جميع النسخ: «إنْ هذا» لحن صوابه ما أثبتناه.
(٩) الأنفال/ ٣١.
(١٠) ك: مجاوباتهم.

تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾[1]، أي[2] في زعمكم وهو سبحانه المنزَّه عن الشريك والنظير، أو يكون ما عندهم من العلم المراد به ما كان لدى من تعاطى النظر منهم فلم يوفق من استبعاد العودة الأخراويّة وإنكار حشر الأجساد بعد تفرق الأشلاء والأجزاء، وصيرورة بعضها غذاء لحيوان آخر. ولتفرقها وفنائها[3] قالوا: ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[4]، وقالوا: ﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾[5]. وهو نَظَرٌ مَبْنِيٌّ على قاعدتين واهيتَيْن، وهما: إنكار القدرة وإنكار علمه تعالى بالجزئيات وعليهما بنى مُنْكِرُو حشر الأجساد من الفلاسفة، وهو قول زعيمهم أرِسْطُو ومن تبعه من المَشَّائِينَ، ومن قال بقولهم. وليس مما اتفقوا عليه؛ فقد نقلوا عن أفلاطون وغيره من زعمائهم مخالفة هذا القول وموافقة المُتَشَرِّعِين في حشر الأجساد. ونقلوا عن جَالِينُوسَ التَّوَقُّف. وقد رام بعض متفلسفة الإسلام الجمع بين المرتكبين فقال: تحشر الأجساد على تأويل المتشرعين وذلك لما أرْغِمَهُ من براهين الشريعة[6]. ولما بنى المنكرون مذهبهم على إنكار القدرة والعلم بالجزئيات، اطَّرَد في الكتاب العزيز مهما ذكرت العودة الأخراويّة أن يناط بها وصفه سبحانه بالقدرة والعلم[7]، إفصاحاً وإشارة بيِّنَة اطراداً لا ينكسر إرغاماً للمنكر الجاحد، وحجة قاطعة بالمعاند. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[8] فوصفه سبحانه بالعزيز إشارة إلى القدرة، وأشار[9] قوله: ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إلى العلم. وقال [١٨٧/ و] تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلْ

---

(١) النحل/٢٧، القصص/٦٢، ٧٤، فصلت/٤٧.
(٢) ساقطة من ج، هـ، ب.
(٣) ج، هـ: بنائها.
(٤) يس/٧٨.
(٥) الإسراء/٩٨.
(٦) أنظر الأربعين/ ٣٠٠ - ٣٠٢. الإرشاد/ ٣٧١ - ٣٧٤، الإنصاف/ ٤٥ - ٤٨.
(٧) ك: بالعلم والقدرة.
(٨) الروم/٢٧.
(٩) ج، ب: إشارة.

يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1] فقوله يحييها وأنشأها، إشارة إلى القدرة. وقد وقع الإفصاح بها بعد في قوله: ﴿ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ ـ الآية[2]. وبسْطُ هذا، وردُّ أقوال هؤلاء الكفرة مستوفى في مظانه، وقد شفى فيه أئمتنا رضي الله تعالى عنهم، وكتاب الله كاف لمن وفق [لتَدَبُّرِه[3]] واعتباره بالبراهين القاطعة بخصومنا. فما كان بأيدي من قُدِّم ذِكْرُهُ من الشُّبُهَاتِ فيما ذكرنا هو الذي فرحوا به واعتقدوه علماً. فورد التعبير على معتقدهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون، فقد وضح وجه مناسبة هذا لقوله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وتبيّن ما أوجب خصوص كل آية من هذه الأربع بموضعها، والله أعلم.

٢٨٧ ـ الآية الثانية من سورة الروم قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا[4] وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ. وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢١ ـ ٢٤).

للسائل أن يسأل عن وجه[5] اختصاص كل آية من هذه الأربع بما خُتِمَتْ به من وصف المعتبرين.

(١، ٢) يس/٧٨، ٨١.

(٣) جميع النسخ: لتدبيره.

(٤) ما بعدها إلى قوله: ﴿طمعاً﴾ محذوف من ب، وفي موضعه: «إلى قوله».

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص...).

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنّ الآية الأولى لما انطوت من حكمته سبحانه في سبب التناسل والتكاثر على ما أبداه تعالى في خلق الأزواج منها ليحصل السكن وعدم التنافر، ثم غرس سبحانه المودة والرحمة في قلب كل واحد من الزوجين ليتم الالتئام، ويحصل التعاون على ما به قوام العيش، إلى ما جعل في قلوبهما من حب الولد، وهيّأ له عند وجوده من الرفق إلى ما يتعلق بهذا ويرجع إليه مما لا يحصل على عجائبه، ولا يُحَاطُ ببعض الحكمة فيه إلاّ بمداومة الفكر وطول الاعتبار، ناسب هذا إعقاب الاية بوصف التفكر، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. ولما كان [١٨٧/ ظ] خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان مع عظيم الأمر في ذلك بادٍ منه[١] الشهادة بأن وراء ذلك موجداً متنزهاً عن شبه هذه الأجرام ومتعالياً عن تغير مختلف الألسنة والألوان، ولم تكن شهادة هذه بحيث تَخْفَى حتى يحتاج فيها إلى طول التفكر في البادي لمُتَّصِفٍ بالعقل، وإن اتسع النظر في عجائب ما انطوت الأجرام السماوية، وانتشرت وجوه الاعتبار اتساعاً تنحسر[٢] العقول دونه وتكِلُّ الأذهان عن دَرْكِ أدناه. ولهذا تفصل ذكر الاعتبار بالسموات والأرض فقيل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣]، وقيل: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤]، وقيل: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[٥] فأشير أولاً إلى خلق أجرامها وصورها[٦]، وأُشيرَ ثانياً إلى خلق ما فيها. فهذا بحر لا تكدّره[٧] الدِّلاَءُ، وباب لا يسعه تدوين ولا إملاء ومع ذلك فإن ربنا سبحانه ذَكَّرَ عباده من ذلك بما تبدو شهادته[٨]: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ

---

(١) ج: آذنته، ب: نادته.
(٢) ك: تتحير.
(٣) البقرة/ ١٦٤، آل عمران/ ١٩٠.
(٤) الجاثية/ ٣.
(٥) الذاريات/ ٢٠.
(٦) ك: وصورتها.
(٧) ج، هـ، م: تدركه.
(٨) ج: ابتْدِءُوا بشهادته.

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[1]. إلى ما يتلو هذا مما يشهد بأدلّ اعتبار، مما لا تكل عنه البصائر والأبصار. وتأمل تلطف دعائه سبحانه الخلق إلى عبادته في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾[2]، إلى أشباه هذه الآي[3]. فلما كان هذا الضرب من الاعتبار يحصل بأوَّلِه، المقصود لكل أحد. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾، فوضح تناسب هذا الختام، ولاَحَ التلاحم والالتئام.

ولما كان أمر الليل والنهار منصوصاً على رحمة الخلائق بهما في عدة آيات[4]، بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[5]، وقوله: ﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾[7]، إلى غير هذه من الآيات. فتحصَّل من مجموعها الاعتبار بهما وبما فيهما، ومستند ذلك المحرّك للاعتبار به السماع، والأخبار الواردة، أعقب بقوله تعالى: ﴿ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾.

وأما إراءته سبحانه البرق خوفاً وطمعاً، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها، فلا تحصل ثمرة الاعتبار به إلاّ لمن أطال الاعتبار، وأمعن النظر، وبالغ في ذلك. ولما كان حصول [١٨٨/ و] الثمرة المطلوبة هنا يتوقف على ما ذكر[8]، ولا يحصل العلم بذلك إلاّ بعد تعلقه مع وضوحه، أعقب بقوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

---

(١) ق/٦.
(٢) البقرة/ ٢١، ٢٢.
(٣) ساقطة من ك.
(٤) ب: أيام.
(٥) الإسراء/١٢.
(٦) غافر/ ٦١.
(٧) النبأ/ ١٠، ١١.
(٨) ما بعدها إلى قوله: «وضوحه» ساقط من ك.

٢٨٨ ـ الآية الثالثة من سورة الروم قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٧).

وفي سورة الزمر (٥٢): ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾. ففي آية الروم: ﴿ أَوَلَمْ ﴾ وفي الأخرى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾، فللسائل أن يسأل عن الفرق[١].

والجواب ـ والله أعلم ـ أن سورة الروم، لما تقدم فيها قوله تعالى[٢]: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٤]. والتفكر تردد نظر ومباحثه، واعتبار. والنظر المحال عليه فيما حُضُّوا عليه من سيرهم في الأرض، إنما هو استعلام وبحث[٥]، واعتبار بحال[٦] من تقدَّمَهُم؛ ناسب ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لأن قول[٧] القائل منا لغيره: ما ترى في هذا الأمر؟ إنما يريد أبْحَثْ[٨] عما يتردد في خاطرك، ويختلج في فكرك، أو عرِّفْني بما يظهر لك وتختاره. وكذا قول القائل: افْعَلْ في هذه القضية ما أراك الله، إنما يريد اجْتَهِدْ وأَمْضِ فيها من المتردد[٩] في خاطرك ما تراه الأوْلى. والحاصل من الرأي هنا في مثل هذا غالب ظن وليس بعلم، لإمْكَانِ الخطأ فيما يراه، إذ لسنا[١٠] بمعصومين، ولو فرضنا العصمة لكان الحاصل علماً. وفي كتاب الله سبحانه لِنَبِيِّهِ

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).
(٢) إلى آخر الآية وتصدير الاية الثانية ساقط من ج.
(٣، ٤) الايتان/ ٨، ٩.
(٥) ج، هـ، ب: الحث.
(٦) ج، هـ: لحال.
(٧) ك: لا قول.
(٨) ج، هـ: الحث، ب: البحث.
(٩) ج، ك، ب: التردد.
(١٠) ج: ليسا.

عليه السلام[1] ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا [أَنْزَلَ] اللَّهُ ﴾[2] . وإنما أحيل عليه السلام على اجتهاده، واعتباره بما لديه من الوحي، وما أنزل عليه إلاّ أنه عليه السلام مكْتَنَفٌ بالعصمة والحفظ عن الخطأ والغلط فيما يراه مما يرجع إلى التبليغ، وتقعيد[3] أحكام شريعته. فالحاصل عن نظره صلى الله عليه وسلم وما يراه عِلْمٌ. وأما عن نظر غيره ممن ليس بمعصوم فظن كما تقدم. ولفظ رأي يصلح في الحالين، ويقع بالاشتراك على المعنيين وعلى الإبصار، فناسب لتردد لفظه بين هذه المعاني، وإن كان في سورة الروم يُرَادُ به علم[4] ما تقدم في السورة من قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾، لجَامِعٍ[5] التَّرَدُّد في وضع اللفظ، وإن كان الفكر من قبيل المتواطىء والرؤية من المشترك إلاّ أن التردد [١٨٨/ ظ] حاصل في المتواطىء بلحظ التشخيص، فوضح التناسب.

وأما سورة الزمر، فلم يتقدم فيها ما تقدم من سورة الروم مما يستدعي ذلك التناسب فجيء بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾ فطوبق[6] باللفظ المعنى، من حيث لا تردد فيهما[7]، ولا اشتراك. وأيضاً فقد تقدم في هذه السورة قوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً ﴾، وقوله ﴿ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾. والإخلاص مُسَبَّبٌ عن العلم وهو ثمرته، أعني ثمرة العلم، فناسب هذا قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾، فإنهم إذا علموا تسبَّب من عِلْمِهِم الإخلاص إن سبقت[8] سابقة سعادته، فناسب هذا أتمَّ مناسبة. فهذا وجه ثان من الجواب. وكأنه مما قدم فيه المُسَبَّب وهو الإخلاص بين يدي سببه وهو العلم. ووضح على

---

(١) إلى قوله «على اجتهاده» ساقط من ج، ب.

(٢) المائدة/٤٨.

(٣) ساقط من ج، هـ.

(٤) جميع النسخ: العلم.

(٥) ج، هـ، ك: بجامع.

(٦) ج، هـ: فطابق.

(٧) ج، ب: فيه.

(٨) ج: سبقته.

هذا أن ما ورد هنا لم يكن ليناسب ما في سورة الروم، ولا ما ورد في سورة الروم ليناسب ما ورد في سورة الزُمَر، والله أعلم.

٢٨٩ ـ **الآية الرابعة من سورة الروم [غ] قوله تعالى:**

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ[١] يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ (٤٣).

وفي سورة الشورى (٤٧): **﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ[٢] يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾.**

للسائل أن يسأل عن[٣] وجه اختلاف ما وقع به الإتباع في الآيتين فقيل في الأولى: **﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾**، وفي الثانية: **﴿ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ ﴾**.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية الروم لما[٤] أعقبت بقوله: **﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾**، تمهيداً لما اتصل بها من تفصيل الأحوال في قوله: **﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾**[٥]، لأن تصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى: **﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾**[٦]. فالمراد **﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾**، إلى ما أُعِدَّ لكل منهم بحسب مُرْتَكَبِه وحاله[٧] في كفره، أو إيمانه. فقد تضمن قوله: **﴿ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾**، جَزَاءَهُ. فأشار إلى تفصيل أحوالهم في عذابهم، كل بحسب مرتكبه جزاء وفاقاً، وكان الكلام في قوة أن لو قيل: فعليه

---

(١) انتقل نظر الناسخ في هـ فأكمل الآية بقوله تعالى في الشورى ﴿مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَإٍ. . .﴾ ـ الآية.

(٢) إلى هنا محذوف من الآية في ج، هـ، ك.

(٣) ب: صيغة السؤال: (يسأل عن وجه).

(٤) ج، ك: إنما.

(٥) الروم/ ٤٤.

(٦) الروم/ ١٤.

(٧) ج: بحسب مربد [بياض] حاله.

مُطابقٌ كُفرِه من العذاب. وكذلك[1] تضمن قوله في الناجين: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ من تفصيل الأحوال[2] في الثواب، كل بحسب ما مهَّد لنفسه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3]، فعبَّر عن ذلك بأوجز عبارة وأوفاها بالمقصود، وقدمت الإشارة إلى ذلك التفصيل في الطرفين بقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾، أي يبعدون مفترقين، كل لما سبق له مسبباً عن سالف عمله ومرتبطاً وِفاقاً له[4]. فهذا وجه[5] تعقيب آية الروم بقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾.

وأما آية [١٨٩/ و] الشورى، فإنه تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ﴾[6]. والوَلِيُّ من يُرجع إليه انضواءً[7] واعتماداً. ثم قال تعالى مخبراً عن الظالمين في نفي الولي والنصير عنهم: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾[8]. فلما نفى عنهم الأولياء الناصرين، والسبيل إلى التخلص، ناسب ذلك أمره تعالى بالاستجابة له[9]، فقال تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾. أي إنه آتٍ[10] لا محالة[11] ﴿ وَمَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ ﴾، أي من وليٍّ ترجعون إليه، أو دافع يدفع عنكم ﴿ مَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ أي إنكار، فلا تَعَلُّقَ لكم ولا ينفعكم إنكاركم إن تعلقتم. فحَذَّرَ تعالى عباده من حال الظالمين في عدم الوليّ والناصر،

(١) في ك فقط وبقية النسخ: ولذلك.
(٢) ج، ب: أحوالهم.
(٣) الطور/١٦.
(٤) ك: به، وساقط من ج، هـ، ب.
(٥) ساقط من ج، ك.
(٦) الآية/ ٤٤.
(٧) ج، ك: انطواء.
(٨) الآية/ ٤٦.
(٩) ساقط من ج، هـ.
(١٠) ج: لات.
(١١) ك: زاد هنا وحرّف فقال: «يومئذ وما لكم أي من...».

وأمرهم بالاستجابة قبل التورُّط وانقطاع الطمع والرجاء في التخلص وعدم دعوى الانكار لمن ظن التعلق به فحذّرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امْتُحِنَ، فتناسب ذلك كله أوضح تناسب.

٢٩٠ ـ الآية الخامسة من سورة الروم، قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ[١] وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٤٦).

وفي سورة الجاثية (١٢): **﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾**.

للسائل أن يسأل عن زيادة: **﴿ فِيهِ ﴾**، في سورة الجاثية، وكونه لم يثبت في سورة الروم[٢].

والجواب أن هذا لا إشكال فيه، لأن البحر لم يَجْرِ له ذكر في آية الروم، فلم يكن للضمير ما يرجع إليه، فلم يؤت به لهذا. ولو قصد محل جَرْي الفلك[٣]، للزم الإتيان بالظاهر ولقيل: ولتجري الفلك في البحر، وهو مفهوم من السياق، فلم يحتج إليه هناك. أما آية الجاثية فإنه لما قدم فيها ذكر البحر جيء بالضمير المجرور والعائد[٤] إليه على ما ينبغي وكان له مفسراً، فحَسُن الإتيان به، بخلاف آية الروم. فالفرق بينهما بيِّن لا خفاء فيه[٥].

---

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه: «الآية».

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة «فيه» في..).

(٣) في ك فقط وبقية النسخ: الحكم.

(٤) ج، ك: العائد.

(٥) ج: زاد هنا «والله سبحانه أعلم بما أراد».

سورة لُقْمَانَ

۲۹۱ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا[1] كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (۷).

وفي سورة الجاثية (۷): ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن [۱۸۹/ ظ] تخصيص[2] آية لقمان بقوله: ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾..

والجواب عن ذلك والله أعلم أن آية الجاثية لما تقدم فيها قوله: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ فوَصَفَهُ بسماع آيات الله لم يكن ليطابقه[3] ذكر الوَقْر في الأُذُن، لأنه قد ذكر سماعه الآيات؛ والوَقْرُ مانع من السماع فلم يناسب الإعلام بالسماع ذكر الوقر المانع منه.

فإن قيل: لو ذكرنا هنا الوقر في الأذنين لم يكن إلاّ تأكيداً لبيان تولّيه وإعراضه، فكان يناسب. قلت: لو وَكَّدَ بذلك[4] لاقتضى مقَارَبَةَ[5] عدم السماع وليس المراد ـ والله أعلم ـ إلاّ أنه سمع وأعرض، فكأنه لم يسمع. ليجري الوارد هنا مع قوله تعالى فيمن صَمَّمَ على كفره من[6] يهود: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[7]، وإذا أريد إبقاء سماعهم ولم

---

(۱) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(۲) ب: صيغة السؤال (يسأل عن تخصيص..).

(۳) ج: ليطابق بقه (هكذا).

(٤) ج: بدلالته، هـ، م، ب: بدلالة.

(٥) م: مفارقة.

(٦) ج: ومن.

(۷) البقرة/ ۷٥.

يُرَدْ مَنْعُه البتَّة لم يناسبه[1] التأكيد المُقَرِّبُ من المنع، مع أن التنبيه الواقع مراد يحصِّل[2] المقصود. والله أعلم.

ولما لم يقع ذكر[3] سماع الآيات في آية[4] لقمان، وتقدم ذكر المشار اليه بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ بِهِ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ﴾[5]. وهذه زيادة مرتكب، فناسبها[6] ذكر زيادة الوقر، مع أنه لم يرد فيها ذكر سماعه الآيات، كما ورد في آية الجاثية. فازداد ووضح التلاؤم[7]، وأن عكس الوارد لا يلائم، والله أعلم بما أراد.

٢٩٢ ـ الآية الثانية من سورة لقمان [غ] قوله تعالى:

﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١٧).

وقال في سورة الشورى[8] (٤٣): ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

يُسأل عن مقتضى توكيد الخبر في هذه الآية، وسقوط التوكيد من الأولى.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية الشورى لما دخلها معنى القَسَم، كانت[9] على تقديمه، إذ اللام في قوله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾، توطئة له[10] ودالة

(١) ج: يناسب.
(٢) ك: تحصل، ب: تحصيل.
(٣) في ك، ب فقط.
(٤) ج، هـ، م: آيات.
(٥) الآية/ ٦.
(٦) ج: ناسبها.
(٧) ك: التلاوم، وبقية النسخ: التلايم.
(٨) ك: وفي الشورى.
(٩) في ك فقط وبقية النسخ: وكانت.
(١٠) ج، هـ: موطئه ودالة.

على تضمين الآية معناه، ناسب ذلك زيادة لام[1] التوكيد في خبر إنّ. وذلك ظاهر من[2] معنى الآية.

وأما آية لقمان، فقوله فيها ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ مجرد إخبار عن حال ما وقعت الوصية به، ولا مدخل للقَسَم هنا، ولا معنى له. فلم تدخل لام التوكيد في الخبر، إذ ليس في الآية معنى قَسَمٌ يستدعيها، ولا[3] وقع في اللفظ ما يُطْلَبُ[4] بها. فورد كل على ما يجب [١٩٠/ و] ويناسب. ولو قُدِّر العكس لما ناسب، والله أعلم[5].

٢٩٣ ـ الآية الثالثة من سورة لقمان قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٩).

وفي سورة فاطر (١٣): ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ [وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ] فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾[6].

وفي سورة الزمر (٥): ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله في سورة لقمان: ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ ﴾، فجرّ أجل[7] بإلى

---

(١) ج: اللام.
(٢) ج، هـ: في.
(٣) هـ، م، ك، ب: ولا ما وقع.
(٤) ج، هـ: تطلب، م: يطابقها.
(٥) ج: والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراد. انتهى (؟).
(٦) زاد بعدها من الآية في ك: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾.
(٧) ساقط من ج، هـ، ك، ب قوله: فجر أجل.

وفي السورتين بعد: ﴿ لِأَجَلٍ ﴾ بجر[1] أجل باللام مع اتحاد المعنى فما الفرق؟

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية لقمان تقدمها التنبيه على الاعتبار بها بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾، ثم قال: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾، فعطف بواو النسق المقتضية الجمع، فدخل هذا مع ما قبله تحت حكم التنبيه بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾. وحكْم التنبيه بالاعتبار منسحب على المجموع للاشتراك في اللفظ والمعنى، فطال الكلام بحسب ما اقتضاه مقصوده فناسب طوله الجر بما يناسبه مما لا يخرج عن معنى اللام الجارَّة وهو «إلى» فانْجَرَّ[2] الأجَل بها. ولما بنيت الأيتان بعد على إيجاز ليس في آية لقمان ناسبه الجرُّ باللام اكتفاء بما يحرز المعنى المقصود، ويناسب التركيب. وورد كل على ما يناسب أتم مناسبة[3]، والله أعلم.

سورة السَّجْدَة

٢٩٤ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٢٠)

وفي سورة سبأ (٤٢): ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن صرف[4] الوصف إلى العذاب أولاً، فذكّر فقيل: ﴿ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾، وصرفه ثانياً إلى النار، فقيل: ﴿ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾، فأنَّثَ الموصول والضمير، ما وجه ذلك؟ والجواب أنهم يكذبون بالنار وبعذابها

---

(١) ج، هـ، ب: فجر.
(٢) ج، هـ، ب: ما انجر.
(٣) المتضايفان ساقطان من م.
(٤) ب: صيغة السؤال (يُسأل عن صرف...).

وقد ورد العذاب مضافاً إليها في السورتين، والعذاب مذكر والنار مؤنثة، وعودة[1] الضمير إلى كل من المضافين[2] تحصّل المقصود على السواء، فإنما معنى السؤال عن تخصيص كل واحدة من السورتين بما ورد فيها.

والجواب أن آية [١٩٠/ ظ] السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾[3]. فلما تفصّل ذكر العذاب إعلاماً بإلحاق ضَرْبَيْه[4]: الأدنى، والأكبر بمن جرى الوعيد لهم والعذاب مذكر. وقد تكرر فتأكد[5] رَعْيُهُ مناسبة[6] عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكراً؛ ليجري ذلك كله مَجْرًى[7] واحداً. ولما لم يكن تِلْوَ آية سبأ، ولا قبلها ما يستدعي ذلك أعيد الضمير إلى النار مؤنثاً ليحصل في السورتين ورود الوجهين الجائزين، كما قدّم مع التناسب، والله أعلم[8].

سورة الأحزاب

٢٩٥ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٨).

وفيما بعدُ من السورة (٢٤): ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾.

يُسأل عما أُعقِبَتْ به كل من الآيتين، مع تقارب ما بُنِيَ عليه التعقيب.

---

(١) ج: وعود.

(٢) ج: المتضايفين.

(٣) الآية/ ٢١.

(٤) في ك فقط وبقية النسخ: ضربته.

(٥) م: بتأكيد.

(٦) ك: ناسبه.

(٧) ك: جريا.

(٨) ج: والله سبحانه أعلم بما أراد.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن اختلاف التعقيب[1] مَرْعِيٌّ فيه ما تقدم قبل كل[2] واحدة من الآيتين.

أما الأولى فالمتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ ولاَ تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ ﴾[3]، ثم لم يَعْدُ الكلام إلى ذكر شيء من مرتكبات المنافقين، ولا تفصيل أحوالهم، فناسب هذا قوله: ﴿ وأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾. والكافر بالنفاق كالكافر المتظاهر بكفره.

أما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾[4]. ثم تتابعت الآي معرّفة بسوء[5] مرتكباتهم[6]، وقبيح أفعالهم في ثماني[7] آيات، أو نحوها إلى قوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[8] ثم أعقب هذا بذكر حال المؤمنين وذُكِرُوا بأحسن ما يتحلى به الصادق في إيمانه فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[9] إلى عظيم ما وصفهم به سبحانه. ثم أعقب بذكر حال الفريقين فقال: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ[10] ﴾ جرياً على المطرد من عظيم حلمه[11]، وسَعَة عفوه ورحمته. وكل من هذا وارد على أعظم مناسبة.

---

(1) ج، هـ، ب: التعقب.
(2) ساقطة من ج.
(3) الأحزاب/٤٨.
(4) الأحزاب/١٢.
(5) في ك فقط.
(6) ك: مرتكبهم.
(7) ج، هـ: ثمان.
(8) الأحزاب/٢١.
(9) الآية/٢٢.
(10) زاد هنا في هـ: «وقد أبقى سبحانه عليهم بقوله: ﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.
(11) ك: ذاته.

قلت: وهذا مما يشبه المتشابه من الضرب الـذي يبنى عليه [١٩١/و] هذا الكتاب، وليس منه.

٢٩٦ ـ الآية الثانية من سورة الأحزاب[١] قوله تعالى:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾ (٣٨).

وفي آخر السورة (٦٢): ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه[٢] الاختلاف فيما أعقبت به كل آية منهما. ففي الأولى: ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾، وفي عقب الثانية: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى مُعَقَّبٌ بها قصة زينب أم المؤمنين وزَيْدِ بن حَارِثَةَ رضي الله تعالى عنهما، وما جرى في ذلك إلى أن تزوجها رسول[٣] الله صلى الله عليه وسلم، وإعلام الله له أن تلك سُنَّته سبحانه في عباده التي شاءها وقدَّرها[٤] حكماً ثابتاً فيمن تقدم من الرسل والأنبياء، ومن اهتدى بهديهم فلا حرج عليك[٥] يا محمد. فلا تُصْغِ الى قول منافق يقول: تزوج محمد من حَلِيلَةِ ٱبْنِهِ؛ فإن زيداً ليس ابنك، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾[٦]، وأنا شئت تزويجك إياها، وحكمت به في سابق علمي بعد تطليق زيد لها، وانفصاله عنها، ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾[٧] لِيُعْلَمَ أنَّ تلك[٨] سُنَّتُك وسُنَّةُ أمتك

---

(١) هـ: الأعراف.

(٢) ب: يسأل عن وجه الاختلاف.

(٣) ك: لرسول.

(٤) م، ك: قررها.

(٥) ج، ب: عليه.

(٦) الأحزاب/ ٤٠.

(٧) الآية/ ٣٧.

(٨) في ك فقط، وبقية النسخ: ذلك.

بعدك[1]؛ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قَضَوْا منهن وَطَراً. فهذه الآيات تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم، وتسلية له عن خوض المنافقين، وتنزيه لقدره العليّ، وتبرئه من كل مُتَوَهَّمٍ فيه أدنى نقص، ورافعٌ لما يُتَوَهم ويُقَدَّرُ[2] وليس على ظاهره السابق من قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾[3]. فهذه آية تعلَّق بها من كان في قلبه مرض، وتهجموا على بادٍ من مفهومها فقالوا: انه عليه السلام رآها فمال إليها وأحبها في حكاية ذكرها المفسرون[4]، يبطلها ويردها المقطوع به من أن زينب نشأت معه، ولم يزل يراها لمكان قرابتها منه. وقوله لزيد عَتِيقِه الذي أنعم الله [عليه] بالعتق: ﴿ اتَّقِ اللَّهَ ﴾، يريد اتق الله فيما تذكر عن زينب، لأن زيداً نسب إليها نشوزاً، وتوقفاً عن طاعته، فأمره بتقوى الله في أمرها، والتثبت فيما كان يحكيه مما كان يظنه نشوزاً. وقد كانت زينب رضي الله تعالى عنها أعظم قدراً من أن تقع في معصية النشوز [١٩١/ظ] عمداً، ولكن الزوجين[5] قد يطلب كل واحد منهما غاية في الوفاء يرى عند غلبة حب هذا المطلب عليه ما يُقَصِّرُ عنه نشوزاً. ففي الجاري من هذا قال له[6] عليه السلام: ﴿ اتَّقِ اللَّهَ ﴾، وأخفى عنه ما قد كان تقدم له من الإخبار بالوحي من أنه سيطلقها وأنّه عليه السلام سيتزوجها[7]. فهذا الذي أخفاه عليه السلام في نفسه ولم يتكلم به حتى أبداه الله، وقوله: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ ﴾، أي وتخشى كلام المنافقين، وقولهم: إن محمداً تزوج امرأة ابنه من حيث كان عليه السلام قد تَبَنَّاه قبل الوحي. وقصة ذلك مشهورة، فكانوا يقولون:

---

(١) ك: بعد.

(٢) ك: يتقدر.

(٣) الأحزاب/ ٣٧.

(٤) انظر: أسباب النزول/ ٢٣٧، واللباب/ ١٧٥.

(٥) ج: الزوجان.

(٦) ج: قاله.

(٧) ج: سيتزوجا.

زيد بن محمد. حتى نزل قولـه: ﴿ آدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾ ـ الآية[1] فقيل له عليه السلام وقد أدركه[2] الاستيحاش[3] من أن يتكلم المنافقون بذلك وخشية[4] منهم، فقال له ربُّه، لا تَخْشَ[5] أحداً فإنك إنما جَرَيْت في ذلك كله على ما بيّن الله لك من الشرع الذي[6] جعله سبحانه سبيلك ودينك الذي تدعو إليه، وطريق من تقدمك من الرسل الذين يبلّغون رسالات ربهم، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله، فالله أحق أن تخشاه أنت يا محمد، ولا تصغ إلى أحد ولا تستح منه، فإنك على صراط مستقيم. فقد وضح ما أخفاه في نفسه وهو الذي أبداه تعالى. ألا ترى أنّه سبحانه قد وعد أنه يُبْدِيَ ما أخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه؛ فهل أبدى في تلك القصة خلاف ما نطق به كتابه من قوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[7]. وكانت زينب تفخر بهذا وتقول لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم: «زَوَّجَكُنَّ أَهْلُكُنَّ وَزَوَّجَنِي آللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»[8] فهذا إخباره سبحانه، وما أبداه مما

---

(١) الأحزاب/٥، وزاد من الآية في ك ﴿لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ وحذف كلمة «الآية».

(٢) ج: أركه.

(٣) ك: الاستحياء.

(٤) ج: وحشة.

(٥) ك: تخشى.

(٦) في ك فقط، وبقية النسخ: والذي.

(٧) زينب هي: زينب بنت جحش الأسدية ابنة عمته عليه السلام، وأمها أميمة بنت عبد المطلب. وزيد هو زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي. سَبَتْه خيل من تهامة أغارت على الشام فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة، فوهبته هي للنبي صلى الله عليه وسلم. ويقال لزيد «الحِبّ» ولابنه أسامة بن زيد «ابن الحِب»، ويروى أن أبا زيد، وأخاه وعمه ذهبوا يطلبونه من النبي عليه السلام بعد أن عرفوه في مكة ـ فَخَيَّرَهُ النبي عليه السلام فقال زيد: ما أختار عليك أحداً. فجذبه عمه وقال: يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك، فقال: أي والله العبودية عند محمد أحب إليّ من أن أكون عندكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهدوا أني وارث مورث، فلم يزل يقال زيد بن محمد، إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم..﴾ «المفسرون مجمعون على أن قوله تعالى: ﴿ما جعل أبناءكم أدعياءكم﴾ نزل في زيد بن حارثة». قتل زيد في مُؤْتَة بالشام سنة ثمان هجرية. أنظر: أحكام القرآن للقرطبي ١١٨/١٤، ١١٩، ١٨٨ ـ ١٩٦، تفسير ابن كثير ٤٩٠/٣ ـ ٤٩٢، أحكام القرآن لابن العربي ١٤٩٢/٣، ١٤٩٤، ١٥٢٨ ـ ١٥٣٣. وللجصاص ٣٦٠/٣، ٣٦١، البخاري ١٤٣/٦، ١٤٤.

(٨) صحح الحديث البخاري وابن كثير من طريق أنس بن مالك. وروى ابن كثير عن محمد بن عبد=

أخفاه نبيه عليه السلام في نفسه. وما سوى هذا فاختلاق[1] وتَقَوُّلٌ. وقد تسامح المفسرون هنا، وتبع آخِرُهم أوّلَهُم في نقل ما كان الواجب تركه، إذ هو خلاف القرآن لمن وفق لتدبره ولحظ شهادة بعض لبعض. فهذا مقصود هذه الآية، ولمجموع ما ذكرنا أعقبت بقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾. وقد أتبعت الآية بذكر من سنّ سبحانه حكم هذه الآية لهم وأنّهم الرسل عليهم السلام فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2]. فتأمل هذا التعقيب[3] وقد قيل له عليه السلام: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾[4]، وقيل له: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[5]. وعرّفنا ربنا سبحانه أن نبينا كذلك فَعَل، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6].

وأما الآية الثانية فإنه سبحانه لما قال: ﴿ لَّئِن لَّمْ [١٩٢/و] يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ - إلى قوله[7] - ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾[8]، اتبع تعالى بالإخبار أن تلك سنته الجارية في الذين خَلَوْا من قبل وهذا كقوله ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ التي قد خلت في عباده فاعلم أنها سنته الجارية فيهم، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾. وقد تكرر هذا في مواضع من كتاب الله سبحانه ووضح هنا التناسب في كل من الإعْقَابَيْنِ والله[9] سبحانه أعلم بما أراد.

= الله بن جحش: أن زينب تفاخرت وعائشةَ أم المؤمنين رضي الله عنهما فقالت زينب: «أنا التي نزل تزويجي من السماء» أنظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٢، ٤٩١ وأحكام القرطبي ١٤/ ١٩٥.

(١) ك: اختلال.
(٢) الأحزاب/ ٣٩.
(٣) ب: التعقب.
(٤) الإسراء/ ٧٧.
(٥) الأنعام/ ٩٠.
(٦) المؤمنون/ ٧٣.
(٧) أكمل الآية في ك: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾.
(٨) الأحزاب/ ٦٠، ٦١.
(٩) إلى آخر الجملة محذوف من ب.

سورة سبأ

٢٩٧ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (٩).

وقال بعد ذلك (١٩): ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[١]، بالإفراد في الأولى، والجمع في الثانية. فللسائل أن يسأل عن ذلك[٢].

والجواب عنه[٣] أن الإشارة أولاً إلى قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[٤]. ولم يتقدم ما حُرِّكُوا للاعتبار به غير هذا. وقد انضم ذلك تحت «ما» الموصولة ولفظها مفرد، فروعي [من] حيث اللفظ فقيل: ﴿ لَآيَةً ﴾، بالإفراد.

وأما الآية الثانية فتقدم قبلها قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[٥]، ثم قال: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾[٦] ثم قال: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[٧] ثم قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ[٨] آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ ـ الآيات[٩]. فذكَّر سبحانه بالاعتبار بما منح داود من تسبيح الجبال

---

(١) نص الآية في سور: إبراهيم/ ٥، لقمان/ ٣١، الشورى/ ٣٣.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الإفراد في الأولى والجمع في الثانية).

(٣) ك: عن ذلك.

(٤ ـ ٧) سبأ/ ٩، ١٠، ١٢، ١٣ ـ ١٤ على الترتيب.

(٨) جميع النسخ: «مساكنهم» في الآية وشرحها. وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر. وما أثبتناه رواية حفص عن عاصم في المصحف المتداول. أنظر: السبعة/ ٥٢٨، النشر ٢/ ٣٥٠، الاتحاف/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٩) سبأ/ ١٥.

والطير معه، وإلانة الحديد وبما سخر لسليمان من الريح، تحمله[1] وجنُودَه حيث شاء في السرعة التي أشارت إليها الآية، وإِسَالَةِ عَيْنَ القِطْر له وهو النحاس المذاب، وعينه معدنه، وعمل الجن بين يديه تسخيراً فيما يريده من عمل ما شاء مما في قُوَاهُم. ثم ذكر ما كان لسبأ في مساكنهم من آية الجنتين عن يمين وشمال، وأكلهم منها، وتنعّمهم[2] إلى أن أعرضوا فأرسل عليهم سيل العَرِمِ إلى آخر قصتهم. فهذه المعتبرات[3]، لم تدخل تحت موصول، ولا اسم مفرد يضم جميعها، بل ذُكِرَتْ مُفَصَّلَةً فقيل إشارة إلى جميعها: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾، ولا يمكن إلاّ هذا، إذ لم يتقدم مفرد من موصول أو [١٩٢/ظ] غير ذلك، [مِمَّا[4]] يجمع الكل ويرجع[5] إليه الضمير مفرداً، كما في الآية الأخرى. فقيل هنا: ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ ولم يمكن الإفراد هنا، وأمكن في الآية الأخرى لِوَحْدِيَّةِ الموصول الجامع لما تَفَصَّلَ بعده، فروعي لفظه، لأن ذلك أوجز من رَعْيِ معناه. ثم إنَّ المعلوم من لسان العرب إذا تقدم من الأسماء المفردة ما له لفظ ومعنى فإن رعي لفظه في عودة ضمير، أو تفسير أَوْلى. ثم قد يراعى المعنى بعد فيعود الضمير بحسبه من تثنية أو جمع. ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[6]. فقوله: ﴿ يُؤْمِن ﴾ و﴿ وَيَعْمَلْ ﴾ و﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ رعي للفظ «مِنْ»، وهو مفرد، فعاد الضمير إليه مفرداً. وقوله بعد: ﴿ خَالِدِينَ ﴾ رجوع إلى المعنى[7]، ويَقِلُّ رَعْيُ المعنى بَدِيهاً في هذه الألفاظ التي هي مفردات، تحتها كثرة. ومنه بيت الكتاب (الطويل):

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لاَ تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ[8]

(١) ج، هـ، م: فحمله.

(٢) ك: وتنعيمهم.

(٣) ك: المعتبارات.

(٤) جميع النسخ: ما.

(٥) جميع النسخ: يرجع ـ بدون واو.

(٦) الطلاق/ ١١، وزاد في ك من الآية كلمة ﴿أَبَدًا﴾.

(٧) في ك فقط وبقية النسخ: للمعنى.

(٨) البيت للفرزدق في ديوانه/ ٨٧٠ والكتاب ٢/ ٤١٦، مجاز القرآن ٢/ ٤١، معاني الحروف/ ١٥٨،

فقال يصطحبان، فأعاد الضمير على معنى «مَن»، والإعادة الى اللفظ أكثر، وعليه قيل في الاية الأولى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ بالإفراد على الأولى والأكثر مع جواز وروده عائداً على المعنى إنِ اعتضد ذلك.

أما الأية الثانية فجمع آيات فيما لا يمكن خلافه. فورد كل على ما يجب ويضع العكس لما ذكر. فإن قيل: إن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾ ـ الآيات، استئناف باللام التي تقع جواباً للقسم. فقد يقال إنها تقطع [ما] بعدها عما قبلها، وإذا أمكن هذا فما المانع من رجوع اسم الإشارة إلى ما بعد قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ[1] ﴾ وتلك قضية مفردة، فكأن يكون الوارد هنا: «الآية» ـ على الإفراد ـ رعياً لمعنى القصة. فالجواب أنَّا لو فرضنا هذا الاعتراض لازماً، لقلنا إن قصة سبأ قد انطوت على تفصيل يقتضي جمع آيات، إلاَّ أن الاعتراض أولاً غير لازم إذ قد يشار إلى مجموع قصص تَفَصَّلَتْ ودخل كل قصة في أولها هذه اللام، فلم يمنع ذلك من عودة اسم الإشارة إلى الجميع كقوله تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ﴾[2] والإشارة بأولئكم[3] إلى كل من تقدم ذكره في أول قصة نوح عليه السلام إلى قصة فرعون. وقد ابتدئت كل قصة منها «بلقد» ثم اشير بعد إلى الجميع ليعتبر بأحوالهم. فكذلك في الآية التي نحن فيها فسقط الاعتراض، وتبين أن كل آية واردة، على أوضح التناسب، والله أعلم.

---

* معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٨، شواهد النحو/ ٣٠٨٠. وهو من شواهد سيبويه في باب: إجراء صلة «منْ» وخبره كصلة اللذين والذين تثنية وجمعاً.

(١) ك: الآية.

(٢) القمر/ ٤٣.

(٣) ج، هـ، م: ألائكم.

سورة الملائكة[1]

قد تقدم ما فيها، وكذلك سورة يس.

سورة والصافات[2]

٢٩٨ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (١٥، ١٦).

[١٩٣/ و] وقال فيما بعدُ (٥١ ـ ٥٣): ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ. يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾.

للسائل[3] أن يسأل عن قوله أولا: ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، وثانياً: ﴿ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾، لما اختلفا، مع أن مرادهم في الموضعين إنكار البعث بعد الموت.

والجواب أن الموضع الأول لم يتقدمه شيء يوجب عدولهم عن التعبير عن معتقدهم[4] في إنكار الإحياء بعد الموت. فورد على ما يطابق معتقدهم. وأما الآية الأخرى، فقد تمهد قبلها ذكر الجزاء الأخراوي وذكر السؤال. فأول ذلك ذكر ما يقال لهم إذا حشروا، قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[5]، وقوله بعد: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[6]، وقوله بعد: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[7] وهذا في الآخرة إلى قوله: ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾[8] وهذا قول

---

(١) هي سورة فاطر.

(٢) ب: «سورة الملائكة وسورة يس وسورة والصافات. الاية الاولى منها» ـ (هكذا).

(٣) إلى قوله: «لما اختلفا» محذوف من ب.

(٤) ما بعدها إلى قوله: «معتقدهم» محذوف من ك.

(٥ ـ ٨) الصافات/ ٢٤، ٣٩، ٥٠، ٥١ على الترتيب.

الكافر، وقد باشر العذاب فأخبر عن قرينه الذي قُيِّض[1] له المشار إليه بقوله: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[2] فأخبر عنه أنه كان يقول له في دنياه: ﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي مجزيون بأعمالنا، وما اجترحناه في دنيانا. وفي طي قولهم: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ إنكار البعث لإنكارهم ما ينبني عليه، ويترتب بعده من الجزاء. وقد تقدم ذكر الجزاء، فناسبه ذكر تعجبهم منكرين وقوعه، ولم يكن ليحسن وقوع: ﴿ لَمَدِينُونَ ﴾ في الآية الأولى، إذا كان يكون هناك غير مفصح بإنكارهم البعث، ولا ورد قبله ما يستدعيه، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٩٩ ـ الآية الثانية قوله تعالى في ختام قصة نوح عليه السلام:

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] (١٠٥).

ثم أعقب القصص الثلاث بمثل هذا. أعني قصة ابراهيم، وقصة موسى وهارون وقصة إلياس[4]، إلاّ أنه ورد في قصة إبراهيم: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ. كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5] فسقط منها لفظ «إنَّا» وثبت في القصص الأخَر[6]. فيسأل عن وجه اختصاص قصة إبراهيم دون غيرها بذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه تقدم في قصة إبراهيم نفسها قوله: ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[7]. ثم لما كرر لينبني عليه قوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[8]، كما في نظائره من ختام القصص الأخر

---

(١) ك: عن قوله المقيض له، ب: النقيض.

(٢) الزخرف/ ٣٦.

(٣) هـ: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ. كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وهو نصُّ الايتين/ ١٠٩، ١١٠ مما بعد الاية.

(٤) هـ: الناس.

(٥) الصافات/ ١٠٩، ١١٠.

(٦) ج: الأخرى.

(٧، ٨) الصافات/ ١٠٤ ـ ١٠٥، ١١١.

كرر قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، لبناء علة [١٩٣/ ظ] الجزاء ومُوجِبه عليه كما تكرر قوله: ﴿ أَنَّكُمْ ﴾ في قوله: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾[1]. فكرر[2] ﴿ أَنَّكُمْ ﴾ تأكيداً لينبني عليه الخبر، فكذلك كررت هنا الجملة بأسرها[3] وهي قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، لينبني عليها ما ورد علة موجبة لجزائهم، لتجري هذه القصة مجرى نظائرها، ولم يكرر حرف التأكيد والضمير المنصوب به، إيجازاً واختصاراً لذكره فيما تقدم في القصة نفسها. فوضح أنَّه لا فرق بينها وبين ما اكتنفها من القصص الواردة فيها ذكر ﴿ إِنَّا ﴾ بوجه.

فإن قيل: ولم أخر قوله: ﴿ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن قوله أولاً: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، حتى احتيج إلى تكرير: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، من الجمل الواردة مورد جُمَلِ الاعتراض إشادة بجلالة إبراهيم، وإعلاماً بعظيم جلاله[4]، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴾[5]. ثم أكد عظيم الاعتبار[6] به، فقال: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ ﴾[7]. فلما طال الكلام بما ورد تتميماً وتكميلاً لحاله عليه السلام، وبَعُدَ عن قوله: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، أعيد منه الجملة الواقعة خبراً، لأن ينبني عليه ما بنى على نظائره من قوله: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[8].

فقصة إبراهيم عليه السلام أوفَى هذه القصص تعريفاً بكمال الحال، ولم ينقص منها شيء من الإخبار بصفة الجزاء وسببه كما في غيرها، بل زاد فيها ما ورد

---

(١) المؤمنون/ ٣٥.
(٢، ٣) ساقطتان من ك.
(٤) هي وما بعدها إلى قوله «أكّد عظيم» ساقط من «ك».
(٥) الصافات/ ١٠٦.
(٦) هـ، ب: الاعتناء.
(٧) الآيات/ ١٠٧ ـ ١٠٩.
(٨) الصافات/ ١١١.

إعراضاً كما تبين. وذلك لما زاد في قصته من عظيم ابتلائه وزيادته[1]، والله أعلم بما أراد.

٣٠٠ ـ الآية الثالثة من سورة والصافات (غ) قوله تعالى:

﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ (١٠١).

وفي الذاريات (٢٨): ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾. والمُبَشَّر به واحد، والقصة واحدة. فللسائل أن يسأل عن موجب اختلاف الصفتين في السورتين[2].

والجواب أن موجب تخصيص الآية الأولى بصفة الحلم ما اقترن بها من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ ﴾ ـ الآية[3]، وجواب ابنه عليهما السلام له بقوله: ﴿ يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[4]، واتباعه[5] ذلك تسلية لأبيه، وامتثالاً لأمر ربه: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾. فلما دلَّ جوابه على عظيم حاله وتلقيه عظيم هذا الابْتِلاءِ بالرضى والصبر التام امتثالاً لأمر ربه[6]، وإرضاء أبيه كان ذلك مبيِّناً لجليل[7] حلمه، ووفور كماله في حاله، مع وصفه في سنة الأولين والابتداء.

أما آية سورة «والذاريات» فلم يقع فيها ذكر هذه القضية [١٩٤/ظ] فورد فيها وصفه بالعلم المحرز لجليل نبوته. ولو ورد في السورتين عكس الوصف الوارد، لما ناسب هذه المناسبة الحاصلة، والله أعلم.

---

(١) ك: وزيادة.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب اختلاف الصفتين في السورتين مع أنَّ المبشر به..).

(٣، ٤) الصافات/ ١٠٢. وزاد في «ك» من الآية: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾.

(٥) هي وما بعدها إلى قوله: «عظيم حاله» ساقط من ك.

(٦) هي وما بعدها إلى قوله: «في حاله» ساقط من ك.

(٧) ب: بجليل.

٣٠١ - الآية الرابعة من سورة والصافات قوله تعالى:

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥).

ثم قال (١٧٩): ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ يُسأل عن الضمير المفعول وثبوته أولاً في قوله: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ[1] يُبْصِرُونَ ﴾، وسقوطه ثانياً في قوله: ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾، عن وجه التكرار.

والجواب عن ذلك التكرار، تأكيد وتشديد في الوعيد، وتناسب ذلك بيِّنٌ مألوف في كلام العرب. وأما سقوط الضمير في الثاني فيحرز عموماً لهم ولغيرهم في الوعيد، لأن قوله: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾: المراد به أمره عليه السلام بأن يترقب ما ينزل بهم ويحل بساحتهم من الانتقام، وإعلاماً[2] صلى الله عليه وسلم بكفايته إياهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[3]. فكان كذلك[4]. وقال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[5]. ففعل ذلك بهم يوم بدر فقد مَنَّ[6] الله سبحانه بتأنيس[7] نبيه[8] عليه السلام بإخباره إياه في هذا الوعيد لهم[9] بأخذهم وقطع دابرهم، ثم أردف هذا الوعيد بوعيد ثان فيه عموم يشملهم، ولا يرجع عن تناول غيرهم ممن سلك مسلكهم، ويشعر بحاله هو عليه السلام، وحال من أذعن واستجاب له. فقال ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾، أي ترقب ما أفعل لك من تأييدك[10] ونصرك وجزائك الأُخْرَاوي، وجزاء مَن آمن بك بما لا عَيْنَ رأت، ولا أُذُنَ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وما أفعل بمن عاداك وعاندك ممن باشرك بتمرده وطغيانه، أو

---

(١) هي وما بعدها محذوفتان من هـ. ك.

(٢) في ك فقط، وبقية النسخ: إعلامه.

(٣) الحجر/ ٩٥.

(٤) ك: ذلك.

(٥) القمر/ ٤٥.

(٦) هـ: فقدس، ك، ب: فقدم.

(٧) هـ، ك، ب: تانيس - بلا باء.

(٨، ٩) ساقطتان من ك.

(١٠) ك: مما بيدك.

بَعُدَ عنك[1]، من أخذهم وقطع دابرهم ووبيل جزائهم الأخْرَاوي. هذا مفهوم لا يرجع إطلاق قوله: ﴿ وأَبْصِرْ ﴾، عن إعطائه وتعميمه ذلك كله بما يعتضد من مواضع أُخَر. وتأمل ما فعل سبحانه بكِسْرَى حين مزَّق كتابه صلى الله عليه وسلم تمرداً وطغياناً وإن لم يباشره لما جاوز حَدَّ كفره إلى التمرد والطغيان مُزِّقَ هو وآله كل مُمَزَّق. وأما قوله: ﴿ وأَبْصِرْهُمْ ﴾، فخلص التناول للمباشرين لمكان التقييد بإعْمَال الفعل في ضميرهم. فهو وإن تناول أخذهم في الدنيا وتمكين نبيّه والمسلمين منهم ثم عقابهم الأخْرَاوِيّ ليبلغ بالتهديد والوعيد أقصى ما يحتمله فإنه لا يتعداهم إلى غيرهم. أما قوله: ﴿ وأَبْصِرْ ﴾، بإطلاق الفعل عن التقييد فقابل غير ممتنع عن تناولهم ومن سواهم[2] من كل من[3] خالفه عليه السلام وعاداه[4]، ومقتضى الوعيد لهم [١٩٤/ظ] ومقصود بشارته له عليه السلام؛ تجتذبان إطلاق الأمرين، وتعميم الطرفين من الوعيد والبشارة. فقد وضح أنه لا تكرار في الحقيقة، بل ورد ذلك كله على ما يلائم ويناسب. وعبّر عن ذلك كله بعبارة الإبصار، إشعاراً بقربه فكأنه بمنزلة المُعَايَن المُدْرَك بالبصر لتعجيل الدنياوي منه وتحقيق وقوع الأخْرَاوي، وتيقنه. فكل هذا على أوضح مناسبة، والله أعلم.

سورة «صٓ»

٣٠٢ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٤).

وفي سورة ق (٢): ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾.

---

(١) ك: عنا.

(٢) ب: سواهم.

(٣) ساقطة من م، هـ.

(٤) إلى قوله: «بشارته له عليه السلام» ساقط من ك.

للسائل أن يسأل عن ورود قوله في سورة «ص»: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ بواو النسق، وفي سورة «ق»: ﴿ فَقَالَ ﴾، بفاء التعقيب[1] والإخبار [عن[2]] حالهم واحد.

والجواب ـ والله أعلم[3] ـ أن آية «ص» وردت بمورد الإخبار بمرتكبات من افعال كفار العرب، وأقوالهم. فجيء بتلك الجُمَل منسوقاً بعضها على بعض فأخبر تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[4]، وأنهم: ﴿ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾[5]، ولم يكن من الملائكة كما قالوا: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾[6]، وأنهم رموه بالسحر والكذب، وعجبوا من جعله الآلهة إلهاً واحداً، وأنهم تمالأوا[7] على قولهم: ﴿ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾[8]، وأنهم قالوا: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[9]، أي ملة عيسى عليه السلام على زعم النصارى فيه، وقولهم بالتثليث. وقد تكرر منهم التعلق بقصة عيسى. ومن هذا قولهم في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾[10] وتحدّيهم[11] على الإفصاح بمرتكب النصارى في التثليث[12]، وأنهم أقرب الملل اليهم، وآخر من تقدمهم، وهم مُثَلِّثون فكيف تجعل أنت يا محمد الآلهة إلهاً واحداً. إنَّ هذا لشيء عجاب فجعلوا ما جاء به اختلاقاً[13] وتَّقَوُّلاً إلى ما ارتكبوه من هذا. فلما

---

(١) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه ورود آية «ص» بواو النسق، وآية «ق» بفاء التعقيب...).
(٢) جميع النسخ: من.
(٣) محذوف من ب قوله: والله أعلم.
(٤، ٥) ص/٢، ٤.
(٦) الفرقان/ ٢١.
(٧) م، هـ: تمالئوا، ك: تمالوا، وساقطة من ب.
(٨، ٩) ص/٦، ٧.
(١٠) الزخرف/ ٥٨ وزاد بعدها من الآية في ب ﴿ مَا ضَرَبُوهُ ﴾.
(١١) م، ب: وتحريمهم.
(١٢) بعدها في م، هـ: على أصل (هكذا).
(١٣) م، هـ، ب: اختلاقا.

قصد هنا الإخبار بجملة من مرتكباتهم جاءت منسوقاً بعضها على بعض بالواو التي لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً[1].

وأما آية «ق» فمقصود بها التعريف بتعجبهم من البعث الأُخْرَاوِي واستبعادهم إياه ولم يقصد هناك غير هذا [الذي] قصده. ألا ترى إقامة الدلالة عليهم باعتبار خلق السماء وتزيينها بالنجوم، وإحكام صنعتها، ومدّ الأرض وإرسائها بالجبال، وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء وإنبات الجنات وضروب [١٩٥/و] الحبوب والنخل الباسقات، ذات الطلع النضيد. ثم قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[2]، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾[3]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[4]. فلما كان قولهم ﴿ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ مبنياً على ما جاءهم به عليه السلام وأعلمهم من البعث بعد الموت، جعل الأول، أعني مجيئه عليه السلام مخبراً بذلك، سبباً في تعجبهم فربط[5] بالفاء، أي عجبوا من البعث بعد الموت فقالوا كذا[6]، فجاء لكل بما يحرزه، ولم تكن الفاء لتقع هناك، ولا الواو لتقع هنا، بل ورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٣٠٣ ـ الآية الثانية[7] من سورة ص قوله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ أُولَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ (١٢) ﴾[8].

---

(١) ك: تسبيبا.
(٢) ق/١١.
(٣) الأنبياء/١٠٤.
(٤) الإسراء/٩٩.
(٥) زاد بعدها في ك، ب: «به».
(٦) م: لذا.
(٧) هـ، ب: الثالثة، والصواب ما أثبتناه.
(٨) زاد في م، ب بعد هذه الآية: «وفي سورة غافر/٥: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾».

وفي سورة «ق»[1] (١٢): ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ. وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه ورود[2] هاتين الآيتين في السورتين على خلاف الترتيب المتقرر من ذكر الرسل وأممهم، وما جرى بين الرسل والأمم في سورة الأعراف، وهود، والشعراء، ثم عن وجه الخلاف الوارد في سياق آيتي «ص»، «ق» من جهة الترتيب في السورتين ووجه اختصاص كل واحدة منهما بما ورد فيها، وتعقيب آية «ص» بقوله: ﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾، وآية «ق» بقوله: ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ فهذه أربعة أسولة.

والجواب عن ذلك على الجملة[3] - والله أعلم - أن الوارد في السور الثلاث مقصود فيه إخبار الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من الرسل المذكورين مع أممهم تثبيتاً لفؤاده صلى الله عليه وسلم وتأنيساً. قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[4]، فذكر[5] أنباءهم عليهم السلام على الترتيب في أزمنتهم وإرسالهم.

أما سورة «ص» وسورة «ق»، فلم يبْن ما ورد فيهما على ذلك القصد، وإنما بناء ما في السورتين من ذلك على تسليته صلى الله عليه وسلم فيما كان يُكابِدُه[6] من عُتَاةِ قريش وكفار العرب في توقفهم عن الإيمان. فجرد لهذا القصد ذكر عتاة المكذبين وأخذه سبحانه إياهم. وقيل له عليه السلام تعريفاً بمآل كفار قريش ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾[7] فخالف[8] إيراد[9] ما في هاتين السورتين ما

(١) ساقطة من ب.
(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود..).
(٣) هـ، ب: عن الجملة، وسقط الجارّ والمجرور من «م».
(٤) هود/ ١٢٠.
(٥) في ك فقط، وبقية النسخ: فذكر أبناؤهم.
(٦) ب: يكاد به، وساقطة من هـ، ك.
(٧) ص/ ١٥.
(٨) ك: مخالفا، ب: مخالف.
(٩) ك: لا يُراد.

تقدم في غيرهما لاختلاف المقاصد، وجاء في كل واحدة منهما من الترتيب ما يلائم[1] ويناسب على ما تبين بحول الله تعالى.

[١٩٥/ ظ] فإن قيل: فإن سورة الحج ورد فيها ذكر الأمم[2] المكذبين في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ـ الآية[3]. فجرَّدَ ذكرهم عن ذكر الرسل إخباراً بمجرد تكذيبهم وأخذهم كما في سورة «ص»، وسورة «ق» وقد وردت على الترتيب الوارد في السور الثلاث، فقد خالفت[4] مقصود ما في تلك السور، ثم جرت على ما فيها من الترتيب. فما الفرق بينها وبين هاتين السورتين؟

قلت: الفرق بينهما أن مقصد آية سورة الحج الإخبار بتكذيب أولئك الأمم تسلية لنبينا عليه السلام من غير زيادة لما تعرضت له آية «ص»، وآية «ق». أما هاتان الآيتان فقد انْجَرَّ فيهما مع ذكر التكذيب والأخذ التعريف بتَعَزُّز عتاة[5] قريش، ومن وافقهم وذكر شقاقهم، وقبيح ردِّهم وتعاميهم عن النظر في الآيات والاعتبار بما نُصِبَ منها في الأرض والسموات. فلهذا المُنْجَرِّ[6] هنا انفردت سورة «ص»، وسورة «ق» بالوارد فيهما من الترتيب عن سورة الحج.

فإن قلت: فإذا اجتمعت السورتان فيما ذكر[7] فما وجه اختصاص كل آية منهما بما خصت به عن أختها من الترتيب؟

قلت: أما آية «ص»، فوجه اختصاصها بما ورد ترتيبها عليه، أنه سبحانه لما

---

(١) ك: يلام.
(٢) زاد بعدها في ك: «السالفة».
(٣) الآيات/ ٤٢ ـ ٤٤.
(٤) م، هـ، ب: خالف.
(٥) ك: كفار.
(٦) ب: المنحى.
(٧) م: ذكرنا.

وصف كفار قريش والعرب بالاعتزاز والشقاق بقوله: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾[1]، ثم عقب بذكر القرون المهلكة فقال: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٖ ﴾ ثم [أعاد[2]] ذكرهم مُفَصَّلاً قرناً قرناً، وأمة أمة، كان الأنسب لما قدم من ذكر عتوّ كفار العرب وشقاقهم، ذكر أعْتَى القرون من الأمم وأجرمهم[3]، فذكر قوم نوح من حيث لم يُجدِ عليهم تكرار الإنذار مع طول الأمد. قال تعالى مخبراً عن طول مدتهم وبُعْدَ إجابتهم قال نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا.فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[4]. إلى دعائه عليه السلام عليهم عند قطع رجائه منهم بقوله: ﴿ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوٓاْ إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[5]، إلى ما وصفهم سبحانه به وأنه لم[6] يؤمن منهم مع نوح إلا القليل بوجود ما تحلّت به عتاة قريش، ومُتَمَرِّدُو كفار العرب من العزة والشقاق في قوم نوح، أوضح شيء ثم اتبع ذكرهم بذكر عادٍ الموصوفين بالقدرة والطغيان القائلين: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[7]، القائلين لنبيهم عليه السلام: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ [١٩٦/ و] أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَاعِظِينَ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[8]. ثم أَتبع بذكر فرعون ذي الأوتاد والمراد هو وآله وقومه. وقد تكرر في القرآن مع ذكر فرعون وعُلُوِّهِ في الأرض وطغيانه ما أوضح شنيع مرتكبه وبُعْد شقاقه.ثم أتبع مَنْ ذُكِرَ بَعْدَهُمْ مراعي في ذلك مناسبة ما قدم، ثم ذكر اجتماعهم في موجب تمردهم وعتوهم، وهو

---

(١) الآية/ ٢.
(٢) جميع النسخ: عاد.
(٣) م: أجرهم.
(٤) نوح/ ٥ ـ ٧.
(٥) الآيتان/ ٢٦، ٢٧.
(٦) م: لن.
(٧) فصلت/ ١٥.
(٨) الشعراء/ ١٣٦ ـ ١٣٨.

تكذيبهم الرسل، فقال تعالى: ﴿ إن كلٌّ إلا كذّب الرُّسُلَ فحقّ عِقاب ﴾[1]. ثم أعاد الكلام إلى كفار قريش والعرب المبدوء بهم، والمُنَبَّهُون لو تنبهوا بأخذ من عاند وكذب، ممن[2] تقدمهم فقال: ﴿ وما ينظرُ هؤلاءِ إلاّ صيحةً واحدةً ما لها من فَوَاقٍ ﴾ أنهم إنْ تَمَادَوْا على شقاقهم فلا فرق بينهم وبين من تقدمهم من هؤلاء القرون: ﴿ وقد خلتْ من قبلهم المَثُلاتُ ﴾[3] فهل ينتظرون إلاّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم. ثم أتبع سبحانه ذكر مرتكبهم في استعجالهم العذاب وقولهم: ﴿ عجّل لنا قِطّنا قبل يوم الحساب ﴾[4] فأنبأ تعالى باستحكام كفرهم، وتكذيبهم، واستهزائهم الموجب لتعجيل أخذهم. ثم انصرف[5] الكلام إلى أمره سبحانه نَبِيَّه صلى الله عليه وسلم بالصبر على معاندتهم وَرَدِّي[6] مقالتهم، وتذكّر[7] أخيه داود، والاعتبار بأمره، وتسخيره سبحانه له الجبال، وحَشْرِهِ له الطير منقادة إلى مراده، وإلانته له الحديد وقلوب الآدميين [أهون][8] وأقرب. فلو شاء لهدى هؤلاء كما سخر الجبال لداود، ﴿ ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هُداها ﴾[9]. وهذا وجه ذكر داود عليه السلام هنا لا ما قاله الزمخشري، وقد تقدم الإيماء إليه عند[10] قوله تعالى في سورة طه: ﴿ فاصبرْ على ما يقولون ﴾ ـ الآية[11]، ويستوفي عقب هذا بحول الله. فهذا وجه اختصاص آية «ص» بما ورد فيها من الترتيب، وذكر القرون المُهْلَكَةِ بتكذيبها.

---

(١) ص/ ١٤.
(٢) م، هـ: ومن.
(٣) الرعد/ ٦.
(٤) ص/ ١٦.
(٥) في ك فقط.
(٦) ك: معانداتهم وردّ.
(٧) ك: وتذكير.
(٨) جميع النسخ: اهين.
(٩) السجدة/ ١٣.
(١٠) م، هـ، ب: في.
(١١) الآية/ ١٣٠.

وأما آية «ق»، فوجه الوارد فيها من إتباع ذكر قوم نوح بذكر قوم أصحاب الرَّسِّ، ومخالفة الوارد في سورة «ص»، أنَّ الوارد في آية «ق» قد انفردت عن آية «ص» بما قصد فيها مُفصَحاً به من ذكر تعامي قريش[1] والعرب عن النظر في خلق السموات والأرض، والاعتبار بمن تقدمهم من الأمم وأخذهم بتكذيبهم. ففي آية «ص» ذكر تجبرهم[2] وشقاقهم وطغيانهم، وفي «ق» ذكر تعاميهم عن الاعتبار والنظر فبدأ سبحانه بتذكيرهم بذِكْر حال السماء[3] والأرض في جليل خلقهما، وعظيم صنعهما[4] وإتقانهما، فقال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ [١٩٦/ ظ] فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾ - إلى قوله - ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[5]، والمراد أنهم وُفِّقُوا[6] فأمْعَنُوا النظر في بناء السماء وتزيينها بما جعل تعالى فيها من نجومها وسلامتها من فطور أو فروج. وفي إمتداد الأرض وإرسائها بالجبال، وإنبات ما فيها من كل زوج بهيج، وإنزال الماء من السماء، وإنبات الجنات، وحب الحصيد، والنخل الباسقات ذات الطَّلْع النضيد، وإحياء البلاد الميتة وتكرر ذلك عليها. فلو اعتبروا بهذا لاستوضحوا العودة والبعثة الأُخْرَاوِيّة: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾. فلما ذَكَّر سبحانه بخلق السموات والأرض، أعقب ذلك تتميماً جارياً على التذكير المتكرر في الكتاب بذكر القرون السالفة المهلكة بتكذيبها فقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾. ولما بنى ما تقدم من الاعتبار على الإشارة إلى الاستيفاء في عجائب الأرض والسماء ناسب ذلك بناء ذكر[7] مَن نُبِّه عليه ممن هلك بتضييع نظره واعتباره على الاستيفاء. فذكر طرفان ليحصل حَصْرُ مَن بَيْنَهُما أمّةٌ ممن تقدم وهم قوم نوح،وأمّة ممن تأخر وهم أصحاب الرَّسِّ ليحصل

---

(١) ك: كفار قريش.

(٢) هـ: خيرهم.

(٣) زاد في ك: وإتقانها، وحذف ما بعدها إلى: «صنعها».

(٤) ب: صنعها.

(٥) ق/ ٦ - ١١.

(٦) ب: وقفوا.

(٧) في ك فقط.

ما بينهما بإشارة الطرفين كما قال سبحانه في سورة الفرقان: ﴿ **وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا** ﴾[1]. وهذه الآية وآية «ق» مشيرتان إلى تأخر أصحاب الرَّسِّ عن كل من ذكر في القرآن من الأمم المهلكين بتكذيبهم ممن عيّن ذكره، والله أعلم. وقد اختلف المفسرون في أصحاب الرَّسِّ. والواقع لهم في مختلف أقوالهم[2] في ذلك ثمانية أقوال. ومن جملتها أنهم أصحاب الأُخْدُودِ. وقيل كانوا قوماً قتلوا نبيهم، ورموه في بئر لهم. زاد بعضهم أنه كان[3] اسم نبيهم حَنْظَلَة. وقيل هم من قوم شعيب عليه السلام. وقيل غير ذلك. والمقطوع به ما نطق به القرآن من وجود قرون كثيرة بين قوم نوح، وأصحاب الرَّسِّ. ويظهر من هذا الوارد في سورة «ق» أن مقصود الآية من استيفاء القرون المأخوذين بتكذيبهم غير وارد في غيرها. ألا ترى أنه قد أُفصح فيها بثمانية قرون منصوص عليها وهم: قوم نوح، وأصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبّع. والمراد فرعون[4]، وهو وقومه، ولم يرد في أوفى[5] المتكرر من الكتاب العزيز غير سبعة، والأكثر ستة، فدل على قصد الاستيفاء في هذه السورة. وعلى كل حال فقد ورد قوم نوح، وأصحاب الرَّسِّ طرفين لمن بينهما من القرون مقصود بهما[6] ـ والله أعلم ـ آسْتِيفَاءٌ بما بينهما إشعاراً في هذه وإفصاحاً بكثرة من بينهما بقوله في سورة الفرقان: ﴿ **وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا** ﴾.

وأما الوارد بعد الطرفين في سورة «ق» من ذكر ثمود وعاد ومَن ذُكِر بعد فقد يكون ـ والله أعلم ـ من قبيل ما ورد في القرآن ممن شمله لفظ متقدم غير مصرّح

---

(١) الآية/٣٨.

(٢) في ك فقط، وفي بقية النسخ: أحوالهم.

(٣) ك: لما كان.

(٤) ساقط من ك.

(٥) ب: أولى.

(٦) ك: بها.

[١٩٧/و]، ثم نص عليه اعتناء واهتماماً[1]، مع كونه قد ضمه ذلك اللفظ[2] المتقدم؛ كقوله تعالى: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ بعد دخولهما في لفظ الملائكة. وعلى كل حال فأصحاب الرَّسِّ متأخرون عن قرون كثيرة بعد قوم نوح بنص القرآن والله سبحانه أعلم. فلما ورد هنا ما يشير إلى الاستيفاء للاعتبار بهم جرياً مع ما تقدم من استيفاء الاعتبار بعجائب الأرض والسماء قدم ما يحصل بتقديمه ما أشير إليه من الاستيفاء ولم يكن القصد هنا ما قصد في آية «ص». فجاء كل على ما يجب ويناسب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[3].

وأما المُعقَب به كل واحدة من الآيتين من قوله في سورة «ص»: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾، وقوله بعد آية «ق»: ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ فراعى في ذلك الفواصل[4] في كل من السورتين؛ وإلاَّ فالعقاب والوعيد حق على كل من هؤلاء المكذبين. فإنما روعي الفواصل وقوله قبل آية «ص»: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ. أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾[5]. واستمرت فواصل الآي هكذا إلى ما بعد الآية، فاستدعى ذلك مناسبة، مقطع[6] الآية المتكلم فيها فقيل: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾.

وأما آية «ق» فنوسب بها أيضاً ما تقدمها من قوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾[7]. ثم قال: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾[8]. وورد أيضاً في الفواصل بعدها: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[9] إلى بضع عشرة آية جارية في مقاطعها على ما ذكر.

---

(١) ك: واستنها، ب: اهتماما واعتناء.
(٢) ك: اللطف.
(٣) هـ، ك، ب: والله أعلم.
(٤) ما بعدها إلى قوله «الفواصل» ساقط من هـ، م.
(٥) الآيتان/٨، ٩.
(٦) ك: فقطع.
(٧ ـ ٨) الآيات/٩، ١٠.
(٩) ق/١٥.

فناسب ذلك[1] قوله[2]: ﴿ كُلٌّ[3] كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾. وجاء كل على ما يناسب، وذلك واضح.

٣٠٤ ـ الآية الثالثة من سورة «ص» (غ)[4] قوله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ. ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (١٦، ١٧).

وفي سورة الأحقاف (٣٥): ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾.

وفي سورة القلم (٤٨): ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾.

ورد في هذه السور الثلاث أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر محالاً في الأولى على الاعتبار بحال داود وأنبائه، وفي الثانية على أولي العزم في اهتدائه واقتدائه، وفي الثالثة منبهاً بالجاري لذي النون في مُغَاضَبَتِهِ وندائه. والمتردد في غير هذه الآي، إنما هو أمره عليه السلام بالصبر غير مناط بذكر أحد من الرسل كقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[6]، وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ [١٩٧/و] بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[8]، إلى غير هذا من الآي[9].

---

(١) ك: ذكر.

(٢) ساقط من هـ، م.

(٣) ب: كله.

(٤) ساقطة من هـ، ك.

(٥) النحل/١٢٧.

(٦) الكهف/٢٨.

(٧) ق/٣٩.

(٨) الطور/٤٨.

(٩) ك: إلى غير ذلك هذا من الآي.

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك، وعن اختصاص[1] كل سورة من الثلاث بما ورد فيها، إذ ليست الإحالة فيها على حد سواء. فهذان سؤالان.

والجواب عن الأول[2] أن تكرار أمره عليه السلام بالصبر في الآيات المترددة على كثرتها أدل دليل على الاعتناء به صلى الله عليه وسلم لعظيم أجر[3] الصبر وشدة الحاجة إليه في كل مطلب ديني من أخذ أو ترك. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفته[4]: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[5]. وقال تعالى في قصة أيوب وحال ابتلائه: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا** ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ** ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا**

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما وما وجه اختصاص..).

(٢) زاد في ك: «والله أعلم».

(٣) ك: أمر.

(٤) ك: صفة الصبر.

(٥) روى مسلم الحديث عن اسحاق بن منصور: حدثنا حبان بن هلال، حدثنا أبان، حدثنا يحيى أنّ زيداً حدّثهُ أن أبا سلام حدثه عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها».

وقد تكلم الدارقطني وغيره من علماء المصطلح المُحَدِّثين في هذا الإسناد فقالوا: سقط فيه رجل بين أبي سلام وأبي مالك، والساقط عبد الرحمن بن غنم. قالوا والدليل على سقوطه أن معاوية بن سلام رواه عن أخيه عن جدّه أبي سلام، عن عبد الرحمن بن غنم، عن ابن مالك الأشعري. وهكذا أخرجه النسائي في باب الزكاة، وابن ماجه في باب الطهارة. يريدون بذلك تضعيف الحديث بأنه منقطع، بسقوط عبد الرحمن وقد صحح الإمام النووي الحديث قال: «ويمكن أن يجاب لمسلم عن هذا بأن الظاهر من حال مسلم أنه علم سماع أبي سلام لهذا الحديث من أبي مالك فيكون أبو سلام سمعه من أبي مالك، وسمعه أيضاً من عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك، فرواه مرة عنه ومرة عن عبد الرحمن. وكيف كان؛ فالمتن صحيح لا مطعن فيه والله أعلم. أنظر صحيح مسلم/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٦) ص/ ٤٤.

(٧) الزمر/ ١٠.

(٨) البقرة/ ١٥٣.

﴿ يَلْقَاهَا إِلاَّ ٱلصَّابِرُونَ ﴾[1]، وأحوج الخلق إلى الصبر الرسل عليهم السلام لعظيم ما يلقونه من مكابدة الخلق. فلشدة الحاجة إلى الصبر ما تكرر في عدة آيات أمراً له صلى الله عليه وسلم، ولأمته.

والجواب عن السؤال الثاني أن أمره عليه السلام بالاقتداء بالرسل، وقد ورد وتكرر في غير آية وتردد أيضاً أمره بالاقتداء بأبيه إبراهيم عليه[2] السلام لعظيم مقام إبراهيم، وجليل خلقه وأبوته، وتنبيهاً للعرب [لرجوعهم[3]] إليه انتساباً، واعترافهم مُقِرِّين بتعظيمه؛ وأما تخصيص السور الثلاث بتعيين ما ورد فيها، فلِمَا نذكره من الوجه الحامل والمناسبة في النظم.

أما سورة «ص» فوجه اختصاصها بالوارد فيها التئام نظم الآية بما تقدمها وارتباط قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلأَيْدِ ﴾، بما اتصل به من قوله: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾. بيان النظم في ذلك والتئامه أوضح التئام إن الله سبحانه لما ذكر حال العتاة من كفار قريش، وشنيع مقالهم لنبيه صلى الله عليه وسلم من لدن قولهم: ﴿ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ إلى ختمهم ما ذكر تعالى من سوء مراجعتهم بقولهم استهزاء، أو تكذيباً: ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ أتبع ذلك ملاطفة وتأنيساً لنبيه عليه السلام: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ تذكيراً له[4] بأن الجاري من ذلك إنما هو على ما شاءه[5] لهم في أزَلِهِ، وقَدْرِهِ عليهم، فليس خارجاً عن إرادته. فكأنه يقول لنبيه عليه السلام: اصبر على ما يرد منهم، وما يقولونه، فإنه مرادي منهم في سابق قَدَرِي، ولو شئت لهديت قلوبهم وسخرتها لإجابتك فقد سخرت الجبال مع داود والطير وألنت له الحديد، وقلب الآدمي أَلْيَن وأقرب: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾. فإذا علمت أن قلوبهم بيدي أقلبها كيف

---

(١) القصص/ ٨٠.

(٢) ك: عليها.

(٣) جميع النسخ: كرجوعهم.

(٤) م: لهم.

(٥) في ك فقط وبقية النسخ: مناه.

شئت فاصبر على ما يقولون واعتبر بما سخرته لداود واقْتَدِ بما منحته من الأَيْدِ والقوة. فهذا [١٩٨/و] وجه النظم والارتباط في هذه الآي والله أعلم.

وقد تعرض أبو الفضل بن الخطيب ـ رحمه الله ـ في تفسيره الكبير لتوجيه النظم فيما قدمناه؛ فقال: «إن قيل: أي تعلق بين قوله تعالى: ﴿ **ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ** ﴾، وبين قوله: ﴿ **وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ** ﴾؟. قلنا من وجوه:

الأول: كأنه قيل إن كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جرأتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر، فاذكر قصة داود؛ حتى تعرف شدة خوفه من الله ومن يوم[1] الحشر، فإنه بِقَدْرِ ما يزداد أحد الضدين شرفاً يزداد الآخر نقصاناً. انتهى معنى كلامه.

قلت: وهذا الذي حكاه ضعيف، لأن هذا الكلام إنما يثمر التعجب من فعل الله سبحانه، ولا يثمر تسلية ولا تأنيساً، وهما أنسب في الموضع.

وذكر وجهاً ثانياً: وهو أنه كأنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم لا يضق صدرك بسبب إنكارهم لقولك ودينك، فإنهم إن خالفوك فالأكابر من الأنبياء موافقوك.

قلت: وهذا أضعف من الأول لأنه عليه الصلاة والسلام انما يأْنَسُ بمُصدِّقِيه[2] من أمته. وأيضاً فقد كان ذكر إبراهيم لو قصد هذا الغرض من الموافقة أنسب لتعظيم العرب إياه وللاتفاق عليه ولعظيم خلقه.

وذكر وجهاً ثالثاً: وهو أن الخَصْمين اللذين دخلا على داود عليه السلام كانا من البشر، وإنما دخلا عليه لقصد قتله فخاف داود. ومع ذلك فلم يتعرض لأذاهما ولا دَعَى عليهما، بل استغفر لهما فأمر نبينا عليه السلام أن يقتدي به في حُسْنِ الخُلُق.

قلت: وهذا ضعيف كالذي قبله.

وذكر غير هذه الوجوه مما هو دون هذه في القوة، ثم أُعقب هذه بأن قال: وَفى

---

(١) ساقط من ك.

(٢) م: لمصدقيه.

هنا وجه آخر، أقوى وأحسن من كل ما تقدم[1]. ثم اعتمد في هذا التوجيه على أن قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾، ليس مما تقدم[2]، وإنما وجه اتصاله به أن العقلاء قالوا: من ٱبْتُلِيَ بخصم جاهل مُصِرٍّ متعصب ورآه قد خاض في التعصب والإصرار؛ وجب عليه أن يقطع الكلام معه في [تلك] المسألة[3]، لأنه كلما كان خوضه في تقرره أكثر[4] كان بعده عن القبول أشد. فالوجه حينئذ أن يُقطع الكلام معه في تلك المسألة، وأن يؤخذ في كلام آخر أجنبي عن المسألة الأولى بالكلية ويطنب في ذلك الكلام الأجنبي[5]، بحيث يَنْسَى ذلك المُتَعَقِّب تلك المسألة الأولى[6]. فإذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الأجنبي ونسي[7] المسألة الأولى، أدرج له أثناء الكلام في هذا الفصل الأجنبي مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول، فيحصل عن ذلك تسليم المتعصب لهذه [١٩٨/و] المقدمة. فإذا سلَّمها[8] فحينئذ يتمسك بباقي إثبات المطلوب الأول، فيتمكن من انقياده، ويرجى رجوعه إلى ما طُلِب به أولاً. وهذا معنى ما أراده أبو الفضل في هذا الفصل. ثم أشار إلى أن المُدرَج في هذا الكلام من المقدمة المناسبة للمطلب الأول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ ﴾[9].

قلت: وعندي أن ما ذكره من هذا [وإن] كان العقلاء قالوه، [و] إن كانت العرب تفعله[10] ويُعْرَف من كلامها ارتكابه، فإنما يكون ـ والله أعلم ـ على أوضح

---

(١) هكذا في ك، وبقية النسخ: مما كان تقدم.
(٢) ك: تقدمه.
(٣) ما بعدها إلى قوله: «تلك المسألة» ساقط من ب.
(٤) ك: اكثر.
(٥) ما بعدها إلى قوله: «تلك المسألة الأولى» ساقط من «ك».
(٦) محذوفة من ب.
(٧) بعدها في ك: تلك.
(٨) هـ، م: سلمنا.
(٩) ص/٢٧ ـ ٢٩.
(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: تفصله.

وأنسب مما ذكره[1]. والذي أراه جارياً على هذا المنهج الذي أراده ـ والله أعلم ـ قوله تعالى: ﴿ ق وَٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ. بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[2]. فهذا إنكار منهم للبعث الأخراوي واستبعاد وهو نحو من الوارد في سورة «ص»، فأعقب تعالى ذلك بقوله مما يشبه الالتفات وهو الذي زعم أبو الفضل أن العقلاء يرتكبونه عند لَدَدِ الخصم والأخذ فيما هو كالأجنبي فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ـ إلى قوله في ماء السماء ـ ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[3]. فبعد العدول عن مجاوبتهم في قولهم ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ذكر اختلاطهم المُسَبَّب عن تكذيبهم وتجبرهم المعبّر عنه بقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[4]، أي مختلط. صرف تعالى[5] الكلام الى نبيه صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ وذلك كله مُدرَك مُشاهَد لهم لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره. فعند تكرر هذا قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾. فهذا والله أعلم أقرب فيما ذكره أبو الفضل، وزعم أن العقلاء يرتكبونه.

وأما الوارد في سورة «ص»[6] فيَبْعُد ـ والله أعلم ـ أن يكون من هذا. ثم إنَّ القول بأن الوارد في سورة «ص» من قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾، أجنبي مما قبله وغير مناسب البتة، وأنه إنما أتى به لما ذكر من شَغْل الخصم المتعصب من ذلك عن الوجه الذي ذكر بَعيدٌ بالكلية، وإن ورد شيء مما يمكن أن يقال أنه من ذلك

(١) في لـ فقط، وبقية النسخ: ذكر.

(٢ ـ ٤) ق/ ١ ـ ٣، ٦ ـ ١١، ٥ على الترتيب.

(٥) م: عنها، ب: صرف نقل الكلام إلى نبيه.

(٦) ما بعدها إلى قوله: «في سورة ص»، ساقط من لـ، م.

الضرب، فلا أنسب أن يكون منه[1] الوارد في سورة «ق»، لا[2] الوارد في «ص».

وإذا[3] تأملته وضح لك ذلك وأن الوجه في نظم الكلام ما قدمته أولاً، وهو مما لا غُبارَ عليه، والله أعلم.

[١٩٩/ و] وقد تعرض الزمخشري لما تقدم في هذه الآي فأجاب عن ذلك بما جرى فيه على شنيع[4] المرتكب[5]، وسوء الأدب بناء على استبداد العبيد وفعلهم[6] ما لا يرضاه الخالق سبحانه ولا يريد، فجعل لله شركاء وأفرد العباد بأفعالهم استبداداً وملكاً فأجاب بناء على ما أصَّلَ، وما وُفِّقَ في هذا الموضع لوجه المطابقة ولا حَصَّلَ فقال: فإن قلت كيف تطابق قوله: ﴿ اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾، ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾، حتى عطف أحدهما على صاحبه. ثم قال[7]: «قلت كأنه قال لنبيه عليه [الصلاة] والسلام[8]: ﴿ اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ وعظِّم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود، وهو أنه نبي من أنبياء الله سبحانه قد أَوْلاَهُ ما أَوْلاَهُ من النبوة[9] والملك، لكرامته عليه، وزُلْفَتِهِ[10] لديه، ثم زَلَّ زَلَّةً فبعث إليه الملائكة ووبَّخه عليها[11] على طريق التمثيل والتَّعريض، حتى فَطِنَ لما[12] وقع فيه فاستغفر وأناب، ووجد منه ما يُحكَى من بكائه الدائم، وغمه الواصب، ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر والندم[13] عليها. فما الظن بكم مع[14] كفركم

---

(١) ساقط من ك.

(٢) في ك فقط، وبقية النسخ: ولا.

(٣) في ك فقط، وبقية النسخ: إذا ـ بلا واو.

(٤) ك: تشنيع.

(٥) م: مرتكبهم.

(٦) ك: فهم.

(٧) ساقطة من ج، ع، ب.

(٨) ك: صلى الله عليه وسلم.

(٩) ك: النبوءة.

(١٠) هكذا في الكشاف، وفي جميع النسخ: رأفته.

(١١) في ك فقط.

(١٢) ك: ما.

(١٣) جميع النسخ: مجدداً للندم عليها وما أثبتناه من الكشّاف.

(١٤) جميع النسخ: في وما أثبتناه من الكشّاف.

ومعاصيكم. أو قال له صلى الله عليه وسلم: «اصبر على ما يقولون وَصُنْ نفسك وحافظ عليها أن تزلّ فيما كلفت من مصابرتهم وتحمّل أذاهم، واذكر أخاك داود وكرامته[1] على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه[2] ونسبته[3] إلى البغي ما لقى»[4]. انتهى جوابه. وقد اجتمع فيه مخالفة الصواب، والبعد عن المطابقة. فإن تعظيم معصية الله كما قال الزمخشري بذكر قصة داود لقوم غير مؤمنين بأحد من الأنبياء. فالتذكير بذلك لمن يقول استهزاء وكفرا: ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾. فتذكيرهم بهذا مع ذكر الأنبياء بلفظ الزَّلَلِ أقرب شيء لاستمرارهم على الاستهزاء مع عصمة الأنبياء عما يقع عليه الزلل حقيقة. ثم قوله في الجواب الثاني عن داود عليه السلام أنه لقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته للبغي هذا كله خلف من المرتكب وإطلاق لا يجوز في حق الأنبياء. فقد جمع جوابه سوء الأدب، وشنيع المرتكب، والبعد عن المطابقة. والذي جاوبنا به لا غبار عليه، ولا توقف في مطابقته. نسأل الله سبحانه أن ينفعنا[5] به، يوم تبلى السرائر.

سورة الزُّمَر

٣٠٥ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ[6]. أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (٢، ٣).

---

(١) م، هـ: واذكر «كرامته».

(٢) م، هـ، ب: تطنبه، وساقطة من ك.

(٣) ما بعدها إلى قوله: «تظنيمه ونسبته للبغى» ساقط من ب.

(٤) أنظر الكشاف ٣/ ٦.

(٥) ب: انتفاعنا.

(٦) ما بعدها إلى آخر الاية محذوف من ب.

وقال فيما بعدُ (٤١) [١٩٩/ ظ]: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ ـ الآية[1].

للسائل أن يسأل[2] عن قوله أولاً: ﴿ إِلَيْكَ ﴾، وثانياً: ﴿ عَلَيْكَ ﴾، وهل بينهما فرق يوجب تخصيص[3] كل واحدة من العبارتين بمكانها.

والجواب أن «إِلَيْكَ» و«عَلَيْكَ» هنا مترادفتان على معنى واحد من معنى الخطاب فتارة يراعي وصول المُنزَل بواسطة الملك، وتارة يراعي وصوله من عند الله سبحانه من غير وساطة[4] فإذا روعي هذا قيل «عَلَيْكَ» وإذا روعي الأول قيل «إِلَيْكَ». قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ـ الآية[5]. وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[6]، والأول أكثر. فبدىء[7] هنا به. ثم إنه ورد في الآية الثانية: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾، واللام الجارة في قوله: ﴿ لِلنَّاسِ ﴾، تفيد الاختصاص، وترادف كثيراً لفظة «إلى». تقول[8]: الأمر لزيد، والأمر إلى زيد. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[10]؛ فلو وردت الآية الثانية بإلى فقيل: إنا انزلنا إليك الكتاب للناس، لكان ذلك كالمرادف[11] لقوله: أنزلنا إليك الكتاب إلى الناس، وكان يكون فيه إيصال الفعل إلى مجرورين بحرف واحد، ليس[12] أحدهما معطوفاً على الآخر. والعرب لا تقضي الفعل مما يطلب إلاً

---

(١) محذوفة من ك.
(٢) ب: صيغة السؤال (يسأل عن..).
(٣) ك: خصوص.
(٤) ك: واسطة.
(٥) البقرة/ ٤.
(٦) الكهف/ واحد.
(٧) ك، ب: فبدأ.
(٨) ك: تنزل.
(٩) المائدة/ ٩٥ وفي جميع النسخ «ومن عاد فأمره إلى الله» ـ تحريف.
(١٠) آل عمران/ ١٥٤.
(١١) ك: كالمراد.
(١٢) هـ، ك، ب: وليس.

واحداً فلا تقضيه طرفي زمان بغير حرف تشريك، ولا طرفي مكان، ولا تقضي مفعولين لفعل متعدّ إلى واحد، ولا ثلاثة مَفْعُولِينَ لمتعدّ إلى مَفْعُولَيْنَ إلاّ على طريقة البداية. ولا يصح ذلك في الآية، أو على التشريك بحرف العطف وليس ذلك في الآية أيضاً؛ فجيء بالآيتين على ما يناسب ويلائم، والله أعلم.

٣٠٦ - الآية الثانية من سورة الزمر قوله تعالى[١]:

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١١).

للسائل أن يسأل لم عُدّي[٢] الفعل الذي هو: ﴿ أُمِرْتُ ﴾ أولاً بغير حرف جر، ثم عُدّي ثانياً في قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ﴾ بحرف الجر.

والجواب عن ذلك أن العرب تقول: أَمَرْتُكَ الخَيْرَ، وأَمَرْتُكَ بالخَيْرِ. فعدى هذا الفعل بنفسه وبحرف الجر، وهو الأصل فيه، والحذف فصيح كثير. ويُلْحَقُ إذاك بباب أعطى وكَسَا في أحكامه. ومنه (بسيط).

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ[٣]

والآية من قوله: ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ ﴾، مثل البيت.

وإذا تقرر هذا فمفعول ﴿ أُمِرْتُ ﴾ الأول، وهو الضمير [٢٠٠/و] يقام مقام الفاعل، والثاني أن يكون وَصَل الفعل إليه بنفسه. والأصل: بأن أكون. وأما قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ﴾، فأقول: إنَّه محذوف منه حرف الجر كالأول. تقديره:

---

(١) الآية كلها ساقطة من ك، ومكانها الآية الثالثة على اعتبار أنها الثانية.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال لم عدّى..).

(٣) نسب سيبويه البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي وفي ديوانه/ ٣٥. ويقال أنه: للعباس بن مرداس، وزرعة بن السائب، وخفاف بن نُدْبَة، وأعشى طرود. أنظر: الكتاب ١/ ٣٧، الخزانة ١/ ١٦٤ - ١٦٦، وتعليق المحقق على البيت ص ٣٣.

وأمرت بأن أكون، فحذف منه حرف الجر الذي أَصْلُ الفعل أن يصل [به] إليه وهو الباء. وأما اللام في: ﴿ لأَنْ أَكُونَ ﴾، فمُبْقاة من محذوف يفهمه سياق الكلام مع الحرف المُبْقَى[1] منه، وتقديره: وأمرت لعلمي أولاً أن أكون أول المؤمنين. ألا ترى أن الوارد في الآيتين أمران: أولهما عام، والثاني خاص، لأن أمره عليه السلام بالعبادة والإخلاص أمر له ولأمته. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2]. فالآية من قبيل ما توجه فيه الخطاب له عليه السلام. والمراد هو وأمته. والخطاب يأتي كذلك ويأتي أوله خاص وآخره عام. ومنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[3]. وإذا ورد بصورة الخصوص به كان أمراً أو نهياً، فأمته داخلة معه في ذلك الحكم ما لم ينص على خصوصه لقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾[4]، فحكمه عليه السلام وحكم أُمَّتِه في هذا واحد. ثم قال تعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، فأفرده سبحانه بجواز الموهوبة بالنص على ذلك. ولولا قوله تعالى: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، لكان حكم أمته في ذلك كحكمه.

وإذا تقرر هذا فقوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أمر خاص به لا يشركه فيه غيره. ونظير[6] هذا قوله: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾[7]، والمعنى يحرز ذلك، بل لا يمكن خلافه. وذلك أن الحكم من[8] الأمر

---

(1) م، ك: المبنى.

(2) البينة/ ٥.

(3) الطلاق/ واحد.

(٤، ٥) الأحزاب/ ٥٠.

(6) ب: ويظهر هذا قوله: ﴿وأمرت أن أكون﴾ ـ (هكذا).

(7) الأنعام/ ١٤.

(8) م، ك: من الحكم.

والنهي، إذا جاء به الملك وتلقى[1] منه صلى الله عليه وسلم ما خوطب به وصدق به، وأسلم وجهه لربه بعد[2] ذلك يتلقاه[3] منه عليه السلام[4] من حضره وخاطبه ولا طريق لأحدٍ أن يتلقى حكماً لأمته عليه السلام بعد تلقيه هو ذلك من جبريل. فهو عليه السلام أول مؤمن، وأول مسلم، ولا تمكن تلك الأولية لغيره ولا نسبه إلينا[5] أحد. فقد وضح وجه دخول هذه اللام في قوله: ﴿ لأنْ أكُونَ ﴾.

٣٠٧ ـ الآية الثالثة[6] من سورة الزمر [غ] قوله تعالى:

﴿ **ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا** ﴾ (٢١).

وفي سورة الحديد (٢٠) [٢٠٠/ظ]: ﴿ **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا** ﴾. فورد هنا: ﴿ **ثُمَّ يَكُونُ** ﴾، وفي الأولى: ﴿ **ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ** ﴾ مكان «ثم يكون». فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك[7] وهل يمكن أن يراد في الأولى: ثم يكون، وفي الثانية: ثم يجعله.

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لا يناسب كُلاًّ من الموضعين إلاَّ ما ورد فيه، ولا يجوز على رعي التناسب اللازم لمن يموت. ورعيه في الكتاب العزيز غير ما ورد عليه الموضعان. ووجه ذلك أن آية الزمر وردت مورد التنبيه على الاعتبار وبالنَّصيَّة على ذلك افتتحت الآية. فقال تعالى خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ـ والمراد هو وأمته ـ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً** ﴾، والمراد به المطر فسلكه ينابيع في الأرض؛ أي أنفذه وأسراه في الأرض فدرّت عيونها، وجرت

---

(١) جميع النسخ: وتلقاه.

(٢) جميع النسخ: بعد ـ بلا واو.

(٣) هـ: يتلقاها.

(٤) ما بعدها إلى قوله: لأمته عليه السلام ساقط من م، ك.

(٥) م، ك، ب: إليها.

(٦) ك، هـ: الثانية.

(٧) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

مياهها من تلك المادة السماوية[1]، ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ ﴾[2]، فيُخرج سبحانه به الزرع المختلف الألوان والطعوم المتباينة[3] تسقى بماء واحد، ونُفَضِّل بعضها على بعض في الأُكُل ثم يهيج[4]، أي يتم جفافه فيبلغ الغاية التي بها كمال المنفعة فيه فتراه مُصْفَرًّا ثم يجعله تعالى حطاماً، فناسب[5] سبحانه كل حالة من تقلبات الزرع وتنقلاته من لدن خروجه ونباته وما بعد ذلك إلى تخلصه إلى نفسه، إذ لا طمع لمخلوق في ادِّعاءِ شيء من ذلك. ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ فافتتحت الآية واختتمت بالتنبيه على الاعتبار. فلما كان مبناها على ذلك ناسبه نسبة الفعل إليه تعالى فقال: ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ ﴾.

وأما آية الحديد فوردت مثالاً للدنيا وابتداء غرورها وصَغْوِ الكافر الغافل إلى ذلك، وإعراضه عن سرعة تقلبها وزوالها وفنائها. فلما قصد هنا المثال ناسب هذا المقصود قوله: ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾، إذ لم يتقدم[6] في أول الآية النسبة للفاعل اكتفاء بما هو غير خاف على كل ذي عقل سليم؛ فجرى آخرها على ما جرى عليه أولُّها كما جرى في آية الزمر آخرها من التنبيه على ما جرى عليه أولُّها وتناسب ذلك كله، وورد على ما يجب. ولم يكن بناء على ما صُدِّرَتْ به كل آية منهما[7] أن يكون في آية الزمر: ﴿ ثُمَّ يَكُونُ ﴾، ولا في آية الحديد: ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ ﴾ بل ورد كل على ما يناسب، والله أعلم.

---

(1) ما بعدها إلى قوله: «الالوان والطعوم» ساقط من ك.

(2) البقرة/ ٧٤.

(3) المباينة.

(4) ما بعدها إلى قوله: «المنفعة فيه» ساقط من ك.

(5) ك: فنسب.

(6) م، ك، ب: تتقدم.

(7) هـ، م: منها.

٣٠٨ ـ الآية الرابعة من سورة الزمر قوله تعالى:

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ (٤٨).

وفي سورة الجاثية (٣٣): ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختصاص[1] آية الزمر بقوله: ﴿ مَا كَسَبُواْ ﴾، وآية الجاثية بقوله: ﴿ مَا عَمِلُواْ ﴾ مع أن القصد[2] في الموضعين واحد، وهو أنه لم يَغِب من أعمالهم السيئة شيء.

والجواب عنه أن العمل أعم من الكسب، لأن الكسب واقع على ما للإنسان فيه تعمُّل وعلاج. وقد [٢٠١/و] يطلق في غير الإنسان إذا كان الواقع منه ذلك حيواناً يصح منه القصد كالجوارح المعَلَّمَة وشبهها. ومنه قوله[3]: (مجزوء الكامل).

وَتَجُرُّ مجْرِيَةٌ[4] لها ... لِحِمُى إلَى أَجْرٍ كَوَاسِبِ[5]

وأجْرٍ جَمْع جرْوٍ. وأما العمل فيقع على ذلك، وعلى ما جرى من فاعله، وإن لم يكن منه قصد ولا تعمل، ولا هو فاعل حقيقة فيطلق على ما لا يطلق فيه الكسب. ومنه بيت الكتاب: (بسيط).

حَتَّى سَنَا[6] مَوْهِنًا عَمِلٌ ... مَاتَتْ طِرَافًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنَمِ[7]

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص...).

(٢) ب: القصة.

(٣) البيت للأعلم الهذلي. هو ابن عبد الله، أخو صخر الغَيّ. ولقبُه. ويقال له: حبيب الأعْلَم. ديوان الهذليين ٢/٧٧، ٨٠.

(٤) لك، ب: بجرية.

(٥) في الديوان/ ٨٠ «حواشب».

(٦) البيت لساعدة بن جؤية: وروايته في ديوان الهذليين وكتاب سيبويه:

حتى شآها كليل موهنا عمل ... باتت طراباً وبات الليل لم ينم

انظر: الديوان ١/١٩٨، الكتاب ١/١١٤، شرح المفصل ٦/٧٢، المنصف ٣/٧٦، الخزانة ٣/٤٥٠، اللسان (شأي).

(٧) لك، ب: شناها.

فوصف البرق بأنه عَمَلٌ ومقصود الآية أنه بَدَا لهم كل ما كان منهم على الاستيفاء، لأنه إخبار موعظة وتهديد وإشعار بالوعيد فيناسبه ما يجري في المناقشة وإذا كان المعنى على ما ذكرنا؛ فالمطابق لهذا ما ورد في الجاثية من التعبير ببُدُوّ العمل. وعلى هذا ورد قوله في سورة النحل وعيداً للمقول لهم: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[1]، ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ ـ الآية[2]، ثم قال: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾[3]، ولم يرد هنا: ﴿ مَا كَسَبُوا ﴾ ـ الآية، من قصد التوسعة[4] مما يُبْدُون من أعمالهم، [ويُظْهِرُونَ[5]] الاستيفاء لذلك. وكذلك الوارد في الجاثية.

وإذا وضح هذا فيبقى[6] السؤال عما وضح في سورة الزمر لم عدل به من هذا فقيل: ﴿ مَا كَسَبُوا ﴾. والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنه لما ورد تتمة لما تقدمه من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[7]. فقوله: ﴿ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ يتناول ما قدموه من سيء أعمالهم، غافلين عنه وناسين له، كان مما قصدوه وأعملوا[8] فيه أنفسهم أو دون ذلك. فقد حصل من هذا مع ما بعده ما تحصل من قوله: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾، وكان قوله مع ذا[9]: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ كالتتمة المؤكِّدة[10] [وتناسب وما] قصدوه[11] واعملوا أنفسهم فيه، وحصل من مجموع ذلك المكتسب[12] وغير

(١ ـ ٣) النحل/ ٣٣، ٣٤.
(٤) ك: التوسعة والاستيفاء لذلك الوارد في الجاثية.
(٥) جميع النسخ: يظهروا.
(٦) ك: فينبغي.
(٧) الزمر/ ٤٧.
(٨) ك: عملوا.
(٩) ك: ذلك.
(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: المذكورة.
(١١) جميع النسخ: ومتنا ولا قصدوه.
(١٢) م، هـ: للمكتسب.

المكتسب، فلا فرق بين آية الزمر وآية الجاثية. ولو قيل في آية الزمر: ما عملوا؛ لكان تكراراً، لأن ذلك حاصل مما[1] قبلها. ولو قيل في آية الجاثية: ما كسبوا؛ لما كان وافياً بما بيّنا قبل[2] أنه مقصود الكلام فتبين خصوص كل من الواردين بموضعه، وأن عكس الوارد لا يمكن.

فإن قلت: ما الوجه في «ما»[3] من قوله: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾. قلت: هي نكرة موصوفة، كقولهم مررت بما مُعْجِبٍ لك، وإذاك يحرز ما تقرر من المعنى [٢٠١/ظ] بإبْهَامِها كما [أن][4] ما الاستفهامية [تأتي] حيث يقصد الإبهام تعظيماً[5] للأمر وتفخيماً، كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَاقَّةُ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[6]، وقوله: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾[7] تحرز لإبْهَامِهَا من عظيم أمر الحاقة والقارعة ما لا يَفِي به الوصف، أو الإبهام مقصود في التعظيم والتفخيم إلاّ من المعبر بها عنه. فإن قلت: إنّ ما، يقل وقوعها نكرة موصوفة. قلت بل هي حيث يقصد بها هـذا المعنى موجودة في كثير من كلامهم وإن كانت الموصولة أكثر منها، إلاّ أن الموصولة لا تحرز ما ذكرنا من المعنى إحرازها. فإن قلت: إنما يصح ما اعتمدتَ من المعنى على القول بتكليف ما لا يطاق وذلك إصرٌ[8] لم يتكلف به. قلت: أما انه من الإصْر فصحيح. وقد امتحن به مَن قبلنا وحمل عليهم بنص القرآن. وأما أن يقال إنّه مما لا يطاق، فلا يبلغ هذا؛ بل نقول أنه يطاق بمشقة. والآية ليست نصاً في هذه الأمة، بل ولا في أهل الشرائع وحدهم، وإنما هي فيمن ينكر البعث الأُخْرَاوي ومن جاراهم. ويبين ذلك ما ورد قبل آية الجاثية من قوله:

---

(١) م، هـ، ب: بما.
(٢) هـ، ب: قيل.
(٣) م: فيها، ك: هنا، وسقطت «في» من ب.
(٤) ب: كأن ـ ما.
(٥) ب: تنبيهاً.
(٦) الحاقة/ واحد.
(٧) القارعة/ واحد.
(٨) ك: أمر.

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهُ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ ـ الآية[1] وهو قول من لا يصدق بالبعث وليس هذا في اتباع الرسل. ثم إنّ تخويفها يعم جميع المكلفين والمؤمن الموفق أشد الخلق خوفاً، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون. ثم إنّا نقول بجواز التكليف بما لا يطاق عقلاً وبمنْعِه[2] شرعاً، وبسط هذا في مظانه[3].

٣٠٩ ـ الآية الخامسة من سورة الزمر قوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ (٧١).

ثم قال في أهل الجنة (٧٣): ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة[4] الواو في قوله: ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في الآية الثانية.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن إذا في مثل هذا الكلام جارية مجرى أدوات الشرط في احتياج الفعل بعدها إلى الجواب، إلاّ أن جوابها في قول[5] البصريين لا ينجزم إلاّ في الشعر. وأهل الكوفة يرون أنها تُجزَم في الكلام وقد اتفقا[6] في استدعائها الجواب. فوقع جوابها في الآية الأولى منطوقاً به وهو قوله: فتحت فلا مدخل للواو[7].

وأما الآية الثانية فجوابها محذوف مقدر. وقوله: ﴿ أَبْوَٰبُهَا ﴾، كلام معطوف على ما قبله كما عطف عليه ما بعده ولو كان جواباً لكان مقتضاه أنها لا تفتح إلاّ عند

---

(١) الجاثية/ ٣٢.

(٢) ك: وبمنعه.

(٣) اختلف المعتزلة وأهل السنة والجماعة في تكليف ما لا يطاق. فقال المعتزلة: يقبح تكليف ما لا يطاق عقلاً بالبديهة. ذلك أنه تعالى منزه عن النقص والقبيح فيحْرُم ذلك شرعاً. وخالفهم أهل السنة والجماعة فأجازوا تكليف ما لا يطاق لقوله ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ وأمثالها. أنظر: التوحيد للماتريدي/ ٢٦٦ ـ ٢٧٨، تفسير المعتزلة للقرآن الكريم/ ٤٣١ ـ ٤٣٥.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة..).

(٥) ب: قوله.

(٦) ك: اتفقنا.

(٧) ساقطة من ك.

مجيئهم، كالحال في أهل النار، وليس كذلك والله أعلم. ألا ترى قوله في سورة «ص»: ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ﴾[1].
فانتصاب مُفَتَّحَةً إنما هو على الحال، والحال قيد فيما قبلها. فإذا قلت: جاء زيد ضاحكاً، فالمعنى جاء زيد متصفاً وقت مجيئه بالضحك. فالضحك هيئته [٢٠٢/و] حين المجيء وليس المراد أن ضحكه جاء بعد المجيء. وإنما المعنى أن تلك صفته التي جاء عليها. فقد[2] تقدمت[3] مجيئه. ولهذا قدّر سيبويه ـ رحمه الله ـ قول بعض العرب: مررتُ برجل معه صقرٌ صائداً به غداً، فقدره: مررت برجل معه صقر مقدِّراً الصيد به غداً. فقدره بما هو حاصِلٌ ثابت وقت المرور[4].
ولهذا قالوا في قول العرب: قُمْتُ وأَصُكُّ[5] عَيْنَهُ، إنه من الشاذ النادر. ونحوه ما أنشدوه من قول الشاعر: (متقارب).

فَلَمَّا خَشِيتُ [أَظَافِيرَهُمْ[7]] نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ[8] مَالِكَا[6]

فهذا في غاية القلة. ويحسن ورود الماضي حالاً إذا كانت معه «قد»، لاقتضائها القرب حين يزول احتمال أن يكون منقطعاً، فيضاد مقصود الحال. فإنْ قويت الدلالة عليه من المعنى جاز وروده في الفصيح، وعليه جاء قوله تعالى في قراءة الأكثر: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾ الآية[9] لدلالة

---

(١) الآية/ ٤٩.
(٢) ك: بل.
(٣) ب: تقدم.
(٤) الكتاب ٢/ ٤٩.
(٥) ك: أصُدُّ عينه من.
(٦) البيت لعبد الله بن همام السلولي، أنظر: معاهد التنصيص ١/ ٩٦، همع الهوامع ١/ ٢٤٦، الدرر ١/ ٢٠٣، شرح الأشموني على الألفية ٢/ ١٧٨، المخصص ١٣/ ٢٣، العيني على شواهد الألفية ٣/ ١٩٠، الشعر والشعراء ٢/ ٦٥١ إصلاح المنطق/ ٢٣١.
(٧) جميع النسخ: أظافيره.
(٨) ك: وارهبهم.
(٩) النساء/ ٩٠.

المعنى. وقرأ يعقوب: «حَصِرَةً صُدُورُهُمْ» فَبَيَّنَتْ قِرَاءَتُهُ ما قرأ به الجماعة[1]. فقد تبين أن قوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ معطوف على جاءوها وليس جواباً.

ومما يبين ما ذكرناه في معنى الآية ويشهد له إخباره صلى الله عليه وسلم أنه أول من يُفتح له، وأول من يقرع باب الجنة[2]. فقد أوضح هذا أن الداخلين تَالُونَ له وبعده، فيجدونها مفتوحة الأبواب. وإذا لم يتوقف فتح أبوابها على مجيئهم، فليس قوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ جواباً لو فرضنا ألاّ يعتد بالواو كما يقول أهل الكوفة.

فإن قلت: فما جواب إذا؟. قلت: الجواب ـ والله أعلم ـ مقدّر بعد، يفسره المعنى كأن قد قيل: «حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طِبْتُم فادخلوها خالدين» أَنِسُوا وأَمِنُوا، أو ما يرجع الى هذا المعنى ويحرزه وإذ ذاك يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. وقد نقل منسوباً إلى أهل الكوفة أن الواو قد تُزَادُ في الجواب في مثل هذا. وعليه عندهم ما ورد من قول امرىء القيس[3]: (طويل).

---

(1) نسب الطبري هذه القراءة للحسن. وقال الدمياطي: أنه وافق يعقوب عليها. أنظر جامع البيان ٩/ ٢٢، الاتحاف/ ١٩٣، والنشر ٢/ ٢٥١.

(2) روى الترمذي والإمام أحمد بن حنبل في هذا أحاديث طوالاً عن أنس، وأبي هريرة، وأبي بكر الصديق، وعقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وجعلها الترمذي من الحسن الصحيح. وتجمعُ هذه الروايات على تفضيل الأنبياء لمحمد صلى الله عليه وسلم من آدم إلى عيسى. قال أنس: فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأُقعقِعُهَا فيقال من هذا؟ فيقال: محمد. فيفتحون لي ويرحبون، فيقولون: مرحبا. فأخِرُّ ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي: ارفع رأسك، سَلْ تعط واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾.
قال سفيان: وليس عن أنس إلاّ هذه الكلمة: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأُقعقِعُهَا» أنظر: الترمذي ٤/ ٦٢٤ رقم ٢٤٣٤، ٥/ ٣٠٨ رقم ٣١٤٨، مسند أحمد ١/ ٥٢ رقم ١٥.

(3) البيت في ديوان امرىء القيس/ ١٥ وعجزه:
* بنَا بَطْنَ خِبْتٍ ذِي رِكَامٍ عَقَنْقَلِ *
وانظر: الخزانة ٤/ ٤١٣، المنصف ٣/ ٤١، شواهد النحو/ ٢٢٩٧.

* فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى *

قالوا: وانتحى، جواب لما، والواو زائدة. وعند غيرهم أن قوله «وانتحى» معطوف على أجزنا، والجواب محذوف، أي: أنسنا، أو تحادثنا، أو ما يحرز هذا المعنى. ومن محسِّنات الحذف الطول هنا، وفي الآية الكريمة. ثم إنَّ الآية قد أوضح مقصودها ما ورد في سورة «صٓ».

فإن قيل: أن قوله[1] في تقدير الجواب في البيت: أنسنا، أو تحدثنا، توسعة في التقدير فليس ذلك[2] بمعين، ولا يحذف الجواب أو الخبر، أو ما يحذف إلاَّ بعد ما[3] يتعين. والجواب: إذا لم نقدِّر [٢٠٢/ ظ] ما يتغاير معناه. ولا شك أن المراد تعيينه إنما هو المعنى؛ ثم نحوم على ما يحصله من العبارة اللفظية مما يرجع إلى معنى واحد. هذا قول المحصِّلين. وهذا ردّ على من جعل خبر المبتدأ في قولهم: كل رجل وضَيْعَتُه هذا المعطوف الذي هو: وضيعته، وقال: إنّ الفائدة قد حصلت بذلك وتم الكلام، وتأوَّل[4] كلام سيبويه على هذا. وقال: إنّ الذي قدره الفَارِسيُّ وغيره أن الخبر مقترنان[5] لا يصح، لأنه يحتمل أن يقدر: مقرونان، أو متلازمان، فلا يتعين المحذوف، وإذا لم يتعين لم يجز حذفه. قيل له: إنّ سيبويه قدره كما قدره الفَارِسيُّ وغيره فقولهم واحد. فقال: تقدير سيبويه تقدير معنى، وإنما كلامنا في تقدير الإعراب، وما يجوز حذفه من اللفظ وما لا يجوز. وجوابه: أن سيبويه، وأبا عَليٍّ، ومن قال بقولهما، إنما اعتمدوا في الدلالة على أن الخبر محذوف بما تعطيه وتدل عليه، «واو ـ مع» في قوله: «وضَيعتُه» الذي اتفق الكل ـ وأنت معهم أنها بمعنى «مع» فدلت على معنى الالتزام فلا مبالاة بالاختلاف في تقدير الألفاظ المترادفة، ما لم يختلف المعنى. فتقدير مقرونان، أو متلازمان، أو متلاصقان إلى

---

(١) ك: قولك.
(٢) ك: إذاك.
(٣) ك: أنْ.
(٤) ك: وتأمل.
(٥) ك: مقرونان.

ما يحرز معنى الاجتماع الذي تعطيه وتقتضيه «واو ـ مع» لا تضييق في ذلك. وشأن من اغترَّ بنظره فلم يثبت[1] ولم يتهم نفسه ولا بَالَى بمخالفة الجماهير في كل صناعة؛ أنّه قل ما يصيب. والناس متفقون في هذه المسألة[2] على ما اعتمده سيبويه والفارسي، ولم يجعل أحد بينهما[3] خلافاً، إلاَّ ما زعمه هذا القائل. وقد خرج بنا الكلام إلى ما موضعه أوْلَى به. وأما الآية، فقد وضح أمرها، والحمد لله.

سورة المؤمن[4]

٣١٠ ـ الآية الأولى منها (غ)[5] قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (٧).

وفي سورة الشورى (٥): ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

للسائل أن يسأل عن الوجه في تخصيص[6] سؤال الاستغفار للمؤمنين في الأولى، وتعميمه في الثانية.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن ذلك جارٍ بحسب المناسبة. ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر ذكر المتقين في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ: يتلبث.
(٢) ك، ب: والناس في هذه المسألة متفقون.
(٣) ك: منهما.
(٤) هي سورة غَافِر.
(٥) في م فقط والآية من المغفلات.
(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص..).

إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾[1] وقول الملائكة لهم عند دخولهم الجنة: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[2]، وقول الداخلين عند دخولها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾[3] إلى ختام السورة [٢٠٣/و] ثم أتبع[4] ذلك قوله تعالى في مطلع سورة المؤمن: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ ﴾[5]، ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين[6] بصفات المذكورين. ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبراً عن ملائكته بقولهم داعين: ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾[7]. وأما قوله تعالى أثناء هذه الآي: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَادِ ﴾[8]، وقوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾[9] فتأنيس للمؤمنين وباعث على شكر النعمة على ما منّ به عليهم من هدايتهم وسلامتهم من موجب أخذ من كذّب، وعاند فَبَانَ التناسب في هذا كله.

وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في خاتمة سورة السجدة: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾[10]. ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى بقوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾[11] فلولا حلمه تعالى لتعجّل هَلَاكَهم باستغفار الملائكة لهم إبقاء منه سبحانه عليهم إذ لا يفوتونه، وقد يؤمن من سبقت له السعادة. فقد وضح مناسبة الوارد في الموضعين لما بُنِيَ عليه كل منهما[12]

(١، ٢) الآية/ ٧٣.

(٣) الآيتان/ ٧٤، ٧٥. وفي ب: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ - إلى آخر السورة، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في ب فقط وبقية النسخ: تبع.

(٥) غافر/ ٣.

(٦) م: المتصفين.

(٧ - ٩) الآيات/ ٧، ٤، ٥ على الترتيب.

(١٠) فصلت/ ٥٢ - ٥٤.

(١١) الآية/ ٥، وزاد منها في ك: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

(١٢) سقط من ك قوله: كل منهما.

وأنّ عكس الوارد غير مناسب، والله أعلم بما أراد.

٣١١ ـ الآية الثانية من سورة المؤمن قوله تعالى:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧).

ثم قال[1] (٥٨، ٥٩): ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ. إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

ثم قال (٦٠، ٦١): ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ. ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص كل آية من هذه الآيات[2] الثلاث[3]، بما فُصِّلَتْ به فقيل في الأولى: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وفي الثالثة: ﴿ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

والجواب عن ذلك مُجْمَلاً ـ والله أعلم ـ أن المخاطبين ممن عقَل لو نظروا واعتبروا لعلموا، ولو علموا لآمنوا، ولو آمنوا واستوضحوا النعم لشكروا. وبسط هذا الإجمال أن قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ مبسوط الدلالة في آية[4] البقرة، وهي قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ [٢٠٣/ظ] ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[5]:

---

(١) ك: وقال.

(٢) ساقطة من هـ، ك.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص كل آية من هذه الثلاث...).

(٤) م، هـ: آي.

(٥) آية/ ١٦٤.

ثم ورد في الكتاب العزيز بيان الدلالة بكل فصل من هذه الآية فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[4]، إلى ما جعل فيها من آيات الشمس والقمر والكواكب السيارة وجريها في بروجها ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ إلى إدخال الليل على النهار، والنهار على الليل بتدريج لا يَخِلُّ بالأبصار، إلى إنزال القَطْر من السماء إلى الأرض عند حاجتها؛ فتنبت من كل زوج بهيج، وتخرج من أنواع الثمرات مختلفات الألوان والطعوم تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل، إلى جَعْل الأرض مهاداً [وإرسائها[5]] بالجبال، وجري الأنهار بالمنافع، وتهيئة البحار لرجوع ما يفضُل عن حاجة الأرض وعُمَّارِها من الحيوان العاقل وغير العاقل إليها، وتشييد الأرض لجري المياه لئلا تقف فتضر [بعالِميها][6] ولا يتم لهم النفع بها. وهذا مع دَحوِها دَحْوًا يتهيأ به التصرف والمشي في مناكبها لمصالح الخليقة[7] ومنافعهم. وجعل ماء البحر مالحاً لئلا تتغير رائحته لطول مكثه؛ وتسخير الحيوان لتحريك مياه البحار من أسفلها، وتسخير الرياح مختلفة لتحريكها من أعلاها فيحرز ذلك بقاء مياهها سالمة من النَّتَن والجمود على مرور الأيام، وليصل العباد الى منافعهم بالتصرف فيها إلى حيث شاءوا باختلاف الرياح الحاملة فيها والمبدّدة لما يتصاعد من أبخرة الخلق وأنفاسها؛ إذ لولا تبديدها[8] لركدت في الجو

---

(١) ق/ ٦.

(٢) الملك/ ٥.

(٣) الأنبياء/ ٣٢.

(٤) الرعد/ ٢.

(٥) جميع النسخ: وأرساها.

(٦) ك: فعالها، بقية النسخ: معالمها.

(٧) هـ، م، ع: الصالح للخليقة.

(٨) ك: تبريدها.

فأضرت بالعالَم. إلى تقلب فصول السنة بتصاعد الشمس من برج الجدي إلى سرطانها، ثم انحدارها إلى الجدي جرياً بحكم الترتيب لانتقال النبات بإذن الله، وصلاح أبدان الحيوان، وإنضاج الفواكه وتهيئتها للانتفاع بها وتلوينها وترطيبها بحركة الشمس والقمر إلى ما يقصر عن استيفائه الذُكْر، ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[1] أفيَتكوَّنُ شيء من هذا بنفسه، أو يوجده نظيره ومماثله في الافتقار والاضطرار. ولقد شهدت الجملة ودلت أجزاؤها على الخالق المنزه عن[2] سماتها، المتعالي عن شبهها، المتقدس عن النِّدِّ والمثل والشريك والنظير [٣٠٤/ و] المتفرِّد بالخلق والتقدير: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[3].

فحق للآية الكريمة المشيرة إلى ما وقع الإيماء إلى بعضه أن يكون ختامها: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ فضرب سبحانه المثل بذكر الأعمى والبصير وهما حَالاَ المعتَبِر بخلق السموات والأرض وغير المعتبر، وحال المؤمن المُوَفَّق للاعتبار والمسيء[4] بتركه[5]. ثم أعقب بذكر الساعة التي لا يُعْلَم كنهها إلاَّ من الخبر الصدق فحُقَّ لهذه الآية أن يكون ختامها: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. ولو اعتبروا أولاً ونظروا في معجزات الرسل لوضح لهم صحة ما جاءوا به وصدقوا بالساعة. ثم أعقب من ذكر نِعَمِهِ بجعل الليل سكناً لراحة الحيوان وسكونه نهاراً مبصراً، أي يبصر فيه لتصرف الخلق في معايشهم إلى ما يَنْجَزُّ في الليل والنهار مما لا يحصى. وأوضحها ما نصت عليه الآية؛ فحُقَّ لهذه أن يكون ختامها: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾، فقد تبين مناسبة هذه الخواتم لما ختمت به، والله أعلم[6].

---

(١) يس/ ٣٨.

(٢) ب: على.

(٣) الأنبياء/ ٢٢.

(٤) هـ: والمثني.

(٥) في لث فقط، وبقية النسخ: بتركهم.

(٦) بعدها في هـ، لث: فصل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

سورة حمٓ السَّجْدَة[1]

٣١٢ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ ـ الآيات (٩).

قد[2] تقدم ذكرها في سورة الأعراف.

٣١٣ ـ الآية الثانية منها قوله تعالى:

﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا[3] شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ** ﴾ ـ الآية (٢٠).

وفي سورة الزخرف (٣٨): ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ[4] فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ** ﴾.

وقد تقدم في سورة الزمر قوله في أهل النار: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا** ﴾[5]، وفي أهل الجنة: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا** ﴾[6].

للسائل أن يسأل هنا عن زيادة «ما» في قوله[7] في سورة السجدة: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا** ﴾، وسقوطها في سوى هذه الآية.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن «إذا» تزاد بعد «ما» كثيراً فصيحاً، وقد لا تزاد وكلا المرتكبين فصيح. وإذا تكرر هذا، فمن المعلوم أيضاً أن العرب مع أنهم يؤثرون

---

(١) هـ، ك: السَّجْدة وهي سورة فُصِّلَتْ في المصحف.

(٢) ك: فقد.

(٣) ساقط من ك.

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من «ك».

(٥، ٦) الآيتان/ ٧١، ٧٣.

(٧) ب: صيغة السؤال (قيل ما وجه زيادة «ما» في قوله..).

إيجاز الكلام في الأكثر، قد يختارون[1] الطول ومدّ[2] أطناب[3] الكلام في بعض المواضع، وذلك بحسب ما تدعو إليه الحال: (كامل).

يَرْمُونَ بِالْخُطَبِ الطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ الْمَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ[4]

وإذا تأملت آية السجدة وجدتها مبنية على ما يستدعي الإطالة، وينافر الإيجاز لقصد استيفاء ما تضمنت من حال أهل النار في إمتحانهم. ألا ترى تخصيصها بما [٢٠٤/ ظ] ذكر فيها من شهادة الأسماع والأبصار والجلود، وعتْبهم [على] جلودهم في الشهادة عليهم بقولهم: ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾[5]، ومجاوبة الجلود بقولها: ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[6]، إلى آخر ما كلَّمتْهم به. ألا ترى أن الوارد هنا من قصصهم قد نيف على عشر[7] آيات وأن آية الزخرف وهي أطول[8] البواقي، ورد مضمونها في أربع آيات. وأما آيتا الزُّمَر فلم تبلغ واحدة منها ثلاث آيات فزيدت «ما» في آية السجدة مناجزة لما انْجَرَّ في ذلك المقصود بها من الإطناب والاستيفاء ولم ترد[9] في البواقي لما بنيت عليه من الإيجاز. فجاء كل على ما يلائم ويناسب، ولم يكن ليناسب عكس الوارد على ما تمهد، والله أعلم.

---

(١) م، ب هـ: يختارون من الطول.

(٢) م، ب، هـ: مر.

(٣) الأطْنابُ جمع طُنُب بضمتين وهو حَبْلٌ طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد، وسَيْرٌ يوصل بوتَر القوس، وعِرْقُ الشجر وعَصَبُ الجسد بفتحتين. ومنه يقال أطْنَب بالمكان اقام فيه، وأطْنَب الرجل أتى بالبلاغة في الوصف مدحاً كان أو ذماً.

(٤) سبق تخريج البيت في الآية رقم/ ١٤.

(٥،٦) فصّلت/ ٢١.

(٧) هـ، م، ب: عشرة.

(٨) في ك فقط وبقية النسخ: آخر.

(٩) هـ: تزد.

٣١٤ ـ الآية الثالثة منها[1] قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٤٥).

وفي سورة الشورى (١٤): ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ[2] وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن[3] خُلُوِّ آية السجدة من ذكر النهاية المذكورة في الآية[4] الأخرى.

والجواب[5] عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية الشورى تقدم قبلها ذكر تلك الغاية والأجل في قوله: ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[6] فهذا هو الوقت الموعود، والأجل المسمى. فلما تقدم ذكره في وقت الإحالة عليه في قوله: ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

وأما[7] آية السجدة فلم يتقدم فيها[8] ذكر هذه الغاية على الوفاء به وبما فيه. وأما قوله تعالى فيها: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ[9] أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾[10]؛ فإشارة إلى وقت حشرهم وإدخالهم النار وإنما ذلك فعل يقصد بهؤلاء. وفي ذلك اليوم، وبعض ما

---

(١) هـ: [بياض] من سورة السجدة ـ هكذا عنوان الآية.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه: «إلى قوله: مريب».

(٣) صيغة السؤال (يقال ما وجه خلو آية..).

(٤) في كل فقط.

(٥) ساقطة من هـ، والجار والمجرور بعدها محذوفان من ب.

(٦) الآية/ ٧.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) ساقط من ك.

(٩) ب، ك، هـ: «نُحْشَرُ» وهي قراءة نافع ويعقوب. وقرأ الباقون بالياء، وهي قراءة حفص عن عاصم في المصحف العثماني المتداول. راجع: السبعة/ ٥٧٦ حيث قال ابن مجاهد انها قراءة نافع وحده، والاتحاف/ ٣٨١، والنشر/ ٢٦٦.

(١٠) الآية/ ١٩.

فيه فأوقع اسم اليوم على الوقت منه الذي يؤمر فيه بهؤلاء إلى النار كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾[1]، أي وقت القتال، فوقع اسم اليوم على الوقت، إذ لا يتقيد لقاء العدوّ وقتاله بيوم برأسه، ولا بنهار دون ليل، فإنما وقع اليوم في قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ ﴾ ـ الآية؛ على وقت من اليوم يتقيد به بعض أفعال ذلك اليوم. أما تفصيل ما فيه من استغراق الفريقين والإفصاح باسمه فإنما ذلك حيث ذكر فكان هناك ما يحال عليه. وقد تكرر ذكره في قوله تعالى في [٢٠٥/و] سورة التغابن: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾[2]. فلتقدم ذكره مُوَفًّى التعريف باسمه[3] وقعت الإحالة عليه والإشارة [إليه] بقوله: ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾. فقد وضح ورود كل من الآيتين على ما يناسب، ولا يناسب[4] عكس الوارد، والله أعلم.

٣١٥ ـ الآية الرابعة[5] من سورة السجدة قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٥٢).

وفي سورة الأحقاف (١٠): ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾.

قد[6] يُسأل عن وقوع «ثم» في الأولى[7]، ووقوع واو النسق مكانها في[8] الثانية.

---

(١) الأنفال/ ١٦.
(٢) الآية/ ٩
(٣) ك: باسمك وما وقعت.
(٤) ب: يناسبه.
(٥) إلى هنا ساقط من هـ.
(٦) م: ثم قد.
(٧) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه وقوع ثم في الأولى...).
(٨) ك: في الآية الثانية.

والجواب[1] عن ذلك[2] ـ والله أعلم ـ أن «ثُمَّ» للترتيب الزماني واقتضاء المهلة فيه. وتأتي أيضاً لبيان ما يعطف بها، وأن له موقعاً وخطراً وبه اعتناء. وقد مر بيان ذلك، وإن تفاوتت الرتب كتفاوت الزمان. ولا توقُّف في أن كفرهم بالقرآن، بعد علمهم أنه من عند الله[3] كما هو، وكما قد عَلِم من سَعِد بالإيمان، وإن كذبوا هم فلا شك أن ذلك مرتكب شنيع وضلال بعيد. فجيء هنا بثم لتحرز عظيم اجترائهم وشنيع مرتكبهم فجاءت على ما يجب.

ولما قصد في آية الأحقاف زيادة شهادة عليهم بتصديق من تقرر عندم علم الكتاب المُنْزَل[4] قبل كتابنا ممن يُعرَف علمه فشهد بما عنده من العلم أن هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو من عند الله وكان ذلك أبْيَنَ في الحجة عليهم لم يرد بثم لاقتضائها مهلة لم تقصد هنا. وبيان النظم الجليل الوارد في الآية بما نقدره، تقريباً لإفهامنا ـ إن كان قد قيل لهم يا محمد ـ أرأيتم إن كان القرآن من عند الله، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فكفرتم، وآمن ذلك الشاهد واستكبرتم أنتم عن الإيمان، فكيف تكون حالكم وافتضاحكم. هذا معنى الآية، ففي الكلام تقديم وتأخير اقتضاه جليل النظم [في] الكتاب، وعَلِيُّ براعته. وإذا كان المعنى على تشريك ما تأخر في التركيب من قوله: ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ** ﴾ وإن[5] كان من عند الله لم يكن ليصح بين المنسوقين المحمول أحدهما على الآخر بما يقتضي الجمع من غير فتور ولا مهلة الفصل بثم، لأنها منافرة لهذا الغرض فورد هذا بالواو ليحرز ما [٢٠٥/ظ] قررناه من المعنى، ووردت الآية الأولى بثم لتحرز معناها أيضاً. وجاء كل على ما يناسب، ولا يمكن خلافه، والله أعلم[6].

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) الجار والمجرور محذوفان من ب.

(٣) زاد هنا في لـ: «أو ثبوت أنه من عند الله».

(٤) م: بالمنزل.

(٥) لـ: إنْ ـ بلا واو.

(٦) محذوف من ب قوله: والله أعلم.

سورة الشُّورَى

٣١٦ ـ الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٤٩، ٥٠).

ثم قال تعالى (٥١): ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيما[1] أعقبت به كل آية من هاتين الآيتين فقيل في الأولى: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾، وفي الثانية: ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾، وهل كان يمكن عكس الواقع.

والجواب عن ذلك أن الآية الأولى لما تضمنت الإعلام بانفراده سبحانه بملك السموات والأرض وقهره جميع من فيهن وأنّه الخالق لكل شيء فلا اختيار لمخلوق ولا مشيئة، وكُلٌّ صادر منه احسان فَيَهَبُ لمن يشاء إناثًا وقدّم ذكر الإناث لكراهة العرب إياهن فأشار ذكرهن إلى أن قتلهم وكراهتهم معارضة لما نَفَذَتْ به مشيئته ثم قال: ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وجاء لفظ الذكور معرّفاً ليشير بما تعطيه الألف واللام من العهدية إلى حالهم من الفضل ودرجة التقدم على الإناث؛ فكأنه في قوة أن لو قيل: الذين من شأنهم، فتوازن تقديم الإناث وتعريف الذكور. فقدم[2] ذكر الإناث لإرغام العرب، وعرّف الذكور لشرف المنزلة. ثم قال: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾، أي على التساوي عدداً. ثم قال: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾، فحصل من هذا كله أن الفعل الذي لا يشركه فيه غيره، يفعل في ذلك كله أراده[3]

(١) في ك فقط وبقية النسخ: عما.
(٢) في كل فقط وبقية النسخ: قدم.
(٣) م: ما أراد.

فلما تضمنت الآية قهر العباد، وانفراده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر ناسبها الختام بقوله: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1]، أي عليم بوجه الحكمة في ذلك، قدير على ما يريده.

ولما قال[2] في الآية بعدها: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾، فأوضحت الآية عَلِيٍّ كماله تعالى، وتنزيهه عن سمات الحدوث، وأن المخصوصين من البشر للسفارة والرسالة إنما خطابه سبحانه لهم بهذه الوجوه المفصحة بتنزيهه عن شبه خليقته، فلا يصِلُون إلى ما يتقرر عندهم من خطابه تعالى إلاَّ بأحد هذه الوجوه وهي: الوحي مناماً أو إلهاماً، وخلقاً في قلب النبي [٢٠٦/ و] وعن هذا النوع عبر بالوَحْي. ومنه قول إبراهيم عليه السلام لابْنِه: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾، أو من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام، أو إرساله سبحانه ملكاً من المقربين لديه يُوحِي بإذْنِه ما يشاء كما كان جبريل عليه السلام، وهو المعروف بهذه الخصيصة، والمُعَدُّ من الملائكة للسُّفارة بينه سبحانه وبين رسله، يأتيهم بما يرسله تعالى به من القَصص، والأوامر، والنَّواهي. فبهذه الطرق الثلاث وصول الرُّسُل والأنبياء إلى ما عندهم من الله سبحانه. وقد حصل من ذلك الإعلام بتنزيهه سبحانه وتعالِيهِ عن التَّكييف فناسب هذا ختام هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾، أي عَلِيٌّ عن مداناة البشر إلاَّ باللطف والإحسان، حكيم في أفعاله فتبين وجه مناسبة هذا إتمام ما به ختم كما ناسب الختام قبله وهو قوله: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾، ما أعقب به. فوضح أن كل ختام منها لا يلائم غير موضعه، وأنه لو ختمت هذه الأخيرة بما ختمت الأولى، والأولى بما [خُتِمت] به[3] هذه الأخيرة[4]، لم يكن ليناسب هذه المناسبة الحاصلة، والله أعلم بما أراد[5].

---

(١) ك: ولما قدم.

(٢) بعد الآية في جميع النسخ: أي عليم قدير (هكذا).

(٣) الشورى/ ٥١.

(٤) في ك.

(٥) ساقطة من هـ، ك.

(٦) زاد هنا في ب: «لا رب غيره».

سورة الزُّخْرُف

٣١٧ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَاءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(٢٠).

وقال في الجاثية (٢٤): ﴿ [وَقَالُوا۟] مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾. فأعقب في الأولى قوله: ﴿ مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾، بقوله: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾، وأعقب في الثانية قوله: ﴿ مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾، فللسائل أن يسأل عن[1] وجه اختصاص كل من الموضعين بما أعقب به.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنهم قالوا: ﴿ لَوْ شَاءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ فتعلقوا في احتجاجهم[2] بقول حق، وهو أنه سبحانه لا يجري في ملكه إلاّ ما يريده ويشاؤه ثم في اختصاصهم من أسمائه «الرحمن» عَضُدٌ لمتعلَّقِهم وتقوية لما راموا[3] الاحتجاج به، ولأنهم قالوا: إذا كان متصفاً بالرحمن ولا استبداد لأحد من الخلق بشيء من أفعالهم، وإنما يجري ما يصدر عنهم بحسب مشيئته وإرادته. وقد جرى ما نحن عليه من عبادة أصنامنا وما اتخذناه من معبوداتنا وليس منا استبداد بما[4] يصدر منا، فهو مراد له مشيئته وهو رحمة، لأنه الرحمن [٢٠٦/ ظ] فلو كانت الرحمة في تركنا معبوداتنا لشاء ذلك لنا، لأن الرحمن لا يكون منه إلاّ ما هو رحمة، وإنما الفعل له لا لنا، فلو شاء ألا نعبدها ما عبدناها، فلما تعلقوا بما يبدو منه أن لديهم علماً أخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لا علم عندهم، ولا قالوا ذلك عن معتقد تركُنُ إليه قلوبهم، وإنما هو تخرُّصٌ قولي ولا

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص..).

(٢) ك: باحتجاجهم.

(٣) ك: رأوا.

(٤) هـ: عما. م، ب: عمل.

علم وراءه، ومن وحي الشياطين إليهم لأنهم أولياؤهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ فكلامهم تخرُّصٌ بالقول، لا علم وراءه، إذ الكلام في القدر وأحكامه، وأن الإرادة تخالف الرضى، وأن الأمر بما لا يريده وأنه سبحانه قد يريد إيقاع ما لا يرضاه. وبيان ما تبنى عليه التكاليف وتتعلق به الأوامر والنواهي من القدرة الكسبية التي بمعرفتها وثبوتها حصول السلامة من مذهب الجبر[1]، [وبإنكارهـا[2]] التورط[3] في مذهب الاعتزال وقول أهل القَدَر[4]. وكلا[5] المذهبين ضلال ونزوح عن الحق، وكل من المذهبين له تهجم سبقية إلى الأذهان يدفعها التوفيق إلى النظر الصحيح، وإلا كان التخرص المُورِّط في الضلالات. وهنا بحار طامية من دقائق العلم والنظر لا شيء عند هؤلاء الكفار منها، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾. فقد وضح التناسب في هذا.

وأما الاية الثانية، فإنه تعالى لما حكى عنهم قولهم منكرين للبعث الأخراوي ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾، أي ما يهلكنا إلاَّ تعاقب الأيام والليالي، فلم ينسبوا الإحياء والإماتة لفاعل مختار يميت ويحيي، وبَنَوْا على ذلك إنكارهم العودة. أخبر تعالى عنهم أنه لا متعلق لهم إلاَّ مجرد ظن

---

(١) يرى أهل السنة أنه تعالى خالق لجميع الحوادث، وأنها تقع مرادة له نفعها وضرها، خيرها وشرها. وحين انتهى مذهب أهل السنة والجماعة إلى الإشاعرة والماتريدية قالوا بالكسب. وأن الإنسان لا يقدر على الإحداث وإنما يقدر على الكسب فقط. فأفعال المكلفين هي لازمُ تحقيقِ الفعلِ لهم، وأنه قيام الفعل بالمكلفين. وينفي الجبرية عن الإنسان قدرة الإحداث والكسب معاً. انظر العلم الشامخ/ ٢٤٥ـ٢٥٨، اللمع/ ٩٧، التوحيد/ ٢٢٥، ٢٢٦، تبين كذب المفتري/ ١٤٩، الابانة/ ٥٢، ٥٣.

(٢) ك: وبإنكاره، وبقية النسخ: وإنكاره.

(٣) ب: التوريث، م، هـ: التورية.

(٤) المعتزلة والقدرية يقولون بقدرة المكلف على اختيار أفعاله وأحداثها حتى يصح الثواب والعقاب. وطبقاً لهذا أوجب المعتزلة لتحقيق عدله تعالى: وجوب تمكينه تعالى للمكلفين، وإزاحة العلل في التكليف، وتحقيق مصلحة المكلف. وقالوا باللُّطفِ وهو الداعي لفعل الواجب، وأوجبوا بعثة الرسل والأنبياء، وتقديم الاستطاعة الانسانية على التكليف، وقالوا بوجوب بناء التكاليف الشرعية على مقدار الطاقة. راجع تفصيل ذلك ومصادره في تفسير المعتزلة للقرآن الكريم/ ٣٤٩ـ٤٣٤.

(٥) ك: وكلام.

لا مستند له، فقال: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ فأخبر تعالى أن مرجعهم إلى الظن لا يغني من الحق شيئاً. وتناسب هذا واضح، لا خفاء به.

٣١٨ ـ الآية الثانية[1] من سورة الزخرف قوله تعالى:

﴿ بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢٢).

ثم قال (٢٣): ﴿ وَكَذَٰلِكَ[2] مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب[3] لقول الفريق الأول: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾، وقول الفريق الثاني: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾، مع الاتفاق من جميعهم في قولهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [٢٠٧/و] أي على دين وملة. ثم وقع اختلاف في وصف أنفسهم في اتباع آبائهم بالاهتداء أو الاقتداء.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن ما تقدم الآية الأولى حكاية قول كفار العرب المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والسامعين منه القرآن المسمى هدى في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4]، وقوله: ﴿ هَـٰذَا هُدًى ﴾[5]، وقوله: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾[6]. فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم ليهتدوا بهديه قابلوا دعاءه بقولهم إنهم مهتدون، وأنهم وجدوا آباءهم على أمة، وأن ما وجدوهم عليه هدى فقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾، أي على دين

(١) ما بعدها إلى قوله: الزخرف، محذوف من ب.
(٢) إلى قوله: ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ محذوف من ب.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق الموجب..).
(٤) البقرة/ ٢.
(٥) الجاثي/ ١١.
(٦) لقمان/ ٣

وملة[1] ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ كهديهم فلما دعاهم إلى الهدى، زعموا أنهم على هدى، وهذا أبين تناسب.

وأما الآية الثانية فحكاية أقوال قرون مختلفة. وقد ذكر تعالى من قول بعضهم: ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾، وفي موضع آخر: ﴿ كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾. فهذا اتباع مجرد من ادَّعى كونه هدى، أو غير هدى فهو اعتراف بتقليد واتباع بتعظيم[2] لفعل آبائهم من غير ادعاء شبهة، فلم يكن ليطابق هذا إلا الوارد من قوله تعالى عنهم: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾. فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم.

سورة الجاثية

٣١٩ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣ ـ ٥).

للسائل أن يسأل عن وجه[3] اختصاص كل آية من هذه الثلاث بما خصت خواتمها من صفات المعتبرين بها فقيل في الأولى: ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[4]، وفي الثالثة: ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

---

(١) ساقطة من هـ، ك، ب.

(٢) ك: عظيم.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص..).

(٤) سقط من ك قوله: ﴿يوقنون﴾ وفي الثالثة ﴿لقوم﴾ وعبارتها ﴿لقوم يعقلون﴾.

والجواب عن ذلك[1] ـ والله أعلم ـ أن خلق السموات والأرض للمعتبر المتَّصِفِ كاف[2] في التصديق [بِحُدُوثِهَا[3]] وافتقارها من حيث إنَّ [وجُودَهَا أو عدَمَها[4]] من قبل الجائزات؛ والتخصيص بأحد الجائزين لا يكون إلاَّ بمخصِّص مقتض هذا الجائز الواقع[5]. ثم ذلك المخصص لا يكون مماثلاً وإلاَّ لافتقر إلى مخصِّص وذلك مُؤَدٍّ الى التسلسل وهو محال. وأيضاً فليس أحد المتماثلين في إيجاب حكم المماثلة بأولى من أن يوجبه له الآخر، وهذا كله محال [٢٠٧/ظ] فلاَ بُدَّ من صانع متعال عن شبه المصنوع، منزه عن المماثل والنظير وسمات الحدوث متصف بالكمال لكمال[6] المصنوع واتقانه، متصف بالعلم والقدرة والإرادة إلى ما هو سبحانه أهله. وإذا حصل الاعتراف بالصانع عَلِم المعتبر بما ذكرنا أنه سبحانه قادر على خلق ما يشاء، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾. ثم قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[7]، إذ يمكن في قوله: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، أن يؤخذ على ألاَّ يُضَاف[8] [محذوفٌ[9]]، وأن يكون على حذف المضاف، أي: إن في خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين، فحصل لهم الإيمان، فوسموا قبل حصوله بما يؤول[10] أمرهم ـ إذا اعتبروا ـ إليه، فهو من قبيل التسمية بالمآل. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[11]. ثم قال تعالى: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾. والمراد أن المعتبر

---

(١) الجار والمجرور محذوفان من ب.

(٢) م، هـ: كان.

(٣، ٤) حدوثهما ووجودهما أو عدمهما بالتثنية في جميع النسخ.

(٥) م، ك: الواقع الجائز.

(٦) هـ، م، ب: بكمال.

(٧) يس/ ٨١ ـ وبعدها في جميع النسخ: «فمن اعتبر بالسموات والأرض أو بخلقهما».

(٨) ب: على لا يضاف.

(٩) جميع النسخ: محذوفاً.

(١٠) م: يؤل، ب: يول.

(١١) يوسف/ ٣٦.

بالسموات والأرض إذا أحسن اعتباره وأنصف من نفسه. حصل له الإيمان بالصانع سبحانه. فإذا أضاف إلى ذلك الاعتبار بخلق الإنسان وتطوره في الأرحام من حال النطفة، إلى حال العَلَقَة، إلى حال المُضْغَة، إلى حال العظام وكسوتها باللحم، إلى الإبراز إلى عالم الشهادة بشراً سوياً محكماً متناسب الأعضاء تام الخلق إلى تدريجه بعد هذا. وكل ذلك من غير توقف شيء من صفاته وخواصه على اختيار[1] أب، أو أم، إلى اختلاف الألسنة والألوان والصورة إلى ما يتعلق بذلك. واعتبر بخلق الحيوانات، وما بَثَّ سبحانه في الأرض برّها وبحرها من ذلك، وركُون كل ذي شكل الى شكله، وقيام أغذية الجميع بما يصلح لهم، وتسخير المسَخَّر منها للأذى، وإيناسه وتوحش المتوحش، وإجراء أرزاق الجميع على إختلاف الأحوال في ذلك. ففي الاعتبار بذلك كله ما يثمر للمؤمن اليقين ويرقيه في أعلى درجات المتقين. ثم إذا اعتبر بما أشارت إليه الآية الثالثة من اختلاف الليل والنهار [وتَهْيِئَة[2]] الليل للسكن والاستراحة والنهار للتصريف في المعاش[3] والحاجات، وتداولهما كالمُتَعاوِضَيْن[4] في الطول والقصر، وإيلاج أحدهما في الآخر إيلاجاً خفياً حتى لا يدخل أحدهما على الآخر دفعة فيضر بأبصار الحيوان، إلى ما يتعلق بهذا ويرجع إليه. فمن أحكم تدبير ذلك والاعتبار به، واعتبر جري [٢٠٨/و] الرياح ومنافعها، وسوقها السحاب بالأمطار، وإحياء الأرض بالماء النازل منها بعد موت الأرض، وإخراجها ضروب النبات لانتعاش الحيوان ومصالحه. فإذا اعتبر الموقن بهذا، أعقب ثبات يقينه، وتمكّن دينه فآمن وأيقن وعقل عن ربه، فانتفت الشبهات وأفصحت بالبراهين الآيات. قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾. فتأمل كيف جعل سبحانه تعقل الأمثال مُوقَفاً على العالمين. وإنما تحصل لهم الاتصاف إن كانوا عالمين بما مُنِحُوا من كمال

---

(١) ك: اختيارات.

(٢) جميع النسخ: وتهئة (هكذا).

(٣) ك، ب: المعايش.

(٤) المتعارضيّن.

عقولهم فتبين التدريج المراد في الآيات، وأنه لا يلائم آية منها ما ختم به غيرها بل كل ختام من الأوصاف الثلاثة لا يليق بغير موضعه. وتأمل آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] لما جمعت[2] آية البقرة ما وقع في هذه الآيات الثلاث من سورة الجاثية منسوقاً ذلك بعضه على بعض غير مستأنف، ولابتداء[3] الاعتبار[4] به كما ورد في هذه الآي بل ورد مجموعُه في آية واحدة، كيف ختم ذلك بقوله: ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، كما ختمت هذه الآيات[5] الثلاث بقوله: ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، إعلاماً بشرف العقل الذي به بإذن الله يحصل الإيمان ثم اليقين ثم الثبات المحصِّل للكمال[6] بحصول العلم الحاضر[7] لذلك كله.

سورة الأَحْقَافُ

تقدم ما فيها.

سورة القِتَالُ[8]

٣٢٠ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٩).

(١) الآية/ ١٦٤.

(٢) هـ، م: فأجمعت.

(٣) ب: ولا تبدأ.

(٤) ك: للاعتبار.

(٥) ك: الآي.

(٦) هـ، م: الكمال.

(٧) ب: للحاضر.

(٨) هي سورة محمد. وجاء في درة التنزيل/ ٣٤١: «ليس فيها شيء من ذلك».

وفيما بعدُ من هذه السورة (٢٦): ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه ورود[1] ﴿ أَنزَلَ ﴾ في الأولى، وفي الثانية: ﴿ نَزَّلَ ﴾ مضعفاً.

والجواب ـ والله أعلم ـ أنَّ ذلك مفهوم مما تقدم في أول سورة آل عمران باعتبار ما يخص هذه السورة وهو أن المتقدم من أول هذه السورة إلى قوله بعد الآي المُتكلَّم فيها: ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[2]، لم يقصد ممن تضمنته هذه الآية من الكفار غير مشركي العرب من قريش وغيرهم. ولا شك أن كفرهم منسحب على كل المُنَزَّل من القرآن، وما تقدم نزوله في التوراة وغيرها من الكتب، فلم يكن ليلائم ذلك عبارة نَزَّلَ المنبئة عن تنجيم المنزل، ولم [٢٠٨/ظ] ينزل كذلك غير القرآن وهم ينكرون كل الكتب المنزلة ويكرهونها فقيل هنا: ﴿ كَرِهُواْ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾.

أما الآية الثانية فالمراد بها ذوو النفاق والمرتدُّون على أدبارهم. ويبين ذلك ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾[3] وهؤلاء هم المنافقون، ولم يقع فيما بعد عدول عنهم إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِم ﴾[4]، وإنما هؤلاء قوم كفروا بعد إسلامهم. وهم القائلون بمقتضى نفاقهم وما أبطنوه من الكفر لغيرهم: ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ ولهؤلاء اطِّلاعٌ على المنزل من القرآن وخصوص كراهية له وهي المهيجة لنفاقهم فهو الذي كرهوه حقيقة فقيل هنا: ﴿ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾، بلفظ التضعيف إذ الإشارة الى القرآن. وهذه صفته أعني ما يشير إليه التضعيف من التنجيم في النزول. فكل من الموضعين وارد على أنسب نظام وأتمه.

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه ورود...).

(٢) محمد/ ١١.

(٣، ٤) محمد/ ٢٠، ٢٥.

٣٢١ ـ الآية الثانية (غ)[١] قوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ (٢٠).

ثم قال (٢٠): ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾. فورد الفعل أولاً مضعفاً، وثانياً غير مضعف.

ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن المؤمنين هم الذين يودون نزول السورة، وطلبهم نزولها إنما هو على ما اعتادوه جارياً في غيرها من التنجيم، وتفصيل المنزل فالملائم هنا عبارة التضعيف وقوله: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ إنما المراد تحصيلها بجملتها بعد كمال. وذلك مفهوم من سياق الكلام والملائم لما تحصّل[٢] عبارة الإنزال من غير تضعيف. فكل من الموضعين وارد على أنسب نظم والعكس غير ملائم، والله أعلم.

سورة الفتح

٣٢٢ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٤).

ثم قال بعدُ[٣] (٧): ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن[٤] تعقيب الآية الأولى بقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

(١) ساقط من ب.
(٢) ب: لا تحصل، ك: زاد هنا: «وتم».
(٣) في ك فقط.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تعقيب...).

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية الثانية لما تقدمها قوله تعالى: ﴿ لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ[1] فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللهِ فَوْزًا عَظِيمًا. وَيُعَذِّبَ [٢٠٩/و] ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّانِّينَ بِٱللهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ[2] وَغَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[3]. ناسب هذا المتقدم من فعله تعالى بالفريقين من مجازاة المؤمنين بالنعيم المقيم، وتعذيب المنافقين وغضبه عليهم ولعنهم وإعداده لهم جهنم ووصفه[4] تعالى بالعزة ليعلم أنه سبحانه لا مغالب له وأن الكل تحت قهره، إذ لعزته[5] يفعل في الكل ما يريده وما تقتضيه حكمته، إذ هو العزيز في ملكه الحكيم في أفعاله. ولما لم يتقدم الآية المتقدمة ما يقتضي القهر كهذه وإنما قبلها قوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[6] وهذا تعريف بإنعامه سبحانه ورحمته للمؤمنين[7] ناسب قوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[8]، فأعلم سبحانه أنه العليم بمن يرحمه كما قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿ ٱللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[11] وجاء كل في الآيتين على ما يجب ويناسب[12]، والله أعلم.

---

(١) ما بعدها إلى قوله: ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ محذوف من ب وفي موضعه (ـ إلى قوله في أهل النار ـ).
(٢) جميع النسخ: السوء بالضم وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير. انظر: السبعة/ ٦٠٣، الاتحاف/ ٣٩٥، النشر: ٣٧٥، ٢٨٠.
(٣) الفتح/ ٥، ٦.
(٤) هـ: ووُصف ـ بالبناء للمجهول.
(٥) هـ، م، ب: لا ـ لعزته (بلا النافية).
(٦،٧) الفتح/ ٤.
(٨) ما بعدها إلى قوله: ﴿عليماً حكيماً﴾ ساقط من ك.
(٩) الإسراء/ ٥٤.
(١٠) الأنعام/ ١١٧، النحل/ ١٢٥، القصص/ ٥٦، القلم/ ٧.
(١١) الأنعام/ ١٢٤.
(١٢) ساقط من ب.

٣٢٣ ـ الآية الثانية (غ)[١] قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا[٢] ﴾ (١١).

وفيما بعدُ منها (١٥): ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾. ففي[٣] الآية الأولى إفراده عليه السلام بخطابهم له في قوله تعالى، إفصاحاً بحرف الخطاب «لك» ولم يرد ذلك في الثانية.

ووجه ذلك أن المُخبَر عنهم من المخلفين طلبوا منه صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم لتخلفهم عنه وأفردوه بخطابهم، إذ ليس ذلك من مطلوبهم لغيره، فوردت العبارة عن ذلك بإفراد الخطاب، وأعلم تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بنفاقهم وكذبهم في اعتذارهم فقال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٤].

وأما الآية الثانية فليس قولهم: ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾[٥] خطاباً خاصاً له صلى الله عليه وسلم، بل هو خطاب له وللمؤمنين. والسياق يفصح بذلك، وما أمر به عليه السلام من مجاوبتهم في قوله لهم: ﴿ لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾[٦]، فلم يرد هنا إفراده صلى الله عليه وسلم بخطابهم له كما ورد في الأولى، وجاء كل على ما يناسب.

فإن قيل: إن خطابهم له خاص كالأول [٢٠٩/ ظ] ولكن خاطبوه مخاطبة التعظيم بقولهم: ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾.

قلت: وعلى فرض[٧] هذا فمراعاة الألفاظ في النظم[٨] أكيدة جداً، وبها

---

(١) ساقطة من ك، والآية من المغفلات.
(٢) زاد في ب من الآية: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾.
(٣) هـ، م، ك: وفي.
(٤) آل عمران/ ١٦٧.
(٥، ٦) الفتح / ١٥.
(٧) ساقطة من ك.
(٨) هـ، م، ب: التعظيم.

إحرازه. وعلى هذا لا يلائم هذا الخطاب كيف ما قدّر إلاّ صورة[1] ما للجميع، والله أعلم بما أراد.

٣٢٤ ـ الآية الثالثة[2] من سورة الفتح قوله تعالى:

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١١).

ثم قال بعدُ (٢٤): ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف الوصفين[3] الواقع بهما ختام الآيتين[4] وهما: ﴿ خَبِيرًا ﴾ في الأولى، ﴿ بَصِيرًا ﴾ في الثانية.

والجواب عنه أنه قد تقدم قبل الآية الأولى قوله: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ[5] شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[6]، فناسب هذا وصفه تعالى «بالخبير»، لأن الخبير هو العليم، بما خفي وبطَن. فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾.

وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس في هذا إبطان شيء[7] أظهر خلافه فكان إيراد وصفه سبحانه «ببصير» أنسب. وورد[8] كل على ما يجب.

---

(١) هـ، م، ب: بصورة.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «الفتح» محذوف من ب.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الموضعين . . .).

(٤) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٦) الفتح/ ١١.

(٧) ك: حتى، ب: إبطال معنى.

(٨) ب: ورود.

سورة الحُجُرَاتِ

قد تقدم ما فيها[1].

سورة «ق»

٣٢٥ ـ قوله تعالى[2]:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ. وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[3] (٢٢، ٢٣).

ثم قال بعدُ (٢٧): ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ. قَالَ قَرِينُهُۥ[4] رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴾.

يسأل عن ثبوت واو العطف في قوله أولا: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ ﴾، ولم يُثبت الواو في الآية الثانية.

والجواب عن ذلك أن الآية الأولى وردت معطوفة على ما قبلها من آيات[5] [و] هي إخبار عما يلقاه الإنسان المتقدم ذكره من الأهوال والشدائد في المواقف الأخراوية وما بين يديها. أولها قوله: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾[6] ثم قال: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ[7] ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ. وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[8] وقال: ﴿ [وَقَالَ] قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[9]. فهذه إخبارات

---

(١) قال في درة التنزيل/ ٣٤٤: «وليس فيها شيء من ذلك».

(٢) ب: الآية الأولى قوله تعالى.

(٣) زاد هنا من الآية في ك: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾.

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٥) الجار والمجرور في ك فقط.

(٦) ق/ ١٩.

(٧) ما بعدها إلى قوله: معها، محذوف من ب وفي موضعه: «إلى قوله».

(٨، ٩) الآيات/ ٢٠-٢١، ٢٣.

[٢١٠/و] عن شدائد بعضها يتلو بعض، فطابق ذلك ورود[1] بعضها معطوفاً على بعض.

وأما قوله بعد: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾، فهو إخبار مبتدأ مستأنف معرف بتبري قرينه من حمله [على] ما تأبطه واجترحه ولا طريق لعطف ذلك على ما قبله، إنما هو استئناف إخبار. فورد كل من الآيتين على ما يجب ويناسب.

سورة «والذَّارِيَاتِ»

٣٢٦ ـ الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (٥، ٦).

وفي «والطُّور» (٧): ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾.

وفي «والمرسَلات» (٧): ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

للسائل أن يسأل عن[2] موجب اختلاف العبارة عما وقع القسم عليه وجووب به مع أن المراد بذلك كله الجزاء الأخراوي.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن سورة «والذاريات»، تقدمها في سورة «ق» إخباره سبحانه بالعودة الأخراويّة وإقامة البرهان على ذلك لمن وفق لاعتباره فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[3]. ثم أعقب بذكر مكذبي الرسل مع الأمم وما حق

---

(١) ك: وورود.

(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن..).

(٣) ق/ ٦-١١.

عليهم من الوعيد الأخْرَاوي بعد أخذ كل منهم في الدنيا بذنبه. ثم استمرت آي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث، وحصر أعمال المكلفين وكتْبِها عليهم مع علمه سبحانه بما تُوَسْوِسُ به نفوسهم ووقوع الجزاء على ذلك، وغفلة المكذب عن ذلك كله حتى يكشف له الغطاء فيشاهد ما لم يكن يحتسبه، وأعقب بإزلاف الجنة للمتقين ووصفهم بما منحهم ووعدهم عليه ثم أعقب بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر، وإلتزام ما أمره به، وأن يُذَكِّر بالقرآن المستجيبين الخائفين وعيده سبحانه. فلما اشتملت السورة على إيعاد[1] وجزاء، وأعقبت بالقَسَم على ذلك من صدق وعده سبحانه ووعيده، ووقوع الحساب على الأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[2]. وتناسب النظم في ذلك كله أبين تناسب.

أما سورة «والطور»، فالقسم فيها مرتبط بما اتصل به ووقع عليه القَسَم من قوله تعالى خاتمةَ سورة «والذاريات»: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ[3] فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ. فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾[4]. فأتبع قسَماً على هذا بقوله: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴾ - إلى قوله - [٢١٠/ ظ] ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ. مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾[5].

وأما قوله في سورة «والمرسلات»: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾، فمرتبط بما بنيت عليه سورة «الإنسان»؛ فإنها بجملتها دارت آياتها وجرت على ما به خُتمت من قوله تعالى: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

(١) جميع النسخ: إوعاد.
(٢) الآيات/ ١-٦.
(٣) إلى آخر الآية محذوف من ب.
(٤) الآية / ٦٠.
(٥) الطور/ ١-٨.

أَلِيمًا ﴾[1]، فتحصَّل مجرد وعد ووعيد ولم تخرج السورة عن ذكر الفريقين ممن وُعِد وتُوُعِّد، فناسب ذلك قوله تعالى جواباً للقسم: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾. فجاء كل من المواضع الثلاثة على ما يناسب، ولا يلائم النظم[2] في ثلاثتها غير ما ورد عليه، والله أعلم.

٣٢٧ ـ الآية الثانية قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ. ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ[3]. كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (١٥ ـ ٢٣).

وفي سورة «والطور» (١٧ ـ ١٩): ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف بالاخبار[4] عن أهل الجنة في هاتين السورتين.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن هاتين السورتين في القصد من وعيد كفار قريش والعرب ذوي العناد والتكذيب والإخبار بجزائهم الأخراوي، فعلى هذا مبنى السورتين. ولهذا افتتحتا[5] بالقسم على ذلك كما تقدم. والموعود به فيهما جزاء

---

(١) الإنسان/ ٣١.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «عليه» محذوف من ب.

(٣) ما بعدها إلى قوله: ﴿يَهْجَعُونَ﴾ محذوف من ب.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الإخبار..).

(٥) م: افتتحت.

[فَرِيقَي[1]] السعادة والشقاوة وإليه الإشارة بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾[2] وهو حساب[3] الكل ومجازاتهم على ما سلف من جميعهم من خير أو غير شر. فلم يكن بُدٌّ من ذكر أهل النعيم ذوي الاستجابة والتصديق للرسل والإخبار بحال الفريقين وعلى ما هو الجاري المطرد في الكتاب العزيز، أعني أنه إذا ذكر حال المكذبين، أُتْبِع حال المصدقين، أو ذكر حال ذوي الاستجابة والتصديق، اتبع[4] بحال من كان على الضد منهم؛ وهذا قانون مطرد. فلمجموع هذين من أن الكل هم المرادون بمقتضى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ وأنه إذا ذكر أحد الفريقين أُتْبِع بذكر الفريق الآخر. فلهذا ما ذكر فريق المتقين وجزاؤهم مع أن مبنى السورتين على ما ذكر فبدىء فيهما بذكر حال المعاندين وبذلك ختمت كل سورة منهما ثم ذكر بعد البدء به[5] في السورتين حال المتقين ونصّ في السورة الأولى على أسنى أعمالهم وأجل ملتزماتهم المُسْتَتْبِعة لما سواها[6] من سائر أعمالهم المترتب عليها جزاؤهم[7] فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ[8]. وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ [٢١١/ و] حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[9]. فذكرهم تعالى بالإحسان، وقيام الليل والإستغفار بالأسحار والمساهمة في أموالهم للسائل والمحروم، وكأن هذه أمهات اقْتُصِر هنا عليها. وأمعن في الثانية بذكر الجزاء، وضروب النعم ليحصل من مجموع السورتين الوفاء بذكر أعمالهم وجزائهم، فقيل في الأولى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾. فهذا من ذكر جزائهم الموفّى في

---

(١) جميع النسخ: فريق.
(٢) بعدها من السورة في م: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾.
(٣) ك: الحساب.
(٤) ساقط من ك.
(٥) م: المدوية، ك: المَبْدُوّ به، ب: البُدُوِّ به.
(٦) ساقطة من ك.
(٧) في ك فقط وبقية النسخ: إجزاوهم.
(٨) ما بعدها إلى قوله: ﴿وَالمَحْرُومِ﴾ محذوف من ب.
(٩) الآيات/ ١٦-١٩.

الثانية مُعظَمُه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ[1] ﴾ في آيات[2] إلى قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]. وحصل في هذا استيفاء كثير من جزائهم، وفي السورة قبل ما يترتب عليه ذلك من أعمالهم فارتبطت الآيتان، وتبين[4] أنه لا اختلاف بينهما. وفي ختم كل واحدة من السورتين مثل ما به، بنيت إشعار ببنائهما على ما قدمنا من وعيد من ذكر، وإن ما ذكر فيهما من حال أهل الجنة أعمالاً وجزاءً. فلما تقدم ذكره من الارتباط بين الجزاءين في آي الوعد والوعيد متى ذكر أحدهما، والله أعلم بما أراد.

٣٢٨ ـ الآية الثالثة وهي من تمام ما قبلها وذلك[5] قوله تعالى:

﴿ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (١٩).

وفي سورة المعارج (٢٥): ﴿ [وَٱلَّذِينَ] فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾.

يسأل عن وجه زيادة الصفة[6] في سورة المعارج من قوله: ﴿ مَّعْلُومٌ ﴾ وسقوطها في «والذاريات» وهل كان يناسب عكس الوارد؟

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آية المعارج قد تقدمها متصلاً به قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[7] والمراد بالصلاة هنا المكتوبة. وأيضاً يقرن بها في آي الكتاب بالزكاة[8] المفروضة، وبها فسر المفسرون الحق المعلوم في آية المعارج. قال

---

(١) زاد هنا في ب: ﴿ آخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾. فهذا من ذكر جزائهم ـ إلى قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

(٢) الجار والمجرور ساقطان من م، ب.

(٣) الآيات: الذاريات/ ١٥ ـ الطور/ ٢٨.

(٤) ك: تبين ـ بلا واو.

(٥) ب: في قوله.

(٦) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه زيادة الصفت..).

(٧) المعارج/ ٢٢.

(٨) في ك فقط وبقية النسخ: الزكاة.

الزمخشري: «لأنها مقدرة معلومة»[1]. قلت: وليس في المال حق مقدر معلوم: وقتاً، ونصاباً[2] ووجوب[3] غيرها. فلما أريد بالحق هنا الزكاة اتبع بوصف يحرز المقصود، ولما قصد في آية «والذاريات» غير هذا المقصد بدليل ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا۟ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾. فوصف هؤلاء بطول قيام الليل في صلاتهم وتهجدهم ومداومتهم[4] الاستغفار في الأسحار فذكروا بزيادة من التطوع والنفل على ما فرض عليهم مما[5] يُعَدُّ تاركه ـ إذا تركه ـ مُسْتَحِلاً الإطلاق الوارد في اتفاقهم ليفهم الزيادة على ما فرض عليهم من الزكاة المقدرة ولم يكن ليناسب هنا الإشارة إلى قدر المُنْفَق[6] [٢١١/ظ] كما في سورة المعارج ولم يكن عكس الوارد ليناسب، فورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٣٢٩ ـ الآية الرابعة قوله تعالى:

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥١).

للسائل أن يسأل عن[7] وجه تكرر[8] قوله تعالى: ﴿ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾، وعن الإنذارين من التوجه له سبحانه في كل المطلوبات، واعتماد تلقي كُلٍّ من عنده، ومن أن يشرك به سبحانه، أو يعبد معه سواه. فعلى هذين الضربين

---

(١) نص عبارة الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٦٩ «حق معلوم وهو الزكاة، لأنها مقدرة معلومة».

(٢) ك: نصابا.

(٣) ك، ب: ووجوباً.

(٤) زاد بعدها في ك: بزيادة التطوع.

(٥) عبارة ك من هنا إلى قوله اتفاقهم: «من الزيادة في أعمالهم على ما فرض عليهم بما يكفر تاركه ـ إذا تركه مهملاً ـ فناسب هذا الاطلاق الوارد في اشفاقهم».

(٦) هـ، ك: المتفوق، ب: العفوق.

(٧) صيغة السؤال (يسأل عن وجه تكرر...).

(٨) ك: تكرار.

ورد التحذير والإنذار وهما الواردان في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ﴾ فأمر سبحانه بعبادته وألا يعبد معه غيره.

والجواب أنه سبحانه لما قدم من المعتبرات الدالة على وجوده تعالى وإنفراده بالإيجاد والخلق ما قدم في السورة قبلها من قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾ - إلى قوله - ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[1]. ثم قال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[2]. ثم ذكر تعالى أخذه المكذبين من القرون السالفة فقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾[3]. ثم ذكر تعالى خلق الإنسان وعلمه تعالى بما توسوس به نفسه، وقربه تعالى منه قرب العلم والإحاطة لأقرب المكانية والمسافة. ثم ذكر إحصاء الحفظة على المكلفين ولزومهم إلى موت الإنسان وبعثه ومجيء كل نفس في القيامة معها سائق وشهيد. ولم يقع عدول عن هذه الإنذارات والإخبارات الأخراوية والاعتبارات الجلية إلى قوله تعالى إعلاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم بمقال المدعوين وأمراً له بتذكيرهم بالقرآن فقال: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ. فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[4] ثم أقسم تعالى على صدق تلك المواعد والإخبارات فقال تعالى: ﴿ وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْواً ﴾ - إلى قوله - ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾[5]. ثم ذكر سؤالهم عن يوم الحساب، سؤال استهزاء، واستعجال تكذيب، فقال: ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾[6]، إلى ذكر حالهم وحال المتقين[7]، والإشارة الى جزاء الفريقين. ثم أعقب بذكر الآيات في الأرض وفي

(١) ق/ ٦-٨.
(٢) الآيات ٩-١١.
(٣) الآيات / ١٢-١٤.
(٤) ق/ ٤٥.
(٥) الذاريات/ ١-٦.
(٦) الآية / ١٢.
(٧) هـ، ب: المتفقين، م: المُتفِقين.

أنفسنا، وأن رزق العباد وما يوعدون[1] في السماء وأقسم تعالى على ذلك بقوله: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[2]. ثم اعترض سبحانه بذكر ضيف إبراهيم وقصتهم ثم عطف على التذكار والتنبيه المتقدم في قوله: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾، فقال[3]: ﴿ وَفِي مُوسَىٰ ﴾[4]. فذكر إرساله وأخذه فرعون [٢١٢/ و] وجنوده بتكذيبهم ثم ذكر عاداً وثمود وقوم نوح، واقتصر على ذكر تكذيبهم وأخذهم تنبيهاً بأحوالهم مرتبطاً بأول التنبيه بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ - الآية[5] ثم قال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ - الآية[6] وارتبط أول التنبيه بآخره معقباً بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ ﴾[7]، فهذا من تمام قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾ - الآيات. وقد ورد أثناء ذلك قوله فيمن أشرك به سبحانه قوله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾[8]. فلما حصل التنبيه بعدة آيات وواضح بينات على إنفراده سبحانه وحصل ذكر من أشرك واتصل ذلك ولم يقطع[9] بعضه عن بعض أعقب بقوله: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى ٱللَّهِ ﴾[10]؛ المنفرد بخلقكم وإيجادكم المنعم عليكم بما أنعم من واضح الأدلة عليه سبحانه: ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[11]أي من عذابه وأخذه

---

(١) ك: وما يدعون.

(٢) الذاريات: ٢٣.

(٣) عبارة ك: فقال: ﴿وفي الأرض آيات﴾ وقال ﴿في موسى﴾.

(٤) الذاريات/ ٣٨.

(٥) ق/ ٦، وزاد في ب: ﴿وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد﴾ وهي بقية الآيات إلى الآية الثامنة من سورة «ق».

(٦) الآية/ ٧.

(٧) الذاريات/ ٤٧، ٤٨.

(٨) ق/ ٢٤ - ٢٦.

(٩) ك: ينقطع.

(١٠، ١١) الذاريات/ ٥٠.

كما فعل [بمَن[1]] كذب قبلكم [وهو] مبين بما أوضح لكم من البراهين ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] فقد تبين ارتباط كل من الآيتين بما تقدم، وأن الثانية مؤكِّدة للأولى. وورد ذلك على أتم مناسبة، والله أعلم بما أراد.

سورة «والطُّورِ»

٣٣٠ ـ **الآية الأولى منها (غ)[3] قوله تعالى:**

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٢٤).

وفي سورة الواقعة (١٧): ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾.

وفي سورة الإنسان (١٩): ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾. فورد في سورة والطور: ﴿ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾، وفي السورتين: ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ والمراد في السور الثلاث: الخُدَّام. فللسائل أن يسأل[4] عن الموجب لتخصيص كل آية بما ورد فيها.

والجواب ـ والله أعلم ـ يترتب على تمهيد وهو أن الغلام هو الطارّ الشارب. وقيل باستصحاب هذا الاسم إلى أن يشيب، والجمع غلمان. وأما الوليد فاسم للمولود حين يولد وهو «فَعِيلٌ». وهي بنية مبالغة وفائدتها هنا استحكام الصِّغَر، وجمعه: ولدان. وعلى هذا لا يرادف أحد الاسمين الآخر. فإن ورد أحدهما في موضع الآخر فعلى المجاز والتوسع. والأصل ما مُهِّد. وإذا تقرر هذا فوجه ورود

(١) جميع النسخ: من.
(٢) الذاريات/ ٥١.
(٣) ساقطة من ك.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب تخصيص...).

الغلمان في سورة «والطور» ـ والله أعلم ـ مناسبة اللفظ باتساع مواقعه في أحد القولين وهي استصحاب اسم الغُلُومِيَّة الى المشيب، أو لاحتياج التوسع فيما يطوفون به ويستخدمون فيه بحسب أسنانهم لمن تقدم من صِنْفَي المخدومين وهم الآباء والأبناء في قوله [٢١٢/ظ]: ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ[١] بِإِيْمَانٍ وَأَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾. فذُكِرَ هنا الآباء الداخلون الجنة[٢] مجازاة على أعمالهم، والأبناء من الذرية ممن لم يبلغ سن التكليف فدخل[٣] الجنة بغير عمل فناسب الْاتِّسَاعُ الْاتِّسَاعَ[٤].

وأما آية الواقعة فلم يقع فيها ذكر الإتباع، فناسب ذلك ذكر الوِلْدان الذين لا تحتمل أسنانهم خدمة الغلمان، فناسب الاقْتِصارُ الاقْتِصارَ، والتوسعُ التوسعَ، ووضح أن العكس لا يناسب والله أعلم. ووصف الولدان بقوله: ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ إعلام بأنهم باقون على مقتضى سن الوليدية لا تتغير أحوالهم عن ذلك. وإلاّ فالخلود الأخراوي عام لهم ولغيرهم.

وجواب ثان، وهو أنه لما ذكرت الذرية في سورة «والطور»، ربما[٥] كان يوهم ذكرهم، من حيث دخولهم الجنة بغير عمل أنهم فيها خدّام لمن اتبعوه، بيّن قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾، أن الكل من متبوع وتابع مخدومون وقيل لهم باللام المقتضية الملك مع كون الضمير في لهم للكل من متبوع وتابع إشعاراً بأنهم ملكهم غلمان لهم يتصرفون في كل ما[٦] يأمرون به وينهون عنه. ولما

---

(١) م، هـ: واتبعناهم ذرياتهم، ك: واتبعتهم ذرياتهم. وما أثبتناه في «ب» هو قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير في المصحف المتداول وفيها قراءتان أخريان:
(أ) ـ ﴿ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ وأَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾.......... عن ابن عامر.
(ب) ـ ﴿ وأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وأَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾....... عن أبي عمرو.
انظر: السبعة/ ٦١٢، والنشر/ ٣٧٧، الإتحاف/ ٤٠٠.

(٢) ك: الداخلون في الجنة.

(٣) في ك فقط وبقية النسخ: يدخل.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) م، هـ: بما.

(٦) هـ، م، ب: كلما.

لم يقع في سورة الواقعة وسورة الإنسان ذكر الاتباع من الذرية لم يرد فيهما إلاّ اسم الولدان وهم في الخدمة بمقتضى أسنانهم دون الغلمان. وتناسب هذا، والله أعلم بما أراد[1].

٣٣١ ـ الآية الثانية[2] من سورة «والطور» قوله تعالى:

﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ. أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ (٤١، ٤٢).

وفي سورة القلم (٤٧، ٤٧): **﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ. فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾.**

للسائل أن يسأل عن وجه تعقيب[3] هذه الآية في السورتين بما ورد فيهما ووجه المناسبة في ذلك.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه جل وتعالى أرغم معاندي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطع تعلقهم، وأوضح عجزهم وأوقفهم على قبيح تكذيبهم وشنيع مرتكبهم في بضع وعشرين آية من سورة «والطور»، وسورة «القلم». وفي سورة «والطور» أكثرها، وباقيها، في سورة «القلم». وتحصل محصوراً فيها كل متعلق لمجادلتهم ظناً أو توهماً. وقدم قبل ذلك في السورتين حال المتقين وما منحوه على تفصيل في سورة «والطور» واستيفاء يناسب ما فصل أيضاً من حال المعاندين في مَتَعَلَّقَاتهم[4]، وإيجاز في سورة «القلم» يناسب الوارد [٢١٣/و] فيها من ذلك التعلق[5] مكتفي من ذلك في وصف[6] المتقين بقوله تعالى: **﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾**. فلما تقعَّدَ في السورتين حال المتقين أعقب

(١) بما والمعل محذوفان من ك.
(٢) ما بعدها إلى «الطور» محذوف من ب.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تعقيب....).
(٤) هـ، م: معلقاتهم.
(٥) هـ، م: التعليق.
(٦) مكانها بياض في ب.

بتوبيخ من ارتكب ضد حالهم. فبدأ سبحانه في سورة «والطور» بقوله لنبيه عليه السلام أمراً له باستمراره على الدعاء: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ ﴾[1]. فنفى عنه ما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من التكهن والجنون وكانوا كثيراً ما يرمونه عليه السلام بهاتين[2]وقد علموا براءته من ذلك واعترفوا به في الخبر الصحيح؛ بل قد كانوا يعلمون صدقه قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَـكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾[3]. فهذا إخبار منه سبحانه بمعتقدهم فيه، ولكنهم كانوا يرون أن رميه بالتكهين والجنون، كأنه [مُخَبَّلٌ[4]] في توقفهم عن تصديقه واتباعه. ولذلك أكد[5] سبحانه نَفْيَ ذلك عنه بالقسم في السورتين فقال: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ ﴾، وهذا في قوة القسم الصريح. وقال في سورة القلم مفصحاً بذلك: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[6]. ثم كرر ذلك توبيخاً لقائله فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[7]. ولم يتكرر في السورتين مفصحاً به من الصادر عنهم فيما كانوا يرمونه به غير صفة الجنون. ثم قال تعالى قاطعاً بهم في احتجاجهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ﴾[8]، وقد عرفوا أن ما جاءهم به ليس بشعر ثم قال: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا ﴾[9]. ومن المعلوم الذي قد علموه هم، أن عقولهم لا ترجح ذلك من مقالهم فكيف تأمرهم به. ثم قال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾[10]؛ أي فإن قالوا فليأتوا بحديث مثله وعجزهم عن ذلك قاطع[11] هذا[12]

(١) الآية/ ٢٩.

(٢) من قوله: «والاتراف وهو التنعم»، في اللوحة (٢٧٤/ و) من الأصل «م» إلى هنا ساقط من النسخة «ع».

(٣) الأنعام/ ٣٣.

(٤) جميع النسخ: مخيل (بالياء)، والخَبْل والخَبَل جنون وفساد في العقل.

(٥) هـ، م، ب: أكثر.

(٦) القلم/ ١، ٢.

(٧) الآية/ ٥١.

(٨-١٠) الطور/ ٣٠، ٣٢، ٣٣ على الترتيب.

(١١) هـ، م، ب، ع: قاصد.

(١٢) ب: هنا.

التعلُّق. ثم قال: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾[1] وقد كذبوا[2] أنفسهم في هذا واعترفوا بخلق الله إياهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3]. ثم قال: ﴿ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[4]. وقد أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[5]، فلا تعلق لهم بشيء من هذه المرتكبات لتكذيبهم أنفسهم وكل ما[6] يقدر أن يتعلقوا به من المذكور بعد هذا من قوله: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾[7]، لا توقف في اضمحلال تعلقهم به. فلم يبق بعد وضوح الحق إلاَّ الضلال. ولما بلغ المتقرر[8] من رد متعلقاتهم في قطع [٢١٣/ظ] كل متَوَهَّم من متوهماتهم المفروضة قال تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾[9]. وهذا آخر ما يتوهم متعلقاً لهم وإن لم يقولوه[10]، فلم يبق إلاَّ إعْمَال المكيدة فأخبر تعالى أنهم ﴿ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾[11]، ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[12]. فقد وضح وجه تعقيب آي من سورة «والطور» بهذه الآية.

ولما كان[13] في سورة: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾ ذكر كل ما يمكن تعلُّقهم به، واستوفى ما قد وقع منهم وما يشبه ذلك مما لم يقولوه لبُعْدِه: كادِّعَاء اطِّلاع الغيب، واستِرَاق السمع، وادِّعَاء خلق السموات والأرض، وإيجادهم من غير صانع مريد مختار

(١) الآية/ ٣٥.
(٢) هـ، م، ب، ع: أكذبوا.
(٣) الزخرف/ ٨٧.
(٤) الطور/ ٣٦.
(٥) لقمان/ ٢٥.
(٦) ك، م، ع: كلما.
(٧) الطور/ ٣٧-٤٠.
(٨) ك: المنذر، ب: التقرر.
(٩) الطور/ ٤١.
(١٠) هـ، م: بقوله.
(١١) الطور/ ٤٢.
(١٢) القمر/ ٤٥.
(١٣) ك: كمل.

قادر[1] ، وأن خزائنه عندهم. فلمَّا لم يبقَ ما يُتَوَّهم إمكان تصوره وانقطع تعلُّقهم، وتبين أن توقُّفهم وامتناعهم عناد بَيِّنٌ قال لِنَبيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾[2] واعلمه بحسدهم في قوله: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ ﴾ فأرغمهم وفضحهم، وأعقب الآية في قوله: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ في سورة القلم. الأمر بالصبر لكمال ما قصد من قطعهم بكل جهة واستيضاح تمردهم من بعد ما تبين لهم الحق إلاَّ الصبر عليهم حتى يحكم الله فيهم بما شاء؛ فقال له تحذيراً من أن تدركه السآمة والضجر، فقال: ﴿ وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[3]. وبَانَ أيضاً وجه هذا التعقيب ولما كانت سورة «والطور» متقدمة في الترتيب المستقر وورد بعدها في سورة «القلم» ما هو راجع إلى الوارد في الطور من تمامه أعقبت الآية هنا بقوله: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً ﴾[4] وأعلم تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن كيدهم راجع عليهم وأن ما راموه حالٌ بهم ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيداً ﴾[5] تأنيساً له عليه السلام، وإعلاماً بنصره عليهم. ثم لما تم المقصود في سورة «القلم» من ذلك الغرض أمر بالصبر، وأعلم أن العاقبة له وأنه سيستجيب له غيرهم ممن سبقت له الحسنى فأناب وتذكر. قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[6] وجاء على ما يجب ويناسب والله أعلم.

---

(١) م، ب، ك: فإذا رأوا أنّ خزائنه.. هـ، ع: قادر أو أن خزائنه.
(٢) القلم/ ٤٨.
(٣) محذوف من ب.
(٤) القلم/ ٤٨.
(٥) الطور/ ٤٢
(٦) الطارق/ ١٧.
(٧) القلم/ ٥٢.

سورة «والنَّجْم»

٣٣٢ ـ [قوله تعالى[1]]:

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ (٢٢، ٢٣).

وقال بعد هذا (٢٧، ٢٨): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ. وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾.

للسائل أن يسأل عن تعقيب قوله أولا: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ وثانياً[2] بقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[3]. وما الفائدة في تقديم وتأخير ما [١٣٤/ و] تأخر وهل كان العكس يناسب؟

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لما قال تعالى قبل هذا: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[4]، فذكر أصنامهم وتسميتهم إياها آلهة، واتخاذها معبودات، وذكر تعالى في مواضع أُخَر أنهم جعلوا الملائكة إناثاً. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾[5]، وأنهم بنات الله تعالى [قال تعالى]: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾[6] وكرهوا البنات لأنفسهم. وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[7]. أي جعلوا لأنفسهم ما يشتهون. قال

(١) في جميع النسخ: «الآية الأولى منها قوله تعالى وفيها آية واحدة.
(٢) ك: وثانيا.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفائدة في تعقيب الاولى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾، والثانية بقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾..).
(٤) النجم/ ١٩.
(٥) الزخرف/ ١٩.
(٦، ٧) النحل/ ٥٧.

تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعلماً بحالهم توبيخاً لهم وتقريعاً[1] مع إبقاء أعظم التلطف، وأجل الحلم: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ أي جائرة[2]. ثم عرفهم بما لا جواب لهم عليه، وأنه مرتكب لا مستند له قال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾، إلاَّ اتباع ظن وهوى، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ ﴾[3]. ثم نبه تعالى على الرحمة بما جاءهم به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾[4]، وعرفهم بما تشهد العقول بتصديقه لإدراك ذلك إدراكاً ضرورياً، فقال تعالى: ﴿ أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾[5]، أي أن الجاري في الوجود أن الإنسان قد يتمنى الشيء فلا يدركه إذا لم يقدر له، وقد يجيئه ما لا يريد[6]، ولا يحسب تمني المتمني[7] منكم إلاَّ أن يشاء الله ذلك. ثم أخبر تعالى الملائكة وأشار إلى عليّ أقدارهم فقال: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾[8]، فقطع تعالى بهم في قولهم في آلهتهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[9]. ثم صرف[10] الخطاب الى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ[11] ﴾، ولم يقل له: إن قومك، أو إنّ العرب، أو ما يحرز هذا المعنى، إبقاء عليهم وإخباراً ألاَّ[12] عِلْمَ عندهم ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ ﴾. ثم قال: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا ﴾. فهذا موضع قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا ﴾.

---

(١) هـ، م، ب: تعريفا.

(٢) هـ، م، ب: جائرة.

(٣-٦) النجم/ ٢٣، ٢٤.

(٧) ك: يريده.

(٨) هـ: بحسب ىمى (؟)، ب: يحسب التمني منكم.

(٩) النجم/ ٢٦.

(١٠) الزمر/ ٣.

(١١) زاد بعدها في ب: «تعالى».

(١٢) زاد بعدها من الآية في ك قوله: ﴿لَيُسَمُّونَ المَلائِكَةَ﴾.

(١٣) ك: وأخبر أنهم.

وأما الموضع الأول: فموضع ذكر اتباعهم أهواءهم لما أوضح تعالى لهم أن ليس للإنسان ما يتمناه، فبطل هوى الأنفس ولم يبق إلاَّ مجرد ظن أخبر تعالى أن الظن لا يغني من الحق شيئاً. فتناسب هذا كله وتبين أن كُلاًّ من المُعَقب به في الموضعين لا يصح في غير موضعه، ولا يمكن العكس، والله أعلم.

سورة القَمَر

٢٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ. تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ. [٢١٤/ظ] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (١٨ ـ ٢٢).

للسائل أن يسأل عن تكرر[1] قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ في قصة عاد مرتين ولم يقع في قصة نوح وقصة ثمود بعد إلاَّ مرة واحدة[2]، فما وجه تكرر ذلك في قصة عاد مرتين؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنّ عاداً لما كذبوا هوداً عليه السلام امتحنوا بالقحط الشديد واشتد الأمر عليهم[3]، وهذا[4] أشد تخويف لو وقفوا للتذكير[5] وقد خوف بذلك آل فرعون قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[6]. فَخُوِّفَتْ بذلك فلما لم يُجْدِ ذلك عليهم مع أَلِيم امتحانهم به أهلكوا بالريح العقيم، فأصبحوا لا تُرَى إلاَّ مساكنهم، فامتحنوا

(١) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن تكرر...).

(٢) ب: مرة مرة.

(٣) زاد هنا في ك: «حتى بعثوا وجوههم إلى مكة ليَسْتَسقُوا لهم وقد اشتد الأمر عليهم. وهذا أشد...».

(٤) هـ، م، ب: هذا.

(٥) ك: للتذكر.

(٦) الأعراف / ١٣٠.

بعذابين. وإنما كان أخذ قوم نوح قبلهم وهلاكهم بالطوفان. ولم يُتَعرَّف من الكتاب العزيز أنه تقدمهم قبله أخذ بغيره من ضروب ما أهلك به غيرهم. وكذلك ثمود أخذوا بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والحجارة. وإنما تكرر الامتحان بعد عاد على آل فرعون فأخذوا بضروب العذاب والامتحان إلى أن أغرق الله آخرهم مع فرعون.

وممن[1] أشار الكتاب العزيز إلى تنوع أخذهم قوم شُعَيْب، ولم يقع ذكرهم في هذه السورة. فلما أخذت «عاد» بالسنين، ثم استؤصلوا بالريح العقيم؛ ورد متكرراً فأشار قوله أولا: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ إلى ما قدم لهم من منع المطر وشدة السنين عليهم وما أنذروا به من ذلك. وأشار قوله ثانياً: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ إلى استئصالهم بالريح العقيم. ويجري مع ما ذكرته ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾[2]، والرجس هنا العذاب. ومنه أخذهم بالسنين. وأما الريح العقيم فمن غضبه سبحانه إلى ما يلحقهم منه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[3]، فتكرر قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ مرتين مشيراً إلى ما قدم لهم مما باشروه وشاهدوه من العذاب بالسنين، وقطع دابرهم واستئصالهم بالريح، وجارياً مع هذا التنويع من امتحانهم في الدنيا والآخرة. ولما لم يذكر من حال قوم نوح، وقوم صالح وقوم لوط مثل هذا التنويع لم يتكرر ما ورد في أعقاب قصصهم من قوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾، وتناسبَ هذا كله أتم مناسبة، وجرى مع كل قصة ما يلائمها.

فإن قيل: فإن آل فرعون قد تكرر عليهم الامتحان قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾، وقد تقدمت الإشارة إلى [٢١٥/و] ذلك ولم يقع التنبيه على تعذيبهم وإنذارهم متكرراً كما وقع في قصة عاد.

---

(١) هـ، م، ك، ع: ممن.

(٢) الأعراف/ ٧١.

(٣) هود/ ٦٠.

والجواب أن قصة فرعون لم يقع تعقيبها بقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ كما ورد في القصص الثلاث. وإذا لم يرد تعقيبها بذلك فقد سقط السؤال عن التكرار ثم قد أُعقبت بما يحرز امتحانهم بأشد امتحان، وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[1]. فلما خالف إيرادها تلك القصص، ولم يجر في ذلك التعقيب مجراها، لم يلزم السؤال المفروض، والله أعلم، بما أراد[2].

وأما الجواب في قصة عاد فإنما[3] اختص[4] ما نزل فيها من كتاب الله بذكر عذابين. أحدهما قوله تعالى: ﴿ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ والثاني قوله تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾. فأشار بقوله أولا: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ إلى عذابهم في الدنيا، وأشار التكرار إلى عذاب الآخرة. وهذا الجواب ـ والله أعلم ـ بعيد، لأن سورة القمر بأسرها مقصود بها تذكير كفار العرب من قريش وغيرهم بما نزل بمن تقدمهم من مكذبي الأمم. وإنما ذُكِّروا بحاصل قد وقع بمن سلك مسلكهم ليتعرفوا خبره فيتعظوا. فعلى هذا جرى تذكارهم في الكتاب العزيز فتارة يشاهد من خلق السموات والأرض وشبه ذلك، وتارة بما يعلم[5] خيراً أما وعظهم بعذاب الآخرة وهم يكفرون بالرحمن فبعيد جداً، ولا يطابق ذلك قوله عقب كل قصة ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[6]، ولا قوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[7]. فتأمله وهو أعمد[8] جوابَيْ صاحب كتاب الدرة[9] وأراه لا يصلح[10] والله أعلم.

---

(١) القمر/ ٤٢.
(٢) محذوف من ك.
(٣) م، هـ، ع: فلِمَا.
(٤) هـ، م: أخص.
(٥) ك: لا يعلم.
(٦) القمر/ ١٥، ١٧، ٣٢، ٤٠، ٥١.
(٧) الآية / ١٥.
(٨) ك: غير.
(٩) ب: كتاب صاحب الدرة.
(١٠) ساقط من ك.

سورة الرحمن[1]

٣٣٤ ـ الآية الأولى منها [قوله تعالى]:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (٧ ـ ٩).

للسائل[2] أن يسأل عن الوجه[3] في تكرر لفظ الميزان ثلاث مرات، ووجه تخصيص هذه السورة بذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن المراد بذكر الميزان إعلام العباد بما به قوام أحوالهم واستقامة أديانهم من إجراء أمورهم على العدل الذي أمر به سبحانه في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ـ الآية[4]، وفي قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[5]، وفي قوله: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[7]، وفي قوله: ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[8]. وفي الحديث: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى [٢١٥/ظ] مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[9]. وتكرر في الكتاب العزيز بالوفاء في الكيل والميزان المحسوسين لبيان

(١) زاد في ب: جل وعلا.

(٢) هـ، م، ب: لسائل.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر...).

(٤) النحل/ ٩٠.

(٥) النساء/ ٥٨.

(٦) المائدة/ ٨.

(٧) الحجرات/ ٩.

(٨) هذا الحديث من أحاديث الصفات رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٤٩٠ رقم ١٨ عن أبي بكر ابن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وابن نمير ثلاثتهم عن سفيان بن عُيَيْنَة عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو. ونص الحديث: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين. الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا». وانظر صحيح النسائي ـ آداب القضاة.

الأمر فيهما، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾[1]. وذم سبحانه من يُخْسِرُ فيهما وجعل جزاءه الويل والهلاك فقال: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ـ الآيات[2] وأعلم سبحانه بعاقبة قوم شعيب عليه السلام في ذلك، وأخذهم بالصيحة، وعذاب يوم الظُلّة وأعلمنا سبحانه بوزن أعمال العباد في القيامة، فقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ـ الآية[3] وتكررت الآيات والأحاديث مُعلِمةً بذلك ليشاهد العباد عظيم العدل واستيفاء جزاء الأعمال مرئياً محسوساً جارياً على مألوفهم في دنياهم مشاهداً للصالح والطالح على المعتقد المتقرر عند كافة أهل السنة. فلما كانت الاستقامة في الكيل والوزن مشعرة بالاستقامة فيما سواهما وتأكيداً[4] لأنفسهما ولما وراءهما أكد سبحانه الأمر بذلك، وأخبر بوضعه للخلق في القيامة. ليمتثلوا بذلك أمره فقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾. وقال مفسراً وآمراً ﴿ أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ وأنْ في قوله: ﴿ أَلاَّ تَطْغَوْاْ ﴾ يحتمل أن تكون علة، أي لئلا تطغوا في الميزان، وأن تكون حرف عبارة وتفسير نائبه مناب أي، ومقدرة بها كالواقعة في قوله تعالى: ﴿ وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلأُ مِنْهُمْ أَنْ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ ﴾. وكرر لفظ الميزان جرياً على عادة العرب فيما لها به اعتناء وتَهمُّم كقول الخنساء: (بسيط).

وَإِنَّ صَخْـراً لَوَالِيـنَا وَسَيِّدُنَا ... وَإِنَّ صَخْـراً إِذَا نَشْتُـوا لَنَحَّارُ
وَإِنَّ صَخْـراً لَتَأْتَـمُّ الهُـدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّـهُ عَلَـمٌ فِي رَأْسِـهِ نَارُ[5]

فكررت ذكر صخر ثلاث مرات ظاهراً غير مضمر. وكقول الآخر: (خفيف).

(١) الإسراء/ ٣٥.
(٢) المطففين/ واحد.
(٣) الأنبياء/ ٤٧.
(٤) هـ، م: تأكدا ب: تأكد الاستهام لما وراءهما، ع: وتأكد لأنفسهما.
(٥) البيتان في ديوانها/ ٧٩، ٨٠ وروايتها فيه:

لاَ أَرَى ٱلمَوتَ يَسْبِقُ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ   نَغَّصَ ٱلْمَـوْتُ ذَا الغِنَـى وَٱلْفَقِيرَا[1]

فكرر لفظ الموت ثلاث مرات في بيت واحد. وقال: (وافر).

لَيْتَ الغُـرَابَ غَدَاةَ يَنْعَـبُ دَائِماً   كَانَ الغُـرَابُ مُقَطَّـعَ الأَوْدَاجِ[2]

وهذا موجـود في كلامهـم كثيراً، إذا قصـدوا الاهتمـام والاعتنـاء والتهـويل والاستعظـام. ومـن الـوارد من هذا في التنـزيل: ﴿ ٱلْحَاقَّةُ. مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[3]، و ﴿ ٱلْقَارِعَةُ. مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾[4]. وما ورد من[5] هذا.

وأما تخصيص هذه السورة بذكر الميزان وتأكيده والوصاة[6] بحفظه [٢١٦/ ظ] وفاء والتزاماً، وهو الجواب الثاني من حيث أن بناء السورة على إعلام الثقلين بنعمه سبحانه لديهم وإقامة الحجة عليهم، وتعريفهم بأنهم لو وفُقُوا للَحْظِ نعمه تعالى وما بث في السموات الأرض ومخلوقاتهـما من عجائب صنعه ما كفر منهم أحد ولا كذب وإنما أتى على ما[7] قدم ذكره من الأمم المكذبة في سورة القمر المتصلة بهذه لعدولهم عن النظر السديد اعتماداً على الأهواء ونبذاً للعدل[8] والإنصـاف. ولـو

= وإن صَخْراً لكافينـا وسيِّدُنا   وإنَّ صَخْـراً إذَا نَشْتُـو لَنَحَّارُ
أَغَـرُّ أَبْلَـجُ تَأْتَـمُّ الهُـدَاةُ بِهِ   كَأَنَّـه عَلَـمٌ فِي رَأْسِـهِ نَارُ

وانظر رواية البغدادي في الخزانة ٢٠٨/١، وشرح المقامات للشريشي ٢٥٢/٢.

(١) البيت مختلف في نسبته إلى: عدي بن زيد، أو ابنه سوادة، او حفيدة سواد بن زيد بن عدي وزعم الشنتمري أنه ينسب إلى أمية بن أبي الصلت. انظر: الكتاب ٦٢/١، شرح الشنتمري لشواهد سيبويه ٣٠/١، ديوان عدي/ ٦٥، اعرب القرآن للزجاج/ ٩١٣، الخصائص ٥٣/٣، شرح شواهد المغني/ ٢٩٦، الخزانة ١٨٣/١، ٥٣٤/٢، ٥٥٢/٤، اللسان (نغص)، الأمالي الشجرية ٢٤٣/١، ٢٨٨، الاقتضاب/ ٣٦٨.

(٢) البيت منسوب لجرير في ديوانه/ ٨٩، وفي مجمع الأمثال للميداني ١٩٧/٢، وغير منسوب في الأمالي الشجرية ٢٤٣/١، معاني القرآن للأخفش ٦١/و.

(٣) الحاقة/ ١، ٢.

(٤) القارعة/ ١، ٢.

(٥) غ: في.

(٦) ك: الوصاية، هـ، م، ع: الوصاءة.

(٧) ب: من، وساقطة من هـ، م، ع.

(٨) ك، م، ب، ع: العهد.

اعتبروا بخلق الإنسان وما منح وعُلِّم من البيان وشَرُف به على سائر الحيوان، واعتبروا بآيتي[1] الشمس والقمر وجريهما بحسبان لتفصيل الفصول وربط الأزمان وتعاقب الملَوَيْن للتصرف والاستراحة. ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾[2] فلو اعتبروا بهذا وما يستدعيه وينجر معه، وبالنبات نجماً وشجراً ورفع السماء ووضع الميزان للأنام، وإخراج ضروب الأطعمة وأصناف الفواكه منها واختلاف أنواعها في الطعم واللون والروائح مع اتحاد المادة، تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأُكُل، وكيف مرج سبحانه البحرين هذا عذب فُرَاتٌ وهذا مِلْحٌ أُجَاج وقد حجز سبحانه ما بينهما وأحكم ذلك فلا يلتقيان التقاء يعود بعدم المنفعة على العباد وأخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وأجرى فيهما السفن بإجراء الرياح، وأقام على الجميع دلائل الافتقار والحدوث وحكم عليهم بالفناء والعجز: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾ وما من معتبر من هذه إلا كَافٍ في شهادته مُفْصِح بلسان حاله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] فلو اعتبر اولئك الأمم ببعض هذه المنصوبات للاعتبار من المُنَبَّه عليه في سورة الرحمن لدلهم ذلك على الصانع الذي ليس كمثله شيء، ولنبذوا معبوداتهم من دونه جل وتعالى، وأجابوا الرسل فلم يهلكوا ولكنهم انحرفوا عن ميدان الإنصاف فكذبوا فهلكوا. فلبناء السورة على هذا اختصت بذكر الميزان مكرراً مؤكَّداً على ما وقع فيها. ولما لم ترد هذه الأغراض في غير هذه السورة مبنية على ما تقدمها في السورة قبلها من أخذ المكذبين على الصفة الواردة فيها وانفردت هي بما قدم كانت مظنة الاعتناء بما ينسحب على كل[5] طرق[6] السلامة في كل عمل [٢١٦/ظ] وهو العدل الذي به

---

(١) هـ، م: بآياتي (؟).

(٢) يس/ ٤٠.

(٣) الروم/ ٤٠.

(٤) البقرة/ ٢٢.

(٥) ساقطة من هـ، م، ب.

(٦) هـ، م: طريق.

قوام المخلوقات، والوزن بالقسط الذي تستوضح كل نفس في القيامة به ما لها[1] وعليها، ولم يكن غير هذه السورة ليكون أولى بذكر ذلك فيها منها، والله أعلم.

٣٣٥ ـ الآية الثانية من سورة الرحمن قوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١٣)[2].

للسائل أن يسأل عن وجه تكرار[3] هذه الآية إحدى وثلاثين مرة. ما وجه ذلك وهل لتخصيص هذا العدد سبب موجب؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه سبحانه افتتح السورة بذكر ضروب من النعم ثمانية تجل عن الإحاطة بوصفها، ويعجز العارفون عن شكرها. وكلها دلائل للمعتبر واضحة، وشواهد قاطعة سبحانه بالخلق والاختراع والإنشاء والإبداع، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ. عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[4]. وخص سبحانه من أسمائه الرحمن مناسبة لما رحم به عباده فبدأ سبحانه بتعليمه القرآن ولا نعمة أعظم من ذلك، إذ بتعليمه الحصول على الإيمان والفوز في الدارين. ثم أردف بنعمة خلقه الإنسان، ثم بتعليمه البيان المتوصل به إلى الإبانة[5] عما في نفسه واستيضاح ما أبهم وإيضاح ذلك لغيره وبه يعرف قدر النعمة بالقرآن. ثم أردف بذكر نِعمَة الشمس والقمر ونبه تعالى على جريهما في بروجهما بحسبان لما يدرك العالم من منافعهما: إنضاجاً[6]، وتَيْبيساً وإضاءةً، وحسباناً، لتعلموا عدد السنين والحساب. ثم قال

---

(١) ك: بما لها.

(٢) وقد ورد بعد ذلك في الآيات/ ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧ ـ وهي ثلاثون موضعاً.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر..).

(٤) الرحمن/ ١، ٢.

(٥) ب: الأمانة.

(٦) ك: إيضاحاً ب: اتضاحا.

تعالى محركاً للمعتبرين وإيقاظاً للمتفكرين: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1].
والنجم ما نجم من النبات وارتفع[2] عن أرضه. ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾، فأشار إلى جعلها سقفاً محفوظاً من غير عَمَدٍ مزينة بالنجوم للدلالة ورجم الشياطين. وقد مرّ[3] التنبيه بما فيها وفي خلقها من العبر. ثم قال: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[4]. **وقد تقدم الكلام في ذلك ثم قال:** ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[5]، للمشي في مناكبها والأكل مما بث فيها والاعتبار بها وبعجائبها، وعجائب السموات والأرض أكثر من أن تحصى بالعَدّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6].
ثم ذكر تعالى بعض ما بث فيها من الرزق فقال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ. وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾[7]. ولما كانت هذه النعم مشاهدة للخلائق، ولا طَمَعَ لأحد في نسبتها إلى غيره سبحانه، وقد شهدت العقول وعرفت بانفراده سبحانه بإيجادها واختراعها، اتبع ذلك [٢١٧/ و] بتقرير الثقلين وتعجيز الفريقين فقال لهما عقب هذه الضروب الثمانية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي من هذه ما يمكن الجاحد أن يكذب به، أو يتعاطاه لغيره سبحانه مع وضوح شهادتها لخالقها وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً. ثم عرّفنا سبحانه بخلقه الثقلين وبالمادة التي أوجد منها كُلاًّ من الصنفين فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ. وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[8] أينسب ذلك إلى غيره، أيستبد به سواه ثم اتبع سبحانه بأنه ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[9]، أي مشرق الشتاء ومشرق الصيف إشارة إلى الغايتين في الانتهاءين من رأس الجدي إلى رأس السرطان، ثم يخلق البحر من الحلو والمالح والتقائهما وفصلهما ثم ما يخرج منهما للانتفاع والزينة ثم بتسخير السفن وجريها ثم بذكر فناء كل من عليها

---

(١) الرحمن/ ٦.
(٢) ك: وارتفع.
(٣) ك: وقدم.
(٤،٥) الرحمن/ ٧، ١٠ على الترتيب.
(٦) الجاثية/ ٣. والآية في النسخ كلها: ﴿إن في خلق السموات﴾ ـ تحريف.
(٧ـ٩) الرحمن/ ١١ـ١٢، ١٤ـ١٥، ١٧ على الترتيب.

وبقائه سبحانه، ثم بافتقار أهل السموات والأرض إليه جل وتعالى وسؤالهم إياه شؤونهم وحاجاتهم كل يوم. وأعقب كل قصة من هذه بتقدير الثقلين وتعجيزهم لقيام الحجة عليهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وتكررت الآية بتكرر القضايا وكلها مما لا مطمع لأحد في ادعائه[1] فقامت الحجة بها وكانت سبعاً جرياً على سنة ما وقع التنبيه به من تحريك المعتبرين، وإطراد هذا العدد في ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى تمام سبعة أطوار آخرها: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[2] وقال عقب هذا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾[3]. ولما ذكر سبحانه الحالات التعبدية التي بخا خلاص المكلفين ذكر سبعاً فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[4]. فَعَدَّ للمؤمنين خصالاً سبعاً جعلهم بها وارثين نعيمه وساكنين جنته فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]. وهذا العدد مطرد، جار في أشياء يشهد إطراده فيها على قصد حكمة تقتضيها. فمنها ما ذكر آنفاً ومنها أن أم القرآن سبع آيات، والسموات سبعة، والأرضون مثلها، وأبواب جهنم سبعة، وحدّ الإثغار[6] لسبعة أعوام، ويُعَقُّ عن المولود[7] يوم سابعه. ومن مسنوناته عليه السلام التسبيع للبِكْر، وهذا كثير جداً. ثم انصرفت الآيات عقب هذه[8] السبع المذكَّر[9] بها، إلى سبع قضايا وعيدية. أولها قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ [٢١٧/ ظ] لكم أَيُّها

(١) زاد بعدها في ك: «لاحده».
(٢) المؤمنون/ ١٢-١٤.
(٣) المؤمنون/ ١٧.
(٤) المؤمنون/ ١، ٢.
(٥) المؤمنون/ ١٠، ١١.
(٦) أثغر الغلام ألقى ثغره، أي سقطت أسنانه ورواضعه فهو مثغور. والثغر: نبات من خيار العشب. ويطلق على الفم أو الأسنان أو مقدمها.
(٧) العقيقة هي ما يذبح عن المولود يوم سابعه. يقال عَقَّ المولود أي ذبح عنه.
(٨) ب: هذا.
(٩) هـ، م، ب، ع: المذكور.

ٱلثَّقَلَانِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[1]، معقباً كل قضية بقوله مقرعاً وقامعاً للمعاندين بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم انصرفت الآي إلى فريق النجاة ووعدهم بما أعد تعالى لهم فقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2] واستمرت الآي فيما أعد تعالى لهم وما أعطاهم إلى قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ ٱلإِحْسَانِ إِلَّا ٱلإِحْسَانُ﴾[3] مختتمة كل قضية منها بقوله في ثماني كرات[4] في أعقاب[5] ثماني قضايا على ما تقدم: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وكانت هذه ثمانية لكونها في أهل الجنة فجاءت على وفق أبوابها. ويشهد لهذا القصد تعقيبها بمثلها عدداً فيما زادهم في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ إلى آخر السورة[6] وهي ثماني آيات كعدد ما قبلها مُعقَبة كلُّ آية منها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ رَعْيا لما ذكرنا. فتحصّل في المجموع العدد المتقدم، ولم تكن الزيادة على ذلك لتناسب، إذْ لا قضية سوى هذه المعاقبات كما أن النقص من هذا العدد لا يناسب لطلب كل قضية بذلك الإعقاب، تناسباً وتوازناً على ما تقدم من الرعي. فورد ذلك كله على الوجه الذي لا يناسب خلافه، والله أعلم[7].

---

(١) الرحمن/ ٣١-٤٤.

(٢-٣) الرحمن/ ٤٦، ٦٠.

(٤) ك: مرات.

(٥) ساقطة من هـ.

(٦) الآيات/ ٦٢-٧٨.

(٧) جاء في جميع النسخ بعد ذلك: «فإن قلت: ما وجه اختصاص سورة الرحمن بهذا التعقيب مما هو إيقاظ للغافلين وتنبيه للمؤمنين، وتقريع وتوبيخ للمعرضين وما وجه ذلك؟ فالجواب [بياض إلى آخر شرح الآية] وقال في م: «كذا في النسخة المنقول منها» وقال في ع: «كذا وجد البياض بالأصل المنسوخ منه». ولعل المؤلف اضرب عن هذا السؤال اكتفاء بما ورد اثناء حديثه عن الآية المشروحة.

سورة الواقعة[1]

٣٣٦ - قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾(٥٨، ٥٩).

وبعد ذلك (٦٣، ٦٤): ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ. أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾.

وبعده (٦٨): ﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾.

وبعده (٧١): ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن[2] وجه هذا الترتيب وهل كان يمكن تقديم أحد هذه النعم المنعم بها على ما وقع في الآية متقدماً[3] عليه.

والجواب عن هذه أن ذكر المتنعِّم بالنعم متقدم في الرتبة على[4] ذكر النعم، لأن النعم إنما خلقت للتنعم بها من أجله[5]. فذِكْرُه أولاً بَيِّنُ اللزوم. فلهذا تقدم ذكره[6] خلق الإنسان المتنعم بالنعم فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ - الآية. وأما تقديم الأكل على الشرب فمعقول الرتبة، وبحسب ذلك ورد المقول المنقول فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾. فالشرب[7] في الغالب للاستمراء وليس أولياً في الغذاء، ولا معتمداً في الجسوم الحيوانية للنَّماءِ، وإنما ورد ذكره مع الأكل تالياً لكونه في الرتبة ثانياً فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[8]. وأما النار فللمنافع من

---

(١) متشابه سورة «الواقعة» في ك، ب فقط. وساقطمن: هـ، م، ع، ج.

(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه هذا الترتيب).

(٣) ب: مقدما.

(٤) زاد بعدها في «ك»: ما.

(٥) ب: ومن أجلها.

(٦) ب: ذكر.

(٧) ب: الشرب.

(٨) البقرة/ ٦٠، الطور/ ١٩، الحاقة/ ٢٤، المرسلات/ ٤٣.

الإنضاج، والإسْخَانِ [وأما البدأة][1] فهي مُتِمَّة، وليست كالمأكل والمشرب مهمة. وإذا لم تكن كالأوليين في الغذاء والنماء فليس من المناسبة تقدم ذكرها على الماء. وورد عقب الآية الأولى قوله: ﴿ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، وعقب الثانية [قوله]: ﴿ فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ ﴾[3]. ووجه المناسبة أن الآية الأولى لمن تدبرها تذكرة بالعودة الأخراوية. فقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[4] فأعقب التحضيض على التذكر بالبدأة على العودة. وأما الآية الثانية فمستدعية الشكر على عذوبة الماء، ولو شاء لجعله أجاجاً فخلعه رجعله عذباً فوجب شكره تعالى على النعمة بذلك.

سورة الحديد

٣٣٧ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١).

وفي سائر المسبّحات: ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[5] ثم في سورة الحديد، وسورة الحشر، وسورة الصف: ﴿ سَبَّحَ ﴾ بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن: ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ بلفظ المضارع.

وهذان سؤالان.

والجواب عن الأول ـ والله أعلم ـ أن كون «ما» لم تتكرر في هذه السورة، إنما ذلك ليطابق بالكلام ما اتصل به من قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[6]. فلما لم تكن هذه الآية مستدعية لفظة «ما»، روعي ذلك فيما قبلها

---

(١) ك، ب: والاءة ـ هكذا، وما أثبتناه يناسب السياق.

(٢، ٣) آيتا ٦٢، ٧٠.

(٤) الأعراف/ ٢٩.

(٥) الآيات الأُوَلُ من سور: الحشر، الصف، الجمعة، التغابن.

(٦) الحديد/ ٢.

لتناسب الآيتين مع حصول ما تعطيه من المعنى. فلو وردت لم تكن لتكون إلا تأكيداً، وكان يسقط التناسب اللفظي. ثم قد ورد بعد هذا قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[1]. فتناسب هذا كله على ما يجب. وأما المسبِّحات فلم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة. فوردت على ما هو أنسب لما يفهم لفظ المضارع من التمادي والتكرر والله أعلم.

والجواب: [٢١٨/و] عن السؤال الثاني أن لفظ الماضي في ﴿ سَبَّحَ ﴾ ولفظ المضارع في ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ يحرزان الاستمرار والدوام، ولا تحرز إحدى[2] العبارتين ذلك إلاَّ بالتأويل والتقدير. فكان الجمع بين محرزي ذلك أولى. وإنما تقدم الماضي لثباته رتبة ووجوداً[3] قبل المضارع. ثم اتبع بما يقتضي الاستمرار وكان ورود أكثرها على التعبير بالماضي، لأنه أوضح في استحكام الثبات وامتداده. فورد هذا كله على أنسب وجه.

٣٣٨ ـ الآية الثانية[4] من سورة الحديد قوله تعالى:

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

ثم ورد بعد (٥): ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

للسائل أن يسأل عن إعادة قوله: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مع قرب هاتين الآيتين، وعن تعقيب الأولى بقوله: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، والثانية بقوله: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

---

(١) الحديد/ ٤.

(٢) ك: ولا يحرز أحد.

(٣) ك: رتبته وجودا.

(٤) إلى الحديد محذوف من ب.

والجواب عن الأول أن إعادة قوله: ﴿ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إنما أعيد ليبنى عليه قوله: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾، لما تقدم وصفه سبحانه بأنه المُسَبَّح المتعالي، ذو العزة والحكمة وأنه الذي له ملك السموات والأرض، والقدير على كل شيء[1]، والخالق للسموات والأرض، والذي استوى على العرش بالقهر والقدرة، والعليم بما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وأنه مع الكل بالعلم والقدرة[2] والبصر[3] بأعمالهم أكد ما تقدم بإخباره تعالى بأنه له ملك السموات والأرض وإليه رجوع أمر الخلائق فلا تتحرك ذرة إلاّ بإذنه ولا يصدر شيء إلاّ منه وعن قضائه فتكرر قوله: ﴿ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، لبناء ما ذكر عليه، أبين شيء لحصول الجمل المفصلة قبله تحت مفهومه. فقد تبين وجه التكرار ووجه تعقيب المكرر بقوله[4]: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾. وأما تعقيبه أولاً قبل التكرار بقوله: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، فلما تقدم متصلاً به [من][5] قوله: ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾، فالمراد: «وهو على كل شيء قدير» من الإماتة والإحياء وغير ذلك مما يدخل تحت حكم القدرة. فهذا التعقيب أنسب شيء، وأوضحه والله أعلم.

٣٣٩ ـ الآية الثالثة[6] من سورة الحديد (غ)[7] قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم ﴾ (١٢).

وفي سورة التحريم (٨): ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ

---

(١) زاد هنا في ك: «الأول والآخر والظاهر والباطن العليم بكل شيء».
(٢) ساقطة من ك.
(٣) ك: والبصير أكد.
(٤) ما بعدها إلى قوله: قبل التكرار ساقط من ك.
(٥) جميع النسخ: عن.
(٦) ما بعدها إلى الحديد ساقط من ك، ب.
(٧) ساقطة من هـ، م، ب، ع، والآية من المغفلات.

يَسْعَىٰ ﴾. فقدّم الفعل[1] في الأولى، وأخر في الثانية. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن قوله في سورة التحريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ يفهم من حيث المَعِيَّة قرب المنزلة وعلُوَّ الحال وتقدم ثبوته فناسب [٢١٨/ ظ] ذلك ورود الجملة الإسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه.

وأما قوله في سورة الحديد: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم. فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما يحصل في آية التحريم. وإنما هذه بشارة يناسبها التجدد والحدوث فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من هذا المعنى، فقيل: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾، ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٣٤٠ ـ الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[2] (٢٢).

وفي التغابن (١١): ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[3].

للسائل أن يسأل عما زيد في آية الحديد[4] من قوله: ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى ما بعد مما خلَتْ منه آية التغابن مع اتحادهما فيما انطوتا عليه من المعنى.

فأقول ـ وأسأل الله التوفيق ـ أن المسبحات الخمس وهي: سورة الحديد، وسورة الحشر، وسورة الصف، وسورة الجمعة وسورة[5] التغابن، مع اشتراك

---

(١) هـ، م: في الفعل.
(٢) مزج في هـ بين الآيتين بإسقاط ما بعد ﴿نبرأها﴾ إلى قوله: ﴿أصاب﴾ من آية التغابن.
(٣) زاد من الآية في ك: ﴿وَمَن يؤمن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ما زيد في آية الحديد).
(٥) هي وما بعدها ساقطتان من ب.

خمستها في مطالعها ـ لم تتلاق منها في عدة معان، وترادف ألفاظ واحدة مع أخرى، تلاقي هاتين السورتين، أعني سورة الحديد وسورة التغابن. ألا ترى اجتماع السورتين في ذكر خلق السموات والأرض والإعلام بإحاطة علمه سبحانه بما خفي وما ظهر، والأمر بالإيمان بالله ورسوله والإنفاق في سبيله[1] سبحانه وما يترتب على ذلك من الجزاء الأخراوي[2] وذكر الأموال والأولاد والفتنة بهما، وتحقير أمر الدنيا وما انطوت عليه، والإشارة الى تفصيل أحوال الخلق وجزائهم الأخراوي، وأن كل واقع في الوجود واقع بإذنه سبحانه، وتقديره وانطواء كل واحدة من هاتين السورتين على جملة من اسمائه سبحانه. ولم يرد في غيرها من السور الخمس المذكورة من ذلك ما يجاريها فيما اشتركا فيه من الأسماء العلية وإن كانت سورة الحَشْر قد انطوت من ذلك على نحو ما انطوت عليه سورة الحديد، إلاّ أنها لم تلتق معها في موافقة ما اجتمعتا عليه من تعيين عدة منهما. فلما اتفقت السورتان فيما ذكر ولم يجتمع معهما غيرهما من المسبحات في[3] ذلك، ولا[4] قارب مع طول سورة الحشر ومجاراتها[5] في الطول[6] سورة[7] الحديد، وكَوْن سورة التَّغَابُن لا تقارب واحدة منهما في الطول ومع ذلك فقد شاركت سورة الحديد في تلك الأغراض الجليلة [٢١٩/و] والمقاصد العظيمة، وجارتها في ذلك عدداً واستيفاءً، وعَرِيَتْ سائر المسبحات عن التعرض لذلك، والوفاء منه بما وَفَتَا[8] به وعرفت من حاله. فلما اتفقتا في هذا كله، وكانت سورة الحديد أمعن في كل ضرب مما ذكر، وأوفى تعريفاً وأمد تفصيلاً، وكانت هذه الآية المتكلم فيها من جملة ما اتفقت السورتان فيه، والاستيفاء والاجمال في الثانية، والاكتفاء على ما

---

(١) هـ: سبله.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «وجزائهم الأخراوي»: مكرر في هـ، م، وسقط من ب قوله: «وذكر الأموال».

(٣) ب: من.

(٤) هـ، م، ب، ع: وإلاّ.

(٥) هـ، م، ع: ومجاراتها.

(٦) ما بعدها إلى قوله: «في الطول» بعدها ساقط من ع، م.

(٧) هـ، ك: في سورة، ب: من سورة.

(٨) ك: وفَيَا.

جرت به سائر الآي فيما اشتركت فيه السورتان مما ذكر قبل فناسب ذلك ما زيد فيها في الآية المذكورة فقيل: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾، مناسبة لما بنيت عليه السورة من الوفاء بالأغراض المذكورة.

وقيل في آية التغابن: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، مناسبة لإجمال الوارد فيها من ذلك المشترك. وتحصل نظم السورتين على أتم مناسبة، وأجل تلاؤم وجرى ذلك على مسالك العرب، وتفننها في كلامها، وتصرفها إذا طالت لداع موجب وفصَّلتْ أو أوجزت لمقتضى من المعنى وأجملت:

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ[1]

ولا يمكن على ما تبين عكس الوارد في السورتين بوجه والله أعلم بما أراد.

سورة المُجَادَلَة

٣٤١ ـ قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

وقال بعدُ (٥): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2].

يسأل عن تعقيب[3] الأولى بقوله: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، والثانية بقوله: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾. ووجه اختصاص كل موضع بالوارد فيه.

---

(١) سبق تخريج البيت الآية رقم/ ١٤.

(٢) هـ، ب: أليم بدل مهين، وزاد بعدها: والثانية بقوله: ﴿ وللكافرين عذابٌ مُّهين ﴾ بانتقال النظر.

(٣) هـ، م، ب: تعقب.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى تقدمها ذكر الظِّهَار، وقد سماه سبحانه مُنْكَراً من القول وزوراً، وشرع الكفارة فيه رحمة وتداركاً للواقع فيه، إذا اتعظ وأناب وجعلها على التدريج[1] من تحرير رقبة للواحد القادر عليها، وإلاَّ فحكمه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يَتَمَاسَّا. فمن عجز عن الصيام، فإطعام ستين مسكيناً[2]. ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[3] أي أن الانقياد لأوامر الله سبحانه والتزام حدوده عنوان كبير على كمال الأديان، وإلتزام ما به التخلص لديه سبحانه فشرع لكم الحدود فمن التزمها ولم يتعدَّها فذلك [٢١٩/ ظ] المؤمن، ومن تنكب عنها وحاد عن التزامها فتلك صفة الكافرين، ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. وصف العذاب بالإيلام ليكون أوقع، وذلك[4] بيّن التناسب.

وأما الآية الثانية فتقدمها قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾. والمحادة[5] المشاقة والمحاربة. ولذلك كان جزاؤهم أن كُبِتُوا وأُذِلُّوا. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[6] أولئك في الأَذَلِّينَ. فلما تعزز هؤلاء وارتكبوا المحادة والمشاقة كان جزاؤهم إكباتهم وإذلالهم وإهانتهم[7] في مقابلة

---

(١) ساقطة من ك.

(٢) الظِّهَارُ هو أن يحرِّم الرجل امرأته على نفسه بقوله لها: «انت حرام عليَّ كظهر أمي أو كظهر أختي»، وأمثالها مما حرم الله الاستمتاع فيه تحريماً مؤبداً، وهو المراد بقوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾. والظهار نوع من الطلاق في الجاهلية قال أبو قلابة: «كان طلاقهم في الجاهلية الايلاء، والظِّهار. فلما جاء الإسلام جعل الله في الظِّهار ما جعَل فيه، وجَعَل في الايلاء ما جعل فيه. وقال عكرمة: كانت النساء تحرم بالظهار حتى أنزل الله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ ـ الآية (١/ المجادلة). والايلاء هو الحلف واشترط الشافعي في أحد قوليه فيه أن يكون الحلف بالله استدلالاً بالحديث الشريف: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت». والصحيح أن كل يمين يُلْزمها الزوج نفسه، ملزمة له على فعل أو تركه». انظر: أحكام القرآن الجصّاص ٣/ ٤١٧-٤٢٧، ولابن العربي ١/ ١٧٧-١٨٢، وللقرطبي ١٧/ ٢٧٢-٢٨٨.

(٣) المجادلة/ ٤.

(٤) زاد بعدها في ك.: «أوقع».

(٥) هـ، م، ب: المحاداة.

(٦) المجادلة/ ٥.

(٧) هـ، م، ب، ع: اماتتهم.

تعززهم كفراً وعناداً فقال تعالى في جزاء هؤلاء: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾، أي مُذِلّ لهم، قامع لعنادهم. وهذا بين التناسب والله أعلم.

سورة الحَشْرِ[1]

٣٤٢ ـ قوله تعالى:

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٣).

ثم قال بعد (١٤): ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ يسأل[2] عن اختصاص كل آية بما أعقبت به من قوله في الأولى: ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى لما أخبر عن يهود والمنافقين بسوء أحوالهم، وأن الرعب قد سكن قلوبهم حتى كان خوفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من خوفهم من الله. قال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، فناسب هذا نفي فهمهم، وانسلاخهم عن النظر والتدبر والتوفيق فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾. ثم أتبع ذلك بالتعريف بشدة بأسهم بينهم وشتات أحوالهم فقال: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾. فناسب هذا ما يفهم عدم الثبوت على شيء والرجوع إلى قانون[3] يقفون عنده ويرتبطون إليه. فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾. والعقل علوم ضرورية يُوقَف عند مقتضاه ويُحكَم بما أمضاه ولا يتعدى. ويحصل من ذلك الثبوت واشتقاقه من قولهم: عَقَلْتُ البعير، إذا ربطه بِعِقَال، وهو الحبل وشبهه مما

---

(١) ك: سورة الحشرة ـ تحريف.

(٢) ب: فيسأل.

(٣) ك: قانوا (؟).

يقيَّد به. ولما نفى عنهم الارتباط، مع وصفهم بشتات القلوب وجوداً فقال: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾، أخبر تعالى أن سبب ذلك أنهم: ﴿ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾. وتناسب هذا أبين[1] شيء، ولا يناسب الأولى قبلها إلاّ ما أعقبت به، والله أعلم.

سورة المُمْتَحَنَةِ

٣٤٣ ـ قوله تعالى:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٤).

وبعد هذا (٦): ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾.

يسأل[2] عن موجب إعادة قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ عن متعلّق كل واحدة من الآيتين، وهل كان يصلح ورود [٢٢٠/و] كل واحدة منهما مكان الأخرى؟

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه تعالى لما أمر المؤمنين ألا يتخذوا أعداءَه أولياء بالقاء أسباب المودة والنصيحة لهم. وسبب نزول هذه السورة قصة حاطِب بن أبي بَلْتَعَة ـ رحمه الله ـ في كتابه إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما[3] يريده فيهم[4]، ودَفْعُه ذلك إلى ظَعِينة، ونزول الوحي بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والمِقْدَادَ، وأمرهما أن يأتيا روضة خَاخ[5] وقال لهما: إنَّ بها ظَعِينةً معها كتاب إلى أهل مكة. فذهب علي والمقداد

(١) ب: بينٌ.
(٢) ب: فيسأل.
(٣) هـ، ك، ب، ع: وما.
(٤) ب، ع: منهم.
(٥) هـ، م، ب، ع: حاج.

رضي الله عنهما فوجدا الظعينة كما أخبرهما صلى الله عليه وسلم[1] فأنكرت الكتاب فاشتد عليها عليّ رضي الله عنه[2]، وقال: لتُخرِجِنَّ الكتاب أو لتُلْقِينَّ الثياب، فأخرَجَتْه من عِقَاصِها فأتى به عليّ إلى[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا الكتاب من حاطب فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتبرّأ حاطب من أن يكون فعل ذلك نفاقاً واعتذر بما قَبِلَهُ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بتصديقه في اعتذاره فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ـ الآيات[4]. فأمر تعالى بالتبري منهم وذكر كفرهم بما جاء المؤمنين من الحق وإخراجهم الرسول والمؤمنين من مكة من أجل إيمانهم، وتوعد فاعل ذلك، وأخبر بأنه قد ضل سواء السبيل. وقَبِل تعالى توبة حاطب، وأمر بالاقْتِداء بإبراهيم عليه السلام حين تبرأ هو ومن معه من المؤمنين من قومهم[5]، إلاَّ ما كان من موعدة إبراهيم لأبيه بالاستغفار إلى أن تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه، فقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ـ الآيات[6]. فلما أوضح[7] تعالى من ذلك ما فيه شفاء للمؤمنين اتبعه تعالى بالقسم المؤكد لذلك فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾، ودلت اللام الموطئة للقسم في: ﴿ لَقَدْ كَانَ ﴾ على تأكيد ما قدمه[8] من الأمر بالاقتداء والتأسي بإبراهيم عليه السلام ومن كان معه. فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ ﴾، أي في المذكورين: ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن

(١، ٢) في ك فقط.
(٣) ك: فأتى به عليٌّ رضي الله عنه رسولَ الله.
(٤) الممتحنة/ واحد ـ وزاد في ب من الآية: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾، وحذف كلمة الآيات.
(٥) هـ، م، ع: قولهم.
(٦) قال الواحدي إن الظعينة هي سارة مولاة أبي عمرو بن صهيب بن هشام بن عبد مناف. وذهب إلى أن النبي أرسل جماعة من الفرسان فيهم علي والمقداد بن الأسود، ومنهم عمار بن ياسر وطلحة، وابو مرثد. وروى رواية أخرى بأن النبي أرسل علياً والزبير والمقداد. انظر: أسباب النزول/ ٢٨١-٢٨٣، اللباب/ ٢١٦.
(٧) هـ، م: وضح.
(٨) ك: ما قدمته.

كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾، ثم قال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾[1]، عن الاقتداء والتأسي بمن أرشد سبحانه الى التأسي به فيما ذكر: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[2].

فالأولى تنبيه وإرشاد للمؤمنين، والثانية: تأكيد. وسبب كل آية منهما الذي به اتصالها وتعلقها بيِّنٌ ولا يلائم كل واحدة منهما، ولا يناسبها غير موضعها، والله أعلم[3].

سورة المنافقين

٣٤٤ ـ قوله تعالى:

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ [٢٢٠/ ظ] رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧).

ثم قال تعالى (٨): ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن نَفْي[4] الفقه عنهم أولاً، ونفي العلم في الآية الثانية، وهل كان يمكن وقوع ما نُفِيَ في الأول منفياً في الثانية، ووقوع ما نفي[5] في الثانية في الأولى.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن الاعتزاز بالدين والاطلاع على تشريف المؤمن به

(١،٢) الممتحنة/ ٦.

(٣) هامش م: «ترك سورة الجمعة» ولم يتركها المؤلف وإنما عادته ألاّ يعيد ما ذكره أثناء شروحه للآيات. وكذلك صاحب الدرة لم يكتب شيئاً فيها كما لم يقل «ليس فيها شيء من ذلك» على عادته. وكذلك الأمر بالنسبة لسورة الصف.

(٤) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن نفي...).

(٥) ك: بقي.

واعتزازهم بسببه، أمر لا يُوصَل إليه إلاَّ بعلم ويقين، لا طريق لمنافق إليه ما دام على نفاقه، وإنما يعلمه ويصل إلى رحمة الله به، المؤمن العالم، فنفي العلم بما منح الله المؤمنين من الاعتزاز[1] بدينه سبحانه والاعتصام[2] باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم والتمسك بما جاء به فَنَفْيُ ذلك عن المنافقين بيّن لا خفاء به، ولا يناسب الموضع غيره.

وأما ما رَامُوهُ[3] من قطع الرِّفْد والإنفاق[4] وما يرجع إلى ذلك عن المؤمنين حتى يتفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفردوه، فإن ذلك أمر[5] لو تثبتوا[6] فيه مع كفرهم ونفاقهم، وأمعنوا النظر لعلموا بجري العادة أن أرزاق العالم لا تتوقف على منع مانع منهم، بل مشيئة[7] جميعهم في هذا غير نافذة[8]؛ وأن وصول أرزاق العباد إليهم أمر ليس لمخلوق[9] كنزول المطر، وإرسال الرياح. وذلك مما لا طمع لمخلوق في إرساله وإمساكه. فلو فقه المنافقون وتفهموا السنّة الجارية، لما فاهوا بمقالهم ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فَنَفْيُ الفقه عنهم هنا أنسب شيء فلا يلائم وقوع أحد المَنْفِيَّيْن في موضع الآخر، والله أعلم[10].

(١) هـ، م: الاعتزال.
(٢) ب: والاعتصام بنبيه.
(٣) ك: رموه.
(٤) هـ، م، ب، ع: الإرفاق.
(٥) ك، ب: أمْراً (بالنصب).
(٦) هـ، م: تلبثوا.
(٧) هـ: مشيئه.
(٨) هـ، ع: نافدة (بالدال المهملة).
(٩) ب: بمخلوق، وزاد في ك بعدها: «فيه» والكلام مستقيم بدون هذه الإضافة.
(١٠) زاد في ب قوله: بما أراد.

سورة التَّغَابُنِ

٣٤٥ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (١).

وقال تعالى بعدُ (٤): **﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.**

للسائل أن يسأل عن تكرر «ما» في أول السورة وتَرْكُهَا في الآية بعد[١] وهل كانت الفائدة تحصل بعكس ذلك؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآيتين معاً قصد بهما الاستيفاء والإحاطة بكل المسبحين، وما أحاط به علمه سبحانه وقد اقترن بالآية الثانية واتصل بها قوله سبحانه: **﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾**، فحصل من ذلك إحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن وما اشتملت عليه السموات والأرضون [٢٢١/ و] فلما اقترن بهذه الآية ما يعطي إحاطة علمه سبحانه بجزئيات ما في الجملة، وأنه لا يغيب عنه شيء، لم يحتج في قوله تعالى: **﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾**، إلى إعادة «ما»، لأن ذلك كان يكون كالتكرار الذي لا يحرز معنى.

وأما الآية الأولى، فلم يقترن بها ما يعطي ذلك ملفوظاً به، مع أنه قد قصدت الإحاطة، فلم يكن بُدٌّ من إعادة «ما» استئناف إحصاء وتأكيد[٢] فلا[٣] يلائم كل[٤] من الموضعين إلاّ ما ورد فيه.

---

(١) ك: بعدها ـ هل.

(٢) هـ: احصاء وتأكيداً، ك: استئناف ايضاً وتاكيداً (هكذا).

(٣) ع: ولا.

(٤) ك: كلا.

٣٤٦ ـ الآية الثانية[١] من سورة التغابن قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (٩).

[وقال في سورة الطلاق (١١): ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾][٢].

للسائل[٣] أن يسأل عن زيادة[٤]: ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ في سورة التَّغَابُن ولم يرد في سورة الطلاق مع أن المقصود واحد في الآيتين.

والجواب عنه ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم في سورة التغابن قوله تعالى مخبراً عن المكذبين: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ﴾[٥]. وقول الله تعالى لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾[٦] ثم قال تعالى: ﴿ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنزَلْنَا وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٧] وبيّن أنه تعالى لا يخفى عليه شيء[٨] في الأرض ولا في السماء من أعمال المكلفين، وأن المنبَّأ به كل أعمالهم من غير فوات شيء. ثم ذكر تعالى جمعهم ليوم الجمع ثم أنّس المؤمنين فقال: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾، وفي قوله: ﴿ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾، إشارة إلى أن المؤمنين الموعودين[٩] هنا ليس من شروطهم استيفاء أعمال الطاعات إذ يحرز التنكير في قوله: ﴿ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ ويشعر بهذا المعنى. وما لم تكن العصمة فالتقصير[١٠] حاصل ولا انفكاك عن

---

(١) ما بعدها إلى التغابن محذوف من ب.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ، وما اثبتناه من إشاراته في شرح الآية.

(٣) ع: للسائل.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة..).

(٥-٧) التغابن/ ٧، ٨.

(٨) إلى قوله: «ولا في السماء» في م فقط.

(٩) ع: الموعدين، وهي عكس المعنى المطلوب، لأنها اسم مفعول من «أوعد» في صيغة الجمع.

(١٠) هـ، م، ب، ع: والتقصير.

مجترحات ـ وقد سمع المؤمن ـ ﴿ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾، فأشفق عن تقصيره وهَنَاته، وتوقع مَخُوف سيئاته، وتَشَوَّف[1] إلى تعرف تفصيل الحال في المنبأ به من الأعمال، ليعلم المآل. فجُووِب على الكمال بكيفية ما به يقابل اعماله، فقيل: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾، إذ لا بد من محتاج إلى تكفيره إذا[2] كانت السلامة، وسبقت السعادة. ثم قال: ﴿ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ إلى آخر الآية.

فهذا وجه زيادة قوله تعالى: ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ في هذه الآية. ويشهد لهذا المفهوم قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾[3]، إلى غيرها من الآيات.

وأما آية الطلاق [٢٢١/ ظ] فلا داعي فيها إلى زيادة قوله: ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾، بل سياقها يستدعي ألا يكون ذلك فيها، لأن قبلها: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾[4] والأمر بالتقوى يعُمُّ ولا يخص. ثم قال تعالى: ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَّسُولاً ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[5]، فأشار إلى النمط الأعلى من المؤمنين المستوفين أعمال الطاعات أشار إلى ذلك لفظ: ﴿ الصَّالِحَاتِ ﴾ بالألف واللام[6]، ثم قال: ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[7]، أي من الظلمات كلها إلى النور التام. وهذه حال المؤمنين[8] المخلصين المحسنين من المستجيبين[9] ثم تدارك تعالى من لم يبلغ حال هؤلاء

---

(١) م، ب: تشوق، ع: وتشوفه.
(٢) هـ، م: إذ.
(٣) الأنبياء/ ٩٤.
(٤) الطلاق/ ١٠.
(٥) الطلاق/ ١٠، ١١.
(٦) يريد أداة التعريف الجنسية الاستغراقية الدالة على جميع أفراد الجنس وما تحته من أنواع.
(٧) آية/ ١١.
(٨) في ب: فقط.
(٩) الجار والمجرور محذوفان من ك.

من المؤمنين ولحق بهم في النجاة؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ فناسب حال المتقدمين من ذوي الإحسان الا يقع إفصاح يشعر بعصيان، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. فوقع الاكتفاء بإيماء: ﴿ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ وقوله: ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾، وقوله: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا ﴾[1]. فجاء كل من الآيتين على ما يلائم ويناسب، ولم يكن ليلائم[2] ورود العكس.

سورة الطّلَاقِ

٣٤٧ ـ قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ (٢، ٣).

ثم[3] قال بعدُ (٤): ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾.

ثم قال بعدُ (٥): ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن تكرر[4] الأمر بتقواه تعالى أثناء[5] ما ذكره[6] سبحانه وتعالى من الطلاق والعِدَّة وما يرجع اليهما، وعن وجه تخصيص هذا العدد، والجزاء على ذلك بقوله في الأولى: ﴿ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾، وفي

---

(١) الطلاق/ ١١. والاكتفاء هو الاقتصار من كلمة على بعضها، أو من كلام على جزء منه. وهو بقسميه نادر الوقوع في كلام العرب. ويروي علماء البلاغة من هذا قول النبي ﷺ: «كفى بالسيف شا» أي شاهدا. وقد أكثر من الاكتفاء المتأخرون في الشعر والنثر.

(٢) ك: ليناسب.

(٣) إلى آخر الآية ساقط من م، ب، ع.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر الأمر..).

(٥) ك: آنفاً.

(٦) ك، ب: ذكر.

الثانية: ﴿ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾، وفي الثالثة(1): ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾.

ويمكن أن يجاب عن ذلك ـ والله أعلم ـ بأن الأوامر التي دارت عليها هذه السورة، وبنيت عليها ثلاثة:

الأول: الأمر بالمحافظة على إيقاع الطلاق، لما ضمت إليه الضرورة في وقته لاستقبال العدّة حتى لا يقع إضرارٌ بالمطلقة بتطويل عدّتها.

والثاني: الأمر بإحصاء العدة والمحافظة عليها وألا تخرج المعْتَدَّةُ من بيتها، حيث وقع عليه الطلاق ولا تَبِيتُ عنه، إلى ما يرجع إلى هذا.

والثالث: إنفاذ ما يقع الاعتماد عليه من إمساك ومفارقة، من حسن الصحبة وجميل العشرة [222/ و] إن اعتمد الامساك، أو الامتناع(2) والتلطف رعياً لما تقدم من الصحبة إن عوّل على المفارقة. فعلى هذه القضايا الثلاث بناء هذه السورة وعلى الوعظ في ذلك والتأكيد بالتزام تقوى الله والتزام ما حدّ سبحانه فيما ذكر ولرعي هذه الأوامر الثلاثة(3) ما ورد الإخبار بجزاء من اتقاه سبحانه في ثلاث كرّات فبإزاء أول قضية من أوامر السورة قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾، أي في إيقاع الطلاق في محله ووقته كما أوضح صلى الله عليه وسلم في قضية عبد الله بن عمر المشهورة(4)، ﴿ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ بحكْمِه نفسه إن لحقه ندم؛ كما قال تعالى:

---

(1) ب: الثانية.

(2) هـ: أو بالامتناع الاعتماد والتلطف، ك، ب، ع: أو بالامتناع، م: بأو بالامتناع.

(3) ب، ع: الثلاث.

(4) يشير إلى سبب نزول الآية الأولى من سورة الطلاق، لما أن طلق عبد الله بن عُمَرَ زوجته في حيضها ولم يكن للنساء في الجاهلية عدة فأمر النبيﷺ عمر أن يأمر ابنه بمراجعتها حتى تحيض ثم تطهر فإن شاء راجعها وإن شاء طلق قال: «مُرْهُ فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر، ثم تحيض حيضة أخرى. فإذا طهرت فليطلقها قبل أن يجامعها او يمسكها فإنها العدة التي أمر الله أن يُطَلَّق لها النساء. وقد روى الحديث الشيخان من حديث ابن عمر، في ستة عشر طريقاً. انظر: البخاري 7/ 52، 53، مسلم 3/ 659-667/ أرقام 1-14 كتاب الطلاق، أسباب النزول/ 289، أحكام القرآن للقرطبي 18/ 148-157، ولابن العربي 4/ 1811-1817، وللجصاص 3/ 452، 453.

﴿ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾، أي من تقلب الأحوال وصيرورة البغض وُدًّا فيجد السبيل إلى المراجعة سهلاً بالتزامه الوجه الجاري على السنَّة، وأخذه بالطاعة فينشرح صدره بتيسير أمره ويكثر رزقه بتقوى الله، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾. ومن يتق الله في صبره أيام العدة على ما يلزمه من نفقة، وسكنى حيث يلزم ذلك. وإن طالت الأيام فكان طولها مع ما يتكلفه فيها مظنة للضجر[1] وكَرْب النفس فإذا اتقى الله تعالى في ذلك يسرّ عليه تلك المشقة، وقرّب عليه أمرها ـ وإنْ بَعُدَت الشُّقَّةُ ـ وأنَّسَهُ في وحشتها، وجعل له من أمره يسراً. فإذا اتقى الله عند تمامها والإشراف على[2] انفصالها وأخذ بالسنة، واتقى الله فيما يختاره تعالى له ويقضيه من إمساك أو فراق فيلتزم المعروف إن أمسك، ويتبع كل سيئة جرت حال طلاقه وغضبه من قبح كلام أو قصد مضرّة وإن كان بادٍ في إلمام أو إساءة معاملة تنافر المجاملة والمكارمة بحسب تقابلها ونحوها من إظهار التندم وطلاقة البشر والإغضاء عن كل ما جرى أيّام المنافرة ويستبدل المناقشة بالمياسرة. فإذا فعل هذا واتقى الله في ذلك كفر عنه سيئاته، وأعظم أجره جزاء وفاقاً، لأعماله في ثلاثة احواله. فورد بإزاء كل مرتكب في تلك الأحوال ما يناسب جزاءً على تلك الأعمال. ويشهد لما تمهد من جزاء تقوى الله سبحانه في تلك الحالات ما أفصح به ما بعد الآيات. قال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ [٢٢٢/ ظ] وَإِن كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ ـ إلى قوله سبحانه ـ ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[3]. وتأمل جَرْيَ هذه الأوامر والوصايا الجليلة وما تشير[4] إليه من الاشتفاق وجميل التجمل والإنفاق[5] مع ما تقدم تجده جارياً على واضح التناسب، وأجل الالتئام، والله أعلم بما أراد.

(١) هـ، ب، م، ع: للشجر.
(٢) هـ، م، ب، ع: عن.
(٣) الطلاق/ ٦، ٧.
(٤) هـ، م، ب، ع: ما تشير ـ بلا واو.
(٥) ك: الإرفاق.

٣٤٨ ـ قوله تعالى:

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ كَانَ نَذِيرِ ﴾ (١٦ ـ ١٧).

للسائل أن يسأل عن وجه تقديم[١] التوعُّد بخسف الأرض على التوعد بإرسال الحاصب[٢] من السماء، ولِمَ اختير تقديم الوعيد بالخَسْف وما الفرق بين الوارد هنا والوارد في قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾[٣].

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم ما اتصل به التوعد من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[٤]، فحضر في النفوس عند ذلك وتقرر بذكره هذه النعمة، وجليل الامتنان بها شاهداً حاضراً للمتذكر، وعليها قراره حال تذكره وتنعمه بالتقلب فيها حين خطابه متصلاً غير منفصل، وملتصقاً غير متباعد، كان أنسب شيء لهذا في الموعظة تذكيره إيقاظاً[٥] بجميعها من تحته حتى كان ذلك الأمر جاء[٦] منه لا من خارج عنه.

أما آية الأنعام فتقدمها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[٧]، فصرف هذا الخطاب تفكر النفس في عين الجهة التي ذكر منها القهر،

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تقدم..).
(٢) ك: الحاسب.
(٣) الأنعام/ ٦٥.
(٤) المُلك/ ١٥.
(٥) ب: إيقاظها، م، هـ: اتماظاً، ك: بخسفخا من تحتها.
(٦) ك: خاف عنه.
(٧) الأنعام/ ٦١.

وكان أنسب شيء ذِكْرُ التخويف من تلك الجهَة بخلاف آية الملك. فكل آية من هاتين الآيتين تبين حال الأخرى، وإنَّ التناسب إنما هو فيما وردت عليه كل آية منها، وأن العكس غير مناسب، والله أعلم.

سورة القَلَم

٣٤٩ ـ قوله تعالى:

﴿ ولاَ تُطِعْ كُلَّ حلاَّفٍ مُّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ **﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ. سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾** (١٠ ـ ١٦).

وقال في سورة المطفِّفين (١١ ـ ١٤): **﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ. وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾** ـ إلى قوله ـ **﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ. كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾**.

للسائل أن يسأل عن التعقيب[1] في الأولى بقوله: **﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾**، وفي الثانية بقوله: **﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ [٢٢٣/و] مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾**، مع اتحاد وصف من أعقب بهذا المعقب حاله، وحكى[2] مقاله، وهل كان يحرز تعقيب آية سورة القلم[3] بما أعقب به آية التَّطْفِيف وآية التطفيف بما أعقبت به آية القلم؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية القلم نزلت في شخص بعينه قيل هو الأَخْنَسُ بن شَرِيقٍ، وقيل الوليد بن المُغِيرَة وكان مظهراً لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل: **﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ ﴾**[4]، وكان من أكثر قريش مالاً

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه التعقيب..).

(٢) ك: وحال.

(٣) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ك.

(٤) الأنعام/ ٩٣.

وولداً فلهذا قيل: ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾[1] وهو القائل يوم موت إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم: أصبح محمد أبْتَر[2] أي لا ولد له فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[3]. والثاني المُبغِض وأسلم ولده فقطعهم الله بالإسلام عنه، فكان هو الأبتر كما أخبر الله نبيه، وصار أولاده في عداد المسلمين الذين هم أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأزواجه أمهاتهم.

ففي هذه أنزلت الآيات من قوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ - إلى آخرها[4]. فأغنى استيفاء صفاته المذمومة عن تعيين اسمه بقوله: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾، إخبار عنه تعالى بأول عقاب ينزل بعدو[5] الله تعالى المذكور. والخرطوم الأنف، فكان ذلك يوم بدر. فهذا وعيد بخاص معين، نزل به معجله، ولعذاب الآخرة أكبر.

وأما آية التطفيف فليست في مُعَيَّنِينَ[6] بغير مرتكبانهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ ﴾، أي بيوم الدين، وهو يوم الجزاء ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ مكذب بالوحي، ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، فقال تعالى: ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، أي أنَّ المانع لهم عن فهم الوحي والعلم بأنه مُنَزَّلٌ من عند الله ما غطى على قلوبهم وغشَّاها من الرَّيْن وهو ما يغشى القلب ويمنعه من الوصول إلى ما ينفعه. وأعاد الضمير في قلوبهم على المعنى من حيث إنّ المراد هنا جميع [مَن] وقع عليهم ﴿ كُلُّ ﴾، بخلاف[7] آية القلم، فإن كلا فيها

---

(١) القلم/ ١٤.

(٢) م، ك، ب: ابترا ـ لا (هكذا).

(٣) الكوثر/ ٣.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدِّيّ أنها نزلت في الأخنس بن شريق. وعن مجاهد أنها نزلت في الأسود بن عَبْد يغوث. وحكى الكرماني أنها نزلت في الوليد بن المغيرة. انظر: مبهمات القرآن/ ٤١، اللباب/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥) عبارة م، ب: بعد ابنه المذكور (هكذا).

(٦) ك: مَعنِيِّين.

(٧) ك: خلاف.

واقعة على مفرد، وعبر بكل ليفهم[1] المقصود بذلك المراد ومن كان على صفته، إبلاغاً في ذمه. والضمير في ﴿ سَنَسِمُهُ ﴾ لمفرد كما تقدم. ولفظ ﴿ كُلُّ ﴾ مطابق بمعناه وقد تبين أنه لا يصح في كل موضع من السورتين إلاَّ ما وقع به التعقيب. فلا يناسب آية القلم ما أعقبت به آية سورة التطفيف، ولا آية التطفيف ما أعقبت به آية القلم. وأن كل آية منها أعقبت بما هو مناسب لا يلائم غيره، والله أعلم [٢٢٣/ ظ].

سورة الحَاقَّةِ

٣٥٠ ـ قوله تعالى:

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ. ولاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤١، ٤٢).

للسائل أن يسأل عن الوجه في نفي الإيمان[2] عنهم عقب تنزيل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من القرآن عن أن يكون شعراً، ونَفْي التذكر عقب تنزيهه عن أن يكون من قبيل قول الكُهَّان.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن نفي كون القرآن من أقوال الكهنة أمر لا يحتاج الى كبير نظر[3]، ولا استعمال طول فكر، بل يُوصَل إلى ذلك بأدنى التفات، فناسَب هذا نفي التذكر[4]. وأما تنزيهه عن إلحاقِه بقبيل الشعر وما يرجع إلى نحو ذلك من أقوال الخطباء وأَسْجَاعِهم، فقد يتوهم الجاحد الظلوم المتعامي عن النظر وصَرْف التفكر إلى تدبره[5]، والإصغاء إلى سماعه، المترامي الى التعلق بأدنى

(١) ك: النعم، ع: ليعم.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه نفي الإيمان...).

(٣) إلى قوله: نفي التذكر ساقط من ك.

(٤) في ك فقط وبقية النسخ: التذكير.

(٥) هـ، ع: نظيره، ب: نظير.

شبهة يستريح إليها، رُجُوعَه إلى ذلك، فناسب هذا نفي التصديق؛ لأنه إنما يكون عن رُكُونٍ[1] إلى نظر. فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم.

سورة [المَعَارِج، و] نُوحٍ عليه السلام

٣٥١ ـ وقد تقدم ما في سورة المعارج. وقوله في سورة نوح[2]:

﴿ ولاَ تَزِدْ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلاَّ ضَلَـٰلاً ﴾ (٢٤).

وبعده (٢٨): **﴿ ولاَ تَزِدْ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ﴾.**

للسائل أن يسأل عن وجه[3] اختلاف ما دعي به نوح عليه السلام على قومه في الموضعين.

والجواب عن ذلك أن نوحاً عليه السلام لما ذكر أولاً في إخبار الله سبحانه عنه عصيان قومه له، وقولهم: **﴿ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾**، أي: لا تتركوها[4]، **﴿ ولاَ تَذَرُنَّ[5] وَدًّا ولاَ سُوَاعًا ﴾** ـ إلى قوله ـ **﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً ﴾**[6]. أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم ولم يَدْعُ هنا بهلاكهم.

وأما الآية الثانية فقد تقدمها دعاؤه عليه السلام بهلاكهم وأخذهم في قوله: **﴿ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾**[7]. فأتبع ذلك بما يناسبه تعالى: **﴿ ولاَ تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ﴾**، أي هلاكاً.

---

(١) ك: تكون.
(٢) إلى هنا محذوف من ب وفي موضعه: قوله تعالى.
(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف...).
(٤) هـ، ب، م: لا تتركونها.
(٥) بدل «ولا والفعل» في ب: «إلى قوله: ﴿ودا ولا سواعا﴾.
(٦) نوح/ ٢٣، ٢٤.
(٧) نوح/ ٢٦.

سورة الجن[1]

٣٥٢ ـ (غ) قوله تعالى:

﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (٢٦).

للسائل[2] أن يسأل عن قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ ﴾ بإعادة الظاهر مضافاً إلى الضمير[3]، هل ذلك من قبيل ما تكرره العرب لتفخيم الأمر وتعظيمه، كما قال قائلهم[4]:

لاَ أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقَ الْمَوْتَ شَيْءٌ ... نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ . مَا ٱلْحَآقَّةُ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾[6]، فيكون قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ ﴾، واقعاً موقع عليه، وتكون الآية على هذا مثل قوله: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[7]، وما ورد من مثله، وهو الذي يقتضيه [٢٢٤/و] قوله تعالى في مطلع هذه الآية: ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ فلا يكون بين الآي الواردة في هذا المعنى خلاف ويكون مَحْمِل جميعها على العموم أم يراد بهذه الخصوص لم يرد بسواها من الآي الأُخَر، وإن كان داخلاً تحت عموم تلك الآي.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية مراد بها ما انفرد سبحانه بعلمه ولم يُطْلِع عليه أحداً من خلقه. ولا يُظهِر سبحانه عليه إلاَّ من ارتضى من رسله مع سلوك الرصد من الملائكة بين يديه ومن خَلْفِه حفظاً لغيبه تعالى من مُسْتَرِقِ سَمْعٍ أو

---

(١) قال في الدرّة/ ٣٧٩: «وليس فيها شيء من ذلك».

(٢) هـ، م: لسائل.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما فائدة إعادة الضمير في قوله ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ إلى الضمير؟ هل ذلك...).

(٤) مر تخريج البيت في الآية رقم/ ٣٣٤.

(٥) الحاقة/ ١-٣.

(٦) القارعة/ ١، ٢.

(٧) النمل/ ٦٥.

مستطلع. فهذا غيب لا سبيل لأحد من الخلق إليه[1] على مقتضى الآية لا بتكهّن ولا بتنجيم ولا زجر، ولا غير ذلك. وهو كوقوع الساعة وتَجَلِّيها لوقتها، إلى غيرها من غيوب استأثر سبحانه بها، ولم يُعْلِم أحداً[2] لشيء[3] منها مائيّة[4] فيتشوّف مخلوق إلى تعرف وقت شيء منها، أو كيفيه ظهور، أو هيئة، أو غاية، إذ لولا الإخبار الصدق بمائية[5] الساعة لما وقع من أحد من العالم تشوف إلى تعرفها قيامها[6] ولا كنا لنعلم ما الساعة، وإذا لم نعلم مائية مغيب[7] ما، لم نتشوف إلى تعرف ما هو تابع للماهية. فلهذا ضاق عنها نطاق التمثيل حتى أوهم كلام بعض الجلة أن المراد بهذا الغيب الذي استأثر سبحانه بعلمه إنما هو غيب[8] الساعة وأن ما سواها يمكن الوصول اليه بالكهانة والتنجيم والإلهام وغير ذلك. ولو أن هذا القائل أراد ظاهر ما يسبق من كلامه لما سُلِّم له، لأنه لو لم نسمع باسم الساعة، لعجزنا عن تعرف موجود مقدر الوقوع يسمى بهذا الاسم. فالذي يجب أن يفهم عن هذا القائل أنه يريد أن لله سبحانه غيوباً لا تحصى لا يَظْهَرُ عليها أحد من خلقه على مقتضى هذه الآية الخاصة بهذا، المجرَّدة له. ومن نحو هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ولاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾[9] وإذا أظهر تعالى شيئاً من هذا الغيب، فإنما يدركه الخلق، أو من شاء الله منهم بعد ظهوره وكِيَانِه، فيعلم إذ ذاك [أنه] قد كان هذا الظاهر في غيبه الذي انفرد به عن خلقه، لم يعلم أحد من الخلق [له[10]] ماهية إلاّ بعد ظهوره، وما غاب عن الخلق أكثر. هذا ـ والله أعلم ـ

---

(١) ب: عليه.

(٢) ب، ع: أحد (بالرفع).

(٣) في ك فقط، وبقية النسخ بشيء.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) م: بمائة (؟)، ع: بآية.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) هـ، م، ب، ع: بمغيب.

(٨) ك: علم.

(٩) البقرة/ ٢٥٥.

(١٠) جميع النسخ: لها.

هو المراد بهذا الغيب المذكور هنا، وعليه يحمل ما قدم عمن ذكر، وأن أوهم من حيث حصر التمثيل أنه غيب الساعة خاصة، وهو لا بد لم يرد ذلك، وإنما أراد غيب الساعة [٢٢٤/ ظ] وما كان مثله مما لم تذكر له ماهية ؛ فلم يكن التمثيل كما تقدم إلاَّ بما أعلمنا بماهيته فصح السؤال عنه، وهو[١] أمر الساعة. فهذا ـ والله أعلم ـ ما يمكن أن يقال أنه الذي تجردت له آية سورة الجن.

وأما الوارد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ ﴾، وما ورد من مثله فليس بخاص، بل هو على إطلاقه وعمومه، ومَصْرِفُ المنع إلى الإحاطة والاستيفاء والتيقن وحصر جزئيات المعلومات، فلا يعلم ذلك علم استيفاء وإحاطة إلاَّ الله تعالى[٢]، فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. ثم لا يمتنع إظهاره[٣] سبحانه من شاء من خلقه ـ من غير الرسل ـ على ما شاء مما أشير إليه، ولا يتجزأ [ما] اطلعتم عليه مما عنده سبحانه ويدخل تحت هذا العموم العلم الذي استأثر سبحانه بعلمه، وانفرد به دون خلقه إلاَّ أن حكم ذلك على ما تقدم وتقرر. ومن نحو العموم الواقع هنا قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾[٤] فهذا كقوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾[٥]، فملك السموات والأرض له سبحانه لا شريك له في ذلك. ثم قد قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾[٦] وأعلمنا سبحانه أن نبيه سليمان[٧] عليه السلام طلب مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتاه الله ذلك وليس ما أوتيه هذا النبي الكريم جزاء[٨] له على نسبته إلى

---

(١) ك: اما أمر.

(٢) هـ، ع، ب: سبحانه.

(٣) ك: عدد يمتنع إظهاره.

(٤) آل عمران/ ١٨٩، المائدة/ ١٧، ١٨، النور/ ٤٢، الجاثية/ ٢٧، الفتح/ ١٤.

(٥) زاد هنا من الآية في ك: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلأَمْرُ كُلُّهُ ﴾.

(٦) آل عمران/ ٢٦.

(٧) في ك فقط والمؤلف يشير إلى الآية/ ٣٥ من سورة «ص».

(٨) ك: جزءا له نسبة إلى ملك الله تعالى (هكذا).

ملك الله سبحانه. ولا يمكن تَوَهُّمُ ذلك. وإذا كان ما[1] أوتي سليمان[2] عليه السلام هذه حاله، فكيف ما أوتيه غيره مما لا يبلغ معشار ما أوتيه سليمان عليه السلام، فكذا الأمر في الغيب، فلا يعلم غيب السموات والأرض على ما هو عِلْمُ إحَاطَةٍ وتفصيل إلاّ هو سبحانه، ثم يطلع من شاء من خلقه على ما يشاء من ذلك، ولا يتجزأ ما أطلع عليه الكل من نبي ومن سواه مما لم يطلعهم عليه. ثم إن ما عند مَنْ سوى الأنبياء والمُصْطَفَيْن[3] من العباد، لا يعلم أنهم تيقنوا[4] ذلك[5] وإذا[6] لم يكن علمهم علم تيقن وتحقيق، فإطلاق اسم العلم عليه مجاز بل هو ظن وإنْ قَوِيَ، وإذا لم يصحبه اليقين، ولا الاستيفاء، ولا الإطالة بالجزئيات فالمتصف به ليس بعالم غيب على الحقيقة. وبهذه[7] الصيغة القاصرة، هو العلم الموجود عند الكهان[8] وغيرهم ممن لم يستمد من الوحي ولا تسلّمه الشريعة [٢٢٥/و] فنفي[9] الاتصاف بعلم الغيب عمن عَرِيَ عن اليقين، أي: من لم يحط علمه بجزئيات ما يعلمه، أو لم يستوفه وجه واضح. والإطلاق بأنَّه ليس عالماً بالغيب إطلاق صحيح. ثم إنّ القول بأنه مخبر بغيب وبعض تفاصيل عن مغيبات غير معارض ولا مناقض فلا يلزم على ذلك إعتراض بعلم «شِقٍّ وسَطِيح»[10]، وما أخبرا به، لأنهما وإن أخبرا بعجائب وتفاصيل فقد فاتهما غير ذلك من جزئيات في

---

(١) وكان ما»: في ك فقط.

(٢) في ك فقط.

(٣) ع: المصطفين ـ (بلا واو).

(٤) في ك فقط وبقية النسخ: يتيقنوا.

(٥) ساقط من م.

(٦) ك: فإذا.

(٧) م، ع: وهذه.

(٨) في ك فقط وبقية النسخ: الكفار.

(٩) في ك فقط وبقيةالنسخ: فبقي.

(١٠) شِقّ وسَطيح من الكهان البارزين في الجاهلية. كانا مضرب المثل في الإخبار بالمغيبات وكانا يخبران بظهور النبيﷺ واليهما رجع كسرى في معرفة علامات ظهوره عليه السلام انظر: إعجاز القرآن للباقلاني/ ٢٨٧، دلائل النبوة/ ٤٢.

معلومهما الذي أخبرا به، لم يخبرا بها، ولا أحاطا بعلمها وكذا غيرهما من الكهان والمنجمين. فقد وضح مجمل[1] آيات العموم.

وأما آية سورة الجن فمَحْمِلها[2] على الخصوص كما تقدم. ومما يزيد ذلك وضوحاً، ويعضد ما قدمنا من المفهوم في الضربين أن الله سبحانه لما ذكر المغيبات الخمس فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ - إلى آخرها[3]. ومما يزيد ذلك وضوحاً، ويعضد ما قدمنا من المفهوم في الضربين أنّ الله سبحانه لما ذكر المغيبات الخمس، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ وعبارة «عند» تقتضي بوضعها خصوصاً وقرباً وتمكناً. وكذا أورد تعالى هذا الإخْبَار حيث تكرر فقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾[4]، وقال تعالى بعد: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[6]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[7] فجرى هذا الاخبار مقيداً بعبارة «عند» حيث تكرر ولم يشترك معها في آية لقمان ما لا ذكر بعدها في الدخول تحت حكم «عنده» وما تقتضيه من الخصوص؛ بل قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ إلى ما بعد فَتَفَصَّلُ هذه الأخبار والتفصيل في نظم الآية يُفْهِم معنى التساوي. ولا شك أن عدم اعتبار الجزئيات في تركيب الألفاظ يؤدي الى عدم فهم ما انتظم منها.

فإن قيل: [إنَّ ما[8]] ورد بعد ذكر الساعة من قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ -

---

(١) ب: محل.

(٢) ب: فجعلها، هـ، م، ع: فمجملها.

(٣) لقمان/ ٣٤

(٤ - ٥) الأعراف/ ١٨٧.

(٦) يونس/ ٤٨.

(٧) الملك/ ٢٦: وزاد في ك من الآية: ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

(٨) جميع النسخ: إنَّما.

إلى ما بعد مفصولاً من حكم «عند» ليفهم التكرر؛ إذ المعلوم أن تكرر نزول الغيث مهما كانت الحاجة إليه هو عين الإنعام والإحسان إلى العباد. فلهذا ورد بلفظ ما يقتضي التكرر وهو لفظ المستقبل من الفعل فأحرز بذلك هذا الإنعام العظيم والتذكير به، فهو كالوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ [٢٢٥/ ظ] وَيَقْبِضْنَ ﴾[2]. وهذا كثير فلإحرازه[3] ورد تفصيل الأخبار.

قلت: قَصْدُ هذا المعنى بيّن الإمكان فإحراز «عند» ما تقتضيه من معناها كذلك ولا تعارض بين المقصدين، والإيجاز مقتض حصول المعنيين فجيء بما يحرزهما بأوجز لفظ، وأبلغ عبارة والله أعلم.

فإن قلت: فإن التعبير بعِندَ قد ورد في ذكر ما ورد من الضرب العام من الغيب قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[4] وهي استعارة عبر بها عن التوصل للغيوب، كما يتوصل في الشاهد بالمفاتح إلى الغيب عن الإنسان مما لا يصل إليه مَن ليست عنده مَفَاتِحُه، وقد دخل ذلك تحت حكم «عند» ومقتضاها من الاختصاص مع أن الآية لم يزدها خصوص علم الساعة على ما تقدم.

فالجواب أن هذا مما يزيد ما تقدم وضوحاً، إذ قد تقدم قبل أن الوارد من ذِكْر الغيب في كتاب الله العزيز ضربان:

أحدهما[5]: خاص وهو المراد في سورة الجن، وأنه لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى شيء منه على ما مر في ذكر الآية. والثاني عام على ما تقدم

(١) ص/١٨.
(٢) الملك/ ١٩
(٣) هـ، م: ولإحرازه.
(٤) الأنعام / ٥٩.
(٥) في هامش ك: «انظر تقسيم الغيب، وأنه قد يطلع على بعض منه» نص.

والوصول إلى علمه علم استيفاء. وحصر وإحاطة بجزئياته مقدوراً[1]، وغاية، وتيقناً لذلك كله جملة وتفصيلاً ممنوع؛ فهو لاحِقٌ من هذه الجهة بخصوص الضرب الأول فلا يحيط بعلمه على ما تبين إلا الله سبحانه. فحق لهذا الضرب إذا أريد به ما ذكرناه الدخول تحت حكم «عنده»، وهو المراد بهذه الآية. ألا ترى أنها مفصحة بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[2]. فقد وَفَتْ هذه الآية بتفاصيل المغيبات وحصرها والإحاطة بها بكل جهاتها، ولا يعلمها على ذلك إلاَّ الله سبحانه. ولنتبع هذا بكلام من تعرض لبسط المراد من آية[3] سورة الجن فأقول وقع في التفسير المنسوب لفخر الدين أبي الفضل بن الخطيب ـ رحمه الله ـ بعد تقرير مفهوم آية سورة الجن وأن المراد بها ما قدم من التخصيص. فقال في رده على الزمخشري ومن قال بقوله في إنكار كرامات الأولياء واستجراره مع ذلك إنكار التكهن والتنجيم وما يرجع الى هذا. ودعواه أن هذا نص القرآن، تعلقاً بهذه الآية[4]. فقال ابو الفضل بن الخطيب راداً على ما ذكَرْتُ: واعْلَمْ أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد [٢٢٦/ و] الله من هذه الآية أنه لا يطلع أحداً على شيء من المغيبات إلاَّ الرسل بدليل ما ثبت بالأخبار القريبة من المتواتر أن شِقًّا وسَطِيحاً كانا كاهنين وإخبارهما بظهور نبينا محمداً[5] صلى الله عليه وسلّم، وتعيين زمانه، وشهرتهما بهذا العلم؛ حتى رجع إليهما كِسْرَى في تعرُّف أخبار نبينا صلى الله عليه وسلم، فثبت أنه تعالى قد يطلع على ما يشاء من الغيب غير المرسل.

ودليل ثان: وهو أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون على صحة التعبير وأن المعبِّر مخبر عن وقوع الأشياء الآتية في المستقبل فتقع كما أخبر.

---

(١) ك: مقدَراً.
(٢) الانعام / ٥٩.
(٣) محذوفة من ك.
(٤) راجع الكشاف ٣/ ٢٧٩.
(٥) ب: نبينا ومولانا محمّداً.

ودليل ثالث: وهو أنَّ الكاهنة البغدادية[1] التي نقلها[2] السلطان سَنْجُر بن مَلَكْشَاه[3] من بغداد إلى خراسان. سألها عن الأحوال الآتية في المستقبل، فذكرت[4] ما وقع على وفق إخبارها. قال أبو الفضل بن الخطيب ـ رحمه الله ـ وأنا قد رأيت أناساً محققين[5] في علوم الكلام حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة إخباراً على سبيل التفصيل، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها. قال: وبالغ أبو البركات في كتاب «المُعْتَبَر» في شرح حالها وقال: تفحَّصْتُ عن حالها مدة من ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً.

ودليل رابع: أنَّا نشاهد أصحاب الإلهامات الصادقة وليس هذا مختصاً بالأولياء، بل قد يوجد في السَّحَرَة من يكون كذلك ونرى الأخبار النجومية قد تكون مطابقة موافقة للأمور. وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها. وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن القرآن مما يدل على خلافه؛ مما يَجُرُّ إلى الطعن في القرآن وذلك باطل. فعلمنا أن الأَوْلَى الصحيح ما ذكرناه، والله أعلم. ونشير إلى ما قدم قبل كلامه هذا وهو أن قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦ ﴾ ليس فيه عموم، فيكفي في مقتضاه ألاَّ يُطلِعَ سبحانه، ولا يظهر خلقه على غَيْبٍ واحد[6] من غيوبه؛ فَيُحْمَلُ

(١) هـ، ب: البغداذية ـ بالذال وهو جائز. يُقَال: بغداد، وبغداذ بالدال، والذال.

(٢) ك: قتلها.

(٣) ك: ما كناه. والسلطان سنجر بن ملكشاه هو محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، الملقب بمغيث الدنيا والدين. خلف أباه في السلطنة بالري سنة ٥١١ هـ أواخر ايام المستظهر بالله العباسي وهو في سن الحلم. وقد انتهز وزراؤه فرصة صغر سنه فأساءوا تصريف أمور الدولة وأتوا بكثير من المفاسد. وكان السلطان سنجر قوي المعرفة باللغة العربية، حافظاً للأشعار والأمثال والتاريخ والسِّيَر كما يقول العماد الأصفهاني. اوقع وزراؤه بينه وبين عمه السلطان سنجر صاحب خراسان فزحف عليه فخضع. وكان السلطان سنجر بن ملكشاه يتنقل بين الري وبغداد. توفي بهمذان سنة / ٥٢٥ هـ وعمره ٢٧ عاما. انظر: الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٨٤، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٣٣، الوفيات ٤/ ٢٦٩، تاريخ دولة آل سلجوق / ١٠٩ ـ ١٤٢، الأعلام للزركلي ٨/ ٥٩.

(٤) ك: وذكر.

(٥) ك: من المحققين.

(٦) ك: أحد.

على وقت وقوع القيامة، فيكون المراد[1] من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد. فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئاً من الغيوب لأحد. ويؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقب قوله: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ [٢٢٦/ ظ] مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾[2]، يعني وقوع القيامة فإنه من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد. وبالجملة فقوله على غيبه لفظ مفرد مضاف فيكفي في العمل به إرادة غيب واحد. وأمّا العموم، فليس في الآية لفظ يدل عليه. انتهى معنى كلام أبي الفضل رحمه الله، وقد تحصّل مضمّنه فيما تقدم بأوفى مما أوردنا من كلامه.

فإن قلت: قد تبين ما بين الضربين[3] من العموم والخصوص، واتضحت الحال فيهما، فما وجه انتظام ما ورد في سورة لقمان، مع ذكر الساعة؟ وظاهر ما تقدم من التأويل حاكم بالفرق، وأن أمر الساعة يخالف بخصوصه[4] ما ذكر معها من الأربع. والحديث الصحيح قد ورد [على] مقتضى ظاهر الآية حين ذكر عليه السلام الساعة مجيباً للسائل، فأتبع بقوله: ﴿ في خمسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللهُ ﴾، وتلى الآية. وذلك مُلحِقٌ لهذه الأربع بحكم الساعة في خصوص غيبها، فأقول ـ وأسأل الله توفيقه ـ إن الحديث الصحيح مشير إلى التفصيل في هذه الغيوب، وأنها في استعلامها[5] والاطلاع على ما شاء الله تعالى أن يُطْلِعَ عليه منها، ليست على منهج واحد[6]. ألا ترى أن منها أموراً يعظم موقعها في العالم، ولا

(١) ساقطة من هـ، م.

(٢) الجن / ٢٥.

(٣) ك: الضرب.

(٤) م: مخالف بخصوصية.

(٥) م: استعلائها.

(٦) روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوما للناس فأتاهُ جبريل فقال: ما الايمان؟ قال: الايمان ان تؤمن بالله وملائكته، وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث. قال: ما الاسلام؟ قال: الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الاحسان؟ قال: ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن اشراطها: اذا ولدت الأمة ربهاً، واذا تطاول رعاة الإبل البُهْم في البنيان في خمس لا يَعْلَمُهُنَّ الله. ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآيـة. البخاري ١/ ١٩، ٢٠

يخص كتغلب الدهور والدول، وتغيّر[1] الحالات التي تعم وما يرجع إلى هذا.
وهذه هي المرادة بحديث ابن عباس الذي خرَّجَهُ الترمذي قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذْ رُمِيَ بنجم فاسْتَنَارَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية، إذا رأيتموه؟ قالوا: كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه[2] لا يرمى[3] به لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح له حملة العرش، ثم سبح[4] أهل السماء الذين يَلُونَهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُمْ حتى يبلغ التسبيح إلى هذه السماء. ثم يسأل أهل السماء السادسة أهل السماء السابعة: ماذا قال ربكم؟ قال: فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا وتُخْتَطَفُ الشياطين فيُرْمَوْن ـ يعني بالشُّهُب ـ فيقذفونه إلى أوليائهم. فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يحرفونه ويزيدون[5].
وحديث أبي هريرة الذي خرّجه [٢٢٧/و] البخاري وهو: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة[6] بأجنحتها خُضْعَاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مُسْتَرِقُ السمع، ومُسْتَرِقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض. وصَفَهُ سُفْيانُ بكفه، فحرّفها وبدّد بين أصابعه فيسمع الكلمة ويلقيها إلى مَنْ تَحْتَه، ثم يلقيها الآخر إلى مَن تحت حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ: التغيير.
(٢) ك: فانه.
(٣) هـ: : يومى (؟).
(٤) م، ك، غ: يسبح.
(٥) وردت غالبية الفاظ الحديث في صحيح الإمام مسلم ٥/ ٨٥ رقم ١٢٤، وقد ورد الحديث في صحيح الترمذي في تفسير سورة الجن ٥/ ٤٢٧ رقم ٣٣٢٤ مختصراً، وبالفاظ مختلفة عما أورده المؤلف.
(٦) ساقطة من ك.

معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فَيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء[1].

قلت: فهذان الحديثان وما ورد من مثلهما معرِّفة بقضايا ترتج لها السموات وتستطلعها ملائكة السبع بجملتها، وتختطفها الشياطين مترصدين لتلقفها، ولا يختص بها صنف من الملائكة عن غيرهم.

أما ما يتكرر في عالم الكون والفساد من متوالي إيجاد الآحاد، وتكرر نزول الأمطار وشبه ذلك، فلا يستطلعها من الملائكة إلاَّ آحاد وكُلُوا بها وإن تكاثروا عدداً فليس ذلك كالمتقدم في الحديثين لعظيم عمومه. ومن ذلك حديث ابن مسعود: «يُجْمَع خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً - إلى قوله في الحديث - أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ» - الحديث[2]. وكما أشار إليه حديث [أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم][3] وقوله فيه: «آسْقِ حديقة فلان»[4]، إلى ما يرجع إلى هذا القبيل ولا توقف في أن اربعة الغيوب

---

(1) روى البخاري ج ٦/١٥٢، ١٥٣ الفاظ الحديث عن: «الحميدي، عن سفيان، حدثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول . . .، ورواه في ج٦/ ١٠٠، ١٠١ بلفظ يختلف عن هذه الألفاظ فيما رواه عن: «علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء. . . الخ».

(٢) روى الحديث الشيخان، والترمذي من طريق زيد بن وهب في حديث عبد الله بن مسعود قال: «حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك. ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوالذي لا إلـه غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». وزاد مسلم روايات عن الأعمش، وعن وكيع، ومعاذ، وجرير بن عبد الحميد، وعيسى بن يونس. انظر: البخاري ٨/ ١٥٢، ومسلم ٥/ ٤٩٦-٤٩٩ رقم واحد برواياته، صحيح الترمذي ٤/ ٤٤٦ رقم / ٢١٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ.

(٤) روى الحديث الإمام مسلم من لفظ أبي بكر بن أبي شيبه بسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينا رجل بفلاة من الارض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب =

المذكورة مع الساعة في سورة لقمان راجعة الى قبيل ما ذكرنا وذلك كله ليس من جنس المقدورات العامة بل هي بالنسبة إلى تلك جزئيات يعلمها من وُكِّلَ بها من الملائكة، ولا يستخبرها أهل السموات ولا تترصدها الشياطين تَرَصُّدَ تلك القضايا العامة. وصحيح الحديث قَاضٍ بالفرق البَيِّن فأشارت الآيات الأربع، والأحاديث المشار إليها إلى أن هذا الضرب من المغيبات، كأنها تلي في حالها الغيبي وما ذكر معها من أمر الساعة. وللساعة خصوص ما [٢٢٧/ ظ] تقتضيه «عند» كما تقدم.

فهذا[1] ـ والله أعلم ـ وجه انتظام هذه الغيوب الأربعة مع ذكر الساعة. وتحصل بهذا الاعتبار تفصيل الغيوب إلى عام وخاص، وخاص[2] من ذلك الخاص. وهذا الخاص الأخير لا يعلمه مطابقاً إلاّ المنفرد بعلمه سبحانه، ثم لا يحيط بالضربين قبله على ما أشير إليه من تفصيل أحكامها على الاستيفاء والحصر إلاّ هو سبحانه، وأنه تعالى المنفرد بكل الغيوب لا يعلمها أحد على ما هي عنده كما وضح من قبل وتبين ولم يبق للطاعن[3] مدخل بوجه، ولا على حال.

وأما تخصيص آية سورة[4] الجن بما ورد فيها، فوجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم من قول الجن في إخبار الله تعالى عنهم بقوله[5]: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ

= وأفرغ ماءه في حَرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله. فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يُحَوِّل الماءَ بِمِسْحَاتِه، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب ـ الذي هذا ماؤه ـ يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأَرُدُّ فيها ثلثه. مسلم ٥/ ٨٣٤ رقم ٤٣.

(١) م: وهذا.
(٢) ك: وخاصة.
(٣) ك: الطاعنين.
(٤) في ب، ع فقط.
(٥) محذوف من ك، وزاد بعدها في ب: «تعالى».

الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[1]. فلما تقدم هذا من قولهم وإخبارهم عما كانت الحال عليه قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن في ذلك من قولهم وإطلاعهم على الغيوب أو الكثير منها أعلم تعالى أن من الغيب ما ليس لهم ولا لغيرهم مطمع في الاطلاع عليه، وأنهم في ترصدهم ومقاعدهم للسمع ممنوعون هم ومن سواهم عما انفرد سبحانه بعلمه، وحكم ألا يطلع عليه أحد من خلقه فهذا وجه ورود هذه الآية هنا.

وهنا انتهى ما ألهم الله إليه في[2] هذه الآية، مما تعرض له الإمام أبو الفضل - رحمه الله - وبَسَطْنَاه مما[3] يدفع ما يوهمه مؤخَّر كلامه في التمثيل للغيب المخصوص فَبَسَطَهُ بما أرجو أنه مراده ودافع لما يعترض[4] عليه فيه حين أجمل واغفاله توجيه تخصيص الغيوب الأربعة بذكرها مع غيب الساعة في سورة لقمان. ووجه اختصاص آية سورة الجن بالوارد فيها، وأتيت في ذلك بما ألهم الله سبحانه إليه وأرجو أنه شاف إن شاء الله وإنْ تَحَمَّل غفلةً وسهواً فأسأل الله تعالى[5] عفوه في ذلك وعذري أنني لم أجد في ذلك من تعرض لشيء من هذا إلاّ ما قدمت ذكره مع إشكال الأمر في ذلك. والله سبحانه أعلم بما أراد.

---

(١) الجن/ ٨، ٩.

(٢) ب، ع: من.

(٣) في ك فقط وبقية النسخ «ما».

(٤) م: يعرض، ك: يتعرض.

(٥) ساقط من ك.

سورة المُزَّمِّل[1] والمُدَّثِّر

٣٥٣ ـ قوله تعالى في أولها:

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ** ﴾ ـ إلى ما بعده (١، ٢).

وقال في أول سورة المُدَّثِّر تِلْوِها[2](١، ٢): ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ** ﴾ ـ إلى ما بعدُ.

فللسائل أن يسأل عما ورد في هاتين السورتين من تسميته صلى الله عليه وسلم في الأولى «بالمُزَّمِّل»، وفي الثانية «بالمُدَّثِّر»، وأمره في الأولى [٢٢٨/ و] بقيام الليل وما أعقب به ذلك، وفي الثانية بإنذار الخلق ودعائهم إلى الله ما وجه هذا التخصيص في السورتين بما ذكرنا من التسمية والأمر.

وتمهيد الجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله سبحانه أمرنا في كتابه العزيز بتَعْزِيزِ نبينا وتوقيره ونهانا أن نجري في خطابه على حد تخاطبنا فقال تعالى: ﴿ **لاَ تَجْعَلُواْ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾[3]. وجرى المسلمون بتوفيق الله على ذلك في دعائهم إياه: يا رسول الله، يا نبي الله غير رافعي أصواتهم في دعائه وندائه على مقتضى أمره سبحانه بذلك. ثم إنّ العرب قد علم من حالهم أن السيد إذا خاطب عبده متلطفاً به ومشيراً إلى مكانته لديه أو قصد تأنيسه خاطبه بإسم يشتقه[4] من حال أو صفة؛ فيكون العبد عليها ويعدل عن معروف اسميته لِيُرِيَهُ مكانته، ويظهر كريم تحفّيه به، وعظيم تلطفه كقول نبينا صلى الله عليه وسلم لعَلِيٍّ رضي الله عنه في قضيته المعلومة وقد وجده نائماً وقد أثر التراب في جنبهه ـ: «قُمْ

---

(١) قال في الدرة/ ٣٨٩: «ليس فيها شيء من ذلك».

(٢) محذوفة من ك.

(٣) النور/ ٦٣.

(٤) ب: مشتقة، هـ، م: يشقه.

أبا تراب»[1] فعلى ذلك جرى الوارد في نداء نبينا صلى الله عليه وسلم في هاتين السورتين فنودي بالمُزَّمِّل والمُدَّثِّر وخصت هاتان السورتان بهما لبنائهما على ما ابتدىء به صلى الله عليه وسلم. فأما تعقيب كل من الاسمين في السورتين بما أُعْقِبَتْ به فعلى مقتضى كل واحدة من السورتين وما بُنِيَتَا عليه.

أما الأولى فبناها على أوامر من جليل أعمال الطاعات مما يُزْلِفُ عند الله سبحانه من قيام الليل، وترتيل القرآن، والتجلد والتحمل، لتلقي أوامر الكتاب ونواهيه المفهوم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[2]، والأمر بذكر اسمه تعالى تضرعاً وسؤالاً، والتَّبَتُّل إليه سبحانه، واعتماده تعالى وكيلاً، والصبر على قول الضالين من الكفار، والأمر بجميل هجرهم، فهذه أوامر ثمانية بين صريح ومكْنِيّ.

وأما سورة المدثر فمضمنها من الأوامر دون ما في السورة قبلها عدداً وليس أكثرها من نمط تلك الأوامر وهي مع ذلك أوامر أوَّلِيَّة في الأكثر، فنوسب بين تلك الأوامر العلية من سورة المزمل، وبين ما تقدمها في الترتيب الثابت من قوله تعالى في سورة الجن: ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنْ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[3]، ليعلم نبينا عليه السلام أنه إمامُ المرتضين من أولئك المصطفين بما خص به صلى الله عليه وسلم من الأمر بقيام الليل، والترتيل، وجليل التلقي

---

(1) روى الحديث الشيخان في صحيحيهما عن سهل بن سعد ـ وقد استُعمِل على المدينة ـ بياناً لسبب تكنية عليٍّ بأبي تراب. قال البخاري ٥/ ٢٣: «والله ما سماه إلا النبي ﷺ، وما كان له اسم أحب إليه منه فاستَطْعَمْتُ (أي السائل سهلاً) الحديث سهلاً وقلت: يا أبا عباس كيف؟ قال: دخل عليٌّ على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي ﷺ أين ابن عمك؟ قالت في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخَلَصَ التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: اجلس يا أبا تراب مرتين». وجاء في حديث مسلم ٥/ ٢٧٤، ٢٧٥: «فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: قُمْ أبا التراب، قم أبا التراب» قال محقق مسلم: «في بعض النسخ (قم أبا تراب، قم أبا تراب)».

(2) المزمل/ ٥.

(3) الجن/ ٢٦، ٢٧.

والامتثال [٢٢٨/ ظ] لما ألقى عليه اعتناء وتخصيصاً محفوظاً فيه ميسّراً[١] عليه من القول الثقيل. كما نوسب بين أمره عليه السلام بالدعاء والإنذار والتأنيس فيمن أفرط تمرداً وَعِنَاداً من عتاة الكفر حين قال لنبينا عليه السلام تهديداً لعدوه وإعلاماً بما يعقبه كفره ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾[٢]، وقوله: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[٣] فحصل من مجموع متقدم الإنذار والإعلام بعاقبة المعاند من الكفار، ما تحصل من قوله تعالى في سورة الغاشية تعريفاً لنبينا عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٤]. وانتظم أول الكلام العليّ وآخره أجل انتظام، وورد كل على ما يجب، ولا يلائم غيره، والله سبحانه[٥] أعلم[٦] بما أراد.

٣٥٤ ـ الآية الثانية[٧] من سورة المدثر قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (١٨ ـ ٢٠).

للسائل[٨] أن يسأل عن تكرر[٩] قوله: ﴿ قَدَّرَ ﴾، ثلاث مرات في كلام متصل متقارب.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن قوله: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ إخبار عن حال الوليد المُنْزَل فيه هذا، حين قال لقريش: إن الناس يرِدُونَ الموسم فليكن قولكم في محمد واحداً، و﴿ فَكَّرَ ﴾ في أقرب ما يمكن أن تستمال به العرب، وتصدق

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ: ومشيراً (؟).
(٢، ٣) المدثر/ ١١-١٧، ٢٦.
(٤) الغاشية ٢١، ٢٢.
(٥) محذوف من ب، ع.
(٦) ك: والله أعلم سبحانه.
(٧) ما بعدها إلى المدثر محذوف من ب.
(٨) هـ، م: لسائل.
(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرّر...).

قريشاً. ورأى الوليد أنهم مكذبون بأول نظر أنْ قالوا: إنّه شاعر، أو مجنون، أو كاهن أو ساحر، ووافقته قريش بوضوح ذلك من أمرهت عليه السلام مع تصميمهم على عناده وبهذا آنسه[1] تعالى في قوله: ﴿ فإنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ ﴾[2].

وروي أن الوليد قال لبني مَخْزُوم: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاهُ لمثمر، وأسفله لمُغْدِقٌ، وإنه يعلو ولا يُعْلَى عليه[3]. ولما كلّم قريشاً في شأنه صلى الله عليه وسلم فقال لهم تزعمون أن محمداً مجنون[4]، فهل رأيتموه يخحنق[5]، وتقولون إنّه كاهن، فهل رأيتموه قَطُّ يتكهَّن؟! وتقولون إنّه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب. فقالوا: في كل ذلك اللهم لا[6]. وعلى هذا من كلام الوليد ورد الوارد مما جاء بطريقة ما تتعجب العرب مثله في قوله: ﴿ إنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾، كما تقول العرب: قَاتَلَهُ ٱللَّهُ ، ما أشعره، لا يريدون دعاءاً على من يقولون له ذلك، وإنما يقولونه متعجبين، وإنما نزل القرآن بلسانه فقوله: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾، تعجب مُنَاطٌ بمن يصح منه التعاجب، والله سبحانه متعال عن ذلك. وكأن قد [٢٢٩/و] قيل لهم: هذا ما تتعجبون[7] منه، وتقولون[8] هذا الكلام. فقوله تعالى: ﴿ إنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ ﴾، إخبار عن حال الوليد وتفكره[9] فيما يقوله[10]. وتقديره

(١) هـ، م، ب: أنّسه.

(٢) الأنعام/ ٣٣.

(٣) انظر: أسباب النزول/ ٢٩٥، اللباب/ ٢٣٠.

(٤) ك: لمجنون.

(٥) ك: يجن.

(٦) أسباب النزول/ ٢٩٦، اللباب/ ٢٣٠.

(٧) هـ، م، ب، ك: يتعجبون.

(٨) ب: ويقولون.

(٩) ب: وتنكره.

(١٠) ك: يقوله.

ما يرد عليه إنْ قال بأنه عليه السلام ساحر[1]، أو مجنون، أو غير ذلك مما رموه به، وأنهم مكذبون في كل ما يرومون رميه به من ذلك لبيان حاله عليه السلام. وقوله: ﴿ فَقُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ﴾، تعجب من إصابته في نفي الجنون، والتكهن والشعر عنه صلى الله عليه وسلم. وقوله: لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، فصدق تقديره في هذا لو أتم الله له الأمر. فالأول: إخبار، أعني[2] قوله: ﴿ إنَّه فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾، والثاني: تعجب من إصابة تقديره بعد[3] الفكر وهو قوله: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾، والثالث وهو قوله: ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾، تأكيد للتعجب من حاله في تحويمه لولا[4] سابقه ﴿ سأُرهِقُهُ صَعُوداً ﴾[5]. والسابقة هي التي حملته على إدْبَاره واستكباره فقال: ﴿ إنْ هَـٰذَا إلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[6] فنكص على عقبه لما سبق له بعد مقاربته وتحويمه[7]. وبإزاء[8] ما تقدم من مقاربته وتحويمه[9] في تنزيهه النبي صلى الله عليه وسلم عما رموه به، ورد التعجب. وفي طَيِّ الكلام شديد توعده على كفره بعد أن تبين له الأمر فَضَلَّ على علم.

ومثل هذا التكرار استعظاماً للواقع، موجود في فصيح كلامهم. ومنه قولُ الشاعر[10]:

أَلاَ يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمِي[11].

وجاء بثم لتحرز رتبته اعتناء بهذا المعطوف، وأنه[12] آكَدُ من الأول. فوضح

---

(١) ك: شاعر.

(٢) هـ، م، إخبار عن.

(٣) هـ، م: هذا.

(٤) ك: أولا (؟).

(٥،٦) المدثر/ ١٧، ٢٤.

(٧) ك: وتحريمه.

(٨) ساقطة من ك.

(٩) ك: تحريمه.

(١٠) سبق تخريج البيت في الآية رقم/ ٦٢.

(١١) م، ك: ثم اسلمي.

(١٢) ك: المعطوف بها، ب: المعطوف فيها.

وجه ورود ما يتوهم تكراراً واستدعاء مقصود الكلام إياه، والله سبحانه وتعالى[1] أعلم.

٣٥٥ ـ الآية الثالثة [2] من سورة المدثر قوله تعالى:

﴿ كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ. كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ. فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ. وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ (٥٣ ـ ٥٦).

وقال في سورة الإنسان (٢٩، ٣٠): ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً. وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[3].

للسائل أن يسأل عما بين الآيتين من الاختلاف، وورود الضمير[4] في قوله: ﴿ إِنَّهُ ﴾، في الأولى مذكراً، وتأنيثه في الثانية.

والجواب أن هذا مما لا إشكال فيه، لأن المذكر به عظة، أو موعظة وهو أيضاً وعظ وتنبيه، فتارة تراعي العرب في مثل هذا جهة التذكير، وتارة تراعي جهة التأنيث، فتحمل الضمير على ما تقدره من تذكير أو تأنيث. وهذا كثير. ومنه قول بعض العرب: فلانٌ جاءَتْهُ كِتَابِي فَمزَّقَهَا [٢٢٩/ ظ] فيسأل عن التأنيث في قوله: جَاءَتْهُ، وفي قوله: فَمزَّقَهَا فقال: أليست بصحيفة[5] وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ ﴾[6].

وأما فواصل الآيتين ومقاطعهما فمرعي فيها موافقة ما اتصل بها للتناسب مع اتحاد المعنى. ألا ترى صحة بناء ما في آية الإنسان على ما في آية المدثر، [كما] لو

(١) ساقطة من ب، وفي ع: والله أعلم.
(٢) ما بعدها إلى «المدثر محذوف من ب.
(٣) زاد مصحح «م» الهامش: وفي عبس أيضاً: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.
(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف بين الآيتين وورود الضمير..).
(٥) ذهب سيبويه إلى أنها في الموات ـ يعني غير العقلاء ـ أكثر منها في الحيوان العقلاء من الآدميين. انظر: الكتاب ٢/ ٣٨-٤٠.
(٦) البقرة/ ٢٧٥.

قيل في الكلام: إنه تذكرة، فمن شاء ذكره، فاتخذ إلى ربه سبيلاً يتذكر ما ذُكّر به. ثم اقتضت الفواصل المناسبة.

ولما اكتنفت آية المدثر فواصل تكون في الوقف هاء من لدن قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾[1]، ناسبها قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾.

وأما سورة الإنسان، فما قبلها وما بعدها من الفواصل مستدع أيضاً ورودها على ما وردت، فقيل: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ ليجري على ما تقدم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴾[2]، وما بعد. ولم يكن ليناسب هنا ما ورد في سورة المدثر من قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾، كما لا يناسب قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ ما ورد في سورة المدثر. فكل هذا لا إشكال فيه، لرعي المناسبة، وحصولها في كل من السورتين [على] أتم وجه، والله أعلم.

سورة القيامة[3]

٣٥٦ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ. وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ. وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ (٧ - ٩).

يسأل عن إعادة القمر في الفاصلتين.

والجواب عنه، أن ذلك لبيان أهوال القيامة وتعظيمها. والعرب تستعمل هذا فيما يقصد به التهويل والتعظيم. ومنه[4]:

لاَ أَرَى ٱلْمَوْتَ يَسْبِقُ ٱلْمَوتَ شَيْءٌ ... نَغَّصَ ٱلْمَوْتُ ذَا ٱلْغِنَى وٱلْفَقِيرَا

---

(١) الآيات/ ٥٠-٥٦.

(٢) الإنسان/ ٢٣.

(٣) من هنا يوجد خرم الصفحات الناقصة من سورة الأعراف في النسخة «هـ» (من ١٩٧/ب - ٢٠٠/أ).

(٤) سبق تخريج البيت في الآية رقم / ٣٣٤.

فكرر الموت ثلاث مرات، تعظيماً لأمره، كما قال: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ. أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾[1] وقد اجتمع في آية القيامة قصد التعظيم ورعي الأسماع فتأكد الحامل على التكرير. وإذا تكرر أحد النيّرَيْن، المراد اجتماعهما أغنى عن تكرر الآخر وطلبت الفواصل منهما ما يناسب. فجاء كل على أتم وجه في البلاغة والله أعلم.

٣٥٧ ـ الآية الثانية منها[2] قوله تعالى[3]:

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ. ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ (٣٤، ٣٥).

يسأل عن إعادة اللفظ، وفائدة ذلك. ويَسْتَجِرُّ ذلك استدعاء اشتقاق اللفظ ومعناه.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما تقدم وصف المجرم المكذب بقوله: ﴿ فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّىٰ. وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾[4]، أي يختال في مشيته[5] ويتبختر عضداً لتكذيبه واغتباطاً [٢٣٠/ و] بكفره كان مَظِنَّةً للتعريف بسوء عاقبته، واستحقاقه العذاب فقيل: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾، فعدل بالكلام عن أخبار الغيبة إلى الخطاب تحكيماً لاستحقاقه وَبِيلَ الجزاء على فعله، وهو كلام يقال لمستوجب الامتحان جاري مجرى الدعاء وقد جعله بعضهم مقلوباً من قوله: ﴿ وَيْلٌ ﴾، أُخِّرت الياء، وقُدِّمت اللام، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها؛ فانقلبت ألفاً، فقيل[6]: ﴿ أَوْلَىٰ ﴾، والأصل «أويل». فهو على هذا من الدعاء بالويل، وكأن قد قيل: للمخاطب به أعظم الويل وأشده له. ويَسْتَجِرُّ التعجب

(١) ص/ ٦٧، ٦٨.
(٢) ساقط من ك، ب.
(٣) ساقط من ب.
(٤) القيامة/ ٣١-٣٣.
(٥) ك: مشيه.
(٦) م، ك: قيل.

الجاري من الدعاء، وكأن [قد] قيل في هذه الآية: الويل له فأكّد بتكرير اللفظ إشعاراً بالأهلية والإستحقاق كما قالوا: «وَيْلاً لَهُ، وَيْلاً كَيْلاً»[1] وعطف بثم المقتضية رتبة في المعطوف بها، وضرب تَهَمُّم، واعتناء، ليكون الدعاء ثانياً للمؤْتَى[2] به تأكيداً أبلغ من الأول. وذلك من معنى ثم هنا قائم مقام مهلة الزمان ليبلغ عندها الغاية فيما قصد منه. ويبين المعنى المفهوم هنا من لفظة ﴿ أَوْلَىٰ ﴾ قوله تعالى في سورة القتال: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾[3]. فلما ذكر سبحانه من حال المنافقين[4] عند نزول سورة مُحْكَمَة واضحة المقاصد ما ذكر مما يشهد بقبح ضمائرهم، وسوء سرائرهم أتبعهما[5] بالدعاء عليهم، فقال: ﴿ فَأَوْلَىٰ ﴾ لهم، كأنه قال: فأشد الويل لهم. قال لنبيه عليه السلام طاعة وقول معروف[6]. قدّره سيبويه ـ رحمه الله ـ طاعة وقول معروف أمثل.

ونظير هذا الوارد في سورة القتال وبيان مناسبة التحامه قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً. إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ـ إلى قوله ﴿ وَٱدْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً ﴾[7]. ثم قال: ﴿ قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[8]. فقوله: ﴿ قُلْ ذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ـ الآية إلى آخرها، مع ما قبله نظير قوله في القتال: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ مع ما قبله.

---

(١) ك: له ويلا وعطف (هكذا).
(٢) هـ، م، ب: الموتى.
(٣) محمد/ ٢٠.
(٤) ك: المنفقين.
(٥) هـ، م، ع: اتبعها.
(٦) ما بعدها إلى قوله: معروف، ساقط من ك.
(٧، ٨) الفرقان/ ١٣-١٤، ١٥.

سورة الإنسان

٣٥٨ ـ قوله تعالى:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا. قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ (١٥، ١٦).

ثم قال بعدُ (١٩): ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً ﴾ [٢٣٠/ ظ].

للسائل أن يسأل عن بناء الفعل[١] في الآية الأولى للمفعول ولم يُسَمَّ الفاعل وبنائه في الثانية للفاعل، ولم يذكر مستدعاة المجرور فلم يقل بكذا. ما الفائدة في ذلك، وهل الفاعل في الآية الثانية هو الذي لم يُسَمَّ أولاً في قوله: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم ﴾.

والجواب عن ذلك أن بناء الآيتين في هذه السورة العظيمة على تعظيم حال أهل الجنة وما أعدَّ الله لهم فذكر فيها ما يطاف به عليهم من أواني الفضة، والأكواب بالطعام والشراب، وما يمزج به شرابهم من الزَّنْجَبِيل والعَيْن التي تسمى سَلْسَبِيلاً. ثم ذُكِرَ الطائفون عليهم بذلك، ووصفوا بكونهم ولداناً لا أثر عليهم للعناء[٢] ولا يلحقهم في طوافهم مشقة، وأنهم كاللؤلؤ المنثور حسناً وتناسباً. فلما ذكرت[٣] أحوالهم على التفصيل وقصد الاستيفاء لما منحوه، ناسب ذلك إيراد تنعّمهم مفصلاً بذكر المُطَافِ به مُسْتَوْفًى ثم ذكر الطائفون وقدم المطاف به، لأنه الذي به تنعمهم تناولاً واتصالاً وتطعّماً وغذاء مأكلاً ومشرباً، فكان أهم للتقديم. ثم أعقب بذكر الطائفين وهم الولدان المخلدون فكمل المجموع مفصلاً تفصيلاً يحرز الاعتناء في التعريف والثناء وقد جمعت هذا المفصل آية واحدة. وهي المفسرة لما

---

(١) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن بناء الفعل...).

(٢) ك: للعياء.

(٣) ك: ذكر.

ذَكَرْتُهُ من أن الطائفين بأواني الفضة والأكواب هم الولدان المذكورون بعد. وذلك قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ ـ الآية[1]. فقد وضح الجواب عن الأسولة الثلاثة على أبين وجه، والله أعلم.

سورة والمُرْسَلاَت

٣٥٩ ـ قوله تعالى:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٩)

للسائل أن يسأل عن تكريرها[2] عشر مرات، وعن الترتيب فيما تخلل متكرر هذه الآية من الآيات، وإبداء الفائدة في[3] كل آية منها[4] واختصاصها بموضعها، وعن الفرق بين الوارد من هذه الآية هنا. وفي سورة التَّطفيف من حيث تكرر هنا ولم تتكرر في سورة التطفيف. فهذه ثلاثة سؤالات في ثانيها تفصيل.

والجواب عن الأول أن سورة الإنسان لما تضمنت التعريف بحال الفريقين ذوي السعادة وأهل الشقاء، وابتدئت بذكر حال المكذبين فقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً ﴾[5]. ثم أردف هذا بالتعريف بحال ذوي التنعّم. [٢٣١/ و] وجرى في وصفهم إطناب ثم عاد الكلام إلى حال من تقدم[6] هذا من وعد الكافرين؛ أقسم تعالى على وقوعه إبلاغاً في الإنذار فقال تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾[7]، ثم عرف سبحانه بصفة يوم الوقوع وكأنه على تقدير سؤال قد قيل: ومتى ذلك، فقال:

---

(١) الإنسان/ ١٧، ١٨.

(٢) ب: صيغة السؤال (يسأل عن تكررها عشر مرات..).

(٣) ع: من.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) الإنسان/ ٤.

(٦) ك: قدم فقال إنّ هؤلاء يحبون العاجلة ويزرون (؟) يوماً ثقيلاً. فلما قدم هذا من وعد...

(٧) المُرسلات/ ١-٧.

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ. وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴾[1]. ثم أكد هول ذلك اليوم بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن تعرفه، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾[2] تعظيماً لأمرة وإنباء بأهواله وشدائده. ثم قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[3] ثم تكرر هذا الدعاء بالويل الحَالُّ بهم مرات[4] رعياً لما تقدم في سورة الرحمن آخرها: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[5]. ثم رجع وإلى الكلام [و] إلى التعريف بحال الناجين في آيات ثلاث لم يتخللها الدعاء بالويل لئلا يشوب بشارتهم[6] تنغيص[7] فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ ـ الآيات إلى قوله ـ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[8]. ثم عادت الآي إلى[9] ما بنيت عليه السورة من وعيد المكذبين وتخويفهم[10]، إلى آخر السورة. وتكرر فيها ذلك الدعاء بالويل للمكذبين ثلاث مرات طُوبِقَ بها عدد آيات وصف المتقين، ليكون زيادة في تنكيل المكذبين وتحسرهم [عند] سماع حال من حاله على الضد منهم. فتلك العشرة التي تضمنتها السورة.

فإن قلت: لِمَ فصل ما جرى من الآي المتقدمة[11] بين هاتين الآيتين من قوله ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾[12] وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴾[13] مع أن جميعها راجع إلى مقصد واحد من تقريع المكذبين ووصف أحوالهم، فلم فصل بين ذلك بذكر وصف المتقين وأحوالهم.

---

(١) الآيات/ ٨-١٣.

(٢،٣) الآيتان/ ١٤، ١٥.

(٤) هـ، ب، ع: مرار ـ وكلاهما جائز في معناه.

(٥) المرسلات/ ٣٩، ٤٠.

(٦) ك: بشراتهم.

(٧) في ك فقط وبقية النسخ: تنغيص.

(٨) المرسلات/ ٤١-٤٤.

(٩) هـ، ك: على.

(١٠) ك: وتخوفهم.

(١١) ك: المتقدمات.

(١٢، ١٣) المرسلات/ ٤٦، ٤٨ على الترتيب.

قلت: بدأ[1] أولاً بتوبيخهم في عدم اعتبارهم بما ذكروا به من إهلاك من تقدمهم ممن كذب، وبداءة خلقهم من ماء مَهين، وجعل الأرض تكفت [أحيَاءَهُم[2]] وموتاهم ثم عرّفوا بجزائهم الأخراوي وما يشاهدون ويقال لهم عند مصيرهم إلى العذاب، ووصف جهنم ثم أعقب بذكر الضد من حال المتقين، ليكون زائداً ومحركاً لندم المكذبين حين لا ينفع الندم. وتم هذا المقصد على أتم مناسبة ثم رجع الى الضرب الآخر المتقدم من التوبيخ بذكر حالهم الدُّنيَاوِيّ في تنعمهم وتمتعهم[3]، وأورد ذلك بصيغة الأمر تهكماً بهم وقيل: ﴿كُلُوا وتَمَتَّعُواْ﴾ فسيعقبكم ذلك [٢٣١/ ظ] ما قدم[4] ذكره لكم، ثم نبّه على إبايتهم عن الاستجابة للإيمان فقيل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ٱرْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُونَ﴾، فلم يكن الوارد في هاتين الآيتين ليناسب ما تقدم من توبيخهم ففُصِل منه.

والجواب عن السؤال الثاني، أن وجه الترتيب فيما تخلل متكرر آية الدعاء من الآيات، أنه لما ذكر سبحانه أهوال ذلك اليوم في قوله: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ - الآية أعقب تعالى بتوبيخ المكذبين على غفلتهم عن التذكير بأخذ من تقدم من مكذبي الأمم وإهلاكهم[5] بجرائمهم[6] فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلأَوَّلِينَ ﴾[7]، أي فهلا اتعظوا بهم كما قال تعالى، في موضع آخر: ﴿ أَلَم يَرَواْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾[8] وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلاَتُ ﴾[9]، ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُوْلَٰئِكُم ﴾ ثم أردف سبحانه بقوله ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ

---

(١) هـ: بدي، ع: بديء.
(٢) جميع النسخ: أحياهم.
(٣) محذوفة من ك.
(٤) ك: ما تقدم.
(٥) ك: وأكلاهم.
(٦) ك: وبجزائهم، هـ، م: وبجرائمهم.
(٧) المرسلات/ ١٦.
(٨) الأنعام/ ٦.
(٩) الرعد/ ٦.

مَّهِينٍ ﴾[1] فذكرهم بأصل الخِلْقَة وتطور الإنسان وتقلبه إلى كمال أمره بتعريف الخطاب وكمال التعقل كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[2]. ثم ذكر سبحانه خلق الأرض ومنافعها وما به أرساها من الجبال، وفجّر[3] فيها من المياه لِسَقْيِنَا. فحصل التذكير بضروب ثلاثة وهي إهلاك الأمم السالفة بتكذيبهم، وخلق الإنسان وخلق الأرض، وما جعل فيها. ثم أعقب بما يقال لهم في الآخرة وما يشاهدونه مما[4] يحل بهم جزاء على تكذيبهم وتعاميهم عن الاعتبار فقال: ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾[5]. ثم ذكر تعالى حال المتقين ومصيرهم في ثلاث آيات تأنيساً للمؤمنين وعلى المطرد في الكتاب العزيز من ذكر الإعقاب متى ذكر أحد الفريقين من أهل النجاة وأهل الامتحان أن يُعقب بذكر الفريق الآخر ثم عاد الكلام[6] إلى تهديد من قدم، وأعقب بما يلائم من امتناعهم عن الاستجابة والخشوع.

والجواب عن السؤال الثالث: أن سورة التطفيف لم تُبْنَ على التفصيل المقصود هنا، فلم يتكرر فيها آية الدعاء، والله أعلم.

سورة التَّسَاؤُلِ[7]

٣٦٠ ـ [الآية الأولى منها] قوله تعالى:

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (٤، ٥).

---

(١) المرسلات/ ٢٠.

(٢) يس/ ٧٧.

(٣) هـ، م: وبحر.

(٤) ك: بما.

(٥) المرسلات/ ٢٩-٣٩.

(٦) جميع النسخ: الكلام عاد.

(٧) هي سورة النَّبَأ في المصحف المتداول.

يسأل عن تكرار التهديد[1] وفائدته.

والجواب عن ذلك أنه قد تقدم أن العرب متى تهمّمت بشيء أرادته لتحقيقه وقَرُبَ وقوعه أو قصدت[2] الدعاء عليه كررته توكيداً وكأنه[3] يقيم[4] تكراره مقام القسم عليه والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد[5] الدعاء. وإنما نزل القرآن بلسانهم وكأن مخاطباته[6] [٢٣٢/و] جارية فيما بين بعضهم وبعض. وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وقد تقدم هذا وتقرر. وعلى ذلك يجري ما ورد من هذا الوعيد. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾، وقوله: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ. ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾، ومنه: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾[7]، وهو كثير.

٣٦١ ـ الآية الثانية[8] من سورة التساؤل قوله تعالى:

﴿ لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً. إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً. جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ (٢٤ ـ ٢٦).

وفي أهل الجنة[9] (٣٦): ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً ﴾، مع[10] أن كل ذلك جزاء.

---

(١) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه تكرار التهديد....).

(٢) ك: وقصدت.

(٣) ك: وكأنها.

(٤) ك، ع: تقيم.

(٥) هـ، م، ع: تقصد.

(٦) ك: وكان مخاطباً لهم به جارية.

(٧) التكاثر/ ٦، ٧.

(٨) ما بعدها إلى التساؤل محذوف من ب، ك.

(٩) زاد هنا في ك: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً ـ إلى قوله ـ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ... ﴾

(١٠) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما مع أنّ كل...).

والجواب عن ذلك أن الله سبحانه أعلمنا أنه يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى [سبعمائة[1]] ضعف، إلى ما لا عينَ رأت، ولا أُذُنَ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[5]، وقال تعالى في الجزاء من السيئات: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7]، فحصل من هذا أن حكم السيئات المُقَابَلَة بأمثالها، وذلك من [نَفَذَ[8]] عليه الوعيد، ولم يغفر له إذ المعتقد أنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ولا يخلد في النار إلا كافر.

فإذا تقرر ما ذكرناه فاعْلَمْ أن تسمية ما يمنحه الله تعالى أهل الجنة جزاء، إنما ذلك فضل منه سبحانه، إذ الجزاء لهم على أعمالهم أكثر من أعمالهم. فوعيده سبحانه[9] إنما حاصله عطاء وإحسان وإنعام. وإنما سمي جزاء من حيث قوبل به عمل وارتبط به بحسب[10] الإنعام، إذ لا يجب عليه شيء[11]. فهذا حال الجزاء

---

(١) جميع النسخ: سبع مائة، وصوابها الوصل.

(٢) الأنعام/ ١٦٠.

(٣) البقرة/ ٢٦١، وزاد في ك من الآية: ﴿والله يُضاعِفُ لِمن يَشاءُ﴾.

(٤) السجدة/ ١٧.

(٥) فصلت/ ٣١.

(٦) الشورى/ ٤٠.

(٧) التحريم/ ٧.

(٨) جميع النسخ: نفد ـ بالدال المهملة.

(٩) في جميع النسخ بعدها: فإذا؟.

(١٠) ساقطة من م.

(١١) هذا رد على قول المعتزلة بالوجوب على الله استدلالاً بما أوجبه على نفسه في مثل قوله: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ وقوله: ﴿كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين﴾. ويُعَدُّ قولهم هذا نتيجة لقولهم بالتحسين العقلي وتحقيق الألطاف ومراعاة مصالح المكلفين في التكاليف الشرعية. انظر تفسير المعتزلة/ ٣٤٣-٣٤٤.

الإحساني. وأما الطرف الآخر فاسم الجزاء عليه أوقع وأطبق من حيث المقابلة. فلهذا قيل في هذا: ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]. وأما الجزاء الإحساني فقد فاق الوفاق وعجز عنه التقدير. فلهذا أعقب قوله سبحانه ﴿ جَزَاءً ﴾ بما[2] يشعر بجريانه[3] على حكم الإنعام والإحسان. فقال تعالى: ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾. وفي هذه الإضافة ما يشعر بعظيم الرحمة، وزلفى القرب بقوله: ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ثم قال: «عَطَاءً»، فأعلم[4] أنه لا يماثل ما [٢٣٢/ ظ] ارتبط من عمل العبد، بل يفوق رجاء العبد وتقديره. ثم قال تعالى: ﴿ حِسَابًا ﴾ فأشار إلى التضعيف المتقدم ولم يكن ليلائم جزاء السيئة أن يقال فيها: «مِن ربِّك» ولا لتسمى «عَطَاءً»، ولا «حِسَابًا»، على ما بيّنّاه فورد كل على ما يناسب ولا يمكن فيه العكس، والله أعلم.

فإن قيل: فقد ورد التضعيف في جزاء السيئات، قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾.

فالجواب[5] أن التضعيف هنا ليس على الحد المتقدّم في تضعيف جزاء الحسنة فإن المراد هناك أن الحسنة الواحدة يتضاعف عليها الجزاء بعشر أمثالها إلى أكثر كما تقدم. وأما المراد بتضعيف العذاب فتكثيره بحسب كثرة المجترحات[6] لا أن[7] السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ وقد تمهد هذا وتقدم قبل قوله في أهل الامتحان: ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ

---

(١) التحريم/ ٧.
(٢) ب: ما، وبعدها في ك، م، هـ، ع: كانوا.
(٣) ك: بجزائه.
(٤) فأعلمه.
(٥) م، ع: والجواب.
(٦) غائمة في هـ، ك.
(٧) ك: لأن.

﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾، ما يشهد بما ذكرته. ويبين المراد وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُولَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَادُ هَـٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ. ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[1]. فهؤلاء كذبوا على ربهم وصدوا عن سبيله وَبغَوْهَا عِوَجاً وكفروا بالجزاء. فهذه مرتكبات عُذِّبُوا بكل مرتكب منها فتضاعف عذابهم لتضاعف مرتكباتهم، لكل مرتكب منها عذاب يخصه فليس ما ذكر من التضعيف في هذا الطرف على حد ما هو في الطرف الآخر. وقد بين القرآن ذلك بغير[2] الجواب عن تخليدهم وكيف نَبَّهَ عليه أنه وفاق لكفرهم.

سورة والنَّازِعَاتِ

٣٦٢ ـ قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ (٣٤).

وقال في سورة عبس (٣٣): ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾، والمراد بها القيامة فيسأل عن وجه افتراق العبارة، وهل كان يحسن ورود الصَّاخَّة هنا والطَّامَّة هناك[3].

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن الطامة والصاخة وإن أريد بهما في السورتين شيء واحد، فإن اسم الطامة أرْهَبُ وأنْبَأُ بأهوال القيامة، لأنها من قولهم: طَمَّ السَّيْلُ[4] إذا علا وغلب. وأما الصاخة فالصيحة الشديدة من قولهم صَخَّ بأذنيه مثل أصاخ فاستعيرت في[5] أسماء القيامة مجازاً، لأن الناس يصيخون

(١) هود/ ١٨، ١٩.
(٢) إلى آخر شرح الآية محذوف من ك.
(٣) ب: صيغة السؤال (يُقال ما الفرق بين العبارتين والجواب..).
(٤) هـ، م: السهل.
(٥) ك: على.

لها. فلما كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلى أهوالها خص بها أبلغ السورتين في التخويف والإنذار. وعلى ذلك بنيت سورة «والنّازعات»[1]. ألا ترى قوله: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ [٣٣٣/ و] تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾[2]، ووصف الطامة بالكبرى وما أُتْبِعَ به بعد، وابتداء السورة وختامها فكلها تخويف وترهيب، فناسبها أشد العبارتين موقعاً وأرهبها.

وأما سورة «عَبَسَ وَتَوَلَّى» فلم تُبْنَ على ذلك الغرض وإنما ٱنْبَنَتْ على قصة عبد الله ابن أمِّ مكتُوم الأعمى وذلك مشهور[3]. ثم ورد قوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾، عقب التذكير بقوله: ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾[4]، والتحريك للاعتبار بقوله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾[5]. ثم اتبع بعد ذكر الصاخة بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾[6]، فسورة «والنازعات» على الجملة أشد في التخويف والترهيب، فناسبها أبلغ العبارتين من أسماء القيامة في التخويف والإنذار بحالها، وليست سورة «عبس وتولى» كسورة «والنازعات» في التخويف والترهيب فناسبها إيراد اسم القيامة بالصاخة؛ إذ ليست في الإرهاب كالطامة. فجاء كل على ما يناسب، ولا يناسب عكس الوارد على ما تمهد، والله أعلم بما أراد.

---

(١) ك: النازعات.

(٢) النازعات/ ٦، ٧.

(٣) ذلك أنّ عبد الله بن أم مكتوم دخل على الرسول ومعه جماعة من عتاة قريش وسادتها فقاطعه مراراً حتى ظهر العبوس في وجهه ﷺ. رواه السيوطي عن الحاكم والترمذي في صحيحهما عن عائشة. وقال الترمذي: حديث غريب. انظر: مبهمات القرآن/ ٤٣، أسباب النزول/ ٢٩٥، صحيح الترمذي ٥/ ٤٣٢ رقم/ ٣٣٣١.

(٤) عبس/ ١١.

(٥) عبس/ ٢٤-٣٢.

(٦) عبس/ ٣٨، ٣٩.

سورة التكْوِيرِ

٣٦٣ ـ [الآية الأولى منها] قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٦).

وفي سورة الانفطار (٣): ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص[1] الأولى بقوله: ﴿ سُجِّرَتْ ﴾، والثانية بقوله: ﴿ فُجِّرَتْ ﴾.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن قوله: ﴿ سُجِّرَتْ ﴾، معناه مُلِئت، من قولك: سجَرْتُ التَّنُّورَ، إذا ملأته بالحطب.

وقرىء مخففاً ومثقلاً[2] والمعنى واحد، والمراد اجتماع مياهها.

وأما قوله: ﴿ فُجِّرَتْ ﴾، فمعناه فُتِح بعضها إلى بعض، واختلط العذب بالمالح فصار بحراً واحداً بزوال[3] البَرْزَخ الحاجز بينهما. وكل من الإخبارين وُدي معنى غير معنى الآخر؛ فإن معنى الامتلاء غير الانفجار ثم كل من الإخبارين مناط بالآخر لما بينهما من الشبه. ولهذا جرى[4] كلام أكثر المفسرين على تفسير كل واحد من اللفظين بما يحرز المجموع من معنييهما. وتفصيل ذلك على ما ذكرت[5] مما يقتضي التباين لا الترادف. والإخبار بكل واحد منهما مقصود معتمد لكمال المراد. وإنما خصت سورة «الانْفِطَار» بلفظ الانفجار ليناسب مطلع السورة وافتتاحها. ألا ترى أن في انفجار العذب إلى المالح، والمالح إلى العذب،

---

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص..).

(٢) قراءة التخفيف: سُجِرَتْ، وهي قراءة، ابن كثير، وأبي عمرو. وقرأ بقية القراء بتشديدها. السبعة/ ٦٧٣، وانظر: الاتحاف/ ٤٣٤، النشر ٢/ ٣٩٨.

(٣) ك: بزول.

(٤) ك: أجرى.

(٥) ب، ك: على ما ذكرته، ع: ذلك مما ذكرته.

وبعضها إلى بعض انفطار ناسب انشقاق السماء وانفطارها. فانفطار[1] السماء، وانفجار البحار، وبعثرة[2] القبور، وانتشار النجوم كل ذلك متناسب أوضح تناسب وأبْيَنَه وحَشْر الوحوش وتزويج النفوس، وتسجير البحار. هذا كله اجتماع وائتلاف[3] يناسب بعضه بعضاً، كما أن انفطار السماء وانْتِثَار الكواكب وتفَجُّر[4] البحار، وبعثرة القبور يناسب بعض ذلك بعضاً. فالتحام هذه الجمل في السورتين أبين التحام وأوضحه[5] ملاءمة[6] [٢٣٣/ ظ] وتناسباً. فورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٣٦٤ ـ الآية الثانية منها[7] قوله تعالى:

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ (١٤).

وفي سورة الإنفطار (٥): ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾.

للسائل[8] أن يسأل عن موجب الاختلاف[9] مع اتحاد المقصود في السورتين.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم[10] ـ أن المعنى في الآيتين واحد، إذ الذي تُحْضِرُهُ كل نفس هو الذي قدّمت من عملها وأخّرتْ. إلاَّ أن كلاًّ من الموضعين في السورتين خصّ بما يناسب[11].

---

(١) ك: انفطار.
(٢) هـ، ب، م: وبعثرت.
(٣) جميع النسخ: وايتلاف.
(٤) ك: تفجير.
(٥) ك: واضحة.
(٦) ك: ملامة.
(٧) في ك، ع فقط.
(٨) السؤال مكرر في هـ، ك، ع ومضروب عليها في م.
(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب الاختلاف...).
(١٠) نقل هنا جواب الآية الأولى منها من قوله: «إن قوله ﴿سُجِّرَتْ﴾ معناه ملئت» إلى آخر الكلام في: ك، ب، ع، ونبه في م إلى التكرار بكتابة «كرر من» فوق ﴿سُجِّرَتْ﴾ و«إلى» فوق «أراد» في ختام الشرح. وحذف الزيادة ناسخ هـ.
(١١) هـ، ك: يناسبه.

أما الآية الأولى، فإنه لما انحصر فيها وفيما قبلها من أول قوله: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ - إلى آخر قوله - ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾[1]، الأهوال المشاهدة من لدن ابتداء نفخة الصعق إلى انتهاء تلك المقامات بتسعير الجحيم وإزْلافِ الجنة وهو عبارة عن إدنائها لداخليها. وجيء بتلك الإخبارات منسوقة بالواو المقتضية الجمع حتى كان تلك المقامات عُبِّر [٢٣٤/ و] عنها بلفظ واحد وتحصلت حاضرة للتصور الذهني، ناسب ذلك تقدير الأعمال المرتّب[2] عليها الجزاء حاضرة والعبارة عنها بما يحصل ذلك[3]، فقيل: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾، وكأن قد قيل: إذا حضرت هذه الأهوال مدركة للعِيَان[4] حضرت أعمالكم بالتذكر لها، ومطالعتها مكتوبة محصورة في الصحف التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ محصاة فيها. يبين[5] هذا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ. يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾[7].

أما الآية الثانية فإنه لما كان قوله: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ غير مفصح باستيفاء أعمال[8] الخلائق، جيء بهذه الآية بعدها مشيرة إلى الحصر بما يشير[9] إليه من ضبط طرفي أعمال[10] المكلفين فقيل: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾، ففسرت مُجمَل ما قبلها وكأن قد قيل: علمت نفس ما أحضرت من متقدم عملها ومتأخره. واقتضى التناسب تقدم الاختصاص حيث ذكر، وتأخير ذكر التقديم والتأخير حيث ذكر. واتصل كل بما يشاكله ويلائمه ولا يمكن سواه إذ

---

(١) التكوير/ ١-١٣.
(٢) هـ، ب، ع: المترتب.
(٣) ك: من ذلك.
(٤) هـ، م، ب: العيان.
(٥) هـ: بيّن.
(٦) النازعات/ ٣٤، ٣٥.
(٧) الكهف/ ٤٩.
(٨) هـ، م: بأعمال.
(٩) ك: تشير.
(١٠) هـ، م) أعمار.

التعريف بالإحضار[1]، والحصر بذكر ما قدم وما أخر مقصود معتمد أن يذكر ذلك على الاستيفاء في كل من السورتين من غير تفصيل وذلك تكرار من غير داع ولا مسوّغ له. وأما أن يذكر مفصّلاً على غير ما ورد وذلك غير مناسب، فلم يبق إلاّ وروده على أتم الملاءمة والمناسبة. وهذا على رعي ترتيب القرآن على ما تقرر عليه فعرّفَتْ الآيتان بإحصاء الأعمال المحضرة، ما تقدم منها وما تأخر أي ما عمله المكلف في أول عمره وبَدْأ تكليفه، وفي آخر عمره وختْم عمله كما أخبر تعالى من قول المجرمين: ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾[2]. فقدم ذكر إحضارها أولاً ليناسب به ما تقدم، وأخر ذكر إحصائها ليعلم بالحصر والاستيفاء. وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله سبحانه[3] أعلم بما أراد.

سورة الانْشِقَاق

٣٦٥ - [الآية الأولى منها] قوله تعالى فيها:

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (٢).

وتكرُّر ذلك بَعْدُ[4]، لا سؤال فيه، لأن كل واحد من الإخبارين معقب به غير ما أعقب به الآخر. فالأول إخبار عن السماء في طاعتها وانقيادها، والآخر إخبار عن الأرض بمثل ذلك، وأن كل واحدة منهما سمعت وانقادت: فانفطرت السماء وتشققت، وانتثرت نجومها، وأزيلت الجبال عن الأرض فامتدت وألْقَتْ ما تحمَّلَتْه [٢٣٤/ ظ] من الأموات، وغير ذلك مما استُودِعَتْه من المعادن والكنوز وتخلَّت عنها سامعة مطيعة. وإن كان الإخبار الأول عن السماء والآخر عن الأرض فلا تكرار.

(١) في ك، فقط وبقية النسخ: الإحصار - بالصاد المهملة.
(٢) الكهف/ ٤٩.
(٣) محذوف من ب.
(٤) الانشقاق/ ٥.

٣٦٦ ـ الآية الثانية[1] منها[2]، قوله تعالى:

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ (٢٣).

وفي سورة البروج (١٩، ٢٠): ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ. وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص الأولى بقوله: ﴿ يُكَذِّبُونَ ﴾ بلفظ المضارع، والثانية بقوله: ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾ بلفظ المصدر مع اتحاد المعنى المقصود.

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن آية الانشقاق تقدمها وعيد أخراوي كله[3] لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال وإن كان يصلح الحال ليطابق الإخبار، لأنه عما يأتي، ولم يقع بعد، فجيء بما يطابقه في استقباله.

فأما آية البروج، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾[4]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل: ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾ وجيء بالمصدر، ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به. وفيما تدعوهم إليه وتخبرهم به. ولفظ المصدر أعطى لما قصد من هذا من لفظ المضارع فجيء في كل من الآيتين بما يناسب[5].[٢٣٥/ و].

---

(١) م: آية ثانية.

(٢) ساقط من ب، ع.

(٣) ب: كله ـ كان ـ لم.

(٤) البروج/ ١٧، ١٨.

(٥) بقية الصفحة بياض في هـ، م، ب، ع: قال الناسخ في ب: «كذا وجدته»، وقال ناسخ «ع»: «وكذا وجد بالأصل المنسوخ منه». وبعدها في ك «سورة البلد» بدون بياض.

سورة البَلَد

٣٦٧ ـ الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ لاَ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ. وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ (١ ، ٢).

للسائل أن يسأل عن تكرير[١] لفظ البلد وجَعْله معطوفاً وفاصلة في الآيتين وكيف موقع ذلك في البلاغة وعند الفصحاء.

والجواب أنه قد تقدم أن العرب مهما اعتنت بشيء، وتهمَّمَتْ به كررته، وأن ذلك من فصيح كلامهم، وأن منه قوله[٢]:

* وإنَّ صَخْراً لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا * (البيتان)

والبلد الحرام لم يزل معظماً عند العرب. وما شأنه كذلك فتكريره مستحسن مع أن التكرير هنا ليس كالتكرير الواقع في قوله[٣]:

* لاَ أرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ *

وقول الآخر[٤]:

* لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ دَائِماً كَانَ الغُـرَابُ مُقَطَّـعَ الأَوْدَاجِ[٥]

لأن هذا مما أوقعوا فيه الظاهر موقع الضمير المحتاج إليه في ربط الخبر بذي الخبر[٦]. فجاءوا به ظاهراً تهويلاً لأمر الموت، فقال: يسبق الموت، وهو يريد: يسبقه وهو ضمير لازم جعل موضعه الظاهر تعظيماً له، والكلام واحد حصل فيه الربط بإعادة الاسم ظاهراً. وكذا فعل الآخر في قوله: «كَانَ ٱلْغُـرَابُ مُقَطَّعَ

---

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن تكرير..).
(٢-٤) سبق تخريج الأبيات الثلاثة في الآية رقم / ٣٣٤.
(٥) ك: الأجناح.
(٦) قوله: بذي الخبر، في ك، ب فقط.

الْأَوْدَاجِ». أعاد الظاهر موضع المضمر، وارتبط الكلام وحسن بإعادة[1] الظاهر لما قصد من التعويل[2] والتشنيع وعظيم ما توهم من التفاؤل به. وهذا فيما وقع في جملة واحدة.

وأما ما يقع من تكرير المكرر في جملتين[3] إذا كُرِّرَ اعتناء أو تهويلاً[4] فأفصح عندهم من الواقع في جملة واحدة لحصول مناسبة تحسن، كقوله في عجز البيت المتقدم:

* نَغَّصَ الْمَوْتُ ذُا الغِنَى والفَقِيرَا

فتكرير الموت هنا أوسع التوجيه في تكراره في قوله في صدر البيت: «يَسْبِقُ الْمَوتَ شَيْءٌ»، لأنا إذا عللنا هذا إنما نقول أعاد الظاهر موضع المضمر لما أراد من تعظيم الموت، وتهويل أمره. فإذا عللنا تكريره في قوله:

* نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الغِنَى والفَقِيرَا

أعللناه بهذا، وبأن الكلام جملتان فحسن بينهما ما لا يحسن في الجملة الواحدة. وإذا تقرر هذا فاعلم أن الواقع في الآية العليَّة أجل في البلاغة من هذا كله وأعظم موقعاً في الفصاحة لاتساع مجال التوسع[5]. ألا ترى أن البلد معظم فهذا مسوغ كاف، والكلام جملتان وهذا مسوّغ أيضاً، والجملة الواقع فيها [٢٣٥/ ظ] التكرير جملة اعتراض. وجمل الاعتراض كالكلام الأجنبي بوجه ما، إنما يُؤْتَى بالجملة تشديداً وإنباء بما يقصد من اعتناء أو تحرير كلام. فلكون جمل الاعتراض أجنبية في الأصل من الكلام، حسن فيه ما لا يحسن في غيرها، فساغ التكرير، وحسن في الآية من هذه الأوجه الثلاثة. ألا ترى أن القسم إنما وقع

(١) هـ، م، ب: إعادة.
(٢) هـ، م، ب: التهويل.
(٣) ك: الجملتين.
(٤) ك: وتهويلاً.
(٥) ك: التسويغ، ب: التوسيع.

بقوله: ﴿ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾، ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾[1]، وليس قوله: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ مما وقع به قسم بوجه وإنما هي جملة اعتراض سبقت بياناً لعِظَم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه، وأن هذا البلد العظيم الحرمة أُحِل له، ولم يُحَلَّ لأحد غيره، فكأن قد قيل: أقسم بهذا البلد العظيم لدينا، وقد أحللناه لك على عظم قدره. وذكره ظاهراً لما يحرز هذا المعنى من تعظيمه، لما فيه من تعظيمه لما فيه من التنبيه والتحريك، فسيقت هذه الجملة اعتراضاً وكلاماً قائماً بنفسه[2]، ليس من المُقْسَم به في شيء. وإنما جيء به لما ذكر، وإذا تباين الكلام بجهة ما، لم يستثقلوا فيه إعادة الظاهر إذ هو بمثابة ما الثاني فيه غير الأول. فوضح أن الآية واردة على أعلى وجوه البلاغة وأفصح الكلام، وأنه لو جيء هنا بالمضمر مكان الظاهر لم يكن وجه الكلام، والله أعلم.

٣٦٨ ـ الآية الثانية[3] من[4] سورة البلد قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ (٤).

وفي سورة «والتين والزيتون» (٤): ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.

إن سئل[5] عن قوله في الأولى: ﴿ فِى كَبَدٍ ﴾[6]، وفي الثانية: ﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾. فالجواب[7] عنه[8] أنهما حالان من حالات الإنسان لا تعارض بينهما،

(١) راجع الآيات في سورة البلد/ ١ـ٣.
(٢) ك: لنفسه.
(٣) ع: آية ثانية.
(٤) هي وما بعدها إلى «البلد» محذوف من ب.
(٥) ك: أن يسأل.
(٦) صيغة السؤال (يسأل عن وجه قوله: ﴿في كبد﴾...).
(٧) ب: والجواب.
(٨) محذوف من ع.

لأن مَصْرِف كل من هاتين الحالتين بيِّنٌ وكلام المفسرين في ذلك شاف. وليس هذا بالجملة من الغرض المبني عليه هذا الكتاب، إذ لا إشكال فيه.

سورة «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ»

٣٦٩ ـ قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً. إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً ﴾ (٤، ٥).

يسأل عن وجه التكرير.

والجواب عنه أن هذه السورة تضمنت ذكر إنعامه سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أتبعت تلك المنح الجليلة بما تشركه فيه أمته من التأنيس بتيسير ما عرض فيه عسر للمؤمن في أمر دينه ودنياه. فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً ﴾، فبشر عباده بأن العسر يتبعه اليسر وتأكد ذلك بإنَّ المؤكدة للخبر، وزيد تأكيداً بالتكرير وتوسيع التأنيس بالإشعار[1] [٢٣٦/ و] الحاصل من تنكير اليسر، وتعريف العسر فإن العرب إذا أعادت الاسم بأداة العهد، وهي الألف واللام، كان المذكور ثانياً هو المذكور أولاً. وسواء كان المذكور أولاً نكرة أو معرفة. تقول: لَقِيتُ رَجُلاً فأَكْرَمْتُ الرَّجُلَ، إنما تريد الأول الذي لقيته. فإذا قلت: «رَجُلاً فَأَكْرَمْتُ رَجُلاً»، كان الثاني[2] غير الأول. هكذا كلامهم. وقد وقع اليسر في الآية منكَّراً في الموضعين، فأشعر بالتوسعة. ولهذا قيل: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ». فتحصل من التكرير وتنكير ما نكر توسعة طرف الرجاء والتأنيس وذلك المناسب لما بنيت عليه السورة، والله أعلم.

---

(١) ك: كالإشمار.

(٢) في ب فقط.

سورة العلق[1]

٣٧٠ ـ قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ ٱلَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ ٱلإِنْسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (١، ٢).

يسأل عن تكرير ﴿ خَلَقَ ﴾.

والجواب عنه أنهما قصدان. فالمراد أولاً خلق المخلوقات، وشتى العوالم. والمراد ثانياً تخصيص خلق الإنسان، وأنه خلقه من علَق، فلا تكرير على هذا.

سورة التكاثر

٣٧١ ـ قوله تعالى:

﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣، ٤).

يسأل عن تكرير قوله: ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

والجواب أنه تهديد ووعيد، فناسبه التكرير تحقيقاً وتثبيتاً، كقوله: ﴿ ٱلْحَاقَّةُ. مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾ و﴿ ٱلْقَارِعَةُ. مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾، وما أتى من مثل هذا ودخلت ثم العاطفة في المعطوف بها كما دخلت في قوله: ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾، وقد تقدم[2].

سورة الكافرين

٣٧٢ ـ [قوله تعالى:

﴿ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنْتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ. وَلاَ أَنْتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (٢ ـ ٥)].

(١) هـ، م، ب، ع: القلم والصواب ما أثبتناه.

(٢) هـ: وتقدم في سورة الكافرين.

للسائل أن يسأل عن تكرير ما ورد فيها.

والجواب أنها[1] لم يتكرر فيها آية واحدة، إذا اعتبرت، لأن كل آية منها تفيد من المعنى وتحرز ما لا تفيده الأخرى بذلك التحرير. فكأنها متباينة الألفاظ لتباين معانيها، مع جليل التشاكل، وعليّ التلاؤم والتناسب. بيان ذلك أنه ورد في سبب نزول هذه السورة أن قريشاً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. وروي أنهم قالوا: تعالوا فلنشترك في عبادة آلهتنا وإلهك، فنأخذ الخير حيث كان؛ فتبرأ صلى الله عليه وسلم من مقالهم، فأنزل الله السورة فتلاها عليهم وهم مجتمعون في المسجد[2]. فقوله: ﴿ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، أي لا أفعل ذلك فيما أستقبله من زماني، ولا أنتم تفعلونه فيما يستقبل. وهذا إخبار منه سبحانه عن أولئك العصبة أنهم لا يؤمنون وهم الذين قتلهم الله [٢٣٦/ ظ] يوم بدر. فهذا إخبار بغيب، ثم قال: ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ﴾ أي: ولا أنا مُتَّصِفٌ فيما مضى من عمري إلى الآن بعبادة آلهتكم ولا كنتم أنتم فيما مضى متصفين بعبادة الله سبحانه فحصل من ذلك الإخبار عن حال ما يُستَقْبل منه صلى الله عليه وسلم ومنهم وعن حال ما مضى وتقدم منه صلى الله عليه وسلم ومنهم. فعبر عن أربعة أحوال متباينة وهي حاله عليه السلام فيما يستقبل وحالهم، وحاله فيما تقدم من قَبْلُ وحالهم. فعبر عن هذه الأربع بأربع آيات فلا تكرار.

فإن قلت: فكيف تنزيل آي السورة[3] على هذا؟

قلت: إن لا النافية، إذا دخلت على المضارع المبهم مجردة عن قرينة من

---

(١) ب: أنه.

(٢) روى هذا النص الواحدي في أسباب النزول/ ٣٠٧، وزاد السيوطي من رواية الطّبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس: إنّ قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء. فقالوا: هذا لك يا محمد وتكُفُّ عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء. فإنْ تفعل فاعبد آلهتنا سنة قال: حتى انظر ما يأتيني من ربي فأنزل الله: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾. اللباب/ ٢٤٤.

(٣) ك: القرآن.

لفظ، خلّصته للاستقبال وقد دخلت في أول آية على قوله: ﴿أَعْبُدُ﴾، فتخلص هذا الإخبار للاستقبال[1]. ثم بنيت الجملة من قوله: ﴿ولاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، على ما قبلها ليتقابل الإخبار، ويلتئم نظم الكلام، وجيء فيه بالجملة الإسمية، لأنها تُحْرِزُ من حيث تسلُّط النَّفْيُ على الصفة - أنّها لا توجد فيهم، ولا يتصفون بها في شيء مما يستقبلونه من الزمان. فَنَفْيُ الصفة أحرز تبعهم ما يستقبل من نفي الفعل. فإن قيل: فإذا كان نفي الصفة على ما ذكرت، فلِمَ لَمْ يأت كذلك أولاً، فكان يقال[2]: لا أنا عابد ما تعبدون[3]، أو ما أنا عابد ما تعبدون.

قلت: لم يكن كذلك لأمرين:

أحدهما: أنه جواب لقولهم آعبُدْ آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فلما كان جواباً لفعل أتي فيه بالفعل نفياً لعَيْن ما طلبوه[4]، ولو نفي الاسم لما كان مطابقاً لقولهم.

والثاني: أن الجملة الاسمية إنما نفيها ب: «ما»، لا ب: «لا». و«ما» ليست مُخَلِّصة[5] للاستقبال. ونفي الاستقبال مقصود، فلم يكن بُدٌّ مما يحرزه. لهذا ما حمل أولاً على ما عليه الكلام. وأما الجملة المنفية على هذه وهي قوله: ﴿ولاَ أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، فتنبيه لما قصد تعريفهم به، إذ هي ظرف معرّف بحالهم بناء[6] على ما تقدمها من بيان حاله عليه السلام، فهي من جملة جوابهم، وبناؤها على ما تخلُّص استقباله مُغْنٍ عن الأداة المخلصة، لأن حكمها حكم ما بنيت عليه وتم بها، أنه قد وقع الفعل المبهم في صلة «ما» وهي معمولة لاسم الفاعل المجموع الواقع خبراً عن «أنتم»، ولا يعمل إلاّ بمعنى الحال والاستقبال، ولكن

---

(١) ك: لما يستقبل.

(٢) بعدها في ب: إلا أنا.

(٣) إلى آخر الجملة ساقط من «ك».

(٤) ك: طلبوا.

(٥) ك، ع: بمخلصة.

(٦) ك: بحال نبأ.

المعتمد الجوابية على ما تقدم[1]. فقد تبين أن قوله: ﴿ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ إخبار عما يستقبل من الزمان، وعن حاله عليه السلام فيه وحالهم فيه أيضاً. ثم قال: ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا [٢٣٧/ و] عَبَدتُّمْ ﴾. فهذا نفي لما تقدم ومضى على كفاية الحال الماضية، ولهذا أعمل اسم الفاعل في «ما». ولما كان فيه الإفصاح هنا بالماضي يحرز المقصود، جاءت الجملة الإسمية لتحصل الماضي والحال[2]. أما الماضي فمفهوم زِنَةِ[3] الفعل وهو قوله: ﴿ مَا عَبَدتُّمْ ﴾. ولو لم يقع الإفصاح بالفعل لأفهم[4] السياق ما ذكر، لأنه قد تقدم ما يستقبل في حق الفريقين. فلم يبق إلاّ ما مضى، ولا مانع من اللفظ فتعين[5] المقصود. وأما الحال فإن الجملة الإسمية إذا دخل عليها النفي حملت على الحال ما لم يقع في الكلام ما يقيدها بغيره.

فإن قيل: قد وقع[6] التقييد بقوله: ﴿ مَا عَبَدتُّمْ ﴾.

قلت: قوله: ﴿ مَا عَبَدتُّمْ ﴾ من صلة «ما» بعد[7] حصول خبر المبتدأ الذي هو «أنا» وهو اسم فاعل. فحصل من قوله: ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ ﴾ نفي اتصافه صلى الله عليه وسلم في الحال لعبادة آلهتهم، وإنما الحال عندنا، الماضي غير المنقطع. قال سيبويه ـ رحمه الله ـ معرّفاً بما[8] يطلق عليه اسم الحال. وهو كائن لم ينقطع[9] فحصل عن[10] المبتدأ والخبر من قوله: ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ﴾، الإخبار عن

---

(١) ك: تقرر.
(٢) ب: لتحصل الماضي، والحال الماضي، والحال (هكذا).
(٣) ك: بنية.
(٤) ك: لأبهم.
(٥) ك: بتعيين.
(٦) قد والفعل ساقطان من ك.
(٧) ك: بحصول في موضع «بعد حصول».
(٨) في ع: «هو قائم» في موضع «معرّفاً بما».
(٩) انظر الكتاب ٢/ ٨٦، ٨٧.
(١٠) م: على.

حاله المستمرة على ذلك فيما تقدم متصلة غير منفصلة. وحاصل[1] من الجملة الخبرية الواقعة صلة: «وهي عبدتم» أنهم لم يفعلوا ذلك[2] فيما مضى. وقد حصل فيما تقدم استمرارهم على ذلك الحال إلى[3] حال الإخبار وزيد بياناً وتأكيداً بقوله بعد: ﴿ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وقد حصل فيما تقدم أن تلك حالهم فيما يستقبلونه، فتحصل من المجموع أنه صلى الله عليه وسلم تبرأ من عبادة آلهتهم فيما مضى، وفي الحال، وما يأتي[4] وأنهم ما عبدوا الله كما يجب له سبحانه فيما مضى ولا في الحال ولا يفعلون ذلك فيما يأتي، وهو الحاصل من قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ - الآية[5]. ثم قال سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾. هذا في مقابلة قوله: ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ ﴾، فهو إخبار عن[6] حاله عليه السلام فيما مضى وتقدم من عمره صلى الله عليه وسلم، وقد تبين بما[7] قبل.

فإن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ هنا: «ولا أنتم عابدون ما عَبَدْتُ»، فكان يجري مجرى ما بني عليه، وقوبل به.

قلت: لو قيل: «ما عبدت»، لأَوْهَم انقطاعاً، لأن قول القائل: فعلت، لا يقتضي الدوام والاتصال. وذلك وإن كان هنا مفهوماً مما[8] تقدم، ومن مقصود الكلام بالجملة فإن الأولى رفع الاحتمال من اللفظ كما أحرز المعنى وهو الجاري في الكتاب العزيز. ثم قال: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، فحصل التبري ووضح [٢٣٧/ ظ] التفصيل المتقدم.

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ: وحصل.
(٢) هكذا في ك، وبقية النسخ: «وهي عبدتم فجعلوا ذلك فيا مضى».
(٣) محذوف من ك قوله: الحال إلى.
(٤) ما بعدها إلى قوله: «فيا يأتي» ساقط من م.
(٥) يونس/ ٩٦.
(٦) هـ، م، ب: من.
(٧) ك: ما.
(٨) ك: فيا تقدم.

سورة الإخلاص

٣٧٣ ـ قوله تعالى [غ]:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١).

قيل في ﴿ أَحَدٌ ﴾ هنا أنه بمعنى واحد، وأصله «وحد». وربما يعتضد من قال بهذا بقراءة من قرأ: «قل هو الله الواحد»، فيجعل هذه القراءة مفسرة للأخرى وهي قراءة شاذة خارجة عن خط المصحف، فليست مما يقطع به. وربما عُضِّدَ هذا[1] القول أيضاً بأن أحداً الواقع في الواجب[2] إنما ينبغي أن يكون بمعنى واحد مرادفاً له لأنه قد صح عن أئمة اللسان اتفاقهم على أن «أحداً» لفظ يخص غير الواجب من الكلام، ويقع عاماً فتقول: ما جاءني أحد؛ فيحصل منه النفي العام، ولا تقول: جاءني أحد. قال سيبويه ـ رحمه الله ـ لو قلت: كان أحد من آل فلان، لم يكن كلاماً. فإذا ورد في واجب فينبغي أن يحمل على أنه بمعنى واحد، إذ قد تبين أن «أحداً» المقتضي العموم والاستغراق لا يرد في واجب ولا يُتكلَّم به فيه. وعلى هذا كلام العرب، فحصل منه أن «أحداً» لفظ مجمل يكون للنفي العام. فهذا لا يقع في كل واجب، ويكون بمعنى واحد فيقع في الواجب وغيره. والواقع في سورة الإخلاص من هذا القبيل، أعني الذي أَحَدٌ فيه بمعنى واحد.

فإن قلت: فكيف ترى موقع هذا التفسير؟

قلت: أما القول بأن «أحداً» هنا مرادف لواحد، وبمعناه من كل جهة، فقول ليس ببدع. ولذلك جرى عليه أكثر المفسرين؛ ولكن فيه ادعاء ترادف اللفظين من غير حامل قَطْعيٍّ أكثر من وقوع أحد في بعض المواضع مستغني به عن واحد المتواقع في العدد عند التركيب أو العطف في قولك: أحد عشر، [أو] واحد وعشرون، وشبه ذلك. ولا يُنكَر من كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء لتقارُبِ

---

(١) هـ، م: بهذا.

(٢) ك: الواحد، ع: الموجب.

ما، ونسبةٍ واشتراكٍ في طرفٍ مَا. وما أراك تجد في كلامهم لفظ «أحد» المجرد عن التركيب والإضافة والعطف وارداً في معنى واحد، ومرادفاً له على القطع ابداً. فإذا ثبت هذا وجب إجراء الكلام على إبقاء كل واحدة من اللفظتين على ما استقر لها من المعنى ولا يعدل عن ذلك ما وجد عنه مَندُوحة. وقد أوضح الاعتبار الفرق بين: أحد وواحد، من جهة اللفظ وحكمه، ومن جهة المعنى.

أما الفارق اللفظي، فإن لفظ واحد قد فرقوا فيه بين المذكر والمؤنث قالوا: واحد، وواحدة، فألحقوا مؤنثه الهاء وجمعوه فقالوا: وُحْدَانٌ. وأما أحد فلم يلحقوه علامة تأنيث ولا جمعوه.

وفرق ثانٍ وهو أنهم استعملوا واحداً في الواجب وغير الواجب. تقول: جاءني رجل واحد، ومررت برجل واحد. قال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ [٢٣٨/و] إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[١]، ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[٢]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾[٣]، أي بخصلة أو موعظة واحدة. ومن غير الواجب: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ﴾[٤]، ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا ﴾[٥].

أما أحد فلا يقع مفرداً مجرداً[٦] عن إضافة أو تركيب في كلام واجب أصلاً، فلا تقول: جاءني أحد، ولا مررت بأحد، ولا ورد في كتاب الله سبحانه في كلام واجب الا قوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ويقع في غير الواجب وهو بابه الذي اختص به تقول: ما جاءني أحد، وما مررت بأحد. قال تعالى: ﴿ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[٧]، ﴿ وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٨]، ﴿ وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾[٩]،

---

(١) البقرة/ ١٦٣.
(٢) الأنعام/ ١٩.
(٣) سبأ/ ٤٦.
(٤) القمر/ ٢٤.
(٥) ص/ ٥.
(٦) محذوفة من ك.
(٧-٩) الكهف/ ٢٦، ١١٠، ٣٨ على الترتيب.

﴿ لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾[1]، ﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[2]، وذلك كثير جداً.

وفرق ثالث وهو أن واحداً يقع تابعاً في أكثر موارده وهو الوجه فيه، لأنه جَرَى صفة وإن كان الوصف به عارضاً، كما في الأعداد، لكنه قد أجرى صفة. وحكم ما ليس بخاص من الصفات لزوم التبعية، ولا يقع أحد تابعاً أصلاً إلاّ في نادر. فلا تقول: ما جاءني رجل أحد، كما تقول: رجل واحد، ولا ما أشبه ذلك. فهذه فروق [ثلاثة][3] من جهة حكم اللفظ.

وأما الفرق من جهة المعنى، فإن واحداً يقع على كل مفرد بما هو مفرد. كان مما يتصف بالعقل والعلم، أو لا يتصف. تقول: رجل واحد، وحَجَر واحد، وجَمَل واحد. وهذا خلاف حكم «أحد»، فإنه لا يقع إلاّ لأولي العلم والعقل من الملائكة والإنس والجن.

وفرق ثان، وهو أنك تقول: «ما جاءني رجل» فيحتمل ذلك ثلاثة معان:

أحدهما: أن تريد ما جاءني رجل واحد، بل جاء أكثر.

والثاني: أن تريد ما جاءني رجل غَنَاء[4] وقوة، بل جاءني الضعفاء.

والثالث: أن تريد النفي العام، أي ما جاءني رجل واحد ولا أكثر، ولا قوي ولا ضعيف.

فإذا قلت: ما جاءني أحد، لم يحتمل غير معنى واحد وهو النفي العام. وهذا أوضح فارق بين لفظ واحد، وأحَد[5]. فإن قلت: قد تقرر فرق ما بين لفظ واحد، وأحَد، فما الحاصل المعتمد في معنى أحد، ومقتضاه.

قلت: معناه وحدة لا غَيْرِيَّةَ معها ولا آثْنَيْنِيَّةَ، وإليه يشير ما فسره به أهل اللغة.

(١، ٢) الجن/ ٢٢، ٢ على الترتيب.

(٣) ك: ثالثة، وساقطة من بقية النسخ.

(٤) ك: عنا، ب: عناد.

(٥) ساقط من ك.

(٦) ما بعدها إلى قوله: «في معنى أحد» محذوف من ك.

قال صاحب العين[1]: الواحد المنفرد، وهو أوحد في هذا الأمر، أي منفرد. وقد استشعر الفرق من المفسرين من قال: أحد بمعنى واحد فرد[2] من جميع جهات الوحدانية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[3]. وهذا قول جملة المفسرين، وقد أحسن[4]. أما اقتصار الزمخشري على تزاكيه في البيان وتوفر[5] حظه من علم اللسان على أن قال: أحد بمعنى واحد، وأصله «وَحَدٌ»، ولم يزد على هذا، فغير مناسب لمسلكه[6].

وقال بعض الأئمة: الفرق بين واحد وأحد، أن الواحد المنفرد بالذات[7]، والأحَد المنْفَرِد بالمعنى. ومنه في أسمائه تعالى: الواحد الأحد. وقيل: واحد [٢٣٨/ ظ] اسم لمفتاح العدد، ومن جنسه: واحد، لنفي ما يذكر معه العدد.

وقيل: أحد يدل على محض الوحدة، ألا ترى أنه نَافٍ[8] لما يرد معه، يريد في نحو قولك: ما أتاني أحد، لانتفاء الواحد وما سواه، بخلاف قولك: ما أتاني واحد، إذ يحتمل أن تريد أنه أتاك أكثر من واحد، وقد تقدم هذا. ولا يحتمل ذلك قولك: ما أتاني أحد. ومن المعلوم المطرد أن حكم اللفظ المنفي ألا يغاير مُوجِبَه في غير ما اقتضته أداة النفي، وأن يبقى الكلام فيماعَلِمَ حكم النفي على ما كان، ولا يتغير منه شيء سوى انتقاله من الإيجاب إلى النفي. وكذا الحكم في كل أداة تدخل على لفظ الواجب من تَمَنٍّ، أو استفهام، أو عرض، أو غير ذلك. هذا كلام العرب ولفظ واحد[9] لا يتناول غير الوحدة. فلو تُكُلِّم به في الواجب[10] فقيل:

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي. والعين أوّل معاجم العربية.

(٢) في ك فقط وبقية النسخ: ورد.

(٣) الشورى/ ١١.

(٤) انظر: البحر المحيط٨/ ٥٢٧، ٥٢٨، وأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ٢٤٤.

(٥) هـ، م: وتدبر.

(٦) انظر الكشاف ٣/ ٣٧٦.

(٧) ك: الذات.

(٨) ب: كاف، م: باب.

(٩) ك: ولفظ أحَد يتناول بوضعه غير الوحدة.

(١٠) ف، ع: الموجب.

جاءني أحد، لكان معناه: أحد لا ثاني له بوجه. ولو قلت: جاءني واحد، لم يلزم فيه ذلك، بل كان يحتمل أن تريد جاءني واحد يُعْتَدُّ به ويعتمد [عليه]، ولم ينتف أن يجيء معه من لا يعتد به أو يعتمد عليه، إذ ليس يمنع بوضعه الزائد على واحد، إذا غايره من حيث ذكر. فإذا تقرر أن حكم أحد من مقتضي الوحدة ما ذكر، تبين أنه لا يتصور ولا يصح معناه[1] في واجب حيث يراد المخلوق المُحْدَث، لأن كُلاً من المخلوقات له[2] النظير والمثيل، حتى إن المتباعدات والمتباينات[3] متماثلة[4] من حيث الافتقار وانسحاب سمات الحدوث، ودلائل عدم الاستقلال، إلى غير ذلك من شُواهد الحدوث. فكلها لا تنفك عن وجود النظراء والأنداد[5]، فلم يصح وقوع لفظ أحد في كلام واجب يقع فيه لفظ «أحد» مخلوق بما تبين[6]. وصح ورود[7] ذلك في[8] حق الخالق - جل جلاله - لانفراده[9] بالوحدانية وتنزيهه عن النظير والمثيل. فورد لفظ أحد حيث صح معناه من الكلام الواجب. وامتنع[10] حيث لا يصح معناه. أما غير الواجب، فيصح معه معنى «أحد» لصحة معنى الكلام، لأنك إذا قلت: ما أتاني أحد، انتفى كل ما يمكن وصفه بالإتيان لمقتضى[11] العموم، فانتفى ما وقع عليه لفظ «أحد» وانتفى النظير والمثيل. وصح هذا في المخلوق بخلاف أن لو قلت: أتاني أحد، فإنك فيه تتكلم بما لا يصح معناه، ولا يعقل، إذ ليس في المخلوقات من لا مثل له. فلما كان لفظ أحد بالنظر إلى المخلوقين يصح معناه في غير الواجب[12]، ولا يصح في الواجب، ورد من كلامهم حيث يصح معناه

---

(١) ك: بمعناه.
(٢) في ك فقط، وبقية النسخ: لهم.
(٣) هـ، م، ب: المتباينة.
(٤) هـ، م: المماثلة.
(٥) ك: الأمثال.
(٦) سقط من ك: بما تبين.
(٧) في ك فقط، وبقية النسخ: وورد.
(٨) زاد هنا في ك: هاتين.
(٩) في ك فقط، وبقية النسخ: وانفراده.
(١٠) ساقط من ك.
(١١) ك، ع: بمقتضى.
(١٢) ع: الموجب.

وامتنع حيث لا يستقيم معناه. ووضح قول أئمة اللسان: إنه لا يرد في الواجب يريدون في محاورات المخلوقين وتخاطبهم، إذ لا يصح معناه هناك. فأما في حق الخالق جل جلاله فهو موضعه الذي يصح فيه ولا يتعداه [٢٣٩/و] ولم يتعرض النحويون لعلة امتناعه في الواجب، بل اكتفوا بتقرير السماع من غير تعرض للعلة، إذ لا ينبني لهم على ذلك قانون تتسع جهاته، وتنتشر مسائله. وإذا وضحت العلة تبين وجه وروده في السورة الكريمة فلم يحتج إلى ادعاء اشتراك، ولا تأويل، والله أعلم.

سورة الفَلَق

٣٧٤ ـ قوله تعالى [غ]:

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٣ ـ ٥).

للسائل أن يسأل عن التقييد بالظرف[1] في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾، وفي قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، فلم تقع الاستعاذة من شر هذين إلا بتقييد الوقوب في الغاسق، ووقوع الحاسد. وأطلق حكم الاستعاذة من شر النفاثات وهُنَّ الساحرات، ولم يقل إذا نَفَثْنَ أو إذا سَحَرْنَ فيقيد كما قيد ما قبل وما بعد، فما الفرق؟

والجواب عن ذلك ـ والله أعلم ـ أن قوله سبحانه في سورة طه: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[2] إطلاقٌ حاكِمٌ بتماديه وتمادي حكمه على تلك الصفة المذمومة، فلم يكن التقييد في آية الفلق لو قيل: إذا[3] كذا[4]، ليطابق ما ورد في

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن التقييد بالظرف...).
(٢) الآية/ ٦٩.
(٣) في م، ك فقط.
(٤) في م فقط.

سورة «طه» من الإطلاق. ثم إنَّ السحر كفر وقد ذكر سبحانه قول الملَكَيْن لطالب تعلمه: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[1]، أي بتَعلُّم السحر[2]، وورد التَّعوُّذُ منه مطلقاً غير مقيد بوقوع[3] تأثير الكواكب، وذلك كفر. وما أجرى الله سبحانه من التأثير في العالم عند تلاقيها وتقابلها وتناظرها وما في ذلك من تفصيل التناظر. كل ذلك فعل الله سبحانه ولا تأثير إلاّ له جل وتعالى[4]. ويُقتَل الساحر ولا استشابة[5] في قول.

أما الغاسق فإنه الليل إذا أظلم وليس الشر منه بما هو ليل مظلم؛ إنما هو ستر لذوي الشر لاحتجاب ظلمته عن أعين الناس، فيُوقِعُونَ فيه[6] شرُّهُم فالشر فيه لا بد منه. ألا ترى أنه لأهل الخير رحمة ونعمة، وكذلك لكل من لا يترصده لشر. قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ ﴾[7]، أي لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضل الله في النهار. وتردد ذكر الليل في غير ما آية من كتاب الله معدوداً في نعم الله تعالى على عباده، وهو شقيق النهار في تلك. ثم إنّه من حيث هو لباس وستر عن الأعين يتمكن فيه لأهل الشر ما لا يمكنهم في نهارهم فيستحكم فيه شرُّهُم عند امتداد ظلمته لأمنهم من الناس في[8] ذلك[9]، فتبين أنه ليس شراً بما[10]هو ليل؛ إذ الشر فيه، وعنده لا به[11]ولا

(١) البقرة/ ١٠٢.

(٢) بعدها في ك: (ولا يستحكم سحر الساحر ولا يسمَّى ساحراً إلاَّ باعتقاد فتَبَيَّنَ أنَّ السحر شر مطلق فورد التعوذ. . .).

(٣) بعدها في هـ، م، ع: (أو - وبياض كلمة).

(٤) بعدها بياض كلمة في: هـ، م، ك، غ.

(٥) هـ، ب، ع: استتابة.

(٦) هـ، م، ع: به.

(٧) القصص/ ٧٣.

(٨) ك: من.

(٩) بعدها في هـ، م، ك، ع: «وقوله».

(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: إنما هو.

(١١) ك: لأنه بما.

منه[1]، ولا يتمكن مطلوب ذوي الشر إلاّ في ظلمته. فنسب الشر إليه بهذا الوجه، والإضافة في لسان العرب تكون بأدنى ملابسة. قال تعالى: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾. والضحى ليس للعشية وإنما هما طرفان للنهار [٢٣٩/ ظ] فصحت الإضافة بهذا القدر. وقال تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[2]. والليل والنهار لا يمكران، إنما يكون المكر فيهما. قال معناه سيبويه ـ رحمه الله ـ وأما الحاسد فإن القائم بنفسه من هذه الصفة قبل أنْ يُمْضي يمكن أن ينفذ بها حسداً، ويمكن أن ينفذها غبطة. فإذا لا يتبين كونها حسداً إلاّ بعد أن يمضي ويوقع. ألا ترى اتحاد ما يقوم بالنفس أولاً من هذه الصفة. بيان ذلك أن كل عاقل بما[3] هو عاقل إذا رأى نعمة على غيره من دين أو دنيا أعجبته وتمناها لنفسه. فإن أراد زوالها عمن ظهرت عليه، وانفراده هو بها، فهذا هو الحسد المذموم، وإن تمنى مثلها لنفسه أو أكثر، وبقاء تلك على صاحبها فهذه هي الغبطة، وهي من صفات المؤمنين. فقد وضح أنه إنما يكون حسداً ويوصف بتلك الصفة عند ظهوره ووقوعه على الصفة المذمومة. وأما قبل ذلك فلا شرٌّ فيه ولا هو شرٌّ. ألا ترى أن الحاسد لو قامت به تلك الصفة، ثم تذكر واستغفر لمن رأى النعمة به بالخير، وركن قلبه إلى ذلك لم يؤاخذ شرعاً بتلك الهَمَّة والخَطْرَة وقد نص الشرع على ذلك، واتفق العلماء على ذلك، والقاضي أبو بكر[4] ومن قال بقوله[5] على تلقي الوارد في هذا عن الشارع عليه السلام مُنزلاً على ما ذكرته.

فلما كان الحسد على ما ذكر، وحال الغاسق على ما تقدم لذلك ما وقع التقييد في الاستعاذة من شرِّهما بالظرف فقيل: ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ و ﴿ إِذَا حَسَدَ ﴾، ولم يقع تقييد في الاستعاذة من شر السحرة. وجاء كل من ذلك على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه والله أعلم.

---

(١) في ك فقط وبقية النسخ مهموزة الألف: الأمنه.

(٢) سبأ/ ٣٣.

(٣) م: إنما.

(٤) هو القاضي أبو بكر الباقلاني، وقد سبق التعريف به.

(٥) ف: «مرة قال ومرة قال»، ع: «مرة قال. . . . ومرة قال بقوله».

سورة النَّاس[1]

٣٧٥ ـ قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ (١).

إلى آخر السورة.

يسأل عن تكرار ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ و﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾، ما وجه ذلك؟

والجواب عن التبعية في ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾، على عطف البيان، ولا تحسن فيه الإضافة إلى الضمير، لأن ذلك يؤدي إلى تعرف الاسمين بضمير الأول الذي عليه حملهما[2]. فكَأنَ يكون الأول في حكم الأعرف من اللفظ التابع له وذلك عكس ما عليه عطف البيان. أما إذا أضيف إليه متبوعه، فإنه إذ ذاك يكون مساوياً له. وذلك هو الجاري المطرد في هذا الضرب من التوابع. أعني أن يكون في الأغلب الكثير مساوياً للأول أو أعرف[3]. فلهذا جاء مضافاً إلى الظاهر منها والله أعلم[4].

* * * *

وافق الفراغ منها آذان العصر يوم الثلاثاء تاسع عشري جماد الأول من شهور سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة. على يد فقير رحمة ربه محمد بن محمد بن محمد البكري الشافعي غفر الله له، ولوالديه، وإخوانه، ومشايخه، ولمن نظر في ذلك واستغفر له ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) ب، ع: سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

(٢) هـ، م: حملها.

(٣) ك، ب: وأعرف.

(٤) ك: «كمل السفر الثاني بحمد الله، وحسن عونه، وبتمامه تم جميع التأليف. وذلك ليلة الأحد من تسع عشر حلون من شعبان المعظم عام سبع وأربعين وتسعمائة للهجرة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. على يد العبد الضعيف المضطر إلى رحمة ربه ـ والراجي غفرانه، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، أحمد بن محمد الفخار اندلوسي».

مراجع التحقيق

(أ)

١ ــ الإبانة ـ أبو الحسن الأشعري ـ المنيرية ١٣٤٨/ القاهرة.

٢ ــ إتحاف فضلاء البشر ـ أحمد الدمياطي ـ ١٣٥٩/ القاهرة.

٣ ــ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم مكتبة المشهد الحسيني ـ ١٩٦٧/ القاهرة.

٤ ــ الإحاطة في أخبار غرناطة ـ ابن الخطيب ـ تحقيق: محمد عبد الله عنان ـ دار المعارف بمصر ـ سلسلة ذخائر العرب/١٧.

٥ ــ الإحكام في أصول الأحكام ـ الآمدي ـ دار الكتب الخديوية ـ ١٩١٤/ القاهرة.

٦ ــ أحكام القرآن ـ ابن العربي ـ تحقيق: محمد علي البجاوي ـ عيسى الحلبي (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) القاهرة ـ أولى.

٧ ــ الأحكام السلطانية ـ الماوردي ـ مصطفى الحلبي ـ ١٩٦٥/ القاهرة ـ أولى.

٨ ــ أسباب النزول ـ الواحدي ـ الحلبي ـ ١٩٦٨/ القاهرة.

٩ ــ إصلاح المنطق ـ ابن السكِّيت ـ تحقيق: أحمد شاكر، عبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ ١٩٤٩/ القاهرة.

١٠ ــ الأصمعيات ـ الأصمعي ـ تحقيق: أحمد شاكر، عبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ ١٩٦٧/ القاهرة ـ ثالثة.

١١ ــ أصول الدين ـ البغدادي ـ ١٩٢٨/ استانبول ـ تركيا.

١٢ ــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ فخر الدين الرازي ـ تحقيق: الدكتور علي سامي النشار ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨/ القاهرة.
١٣ ــ إعراب القرآن، المنسوب للزجاج ـ تحقيق: إبراهيم الأبياري ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ ١٩٦٥/ القاهرة.
١٤ ــ الأَعْلاَم ـ خير الدين الزركلي ـ ١٩٥٥/ القاهرة ـ ثانية.
١٥ ــ الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ج/ ٥ ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
١٦ ــ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ـ ابن السيد البطليوسي ـ ١٩٠١/ بيروت ـ لبنان.
١٧ ــ الأمالي الشجرية ـ ابن الشجري، هبة الله علي بن حمزة العلوي ـ حيدرأباد ـ ١٣٤٩/ الهند.
١٨ ــ أمالي السهيلي ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ـ تحقيق: محمد إبراهيم البنا ـ ١٩٧٠/ القاهرة.
١٩ ــ إملاء ما منّ به الرحمن ـ العُكْبَري ـ تصحيح: إبراهيم عطوة ـ مصطفى الحلبي ـ ١٩٦٩/ القاهرة ـ ثانية.
٢٠ ــ ألف باء ـ أبو الحجاج البَلَوِيّ المعروف بابن الشيخ ـ الوهبية ـ ١٢٨٧/ القاهرة.
٢١ ــ إنْبَاهُ الرواة ـ القفطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥١/ القاهرة.
٢٢ ــ الإنصاف في مسائل الخلاف ـ أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ التجارية ـ ١٩٥٥/ القاهرة.
٢٣ ــ إيضاح المكنون ـ إسماعيل باشا البغدادي ـ المثنى ـ بغداد/ أوفست.

(ب)

٢٤ ــ البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ ١٣٢٨/ القاهرة.
٢٥ ــ البدر الطالع ـ الشوكاني ـ ١٣٤٨/ القاهرة ـ أولى.

٢٦ ــ البرهان في توجيه متشابه القرآن ـ الكِرْمَانيّ ـ تحقيق: عبد القادر عطا ـ دار الاعتصام ـ ١٩٧٤/ القاهرة ـ أولى.

٢٧ ــ البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ عيسى الحلبي ـ ١٩٥٧/ القاهرة.

٢٨ ــ بُغْيَة الوُعَاة ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ عيسى الحلبي ـ ١٩٦٤/ القاهرة ـ أولى.

٢٩ ــ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق: عبد السلام هارون ـ الخانجي ـ ١٩٦٠/ القاهرة.

(ت)

٣٠ ــ تاج اللغة ـ الجوهري ـ الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة.

٣١ ــ تاريخ دولة آل سلجوق ـ العماد الأصفهاني ـ شركة طبع الكتب العربية ـ ١٣١٨/ القاهرة.

٣٢ ــ التاريخ الصغير ـ البخاري ـ تحقيق: محمود زايد ـ دار التراث ـ ١٩٧٧/ القاهرة.

٣٣ ــ تاريخ الفلسفة الإسلامية ـ هنري كُورْبَان ـ ترجمة: نصير مروة، حسن قبيسي ـ دار عويدات ـ ١٩٦٦/ بيروت ـ لبنان.

٣٤ ــ تاريخ قضاة الأندلس ـ النُّباهيّ ـ تحقيق: ليفي بروفنسال ـ دار الكاتب المصري ـ ١٩٤٨/ القاهرة.

٣٥ ــ تخريج الفروع على الأصول ـ الزَّنجاني ـ تحقيق: محمد أديب صالح ـ جامعة دمشق كلية الشريعة ـ ١٩٦٢/ سوريا.

٣٦ ــ التذكرة ـ ابن مَتُّوَيْهِ ـ تحقيق: الدكتور/ سامي نصر، الدكتور/ فيصل بدير عون ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٥/ القاهرة.

٣٧ ــ تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين الذهبي ـ حيدرأباد ـ ١٣٣٤ هـ/ الهند.

٣٨ ــ التصريح بمضمون التوضيح ـ الشيخ خالد ـ المطبعة الأزهرية ـ ١٣٢٥/ القاهرة.

٣٩ ــ التفسير ورجاله ـ محمد الفاضل بن عاشور ـ مجمع البحوث الإسلامية مايو/ ١٩٧٠/ القاهرة.
٤٠ ــ تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ـ عيسى الحلبي ـ القاهرة.
٤١ ــ تفسير القرآن الكريم ـ سفيان الثوري ـ تصحيح: امتياز علي عرشي ـ رامبور ـ ١٩٦٥/ الهند.
٤٢ ــ تفسير المعتزلة للقرآن الكريم ـ محمود كامل أحمد ـ رسالة ماجستير مخطوطة بآداب عين شمس.
٤٣ ــ التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ الفخر الرازي ـ المطبعة العصرية ـ ١٩٣٣/ القاهرة.
٤٤ ــ التمهيد ـ الباقلاني ـ تحقيق: الدكتور/ محمود الخضيري، الدكتور/ أبو ريدة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٤٧/ القاهرة.
٤٥ ــ التهذيب في التفسير ـ الحاكم الجشمي ـ المتوكلية اليمنية ٤٣/ تفسير.
٤٦ ــ تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ـ حيدر أباد ـ ١٣٢٦/ الهند.

(ج)

٤٧ ــ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ دار القلم (١٩٦٦ ـ ١٩٦٧) القاهرة.
٤٨ ــ جمهرة أشعار العرب ـ أبو زيد القرشي ـ ١٣٠٨/ القاهرة.
٤٩ ــ جامع البيان ـ الطبري ـ تحقيق: أحمد ومحمود شاكر الأجزاء (١ ـ ١٦) طبعة دار المعارف بمصر. وبقيّة الأجزاء طبعة الأميرية بولاق ١٣٢٨ هـ/ القاهرة.
٥٠ ــ جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون ـ القاضي عبد النبي عبد الرسول ـ حيدر أباد ـ الهند ـ أولى.
٥١ ــ الجُمَل ـ الزّجّاجي ـ تحقيق: ابن أبي شنب ـ ١٣٧٦ هـ/ باريس.
٥٢ ــ الجَنَى الداني في حروف المعاني ـ المرادي ـ تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ـ المكتبة العربية بحلب ـ ١٩٧٣/ سوريا.

(ح)

٥٣ ــ حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف ـ بهامش الكشاف ـ مصطفى الحلبي ـ ١٩٤٨/ القاهرة.

٥٤ ــ حاشية الصبان على الأشموني ـ مصطفى الحلبي (١٣٤٤ ـ ١٣٦٦) القاهرة.

٥٥ ــ الحجة في القراءات السبع ـ ابن خَالَوَيْهِ ـ تحقيق: الدكتور/ عبد العال سالم مكرم ـ دار الشروق ـ ١٩٧٧/ القاهرة ـ ثانية.

٥٦ ــ الحسن البصري ـ إحسان عباس ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٦١/ القاهرة.

٥٧ ــ الحور العين وتنبيه السامعين ـ الأمير نشوان الحميري ـ الخانجي ـ ١٩٤٨/ القاهرة.

(خ)

٥٨ ــ خزانة الأدب ـ عبد القادر البغدادي ـ بولاق ـ ١٢٩٩/ القاهرة.

٥٩ ــ الخصائص ـ ابن جني ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ دار الكتب المصرية (١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) القاهرة.

٦٠ ــ الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ـ ابن أبي الأصبع المصري ـ تحقيق: الدكتور/ حفني شرف ـ المكتب المصري الحديث ـ ١٩٦٠/ القاهرة.

(د)

٦١ ــ دُرَّةُ التنزيل وغُرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز الخطيب الإسكافي ـ الخانجي ـ ١٩٠٨/ القاهرة.

٦٢ ــ الدرر الكامنة ـ ابن حجر ـ حيدر أباد ـ ١٩٤٨/ الهند ـ أولى.

٦٣ ــ الدرر اللوامع ـ أحمد الشنقيطي ـ مطبعة كردستان العلمية ـ ١٣٢٨/ القاهرة.

٦٤ ــ الديباج المذهب ـ ابن فرحون ـ نشرة عباس شقرون ـ ١٣٧١/ القاهرة.

٦٥ ــ ديوان أبي الأسود الدؤلي ـ تحقيق: محمد حسن آل ياسين ـ سلسلة نفائس المخطوطات ـ النجف ـ العراق.

٦٦ ــ ديوان امرىء القيس ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف بمصر ـ سلسلة ذخائر العرب/ ٢٤.

٦٧ ــ ديوان الحماسة ـ أبو تمام ـ نشرة: الشيخ محمد عبد القادر الرافعي ـ ١٣٢٢/ القاهرة.

٦٨ ــ ديوان حميد بن ثور ـ صنعة عبد العزيز الميمني ـ ١٩٥١/ القاهرة.

٦٩ ــ ديوان الخنساء ـ تحقيق: لويس شيخو ـ المطبعة الكاثوليكية ـ ١٨٩٦/ بيروت.

٧٠ ــ ديوان رؤبَة ـ ضمن مجموع أشعار العرب ـ نشرة: وليم بن الورد البروسّي ـ ١٩٠٣/ ليبسك ـ برلين.

٧١ ــ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ـ تحقيق: محمد يوسف نجم ـ ١٩٥٨/ بيروت.

٧٢ ــ ديوان عَديّ بن زيد ـ تحقيق: محمد جبار المعيبد ـ ١٩٦٥/ بغداد.

٧٣ ــ ديوان عمرو بن معديكرب ـ نشرة: هاشم الطعان ـ ١٩٧٠/ بغداد.

٧٤ ــ ديوان الفرزدق ـ نشرة: محمد اسماعيل الصاوي ـ ١٣٥٤/ القاهرة.

٧٥ ــ ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق: الدكتور ناصر الدين الأسد ـ مطبعة المدني ـ ١٩٦٢/ القاهرة.

٧٦ ــ ديوان ابن ميادة ـ حنا جميل حداد ضمن رسالته للماجستير في موضوع ابن ميادة وشعره جمع وتحقيق ودراسة ـ مخطوط بكلية آداب عين شمس.

٧٧ ــ ديوان النابغة الجعدي ـ تحقيق: عبد العزيز رباح ـ المكتب الإسلامي بدمشق ـ ١٣٨٤/ سوريا.

٧٨ ــ ديوان الهذليين ـ نشرة القسم الأدبي بدار الكتب المصرية (١٩٤٥ ـ ١٩٥٠) القاهرة.

(ذ)

٧٩ ــ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ـ المراكشي ـ ١٩٥٦/ بيروت.

(ر)

٨٠ ــ رصف المباني ـ المالقي ـ تحقيق: أحمد الخراط ـ ١٩٧٥/ دمشق ـ سوريا.

٨١ ــ روح المعاني ـ الألوسي ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة.

(ز)

٨٢ ــ زهر الآداب ـ الحصري ـ الرحمانية ـ ١٩٢٥/ القاهرة.

(س)

٨٣ ــ السراج المنير ـ الخطيب الشربيني ـ المطبعة الأميرية ـ ١٢٩٩/ القاهرة.

٨٤ ــ سمط اللآلىء ـ البكري ـ تحقيق: عبد العزيز الميمني ـ لجنة التأليف (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧) القاهرة.

٨٥ ــ سنن الترمذي ـ تحقيق: أحمد شاكر ـ الحلبي ـ ١٩٣٧/ القاهرة ـ أولى.

٨٦ ــ سنن الدارمي ـ تصحيح: محمد أحمد دهمان ـ دار إحياء السنة النبوية.

(ش)

٨٧ ــ شجرة النور الزكية ـ محمد بن محمد مخلوف ـ السلفية ـ ١٣٤٩/ القاهرة.

٨٨ ــ شذرات الذهب ـ ابن العماد الحنبلي ـ القدسي ـ ١٣٥٠/ القاهرة.

٨٩ ــ شرح أبيات سيبويه ـ ابن السيرافي ـ تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ ١٩٧٤/ القاهرة.

٩٠ ــ شرح الأبيات المشكلة الإعراب ـ الحسن بن أسد الفارقي ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مطبعة الجامعة السورية ـ ١٩٥٨.

٩١ ــ شرح أدب الكاتب ـ الجواليقي ـ القدسي ـ ١٣٥٠/ القاهرة.

٩٢ ــ شرح أشعار الهذليين ـ صنعة أبي سعيد السكري ـ تحقيق: عبد الستار فراج ـ مطبعة المدني ـ ١٩٦٥/ القاهرة.

٩٣ ــ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ أبو الحسن الأشموني ـ عيسى الحلبي / القاهرة.

٩٤ ــ شرح ديوان جرير ـ جمع وشرح: محمد اسماعيل الصاوي ـ مطبعة الصاوي ـ ١٣٥٣/ القاهرة.

٩٥ ــ شرح ديوان الحماسة ـ المرزوقي ـ تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون ـ لجنة التأليف (١٩٥١ ـ ١٩٥٣) القاهرة.

٩٦ ــ شرح شافية ابن الحاجب ـ الرضا الأستراباذي ـ تحقيق: محمد محيي الدين، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف ـ مطبعة حجازي ـ ١٣٥٨/ القاهرة ـ أولى.
٩٧ ــ شرح الشنتمري لشواهد سيبويه ـ يوسف بن سليمان الشنتمري ـ على هامش كتاب سيبويه ـ بولاق (١٣١٦ ـ ١٣١٨) القاهرة.
٩٨ ــ شرح شواهد المغني ـ السيوطي ـ المطبعة البهية ـ ١٣٢٢/ القاهرة.
٩٩ ــ شرح المفصّل ـ ابن يعيش ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة.
١٠٠ ــ شرح مقامات الحريري ـ الشريشي ـ بولاق ـ ١٢٨٤/ القاهرة.
١٠١ ــ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ تحقيق: أحمد شاكر ـ دار المعارف ـ ١٩٦٧/ القاهرة.
١٠٢ ــ شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ نشرة: عبد الله الجرافي ـ الحلبي ـ ١٩٥١/ القاهرة.
١٠٣ ــ شواهد النحو الشعرية ـ حنا جميل حداد ـ رسالة دكتوراه بآداب عين شمس.
١٠٤ ــ الصابئون في حاضرهم وماضيهم ـ السيد عبد الرازق الحسني ـ مطبعة العرفان ـ ١٩٥٥/ صيدا ـ لبنان.
١٠٥ ــ صحيح البخاري ـ دار الشعب ـ ١٣٧٨ هـ/ القاهرة.
١٠٦ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ـ تحقيق: عبد الله أبو زينة ـ دار الشعب ـ ١٣٩٣ هـ/ القاهرة.
١٠٧ ــ الصناعتين ـ أبو هلال العسكري ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي ـ الحلبي ـ ١٩٧١/ القاهرة.

(ط)

١٠٨ ــ طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ـ الميمنة ـ ١٣٢١/ مصر.
١٠٩ ــ طبقات المفسرين ـ الداودي ـ تحقيق: علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٢/ القاهرة.
١١٠ ــ طبقات النحويين ـ الزبيدي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف بمصر ـ ذخائر العرب/ ٥٠.

(ع)

١١١ ــ العبر في خبر من غبر ـ الذهبي ـ تحقيق: رشاد عبد المطلب ـ مكتبة حكومة الكويت ـ سلسلة التراث العربي/ ١٧.

١١٢ ــ غاية النهاية في طبقات القراء ـ ابن الجزري ـ نشرة: برجستراسر ـ الخانجي ـ ١٩٣٢/ القاهرة.

١١٣ ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ النيسابوري ـ على هامش جامع البيان للطبري ـ المطبعة الأميرية ـ ١٣٢٨/ القاهرة.

(ف)

١١٤ ــ فتح البيان ـ أبو الطيب البخاري ـ المطبعة الأميرية (١٣٠٠ ـ ١٣٠١) القاهرة.

١١٥ ــ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ـ أبو يحيى زكريا الأنصاري على هامش السراج المنير.

١١٦ ــ فضائل القرآن ـ ابن كثير ـ بذيل التفسير ـ الحلبي ـ القاهرة.

١١٧ ــ الفهرست ـ ابن النديم ـ تحقيق: جوستاف فلوجل ـ مكتبة خياط ـ ١٩٦٤/ بيروت.

(ق)

١١٨ ــ القاموس المحيط ـ للفيروزأبادي ـ المطبعة الميمنية ـ القاهرة.

(ك)

١١٩ ــ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ الأميرية ـ القاهرة.

١٢٠ ــ الكامل في اللغة والأدب ـ المبرد ـ تحقيق: الدكتور/ زكي مبارك ـ القاهرة.

١٢١ ــ الكتاب ـ سيبويه ـ تحقيق: عبد السلام هارون ـ دار الكاتب العربي (١٩٦٦ ـ ١٩٧٧) القاهرة.

١٢٢ ــ كتاب التوحيد ـ أبو منصور الماتريدي ـ تحقيق: الدكتور فتح الله خليف ـ دار المشرق ـ ١٩٧٠/ القاهرة.

١٢٣ ــ كتاب السبعة في القراءات ـ ابن مجاهد ـ تحقيق: الدكتور/ شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٢ ـ أولى.
١٢٤ ــ كتاب كشف الأسرار ـ أبو العباس الأقفيسي ـ تصحيح: أحمد أبو علي ـ ١٣١٥ هـ/ الإسكندرية.
١٢٥ ــ كتاب العلل ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق: الدكتور/ اسماعيل أوغلى، الدكتور طلعت بيكيت ـ ١٩٦٣/ أنقرة ـ تركيا.
١٢٦ ــ الكشاف ـ الزمخشري ـ الحلبي ـ ١٩٤٨/ القاهرة.
١٢٧ ــ كشف الظنون ـ حاجي خليفة ـ المثنى ـ بغداد.
١٢٨ ــ لباب النقول ـ جلال الدين السيوطي ـ مصطفى الحلبي ـ ١٩٥٤/ القاهرة ـ ثانية.
١٢٩ ــ لسان العرب ـ ابن منظور ـ بولاق ـ ١٣٠٣ هـ/ القاهرة.

(م)

١٣٠ ــ المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ تحقيق: عبد الستار فراج ـ ١٩٦١/ القاهرة.
١٣١ ــ ما اتفق لفظه واختلف معناه ـ المبرد ـ باعتناء: عبد العزيز الميمني ـ السلفية ـ ١٣٥٠ هـ/ القاهرة.
١٣٢ ــ ما ينصرف وما لا ينصرف ـ أبو اسحاق الزجاج ـ تحقيق: هدى قُرَّاعة ـ ١٩٧١/ القاهرة.
١٣٣ ــ مجاز القرآن ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى ـ تحقيق: الدكتور فؤاد سزكين الخانجي ـ ١٩٥٤/ القاهرة.
١٣٤ ــ المجازات النبوية ـ الشريف الرضي ـ تصحيح: محمود مصطفى ـ الحلبي ـ ١٩٣٧/ القاهرة.
١٣٥ ــ مجمع الأمثال ـ الميداني ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الحلبي ـ ١٩٧٧/ القاهرة.
١٣٦ ــ المحتسب ـ ابن جني ـ تحقيق: الدكتور عبد الحليم النجار، علي النجدي ناصف ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٣٨٦ ـ ١٣٨٩) القاهرة.

١٣٧ ــ المخصص ـ ابن سيدة ـ بولاق (١٣١٦ ـ ١٣٢١ هـ) القاهرة.

١٣٨ ــ مراتب النحويين ـ أبو الطيب اللغوي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٤/ القاهرة ـ ثانية.

١٣٩ ــ المسند ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق: الدكتور محمد عاشور، عبد القادر عطا ـ دار الإعتصام ـ القاهرة.

١٤٠ ــ مشكل الآثار ـ الطحاوي ـ حيدرأباد ـ ١٣٣٣ هـ/ الهند ـ أولى.

١٤١ ــ المصون في الأدب ـ أبو أحمد العسكري ـ تحقيق: عبد السلام هارون ـ ١٩٦٠/ الكويت.

١٤٢ ــ معاني الحروف ـ الرماني ـ تحقيق: الدكتور عبد الفتاح شلبي ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٣/ القاهرة.

١٤٣ ــ معاني القرآن ـ الأخفش ـ المكتبة الرضوية ـ مشهد ـ إيران.

١٤٤ ــ معاني القرآن ـ الفرّاء ـ تحقيق: أحمد نجاتي، محمد علي النجار ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٥/ القاهرة.

١٤٥ ــ معاهد التنصيص ـ عبد الرحيم العباسي ـ المطبعة البهية ـ ١٣١٦ هـ/ القاهرة.

١٤٦ ــ معجم شواهد العربية ـ عبد السلام هارون ـ الخانجي (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) القاهرة.

١٤٧ ــ معجم المؤلفين ـ عمر كحالة ـ المكتبة العربية بدمشق ـ ١٩٥٧/ سوريا.

١٤٨ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ ترتيب: د. أ. ي. ونسنك ـ مطبعة بريل ـ ١٩٤٣/ ليدن.

١٤٩ ــ مغني اللبيب ـ ابن هشام ـ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ـ بلا تاريخ.

١٥٠ ــ المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ ١٣٧٣/ طهران.

١٥١ ــ المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية ـ العيني ـ على هامش خزانة الأدب.

١٥٢ ـ المقتضب ـ المبرد ـ تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٣٨٥ ـ ١٣٨٨) القاهرة.
١٥٣ ـ المقرّب ـ ابن عصفور ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ـ ٩٩٠/ نحو.
١٥٤ ـ المنصف ـ ابن جني ـ تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين ـ الحلبي ـ ١٩٦٠/ القاهرة.
١٥٥ ـ المنهل الصافي ـ ابن تغري بردى ـ تحقيق: أحمد نجاتي ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٦/ القاهرة.
١٥٦ ـ الموشح ـ المرزباني ـ تحقيق: علي البجاوي ـ ١٩٦٥/ دار النهضة المصرية ـ القاهرة.
١٥٧ ـ ميزان الاعتدال ـ الذهبي ـ تحقيق: علي البجاوي ـ الحلبي ـ ١٩٦٣/ القاهرة.

(ن)

١٥٨ ـ نزهة الألبَّا ـ ابن الأنباري ـ مكتبة علي يوسف ـ القاهرة.
١٥٩ ـ النشر في القراءات العشر ـ ابن الجزري ـ تصحيح: علي محمد الضباع ـ التجارية ـ القاهرة.
١٦٠ ـ النقائض بين جرير والفرزدق ـ تحقيق: بيفان ـ ١٩٠٥/ ليدن.
١٦١ ـ النوادر في اللغة ـ أبو زيد الأنصاري ـ تحقيق: سعيد الشرتوني ـ الكاثوليكية ـ ١٨٩٤/ بيروت ـ لبنان.
١٦٢ ـ نَيْل الابتهاج ـ سيدي أحمد التنبكتي ـ على هامش الديباج المذهب.

(هـ)

١٦٣ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ السيوطي ـ نشرة: محمد بدر النعساني.

(و)

١٦٤ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ تحقيق: محمد محيي الدين ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨/ القاهرة.

فهرس الموضوعات

موضوعات السفر الأول

ص	مسلسل		الآيــة
٣٥٣	١١٩	قوله تعالى:	﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم...﴾.
٣٥٤	١٢٠	قوله تعالى:	﴿ذلكم وَصَّاكُمْ به لعلكم تعقلون﴾.
٣٥٦	١٢١	قوله تعالى:	﴿وأنا أوَّل المسلمين﴾.
٣٥٨	١٢٢	قوله تعالى:	﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾.
٣٦٠	١٢٣	قوله تعالى:	﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾.
			سورة الأعراف
٣٦١	١٢٤	قوله تعالى:	﴿ما منعك ألاَّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين...﴾.
٣٦٤	١٢٥	قوله تعالى:	﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾.
٣٦٦	١٢٦	قوله تعالى:	﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم...﴾.
٣٦٩	١٢٧	قوله تعالى:	﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾.
٣٧٠	١٢٨	قوله تعالى:	﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرون كافرون﴾.
٣٧١	١٢٩	قوله تعالى:	﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلَّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت....﴾.
٣٨٤	١٣٠	قوله تعالى:	﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.
٣٩٢	١٣١	قوله تعالى:	﴿قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين...﴾.
٤٠٠	١٣٢	قوله تعالى:	﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾.
٤٠٤	١٣٣	قوله تعالى:	﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين



فهرس
موضوعات السفر الثاني

ص	مسلسل		الآيـــة

سـورة النحـل

ص	مسلسل		الآية
٥٩٣	٢٠٩	قوله تعالى:	﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب...﴾.
٥٩٦	٢١٠	قوله تعالى:	﴿وهـو الـذي سخـر لكم البحـر لتأكلوا منـه لحمـاً طريًّا وتستخرجـوا منـه حلية تلبسونهـا وتـرى الفلك مواخر فيه...﴾.
٦٠٠	٢١١	قوله تعالى:	﴿فادخلـوا أبـواب جهنـم خالـدين فيهـا فلبئس مثوى المتكبريـن﴾.
٦٠١	٢١٢	قوله تعالى:	﴿فأصابهـم سيئـات ما عملـوا وحـاق بهـم ما كانـوا به يستهـزءون﴾.
٦٠٣	٢١٣	قوله تعالى:	﴿ومـا بكم من نعمـة فمـن الله ثم إذا مسـكم الضر فإليه تجـأرون﴾.
٦٠٥	٢١٤	قوله تعالى:	﴿ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾.
٦٠٦	٢١٥	قوله تعالى:	﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾.
٦٠٨	٢١٦	قوله تعالى:	﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾.
٦١١	٢١٧	قوله تعالى:	﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنـكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير﴾.
٦١٣	٢١٨	قوله تعالى:	﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾.
٦١٦	٢١٩	قوله تعالى:	﴿وجعـل لكم السمـع والأبصـار والأفئـدة لعلكم تشكرون﴾.
٦١٨	٢٢٠	قوله تعالى:	﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله﴾.

ص	مسلسل		الآيـــة
٦١٩	٢٢١	قوله تعالى:	﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾.
٦٢٤	٢٢٢	قوله تعالى:	﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.
٦٢٦	٢٢٣	قوله تعالى:	﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق....﴾.
			سورة بني إسرائيل: الإسراء
٦٢٩	٢٢٤	قوله تعالى:	﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا﴾.
٦٣٢	٢٢٥	قوله تعالى:	﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾.
٦٣٤	٢٢٦	قوله تعالى:	﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا...﴾.
٦٣٧	٢٢٧	قوله تعالى:	﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾.
٦٣٩	٢٢٨	قوله تعالى:	﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾.
			سورة الكهف
٦٤٠	٢٢٩	قوله تعالى:	﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾.
٦٤٤	٢٣٠	قوله تعالى:	﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾.
٦٤٧	٢٣١	قوله تعالى:	﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾.
٦٥٢	٢٣٢	قوله تعالى:	﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾.
٦٥٣	٢٣٣	قوله تعالى:	﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾.
٦٥٤	٢٣٤	قوله تعالى:	﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً﴾.